

مرويات ، مستندات وادبيات
عن الحزب السوري القومي الاجتماعي

المنامة



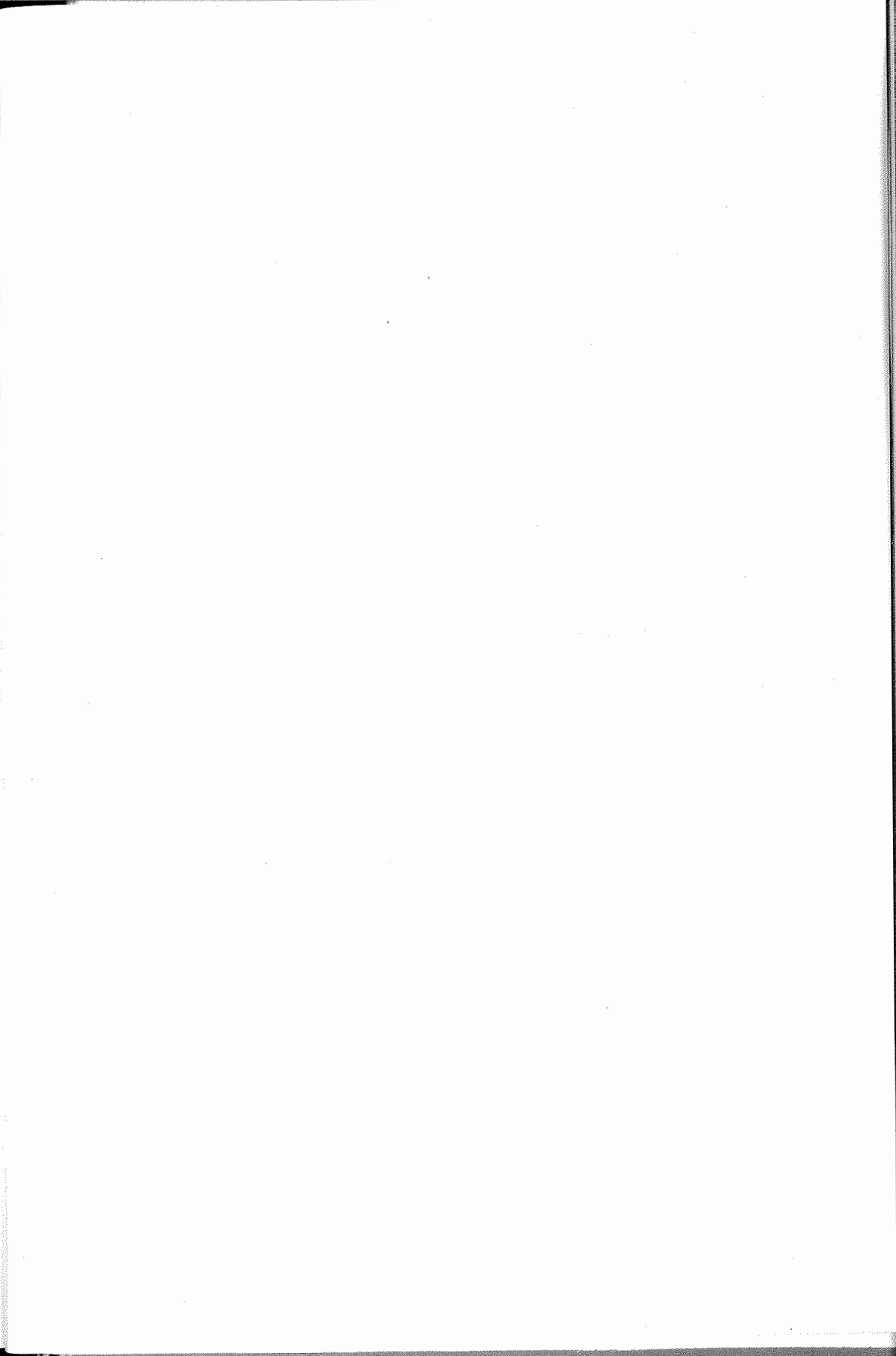
المجلد الثالث

من 16 تشرين الثاني 1936

الى 16 تشرين الثاني 1937

عبد الجعبة الجعبة

جيران جريج



الجنة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

1988

مرويات، مستندات وادبيات
عن الحزب السوري القومي الاجتماعي

324.256
M663mfl
v.3

المنهج الجديد جبران جريج

المجلد الثالث : العمل لعسني الميداني
الاعتماد - الانتكاسة - المهارة

1936 من تشرين الثاني 16
1937 الى تشرين الثاني 16

تتبييه

الرجاء الاطلاع على مقدمة المجلد الاول قبل البدء بمطالعة هذا المجلد

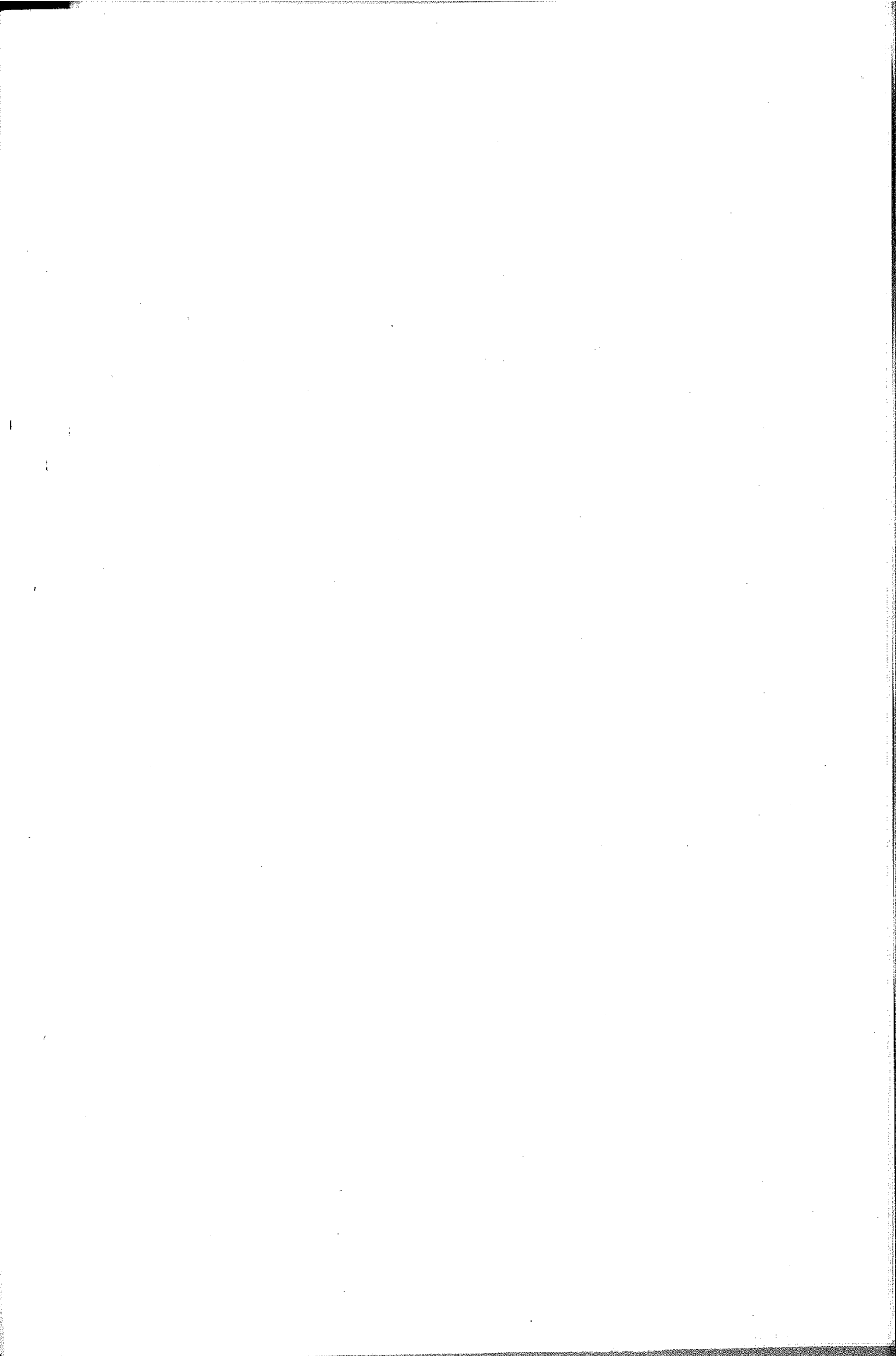
الى العالمات والعاملين في الحركة السورية القومية الاجتماعية
 الى الزهرات والاشبال، ايجيل الصاعد الى
 قسم المجد والسعادة
 الى الاجيال التي لم تولد بعد
 الى المناضلين الذين قضوا على طريق الحياة شهداء
 الى المناضلين على طريق الحياة حتى الرمق الاخير
 أهدي هذا الكتاب



السنة الخريفية الخامسة

سنة المهادنة

1937 - 1936



اعمل عيني الميدياني



الفتنة الطائفية

نستهل السنة الحزبية الخامسة بالفتنة الطائفية التي عصفت بمدينة بيروت على الساحل وبمدينة حلب في الداخل مما استدعى من الزعيم ان يهتم بمعالجتها بالاساليب القومية الاجتماعية، فوجه نداء في السادس عشر من تشرين الثاني الى القوميين الاجتماعيين ثم الحقه بمقال في مجلة «الجمهور» تحت عنوان «دم الغوغاء».

★ ★ ★

في السادس عشر من تشرين الثاني عام 1936 اصطدمت الاحزاب الطائفية المسيحية في لبنان ونوعي بها حزب «الوحدة اللبنانية» الماروني، وحزب «الكتائب اللبنانية» الماروني ايضا، بـ «الكشاف المسلم» وبفرق «النجادة الاسلامية» وتحدث هذه الاحزاب شعور المحمديين في بيروت.

وحرص عدد من خطباء الجوامع القادمين الى الصلاة على التصدي للمسيحيين ردا على اعتداء سبق ان تم على بعض مخازن المحمديين في الاحياء المسيحية.

ازاء هذه الحالة نظمت تنفيذية بيروت فرقا من القوميين الاجتماعيين سارت الى بعض الاحياء ومنعت الاشتباكات بعد ان قامت بتوزيع هذا النداء.

اما النداء فهذا نصه:

في هذا الموقف العصيب الذي يقف فيه المصير القومي العام على مفترق طريقين - طريق الفلاح وطريق البوار - في هذه الظروف الحرجة التي يتراوح فيها الوطن بين النهوض والانحطاط، بين النهضة القومية والحركات الرجعية، في هذه الحال الخطرة تحار الابصار وتبحث العقول عن قوة حكيمة تثبت للزعازع وتنقذ الموقف. ان هذه القوة هي انتم.

اهنئكم على رصانتكم وعلى روح النظام الذي ابدتيموه في حوادث بيروت المؤسفة. ان هذه الحوادث دليل واضح على ان مبادئكم هي الطريق الوحيدة الامينة

للخروج من ظلمات الجهل ودركات الانحطاط الى مجال الحياة القومية المثلى، وباليات الامة كانت بغنى عن مثل هذا الدليل.

لقد قامت الرجعية بعد هجمتها وخرجت تبحث عن فريسة فوجدتها في الغوغاء فانسبت اظافرها في لحمها. ان الرجعية خبيثة ومناقفة وذات حيلة ولبوس. فهي تظهر حينما بمظهر الغضب وأنا بمظهر الدعوة الى وهم اجوف وما غايتها الصحيحة الا الاصطياد في الماء العكر.

ان تحويل الوطن الى ميدان ينقسم فيه الشعب الواحد، الموحد المصير الى جيشين يتطاحنان للوصول الى غاية واحدة هي الخراب القومي، عمل شائن لا يليق الا بالشعوب البربرية، والرجعية تحب البربرية، لان فيها حياتها وكرامتها.

ان الرجعية تثير الاحقاد وتستفز الجماعات وترمي الغوغاء الى معترك الفوضى. هكذا ابتدأت مظاهر امس وهكذا انتهت مظاهر امس.

ايها الرفقاء!

ان حركتكم القومية قد برهنت في كل ظروف الفوضى والاعمال الاعباطية التي مرّ بها الوطن على انها حركة منظمة لها هدف عام واحد وعمل تعميري قومي وان عدم استفحال الطائفية والرجعية يعود الفضل فيه الى موقفكم المستقل البعيد عن الشعب الفوضوي.

ان كرامة الامة وسلامة الوطن قد اصبحتا في خطر وليس لها ضمان سوى موقفكم وعملكم فعليكم ان تعملوا بما عرفتم به من عقيدة راسخة وتجرد صادق ووطنية لا غبار ولا شبهة عليها فاعملوا لتغلب الوطنية على الطائفية ولانصار النهضة القومية على الحركات الرجعية. انكم قد سمعتم بعض الجماعات الراغبة في جرمكم الى الفوضى تهتف حين حملاتها الفوضوية باسمكم وباسم زعيمكم فأوصيكم ان تكونوا عند عهدي بكم من النظام وان لا تؤخذوا بهوس المهوسين الذين يريدون ان يستغلوا قضيتكم وقوتكم.

كونوا رسلا امانة لقضيتكم القومية. كونوا جنودا لتحاربوا التجزئة والانقسام الداخليين. كونوا سدا منيعا ضد الدعوة الى بعث النعرات الهدامة. اوصوا كل من تجتمعون بهم ان لا يكونوا آلة في يد رجال يستثمرون الشعب في سبيل منافعهم، هؤلاء الذين اتخذوا الرعونة نظاما لهم والمنفعة الشخصية دستوراً.

عن البيان

ويقول العميد قبرصي في « عبدالله قبرصي يتذكر » الجزء الاول الصفحة 150 :
« لست اذكر لماذا عينني سعادة رئيسا لمجلس العمد، عوضا عن نعمة ثابت الذي كان رئيسا دائما من قبل ومن بعد، ولكنني اجزم اني عينت بمرسوم من سعادته رئيسا للمجلس لاني عقدت بهذه الصفة مؤتمرا للمنفيين العاملين في الاشرفية، والسيد محمود الرفاعي، الذي كان عضوا في الحزب، استقبلته بهذه الصفة وقد ذكرني هو بها في ايار 1957 عندما التقينا على ظهر الباخرة التي كانت تقل ابي الى كوارسو وانا اودعه، كما اصدرت اوامر الى فرقتين الواحدة بقيادة مأمون اياس للتوجه الى الاشرفية والثانية بقيادة جورج عبدالمسيح للتوجه الى البسطة، وذلك بطلب من الزعيم نفسه في غاية مواجهة جموع المتظاهرين والقاء خطب التهدة والدعوة الى نبذ العصبية الدينية والطائفية والانصهار في الاخاء القومي كما وزعنا منشورا كان قد وجهه الى القوميين للوقوف في وجه التعصب الطائفي البغيض.

واني لذاكر ان سعادة اقالني من هذه المسؤولية بسبب خطأ ارتكبته اذ كان سلمني اوراق الدستور جميعها لإصنفها واضع ملاحظاتي عليها قبل اصدارها في كتيب، ففعلت واعدتها اليه مع احد الرفقاء دون ان اثبت من هويته. فكان ان سجل علي هذه الخطيئة واقالي فوراً.

اما كيف طبعنا آلاف المنشور من نداء الزعيم الى القوميين في 16 نوفمبر 1936 فلذلك قصة طريفة كل الطرافة.

تلقيت وانا في مكتب المحامين الوطنيين الاستاذين ابراهيم وفهم خوري هاتفا من احد امراء الشعر، الاخلل الصغير، وكان لا يزال يصدر جريدة « البرق » ومكتبه في ساحة البرج، بان اتوجه اليه على الفور، فهرولت مسرعا استطلع الامر. فاذا به يسلمني رسالة مضمونة معنونة من الخارج باسمه، ومن الداخل باسمي، وفيها شك بمئتي دولار لامري مساعدة للحزب السوري القومي الذي كانت اخبار اضطهاده قد تناقلتها اسلاك البرق وامهات الصحف في العالم.

ما ان فضضت الرسالة ووقعت يدي على الشك حتى ركضت لاهثا صوب بيت الزعيم وكان قد اصبح في شارع بلس واطلعت على الرسالة وسلمته الشك.

كانت الرسالة من جمعية الاتحاد العربي في سانطافا، Santa Fé Rosario الروساريو

الارجنتين وكانت موجهة الي بوصفي عميدا للاذاعة، المسؤولية التي كنت احملها يوم
انكشاف الحزب.

لم اعد اذكر اسماء المرسلين، ولكن اسم الجمعية لن يبرح ذاكرتي ما حييت، خاصة
وقد كنا - كما نحن دائما - في مأزق مالي، كان سعادة حائرا كيف يبلغ الرأي العام
والقوميين تعليقه على الاحتكاكات الطائفية بين المحمديين والمسيحيين بين الاشرفية
والبسطة هذه الاحتكاكات التي حرص التقليديون عليها، لا حرصا على الدين، بل
حرصا على استغلالها واستغلاله.

بالمال الوارد من جمعية الاتحاد العربي، طبعت المنشير ووزعت على اوسع نطاق،
وعرف الناس منذ ذلك التاريخ كيف ان القوميين لا يبشرون بالعلمنة، بفصل الدين
عن الدولة، بالسنتهم بل يمارسون ما به يبشرون، يترجمونه الى اعمال ومواقف. لقد
نزلوا الى الشارع يقفون بين المتظاهرين بكل طاقاتهم المحدودة ليحولوا دون
الاحتكاك الدامي والحرب الطائفية».

والآن انقل من «يوميات» جورج عبد المسيح الجزء الاول وصفاً لهذه الاعمال.
« هذه الفتنة الطائفية في بيروت، من لها غير القوميين الاجتماعيين؟ عملاء الاستعمار
يشيرونها: البسطة والمزرعة والجميزة. من يصدق ان احد او مصطفى يأتي الى الجميزة
ليُقسِم بالعذراء وبالصليب المقدس ان كنائس المزرعة احرقت، وان بطرس وقبريانوس
يذهبان الى البسطة ليُقسِما بحق النبي المصطفى ان جامع المعرض هوجم، والمأذنة رشقت
بالحجارة؟! هكذا يحصل في اثاره الفتنة حين تكون الفتنة باب رزق للذين يتاجرون
بالشعب، وحين تكون من نوع الاسمنت المسلح لركائز الاستعمار... وهكذا
حصل... وعين الزعيم لجنة للعمل: مأمون اياس - نهاد حنا - جورج عبد المسيح.



نهاد حنا

والعمل يكون بالنسبة لنشاط اعضاء اللجنة ما دامت التوجيهات قد اعطيت .

ووضع الزعيم نداه التاريخي الى الشعب ... طبع البيان، وكان علينا ان نوزعه للفرق القومية الاجتماعية المعدة في اماكن متعددة من احياء المدينة ... وكان مركز انطلاقنا بيت صلاح لبكي قرب السراي الكبير، وبيت سلمى صايغ قرب مدرسة الاميركان للبنات ...

« دفندو » .. ممنوع

... هل هي طبيعة السنغالي؟ حتى الآن (1949) نقول فلان مثل السنغالي ينفذ دون ان يدخل عقله في التنفيذ ..! ام انها في طبيعة التمرين القاسي في الجيش الفرنسي، ولا سيما في المستعمرات؟! المهم ان التنفيذ السنغالي يعرفه الذين كانوا عام 1944 في سن تجاوزت سن ملاحظة الامور ... ويسمعها الناس حتى اليوم ... ويوم الفتنة في بيروت اجتمع المجلس النيابي في نطاق من السنغاليين سد جميع المنافذ الى شارع المعرض حيث يقوم بناء البرلمان ... (دفندو) ممنوع ... السنغالي قال .. وعلى الكل ان ينفذوا ... لا احد على الاطلاق يمر ... اي كان .. قائد السنغالي المباشر كان يعطيه الامر كله كذا: لا احد يمر .. ولا ينسى ان يقول له ما عداي انا ... واذا قال له لا احد يمر، ونسي ان يستثني نفسه، يحتاج الى امر اخر بعد « الكردافو » ومحو الامر السابق ليعطي الامر الجديد: لا احد يمر ... ما عداي انا ... اما: « مواسيفيلزافو » فهي اللازمة بالنسبة لنا من العتال حتى رئيس الدولة ... كلنا في عملية التمدين السنغالي سواسية . وهذا فقط كانت في دولتنا ديمقراطية ومساواة ...!

بابوش ...

... درج الاميركان عند زاوية الساحة (الهال) كان يبدأ عند بوابة الشارع الواطيء هي بوابة يعقوب ... فوق قنطرة البوابة يمر ضيق وراء قاعدة تمثال اليازجي .. الممر يتسع لشخص واحد .. فوق قنطرة البوابة وقف السنغالي ومعه امر (دفندو) ممنوع ... وتقدمنا نهاد حنا وانا نحمل رزم المناشير ... مأمون: يدها في جيبيه ... وصاح السنغالي: « الت! » وقفنا ... « دفندو! » ودل على الممر الضيق، ودلنا من بين رجليه للمرور. لم نكن نهاد وانا نعرف ان القنطرة نافذة. افهمنا مأمون القصد من الدلالة. تكلم ويدها في جيبيه، فصاح به السنغالي « بابوش » وكرر « بابوش ... سكت مأمون ظناً منه انه يعي (بوش) فم، اي لا تتكلم ... وصاح ثالثة: بابوش! ورفع

سلاحه، واندفع أمره الفرنسي ليأمره بانزال السلاح وافهامنا ان حضرة استاذ التمدين السنغالي يقصد بقوله (pas poche) اي انزع يديك من جيوبك. ! لولا قرب الأمر الفرنسي لذهب احدنا ضحية امثلة التمدين الكبرى لنا من امر صريح مفهوم للتمدين فقط « بابوش ».

زيارة وردها

عقلية « بابوش » في بلادنا استمرت... وتلك الفتنة في بيروت كان ابطاها اغرارا... بعضهم كانوا اصدقاء وزملاء عمل او استخدام... لكنهم انطلقوا، وقد دفعهم المتاجرون بدمهم يحرقون ويخربون!! وقمنا بواجبنا خير قيام. رفقاء في الاشرافية والجميزة تجمهر وزاروا البسطين مع رفقاء البسطة.. المنفذ محمد راشد اللاذقي وقتذاك حل جمهرة شباب من البسطين، لرد الزيارة لشباب الاشرافية والجميزة. وكان ذلك مثار غضب المصطادين بالماء العكر... حقدوا ودفخوا من ينتقم... نجونا اكثر من مرة».

على أثر الحوادث الدامية كتب الرفيق صلاح لبكي في مجلة الجمهور المقال التالي تحت عنوان « النتائج » وذلك في 16 تشرين الثاني 1936 :

« نستعرض حوادث بيروت الدامية فلا نرى غير ما يؤسف له ولا نرى النتيجة التي توخاها مشيرو هذه الفتنة .



صلاح لبكي

وقعت المعاهدة الفرنسية اللبنانية وفي البلد، بين العاملين في السياسة، فثتان على ما نعلم: واحدة ارداتها وسعت اليها، واخرى كانت تريد غيرها ولكنها فضلتها على الانتداب لاسيما بعد ادخال المراسلات رقم ستة ورقم ستة مكرر. وكان يجب أن ينتهي كل شيء عند هذا الحد ولو مؤقتاً.

غير ان المحبذين او من يبدو انهم محبذون خرجوا بمظاهرة. وهنا بدأت الكارثة. وكانت هتافات لا مبرر لها كست المظاهرة صبغة لا نستطيع، مها تسامحنا ان نجدها قومية. فالبلاد لا تخص فريقاً دون الآخر ولا هي وقف على طائفة واحدة في ازدحام الطوائف فيها.

اقول ان الوطن لجميع اهله وانا لا اقصد بهذا القول محض مجاملة بل اعني ما اقول. فلم يكن من مسوغ لتنفير جماعة المعارضين. بل لقد كان من واجب المغتربين بما تم لهم ان يطمئنوا احساس النافرين الى انهم ما ارادوا من المعاهدة إلا خيراً للجميع على السواء، والى انهم يعتبرونها انتصاراً قومياً لا انتصاراً طائفيّاً.

اما ان تعتبر المعاهدة نتيجة حوادث تاريخية دامية لا تتفق في شيء مع الروح الوطنية، واما ان توضع مظاهرات الابتهاج تحت رعاية بطل تلك الحوادث، واما ان يحسب الاعتراف بالاستقلال من قبل فرنسا لازمة ذلك الجهاد. فاعتبار وحسبان لا يأتلفان والمبادئ القومية فضلاً عن كونها خطأ سياسياً وخطأ تاريخياً.

لم يكن ينتظر احد ان تؤدي تلك الهتافات الى شيء في مصلحة المعاهدة فهي كانت قد وقعت دون ان يؤخذ رأي هؤلاء المتظاهرين بها.

نحن لا نشك في انهم كانوا تظاهروا لها لو انها جاءت أضعف مما هي عليه او لو انها جاءت بقيود جديدة للبلاد كما اننا لا نشك في انه لو لم يتظاهروا لها او تظاهروا ضدها لما حال موقفهم دون ابرامها وتنفيذها ونحن لا نشك اخيراً في انهم كانوا يعرفون كل ذلك.

ونتساءل بعد لماذا لم يقفوا، في ابداء شعورهم، موقفاً رصينا يتناسب مع الواقع ومع ما يعرفون ولا نجد السبب في غير الرغبة باستغلال الظروف.

بقي ان ننظر في ما كان غرض الذين اثاروها مساء الاحد. انهم ينكرون ان يكون لعملهم صبغة طائفية فما هي الغاية؟

اذا كانت الغاية هي الاحتجاج على المعاهدة الفرنسية اللبنانية فقد جاء عملهم متأخراً ومتأخراً جداً.

جاء متأخراً لأنهم عملوا حتى الآن على اتفاق مع السياسيين والزعماء الشاميين. وهؤلاء انبوا القضية قبل ان يخط حرف واحد من حروف المعاهدة اللبنانية. انبوا في باريس. ولقد كان مفهوماً ان تقوم القيامة عليهم لا على غيرهم، فهم الذين تزعموا الفكرة وهم الذين تخلوا عنها اما النقمة على غيرهم فغير مفهومة.

جاء متأخراً لأن المعقول والمنطق كانا قد حديا بمن نسبيهم معارضي الكيان الحاضر، تجاه الأمر الواقع وتجاه موقفهم وموقف اخوانهم في الداخل من المعاهدة السورية، الى قبول المعاهدة اللبنانية بعد ان اطمأنوا الى ان فيها ما يضمن الحقوق! وأي شيء عدا وأي شيء بدا حتى تبدل الموقف.

اذا كان المقصود من كل ما جرى تسجيل احتجاج فما كان اسهل ما يسجل هذا الاحتجاج بمظاهرة، اذا شاؤا ألا تبدأ في المعابد ولا تنادي بالجهاد.

نحن على ثقة انه لم يدر في خلد احد ان تقويض اركان المعاهدة باعمال العنف شيء يسير. فكيف جاز لحكمة زعمائهم ان تثار في الشعب نكرة خبيثة وان تزهد ارواح الابرياء الخالدين.

ان دعاة الطائفية من الجانبين اساءوا الى سمعة الأمة والحقوا بها الخزي والعار لأغراض غامضة.

اما الغوغاء، اهل السلب والنهب والتحطيم من الجانبين فلا قبل لنا بتحميلهم تبعة ما جنت ايديهم. لقد استغل جهلهم فما خرجوا عن حد كونهم آلة صماء.

النتائج

والنتائج؟ ان الاجنبي ينظر الينا نظرة استهزاء ونشعر نحن في ما بيننا اننا اذا تركنا لانفسنا لا يأمن بعضنا شر البعض الآخر وهو شعور يؤخر في تحقيق الوحدة القومية.

النتائج؟ ان الزعامات القائمة لا تستطيع ان تقوم بغير الفتنة اما السلام فعهدت في ذمة السنادق والحراب والمدافع.

رسالة الشباب

فعلى الشباب اذن رسالة تجب تأديتها كاملة. عليهم ان يقيموا من انفسهم رسلاً يبشرون بالاتحاد وبنبد النعرات الرجعية. عليهم ان يكونوا امثلة حية للتضامن القومي وللعقائد الصادقة الصحيحة وللوطنية النزيهة حتى تأمن الامة شر الزعامات ويقوم سلام القلوب وانضباط والنيات مقام سلام السلاح».

دم الغوغاء

لبست الجمهورية اللبنانية حلة المعاهدة بعد ان كانت تلبس رداء الانتداب وانه مكتوب على هذه الحلة اسماً كان مكتوباً على الرداء MADE IN FRANCE ومع ان الثوب قد تبدل فان الجسم قد بقي على حاله من صحة او مرض .

لست هنا في مقام النظر في المعاهدة ما بين لبنان وفرنسا، بل في مكان درس سياسي يتعلق بحالة نسبت خطأ الى المعاهدة هي الحالة التي ادت الى عدة حوادث مؤسفة اهمها حادث مظاهرات بيروت .

الظاهر جليا من التطورات السياسية والاعمال او المظاهر السياسية التي اخذت مجراها ان المقياس السياسي الوطني في سوريا كلها لا يزال يعتبر عند جميع الجماعات التي لما تتأثر بالنهضة التي ولدها الحزب السوري القومي وهذا المقياس هو النعرات الطائفية التي اصبحت احد اسلحة الاستغلايين من جميع المذاهب يستعملونه وراء الفاظ « استقلال لبنان » و « الوحدة السورية » وهو سلاح لم يجرد في سبيل استقلال لبنان، ولا في سبيل الوحدة السورية، بل في سبيل تنازع المصالح الاستثنائية المطاوع لتنازع مصالح المؤسسات الدينية. هذه هي الحالة السياسية المؤسفة التي تخضع المصلحة العامة للمصالح الجزئية السياسية الانسانية وتضحى مصلحة الامة على مذبح المطامع الاستغلالية.

يريد بعض الناس من خطباء وكتبة ومحدثين ان يشجبوا فئة دون اخرى او ان يخطئوا الجماعات كلها فيجدون بذلك مخرجاً للنفعيين فلا تتنبه الجماعات لوجودهم وخطرهم ويظل الصراع قائماً على نفس الاساس ولنفس الاسباب ويظل النفعيون يجدون في دماء الغوغاء مستنداً لنفوذهم وثمناً لاغلاطهم.

ليست المسألة المطروحة امام الامة لتحلها مسألة ابرام المعاهدتين الشامية واللبنانية، بل مسألة المصالح الحيوية والاخيرة التي تبرر تحريك الجماعات واستباحة الدماء .

ان النفعيين الذين لا هم لهم سوى استئثار الحال الراهنة لاغراضهم الخاصة لا يزالون يرون المصالح مصالح مسلمين ومسيحيين ودروز الخ. وكل نفعي يلتجئ الى جماعته الدينية ليسيرها في سبيل منفعه ونفوذه. انهم يجدون في تقسيم المصالح وفاقاً للقاعدة المذهبية الوسيلة الاستثنائية الاقرب متناولاً .

ان حوادث بيروت الاخيرة وحوادث حلب التي سبقتها دلت بكل جلاء على الاسباب الباعثة كما دلت النتائج الحاصلة والنتائج المتوخاة. ولولا موقف السوريين القوميون الذي نبه الشعب الى الخطر المحدق بالامة واورد المصلحة العامة وسط فوضى المصالح الخاصة لكانت الحال بلغت مبلغاً كبيراً وذهبت مذهباً بعيداً .

ان موقف رفقائي القوميين قد برهن على ان النهضة الحديثة اخذت في وضع حد لسياسة تضحية مصالح العامة في سبيل المصالح الخاصة. ولا بد بعد تقديم هذا البرهان من ان يصير العراك المقبل بين مبادئ النهضة القومية الصحيحة التي لا تجيز سفك دماء العامة من اجل مصالح الخاصة وبين مبادئ الحركات الاستثنائية.

لن تكون المعركة هينة اما النصر فسيكون حليف المبادئ التي تؤمن المصلحة القومية ضد المصالح الخاصة.

ان النهضة التي تنظر في مصالح الفلاحين والعمال وارباب الحرف والصناعات والتجارات وتتخذ منها اساساً لكل اعمالها خليقة ان تنتصر على جميع الحركات السياسية التي تشتري المنفعة والنفوذ الخاصين بدماء الغوغاء. وما يؤيد الشعب تأييداً مطلقاً الا الذين يخدمون مصلحته خدمة مخلصة.

زياره منطقة اللاذقية

كنت في ذلك الحين قد اصبحت احمل صفة « مفتش » منفذية الشمال التي كانت قد اصبحت تضم الكورة ومناطق محافظة اللاذقية عدا طرابلس . أرسلنا له بريقيات تهنئة لمناسبة عودته الى ساحة الحرية والنضال، وفي الوقت نفسه قدمت له في البريد الحزبي تقريراً مفصلاً اسهبته فيه الشرح عن الوضع الحزبي في المنطقة، النامي باضطراد واقترحت فيه ضرورة زيارتها وابنت فوائدها العميمة .

وفي خطاب او اذار 1938 يقول الزعيم « خرجت من السجن الثاني بعد قضاء اربعة اشهر ونيف في معاملة سيئة واضطهاد بعد ان اكدت لرئيس الجمهورية ان الحزب يسعى الآن لتحقيق فكرة الوحدة القومية، خصوصاً وان السبيل للمطالبة بالوحدة قد اقفله « الكتلويون » عملياً . وكان اول عمل رأيت القيام به هو زيارة مناطق الحزب وتفقد روحية الاعضاء فزرت منطقة اللاذقية اولاً وتجولت فيها ووقفت على روحية الاعضاء وعلى الاصلاح الاداري الذي تحتاج اليه وباشرت تأمين ذلك » .

ويقول كامل ابو كامل في مخطوطه: « خرج الزعيم من سجنه الثاني ليواجه بان الفكرة قد عمت البلاد السورية كلها وكانت اول دعوة وجهت اليه من منفذية اللاذقية لزيارة المنطقة فتوجه في شهر كانون الاول 1936 اليها حيث استقبل استقبالاً شعبياً رائعاً » .

في طرابلس في طريقه الى صافيتا

في 18 كانون الاول تحرى رجال الأمن في طرابلس منزلي الاستاذ احمد زكي الافيوني وانيس الفاخوري .



نعمة ثابت

وفي اليوم التالي تقول جريدة النهار: «وصل الى طرابلس الاستاذ انطون سعادة زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي ترافقه خمس سيارات صغيرة وسيارة كبيرة (بوسطة) يركب فيها فريق من اعضاء الحزب. وكان يتقدم الموكب دراجتان بخاريتان.

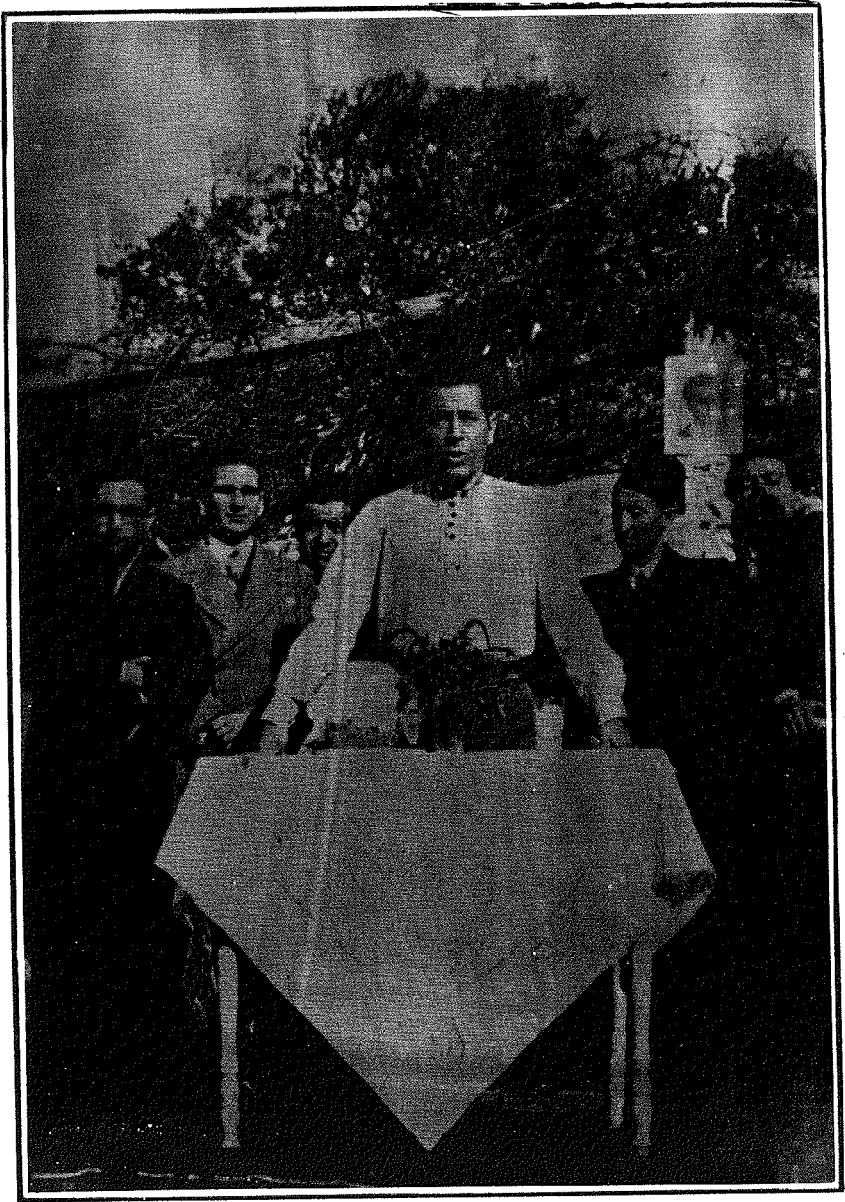
وسار الجميع توأ الى منزل السيد خليل الحداد حيث كان باستقبالهم جمهور من اعضاء الحزب من طرابلس نفسها ومن الضواحي. وقد اقامت لهم ربة البيت مأدبة شاي فاخرة.

وبينما كان اعضاء الحزب حول المائدة حضرت شذمة من رجال الشرطة وعلى رأسها المفوض السيد خريستو نفاع فدخلو الدار، واختلى السيد نفاع بالاستاذ سعادة نحواً من خمس دقائق ثم خرج من الدار وخرج معه رجاله دون ان يتعرضوا بشيء للمجتمعين.

وبعد انتهاء المأدبة ركب الاستاذ سعادة واطباء الحزب سياراتهم بشكل مظاهرة وتابعوا سفرهم الى اللاذقية.

ومن الاعضاء البارزين الذين كانوا يرافقون زعيم الحزب الاستاذ عبد الله قبرصي، والسيد نعمة ثابت، والدكتور وجيه بارودي وغيرهم.

وقد اتصل بي ان زعيم الحزب سيستعرض في صباح اليوم (الخميس) في صافيتا جمهوراً من اعضاء الحزب في تلك المنطقة استعراضاً علنياً بعد ان تركت السلطات للحزب حرية العمل، ويلقي فيهم خطاباً سياسياً، ثم يقفل هو وصحبه عائدين الى بيروت.»



في ميدان صافيتا:

الزعم يلقي خطابه وعن يمينه جميل عازار، نعمة ثابت، وعبدالله قبرصي. وعن يساره اديب الطيار، جورج حداد.

في صافيتا:

وصل الى صافيتا وكان الطقس ملبدا بالغيوم، يندر بنزول المطر. وصلنا الى «الميدان» حيث كان قد احتشدت فيه الوفود الخزية وجموع المواطنين. ما كاد يعتلي المنصة حتى دوى هتاف «يا أبناء الحياة!!!!»

لمن الحياة؟ لنا

لمن نحيا؟ لسورية

من هو قائدنا؟ الزعيم

من هو الزعيم؟ سعادة

ليحي سعادة ليحي (ثلاثا) ثم تلا الهتاف تصفيق حاد. وما ان بدأ بالقاء كلمته حتى بدأ المطر يتساقط رذاذا. ما تحرك احد من الحاضرين من مكانه. كان الجميع يصغي مأخوذا بما يليقيه عليهم وما يعالجه من مواضيع.

اهم ما تعرض له مسألة اللواء «السنجق» في الشمال ومطامع الاتراك فيه. ندد بموقف حكومة الشام، المهزبل، الزري. (هذا الخطاب منشور في الآثار الكاملة، الجزء الثاني).

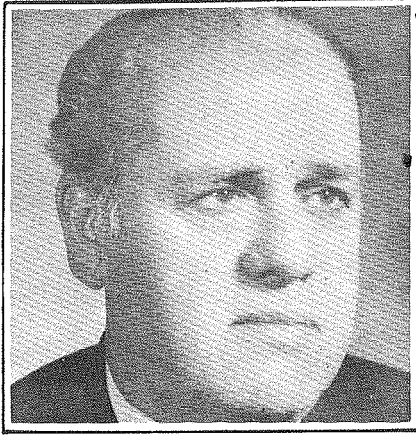
انتهى الخطاب وكان المطر قد توقف وبدأت ريح تهب. تفرقت الجموع وتوجه الزعيم وصحبه الى منزل الرفيق خليل طانيوس يأخذ فيه قسطا من الراحة.

وبمناسبة ذكر الهتاف يجب ان يسجل كيف وضع ومن وضعه. كان الرفيق مأمون اياس مسؤولا في عمدة الاذاعة، اظن انه كان عميدا للاذاعة. كانت العمدة قد تغير اسمها من عمدة الدعاية والنشر الى عمدة الاذاعة. فكر العميد اياس بمسألتين كان يرى ضرورة وجودهما. الاولى اعادة النظر بالتحية، والثانية كانت ضرورة وضع هتاف يدغدغ العواطف ويثير الحماس. كانت تختم الرسائل «لتحي سورية وليحي الزعيم». كان يرى ان لفظ «الزعيم» اوضحت مبتذلة فالوجيه زعيم، والقبضاي زعيم، رئيس العائلة زعيم، رئيس العشيرة زعيم، الاقطاعي زعيم الى ما لا نهاية له فقرر ان يقترح ابدال كلمة «الزعيم» بكلمة «سعادة» للتخصيص. نجح اقتراحه وغدت الرسائل منذ ذلك الحين تختتم «لتحي سورية وليحي سعادة» اصبحت كلمة سعادة بدل كلمة الزعيم ومع الممارسة زال الفرق بين الكلمتين فسعادة هو الزعيم والزعيم هو سعادة.

هذا فيما يختص باعادة النظر بالتحية اما فيما يختص بوضع الهتاف فقد جادت قريحته في احدى فترات التأمل بعبارة « ابناء الحياة ». ان القوميين الاجتماعيين هم ابناء الحياة فلمن تكون الحياة؟ طبعاً تكون لهم. ومن هنا بدأ وضع الهتاف وتسلسلت الاسئلة والاجوبة فكان الهتاف فقد جادت قريحته في احدى فترات التأمل بعبارة « ابناء الحياة ». ان القوميين الاجتماعيين هم ابناء الحياة فلمن تكون الحياة؟ طبعاً تكون لهم. ومن هنا بدأ وضع الهتاف وتسلسلت الاسئلة والاجوبة فكان الهتاف « يا ابناء الحياة » لمن الحياة؟ لنا، الخ... وقد ختم بالسؤال من هو قائدنا؟ الزعيم ومن هو الزعيم؟ سعادة وذلك عملاً بقاعدة التخصيص المذكورة. كان الهتاف موفقاً ولقي القبول الفوري واصبح ساري المفعول ومايزال وذلك دون اي قرار رسمي.

★ ★ ★

وعند المساء اقيمت له حفلة تكريم في البيت نفسه تباري فيها الخطباء عبدالله



جبران جريج



اديب الطيار

قبرصي واديب الطيار وكنت منهم. القيت كلمة ارحب فيها بمقدمه واتبعتها بايات من الشعر. القسم الاول منها كنت قد نظمته بمناسبة الاول من آذار 1936 والقسم الثاني نظمته ليكون نشيداً، وهذه هي الايات الاولى:

« يا زعمي! يا قبلة في جبين الدهر! يا بسمة الربيع الهادي!
يا رسول الشباب في طلعة الفجر على قيثار الطبيعة شادي،
يا طموح الصبا الى المثل العليا، على انوار الهدى والرشاد.

امل انت، من خفايا الحنايا، من صدور الاجيال والآماد،

يوم امنت فيك، امنت ايضا، بالهي، بامتي، ببلادي.

وكأني بك، يا زعيمي، تخاطبنا وتقول:

« ايها النـهاضون رغبم الزمان!

ايها الهائزون ببـالطغيان!

خبروا العالم طرا

اننا قوم أباة، نشد اليوم الحياة: بثبات وأناة

واذا الواجب يدعو للردى اهلا وسهلا بالمات

★ ★ ★

ايها المخلصون في ذي البلاد!

ايها الحاملون عبء الجهـاد!

خبروا العالم طرا

أننا نبع للشمم، اننا ارقى الامم، ولنا اقوى الهمم،

واذا الواجب يدعو سنضحى بالنفوس بكرم

★ ★ ★

ايها المقسمون بالحق عهدا!

ايها المؤمنون بالعزم ميـدا!

خبروا العالم طرا

نحن لن نستعبدا، نحن لن نستنجدا، نتفانى سمردا

واذا الواجب يدعو نجعل الارض قبورا للعدا

★ ★ ★

رسل النور والهدى والحقيقة!

في بلاد تاهت بقفر سحيفة!

خبروا العالم طرا

قد مضى وقت الخيال، واستفقتنا لننال، ما نرجي بالفعال،

وإذا الواجب يدعو، سنخوض الحرب حتا| بالنصال .

وكان بنا نجيب:

جند سوريّة! حيوا الزعيم المفدى

واستعدوا - فالنصر لا عنه، بدأ

خبروا العالم طرا

اننا دوما معه، تحت خفق الزوبعة، والرموز الاربعة،

وإذا الواجب يدعو سنلي النصر يوم المعمة

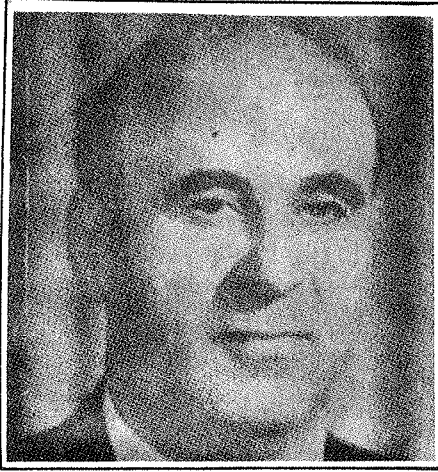
لقد انتزعت هذه الايات الحماسية التصفيق الحاد من اكف الحاضرين ومن الزعيم نفسه مع التطيب، آخر كل مقطع وكنت اقرأ في عينيه اللامعتين بريق الرضى والانشراح وعند الانتهاء نهض وصافحني وهنأني.

انتهت الحفلة في وقت متأخر من الليل وقمنا الى النوم. نمنا في البيت ذاته. عند الصباح جاءني خليل يسرّ في اذني ان الزعيم نام عاريا وتغطى بشرشف فقط وانه بالرغم من برودة الطقس فقد فتح شباكا وترك جانبا الاغطية الصوفية كلها مع اللحاف.

قلت له انه ابن صنين وقد سمعت عنه انه كان يتمرغ على الثلج في اعلى قمته وهو عارٍ او شبه عارٍ فلا غرو ان فعل ما فعله، هنا، في صافيتا.

وما يجدر ذكره بهذه المناسبة انه ما ان طلع صباح ذلك النهار واستيقظ الزعيم حتى دعا الرفيق عبد الله قبرصي الذي كان يشاطره النوم في تلك الغرفة الى بعض تمارين صباحية من نوع البوكس، مثلا. فاعتذر مستهولا المهمة بالنسبة اليه ومجيرا هذه المشاركة الى من هو اجدر. كان الشخص الاجدر الرفيق انيس فاخوري الذي كان يحتل الغرفة المجاورة فحضر وقام بدور اداة التدريب في ماتش البوكس عن كفاءة واهلية.

★ ★ ★



انيس فاخوري

دعينا لتناول الترويقة او طعام الغداء في منزل الرفيق حنا عبيد. كانت الطاولة تحوي ما لذ وطاب من المأكولات المحلية كالشنكليش والصعتر والتين بسكر والدبس بطحينه، الخ... ناهيك عن الزيتون. (صافيتا منطقة زيتون).

جاءت ربة الدار تعتذر عن نوع الموجود بالنسبة لبيروت مثلا فسرى عنها مادحا هذه المأكولات فسمى الزيتون مثلا امراطور الصفرة، والتين والدبس بالمأكولات القومية الشهية التي يجب ان لا نفضل اية حلويات سواها عليها. ولاول مرة لاحظت ان الزعيم اكل بشهية احدثت عندي بعض الشهية للاكل. اكل ولم يتقيد بتقاليد تناول الطعام بالمعلقة او بالشوكة أو بالسكين الا عند الاضطرار مما لفت الانظار وحدث سرورا عند المشتركين في الترويقة فسقطت الكلفة وعمت الالفة وغمرنا جو عائلي بهيج.

في هذا الجو القى الرفيق عبد الله قبرصي كلمة حماسية قوطعت بالتصفيق الحاد مرارا. واني اذكر على سبيل الترفيه ان احد الحاضرين من الذين تملكهم الحماس عقب على الخطاب بهتاف « يحرز دين قبرص الي طلعتك ».

ومنها انتقلنا الى منزل اخر حيث عقد الزعيم جلسة ادارية للمسؤولين في التنفيذية والمديريات يشرح لهم الاصول الادارية والمكتبية والمواد الدستورية والامور المالية على الاخص. كانت هذه هي اول مرة اسمع شرحا

مستفيضا للزعيم في هذا الحقل من حقوق الحزب النظامية. فاستفدت كثيرا مما افادني فيما بعد في عملي الاداري البحت.

وفي رسالة تاريخها 22 كانون الثاني 1986 كتب اليّ الرفيق حنا عبيد من صافيتا بالتصحيح التالي: « ان الاجتماع تم في الغرفة الصغيرة مقابل البهو حيث تم الغداء. انني كنت من الحضور كمدير مديرية التل والبرهان على ذلك ان الزعيم كان يدخن سيقار (هافانا) حتى انه تركه بعد انتهاء الاجتماع وانا احتفظ به لحد الآن مع ملاحظات عن المناسبة، وكان لم يستهلك الا ما يقارب النصف».

قبل الانتقال الى المرحلة التالية من الجولة جاء من يشير على الزعيم انه يكون من المستحسن ان يقوم بزيارة للسيد مطانيوس البيطار (وليس للبasha) وبعد التداول مع المشيرين قبل الاقتراح فقمنا بها. (اولاده كانوا رفقاء لنا شفيق والمحامي رفيق الذي اصبح منفذاً عاماً لمنفذية صافيتا لفترة طويلة وكنت انا ناموساً له).
استقبلنا بكل ترحاب اما الحديث فقد كان عادياً ودار حول امور شخصية بسيطة. اسئلة عن المغرب، عن والده الدكتور خليل، ان اهالي «الشوير» موصوفون باتقان فن العمار، أنهم بناؤون وانه هو مثلهم يبني ولكن في غير حقل الحجر. كانت الزيارة قصيرة وودعنا «البasha» بالحفاوة نفسها التي استقبلنا فيها.

دروس في الادارة

حول هذه الامور الادارية اسجل ما لا يزال عالقا منها في ذاكرتي (لم يكن «الدستور» مطبوعا بعد). تناول البحث الادارة بصورة عامة لكنه ركز بصورة خاصة على موضوعين اساسيين: المركزية والمحلية في الادارة والمال.

المركزية في الادارة من زعامة وعمدات او منفذيات ومديريات مبنية على الصلاحيات المعطاة للمسؤول بنفسه كفرد انما ضمن اطار الهيئة الادارية المشاركة له في المسؤولية والصلاحيات.

ففي المديرية يعود القرار للمدير ولكن في جلسة رسمية هيئة المديرية وكذلك المنفذيات يعود القرار للمنفذ العام ولكن في جلسة رسمية هيئة المنفذية وهكذا دواليك. فكل مسؤول في سلم المراتب يمثل الاعلى منه فالمنفذ العام يمثل الاعلى منه حتى الزعيم في منطقته اي انه الزعيم والادارة المركزية في نطاق دائرة محيطه وكذلك المدير بصورة مصغرة وكذلك المسؤولون الآخرون يمثلون العمدات، كل في دائرة

اختصاصه فالتدريب من العميد الى الوكيل الى الناظر الى المدرب وكذلك المال والاذاعة، الخ ..

ولهذه الاسباب ليس اي مسؤول بحاجة للمراجعة في كل شان من شؤون عمله ضمن نطاق محيطه الا فيما يتعلق بالسياسة العامة المتعلقة بالعمدة او بالحزب ككل.

اما فيما يختص بالمال فقد اوضح بشكل لا لبس فيه ولا غموض ان للحزب اشتراكين: مركزيا ومحليا. الاشتراك المركزي مبني على اسس الدخل العام للعضو وهو من حق الخزانة العامة في الحزب، هذا المال الذي يخضع للموازنة العامة الموزعة على الدوائر المركزية من مكتب الزعامة والعمدات. والاشترك المحلي المبني على حاجات المنطقة اي التنفيذية او على مشاريعها ولا علاقة للاشتراك الاول بالثاني.

ان هذا التنظيم يكرس مركزية نظام الحزب من جهة ويكرس لا مركزية نظام الحزب من جهة اخرى. فلاشتراك الاول لا يصرف الا بأوامر مركزية والثاني يصرف بقرارات في هيئة التنفيذية بناء على موافقة مجلس التنفيذية الذي يقرر موازنة التنفيذية.

اهم ما في هذه الدروس توضيح المركزية والمحلية في نظام الحزب المركزي التسلسلي من جميع نواحيه والمدى الرحب امام اي مسؤول للعمل الحزبي بناء على قدرته الذاتية من جهة وبناء على قدرة منطقته من جهة ثانية.

ان هذا النظام المركزي والمحلي المتسلسل بالصلاحيات المتوافق من اعلى الهرم الى القاعدة يجعل الجميع متحركا ضمن اطار صلاحياته ومسؤولياته خير القضية ونجاحها. وهكذا انتهت زيارة صافيتا وامتطينا السيارات الى المشق.

في المشق

كان الاجتماع في المشق في الهواء الطلق ومن خلف طاولة على منصة صنعت خصيصا للمناسبة القى الزعيم كلمته في الحاضرين من قوميين اجتماعيين ومواطنين. كانت كلمته عادية ولكن ما لفت اليه الانظار كان ان بدأها بهذه العبارة « نحننا كلنا فلاحين، الخ وقالها باللهجة العامية الدارجة، وجه كلمته على هذا الاساس لما لاحظته من نوعية الحضور فكانت الكلمة المناسبة لذلك المقام.

بعد القاء الكلمة ركبنا السيارات، الكبيرة منها والصغيرة، وجهة سيرنا مرمريتا. قيل لنا ان الطريق من المشق الى مرمريتا سالكة ولكن تبين لنا بعد قليل اننا نسلك

طريقا من الحجارة المرصوفة في مكان والمبعثرة في مكان آخر مما كان يضطرنا على النزول لنم هذه الحجارة من درب السيارات واذ بالزعيم ينزل من سيارته، هو، ايضا، ويشترك معنا في عملية الم هذه. كثير من الرفقاء توجه الى الزعيم يروه ان لا يفعل فكان يعتذر ببشاشته المعهودة ويقول « انا كمان بعرف لم حجار » ويستمر في العمل. بقي يشاركنا عملنا هذا حتى نهايته.

في مرمريتا: وصلنا الى مرمريتا بسلام دون ان تتعطل اية سيارة بالرغم من رداءة الطريق مما جعل بعضنا يعلق على هذه السلامة بأن الله يرعانا ويكلأنا بعطفه ورضاه. وفي مرمريتا، في احد الحقول، انتصب منبر وقف عليه الزعيم يلقي كلمته في الجموع التي غطت الحقل والتي كانت تحتل ايضا سطوح البيوت المحيطة به. وقد ارتفعت الهتافات وعلا التصفيق عند بعض المقاطع.

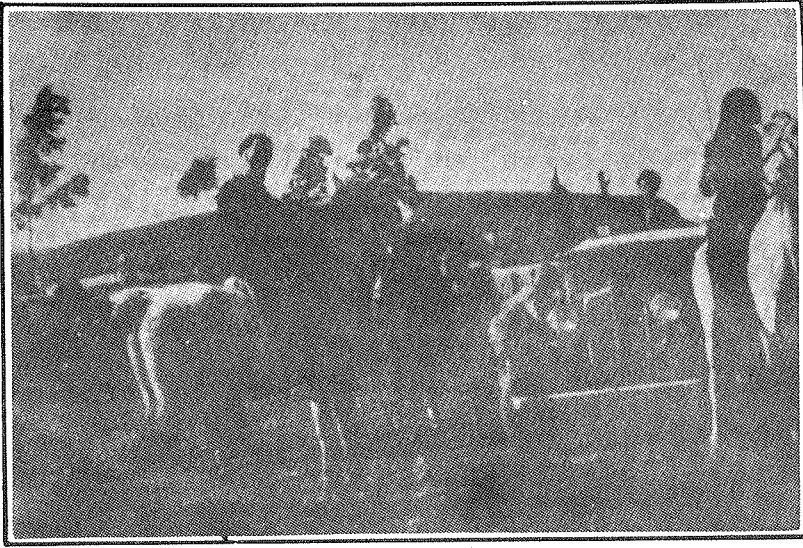
تناولنا طعام الغداء في منزل الخوري البازجي ولم يطل بنا المقام اذ ان تعديلا طرأ على البرنامج فدخلت فيه « مقبرة » بلدة آل جرجس.

في مقبرة: وصلنا الى مقبرة والطريق اليها تشبه طريق المشتى - مرمريتا. تحدث الى الحاضرين من على منبر بسيط اقيم على عجل وهتفوا له كثيرا وبعد زيارة قصيرة الى آل جرجس في منزل عميدهم دعاس الجرجس (الذي كان قد القي كلمة ترحيبية) توجهنا اخيرا الى تلكلخ، مركز قضاء « الحصنين » الملقب بوادي النصارى وحيث دير ما جرجس الحميراء ينتصب حارسا على املاكه المقتطعة له من ايام التقوى والتعبد فصار ندا اقطاعيا لقطاعي المنطقة العائلية.

في تلكلخ: وصلنا اليها قبل الغروب. وما ان اطل موكبنا على « باروحة » حتى فاجأنا مشهد لن انساه ما حييت. فرسان الدنادشة بسيوفهم يقومون على خيولهم بعرض ترحيبي بديع للزعيم وموكبه. ان القلم ليعجز عن وصف ذلك العرض الجميل، المليء بالفروسية والشهامة.

تجري الخيول مقبلة الى ان تصل الى سيارة الزعيم واذ بها تنقسم يمينا ويسرة، ومنها يترأس الموكب امام السيارة ومنها تحمي مؤخرتها فتصبح السيارة في وسط اطار من الخيالة المقاحيم وهكذا دواليك الى ان وصلنا الى البلدة حيث كان بالانتظار ذلك القومي الاجتماعي الرائد خالد اغا الكنج (على لغة المنطقة).

نزلنا في دار الرفيق محمد بك ومن على الشرفة القي الزعيم خطبته الرائعة مخاطبا تلك السيوف التي كانت في خدمة العشيرة فتحولت بفعل النهضة القومية الاجتماعية الى



فرسان في تلكلخ يستقبلون الزعيم 1936

خدمة الوطن كله على مختلف عشائره وطوائفه .

بعد الكلمة عقد الزعيم جلسة ادارية ماثلة لتلك التي جرت في صافيتا وبعد سهرة قصيرة اقتصرت على برنامج تسلية محلي انصرف الجميع الى النوم .

في صباح اليوم التالي قبل تناول الفطور راح يتحدث الزعيم مع بعض الرفقاء من الدنادشة عن الخيل فتبين لهم انه خبير في هذا الحقل وفي ختام الحديث لشد ما كانت دهشتهم عندما طلب منهم فرسا يمتطيها صبحية .

تطوع بعضهم لتلبية رغبته واحضرت له ورافقه هذا البعض وما كادوا يخرجون من نطاق البلدة حتى راحت الفرس تنهب الارض نهبا وتخلفهم وراه . ظنوا ان الزمام افلت من يده فوضعوا ايديهم على قلوبهم خوفا عليه من ان يصاب بمكروه . خصوصا وقد ابتعد عنهم مسافة غير قصيرة وزاد ابتعاده الى ان اختفى عن نظرهم وراه احدى التلال . ما ان تواری عنهم حتى دب الذعر في نفوسهم ولكن ها هو يفاجئهم وهو منتصب على صهوة جواده ينتظر وصولهم بهدوء ونشوة عند قمة احدى التلال وهو يربت على رقبة الفرس اللاهثة ويداعبها . تنفسوا الصعداء اذ رأوه وزاح عن صدورهم كابوس ثقيل .

عرفنا فيما بعد ان الزعيم تعلم ركوب الخيل على الطرق الفنية العسكرية وهو يجيد هذا الفن .

عادوا الى تلكلخ وكل من المرافقين يريد ان ينال قصب السبق في سرد ما جرى وكيف ان الزعيم بزهم، جميعهم، وبينهم الخيال والفارس المغوار فاستحق الزعامة عليهم عن هذا السبيل ايضا بجدارة واهلية كبيرتين.

بينما ونحن نستعد للوداع اذ بولد يافع، يقف على احدى الطاومات وينادي الزعيم. التقت اليه ليستمع الى ما يريد قوله. قال « حضرة الزعيم! اني اطلب من شقيقي مدير المديرية ان يدخني في الحزب وختم كلامه وهو يؤدي التحية القومية الاجتماعية بكل انضباط وجدية ». ابتسم له وصافحه وقال له « اهلا وسهلا بالرفيق نافذ ».



مع ابناء تلكلخ: عن يسار الزعيم محمد بك دندشي، وعن يمينه طاغر دندشي ومحمود دندشي والمحامي عزيز جديد.

في صافيتا

كان قد تبقى من برنامج هذه الرحلة زيادة طرطوس مروراً بصافيتا ثانية. فغادرنا تلكلخ يرافق الموكب الخيالة الدنادشة بذلك العرض الجميل الرائع الى اخر حدود البلدة. نزل الزعيم يودعهم وانطلقت بنا السيارات الى طرطوس مروراً بصافيتا.

ما ان وصلنا الى صافيتا حتى كان « السوق » من الحارة الشرقية الى الحارة الغربية يعج بالاحداث الذين كانوا يحميون الزعيم ويتراكمون على جوانب سيارته مما اضطره

الى التوقف. نزل من السيارة فتحلقوا حوله. القى فيهم كلمة جعلتهم يضحكون ويصفقون ثم تنحوا جانبا يخلون للسيارة الطريق.

في طرطوس

في متن عرنوق، طرطوس: جرى التجمع في متن عرنوق في دار آل عرنوق حضره القوميون الاجتماعيون من مختلف المديریات وكثير من المواطنين من وجهاء وعاديين فالقى فيهم الزعيم كلمة جاءت مطابقة للفكرة التي كانت مهيمنة على الشعب.

انتهى البرنامج بمرور حامي الوطيس في طرطوس كاد يؤدي الى معركة وانطلق الموكب عائدا الى بيروت (اما خطاب الزعيم في صافيتا وتلكلخ فممشوران في الآثار الكاملة، الجزء الثاني). والجدير بالذكر ان الزعيم قبل مغادرته المنطقة رسم خطة ادارية جديدة للعمل الحزبي.

فاستدعي عند وصوله الى بيروت المنفذ العام اديب الطيار وسلمه بعض المسؤولين الاذاعية المركزية وعين الدكتور اسير حنا بدلا منه.

★ ★ ★

ويقول احمد اسماعيل في رسالته الي:

« قدمني منفذ الحزب الرفيق الدكتور ابراهيم اليازجي الى حضرة الزعيم وقال اقدم السوري القومي الجديد الممتاز احمد اسماعيل عربون الاخلاص والوفاء والذي اضطهد وعذب وما زال مطاردا بشراسة فحدق بي الزعيم مبتسما وقال لي ان ما لاقيته لم يكن شيئا بالنسبة لما ستلاقيه وكل ما يحدث معك هو منتظر. وفي حضرة الزعيم القيت كلمة نشرتها الجرائد التي كان يهمها امرنا». وفي آخر السنة التي دخلت بها الحزب اقام الشباب مهرجانا في طرطوس فدخلت المحل الذي احتشدت فيه الجماهير وكأني حمل دخل بين الذئاب فحملقت في وجهي الجماعات بنظرات حانقة وصارت تجهر بالمسبات واللعنات عليّ وثم اغار علي الجمع كضواري على فريسة وحسن حظي كان حاضرا صديق لي اسمه عبد السلام هيكل ادركني وانقذني بحيلة من بين ايديهم.

بعد هذا الحادث بمدة بأمر من الحزب القيت مناقير في طرطوس ليلا ويا هول ما تعرضت له من جراء ذلك. العسس شهدوا ان احمد اسماعيل وجدناه بعد منتصف الليل يوزع المناشير وكان وقتها ما يشدد المضايقة علي اكثرهم الرجعيون والبرجوازيون

والطائفيون والطبقة الغوغائية الجاهلة، ما ان سمعت الناس بالمناشير حتى بدأ اللغظ.

وفي صباح تلك الليلة ايقظتني امي من النوم وقالت لي العالم في غليان محتشدة في الساحة تطلبك فلبست ثيابي وغيرت الطريق قاصدا بيت متنفذ اسمه (علي آغا) فقصيت عليه ما حدث فاجاب ما دام الشعب كله ضدك فانا لا استطيع ان احميك. عندها تركته وانصرفت قاصدا بيت الامين الياس جرجي وما ان وصلت الزقاق حتى رأيت جماعة القمصان الحديدية يركضون من كل جهة نحوي ولكني تمكنت من الدخول الى البيت قبل وصولهم الي فتجمهر الناس وجماعة القمصان عند الباب مصرين على اخذي ولكن رفاقي لم يسلموا بي وجرت مشادة عنيفة واحتدام قاسي وازاء هذا لم ير رفاقي بدا من اعلام دائرة الامن العام والدرك بذلك وللحال جاءت قوة امن واخذتني تحت المحافظة الى السرايا وهناك تمكن جماعة القمصان من خطفي وعند هذا الحدث اشتد غليان رفاقي وقلقهم علي وصارت البرقيات تضرب الى الشام والى المناطق التي يكثر فيها السوريون القوميون وتأزم الوضع وكاد ان يصل الى انفجار ثورة لولا ان تدارك الحال العقلاء وامروا جماعة القمصان باطلاق سراحي فورا مع ارسال من يحافظ علي وهكذا كان فاطلقوا سراحي ولكن بعد ان اشبعوني لكما وضرباً. وبعد مضي اسبوع من هذا الحادث ذهب وفد من السوريين القوميين الى محافظ اللاذقية واطلعوه على هذا الحادث والحقيقة انه استنكره وشدد على المسؤولين في طرطوس ان يتحاشوا حدوث مثل هذا الحادث مرة ثانية ويأمل الا يتكرر. وبعد هذه القصة بشهور تمكنت جماعات من النيل مني فقبضوا علي بينما كنت مارا وانهالوا علي بالضرب للموت وبعد ان ارميت على الارض ربطوا حول عنقي جربوعا وقالوا لي هذا هو زعيمك وجروني على الارض حتى اغمي علي ولم افق الا وانا بين يدي الطبيب يضمّد جراحي وعلى اثر هذا بقيت شهرا مريضاً.

ويقول نظمي عزقول بصدد هذه الزيارة في جريدة «البناء»، العدد 472 تاريخ 2 اذار 1985: «ثم كان لسفري معه الى بلاد العلويين ومكوثنا ثلاثة ايام مجال رحب للتعرف على نواح كثيرة في حياته ومنها الفروسية، ففي تلكلخ ركب على حصان واخذ يقوم بالعاب فروسية جعلت فرسان الدنادشة مذهولين تماما وهناك استقبله زعماء العلويين واكرموه واقاموا له الدعوات خصوصا بعد ان سمعوا خطابه الاول في

صافيتا الذي جمع عدة آلاف من الناس. واذكر انه اوفدني الى طرطوس لتكريس عدة منتمين جدد من ابناء المنطقة وقد القيت خطابا يومذاك في متن عرنوق وكذلك عبدالله قبرصي.

وفي هذه الجولة عرفت الزعيم خطيبا ساحرا واخلاقيا وبطلا وصاحب صوت جميل فعند عودتنا من رحلتنا وكان ذلك بعد نصف الليل وكنت معه في سيارة واحدة وضوء القمر ساحر سمعته يغني بصوت حنون اغنية اعتقد انها اسبانيولية فصرخت من اعجابي «طيب! طيب!».

رحلة العلويين

وتحت هذا العنوان جاء في «عبدالله قبرصي يتذكر» الجزء الاول، الصفحة 153

ما يلي:

«لم يكن اخلاء سبيل سعادة في اواخر تشرين الاول او اوائل تشرين الثاني من سنة 1936 من قبيل الصدف. او بتساهل من المدعي العام وجيه خوري والمحقق حسن قبلان. كان بقرار سياسي. فقد كانت تركيا قد بدأت تحرك مسألة الاسكندرون (السنجق) وكانت فرنسا تريد الاحتفاظ بها سورية لتبقى تحت انتدابها. وهي تفتقر الى التأييد الشعبي. كان الحزب قد مد اجنحته فوق جبال العلويين. حيث انتشرت فروعه في كل المنطقة من طرطوس الى بانياس الى اللاذقية.. الى كل القرى والداكر الجبلية. وكان نفوذه قد بدأ يتحرك في جبل حوران والجزيرة العليا وآثاره ظاهرة في المدن الكبرى الشامية لكنها ليست فعالة.. كان الحزب قد نشط اعلاميا قبل خروج الزعيم من السجن، عن طريق الاستاذ صلاح لبكي الذي كان رئيسا للجنة القيادية التي النهها سعادة وكانت جريدة «لاسيري» الصادرة باللغة الفرنسية تتبع اخبارنا بانتظام وتشر تصريحاتنا وبياناتنا وقد نشرت بالفعل مذكرتنا الى عصابة الامم بشأن الاسكندرون وهي مؤرخة في 1936/12/14 وكان سعادة في سجنه يفاوض ويجاور، وموقفنا من الحدود الشمالية معروف، نحن لا نطالب فقط بالاسكندرون بل بكليسيا ايضا. ان حدودنا هي جبال طوروس ولن نتخلى عن شبر من ارضنا القومية على الاقل طلبا واصراراً.

لقد «تلاقت» مصالحنا القومية - ولو لمرة واحدة في ذاك الزمان - مع مصلحة الانتداب. فكانت لنا فترة استراحة من الاضطهاد والملاحقات. لقد اغتتمها الزعيم فرصة للقيام برحلة اذاعية - سياسية - في طرابلس ومنطقة العلويين المتاخمة لانطاكية والاسكندرون».

« مررنا في طرابلس فزرنا الامينة نجلا معتوق حداد احدى اوائل المناضلات في الحزب ».

« وانطلقنا رتلا من السيارات الصغيرة والكبيرة باتجاه صافيتا فبلغناها في الموعد المقرر وكان الحشد الكبير في ساحة واسعة اسمها الميدان امام بناء مدرسي . كان عدد الحضور يتجاوز الخمسة الاف . ذكرت الصحف - الفرنسية منها بصورة خاصة - انه بلغ الستين الفا . وكان منفذ المنطقة العام اديب الطيار قد اعد للمهرجان عدته ، فهي المرة الاولى التي يخرج فيها الحزب علنا من حدود لبنان الى حدود الشام ، وفي منطقة حساسة كالعلوين ، فيها عشائر تتنازع النفوذ والقيادة وفيها معين من الرجال الاشداء المتأهبين دائما للثورة (كان قد مر بضع سنوات على ثورة صالح العلي) .

في صافيتا :

حيث الجموع المحتشدة الزعيم بالهتاف الحزبي ، والقى المنفذ العام كلمة قصيرة قدم بها المعلم ثم تكلم الزعيم » .

« ان سعادة البارع في الاستفادة من الظروف عرف في خطاب صافيتا كيف يوفق بين الاتفاق السياسي الذي حصل بينه وبين الحكومة والمفوضية الفرنسية وبين حملة اعلامية صارخة للحزب السوري القومي الاجتماعي المجسد للمصالح القومية العليا وللحق القومي في كل شبر من الارض السورية .

بعد هذا الخطاب ، الذي كانت مقاطعه تقاطع بالهتاف والتصفيق ، نزل سعادة ونزلنا معه عن الشرفة ، باتجاه البلدة ، حيث كانت قد اعدت مأدبة غداء ضمت اكثر من مئتي شخص ، بأشراف المنفذية .

ولقد حمل سعادة - اذكر ذلك جيدا - عملاق من صافيتا او جوارها اسمه انطونيوس سعادة ، حمله على كتفيه وراحت الجموع تحدو متدافعة وراء العملاق يحمل المعلم العملاق .

لقد لبست صافيتا حلة العرس ، كل الناس صغارا وكبارا كانوا يتسابقون ، يتحاشرون لمشاهدة الرجل الذي وقف وحزبه الناشئ في وجه اقوى دولة عسكرية اوروبية وفي وجه عملائها وجيوشها في الشرق! .. »

في مشتي الحلو :

« كانت المحطة الثانية مشتي بيت الحلو ، طبول تقرق وجواهر تعج بها الطرقات

والحفافي، ومنصة في الساحة وقف عليها الزعيم ونحن من حوله، نعمة ثابت، اديب
الطيار، جميل عازار، انيس فاخوري، وانا..

خطابه في صافيتا قرأه علي قبل السفر ولكنه القاه عن ظهر قلبه، كانت ذاكرته آلة
تسجيل. يحفظ خطبه حرفا حرفا.

اما خطاب مشتي بيت الحلو فقد ارتجل ارتجالا ولم يدونه احد....

البلدة وجوارها كانت قد خرجت لاستقبال القائد، بعض من كانوا يعتقدون انهم
انصاف الهة نزلوا عن عروشهم وكانوا في الاستقبال. الوجهاء والفلاحون والعمال
والمتقفون تلاقوا اما اعجابا واما فضولا في تلك المظاهرة الشعبية العفوية الجميلة.
فضيلة سعادة، فضيلة الحزب السوري القومي الاجتماعي انه الغى الطبقة والطبقات دون
حرب ودون صراع، الغاها بالوحدة الروحية القومية.

وما جرى في المشتي جرى في ممرينا، على نطاق اقل ازدحاما، القى الزعيم خطابا
قصيرا ثم زرنا المنفذ العام الاستاذ اليازجي وانطلقنا من بعد زيارته الى مقبرة بانجاء
تلكلخ.

في تلكلخ:

« بلغنا تلكلخ قبيل غروب الشمس، المنفذ العام كان المحامي الفقيد عزيز حديد،
الامين السابق، يعتمر كوفية وعقالا وعباءة وهو على صهوة جواد ومن حوله فرقة
كاملة من الفرسان بالكوفيات والعقالات والعباءات.

كنت في السيارة مع المعلم انا ونعمة ثابت، وكنا في طليعة الموكب، ما ان اطللنا
على الفرسان حتى انقسموا، فريق بقي امامنا وفريق عن اليمين والآخر عن اليسار
وفريق رابع يجرس السيارة من الورا. كانت السيارة محاطة بكوكبة الفرسان الاشواس.

انا لا ازال اذكر كيف مسحت دموع الفرح، لم اشاهد فرسانا يحيطون بقائد قومي
من قبل، كنت اشاهد القناصة الصياجين المغاربة يواكبون المفوض السامي في حله
وترحاله تلمع على جوانبهم السيوف، وكنت اشاهد الخيالة اللبنانيين يواكبون رئيس
الجمهورية في الحفلات الرسمية. اما رجال الفكر والمناضلون الاستقلاليون، فما
شاهدتهم الا مكبلين بالحديد يساقون الى السجون او الى المتاني او يسامون العذاب
والحرمان.

لاول مرة شاهدت زعيم ومؤسس الحزب، في موكب الغز القومي، يصل الى تلكلخ ومن حوله الفرسان، وتتسارع السلطات المنتدبة، من عسكريين ومدنيين مستطلعة، تحاول رؤية الوجه الذي استحق كل هذا التكريم.

واخترقنا البلدة الى قصر آل دندش، الذين ضاق قصرهم بالرفقاء والمستقبلين والمدعويين، كان على باب القصر فرسان يحمل كل منها سيفا مشهورا».

« كانت هذه الرحلة زادنا المعنوي للاندفاع في العمل، فقد لمسنا بالبنان ان شعبنا بدأ يتجاوب معنا. والحلم الذي كنا نحلم صار حقيقة، من بعد السرية والسجون، صرنا جماعة تعمل في وهج الشمس وعلى وقود الحرارة الجماهيرية المتقدة ايماننا وحماسنا وحبنا للعطاء.

ولقد علمت من سعادة بعد عودته من الرحلة، كيف قصد متن عرنسوق وطرطوس، وكيف ركب الخيل مع فرسان تلكلخ، لقد حقق كل اهدافه من الرحلة التاريخية لقد ازدادت ثقته بنفسه وبالشعب، لقد اكتشف الشعب من جهته ان القائد الذي اختاره هو القائد!

نتائج هذه الرحلة على الصعيد السياسي، كانت ايجابية وسلبية في آن معا، لقد اوجست السلطات في سرها خيفة من ظهور الحزب بهذه القوة الشعبية الكبيرة في العلويين، وكيف انها ستؤثر في وجدان اللبنانيين، فيلتفون حول الحزب المنقذ، فشدت عليه الرقابة وراحت تحسب له الف حساب، اما الايجابيات فامتداد الحزب في كل الاوساط في الجمهورية الشامية والجمهورية اللبنانية وتحرك المغتربات!..

لم يعد الحزب كما وصفه روبري دي كامندوب فرنسا لدى عصبة الامم حزبا من شباب مهوسين، لا اهمية لهم، ارادوا ان يقلدوا الحركات الفاشية، لقد صار وزنا على الساحة اللبنانية والشامية، لقد قطع مرحلة المراهقة، وما هو الان في عنفوان الشباب وزخه!..»

ايماننا التاريخية

يوم طرطوس - صافيتا - تلكلخ

بين 17 - 21 كانون الاول 1930

وقد كتب جبران جريج في جريدة « البناء » العدد 1033/93 تاريخ 30 كانون الاول 1972 المقال التالي:

وهناك موقفان يسترعان الانتباه. موقف السلطة الشامية المعادي بالرغم من حاجتها الى الدعم الشعبي في مفاوضاتها مع الفرنسيين وموقف الزعيم المرشد الايجابي وتوجيه الحزب الى تأييد الشأن الاستقلالي والمحافظة على الحدود بالرغم من هذا العداء الغي.

ان اهم خطابات التي القاها في هذه المرحلة كان خطابه في صافيتا. تعرض لمسألة اللواء في الشمال وندد بموقف الشام

فماذا كان موقف الشام؟ يقول الزعيم

«وجهت منذ البدء دعوتي وندائي الى العناصر والشركات السياسية التي ادعت العمل لمصلحة الشعب وكررت الدعوة والنداء في ظروف متعددة وضعت فيها مصالح امتنا بين الوجود والعدم للاشتراك في انشاء جبهة قومية يوضع لها خطة تعاونية تشترك عناصرها في تنفيذها». . . . «ولكن تلك الشركة المحدودة قابلت حسن نيتي ودعواتي ونداءاتي بفتور غريب وفعلت كل ما في وسعها لاقضاء حركتكم عن صميم العمل السياسي ومع ذلك فاني لم اتردد في تقديم كل مساعدة سياسية لها اعتقدت انها في مصلحة قضيتنا القومية. ولكن لم اغفل اسماعها واسماع الرأي العام انذاري لها وللشركات اللبنانية من سوء عاقبة السياسة الخصوصية التي تسير عليها» .

اما من الناحية الشعبية فلم يكن من شك في تأييد الشعب للمبادئ التي جاءت بها النهضة السورية القومية الاجتماعية وفي وصف ذلك اترك لقم عبد الله قبرصي، العنان وذلك في مقال نشره في مجلة «الجمهورية» البيروتية «هنا لا يمكن للمقام ان يصف مدى اخلاص وايمان وتضحية هذه المنطقة التي تمثل سائر المناطق ويكفي للتدليل على فضائلها النفسية والنظامية انها بقيت (وذلك في صافيتا) مدة اربع ساعات محافظة على وحدة صفوفها ووقفها الصامدة في الساحة المرصوفة بالرغم من البرد القارس والمطر المنهل، تلك لعمرى طليعة صفات الجيش السوري وبسالته وايمانه» .

اما من الناحية الاجتماعية فيكفي القول ان الجموع المحتشدة كانت تمثل مختلف الفئات على الصعيد الطائفي او العشائري مع رجال الدين على مختلف انواعهم من علويين او سنيين او مسيحيين .

اذن، كل فئات الشعب انصهرت في بوتقة المجتمع القومي الحديث. كان ذلك

لخير الشعب ولصيانة حقوقه ومصالحه من جهة ولكن من الجهة الاخرى شكل هذا الانصهار خطرا على الفئة الحاكمة اللاهثة وراء الاتفاق على معاهدة مع جبهة الاستعمار والارادات الاجنبية وان بتضحيته بلواء الاسكندرون.

وعن تلكلخ وسيوفها يقول عبد الله قبرصي في مقاله الوارد ذكره « اما في تلكلخ فلا تسل عن روعة الاستقبال. فلقد كان مشهدا يجب العلياء الى النفوس، فقد كان في انتظار الزعيم فرقة من الفرسان الميامين على الخيول المطهمة، بالسيوف اللوامع. وكانت الشمس تلتمع على وجوه السيوف فيطوف انعكاسها على وجوه المستقبلين والمستقبلين، فتملاً البهجة القلوب والدمعة العيون ».

وفي طرطوس باءت محاولة منع موكب الزعيم بالفشل واصر الزعيم على ان يلتقي بالقوميين الاجتماعيين في احد البيوت فكان له ما اراد اما الحشد فقد كان مقررا ان يجتمع في متن عرنوق.

وخطابه في المشتى فقد كان باللهجة العامية بدأها بتلك العبارة « كلنا فلاحين! اي بمعنى اخر نحن ضد الاقطاع، ضد النظام العشائري الخ... »

ان زيارته لهذه المنطقة التي دامت اربعة ايام برهنت في ذلك الحين على تعلق الشعب بمن يعمل على وحدته الاجتماعية ورفع مستواه. كان سعادة في تلك الزيارة قائدا شعبيا من طراز جديد وزعما فكريا من نوع مبتكر فخلق في تلك المنطقة تيارا قوميا قويا.

احدث فيها انقلابا فقد حولها من منطقة « مسيحية - علوية » تطلب الانفصال وتحارب العمل للوحدة السورية الى منطقة ترغب في الوحدة السورية ولكن على الاساس القومي الاجتماعي الذي يلغي الفوارق والحواجز التي تجزيء الشعب الى طوائف وعشائر واقطاعات.

لم تعرف او لم ترد الكتلة الوطنية الحاكمة في ذلك الحين ان تتعاون وتستفيد من هذه القوة العامرة بالزخم والحياة فكان لها المصير الذي آلت اليه.

اما النهضة السورية القومية الاجتماعية التي تعتبر هذه الزيارة من ايامها التاريخية فلن تتغنى بالامجاد وتنسى الواقع انما ستأخذ من هذا اليوم وسواه عبرة للحاضر والمستقبل ودفقة من عز مسيرتها النضالية على طريق الحياة ».

★ ★ ★

قبل مغادرة المنطقة طلبني الزعيم لمقابلته بصورة شخصية. خصص موضوع المقابلة بخطاب اديب طيار، منفذ صافيتا العام، الذي القاه قبله، في اجتماع «الميدان» في صافيتا. اولاً، كان مستاء لان المنفذ العام لم يطلع على هذا الخطاب قبل القائه لاختذ الموافقة وسألني ان كنت اطلعت عليه. أجبت بالنفي. ثانياً: زاد استياءه فقرة وردت في هذا الخطاب لم يكن لها داع، بل رأى فيها قلة لياقة وكياسة. اني ما أزال اذكر تلك الفقرة وهي «هؤلاء المتزعمون الذين يتمرغون كالحنازير على عتبة المستعمر». ثالثاً: بعد ان شرح لي المضاعفات التي يمكن أت تنشأ من جرائمها طلب مني ان اقوم بزيارات خصوصية لكل رئيس عشيرة في المنطقة - وصافيتا مركز رؤساء العشائر - اعلن له بأسم الزعيم استنكاره لهذا الخطاب جملة وتفصيلاً وان رأيت موجبا للاعتذار فعلي ان اقدمه باسمه ايضا.

تهيبت المهمة فكان ردي العفوي على هذا التكليف «أنا؟» فتفرس في وقال «نعم، أنت، هيا ولا تخشى بأساً، انك ذاهب باسمي وكفى. ولاسمع اخبارك الطيبة». وأمنى مقابلته بتقديره لي على جهودي التي أبدلها في تنظيم الفروع الحزبية في المنطقة والتي كان من نتائجها هذه الجموع الغفيرة وهذا التنظيم البديع في الاجتماعات التي جرت وبالمناسبة سألتني عما أقصده في مقطع ورد في احد تقاريري عن «الجفر» وتفسير نبوءة فيه جعلها بعض الشيوخ تنطبق عليه فشرحتها له. معناها ان انسانا يأتي ويوحد الملل والشيع فتتفرج الكربة وتقبل السعادة المرتقبة على وجه هذه البسيطة. طبعاً، سر لهذا التفسير الذي يجعله الموحد المنتظر.

نفذت المهمة على اكمل وجه. زرت برفقة الشيخ ابراهيم عبد الرحيم قرية «الطليعة»، مركز عشيرة الخياطين، التي يرأسها جابر العباس. ورفقة الدكتور اسبر حنا الذي اصبح منفذا عاما لمنطقة صافيتا محل اديب الطيار الذي استدعي الى المركز في بيروت للتدرب على الشؤون الادارية. زرت «رأس الخشوفة»، مركز عشيرة الحدادين، التي يرأسها يوسف الحامد. ورفقة الدكتور صادق الطيار زرت منزل عزيز الهواش، رئيس عشيرة الماثورة، في الحارة الشرقية في صافيتا نفسها، أما الشيخ صالح العلي، رئيس عشيرة البشارغة فما استطعت زيارته لعدم استقراره في مكان معين ولكن قابلت من يمثله. على كل حال لم تكن من حاجة ملحة للاتصال به فهو صديق الحركة القومية الاجتماعية، المكافحة للاجني المحتل، هذا الاجني الذي سجل

انتفاضته الشهيرة عليه .



الدكتور صادق الطيار



الشيخ ابراهيم عبد الرحيم

لعل النشاط السياسي الذي دب في جميع الصفوف على اثر زيارة الزعيم للمنطقة كان له الاثر الفعال في ازدياد نقمة فرع الكتلة الوطنية المسخ القومي في صافيتا . كانت زيارة الزعيم حدثاً في حياة صافيتا الاجتماعية والسياسية فمن ندوة للاحداث على الطريق العام ، هؤلاء الاحداث « الاشبال » الذين كانوا يلازمونه في روحاته وغدواته ، الى حفلة الاستقبال الكبرى التي جرت له في دار الرفيق خليل طانيوس الرحبة ثم زيارته الى كل المنطقة في تلك الفترة التي كانت تتمخض عن ولادة عهد جديد .

نجحت نجاحاً باهراً ادهشني انا نفسي . نجاحاً ما كانت لدي اية فكرة عن مداه ولذلك فاني ما كنت اتوقعه . واني اثبت في هذه الاسطر وقائع الزيارة الى « الطليعي » مقرّ جابر العباس ، رئيس عشيرة الخياطين .

ذهبنا بناء على موعد . جرت لياقات بينه وبين الشيخ ابراهيم فعند المصافحة حاول العباس تقبيل يد الشيخ ابراهيم لمقامه الديني السامي بينما كان يحاول الرفيق الشيخ ابراهيم تقبيل يد العباس وجلسنا . كان يعجبني من ابنائه منير . كان يتردد الى صافيتا . انه مثقف ، دمث الاخلاق ، اجتماعي ، انه سياسي لبق . ما رأيته يومها في « الطليعة » ولكن حصل تعارف بيني وبين شقيقه شوكت . هو شاب ، متحمس ، في شرح الصبا ، تبدو عليه سماء الرجولة الخشنة ، غير المصقولة ، وقد يكون للعنجهية العشائرية تأثير على شخصيته .

تحدثنا قليلاً ثم دعينا لتناول طعام الغداء وبعد رشف القهوة انتحينا غرفة صغيرة كان يستخدمها بمثابة مكتب وعقدنا جلسة رسمية. اعلنت له ما انا مكلف به فانفجرت اسارير وجهه تم عن ارتياح تام وانطلق بمحدث عام دون تحفظ او هكذا بدا لي. قد يكون هذا الموقف من الاعيبة السياسية وقد يكون صادقا في تعبيره عما يجول في اعماق نفسه. كان جابر العباس مشهوراً بدهائه.

هذه مقاطع من حديثه؛ «نحن نحبّ حضرة الزعيم، الاستاذ انطون سعادة، ولو دعينا الى استقباله لما توانينا عن القيام بهذا الواجب الذي يشرفنا». «نحن نقول بالوحدة السورية مع كرهنا للسنيين فكيف ان اتت هذه الوحدة عن يد نصراني. نحن نطمئن للنصارى». «نحن نؤمن للمسيحيين». «السنّيون هم سبب تسميتنا «بالنصيرية». انت ما تزال شاباً، في اول العمر، انت لا تعرف ذلك، ايام الاضطهاد والخلوات والتقية». «زعيم مسيحي على رأس الوحدة يناسبنا اكثر».

شجعتني صراحته معي على فتح باب مفاوضات عن وضع الحزب في عشيرته خصوصاً في منطقة «الجفتلك» التابعة لحمص وعن الموقف السلمي العنيف، القاسي منه فوعد خيراً.

استقرت الحال في المنطقة وعدت الى مواصلة عملي الاداري بعد ان ارسلت الى الزعيم تقريراً مفصلاً عن كيفية تنفيذ المهمة. كانت هذه المهمة مسك ختام سنة 1936.

وختاماً لهذا السرد عن زيارة الزعيم الى منطقة اللاذقية فلا بد من التسجيل ان الزعيم اعتبر ايام هذه الزيارات من الايام الحزبية التاريخية فيقول عنها في بيانه الصادر في آب سنة 1939 ما يلي: «اذكركم بيوم طرطوس، حين تألبت جموعكم ومشى الشعب كله معها وما حرك العدو ساكننا. اذكركم بيوم طرطوس، حين تألبت جموعكم وجاءت القوات المسلحة ثم ارتدت على اعقابها حين رأت ما يؤول اليه الاشتباك معكم! ويوم صافيتا! ويوم تلكلخ وكواكب فرسانه!».

وبهذه المناسبة منح الرفيق عزيز حديد رتبة الامانة لعمله السياسي الموفق بين زعماء العشائر والحزب في هذه المنطقة التي كانت تشكل محورا اساسيا في سياسة الوحدة السورية في الكيان الشامي.

قرار الابعاد

مثال حي على عدم تعاون الحكم الكتلوي مع الحركة السورية القومية الاجتماعية اروي مسألة «قرار الابعاد وتصرفي»:

كانت اقلية للكتلة الوطنية في صافيتا متضابطة من قوة الحزب ونشاطه في المنطقة وكانت منزوعة من وجودي وحيوتي بشكل أخص، فراحت تسعى لدى السلطة لزعزعتي بعيدا عن المنطقة.

في ذات يوم استدعاني القائمقام، وكان ضمنا من خصوم الكتلة، الى مكتبه وابلغني قرار المحافظ بابعادي عن المنطقة بحجة قيامي بعمل سياسي في الاراضي «السورية» وانا لبناني الهوية. كان جوايي ابي سادرس المسألة وسأجيبه فأعطاني مهلة وان صغيرة. لهذا الدرس وهذا الجواب.

عدت الى مكتب التنفيذية اطلع الهيئة على ما حصل وبعد التداول تأكد لنا ان الاقلية الكتلوية وراء الامر واننا يجب ان نتخذ موقفا وبعد البحث بشأن الموقف الواجب اتخاذه قررنا: أولا: أن أبعث برسالة مني الى المحافظ أعلن له شرعية نشاطي بوصفي سورياً وهذا ما يبطل قراره لجهة هويتي اللبنانية. ثانيا: ان اتظاهر بالخروج من المنطقة واتم برنامج جولتي المقررة لذلك الاسبوع ثم اعود الى صافيتا علنا فيكون لكل حادث حديث. ثالثا: اذا اصر المحافظ على ابعادي ثانية وهذا ما استبعدناه فاننا نهيء العدة للتمرد على القرار.

صادفني طالع حسن اذ ان راعي الابريشية الارثوذكسية المطران باسيلوس دبس كان ينتقل من صافيتا الى مرميتا في سيارته الخاصة فقبل ان اكون بمعيته وهكذا غادرت صافيتا عصر ذلك اليوم بعد ان كنت اوصلت جوايي الى القائمقام بقبولي مغادرة المنطقة ورجوته ايصال رسالتي الى المحافظ. اعتذر عن القيام بهذه المهمة بعد ان اطلع على مضمونها ورجاني ان ارسلها بالبريد المضمون. استرعى انتباهه مقطع اشيد فيه بالحكم الوطني واعلن سوريتي التي تعطينا الحق المطلق في ان نتحول في وطني السوري بحرية تامة.

وصلت الى مرميتا في غروب الشمس ونزلنا في منزل الكاهن اليازجي وما كاد يستقر بنا المقام حتى استأذنت من الحضور وطلبت من المطران سرا ان يضع سيارته تحت تصرفي لاني انوي العودة الى منطقة صافيتا. اعجب بجرأتي المعنوية وامر السائق بأن يلبي طلبي وهكذا ما ان اقبل المساء حتى كنت وصلت الى «بعمرة» ومنها انتقلت الى «اليازدية» حيث بت ليلتي.

عدت بعد اسبوع الى صافيتا اتختر في «السوق» على «عينك ياتاجر» مما اثلج صدور القوميين الاجتماعيين الذين عرفوا بعد اوبتي ابي كنت في جولة في المنطقة واني اعود الآن لاثبات وجود الحزب بوجودي. عرفنا ذلك في الاسبوع التالي ان الاقلية

الكتلوية كررت احتجاجها ولكن الجواب ما تكرر. كان الجواب لقد صدر القرار ونفذ ولا يعقل ان يصدر قرار كلما يحضر الى المنطقة ولا يعقل منعه من الدخول لمجرد صفته الحزبية. انتصرت الخطة التي رسمناها وفشلت الاقلية الكتلوية في صافيتا مع انها كانت فئة حاكمة.

ان ما اوجب علي ذكر هذه الواقعة هو وجوب تسجيل ارتقائي في عملي الحزبي من الناحية الدبلوماسية الذي ما كان بالامكان ان يحصل لولا الدفعة النفسية المعنوية التي رسملني بها الزعيم وذلك بتكليفني بتلك المهمة السياسية التي فتحت الباب على مصراعيه لكفاءات فيّ كامنة. لاشك، ان فضل هذا الانتصار يعود بالدرجة الاولى الى مازعه فيّ من ثقة في نفسي ومن اتكال على ذاتي في اي شأن طارئ من هذا النوع».

وجاء في جريدة الرائد الطرابلسية عن زيارة الزعيم إلى الحصن الشرقي ومتن عنروق في طرطوس مايلي:

وبات الزعيم وحاشيته تلك الليلة في القصر وفي اليوم التالي واصل طريقه فجرى له استقبال في الحواش والمزيلة. حتى إذا بلغ مقبرة استقبله الشباب والأهلون في دار الوجيه الكبير دعاس الجرجس.

وقد خطب الزعيم خطبة فياضة ثم رحب به المحامي الاستاذ الياس جرجس بخطاب هذا نصه:

خطاب الاستاذ جرجس

حضرة الزعيم.

دعيتم فليتم وتحملتكم مشاق الطريق الهامة حتى وصلتكم إلى ما بين هذه الجموع المحتشدة التي ترحب بمقدمكم اجمل ترحيب وليست هي المرة الأولى التي يبرهن فيها زعيم السوريين القوميون انه لا يعبأ بالمتاعب في سبيل تأييد المبدأ القومي والمصلحة العامة وإن هذا المظهر المشتعل بالحماسة الوطنية والغيرة القومية يوجب لكم الاحترام ويزيدنا ايماناً بقوة حقكم في الحياة المتحدة الحرة فباسم حضرات الأخوان الذين شاركونا بهذا الاجتماع سواء كانوا من السوريين القوميون أو من السوريين الاحرار وباسم كافة السادة الذين يؤيدونا احبيكم تحية الأخوة.

سادتي اخواني الاعزاء

صعوبة الاجتماعات في القرى بعضها مع بعض يجرنا ويجرمكم من التصريح لكم واطلاعتكم على الادوار السياسية التي تمر بهذه البلاد ولا شك أن البعض منكم وقف عن كئيب على هذه الأمور والبعض الآخر بالنظر لصعوبة المواصلات وقلة المراسلات والجرائد يخفى عليه شيء منها لذلك اغتتم فرصة هذا الاجتماع اللطيف لأقول لكم كلمة مختصرة بهذا الخصوص. إن البلاد السورية قطعت مرحلة كانت من الخطورة على جانب عظيم ولكن بثبات رجالها لها وتفانيهم واتحادهم نالوا ما نالوه وهم كما تعلمون ايها الأخوان ساعون للوصول إلى حقهم الكامل في الحياة الحرة المستقلة واما فيما يتعلق بهذه المنطقة فقد اصبحت قطعة من الجسم السوري لها ما له من الحقوق وعليها ما عليه من الواجبات فيا ابناء هذه المنطقة اناشدكم بكل عزيز لديكم أن لا تكونوا اقل من اخوانكم السوريين جهاداً وتضحية واندفاعاً في سبيل مصلحة هذه البلاد، ويا شباب اليوم يجب أن تكونوا امل الأمة في المستقبل.

يجب أن لا تتهربوا أيها الأخوان الاعزاء وتحملوا على وجوهكم غبار الهزيمة من تلك المعارك السياسية التي ترفع بكم وبلادكم إلى مصاف البلاد الراقية المتقدمة الزاهرة بمعارفها وتجارتها وزراعتها وكل النواحي العمرانية المفيدة فيها. يجب أن نثبت في وجه الصدمات القاسية التي تعانيها البلاد من آن لآخر وأن يكون موقفنا من هذه المعركة التي تجتاز البلاد من اقصاها إلى ادناها أما مستشهادين أو جانين ثمار العز من رؤوس الحراب فإن بلغ الجدد بنا ساحة تتحقق فيها أحلامها فذاك وإلا فيطوي التاريخ صفحة مجيدة لابنائنا المجاهدين الأبرار.

أيها الأخوان الأعزاء: بالاتحاد تنالون كل ما تريدون. اتحدوا فالاتحاد قوة تحاببوا فقد قال السيد المسيح حبوا بعضكم بعضاً ترثوا خيرات الأرض. وأنا أقول حبوا بعضكم بعضاً ترثوا خيرات السماء والأرض. ابتعدوا عن كل ما يدعو إلى التفرقة القتالية لكم وفي ساحة بلادكم كونوا صفاً واحداً في جهادكم القومي وما أجل ما قال الشاعر:

وفاقاً وفاقاً فالوفاق هو المجد
ذروا عنكم امر النزاع فإنه
وميلوا لرد النفس عنه وعرجوا
وخلوا مضي العهد يا قوم باقياً
به اليوم لا في غيره يدرك المجد
هو الطامة الكبرى إذا استنسب الحقد
إلى جنبات العز إن احض الرد
فعهدي بكم لن يستحيل لكم عهد

ولا تنقضوا العهد القديم وإنما
ولا تتركوا الاحقاد تستل أنيابها
مخافة أن ينمو الشقاق وتصطي
وتقتض أحداث النفار وفاقنا
كما صانكم من قبل صونوه من بعد
وتجزى على ساق في مضاميرها الجرد
نكود وتعلو ضجة مالها حد
فتجتشه والضد يدفعه الضد

كلمة دعاس الجرجس

ثم ألقى الوجيه دعاس الجرجس كلمة استهلها بقوله انه ينضوي تحت لواء الزعيم
الشباب الأقوياء ولما كانت السنون قد ففتت به إلى الشيخوخة فهو ضعيف بجسمه
ولكنه يشعر أن قلبه شاب لذلك لا يجد غضاضة في الانضواء تحت لواء الزعيم. ثم ختم
بالأبيات التالية:

حي الزعيم وحي العلم والأدبا
لزورة يالها فياضة منحت
له من طلعة جذابة سحرت
الفوز والنصر للاخلاص ليس سوى
ولتحي سورية كلا موحدة
وتكلم أيضاً الاستاذ عبدالله خوري.
وارفع له الشكر ان الشكر قد وجبا
هذي الربوع اعتلاء ينطح السحب
نهي الشبية ترجو الفوز والغلبا
هذا الشعار الذي نجني به الأربا
في سعي ابنائها الاحرار والادبا

الرجوع إلى صافيتا

وتناول كوباً من الشاي وودع قاصداً صافيتا حيث زار السادة انطانيوس البيطار،
الشيخ ديب خليل، مخائيل عبدالله جبور، الاستاذ فياض بشور، انيس حنا ديب،
عائلة المرحوم انطانيوس لبس وواصل سفره إلى متن عرنوق عن طريق طرطوس.

في متن عرنوق

وهناك استقبل بحماس كبير فزار السيد شفيق عرنوق ثم السيد عزت عرنوق حيث
تناول الطعام. وقد ألقى حضرته خطاباً رائعاً ثم ألقى السيد خليل عرنوق الخطاب
التالي.

كلمة الاستاذ خليل عرنوق

بني حزبي المحبوب هلا اهتمفوا اهلاً بهذا الزعيم المصطفى زارنا اهلاً

وزيدوا بترحاب وغنوا بنغمة
زعيم تفديده بقلب ومهجة
زعيم خلقنا كي تردد ذكره
تمجد فيه الراي والقول والفعلا
زعيم نرقيه إلى الذروة المثلى
ومن يستلم ذا العرش يصبح له اهلا

★ ★ ★

هو السيف في الفولاذ ان كان قاسياً
هو الروح في الأوطان قد ضامها الأذى
فحطم من جهل وكسر من تيه
فهيج لبنانا وقدساً وسوريا
ودب باقطار البلاد مهابة
فقاموا بقوات وسيف وحرية
في السجن وقالوا قد انقضى
وزجوه في السجن وقالوا قد انقضى
هو الصبر في الآلام عزراً ولا ذلاً
فحرك ذا فيه الشهامة والنبل
وسار باقدام إلى الغاية الفعلى
ورفعت تجاربه اليتيمة والشكلى
وفي غاية المستعمرات رمى خذلا
يصدون تياراً بها قد حكى سيلا
تفانيه في مبداه هلا ابشروا هلا
تفانيه في مبداه هلا ابشروا هلا

★ ★ ★

لكنهم باؤوا جميعاً بخيبة * وعاد إلى اعماله القائد الأعلى
بعزم مجدد وحزم مؤكد وصوت يردد استقلالنا احلى
معي المبدأ وصيحوا بقوة مبدعه قائدنا الأعلى

★ ★ ★

أيها القطيع المبارك، أيها القطيع المجاهد، أيها المجاهدون لسوريا المحبوبة هوذا
حامة بيضاء تسقط على هامك من عالم المجد لتبعث فيك تلك الروح الهابطة مع الوحي
والالهام روح الحرية والاتحاد... هوذا ذلك النجم الأفل، ليزغ معتليا منصته المشوذة
التي آلفها في سماء هذا الوطن المحبوب، هوذا الجبال تجثم امامك راجفات، هوذا
الصعوبات تتدلل لك خاشعات، هوذا اليأس يتبدد من وطأة جبروتك متحولاً إلى
رجاء وفلاح، هوذا مباديك تجبل وتلد لك عهداً ناضراً تدعوه عهد الحرية
والاستقلال التام، فافرح وتهلل واجعل شعارك على رؤوس الاعلام:

« انا سهام بصدر الامهات اذا
« انا سيوف إلى الآباء نزرهم
خن البلاد واوقعن الردى فينا
ذوداً اذا قاوموا يوماً مبادينا »

إن الاسود خروجاً من عرائنها تمزق الارض كسي تلقى بها لينا

كيف لا وقد شربنا من الحياة كاساً مترجة بالهناء والسعادة؟.. كيف لا وقد
اصبحنا كلنا في مقدمة الجيش تصدمننا الصعوبات ففسر متغلبين عليها غير مباليين
بنتائجها، اذ اليوم أصبح ذلك النير الذهبي، نير الوطن الغالي على اكتافنا نحن الذين
اقمنا ارواحنا فدية عنه وفي سبيل تتميم امانيه؟... كيف لا وقد أصبحنا كلنا أناجيل
مبشرة بتلك الآيات الذهبية الموحى بها لينا... تلك هي المبادئ القومية التي تضمننا
تحت لوائها حيث لا مسلم ولا مسيحي ولا درزي ولا علوي ولا ولا ولا... إلى ما
هنالك من المذاهب والاديان السورية، إنما كلنا اخوان يربطنا المبدأ ويوحد بيننا
الرأي والعمل منتمين إلى مذهب واحد فوق كل المذاهب والاديان، إلا وهو المذهب
السوري القومي:

خلوا المذاهب جنباً في جهادكمُ يا قوم وارقوا بها في العالم الفاني
خلوا التحزب هذا الداء يقتلكم واحيوا بوحدة هذا المبدأ الثاني
فالدين لله والأحزاب ما اختلفت انواعها كلها اعمال شيطان
لكن أوطاننا للكل فاتحدوا كي نجعل الشام في احضان لبنان

جليات جليات، جليات أيها الجبار الرهيب ايها السيل الجارف العرم، أيتها النار
المنبثقة من قلب الحياة، أيتها القوة المتفجرة من اعماق الحياة... أيها الحزب السوري
القومي...

إلا أشهر سيوفك على تلك الوحوش الضاربة التي تحاول افتراسك وانت في ريعان
الصبا... إلا اجعل السنة مباديك النارية تندلع على تلك الاشباح السوداء التي تحاول أن
تكون بينك وبين الهدف الاسمي الذي تسمى اليه. إلا ارمها بوابل قذائفك الشيطانية
كي تنهار وتشيد على انقاضها صروحاً للألفة والأخوة والاتحاد... تلك الوحوش
المفترسة، تلك الاشباح الشيطانية النعرات المذهبية الفتاكة، التحزبات المضحكة،
التقيدات العائلية الذميمة... تلك التي تكبل رأيك بقيود فولاذية ثخينة، تلك التي
تضعك في سجن مظلم دامس، تلك التي تقطع عنك انفاس الحياة فتحلم وانت في عالم
الاموات... فما أنت ايها الفرد ان اميراً أو حقيراً. إن غنياً أو فقيراً سوى فرد من

المجتمع البشري لك كيان بذاتك أولاً وبالعلم ثانياً، لك رأي تظهر فيه على مسرح الحياة حراً طليقاً تبشره متى اردت وحيثما وجدت فتدين بك نفسك وتجعله حكماً بين الحياة وبينك. نحن قوم نقبض على الحياة بقوتنا ومبادينا وقوميتنا... نحن رأي يبرز من رأي الزعيم ولا من رأي زعيم سواه... نحن كلمات فعالة بين شفثيه ليقذف بها الجو السياسي متى يشاء... نعم نعم لا سلطة فوق سلطته ولا سطوة فوق سطوته.. إلى الموت، فإلى الموت، إلى الحياة فإلى الحياة فلنكن على يقين من هذا: أن السوريين القوميون يربطهم المبدأ ويوحد بينهم الرأي والعمل لا تحمل عرى العلاقة بين افرادهم غير الموت، لا أب ولا أم، لا أخ ولا أخت ولا زوج، ولا أية قوة اخرى تستطيع أن تجعل بين افرادهم تنافراً وانشقاقاً...

فإلى الامام سر أيها القطيع المجاهد، إلى الامام سر وبيدك الحق والقوة والإيمان تدفع بها هجمات العدو وتبعد الصعوبات... إلى الامام واقفاً معي لتحي سوريا وليحي الزعيم.

كلمة مدير طلبة طرابلس

إن مبادئ قومية تجمع شتات الشباب في قطر لعبت به يد الاستعمار الأجنبي وقسمته مصالح المغصب هي مبادئ قوية جدرة بالاحترام والتقدير والتقدير.

إن مبادئ تحترم الضعيف وتجد الفلاح البائس؛ ولا تأخذ شعاراً لها سوى الحق والعدل وتهدم الزعامات الاقطاعية الضارة، هي مبادئ يجب أن يعتنقها كل مفكر مخلص.

إن مبادئ تنهض بأمة قضى عليها الاستعمار مئات من السنين، وجزأت عناصرها مصلحة عشرات الدول الاستعمارية، إن مبادئ توحد هذه البلاد وتجعل منها سداً منيعاً امام الخطر الاستعماري الفظيع، هي مبادئ جدير بمعتنقها بل واجب عليهم أن يقدسوا واضعها ويجعلوا منه مثلهم الأعلى في الحياة. بل يجب عليهم أن يعتبروه كباقي الرجال العظام الذين اتوا بمبادئ شريفة بالماضي، بل يجب عليهم أن يعتبروه اكثر من اعتبارهم لهؤلاء الرجال لأن المصاعب التي تقف دون انتشار مبادئه اعظم من المصاعب التي اعترضت انتشار مبادئ أولئك.

إن رجلاً كهذا يجب علينا اذا اقتضى الامر ان نضعه في مصاف أولئك الخالدين المدعوين بالأنبياء وهذا ما ننعته نحن باسم الزعيم، فالزعيم لدينا هو تلك القوة المعنوية

الكامنة في جسد حديدي والتي ستنهض بمجتمعنا السوري إلى ذروة المجد وإلى المثل الأعلى.

الزعيم لدينا هو الشعب لأنه يمثل ارادة الشعب الحقيقية ومصالحته وحق الفلاح فلا يضع منه مقدار شعرة.

الزعيم لدينا هو الذي يكفل مصلحة الفلاح ومصحة الاقطاعي كفالة تضمن مصلحة سوريا التي هي فوق كل مصلحة.

الزعيم لدينا هو الممثل الأوحد لسوريا وابنائها، الزعيم لدينا هو قائدنا العظيم وآمرنا الأعلى ورئيسنا المفدي.

الزعيم لدينا هو مثلنا الأعلى ومفخرتنا التي تفاخر به الأمم جمعاء.

الزعيم لدينا هو كل شيء فليحي إذأ هو وسوريا التي المحبته.

وعقبه السيد شكري باسم ثم مدير طلبة طرطوس واليك كلمته:

كلمة مدير طلبة طرطوس

زعيمي المفدي

اخواني السوريون

«الزعيم سيحضر»

كلمتان تكهريت منها افئدتنا جميعاً وأفعمتنا سروراً. كلمتان ردهما الرئيس والعام حتى الذين لا يدينون بمبدأنا، كلمتان أظهر أمواج عواطفنا المتقدة حماساً وإيماناً.

«الزعيم سيحضر».

كلمتان انتشرتا في الأفق القومي الطرطوسي انتشار النور في الفضاء وفي القلوب ورقصت أفئدة.

الزعيم زوبعة الحق سحقت الأباطيل الكاذبة وسخافات الأجيال الغابرة.

الزعيم، هذه الروح الكريمة الوثابة التي ستسفن كل قديم لتبني بناءً ثابتاً مستتباً يصمد للانواء والقواصف.

الزعيم، ابن الأرز، ابن الصنوبر.

الزعيم، الزعيم الذي هابه رجال التحري ورجال الدين ورجال انصار الاقطاعية الملققة الخبيثة.

الزعيم المفدى، هو بيننا، نراه وجهاً لوجه، ونسمع لأقواله.

يا من كنتم وقفتم وفتكم النظامية وهتفتم الهتاف المقدس «لن الحياة» وعلى وجوهكم ابتسامات الرضى والفوز.

يا من كنتم تقفون في كل مراحلكم وقفة الرجل الواحد الجبار، تسمع الاخبار المزعجة القائمة عن زعيمكم المفدى تنكمش قلوبكم وتنجرح أفئدتكم وتشور دمائكم الفوارة الملتهبة وتجاه هذه التيارات كافة وقفتم وفتكم العسكرية وصحتم بصوت رددته العواصف: المستقبل لنا، الحياة لسوريا.

أيها الرفاق طيبوا ذكركم وقرؤا عيناً فالذي نعمل نحن لأجله والذي يلي هو لسوريا، قد جاء اليوم يغرس في نفوسنا قليلاً من بزور روحه الجبارة، جاءنا... ليؤكد لنا أن لنا في الحياة حقاً.

زعيمي المفدى.

إن السوريين القوميين في طرطوس، رغم العناصر المتلونة جداً في رأيهم، ورغم الصعوبات والعراقيل التي يخلقها الشذاذ والجهلة المنقادون، ورغم الأعين المنبثة عليهم في كل مكان وفي كل لحظة، قد عرفوا كيف يقومون ببعض ما يترتب عليهم نحو زعيمهم المفدى، وعرفوا كيف يتسارعون جميعاً لملاقاته ومشاهدته.

إننا لنحسب هذه البرهات القليلة التي تقضونها بيننا الآن اعظم سعادة وجدناها منذ كياننا. لقد كنا نرقبكم بفارغ الصبر، فما أتم بيننا وبوجودكم كونتم لنا عيداً سعيداً لن ننساه.

إن هذه الوجوه المنتظرة التي تنظر اليكم بإعجاب وتقدير تلوح عليهم ملامح وتبدو فيها نظرات!...

ملامح تردد: نحن جنود الزوبعة الحمراء نمشي إلى الهدف بقدم وساق تحت إمرة الزعيم المفدى لا يردعنا عنه رادع. نحن بعثنا لنحطم القيود ونكسر السلاسل، بعثنا لنحرر هذه الأمة من عبوديتها ومن ذلها المخجل.

وفي هذه الوجوه نظرات، نظرات تقول: إننا منذ أمد بعيد نفكر في التخلص

والتححرر، ولكننا كنا بانتظار الدماغ المفكر الأول، بانتظار ابن سوريا البار لأن
حريتنا كتبت لنا على يده.

حضرة الزعيم المفدي.

إن هذه الابتسامات النائية الحائرة على ثغور هذه الناشئة الفتية من جنودكم لأكبر
دليل على الاخلاص والصدق الذي يبثه الحزب السوري القومي بين افراد الأمة. إن
هذه النظرات المليئة بالنبل والكرامة والعفة لأكبر شاهد على تحكم روح حزبنا المقدس
في نفوس الشعب الذي ينتشر بين افراده الحزب السوري القومي، ويندلع بين طبقاته
اندلاع اللهب. إن تهلل هذه الوجوه المتعشة لمرآكم لأكبر دليل على ترحيب اخواني
السوريين القوميين بحضوركم، وبقبولكم زيارتهم في هذه الفترة المضطربة والتي أنتم بأشد
الحاجة إلى الراحة والمهدوء. فالتهاني للزعيم، والحياة لسوريا. هذا ولتحية سوريا وليحي
الزعيم.

وبعد ذلك اعتذر الزعيم بضرورة عودته إلى بيروت فشيح كما استقبل بالاحرام
والتجلة.

هوذا مشعل الثقافة يزهو

القصيدة الممتعة التي ألقاها حضرة الأديب السيد منير عرنوق مرحباً بالزعيم انطون
سعاده يوم زيارته إلى متن عرنوق:

يا زعيم الرجال والشبان	بسمة انت في رياض الأماني
وهتاف المستقبل الفينان	نغمة انت من أثير الأماني
وحسام البلاد والأوطان	وثبة انت في سماء المعالي
ايقظتها طوارىء الحدثان	شعلة انت في جبين حياة
انت روح الحماس والإيمان	انت رمز الجهاد انت شعاع
انت صوت في إذن كل جبان	انت سهم في صدر كل عدو

فوق كل الاقطار والبلدان	هوذا مشعل الثقافة يزهو
من دماء الاحرار والشجعان	وعلى راية الزوابع حر
نحن نفديك بالدم النيران	راية الحزب صفقي بامان
قد خستم يا معشر الصبيان	بدم صارخ امام الاعادي

وارقدوا في مذلة وهوان
يا عبيداً للأصفر الرنان
بينما انتمو بكل امان
وليس ت تدري لأي مكان
سوريا سوريا انهضي للأماني
للمعالي يا معشر الأخوان
عشت فاحيا يا ايها المتفاني
يا ناصر الضعيف العاني
انت في القلب مائل في الجنان
هو اسمى من عاش في لبنان
ويفادي في جها ويعاني
لا يياري ورقة في بيان
وكل القلوب طوع البنان
امة لا تطيق أي امتهان
وحب الوفاء والاحسان
وبالمال والقوى كل أن
في هناء الزعيم والأوطان
صرت تشدو بأعذب الألحان
لزعم الشباب يهدي التهاني
يتهادى من شدة الخفقان
ناطقاً للزعيم بالعرفان
ويجيا الزعيم طول الزمان

سوف تخزون عن قريب فناموا
ناصروا ما استطعتم كل نذل
اغضبوا حنكم كما استعمروكم
آه من أمة تسير إلى الموت
سوريا سوريا استفيقي استفيقي
حان وقت الكفاح والجد هيا
اهتفوا كلكم بصوت عظيم
يا زعيم الشباب يا مطمح الآمال
يا زعيم الشباب جئت عزيزاً
ايه يا قلب زارك اليوم خل
هو حر الأوطان يحمي حاما
همة دونها الاسود وعزم
كيف لا تهتف القلوب للقياه
هلي للجهاد يا متن اننا
قد ربينا على المرؤة والعدل
نحن نفدي البلاد بالروح والجسم
ونضحى بكل غال لدينا
يه يا قلب ما اصابك حتى
انصتوا كلكم اما تسمعون
فشدا، هاتفاً، لعوباً، طروباً
سائلاً للبلاد كل هناء
صار لنا سوريا لتحي مدى الدهر

فدعوا الجبانة

قصيدة قيلت في استقبال الزعيم اثناء رحلته إلى العلويين .

نور تلاًلاً بينكم يا اخوتي
وضياء عمّ جميع من في الظلمة
أصبح أن النور أشرق من علي
جبل فنور زعيمنا في الجمعة

اهلا برافع شأن كياننا
فسطا عليه سيف فكرك قائلنا
موتوا وضحوا في سبيل بلادكم
صلب المسيح مثال كل شجاعة
وعليكم أن تبتنوا بجهادكم
الطير يسبح في الفضاء ترنماً
هوا اهتفوا بحياته وتنغموا
الشرق يرفع راية في عزمه
من قاوم المبدأ وحارب ضده
غليانه كالماء في غليانها
أو أن تموتوا ناشرين سلاحكم
يا أيها الأخوان هيا صفقوا
سوريي يا معبدي ومعتقدي
نادي بأعلى صوته متهللاً
سوريي يا معبدي
عيشي وكوني في سرور دائم
تحيا البلاد بقائد لظروفنا

ويقيم شعباً قد هوى في الزلة
قوموا وشدوا الأزر من ذي الآتة
كونوا أشداء بكل القوّة
فعلیکم أن تصلبوا للأمة
برجاً تأسس من ذراع الهمة
وعليكم أن تسبحوا في الشدة
باسم كرم حلّ يوم الجمعة
في شكل زوبعة برأس القلعة
يذوي رويداً مثل صهر الفضة
فبخارها يخفى بنار الغلوة
أو أن تعيشوا عيشة في عزة
اهلاً وسهلاً من حمى سوريي
هذا عظيم عند رأس القلعة
قلبي اليك ومنيتي في نزعتي
ومحط آمالي بنور الحجّة
انطون يرعى كل من في الجبهة
يحيا سعادة كوكب في الدجّة

اسبر عبدالله يازجي

الحملة من اجل الاسكندرون

ويبدأ الزعيم حملته من اجل الاسكندرون بمذكرة الى الجمعية الاممية هذا نصها :

« ان الحزب السوري القومي الاجتماعي يعدّ كل عمل يقصد منه بتر لسواء الاسكندرون عن جسم سورية ، او وضع حدود لسيادة الامة السورية على هذا اللواء ، خرقا لحرمة سيادة الامة السورية وللمادة الثانية والعشرين من عهد الجمعية الاممية ولكمال الارض الوطنية السورية .

ان الحزب السوري القومي الاجتماعي يحتج بشدة على المناورة التركية الرامية الى فصل قسم من الارض السورية عن الوطن السوري بحجة ان في جزء من الارض السورية عددا قليلا من الاتراك .

ان الحزب السوري القومي الاجتماعي ، يطلب من الجمعية الاممية وخصوصا الامم المتحدة والصديقة ان تؤيد الائتمانات السورية وان لا تعطي حلا شاذا لمسألة الاسكندرون يشجع على ايجاد حال مخرجة في الشرق الادنى تتحوّل عاجلا او آجلا الى مصدر نزاع » .

في 14 كانون الاول 1936

وهذه المذكرة هي اول صوت يرتفع بهذا الشأن وقد كرس الزعيم هذا التاريخ باسم « ذكرى الحدود الشمالية » اي كيليكيا والاسكندرون . وقد جاء الجواب من الجمعية الاممية على هذه المذكرة في خريف سنة 1937 بأنها تعتبرها «شكوى على الدولة المنتدبة وان اللجنة لا يمكنها ان تنظر في مثال هذه الشكوى » .

جاء في خطاب اول اذار 1938 : « وكانت الشؤون السياسية تتطور تطورا سريعا

وجاءت الاخبار عن انتظار حدث للواء الاسكندرون فكتبت في الحال مقالا نشر في جريدة «الشرق» حملت فيه على محاولة الاتراك خرق الحدود الشمالية واتبعت هذا المقال بذاكرة الى الجمعية الامة ابين فيها المشاكل التي تنشأ في الشرق الادنى من فصل هذا اللواء السوري عن جسم الوطن وفي حين ان سياسي الداخل لم يظهر اية محاولة جدية لانقاذ مصير اللواء اعلنت ان الوف السوريين القوميون مستعدون للدفاع عن الاسكندرون».

لم ينهض في سورية غير الحزب السوري القومي الاجتماعي لمقاومة الدسائس السياسية والاتفاقات الانترناسيونية المحجفة بحق الامة السورية.

ويقول الزعيم في مقدمة المقال المذكور في جريدة الشرق البيروتية:

«ان مسألة الاسكندرون هي من اغرب المسائل السياسية الانترناسيونية التي حدثت في القرن العشرين، هي رواية مثلت فيها الخيانة الاجنبية والوطنية دورا من اروغ ادوارها.

في سنة 1936، بعد الاضطرابات التي حدثت في لبنان والشام على اثر ظهور الحزب السوري القومي الاجتماعي، قبلت فرنسا عقد معاهدتين مع هذين الجزئين من سورية تعترف فيها باستقلالهما وسيادتهما الحقيقية. ولكن فرنسا لم تكن مخلصا في معاهدتها فما كادت المعاهدتان توقعان حتى باشرت تشجيع المشاغبات الداخلية والاتفاق مع تركية على ارض سورية داخلية ضمن سيادة الدولة الشامية التي اعترفت باستقلالها والرجال الذين اختارت فرنسا الاتفاق معهم على المعاهدتين لم يكونوا مخلصين او لم يكن اخلاصهم تاما ولم تكن لهم مقدرة سياسية تذكر فكانوا متواطئين معها في الشام ولبنان على الخيانة. اما في العراق فكان موقف الحاكمين غريبا حقا وذلك يرجع الى عدم وعيهم حقيقة وحدة الحياة في الوطن السوري كله، من جهة ولسايرتهم الانتداب البريطاني لنفوذ شخصي من جهة اخرى.

تم الاتفاق الاولي بين فرنسا وتركية على منطقة الاسكندرون السورية في اواخر سنة 1936، وكان ذلك الاتفاق مكتفيا بايجاد استقلال اداري واسع للمنطقة المذكورة ووضع خاص يجعل حمايتها مشتركة بين فرنسا وتركية. وهو يعني جعل منطقة الاسكندرون تحت سيادة فعلية مشتركة واول خطوة نحو الغاء السيادة السورية عليها وسلخها عن جسم الوطن السوري لتضم الى تركيا».

و تجدر الملاحظة ان الزعيم كتب هذا المقال عند وصول الخبر الاول عن الاتفاق

وهو في الفراش من جراء وعكة المت به .

وجاء في خطاب صافيتا : « ومن الشمال يستفحل الخطر التركي على الحدود ويحاول ان يخترقها ويستولي على بقعة اخرى من البقاع السورية الخصبية الضرورية لحياتنا وتقدمنا

اني ادعوكم الآن الى الدفاع عن مصالح حياتنا القومية والوطنية ولست اخالكم الا ملتين فهل انتم مستعدون ؟ (هتاف الوف القوميون انا مستعدون). ان ثلاثين الفا من السوريين القوميون في لبنان عدا عن عشرات الوف المؤيدين والمجندين يعدون حدودهم الوطنية حدود سورية الجغرافية وهم مستعدون للدفاع نحو الحدود عند حدوث اي خطر حقيقي ...

اني اعلن ان الاسكندرونة ارض سورية ضرورية لحياتنا وتقدم مصالحنا واننا مستعدون للاحتفاظ بها مهما كلف الامر .

واني اعلن ايضا ان كل قضية من قضايا الشرق الادنى تكون لنا مصلحة فيها وتسوى باهمال مصالحنا وارادتنا تكون تسويتها فاسدة » .

المذكرة الى المفوض السامي الفرنسي

- يا فخامة المفوض السامي .

نظرا لانعقاد مجلس الوزارة التركية في انكشهير والاشاعات السارية حول امكانية تصدّ مسلح من قبل تركيا على سنجق الاسكندرون ، لنا الشرف ان نضع تحت تصرف جيش الدفاع العدد اللازم من المتطوعين من اعضاء حزبنا للمساعدة على الاحتفاظ بالسنجق السوري .

اننا على يقين ، يا فخامة المفوض السامي ، من ان الدولة الفرنسية الصديقة لن تترك في هذه المناسبة اي مجال للتهويل ، لاسما وان ارادتها النبيلة للاضطلاع باعباء تعهداتها يؤيدها استعدادنا للدفاع عن مصالحنا القومية فاننا لا نرضى ، دون ان نقلل من قيمة انفسنا ، بان يهرق الدم الفرنسي الكريم ، اذا اقتضى الحال ، في سبيل الذود من سلامة الاراضي السورية . فنحن نجعل ، اذن ، من وجودنا في مراكزنا على الحدود الشمالية ، في حالة خلاف مسلح مع تركيا ، قضية شرف لنا .

وعلى امل ان فرنسا تفهم الموقف الذي تمليه علينا كرامتنا القومية، تفضلوا، يا
فخامة المفوض بقبول فائق احتراماتنا»

زعيم الحزب السوري القومي
انطون سعادة

في 8 كانون الثاني 1937

المذكرة الى الحكومة الشامية

في هذه الاثناء كانت اللعبة الفرنسية - التركية قد تحولت الى شكل آخر هو حمل
الجمعية الاممية على التدخل في الامر فأرسلت الجمعية المذكورة لجنة زارت
الاسكندرونة ووضعت تقريرا عرف «بتقرير ساندلر» الذي اشار بمنح لواء
الاسكندرونة استقلالا تاما في الشؤون الداخلية وفصله في الشؤون الانترناسيونية من
الاتفاقات التي تعقدها حكومة الشام وجعل اللغة التركية اللغة الرسمية الاولى الخ.

ادرك الزعيم ان قبول التقرير المذكور والعمل له يعنيان فقد السيادة السورية على
الاسكندرون بالمرّة. فلم يتمالك من وضع مذكرته الشهيرة التي وجهها في اواخر كانون
الثاني 1937 الى الحكومة السورية يعنفها على موقفها من المناورات الفرنسية - التركية
ويطلب دعوة المجلس الشامي الى دورة استثنائية.

ما كادت هذه المذكرة تنشر حتى دبت الحمية في صفوف القوميين الاجتماعيين
وحدثت تشنجات في طول البلاد وعرضها واخذت كتب التأييد تنهال على مركز
الحزب القومي الاجتماعي في بيروت.

وهذا نص المذكرة:

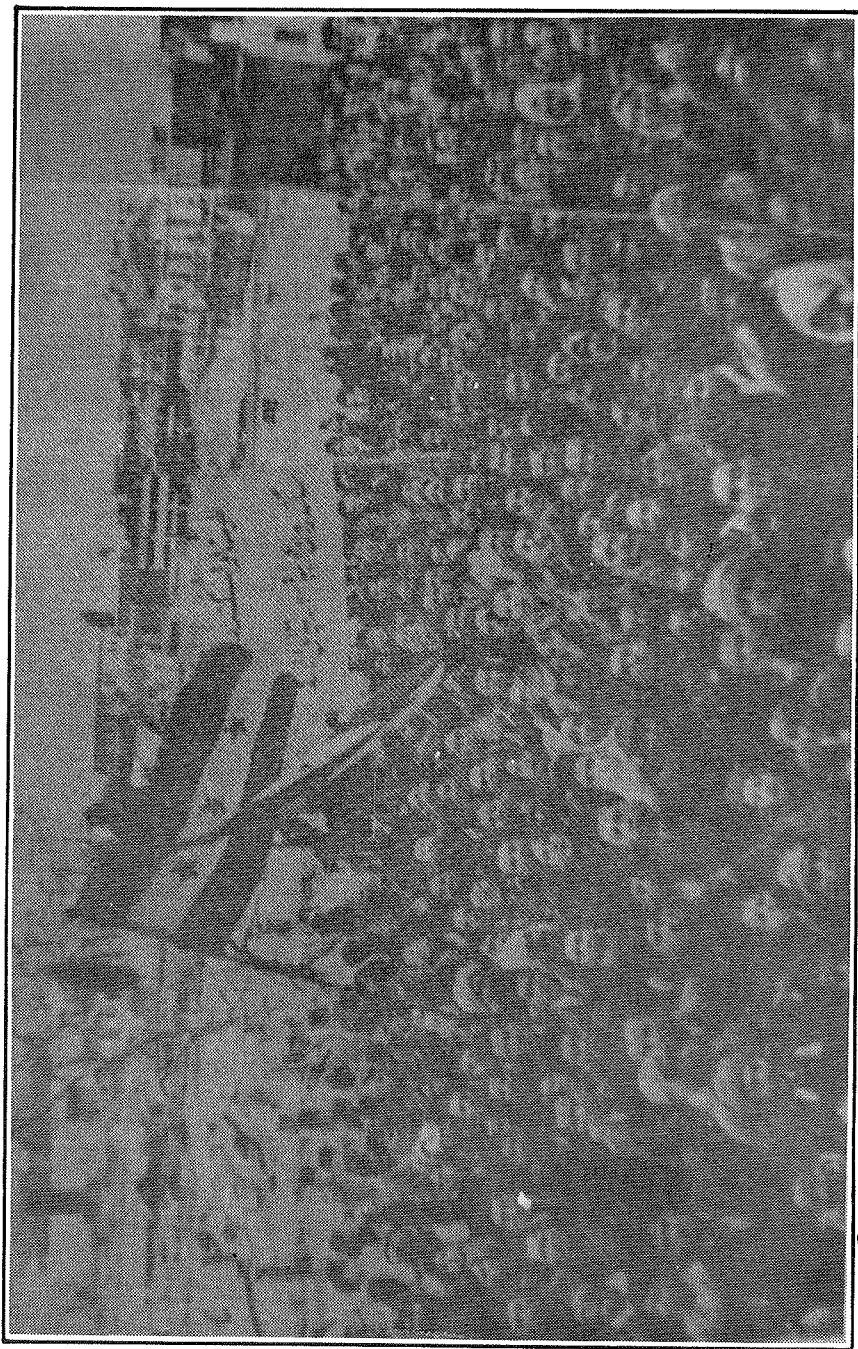
«ان ازالة السيادة السورية عن لواء الاسكندرونة ووضعه تحت تقلبات السياسة
والحزبية الاجنبية يكون خسارة كبيرة للامة السورية واجحافا بحقوقها وخطرا على
كيانها وحياتها.

والحزب السوري القومي يعلن اسفه للموقف الذي وقفته الحكومة السورية من
المناورة التركية التي انتهت بتكليل جهودها بالاتفاق الفرنسي التركي على نزع السيادة
السورية بالفعل والاحتفاظ بستار اسمي ببقية لواء اسكندرونة ضمن الحدود السورية.

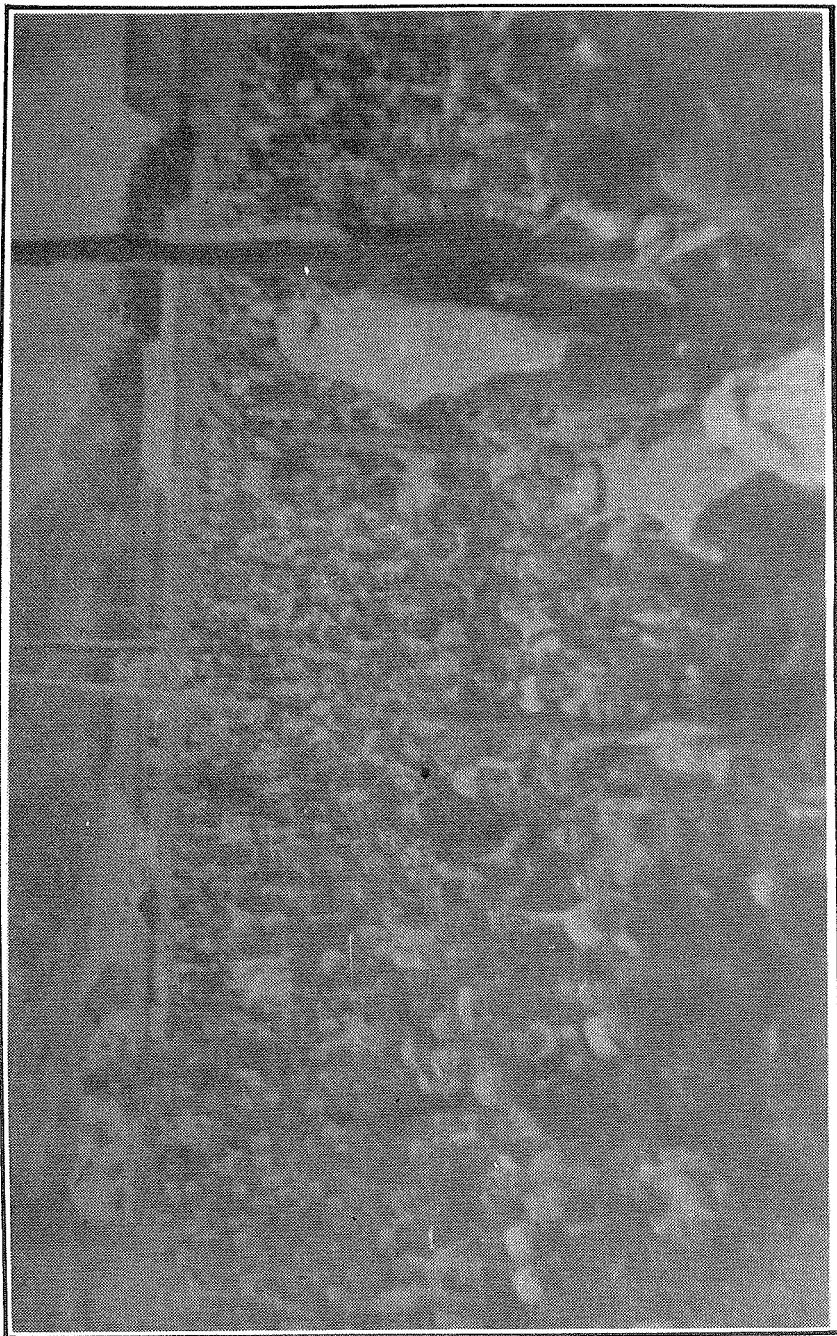
واما زوال السيادة السورية عن اللواء فواضح في تقرير ساندلر مقرر القضية امام
مجلس الجمعية الاممية واهم موجبات زوال السيادة السورية الواردة في التقرير المذكور
ما يأتي:

- 1 - استقلال اللواء في شؤونه الداخلية.
 - 2 - امتناع سريان مفعول اي اتفاق انترنسيوني تعقده الدولة السورية على اللواء الا اذا تم له احد شرطين: اما ان لا يؤثر في استقلال اللواء واما ان يعرض على مجلس الجمعية الاممية للموافقة.
 - 3 - جعل اللغة التركية اللغة الرسمية الاولى.
 - 4 - وضع اللواء تحت رقابة الجمعية الاممية.
 - 5 - اعطاء مندوب الجمعية الاممية للرقابة حق منع تنفيذ القوانين التي تسنها السلطة الشرعية السورية في اللواء.
 - 6 - منع تشكيل جيش سوري في اللواء واعفاء اهله من الخدمة العسكرية ومنع اقامة تحصينات حربية.
 - 7 - جعل حماية اللواء من حق الدولتين التركية والفرنسية.
 - 8 - جعل تقرير نظام اللواء وقانونه الاساسي من حق مجلس الجمعية الاممية.
- تجاه هذه الحال الخطرة على كيان سورية يطلب الحزب السوري القومي من الحكومة السورية:

- 1 - ان تصدر الحكومة السورية مذكرة نعلن فيها ان قبول الدولة السورية التعهدات التي عقدها الانتداب باسم سورية لا تشمل اي تعهد يأتي بعد جواز المعاهدة السورية الفرنسية في المجلس السوري.
 - 2 - ان تدعو المجلس السوري بصورة مستعجلة الى دورة استثنائية لدرس الحالة واتخاذ موقف حاسم يعبر عن ارادة الامة.
 - 3 - ان يقرر المجلس عدم الاعتراف بأي اتفاق عقد او سيعقد باسم سورية على الدولة المنتدبة. بعد جواز المعاهدة السورية الفرنسية في المجلس السوري الا اذا وافق هذا المجلس عليها.
 - 4 - ان تقدم الحكومة السورية بناء على قرار المجلس المذكور التحفظات اللازمة عند تبادل نصوص المعاهدة السورية الفرنسية المصدقة.
- وان الحزب السوري القومي يعلن للحكومة السورية استعدادها لتأييدها في اي موقف جريء لحفظ حقوق الامة وسلامة الوطن ويطلب منها ان تقف في جانب قضية الامة وتحملها مسؤولية خسارة قوية تقع بالوطن وسلامة حدوده».



امام سراي الحكومه في دمشق

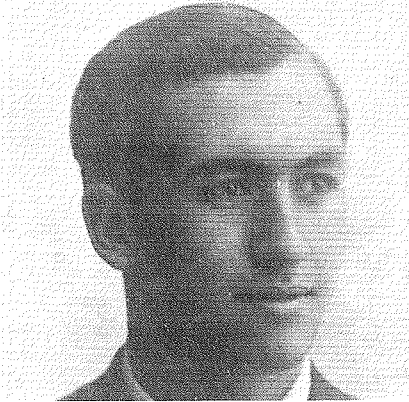


مظاهرة في انطاكية

يوم دمشق

من ردود الفعل القوية التي حدثت على اثر انتشار المذكرة بشأن الاسكندرون ذلك المظهر الباهر الذي برز فجأة على مسرح الاحداث في دمشق والذي سماه القوميون الاجتماعيين بيوم الاسكندرون ويذكره الزعيم يوما من ايام الحزب التاريخية في رسالته من الارجنتين في اول يوليو 1936 اذ يقول: « اذكركم بيوم « دمشق » حين وقفت صفوفكم امام الجامع الاموي في يوم الاسكندرون وحاولت بعض العناصر الشيوعية الاعتداء على بعض الرفقاء الذين كانوا في الداخل، وكانت تلك العناصر متفاهمة مع رجال الحكم ضدكم ومؤيدة من رجال الامن فكفت جريدتان او ثلاث جرائد منكم للسيطرة على الموقف والاقتصاص من المعتدين واعادة الامن الى نصابه وحمايته من « رجال الامن » حتى صفقت لاجاهير لعملكم وهتفت لكم وتجاوب صدى اجراءاتكم الباهرة في موسكو وباريس ».

ويقول حسن الحجال وهو من الرفقاء الاول في فرع الحزب في دمشق عن هذه المظاهرة ما يلي: « كانت المظاهرة برئاسة المسؤول المركزي مأمون اياس يعاونه المدرب عارف الرشاش، من سوق ساروجه، حي دوار آغا. كان مركز الانطلاق بيت فتحي سويد، فوق جامع دك الباب في عرنوس. كان بعض الرفقاء معينين للمراقبة امثالي وامثال رفعت شوقي وشقيقة مظهر ولم اعد اذكر من الباقي ولكني اذكر من الذين اشتركوا في قيادة هذه المظاهرة عبدالحكيم مراد وابن عمر يوسف.



حسن حجال



رفعت شوقي

بدأت هذه المظاهرة من المهاجرين وانتهت في شارع بغداد وكما ظهرت فجأة تفرقت فجأة. كان المسؤول عن الامن الشامي قائد الشرطة عبدو بك العابد وهو

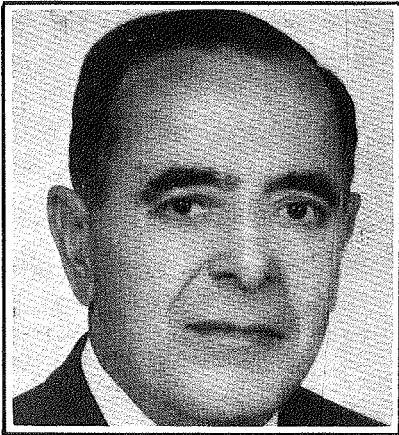
انسان مشهور بوطنيته وقد ظهرت جلية في اشرافه على هذه المظاهرة .
كان يوماً مشهوداً ولكن ذاكرتي لم تعد تستوعب اكثر من هذا الذي دونته .

ويقول جورج عبد المسيح في « يوميات » الجزء الاول الصفحة 30 : « وامتدّ خيالهم الى حدّ ان صرح قطب منهم، للزعيم ان الرضى باعطاء « الحق » هو في غير صالح تركيا... السبب هو ان اكثرية عربية فيه تكون مصدر متاعب دائمة للترك... نسي جميل مردم بك ان الدولة التي يتمثل فيها مجتمع آخذ بأسباب النهوض من كبوته تعمل على صهر كل ما يأتي ضمن حدودها اذا كان ذلك يشكل اقلية في المجموع القومي!

المسألة الحقوقية القومية ضاعت امام الضغط لفصل السنح وجعله كيانا كاملا بدلا من ان يكون جزءاً من الكل . انها مؤامرة استعمارية استغلها التّرك بحذق في وقت كان فيه هتلر يطلّ على اوروبا على ظهر دبابة تجرّ مدفعا .
« السنح » هو منهم

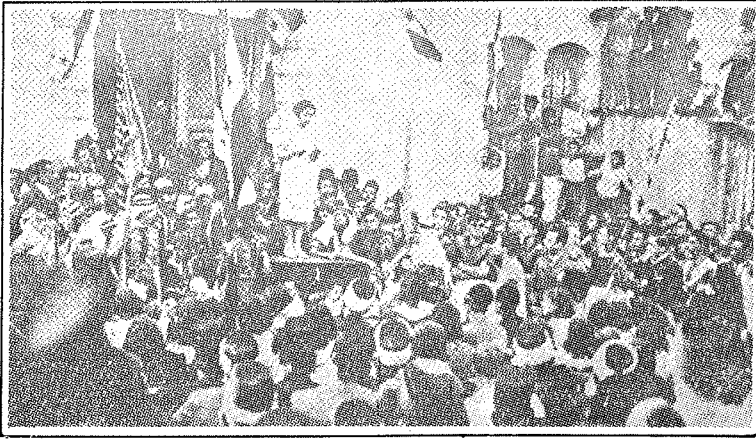
انتهاء ونشاط

وبهذه المناسبة اسجل كيفية انتهاء منبر الملاذي الى الحزب وبداية نشاطه وذلك بقلمه . كان عام 1936 حافلاً بالحركات الوطنية ونشاطات الحزب الوطني وحزب الشعب في سوريا ومظاهرات واضطرابات تفجر هنا وهناك الى ان اضطرت السلطة الفرنسية لدعوة الزعماء السوريين للتفاوض مع الحكومات الفرنسية



منير الملاذي

في باريس وتشكل وفد سوري من شكري القوتلي، وسعد الله الجابري وجيل مردم وفخري البارودي وفارس الخوري، وغيرهم للقيام بالمفاوضات وبدأنا نحن الشباب بالعمل في الأوساط الشعبية بأسم الحزب الوطني. وفي غمرة هذه الأحداث كانت تصلني بعض الصحف اللبنانية والسورية وكان اكثرها يكتب عن ظهور حزب في لبنان «الحزب السوري القومي» يتزعمه انطون سعادة وكانت الصحف متحفظة جداً بعضها مع وبعضها على واطلعت على مبادئ الحزب الأساسية والأصلاحية واعجبت بالفكرة ولكنني اعلم مع الحزب الوطني وتعمقي مع الوطنيين ورغم تعرضي للإساءة يوم قمت مع بعض الشباب بجمع التبرعات من القرى فقد وجدت ان افراد الحزب نفسه يسيئون العمل وذهبنا يوماً الى حلب حاملين ما جمعناه من التبرعات وسلمناه الى الدكتور عبد الرحمن كيالي المسؤول عن الحزب حينذاك ووقف الوفد ليقسم اليمين القانونية للحزب ووقفت بينهم جامداً.



احدى المظاهرات في انطاكية وترى احدى الفتيات تلقي خطاباً بالشعب.

وبعد ايام قابلت الزعيم ابراهيم هنانو الذي يعرف عائلتنا معرفة تامة وهو بفراشه وتكلمنا بشتى المواضيع وقد اعارني اهتمامه رغم حداثتي وخرجت من عنده لاكتب زاوية صغيرة في جريدة النظام لصاحبها تيسير ظبيان اقول ان مبادئ الحزب السوري القومي من مبادئ هنانو.

ورجعت الى جرابلس وبعد مدة وجيزة دعاني صلاح شيشكلي لمقابلته واعلمني بأن الحزب السوري القومي يفتش عني ويريد الزعيم مشاهدتي وزودني بالعنوان الكامل. وبحفلة صغيرة جمعت اكرم الحوراني وواصل الحوراني وصلاح شيشكلي اقسمت اليمين

للحزب وتابعت سفري الى بيروت وفي اليوم الثاني قابلت الزعيم في مكتبه بالمعرض
وجئنا بعض المواضيع المتعلقة بمنطقة جرابلس وسافرت في اليوم التالي محملاً ببعض
المناشير الصادرة حينذاك.

جاء الوفد من باريس واستقبله الشعب بالحفاوة البالغة ولكنه جاء فارغاً بمعاهدة
كأنها لم تكن وراحت تركيا تتحرك بطلب لواء الأسكندرون. وفي يوم ثلجي وجدنا
في بيوتنا كتيبات تتضمن المطالبة بلواء الأسكندرون وتدعي ان هذا اللواء اساسه من
الأراضي التركية وان اعتباره سورياً كان خطأً وقد ذكر في تلك الكتيبات كثير من
الشواهد التي تؤكد مزاعم الأتراك. فدخلت غرفتي وجلست احمر رداً على تلك
المزاعم وقد استعنت وقتها في الكتابة من المنشير القومية التي اتيت بها من بيروت
وكتبت عدة نسخ على ورق الطبع «الكربون» وفي اليوم الثالث وزعت مايقرب من
العشر نسخ وكان يومها «اربعاء» وفي يوم الخميس استدعاني قائد الدرك وسألني عن
هذه النشرات فأعترفت اني كاتبها وموزعها فطلب مني ان اعود اليه يوم السبت
لأرسالي مع الضبط الى المحكمة للنظر في هذه القضية وهو يطهأني ولكني شعرت
بالغدر حينذاك الا ان احد اصدقائي في المحكمة اشار علي بالتوازي عن الأناظر
ففعلت بعد ان كتبت احتجاجاً الى المجلس النيابي وآخر الى رئاسة الجمهورية وآخر
الى رئاسة مجلس الوزراء على ملاحقتي بسبب التصدي للدعاية التركية وتواريت مدة
خسة عشر يوماً في احدى القرى الى ان ارسل لي صديقي بأن القضية حفظت بعد ان
تلي الأحتجاج ونوقش في المجلس النيابي فظهرت في جرابلس.

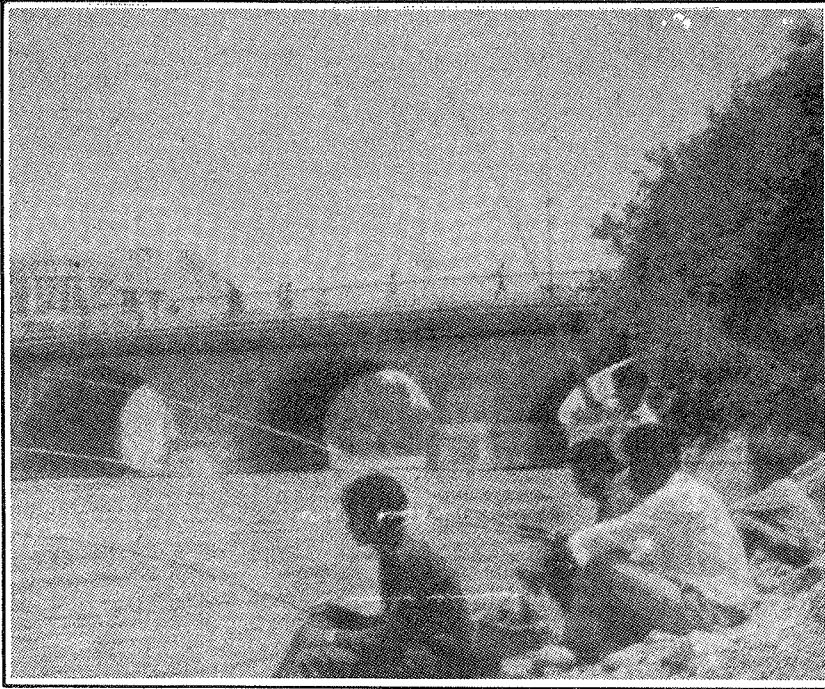
الاسكندرون:

وتحت عنوان «الاسكندرون» يكتب كمال قبسي في جريدة «البناء»، العدد
1033-3 تاريخ 6 شباط 1981 المقال التالي:

«لقد تعذب التاريخ كثيراً فيما يخص الاسكندرونة، وأكثر من التاريخ، تعذب
اهلها. قبل الاسكندر، كانت تدعي مدينة الملكة «حيرا» على اسم الملكة الفينيقية التي
بنتها، وكان جزء كبير منها قد بني على لسان بري ممتد في مياه البحر وعلى بعض
الصخور المتهاككة، لكن الزلازل الناتجة عن طبيعة المنطقة الواقعة فوق ممر بركاني
خطر، قد دمرت الجزء البحري منها، وساعد على ذلك ارتفاع منسوب المياه التي
احتلت مناطق اخرى على شكل قوس في منتصف المدينة لتشكل خليجاً. وهو خليج
الاسكندرونة اليوم، اجمل الخلجان على الساحل السوري.



مشهد من كورنيش الاسكندرونة



نزعة الاسبوع في الاسكندرونة

لم تذهب المدينة كلها نتيجة الزلازل والفيضانات، لكن كثيرا من اهلها ذهبوا وهاجروا الى الداخل، وكان في اعتقادهم ان البحار قد غضبت على المدينة بسبب اعتداء اهلها على الصخور لبنائهم فوقها، وبقي القليلون فيما تبقى من المدينة يزرعون ويصطادون.

دمرت واعيد بناؤها

وتدمر الجزء الباقي من المدينة عند مجيء الاسكندر الكبير، حيث جرت معركة «ايسوس» الشهيرة، لكنه اعاد بناءها، ومن اسمه سلخ الناس اسمها، اسكندرونة، 333 ق.م.

عاشت الاسكندرونة في تيارات الاساطير زمنا طويلا، كان الكثير من اهلها يعتقد بغضب البحار عليها، وسكن بعضهم بعيدا عن الساحل، في وسط غابات «الامانوس» فازدهرت الزراعة وصناعة الخبز والنسيج، عدا عن الصيد الذي كان الرزق الوحيد من الشاطئ، ووصلت قمة ازدهارها في زمن السلوقيين، لكن الزلازل كانت لها دائما بالمرصاد، وكان الخوف من الطبيعة المقلق الوحيد للحياة الطبيعية الهانئة التي عاشها شعب الاسكندرونة، ورغم ذلك استطاعت ان تصبح اكبر المرافئ السورية واكثرها حيوية، فعلى امتداد طولها 55 كيلومترا، كانت السفن ترسو لتحمل البضائع وتبحر، وقد زاد في اعتمادها كأفضل محطة بحرية انها كانت اكثر المناطق احتفاء من الغزو البري، فجبال «الامانوس» وراها تشكل درعا واقيا، واعطاها ذلك اهمية عسكرية، وفضلها الكثيرون من القراصنة وقت الهرب.

ولا يكاد التاريخ ان يذكر مأساة الاسكندرونة بشيء هذه الايام، رغم فظاعتها. ويبدأ ذلك بالعام 1919 عند انتهاء الحرب الاولى، فقد دخلت فرنسا سورية وساومت الاتراك في جعل المدينة حدا فاصلا بين الحدود السورية - التركية، منطقة منزوعة السلاح، وابققتها في يدها بيدقا تساوم به من يشاظرها لعبة الشطرنج. وجعلتها مقرا لسفارات الدول، لذلك اطلق عليها الاتراك كلمة «سنجق» اي العلم، وسميت بالعربية بعد ذلك، لواء الاسكندرون.

زمن الانتداب

كان اللواء يتمتع باستقلال اقتصادي زمن الانتداب، وبشيء من الاستقلال الاداري بسبب سياسة التجزئة التي اتبعها الفرنسيون في كل سورية، وقد حاولت تركيا خلال ذلك الوقت جعل اللواء دولة مستقلة، فتقدمت بطلبات كثيرة الى فرنسا

وعصبة الامم، وقد وافقت فرنسا في النهاية عقب معاهدة 1936 على اجراء
مفاوضات، وابرم الطرفان، وحدهما، اتفاقا وافقت عليه عصبة الامم بينا السياسة
السورية تتفرج على اللعبة، ونص الاتفاق على الاستقلال الذاتي للاسكندرونة
وخضوعها في السياسة الخارجية لسورية مع رقابة عصبة الامم بواسطة مندوب فرنسي.
والاسكندرونة اليوم تدلك على نفسها، آثارها الفينيقية والآشورية والسلوقية تكاد
تشرح لك الماضي، وشعبها يتقرب منك ليشرح لك المأساة، بالعربية ان شئت او
بالتركية او الارمنية او الروسية.

وتستطيع ان تختار شخصا من النصف مليون نسمة الذي يسكن المدينة الان،
يحدثك عن الماضي القريب وعن الوحشة الروحية التي يعيشها الاسكندرانيون، وكبار
السن يحدثونك عن المستنقعات وكيف غرق فيها بعض جيش الاسكندر.

اجمل مصايف الشمال السوري

في الشاطيء، تستطيع ان تشارك الصيادين الذين يعيش اللواء على شباكهم،
اغنياهم ونكاتهم، واذا صعدت قليلا تستطيع ان تمضي وقتا في اجمل مصايف الشمال
السوري، في قرى «نركوز الون» و «عتيق» و «بيلان» في جبال «الامانوس»
المشرفة على المدينة، ومن هناك تستطيع ان ترى قبرص وهي تسبح فوق الماء، وان
ترى الزرع في السهل: التنباك والقمح والزيتون، وفي المساء تشعر انك في بجمدون
او عاليه دون ان تشتاق اليها.

في الاسكندرونة، يتذكر الانسان نفسه ويعود اليها، الى التاريخ والتراث، ويهتف:
لا يزال الشبل تائها في الغابة، لكنه سيجد الطريق ويعود الى العرين».

يوم عَمَّاطور

يقول الزعيم في خطاب اول اذار 1938 : « ثم زرت منطقة الشوف التي يجري فيها نزاع شديد بين الحركة القومية ونفوذ الاقطاعيين. وكان للحزب السوري القومي في الشوف موقف باهر بعظمته تجاه القوى المسلحة التي لم يكن لقدمها مبرر ». تمت هذه الزيارة في 19 كانون الثاني 1937 وكان المنفذ العام لمنفذية الشوف قد اصبح كامل ابو كامل شقيق المنفذ العام السابق الرفيق رفيق ابو كامل الذي كان قد انتقل الى عاليه.

وفي ندائه الذي ارسله من المغرب في اول تموز 1939 يذكر هذا اليوم من ايامنا التاريخية فيقول: « اذكركم بيوم «عماطور الشوف» الم تقفوا في ذلك اليوم الشهر تجاه القوة المسلحة المرسله لتفريق شملكم وبعثرة صفوفكم موقف النظام والطاعة المثل فلم تحركوا ساكنا والساء والارض ومن فيها شهدوا بأني لو شئت اختيار غير هذا الموقف ومقابلة العنف بالعنف لكان انتصارنا بالقوة اكيدا كما كان انتصارنا بالصبر ».

ولهذه الزيارة او لهذا اليوم التاريخي شؤون وشجون ارويبها.

كانت كل الآراء والاستشارات مجمعة على عدم عقد هذا الاجتماع. يكفي الاجتماع في بعقلين. السلطة المنتدبة عينها محجرة. الحكومة اللبنانية ترغي وتزيد. النفوذ المحلي الممثل « بالمختارة » ينذر بالويل والثبور وعظائم الامور. « هل يعقل ان يعقد اجتماع من هذا النوع في عقر دارها ؟

السلطة الحزبية المحلية الممثلة بالمنفذ العام، كامل ابو كامل، تهيب الموقف واخيراً، رئيس المكتب السياسي في الحزب، صلاح لبكي، ينصح بالاكْتفاء باجتماع بعقلين، لم يبق سواه راغبا بل مصمما على تنفيذ المخطط القاضي بعقد هذا الاجتماع.

كان الزعيم وهو متوجه لحضور اجتماع بعقلين الذي اعتبره مقدمة لاجتماع عماطور يتحسب للعراقيل التي كان يتوقعها وقد ادلى بهذه التوقعات لمراقبيه، عميد الداخلية محمد راشد اللاذقي، عميد الدفاع جورج حداد، جميل عازار المسؤول المالي.

من هذه التوقعات انه لا بد من ان تتخذ السلطة المحلية تدابير استثنائية يكون من جرائها مثلاً ان تقيم حاجزا عند مدخل بيت الدين، مركز القائمقامية تمنع عليه اكمال الطريق، الى بعقلين. صدق الحدس. هناك دورية من الدرك. كان الاستقبال حافلاً.

انتقل الوفد الى مكتب القائمقام في السراي. كان القائمقام ناظم العكاري. انه مثال الموظف الامين والرجل الاداري المرن المحنك. حاول اقناع الزعيم بالعدول عن فكرة الاجتماع. بعد حوار دام رداً غير يسير من الزمن افترقا على خلاف ونصيحة. خلاف من الجهة المبدئية على عقد الاجتماع ونصيحة بالاكتفاء باجتماع بعقلين المختصر.

كان القائمقام العكاري متساهلاً نوعاً فهل كان مطلوباً منه ذلك ام ان الزعيم افحمه فتحركت فيه وطنيته الكامنة. ويرجح المرافقون للزعيم الاحتمال الثاني.

وانعقد اجتماع بعقلين وبدأ التمهيد لاجتماع عماطور. صعد صلاح لبكي في بيروت الى الشوف ينقل الى الزعيم آخر المعلومات أو بالاحرى آخر ما لدى السلطة من حرب اعصاب، كان رأي صلاح انه لافائدة للحركة القومية الاجتماعية من اصطدام قد يحصل بينها وبين قوى السلطة. كتب الزعيم رسالة الى رئيس الحكومة، آتذ خير الدين الاحدب بهذا الصدد وطلب من صلاح حملها اليه.

تضاربت الاقوال حول هذه الرسالة فمنها قول ان صلاح اعتذر عن حملها ومنها أنه تردد في حملها ولكن الثابت ان الزعيم غادر الشوف الى بيروت لمقابلة الرئيس الاحدب مع اعطاء التعليمات الواضحة الصريحة بالاستعداد لاجتماع عماطور الذي حدد مواعده بعد ثماني واربعين ساعة.

لم يعرف احد ما الذي دار في المقابلة ولكن الذي عرف وكان يؤكده العميد اللاذقي هو ان الزعيم لا بد حاضر وفي الموعد المعين. وهكذا كان.

كم كانت الدهشة عظيمة عندما تلاقت الوفود من جميع انحاء منطقة الشوف في عماطور تتقدمها اعلامها خافقات، تسير بخطى موزونة موقعة كأنها قطع جبارة من جيش مدرب عظيم.

حضرت القوة الحكومية المستنفرة وحضر معها قائمقام الشوف، ناظم العكاري

وهناك امام دار البلدية وساحتها دارت رحى صراع نفسي رهيب .

قوة هائلة مستعدة لكل طارئ، ترى قيادتها فيها رجحانا وانتصارا، وقوى اخرى، عدتها الايمان والارادة ومخطط « حربي » بسيط .

قوة حكومية بقيادة نسيب دحروج تطوق الساحة وقوة قومية اجتماعية خفية تطوق هذه القوة من على السطوح ومن جوانب المداخل الى الساحة . القوتان مسلحتان ولكن شتان ما بين القوتين !!

وصل الزعيم باكراً فابلغة القائم مقام وقائد الدرك الاسباب الموجبة للالغاء فحالها الزعيم الى المنفذ العام، كامل ابو كامل، للتفاوض والمشورة . ذلك بناء على اقتراح هذا الاخير .

وفي هذه الاثناء، في وقت التفاوض والتشاور بدأ الزعيم خطابه وبدأ المنفذ العام ابو كامل يكشف الاوراق المستورة فتبرز الى الميدان ورقة اثر ورقة . هنا سلاح على سطح وهناك سلاح على مدخل، الخ... مما جعل السلطة المحلية ترى بام عينها ان الاصطدام لن يكون لصالحها كما انه لم يعد بإمكانها الغاء المهرجان والزعيم كان قد بدأ الكلام فاخذت تسير وان مرغمة، مطالبة بالاختصار الى ان انتهى الزعيم من القاء خطابه بسلام .

مما لاشك فيه ان صداقة المنفذ العام كامل ابو كامل بالقائد دحروج لعبت دوراً ايجابياً في هذا الحل كما ان موقف القائم مقام ناظم العكاري ساهم في الخروج من المأزق بسلام .

هذه هي قصة اجتماع عماطور الذي وصفه الزعيم « يوماً من ايام الحزب التاريخية » .

ويقول كامل ابو كامل في مخطوطة مذكراته عن يوم عماطور التاريخي :

« وفي التاسع من كانون الثاني 1937 توجه الزعيم الى منطقة الشوف حيث دعت المتنفذية جميع الاجهزة الادارية التاريخية لها (اي مدير وهيئة مديريته ومفوض) للاجتماع بالزعيم كما دعت بعض وجهاء عائلات بعقلين لهذا الاجتماع على ان يكون مكان الاجتماع بيت ناموس حسن الطويل الواقع في كفرحصر لانه اكثر البيوت ملاءمة لمثل هذا الاجتماع فالبيت عدا كونه كبيراً فامامه ساحة كبيرة تتسع لجموع المدعوين . لم يصل الزعيم بالموعد فذهب المنفذ العام لملاقاته عن طريق كفرحيم فاخبر بان الزعيم ذهب عن طريق بيت الدين وبرفقته عدد من الدرك فعاد المنفذ العام ادراجاً،

وقصد مكان الاجتماع كي يدرس مع المسؤولين خطة السير الى بيت الدين لتخليص الزعيم من ايدي الدرك. ولدى وصوله الى كفرحصر مكان الاجتماع. شاهد سيارة الزعيم قادمة من بيت الدين، واخبرنا بان قائمقام المنطقة ناظم عكاري اراد ان يستفسر من الزعيم عن سبب هذه الزيارة وتلميحا ورغب اليه بالغائها وبعد استراحة بسيطة صعدت الى المنصة وقدمت الزعيم فتوجه اليهم بكلمة تشرح مضمون التعاليم السورية القومية بعد ان مرَّ باستعراض الحالات المرضية السيئة التي وصلت اليها البلاد وقوطع كلامه بالتصفيق الحار مرارا عديدة والمصفقون كان المدعوون الذي لا يسري عليهم قانون التقيد بالنظام.

وبعد ان انهى كلمته جلس في غرفة حيث توجه اليه وجهاء البلدة للتعرف عليه من قريب واطهار اعجابهم باعماله وتصرفات افراد حزبه طالبين له الفوز بامانيه التي هي امانى الامة جمعاء.

وبعد المدعويين جاء دور المديرين وهيئاتهم الذين دخلوا مديرية، مديرية، للسلام عليه والاستماع الى كلامه ومنهم من دعاه لزيارة الشوف الاعلى فورا وعقد اجتماع في عماطور (قلب الشوف) تحضره مديريات الشوف الاعلى. وكان عبدالمسيح بجانبه ففرح بهذه الدعوة اي عبد المسيح ولكن الزعيم اجابهم قائلا ساجث هذا الموضوع مع المنفذ العام فالزعيم مع انه صاحب الكلمة الاخيرة المطلق في الحزب لكنه كان يتقيد بالنظام تقيدا تاما فالمنفذ العام دستوريا هو زعيم منطقتة المطلق فيما يخوله فيه الدستور لهذا لا يجب الزعيم ان يقرر امرا يتعلق بشؤون المنفذية قبل الوقوف على رأي المنفذ العام في هذا الشأن لذلك قال سأقرر بعد ان اجث هذا الشأن مع المنفذ العام. وبذلك دلل على اهمية التقيد بالدستور من جهة الصلاحيات.

ولما قال المنفذ العام بعد استشارته لا يا حضرة الزعيم قال للمديرين لا. وعندما يرى المنفذ العام لزوما لهذا المهرجان فعليه ان يدعييني وانا احضر. جرب عبد المسيح ومعه المديرين اقتناع المنفذ العام بعقد الاجتماع فوراً لكنه بقي مصرا على رفض الطلب معللا الرفض بان المنفذية عاجزة فوريا عن حماية مثل هذا المهرجان نظرا للعوامل المعادية للحركة القومية والتي بامكانها ان تستعمل العنف بالوسائل المتوفرة لديها وهي كثيرة، لافشاله لذلك ارى من الحكمة ان يؤجل عقد مثل هذا المهرجان لبينا يكون قد اعدنا انفسنا لعقده. وكان الزعيم مرتاحا لهذا القرار فقال اني اعود لبيروت وانتظر منكم علما كي احضر.

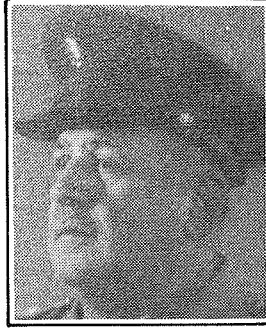
تركنا الزعيم يعود الى بيروت وعقدنا جلسة حضرها المدبرون وجورج عبد المسيح بالاضافة الى هيئة التنفيذية تدارسنا فيها امكانياتنا الدفاعية المطلوب حماية المهرجان في حال حصوله فلدينا امكانيات بشرية قادرة على حماية ولدنا القليل من السلاح. فما علينا الا ان نشاور لنضع الخطة اللازمة حتى تصبح هذه الامكانية البشرية الضخمة فاعلة فاخذ عبد المسيح على نفسه وضع الخطة اذ قال لنتنقل مع المديرين الى الشوف الاعلى وهناك على ضوء الاحصاء الذي نقوم به للسلاح المتوفر وللامكانيات البشرية القادرة على التحرك نضع الخطة المطلوبة. على ان تتولى هيئة التنفيذية تنظم مديريات المناطق وبمقربين وما حولها - وهكذا كان فانقلل جورج عبد المسيح الى الشوف الاعلى مع المديرين وبعد مضي يومين كانت جميع الترتيبات قد اعدت لعقد المهرجان فارسلنا الى الزعيم نعلمه بان الترتيبات قد انتهت فعاد الرسول حاملا معه رسالة يقول فيها انه في الصباح الباكر يكون بيننا. ان خطة حماية الزعيم لاختراقه المختارة، الحصن الاقطاعي الاخير في طريقه الى عماطور فقد اوعدنا مديريات بعقلين ان تنتظر الزعيم في سهل بقعاته بينما تواكب سيارته مديريات المناطق الخمسة وعندما يصل الزعيم الى بقعاته تتقدمه سيارات بعقلين التي تنقل مديرياتها الثلاثة وهكذا تمت الحماية وكنت قد سبقت هذا الموكب الى عماطور حيث اشرفت على الترتيبات التي اعدتها جورج عبدالمسيح. فوصلت عماطور الساعة صباحا وبعد قليل بدأت البيارق (اعلام الزوبعة) تطل علينا من بعيد زاحفة نحو عماطور فالسيارات كانت قليلة ومكلفة في ذلك الوقت لهذا زحفت المديريات القريبة كمرستي وجباع وبعدران مشياً على الاقدام ولم تدق الساعة الثامنة الا وكانت ساحة عماطور تعج بالحضور والاعلام الحزبية ترفرف في كل مكان. ولعماطور قصة طويلة: تقطنها عائلتان كبيرتان وعريقتان هما عائلة عبد الصمد اليزبكية وعائلة ابو شقرا الجنبلاطية. والخلاف بين العائلتين واقع منذ ان تأسست عماطور حتى اكتسب شهرة في جميع انحاء البلاد فكما يذكر التاريخ داحس والغبراء يذكر اللبنانيون عداوة عبد الصمد - ابو شقرا وبقي الحال رغم التغييرات مستمرا الى ان دخلت مبادئ الحزب عماطور وفجأة في اجتماع من الاجتماعات يوم كان الحزب سرىا يجد ابن ابو شقرا القومي نفسه مع ابن عبد الصمد يضمهم اجتماع تحت سقف واحد وتربطهم عقيدة واحدة فالقوميون اخوة.

ويعجب اهالي عماطور من هذه الظاهرة تظهر لأول مرة في بلدهم عندما يشاهدون شبابا من العائلتين يجوبون الشارع سوية وكأنّ الذي بينهم صلات اخوة لاصلات

عداوة. فمن يا ترى قرّب ما بين هؤلاء الشباب وبقي الناس في حيرة الى ان انكشف الحزب وانكشف معه امر اعضائه. عندها ادركوا عظمة هذه العقيدة التي فعلت ما لم يتمكن وسطاء الخير الذين جربوا ان يصلحوا العائلتين مع بعضهم البعض في محاولاتهم العديدة وكانت محاولاتهم كلها فاشلة.



ناظم عكاري



نسيب دحروج



محمد راشد اللادقي

الثامنة او الثامنة والنصف والزعيم لم يصل بعد. قلت لجورج عبدالمسيح دعنا نتمشى قليلا باتجاه عين قني فالموكب يأتي من هذه الطريق ولم تردنا اخبار عنه. مشينا ورافقنا عدد من الاعضاء والمسؤولين، بينهم سليمان عبد الصمد، عادل حصن الدين، فهد عبد الصمد الرفيق النضالي الممتاز. وما ان خطونا مئتي متر حتى بدأت تمر بنا سيارات قوميّ بعقلين. استبشرنا خيرا بعد ان كانت الخيالات تعصف في رأسي وطلّت علينا سيارة الزعيم تمشي الهويناء الى ان وصلت الينا فترجل الزعيم منها وكان يرافقه عميد الداخلية محمد راشد اللادقي فاخذنا له التحية الرسمية وسرنا وراءه الى ان وصلنا الى اول عماطور فعرّجنا على بيت الشيخ ابو سليمان عبد الصمد، شيخ الطائفة الدرزية اليزبكي، حيث كان للطائفة الدرزية شيخان شيخ عقل يزبكي وشيخ عقل جنبلاطي. والشيخ ابو سليمان كان رجلا طويل القامة تجلله حية طويلة بيضاء، كثير الذكاء وقورّ يحمل افكارا تقدمية فضلا عن تحليه بالمزايا الروحية المشكورة. فسّر الزعيم للتعرف عليه وكان مرتاحا للتحدث معه ومن دار الشيخ ابو سليمان انتقلنا الى دار والد المحامي رفيق عبدالصمد حيث غسل الزعيم يديه واستراح قليلا وبعدها ذهبنا الى بيت المختار فريد ابو شقرا الواقع في آخر عماطور حيث كان اعد للزعيم وصحبه طعام الترويقة وهذه اللياقات هي عريقة في تقاليد اللبنانيين، سكان الجبل، فرضها عليهم الواقع الذي يعيشون فيه ونفستهم الكريمة تأبى عليهم الا ان يكرموا ضيوفهم.

جلسنا على مائدة كبيرة حاوية جميع اصناف المأكولات الجبلية الطيبة فعليها اللبنة المشهورة والجينة المصنوعة من حليب الغنم والقصبة السودا والبيض بقوارمة وانواع الكبيس بالزيت الذي يتقنه اهل الجبل وصحن الكشك الذي يتقن طبخه اهل الجبل وانواع المربيات وعماطور مشهورة فيها لانها اغنى قرى الشوف بالفاكهة ونساؤها يتفنن في صنع المربيات لخبزها لايام الشتاء كمؤونة للعائلة ولضيافتها وبلاضافة الى هذه الاصناف التي كانت المائدة عامرة بها كان عليها بضعة اطباق من الشطائر المتنوعة منها بالزعر ومنها باللحم ومنها بالحمص والقورمة والبصل ومنها بالسلق والسبانخ. انها مائدة عامرة: تجلي فيها كرم اصحاب البيت وذوق نساءه في كيفية ترتيبها. استقبل الزعيم عند وصوله بجملة فائقة وبكثير من الترحاب ومما قاله احد الحضور من وجهاء البلدة اننا نرحب بالذي جمع القلوب في هذا البلد بعد فرقة دامت مئات السنين، بعد ان افلس المخلصون على جمعها وقال آخر انت رسول سلام ومحبة وشرنا ان تدوس اقدامك ارضنا بعد ان سبقتها لنا مباديك .

وما ان جلسنا على المائدة وتذوقنا بعضا من هذه المأكولات الشهية حتى جاءنا من يقول ان حضرة القائمقام في دار البلدية يريد مقابلة الزعيم فتطلع الزعيم الي وقال هذه مسؤوليتك فنهضت وعيني بالسفرة التي لم اتذوق اصنافها كلها لانها كلها كانت قريبة الى ذوقي وهرولت مسرعا باتجاه البلدية التي لا تبعد اكثر من مئتي متر عن دار المختار صاحب الدعوة. رحبت بالقائمقام ورجوته ان يقبل دعوتي ويشاركنا الطعام حيث نحن مدعوون فاعتذر بلطف متذعرا بكثرة الاشغال ودخل معي في حوار بشأن المهرجان. قلت يا حضرة القائمقام ان الذي نقوم به ليس مهرجانا وليس هذا الا مجرد استقبال ترحيبي بالزعيم سعاده الذي جاء عماطور بناء على دعوة منا لمصالحة العائلتين المتعاديتين منذ زمن بعيد ولما كان هذا العمل انسانيا ومن الاعمال الخيرة التي يقدرها الجبليون ويقدرها العاملين لها لذلك جاءوا يظهرون شكرهم للرجل الذي مهد للصالح والمصالحة والذي اوجد الالفة والمحبة بين سكان البلد الواحد قال ومن هم المتصالحون « قلت « جماعة من آل ابو شقرا وجماعة من آل عبد الصمد قال: « وما اسماءهم قلت « ولماذا الاسماء قال « اريد اسماءهم « قلت سأتيك بالاسماء اذا كان لديك الوقت الكافي قال انتظر نصف ساعة حتى تأتيني بالاسماء «

خرجت من دار البلدية وذهبت تورا للاجتماع بالمديرين والمدربين حيث اظهرت مخاوفي من زيارة القائمقام هذه وتركت لهم امر تنظيم الاعضاء زمرا زمرا بشكل

يكون صالحا لمجاهبة اي احتمال لمهاجمة المهرجان وتفشي له كما طلبت منهم ان يشددوا الحراسة على الزعيم ومرافقيه وعدت الى القائمقام لاقول له ان العائلتين بكامل اشخاصهم يوجد بينهم خلاف لذلك سجّل عندك ان عائلة ابو شقرا من صغيرها الى كبيرها في خصومة مزمنة مع عائلة عبدالصمد من صغيرها الى كبيرها ايضا وقد جاء انطون سعاده الى عماطور. كي يقيم صلحا بين العائلتين سيدوم الى الابد فارجوك يا حضرة القائمقام ان تتركنا وشأننا ونكون لك من الشاكرين. واني اعدك باننا سنحافظ على الهدوء والسكينة وسأكون مسؤولا عن كل ما يحدث ويسيء الى الامن. والقائمقام الطيب لم يسعه امام هذا الطلب وامام ما رأى بعينه من جموع تحتشد في الخارج وكلها تنادي اتركونا وشأننا. وآخرون ينادون لا تعكروا صفو افراحنا، الا ان يبتسم ابتسامة متجفظة ويقول لي « اسمع اني سأذهب وسيأتي الضابط نسيب دحروج مع قوة من رجاله للمحافظة على الامن وهذا واجب علينا يجب ان تكونوا هادئين كما وعدتني » قلت « سمعا وطاعة ».

وعاد القائمقام الى دار المختارة وعدت الى الزعيم في بيت المختار فبادرني بالسؤال هل ذهب؟ قلت: « لقد ذهب مرتاحا وسيرسل لنا ضيفا جديدا اعددت العدة لاستقباله وتكريمه فابتسم الزعيم وقال - Si Senhor - بعد فترة من الراحة عدنا الى بيت الشيخ ابو رفيق عبدالصمد الواقع قرب ساحة عماطور وهناك توافد شيوخ البلدة للسلام على الزعيم والتعرف عليه والاشادة بما حققه من اصلاحات اجتماعية ظهرت نتائجها في منطقة الشوف فضلا عن كسر نطاق الخوف الذي كان يسيطر على اللبنانيين من السلطة المنتدبة فبعد ثورة جبل الدروز التي شملت البلاد الشامية كلها تقريبا وامتدت الى قسم من لبنان سكتت الافواه المطالبة بالحرية والاستقلال الى ان ظهر الحزب فعاد اليهم الامل بالنهوض من كبوتهم والعمل لنيل حريتهم والمطالبة باستقلالهم. وحوالي الثالثة بعد الظهر تقدم الزعيم الى المنصة وبدأ بالكلام فامتألت سطوح البلدة بالنساء والاطفال والساحة بالاهلين وانتشرت جحافل القوميين لتسد جميع المنافذ المؤدية الى مكان الزعيم وسلاحهم العصي الغليظة بينا رابط الذين يحملون اسلحة حول مدخل البلدة لجهة المختارة وتوارى قسم منهم في الاحراش المحيطة بعماطور يشكلون قوة متحركة كقوة طوارئ وكان الجميع يسمعون خطاب الزعيم نسبة لستراتيجية المكان ولانه اكثر من مذياع كان جاهزا في الساحة. وفجأة ولم يكن قد مر خمس دقائق على بدء الزعيم بالخطابة الا ونسيب دحروج

قائد الدرك في بيت الدين يتقدم خمسين دركيا ويطلون علينا من جهة المختارة فاعطيت الاوامر للرفقاء بان يفتحوا طريقا للقوة القادمة واسرعت حتى التقيت بالقائد الذي تربطني به معرفة وشبه صداقة رحبت به وقلت « خريا حضرة القومندان » قال « جئت للمحافظة على الامن فارجو ان تساعدوني على ذلك ». فاجبت « يجب ان تكون مرتاحا من هذا القبيل » ودعوته الى ان يجلس حيث المشايخ فاعتذر عن قبول الدعوة مفضلا البقاء مع عسكره فطلبت له كرسيلا للاستراحة .

وكانت عيون الشباب كلها تراقب تحرك العسكر علما منهم بان هذه القوة مرسله لتخريب المهرجان . وارتاحت قلوبهم عندما رأوا قائد الدرك يجلس على الكرسي ويأمر عسكره بان يكونوا هادئين في مراكزهم وكان التصفيق حادا عند كل جملة يفوه بها الزعيم ولم يتالك البعض من الدركيين من الاشتراك في التصفيق والهتاف .

كلمة الزعيم استمرت ساعتين وربع . كانت الجموع الغفيرة تصغي الى كل كلمة ولما انهى الزعيم كلمته ارتفعت الهتافات حتى بلغت عنان السماء فنهض الضابط دحروج عن كرسيه وتقدم مني معربا عن اعجابه بكلمات الزعيم ونظامية القوميين وطلب مني ان اقدمه الى الزعيم .

ودهش القوم عندما شاهدوا نسيب دحروج يتقدم من الزعيم ويصافحه بجمرة متمنيا له النجاح بينما كانوا ينتظرون العكس نظرا لسوابق السلطة التي كانت كلها تضيق على الحريات وقمع الاجتماعات بالقوة ولما يعرفونه عن سياسة دار المختارة الهادفة لاختضاع الشوفيين لارادتها .

فيوم عماطور كان يوما تاريخيا ، بالنسبة للشوفيين ظهرت فيه ارادة الشباب الراضية لجميع القيود التي سعت السلطة المنتدبة بالتعاون مع الاقطاع المحلي الممثل في دار المختارة لفرضها على الشوفيين العريقين في رفضهم للظلم والاستعباد وظهر تفوقهم في قدرتهم على ضبط النفس تجاه الضغوط التي حصلت لمنع اجتماعهم وتعكير صفو هذا اليوم الذي كانت نفوسهم تتوق لمثله فكان يوم عماطور بداية لعهد جديد تمتع به الشوفيون طويلا اذ بدأ العراك سافرا ما بين الجديد والقديم فخرج الشباب على ارادة الذين جعلهم الفقر والظلم والاستياء معقدين (من الجيل القديم) واصبح صوت الحرية والوقوف بوجه الطغيان يدوي في كل ارجاء الشوف .

عاد الزعيم محفوفا بوجهاء عماطور وجيرانها الى دار ابو رفيق عبد الصمد ففصت بهم الدار وكانوا يتسابقون للتحدث اليه وسماع اقواله التي تفيض بالمحبة والوطنية والاصلاح .

ويطل صلاح لبكي الذي كان نائب الزعيم قادماً من بيروت وطلب الانفراد

بالزعيم فيدخلون غرفة اخليت لهم ليخرج منها صلاح بعد نصف ساعة من الاختلاء بالزعيم وبيده رسالة لم تعرف مضمونها. وفورا يركب سيارته ويعود الى بيروت وكانت هذه المرة الاخيرة التي ارى صلاح فيها.

سألت حضرة الزعيم مرة وكنت في مكتبه ماذا كان يحمل صلاح للزعيم حتى ذهب ولم نره بعد فابتسم الزعيم وزفر زفرة خفيفة وقال صلاح كان يحمل لي اذلالنا وحاولت ان ارفعه كي يصمد للضغط ففرّ من العراك فصلاح انسان نبيل ورقيق الشعور ولا قدرة له على تحمل الصدمات فطريقنا وعرة لا يتحملها من كان بتركية صلاح سيما وان عنده من يحط من عزميته (او يقصد سلمى الصايغ) حماته - ولم يزد على ذلك. عادت جموع القوميين الى قراها بعد ان تأمن موكب الزعيم بالعودة الى بيروت وانقضى يوم عماطور التاريخي دون ان يحصل اي حادث لأصغير ولا كبير.»

* * *

وعن يوم عماطور - الشوف يكتب جبران جريج في جريدة البناء العدد 1033/95 تاريخ 13 كانون الثاني 1973 :

« لم يكن قد مضى على الافراج عن الزعيم من اسره الذي دام اربعة اشهر ونيف، لم يكن قد مضى على هذا الافراج الشهران حتى قام بعملين متلاحقين. جبارين. الاول زيارته الى محافظة اللاذقية وزيارته هذه الى الشوف. وخصوصا الاجتماع في عماطور.

ذلك على عكس ما كانت تتوقع السلطات المنتدبة الفرنسية او السلطات الحكومية الشامية او اللبنانية. ففي الشام تقوم المساعي والمفاوضات على قدم وساق من اجل المعاهدة وفي لبنان ترقب للحصول على المثل.

كان الزعيم قد اختار الشوف في هذا الظرف بالذات للتدليل على قوة الحركة السورية القومي الاجتماعية من جهة ولتثبيت مبدأ حرية العمل السياسي في الكيان اللبناني. هذا المبدأ الذي تفهمه حق التفهم المحقق حسن قبلان، اول محقق وطني كلف بمهمة التحقيق مع الزعيم في اعتقاله الثاني والذي على اساسه كان الافراج بكفالة مالية. كان لحسن قبلان اليد الطولى في هذا الموقف الشبه الايجابي وان بتريث من قبل السلطة الاجنبية او المحلية.

موقفان داخليان

ولا يذكر يوم عماطور - الشوف الا ويذكر حسن قبلان المحقق الذي مهد لهذه الاجواء وان لم تكن صافية تماما.

اصطدم الزعيم عند اتخاذ هذا القرار بموقفين داخليين. احدهما سياسي والاخر اداري. اما السياسي فقد كان صاحبه صلاح لبكي الذي كان مكلفا بالاتصال بالمراجع السياسية الوطنية والاجنبية وحجته ان الشوف منطقة معادية للحزب بسبب موقف « سيدة المختارة » التي يساندها الانتداب ويعتبرها ركيزة ودعامة كبيرتين له في هذه المنطقة ذات الحساسيات الكثيرة ان على الصعيد الطائفي او على صعيد البطولات من حيث البأس والقوة ولذلك فهو يخشى من الاصطدام. هذا الاصطدام الذي لا يراه لمصلحة الحزب.

اما الاداري فقد جاء من منفذ عام المنطقة يومها ، كامل ابو كامل الذي كان يرى انه بعد ان عقد الزعيم اجتماعا ناجحا في بعقلين لم يعد من ضرورة لعقد اجتماع آخر قد يعرض الحزب لملاحقات جديدة.

تشبث صلاح لبكي برأيه بعكس كامل ابو كامل الذي ادلى برأيه وانصاع لقرار الزعيم. وقد بقي صلاح يلاحق هذا الموضوع حتى انه لحق بالزعيم الى بعقلين محاولا اقناعه بالعدول عن عقد الحشد في عماطور. فتظاهر الزعيم بالاقتناع وهبط الى العاصمة يرافقه صلاح وكان من جهة ثانية اعطى الاوامر الى المنفذ العام بدعوة المديرات الى الاجتماع في عماطور في اليوم التالي بطريقة منضبطة ومكتومة قدر الامكان.

وفي اليوم التالي صعد الزعيم الى عماطور ليلتقي بجموع القوميين الاجتماعيين من كل انحاء الشوف وقد تجمعت في ساحة عماطور، امام مبنى البلدية. وفيما يلي وصف لمشهد الاجتماع:

« كانت السلطة من جهة اخرى قد حسبت لعدم التراجع الف حساب فاستعدت بدورها استعدادا كاملا لم يسبق له مثيل.

كانت الدهشة عظيمة في اليوم التالي وفي الموعد المضروب فقد تلاقت الوفود من جميع انحاء منطقة الشوف تتقدمها اعلامها خافقات، تسير بخطى موزونة موقعة كانتها قطع جبارة من جيش مدرب، عظيم.

حضرت القوة الحكومية المستنفرة وحضر معها قائممقام الشوف. وهناك امام دار البلدية وساحتها دارت رحى صراع نفسي رهيب. قزة هائلة مستعدة لكل طارئ، ترى قيادتها فيها رجحانا وانتصارا. وقوة اخرى، عدتها الايمان والارادة ومخطط « حربي » بسيط وسلاح لا يخلو منه بيت في الشوف.

قوة حكومية تطوق الساحة وقوة قومية اجتماعية خفية تطوق هذه القوة من على السطوح ومن جوانب المداخل الى الساحة. القوتان مسلحتان ولكن شتان ما بين

القوتين!!

وصل الزعيم فابلغه القائم مقام وقائد الدرك الاسباب الموجبة للالغاء فأحلمهم الزعيم الى المنفذ العام كامل ابو كامل للتفاوض والمشورة وذلك بناء على اقتراح هذا الاخير.

في هذه الاثناء ، وفي وقت التفاوض والتشاور بدأ الزعيم خطابه وبدأ المنفذ العام يكشف الأوراق المستورة فتبرز الى الميدان ورقة اثر ورقة. هنا سلاح على سطح وهناك سلاح على مدخل ، الخ... مما جعل السلطة المحلية ترى بأمر عينها ان الاصطدام لن يكون لصالحها كما انه لم يعد بإمكانها الغاء المهرجان والزعيم كان قد بدأ الكلام فاخذت تسير وان مرغمة مطالبة بالاختصار الى ان انتهى الزعيم من القاء خطابه هذه قصة اجتماع «عماطور - الشوف» الذي اعتبره الزعيم من ايام الحزب التاريخية.

حكمة او جين

كان لهذا الاجتماع دوي كبير ، انما صلاح لبكي بقي مصرا على موقفه المعتدل يصور للزعيم منافع الاعتدال ويدله على نتائج تطرفه الخطير .

كانت تعليقات المحافل السياسية اللبنانية يومئذ على حدوث هذا الاجتماع مختلفة الدرجات والنسب: فمن قائل ان الدولة حكيمة ومن قائل ان الدولة كانت جبانة ، الخ... ولكن شيئا واحدا كان الجميع مجمعين عليه « ان عملية اجتماع عماطور كانت عملية جريئة - كانت مغامرة - فيها فن وتنظيم وانضباط والاهم كان فيها روح ايمان واستعداد للتضحية يفوقان اي تصور ».

على الصعيد الداخلي في الحزب زادت قوة الحزب ومنعته. كما انه زادت المكافحة له على الصعيد المحلي في الشوف وبدأت المناورات من هنا وهناك ، ان على الجبهة الجنبلاطية متهمة الحزب باليزبكية او على الجبهة المسيحية متهمة الحزب بالميل نحو بني معروف ا في الجبلين ، الشوف و حوران ، محاولة لصق الحزب بجهة معينة فينصبغ بصبغتها ويدخل في الصراع المحلي الضيق الآفاق طرفا قصير النظر ، محدود الرؤيا .

ومنذ ذلك اليوم التاريخي اصبحت منطقة الشوف من قلاع النهضة السورية القومية الاجتماعية وما تزال » .

رحلة الزعيم إلى الشوف:

الرائد - السنة الثالثة - العدد 114 .

قام الزعيم انطون سعادته برحلة إلى الشوف ، معقل الوطنية والشمم والرجولة ،

فاستقبل في جميع البلدان والمراكز التي زارها بمنتهى الحفاوة والتكريم. وقد سار في ركاب الزعيم مندوب خاص من قبل هذه الجريدة، ودون تفاصيل الرحلة التي نحن ننشرها فيما يلي.

قال مندوبنا:

تركنا بيروت برفقة الزعيم الجليل الأستاذ انطون سعادة، وكان بصحبه السيد جميل عازار والسيد محمد راشد اللاذقي وغيرهم من الشباب المثقف صباح يوم السبت الأسبق وكانت وجهة الرحلة إلى بعقلين وعماطور.

سارت بنا السيارة تطوي الأرض طياً فكننا نخترق الجبال التي طالما أرسلت إلى العالم العلم والعرفان ونحاذي الشاطئ الذي يفاخر بحمله مشعل المدينة إلى العالم القديم، الذي أدى الأمانة إلى العوالم المتتابعة. وكنت أرى الأيدي ترتفع من المارة القلائل، بتحية الحزب عندما يعرفون الزعيم فكانوا يدللون على تغلغل العقيدة في نفوسهم وعلى حبهم للزعيم المنطبقة صورته على صفحات قلوبهم.

وصل ركاب الزعيم إلى مفرق بعقلين - دير القمر، وإذا بالجند يعترضون طريقه ويستفسرون عن راكبي السيارة وعمّا إذا كان الزعيم سعادته بينهم. وبقوة شخصية الزعيم عرفوه، فافترت ثغورهم عن ابتسامته، هي ابتسامته التقدير والإعجاب الذين يتواريان وراء ملابس الجندي وراتب الوظيفة، وطلبوا من الزعيم الجليل أن يتفضل لمقابلة حضرة قائمقام الشوف وكان طلبهم مملوءاً باللطف، مقروناً بالمجاملة، فأمر حضرة الزعيم بتغيير الطريق لنقصد إلى بيت الدين، وقد كان. ووصلنا إلى بيت الدين وقصدنا مقر القائمقام.

وفي قصر الأمير الشهابي التاريخي استقبلنا حضرة القائمقام في غرفته بترحيب ودعه، وكان معه اليوزباشي نسيب دحروج، وبعد أن رحّب بالزعيم وصحبه، رجا الزعيم عدم زيارة عماطور بالنسبة لظروف الأمن فيها. وقال: «إنني أرحب بزيارة الزعيم لجميع منطقة الشوف، غير أن عماطور، لظروف غير مناسبة، أتمنى أن تعدلوا عن زيارتها.

فقال الزعيم: «إن مبادئ الحزب هي الوسيلة الوحيدة لحفظ الأمن في جميع المناطق السورية وإنها كفيلة بإزالة جميع الخصومات والحزبيات، ومع كل ذلك عندما أصل إلى بعقلين وأرى الظروف والملابسات، أقدر الموقف وأعمل ما اراه يناسب الحالة. وعلى

رجال الإدارة والأمن أن يطمئنوا لأن حزبنا نظامي وحيث يوجد النظام لا تكون فوضى.

وبعد تبادل عبارات المجاملة والترحيب، ودّع الزعيم وصحبه القائممقام واليوذباشي، وشيعوا منهم بمظاهر الترحيب والإكرام. والحقيقة أن موقف حضرة القائممقام كان موقفاً حكيماً وكان ما قاله حضرة الزعيم هو الحدّ الفصل في مثل هذه الظروف

من بعقلين

تركنا بيت الدين وقصدنا بعقلين وكانت بقايا الثلوج تغمر جوانب الطريق وقمم جبال الباروك. وصلنا إلى بعقلين مركز منفذية الشوف، والشوف، معقل الوطنية وحسن القومية ومنبع الجهاد، الشوف الذي ضحّى في ميادين الوطنية والحرية بكل غالٍ. الشوف الذي يعتز بشبابه ورجاله.

الله، الله! يا شباب الشوف، فأنتم السباقون إلى كل مكرمة، إلى كل ملحمة تنالون بها الشرف، الله الله يا شباب الشوف! الذين تسارعتم إلى اعتناق العقيدة القومية عن عقيدة ثابتة. الله الله يا شباب الشوف الذين نبذتم الحزازات العائلية والإختلافات الشخصية والثغرات الطائفية في سبيل المصلحة العامة. ما أعظم رجال الشوف الذين ينيرون الطريق بحكمتهم امام الشباب فيمهدون العقبات ويذللون الصعاب في سبيل قضية البلاد القومية.

استقبل الشباب الذين قدموا من جميع المناطق موكب حضرة الزعيم بالهتافات القومية وبالتحية الرسمية فردّ الزعيم تحيتهم ثم اعتلى منبر الخطابة وألقى كلمة وطنية وحكمة وإرشاد. ثم تتابع الخطباء مرحبين بحضرة الزعيم مظهريين تعلقهم بمبادئ الحزب وبزعيمه المحبوب. ثم قصد الزعيم وصحبه منزل السيد حسن الطويل للإستراحة وللمقابلة الوجهاء الذين قدموا للتشرف بالتعرف إليه. فقابلهم بكل ترحاب وتبادل معهم الأحاديث الودية التي أظهرت ما تكنه صدورهم للزعيم الجليل وللمبادئ القومية. ثم تعرّف إلى أفراد الحزب، ثم قصد إلى دار السيد اسعد الغصيني، فتناول طعام الغداء بين ترحيب الزجالين والشعراء ثم حضر رسول من بيروت وطلب مقابلة الزعيم فتشرف بالإنفراد محضرته، وبعد انتهاء المقابلة أعلن الزعيم أنه لظروف سياسية حزبية، وجد أن الواجب القومي يدعوه لتغيير برنامج الرحلة ووقوفه عند زيارة بعقلين ليعود إلى بيروت للإشراف على الموقف الذي استدعى رجوعه عن كئيب، لخير القضية والأمة

والحزب، وأمر السيد جورج عبد المسيح والسيد جميل عازار والسيد محمد راشد اللاذقي بمواصلة الرحلة وأنهم عنه. وبعد أن تفضل بتمضية بعض الوقت بين رفقاءه القوميين الذين زادوا بهجة تلك الليلة بملقات الدبكة (الرقص الوطني)، ودّع الجميع وهم آسفون لوداعه وقصد السيارة بين التهافتات والتحيات وسارت السيارة على الطائر الميمون.

في عماطور

الجو مكفهر عاصف والسماء تجود بالمطر الغزير والبرد شديد ولكننا وصلنا مع الوفد الذي انتدبه الزعيم الجليل إلى عماطور نقطة الدائرة وحجر الرحي في الشوف. وفي ساحة البلدة، مكان الشباب القومي قد اصطف بنظام عسكري بديع، شباب عماطور وشباب بعقلين ومرستي وجباع وشباب بعذران وعين قني وحرارة جندل والخريبة وبتاتر وكفرنبرج والمختارة وبطمي يؤلفون الكتائب العسكرية المنظمة ويستقبلون الوفد استقبالاً عسكرياً شائقاً يبعث القوة، يبعث الأمل ويقوي العقيدة. الشباب القومي بقاماته المعتدلة وسواعده الحديدية تلوح على الوجوه دلالات الصحة والشعور بالثبات ويمتاز بنظام الجندية الذي عايناه فأكبرناه واعتقدنا أن الحركة التي يناصرها ويقوم بها يمثل هذه القوة لا بد واصلة إلى الهدف الأسمى والغاية القصوى. ثم استعرضت الكتائب استعراضاً رسمياً، وعلى الأثر قامت أمامنا بتمرينات عسكرية تحت المطر بل البرد المتساقط من السماء بدون أن يبالي به الشباب الذي يستهين بالصعاب. وقد استغرقت التمرينات مدة ثلاث ساعات في وسط الجو الماطر العاصف وذهب في الخيال إلى المستقبل الذي سيوجد لنا جيشاً منظماً نواته هؤلاء الشباب بل هذه الكتائب العسكرية التي نفاخر بها والتي برهنت بصرها وتحملها أنها تضم قلوباً امتلأت بالحياة ونفوساً شعرت بالعزة والشمم، فسارت للذود عن الوطن ولبناء الكيان القومي الذي يضحي كل واحد في سبيله بدمه وماله، بجهد وجهوده.. وبعد الإستعراض ألقى السيد جورج عبد المسيح كلمة تشجيع وإعجاب تم ابلغ الشباب سبب عدم اتمام الزعيم زيارته لأسباب قومية. وتلا عليهم خطاباً وجهه اليهم الزعيم الجليل بصدد عدم تمكنه من زيارتهم. ثم سارت الكتائب وهي تشد نشيد الحزب إلى منزل السيد بديع عبد الصمد حيث اجتمعت لسماع كلمة ألقاها السيد محمد راشد اللاذقي حضهم فيها على حفظهم للنظام وأبان لهم بعض إيضاحات ضرورية ندد فيها ما يشيعه اعداء واخصام الوطن عن الحزب وحركته.

وجاء وفد من الوجوه والأعيان لتحية الوفد السوري القومي وإظهار تقديرهم لمبادئ الحزب والإستراحة في منازل القوميين. صحبنا الوفد لرد الزيارة لبعض وجهاء البلدة. وكان برفقتنا الوجيه يوسف قاسم باز من بعذران وبعض الشباب القومي.

« الشباب يتفق ونحن استغللنا - إن عماطور لم تعرف الراحة بسبب الحزازات الصغرى العائلية.. وكانت الحوادث تتوالى علينا حتى وصل المبدأ القومي القويم إلينا. ومنذ المخراط الشباب في مسلكه ارتاحت افكارنا بعد أن كنا نعتقد أننا لن نرتاح». هذا قاله الشيخ الوجيه محمد قاسم عبد الصمد عندما زاره الوفد. ثم تشرفنا بزيارة الوجيه الشيخ أبو محمد قاسم أبو شقرا برفقة الوفد. وقد قال حضرة الشيخ الجليل: «أهنىء الزعيم الذي أوجد فكرة الحزب السوري القومي السامية ومبادئه القويمية التي أثبتت أنها تفوق وتعلو عن غيرها من المبادئ والمؤسسات لأنها دعوة حق ولأنها تدعو لإزالة الحواجز والفوارق بين جميع العائلات والطوائف». أما الأستاذ علي بك عبد الصمد الشاب في عزمته والشيخ الجريء بآرائه فقد أظهر إعجابه بالزعيم والحزب وبمبادئه وقال: «إن داري هي دار كل سوري قومي وكل وطني يعمل في سبيل أمته ووطنه». وقد أظهر الوجهاء الذين زارهم الوفد كل اكرام وحفاوة ليست غريبة عنهم.

الزعيم في عماطور

وكالبرق في سرعته، تناولت الأفواه في اليوم التالي خبر وصول حضرة الزعيم لجليل إلى عماطور قبيل غروب الشمس، وبسرعة متناهية وبدون أي إشارة لوصوله. ورغم ذلك، دخل الزعيم إلى عماطور برفقه منفذ عام المنطقة السيد كامل أبو كامل بين صفوف أعضاء الحزب ووجهاء عماطور وأعيانها والهنافات له نشق عنان السماء.

وعلى الفور استعرض الزعيم فرق الشباب وألقى فيهم كلمة قيمة ثم قصد وصحبه منزل الشيخ محمد قاسم عبد الصمد حيث توافد عليه الوجهاء والأعيان لتحيته والترحيب بقدمه، معربين عن تقديرهم بجهوده وتضحياته والمبادئ القومية التي سنّها للسير عليها، لخير البلاد والأمة. ثم أقام الشباب ليلة ساهرة وأخيراً توجه الزعيم إلى منزل السيد علي أبو شقرا للمبيت فيه. وفي صباح اليوم التالي الثلاثاء تقاطرت وفود السوريين القوميين من جميع قرى الشوف إلى عماطور للاجتماع بالزعيم الجليل وبعد أن تفضل الزعيم الجليل بفض خلاف مستحکم بين بعض أهالي عماطور إستعرض فرق

الشباب وألقى فيهم كلمة قيمة مملوءة وطنية ثم تناول طعام الغداء مع صحبه في منزل الشيخ قاسم أبو شقرا بين ترويد الهازيج والأزجال وخطب الخطباء والشعراء . وبعد أن زار بعض وجهاء البلدة ركب وصحبه السيارات حيث ودّع سكان الشوف وودعوه بمظاهر الترحيب والتكريم والتهنئة الحاد . ومن دواعي السرور أن تكون رحلة حضرة الزعيم إلى عماطور أزالته الخلافات المتحكمة والحزازات المستعصية وجعلت روح الوثام والسلام ترفرف بجناحيها على جميع مقاطعة الشوف . وقد شاهد كل ذلك عياناً أفراد الدرك الذين وُجدوا في عماطور للمحافظة على الأمن . وهذا يبرهن أن السوريين القوميون يحافضون ويعملون لنشر السلام في جميع الربوع .

إلى هنا انتهى كلام مندوبنا ، وإننا نشاركه في الإغتناب بالنتائج الجميلة التي أدّى إليها عمل السوريين في تلك الربوع في إحلال السلام وتقريب القلوب وجمع الكلمة ومحاربة الطائفية والرجعية .

ونشر فيما يلي بعض الخطب التي قيلت في استقبال الزعيم!

كلمة السيد بهجت عبد الصمد

زعيمنا المفدى!

حللت أهلاً ووطئت سهلاً . فأنارت بقدمك ربوع الشوف وغردت أطيافها على أغصانها طربة مستبشرة مرحبة بقدم الرجل الوطني الفذ والمنقذ الحر الأبي والمرسل الصادق من قبل الحق عزّ جلاله لتخليص هذا الوطن المجزأ من نير الطامعين وتوحيده والسير به إلى المثل الأعلى . فيحقّ لهزه الجماهير الشاخصة اليكم بنظرات مملؤها الإعجاب واليقين أن نفيديكم بأعز ما لديها ؛ دماء يغلي في عروقها لعداء الوطن المشتت ومال تبذر ، لإنقاذه وتخليصه . كيف لا وأنتم أول وطني حر وصادق أمين ظهر في هذا الوجود المفعم بالأنانية والخبث والمكر . لقد مضى ما مضى من العمر الغابر ، عمر انقضى بالخبث والنفاق ، عمر مضى وأفراده خاضعون لرؤساء الأديان مستسلمين للمتزعمين النازعين مقيدون بأوامر الرجعيين . نعم ، كلنا شاعر بهذا النير الثقيل الغاشم ولكن ، ما كاد صوت الحق يخرج من ضلوعكم الصلبة حتى امتلك قلوب الأحرار وعاد بها من الجحيم وأرجف قلوب الخونة فرقاً وأماهم إلى أصنام لا يعلمون إلى أي شيء يلجأون . وهرب المقيدون في زعمائهم كالعبيد ، ولكن إلى أين ؟ إلى الحق وإلى النور ، إلى منقدها من وهدة شقائها ومخلصها من الفساد والإستعباد إلى محررها

الصادق الصبور.. أنظر إلى هذه الوجوه الباسمة المنتشرة حولك ترها جزله مجلول
السعد والنصر، رافعة رؤوسها إلى السماء طالبة تحقيق ما أنتم عليه عازمون، متيقنة من
فوزها بحية زعيمها الأبي.

كلمة السيد حسن الطويل

يا لك من يوم ميمون الطالع، انتشرت طيك أنوار الغبطة على روابي الشوف
وخفقت قلوب الشباب القوميون من ابنائه ابتهاجاً بنعمة امتلاء طلعة زعيمهم المحبوب
ولكن، آه. من هم أولئك الذين كادوا بوجوههم الشاحبة المكنهرة يشوهون فرحنا
بهذا اليوم السعيد..، من هم أولئك الذين بخطواتهم المرتبكة ووجوههم المخيفة جعلونا
نتساءل بتشاؤم قائلين: هل من حادث جلل؟ وإذا بقائل يقول: هؤلاء هم الرجعيون
هؤلاء هم النفعيون أعداء الحرية الوطنية ومقاومو التعاون الشعبي، هؤلاء هم
الإقطاعيون أصحاب الزعامات الفارغة الطافحة صدورهم بالنيات الفاسدة..، والمملوءة
بالمقاصد الشخصية الممقوتة. أجل هؤلاء هم الرجعيون راعهم هجوم زعيمنا الجبار على
الشوف معقل الرجعية الحصين فتنادوا لصدّه قائلين: عجبا! أبطاردنا هذا الرجل في
عقر دارنا! فلنخفض شوكته ولنعدده من حيث أتى خانعاً مقهوراً. ولكنهم ما ان
حانت ساعة اصطدامهم به حتى تراجعوا مرتعبين تراجع الذئاب الجائعة عن فريستها.
وقد أنذرنا الزائر المرعب بقدم الليث الرهيب! فيالك من اسد هصور ويا لك من
ضيغم فحام أيها الزعيم!

حتمتلك الحرية الحمراء رسالتها إلينا فسرت لتأديتها بهمة لا تعرف الكلل وصبر
ليس بعده صبر، سالكاً طريقاً وعرة استعرت فيها عراقيل المستعمرين وأحاييلهم
تكنيها وشايات الخونة الأندال من أبناء هذا الوطن، فما كنت لتبالي بكل هذا
وها أنت قد وصلت، وها هؤلاء الذين ألقىت فيهم رسالتك وصحت فيهم صحيتك
قد التفوا حولك هاتفين مهللين: ليحي الزعيم. نعم ليحي الزعيم. ليحي أيها الشباب
هذا الذي جعل منكم قوة هائلة بدأت تتحرك بحمية وحزم لتحطم مطارق نهضتها
سلاسل العبودية المرهفة ولتقوض معامل اتحادها أركان التعصب الطائفي وتحمد
مضخات تعاونها نيران التفرقة السياسية المهلكة التي رُمينا بين أشداقها لتجعل منا لقمة
سهلة الازدراد.

ليحي أيها الشباب هذا الذي جاءكم وأنتم في ظلمة الخنوع وحلقة العبودية حاملاً

مشكلة الحربة بكم إلى حيث الرفعة والمجد . مجدّوا وراءه أيها الشباب واهتفوا له من أعماق قلوبكم قائلين : إننا سنكون أبداً عند حسن ظنك يا زعيم . لا نتردد عن اقتفاء خطواتك ولو لقينا المتون ، فإننا لقوم نرى المتون لأجل المجد يهون . فسرّ بنا إلى حيث نرتشفه . فإننا لارتشافه في سبيل بلادنا لمعتشون .

كلمة مدير المنطقة

ربوع الشوف وأهالي الشوف وقهاري الشوف وأزهار الشوف ، كلها باسمه مبهجة بقدمكم وملقاكم ولكنها تؤمن وتصدق أنك المنقذ الوحيد للوطن العزيز .. ومن لا يؤمنون فأولئك هم الخونة الماكرون وأولئك ليسوا من ربوعنا ولا نحسبهم من مواطنينا . إن الشوف ذلك البركان المتأجج الوهاج ، يأبى إلا أن يضم كل صادق العزيمة ، طاهر النفس ، خالص العقيدة ثابت الإيمان .

أيها الناس !

هذا منقذكم ، فلبوا نداءه . كفافكم تمسكاً بأذيال من تحسبونهم مخلصين وهذا زعم باطل . كفافكم تمرغون جباهكم على أعتاب المتزعمين الذين يقودونكم كالأنعام حتى إذا بلغوا ما ينشدون يقفلون أبوابهم في وجوهكم وينسون النعمة التي أسديتموها نحوهم . لقد آن لكم أن تتفهموا غاياتهم الخبيثة فتنبذوهم ببذ النواة . ما بالكم لا تتحدون لتفهموا أولئك المتزعمين أين يصبحون وكيف يذّلون . ألا تعلمون أن الدوام على حالة واحدة يبعث اليأس والضجر في النفوس ، وأن الماء إذا مكث طويلاً في مكانه يأسن . أنتم تتعادون وتتقاتلون وهم في مراكزهم يتنعمون . ارجعوا إلى ضمائركم فتقرأوا فيها الوعد القادم . وانظروا في وجوه أترابكم تروا أنها صفراء كاسفة اتركوا هؤلاء المتزعمين ، علموهم كيف يهزأون بالشعب ، برهنوا لهم أن القوة معكم فإذا حرمتوهم منها يموتون . تحرروا من قيود العبودية الثقيلة وانزعوا من رقابكم اغلال الرق والاستعباد فتعيشوا أحراراً مخلصين ، وأقبلوا جميعكم على هذا المبدأ القويم الذي وُلد الهدى بولوده وانتشع غيب الضلال ببزوغه . فهو يشرفكم ويهذب نفوسكم القدرة لمعاشرة الزعماء الفارغين . ليعلموا أننا الصادقون العاملون والأحرار المخلصون . نحن أتباع السلام . نحن نبتمس اليوم بملقى زعيمنا مبدع هذه الفكرة العظيمة ، ولكن في نفوسنا أفئدة تكاد تتميزق غيضاً على الرجعيين وعلى أتباعهم الضالين .. ألا أيها الرجعي المتطفل وأيها المتزعم الماكر اعلم : إذا رأيت ثوب اللبث بارزة فلا تظن أن اللبث يبتسم .

كلمة السيد توفيق سالم

وأعجبه لقد حضر! إني أراه جالساً بين هذا الجمع المحتشد، باسم الثغر، طلق المحيا، تحفّ به المهابة وتنبعث من عينيه أشعة تحرق أعماق القلوب. وقف فتهت عجباً، ونطق فقلت إن من البيان لسحراً. هذا هو زعيم البلاد وابنها البار حامل لواء نهضتها وحامي زمام حريتها. فتيهي عجباً بما أنجبت من رجال.

قولوا لهم لقد خرج من عرينه وقاست قيود الليث وأن الحجر الذي رفضه البناؤون صار رأس الزاوية. ومن له اذنان للسمع فليسمع.

ليبك أيها الزعيم، فحولك عصبية من الشباب الحر تعرف واجبها وتقدس زعيمها لها قاضٍ شريف يشهد لها في مواقف عديدة.

« وأيامها مشهورة في عددها لها غرر معلومة وحجول »
هي للوطن والوطن لها. لبست لغيره وليس لغيرها فيه قوتها وحياتها وعلى مذابح الوطنية تسيل نفوسها طائعة صاغرة.

أيها الشباب الناهض هوذا زعيمك المحبوب يسير أمامك بخطى ثابتة نحو العلاء لا يثني عزمه الشدائد ولا تهوله الأهوال مضحياً بكل غال ونفيس في سبيل غايته السامية ومبدئه القويم. فإلى الموت، إلى الفناء، إلى الإضمحلال إذا دعا داعي الوطن. ومن الجبال إلى القنال بقلب واحد وصوت واحد. أيداً الله الزعيم ورفاقه الكرام. والسلام.

كلمة رفيق حماده

أحييك يا خافقاً في الفضاء
أحيي بظلك طوداً أنتم
لوائمي يجذعك هذي النفوس
سننشر عهداً طواه الزمان
رفاقي اهتفوا للعلی صارخين
ويا غرّة في جبين الزمن
ومن حوله قد احاطت قن
تسيل إذا ما كثرت فن
ولو صدعتها صفوف المحن
ليحيي الزعيم ليحيي الوطن

كلمة السيد سليمان عبد الصمد

مولاي الزعيم!

انتم القوي التي نترجى ذات يوم أن تنعش الآمالا

انتم الكف والحسام فشلوا كل عضد ترون فيه إختلالا
لكم الزعامة الأولية ولنا الفخر بزعامتكم الحقيقية. لكم السيادة العلية ولنا
الإعتراف بهذه السيادة التي غرست فينا الحرية وانتشلتنا من أياب الرجعية الخبيثة
التي بعثنا من الحشر إلى النشر، من الجبن والخمولة إلى الجراءة والقوة. لكم القيادة
العظمى ولنا الفخر بهذا الإنقياد في سبيل مبادئنا القومية. لكم سلطة التشريع في هدفنا
النبيل السامي ولنا النضال الحقيقي لقتل الروح الرجعية وكل أركان الإقطاعية
والزعامات النتنة. وأخيراً لكم الهنا بقوميتكم الحديثة النهوض ولنا السعادة الحقيقية
بكم.

أيها الإخوان!

يا من تغدون أرواحكم بحياة بلادكم عليكم أعقد الأمل. يا فتیان الزوبعة الحمراء،
قصد أن تتوقفوا لتعزيز الوطن والذود عن حياته فإننا في عصر يستنكر فيه الإنحطاط
وها قد فسح لنا المجال فلنجمله بأثار الشهامة حتى إذا نشرنا في الصدور نفوساً كبيرة
أعدنا للشرق بهاءه القديم وكتب لنا في الصحائف الفضل آيات ذهبية يتغنى بها الخلق
عصراً بعد عصر.

حقاً إن لبلادنا حقاً تطالبكم به أيها الشباب القوميون.

فاسمعوا صوتها الصارخ ولبوا نداءها العالي وموتوا في سبيل حريتها. يجب على كل
واحد منا نحن أبناءها، أبناء الأحمر الدامي أن ينافس أخاه في القيام بهذا الواجب،
ويزيد عليه ليكون ممتازاً على أقرانه بشيء في خدمة بلادنا المحبوبة. وأنت أيها
الزوبعة الحمراء إعترّي وفاخري بفتيانك الأبرار الذين فتحوا ما ضمت صدورهم من
كنور الفتوة وملاؤا قلب البلاد عزماً وحاساً ورؤسهم حكمة وحركاتهم نظاماً فسيّدوا
قضيتك إلى هذه النقطة الجاهزة رغم الإضطهادات والمقاومة. ختاماً إليك نوجه شكراً
وثناءنا يا من أسست ووفرت سعادتنا وأنعشت آمالنا أتوجه والخشوع يلاً جوارحي
إليك يا رجل الإقدام والجرأة؛ يا من ناديت بالحق والحق منكر. يا من شرفت
ياقدامك وألزمت الكلّ باحترام مبادئك القومية، يا زعيم.

كلمة الأستاذ ودیع حدّاد

أيها الربيع ته دلالاً وبشراً زارك اليوم سيد الشرق طراً
الزيم الجليل من شاد مجداً طبق الخافقين برراً وعبرا

يا بني الشوف رحبوا بزعمي
وتقفوا باسم الزعيم المفدى
مخلص زاد شوفنا اليوم فخرا
يا رفاقي الكرام سرّاً وجهرا
زعمي المفدى، إخواني الكرام.

منذ أسبوع وهذه الكلمات اللطيفة يرنّ صداها العذب في أذني: متى سيحضر
الزعيم؟ متى سيحضر؟..

الزعيم: هذه الكلمة الهنّاءة الخلاية، الآخذة بمجامع القلوب.
الزعيم: هذه الروح الشريفة، الوثابة التي ستقضي على العنعات الطائفية والنعرات
المذهبية التي ولدتها المحبة الذاتية.

الزعيم: هذه الهبة السماوية التي هبطت على البلاد السورية فنفضت عنها نير الرّق
الزعيم: هذه الآية الذهبية الموحى بها إلينا، الداعية إلى التفاهم والسلام والإتحاد.
الزعيم: هذه القوة الغالبة التي ستهدم كل بناء قوضت أركانه العواصف القواصف،
نبيي على أنقاضه بناءً قومياً ثابتاً يصمد للأنواء الأعاصير النائرة.

الزعيم: ابن الجبل الأشم اللامع في جبهة الشرق، الزعيم الجليل المفدى، هو الآن
بيننا فبشرا لكم أيها الشبان القوميون.

الزعيم: هذه الشعلة الإلهية التي أنارت المشرق.

حضرة الزعيم الجليل،

ليبك مرنا فإننا لانزال على
مرنا فنقتحم الموت الزؤام ولا
نخشى المواضي ولا تنبومواضينا
مرنا فإما إنتصار مسعد وطناً
لنا، وأما هلاك فيه يميننا
مرنا فأرواحنا في الحرب نبذلها
إنّا نموت لكي تحيا مبادينا

★★★

جاء في مخطوطة جورج عبد المسيح عن يوم عماطور ما يلي:

« إن الفترة بين السجنين الثاني والثالث تميزت بنشاط لم يقم بمثله الحزب في أي دور
من ادواره. فقد كثرت الاجتماعات العامة في المناطق فلم تخل منطقة من زيارة واجتماع
عام. وكان ذلك السماح من السلطات العليا ثمناً عما بذفناه في حوادث بيروت
وطرابلس وما قام به الحزب من خدمات في منطقة العلويين خاصة بالنسبة إلى وضعها
الخاص. وكانت الرحلات كثيرة جداً إلى جميع المناطق. أما ما جعل ليوم عماطور
ذكرى خاصة فلأنه سجل للحزب انتصاراً باهراً بقيادة الزعيم.. تقرر أن يقام في

الشوف اجتماعان واحد في بعقلين يدعى اليه القوميون حول البلدة ومن المناصف ودير القمر وآخر في عماطور للشوف الأعلى. وكان ذلك ليتاح لغير القوميين الاجتماع إلى الزعيم وبمحت الشؤون التي يرغبون في بحثها.

عقد الاجتماع الأول في بعقلين فحضره عدا عن القوميين جمهور كبير من أهل البلدة والقرى المجاورة وكان ذلك في فسحة بيت الامين حسن الطويل حماده. وما يجدر ذكره هنا أن الشيخ منير تقي الدين مدير الدفاع الحالي كان من الأعضاء العاملين الأشداء في ذلك الحين. «وإني أدون هنا أن الشيخ منير في زمن الدعاية لنيابة أخيه عام 1947 كان يذكر القوميين الاجتماعيين بأنه واحد منهم». وبعد ان ذهب جميع الزائرين الذين جاؤوا للتسليم والتحية تلك الليلة بعد الاجتماع وسام خطاب الزعيم وصل خبر من بيروت بان السلطات غير راضية عن اجتماعاتنا هذه. وأن الحالة غير مرضية وان مجلس الوزراء وفخامة الرئيس قد اجتمعوا لاتخاذ قرارات زاجرة بحق الزعيم والحزب.

وتحاشياً للتصادم نزل الزعيم إلى بيروت بعد أن كتب كتاباً للأعضاء في الشوف الأعلى وطلب إليّ ان احمله إليهم وألقيه في مديرياتهم في اجتماعات خاصة.

ذهبنا تلك الليلة إلى عماطور وأرسلنا الرسل إلى جميع القرى الحزبية وهذا يعني جميع قرى الشوف على الاطلاق نعلنهم ان الزعيم لن يحضر إلى عماطور واننا الغينا الاجتماع العام. ولكن ما كادت الشمس تبرز حتى كانت حشود القوميين والانصار تندفق على عماطور بالرغم من الاعلان. وكان ذلك لظنهم أن دار المختارة - جنبلاط - كان السبب في هذا التمتع وهم يعرفون العدا الذي اعلنته ضدنا الست نظيرة وصهرها المرحوم حكمت جنبلاط.

وكان ذلك اليوم مطراً جداً فهو في يناير كانون الثاني من عام 1937 وبعد قراءتي كتاب الزعيم بلغ الحماس اشده فاضطرت ان ابرد من هذا الحماس خوفاً من عاقبته خصوصاً وهو موجه ضد - دار المختارة - فامرت الرفاق بان ينتظموا صفوفاً للاستعراض وبقينا نقوم بمركات تدريبية حوالي الساعتين تحت المطر الغزير.

وبعد الانصراف وقد اصبحت ثيابنا جميعاً مبللة - حتى الجلد - دعيت إلى بيت النقيب المتقاعد ابو شقرا وكان تقاعده قسراً مع صغر سنه لأنه من حزب لا ترضى عنه الست نظيرة. وقد قال لي: «لقد حضرت معارك واستعراضات منذ زمن الأتراك حتى اليوم وبما ان المعنويات هي التي يُعتمد عليها في الجندي فاني فخور أن

اقول لك اني لم أر أقوى من معنويات هذا الجيش الغير مدرب المتطوع ولا غرو فالمبادئ تخلق الرجال» .

عدت إلى بيروت بعد ظهر ذلك اليوم لارفع تقريراً للزعيم ففعلت من رجوعي المستعجل لأنه كان قد امرني ان اجوب المنطقة واجتمع بالقوميين في قراهم فاخبرته بالواقع فقرر زيارة المنطقة بنفسه وعدنا في ذات اليوم إلى الشوف إلى عماطور . وصلنا البلدة عند المغيب وترجل الزعيم في اولها لأخذ قسط من الراحة قبل دخول البلدة بعد هذا السير الطويل وعمل النهار المضي . وتصادف مرور احد رجال القرية وقد عرفني واشتبه بان الزعيم نفسه معي . فحيانا شأن اهل القرى بلطف واكمل سيرة وفي اقل من ربع الساعة كانت عماطور كلها في استقبال الزعيم خارج البلدة . وسرنا إلى البلدة لنحل في دار الشيخ ابو سليمان عبد الصمد وهو الشيخ العقل اليوم . (اغسطس 1949) .

وكان الشيخ عبد الصمد رجلاً تقياً ورعاً ترك العالم بعد ان أسس بيتاً متيناً وانزوى في الخلوة للعبادة وانقطع عن زيارة بيته إلا لحاجات ملحة . وما ان عرف ان الزعيم في داره حتى اتى لاستقباله ورحب به ترحيباً حاراً وباركه وبارك عمله ومما قاله الشيخ سليمان « أن الحزب لو لم يعمل شيئاً إلا ما عمله في عماطور لكفى . كنا قبل دخول الحزب الى عماطور في قتال مستمر بين عبد الصمد وابو شقرا . وكانت الجرة على العين إذا انكسرت تسيل الدماء بين الطرفين . اما اليوم فكلهم كتلة واحدة . اخوة في القومية والمبادئ ولم يتوقف القتال فحسب بل تحت جميع الضغائن القديمة » .

« والشيخ عبد الصمد كان من المشائخ الذين ساعدوا على افهام مشايخ خلوات البياضة بان الحزب ليس ضد الدين ابداً » .

كانت نية الزعيم ان يزور جميع القرى كل واحدة بمفردها على ان تتم الزيارة بسرعة في يوم واحد أو يومين فيمرّ بكل قرية مقدار ساعة وينصرف منها إلى الأخرى على ان يبدأ « بنيحا » لأنها الأبعد من جهة الجنوب وينتهي في الخريبة والجديدة . وبعد مداورات رأى الرفقاء ان يجددوا الدعوة للقرى للاجتماع في عماطور فلا يقال ان الدار تمكنت من كسفتنا مرتين وهكذا كان وعند منتصف الليل توزع الرفقاء لدعوة القرى . والذي يُعرف ان بعضها يبعد حوالي اربع ساعات مشياً على الأقدام من عماطور وان الرفقاء منها كانوا في عماطور بعد ظهر ذلك اليوم وانهم عادوا فأتوا ومعهم عدد اكبر من الاصدقاء في اليوم التالي يقدر الحماس والحب للزعيم الذي في

صدر هؤلاء الرفقاء الابطال .

وصل الخبر ان الزعيم في عماطور وعند منتصف الليل وصل الاستاذ صلاح لبكي ليعلم الزعيم بلهجة المحامي الشاعر ان الدنيا في بيروت قائمة قاعدة وان بقاء الزعيم في عماطور يمكن ان يسبب اموراً عظيمة جداً . ولكن الاستاذ صلاح اضطر ان يرجع وفي يده كتاب من الزعيم إلى رئيس الوزراء ووزير الداخلية يعلن فيه ان ما يحصل في الشوف إذا كان بسبب الحكومة فالحكومة مسؤولة عنه وإذا كان بسبب وجودنا فنحن مستعدون ان نتحمل المسؤوليات وانه على هذا الاساس قرر ان يبقى في الشوف وان يجتمع إلى القوميين في عماطور نفسها .

اما الاستاذ صلاح فلم الكتاب إلى قائمقام الشوف لأن ما قام به من تهويل وتوهيم كان بتكليف من صديقه المرحوم حكمت جنبلاط وقائمقام الشوف ووزير الداخلية ولم يكن صحيحاً ان الوزراء اجتمعوا أو قرروا وان الدنيا قائمة قاعدة بل ظهر الامر معكوساً لأن السلطات كانت ترغب في الحد من نفوذ الست نظيرة في الشوف لتعيد التوازن .

وفي اليوم التالي احتشد القوميون والانصار والمتفرجون في عماطور فضافت البلدة بضيوفها . ووصلت قوة كبيرة من الدرك على رأسها الرئيس نسيب بك دحروج والقائمقام . وطلبا مقابلة الزعيم فقابلها في دار البلدية . ولا بأس ان ندون هنا ان الدرك دخلوا إلى ساحة البلدة جميعهم وأنا أخذنا الحيطه واحطناهم بقوى مسلحة لنشل كل حركة يمكن أن يأتوا بها . وعندما تباحث مع نسيب بك لفت نظره إلى الخطأ الذي ارتكبه فأبدى رأيه في الأمر ولم يكن يخرج عن انه قصد ذلك حتى إذا امر بالعنف يسهل علينا منع العنف وتكون القضية في صالحنا فهو أيضاً كان من الذين كرهوا حياة التدخل بشؤونهم واعماله كقائد للمنطقة .»



قصة في عماطور

« عندما وصلت قوات الدرك إلى عماطور صباحاً وعلى رأسها القائمقام والقائد نسيب بك دحروج ، وكان في النية اعادة الزعيم عنوة إلى بيروت ، كان الزعيم يأخذ طعام الصباح عند مختار البلدة في ذلك الحين وكان بيته في أقصى جنوبي البلدة .

عندما وصل رسول القائمقام إلى بيت المختار كان القلق قد عمّ في القرية خوفاً من حصول اصطدام، فقال الزعيم للرسول، « نعم نحن آتون حالما ننهي قدح الشاي ولكن بما ان حضرة القائمقام لم يأت إلى هنا فأنا لا اذهب إلى البيت الذي هو فيه. يمكن الاجتماع في دار البلدية فهو للجميع » وهكذا تمّ. وبعد أخذ قدح الشاي كان الحضور قد « بردت دماؤهم » عندما رأوا الزعيم يتابع حديثه الأول كأن الأمر الآخر لم يكن. وسرت عدوى رباطة الجأش إلى الجميع. ومشت الأخبار في القرية ان الزعيم لم يأبه لوصول القوات فسرى الاطمئنان في النفوس التي كانت قلقة.

جئنا إلى دار البلدية ودخلت وراء الزعيم - لأنني كنت مرافقه الخاص الدائم في الرحلات - إلا إذا صدفت في وقت اكون فيه في رحلة اخرى - وعند دخولنا قال لي القائمقام « نحن نريد أن نحدث سعادته وحده » فلم التفت إلى قوله وتجاهلته تماماً فاعاد الضابط القول فلم التفت. ثم نهني الضابط بصورة خاصة « يا استاذ من فضلك نحن نريد ان نكلم الاستاذ سعادته وحده » فلم ابال ولم التفت اليه فنار القائمقام وقال « ألا تسمع يا شب نحن نريد أن نكون وحدنا » فكان كلامه دون جدوى وبقيت واقفاً ولم انظر اليه.

فقال الزعيم عندئذٍ « يمكنك ان تتركنا يا امين عبد المسيح » فأخذت التحية الرسمية وخرجت بنظام عسكري حالاً: وكان لهذه الحركة رهبة في قلب القائمقام. خصوصاً بعد ان عرف اني احمل شهادة الجامعة العليا. وكان لهذه الحركة ايضاً اثر بعد ان اعلنت خطة تطويق الدرك لتسيب بك».

تظاهرة وشكوى.

« وفي رجوعن ذلك المساء بعد يوم تاريخي في عباطور كانت سيارات الدرك الثماني عشرة تواكب سيارتنا وعند وصولنا إلى مدخل المختارة أوقف القائد سيارات الدرك لتنفصل عنا فوقفنا في أول البلدة وانتظرناها وهكذا أجبرت القوة ان تواكبنا مما ساء - الدار - ورفعت الشكوى على الدرك الذين اتوا ليفرقونا فتظاهروا معنا امام - دار المختارة - ».

الزعيم يُكرم الشهيد حسين البنا

كان ذلك اليوم، يوك تكريم الزعيم للشهيد حسين البنا، يوماً مشهوداً، في شارون. وقد سماه عجاج المهتار الذي اشترك في ذلك الاحتفال الشعبي الرائع «يوم شارون» وفيما يلي ما يرويه عنه: «بعد خروج الزعيم الخالد من السجن - الحبسة الثانية - وكان سمع طبعاً باستشهاد الرفيق حسين البنا، وسمع هتافات القوميين الذين تظاهروا حول سجن الرمل بعدما حضروا مأتم الشهيد المذكور، لهذا قرّر على الفور اقامة المهرجان لتكريمه في مسقط رأسه شارون، وعمّت المناعي والدعوات على أن يكون مكان التجمع في صوفر، وفي الموعد المحدّد زحفت الموكب، والعدد بالألوف، بقيادة الزعيم إلى شارون سيراً على الأقدام لأن طريق السيارات لم تكن قد وصلت إلى شارون

• كان المهرجان رائعاً وخطاب الزعيم أكثر عظمة وروعة وهو من وحي الساعة: الشهيد الأول في الحزب، والأهم في فلسطين ولمصارعة التنين.

* * *

من تأبين الزعيم:

لم يصل إلينا عن هذا التأبين إلا ما ورد في «سيرة شهداء الحركة السورية القومية الاجتماعية» الجزء الأول، انقله بحرفيته: «ولاستشهاد الرفيق حسين البنا معانيه وقيميته في تاريخ حزبنا فهو أول شهيد من الحركة السورية القومية الاجتماعية يسقط في الصراع القومي المسلح المباشر ضد اليهود». هكذا وصفه سعادة في حفل التأبين الشعبي الذي أقيم له في مسقط رأسه شارون.



شهادة حق:

وقد ألقى عجاج المهتار قصيدة في هذا المهرجان تحت عنوان « شهادة حق » وهذا

نصها:

« راح الخريف، وطلّ عالمج الربيعُ
لما ابتدينا غوت كرحال الحياةُ
بالورد... والراعي جمع شمل القطيعُ
صرنا شهادة حق عمدها النجيعُ

★ ★ ★

لما وثبنا صفوف ومشينا جنودُ
النير انكسرُ وتحطمت هاك القيودُ
وصرنا نشكّ عظامنا سياج للحدودُ
وبرج الكرامة بسورية اصبح منيعُ

★ ★ ★

موت الشهيد الحسي في ظلّ القنا
مكّن اساس الزاوية بركن البنا
عأرض طالبها الدخيل وهي لنا
والحق بيّن، ما بقي ممكن يضيعُ

★ ★ ★

بصروحنا قامت دعائم اربعةُ
وحصن المبادي عاهدير الزوبعةُ
ورموزها بروح الحياة مشبعةُ
رغم الأعادي صار بنيانو رفيعُ

★ ★ ★

مشيت جحافلنا على ساق وقدمُ
والبرج، مها بريح عاصف ينصدمُ
ولّي صدمنا قرقرش كواعو ندمُ
بيظل عالي... والهوا يرجع صديقُ

★ ★ ★

وبلادنا بالروح قمنا نفتدي
ولّي بيقصدها حانا بعندي
وعدرونا بنور المبادي منهتدي
ما يستطيع يذلّنا، ما يستطيعُ

★ ★ ★

كانت هذه القصيدة مفقودة وقد كان من حسن الحظ إن وجدها « المهتار » بعد تفتيش دقيق في محفوظاته القديمة اجراه خصيصاً ليصير نشرها في هذا المجلد « من الجعبة ».

ومهما علينا الضغط مطرقتو ضربُ وتجمهروا الأخصام افواج وصربُ
لابدًا ما كنوز الحقيقة تنعربُ وروح السعادة تسود عبلاذ العربُ

والزوبعة بتخفق على روس الجميع»

بعد التابين:

• بعد نهاية المهرجان وتفجير المقلع شكّل الزعيم فرقة لتقصب الحجارة والنحت والتعمير، من ثلاثة أعضاء هم محمد الباشا، محمد القاضي والمهتار، وكانت جولة للفرقة على كل قرى الجرد بتمشيطة ناجحة باستثناء «مجدل بعنا» التي فجرها المقلعجي فيما بعد وحكايتها طويلة، المهم كان إقبال الناس بالميات بصوت صارخ: «ما بدنا شرح، المشهد وخطاب الزعيم وبس» كانت الليلة الأولى في شارون وتدققُ الناس أجبرنا على وضع الحراس لتنظيم المرور، ودخل عشرات بينهم بالطليعة رشاش الصايغ ونجم الأهدية».

مَعْلُومَاتُ عَامَّة

محاضرة الاديب توفيق يوسف عواد

محاضرة الأستاذ توفيق يوسف عواد على خريجي الجامعة الأميركية في بيروت في 18 كانون الاول 1936 وهذه هي عناوينها البارزة.

نشاط الشباب العربي بعد الحرب الكبرى وتشكيلاته السياسية. شباب ما بعد الحرب وسلطان المخضرمين.

فرق الكشفة - جمعية مصر الفتاة - عصبة العمل القومي - الحزب السوري القومي - نادي المثني - الشباب الوطني - الشباب الوفديون.

احلال العقيدة محل الحاسة - تناول الأمة من الاساس - غرس الروح العلماني وتعميمه - النظام محل الفوضى والفردية - ادخال الوطن الى البيت.

جمعية مصر الفتاة .. عصبة العمل القومي ... الحزب السوري القومي الاجتماعي

وكان من الواجب ذكره قبل الهيئتين المتقدمتين، لأن تاريخ تأسيسه سابق لهما، ولكن الحزب كان سريراً ثم افترض، ففضلت ان اتخذ تاريخ ظهوره اي سنة 1935 .

عندما ذاع امر الحزب في ذلك الوقت فرك الناس - ولا اقول الحكومة او السلطة المنتدبة - عيونهم وقالوا مندهشين: افي بلادنا يطلع مثل هذا الحزب؟ اعندنا شباب قادر على مثل هذا؟

ان مجال الكلام على الحزب السوري القومي واسع جداً. فهو اهم حزب سياسي - بما في كلمة حزب من معنى - الفه الشباب في الاقطار العربية. قام على اكتاف بضعة شباب ما كانوا يتجاوزون في البدء عدد اصابع اليد الواحدة، فاستطاعوا في مدة

قصيرة ووسط مقاومات نادرة وبوسائل مادية غاية في الفقر، ان يكونوا اكثر احزاب الشباب تنظيمياً واشدها تعلقاً بالمبدأ الذي تعتنقه.

وقد وفق الحزب فعلاً الى خلق بيوت كثيرة شعارها القومية السورية في حديثها وعملها ومآكلها ومشربها. وقد اوذيت في سبيل ذلك وبقيت صامدة صموداً كريماً...

فقد لحق اعضاء الحزب السوري القومي اضطهاد كبير وما يزال، وهم ثابتون ثابتاً يدعو الى الاعجاب.

على ان الحزب السوري القومي يقتصر - كما يدل اسمه - على القومية السورية، وهي قومية لا يرى الكثيرون لها اساساً ولا قواماً، خصوصاً في هذا العهد الذي تغمر فيه موجة القومية العربية كل الاقطار، حتى مصر التي كانت حتى الامس تدعو الى الفرعونية، او القومية المصرية، فعلمتها الحوادث ان لا حياة لقطر من الاقطار العربية الا بالتكاتف وفي الالتفاف تحت الراية العربية.

انني اخشى ان اتورط في الجدل. ولكني اقول ان الحزب السوري القومي مضطر لخيره وللخير العام ان يعدل مبدأه بعض التعديل من جهة القومية.

نادي المثني .. فضائل مؤسسات الشباب

لتشكيلات الشباب هذه التي ذكرت لكم بعضها البارز فضائل كثيرة منها .
اولاً: توضيح العقائد. فغصبة العمل القومي ونادي المثني قد اوضح كلاهما العقيدة العربية، بعبارة اخرى حاول كل منهما ان يجلب العقيدة محل الحماسة. الحماسة عمل العاطفة وحدها والعقيدة عمل العقل والعاطفة معاً. بل هي عمل النفس وحده اولاً حتى اذا اقتنع الإنسان شاع اقتناعه في كيانه واختلط بلحمه ودمه فاصبح جزءاً منه لا ينفصل عنه .

والحزب السوري القومي اوضح - نستطيع ان نقول ابتدع - العقيدة السورية. كذلك يمكن القول ان جمعية مصر الفتاة اوضحت العقيدة المصرية.

وهذا فضل كبير للشباب اتاحه له العلم، فسد به نقصاً فاضحاً في مؤسسات ابائنا التي كانت تعتمد في الغالب على الاشخاص او على رموز غامضة وكلمات جوفاء .

ثانياً: تناول الامة من الاساس...

ثالثاً: غرس الروح العلماني وتعميمه :

وفصل الدين عن الدولة، والسعي الى اشتراك ابناء الطوائف المختلفة - وعندنا منها والحمد لله الذي لا يحمده على مكروهه سواه، اكبر عدد ممكن - في صعيد واحد من الوطنية ووراء هدف واحد هو الهدف القومي. واحب هنا ان اتوه بفضل الحزب السوري القومي في هذا الميدان، فقد استطاع ان يجمع بين صفوفه المسلم والمسيحي، بل السني والشيعي والدرزي والماروني والأرثوذكسي والبروتستانت، يعملون يداً واحدة وقلباً واحداً وفكراً واحداً.

وهذه الظاهرة موجودة كذلك - على نسبة اقل - في سائر مؤسسات الشباب.

رابعاً: النظام،

خامساً: ادخال الوطن الى البيت. ومحاولة مزج حياة الوطن بحياة الفرد الداخلية وحياة اهله من ولد وزوجة واخت. اسمعوا شيئاً من قسم الانتماء الى الحزب السوري القومي « اقسم بحقيقتي وشرفي ومعتقدي على انني انتمي الى الحزب السوري القومي بكل اخلاص... وان اتخذ مبادئه القومية ايماناً لي ولعائلي وشعاراً لبيتي ».

معرفة الزعيم بعبد الله النجار

ويبعث الزعيم برسالة تاريخها 22 كانون الاول الى عبدالله النجار يدعوه فيها الى التعاون وهذا نصّ الرسالة:

« صديقي عبد الله نجار

انني مسرور جدا لوقوفي على اخبار جديدة عنك ومسرور بصورة خاصة لاننا قد افترقنا معلماً وتلميذاً لتلتقي في مجال العمل القومي. فلا شك انك قد وقفت على اخبار الحركة ^{مد}ومية التي اقوم بها والتي يحاربها الرجعيون بكل قواهم. وقد ارتحت كثيراً الى ^{المقابلة}ية جرت بيني وبين السيد نعم بشير صعب وما رواه لي عن تأسيس الجمعية السورية في استراليا وعن اشتراكك الفعلي فيها.

ان الحملة التي شنتها علينا الرجعية والطبقة الحاكمة كانت شديدة جدا وواقفت كثيراً من الاعمال التي كنا شارعين فيها. ومما لا مشاحة فيه ان هذه الحملة شوهدت كثيراً من جمال النهضة القومية التي نقوم بها ومن اهمية الحركة وخطورتها خصوصاً لابناء وطننا المهاجرين البعيدين عن المصادر الوثيقة. وقد نجحت الرجعية من تشويها محاسن نهضتنا بعض التشويه لانها كانت تحاربنا ونحن عزل من السلاح السياسي فلا جرائد لنا تدافع عن وجهة نظرنا واعمالنا ولا صحافة موالية للفكرة الجديدة او حرة

لا تقول الا ما هو ثابت وموثوق منه ولكن صحة العقيدة وضرورتها للامة جعلت الحزب السوري القومي يتغلب على الاضطهادات التي وجهت اليه والصعوبات التي وضعت في طريقه. وقد نفذت اخيرا قوة الحملة وظهرت اكاذيب منافقي الرجعة الذين وجهوا الى الحزب تمها كان الاولي ان تلصق بهم. واني استطعت القول ان الحزب يقود النهضة الفكرية والسياسية ليس فقط في سورية بل في الشرق الادنى عموما. فالاحزاب في الوطن وفي مصر والعراق تقلد الحزب السوري القومي في تنظيمه ولغته السياسية والادبية. ولو كان للحزب السوري القومي مال ينفقه على الاذاعة لكان اكتسح البلاد اكتساحا سريعا وسيطر على الحركات السياسية في البحر المتوسط والشرق الادنى عموما. ومع كل الصعوبات المادية التي قامت في طريق الحزب فقد كسرنا شر الحملة الرجعية وأوجدت مبادئنا القومية والسياسية اصلاحا وارتقاء في العقائد والفكر واصبح هناك رجال يدينون بعقيدتنا من خارج الحزب كالدكتور عبد الرحمن الشهبندر وغيره واقبال الشبيبة المتنبهة بعامل النهضة الحديثة على الحزب ومبادئه واهدافه يزداد يوما فيوما. ان شرح نهضتنا واعمالنا يحتاج الى اكثر من رسالة ورسالتين والى اشياء غير الرسائل، ولذلك فاني قد اوعزت الى مكتب عبر الحدود في الحزب السوري القومي ليكتب اليك ويمدك بالمعلومات الضرورية عن الحزب ومبادئه واعماله فيصبح في امكانك ان تتبع اعمال الحزب وحقيقة نهضته واخباره الصحيحة لا الاخبار التي يشيعها عنه خصومه من محتكري مصالح الامة. اني ارى التقارب بين الجمعية السورية والحزب السوري القومي ضروري جدا، واقول بوجود التفاهم وتوحيد العمل النظامي. وارجو ان تسهل لمكتب عبر الحدود الحصول على جميع المعلومات والاتصالات التي من شأنها ان توجد العلاقات بين الحزب والجمعية التي انت احد اركانها.

احبيك واتمنى ان تكون متمتعا بالصحة وموفقا في الاعمال.

ولتحية سورية

تعود معرفة الزعيم بعبد الله النجار الى سنتي 1917 - 1918 ، الى عهد الدراسة في برمانا، ابان الحرب العالمية الاولى، حيث قضى اليافع انطون المدة المتبقية من سني الحرب بعد ان فقد خلال العامين السابقين جدته وعمه هذا ماعدا تيممه من امه في مصر قبلها.

كان عبد الله النجار في عداد المعلمين في ذلك المعهد « وكان عتده ثالث اوجهه كثيرا. هم عامر عبد الملك، شكيب عبد الملك وانطون سعاده. كانوا وحدة تامة في



عبدالله النجار

الروح والاخلاق ولكن انطون كان اذكاهم وانبههم. جسمه الرياضي المشدود ولعان عينيه لاينسيان. كل والد كان يتمنى ان يكون له ابن كانطون». هكذا قال لي عبد الله النجار عند زيارتي له برفقة عجاج المهتار اسأله معلوماته عن الفتى انطون. وقص علينا قصة انزال العلم العثماني عن سارية المدرسة. أنقلها فيما يلي: « عندما انهزمت الجيوش التركية في سورية الجنوبية بدأت تقوم بعملية انسحاب من بقية البلاد السورية ولكن في «القلعة» في بيت مري، ما تزال بقية قوة تركية للمدفعية رابضة. فتنادى فريق من الاهالي على رأسهم يوسف بشارة، عقل عبد المسيح، عبد الله النجار، يوسف ابو سمرا ونسيب رشيد لمعالجة الضرر الذي يحتمل ان ينتج من بقاء هذه القوة وهي مركزة مدافعها تصوبها نحو البحر، وخصوصا اذا اطلقت قنابلها نحو العدو ورد عليها هذا العدو بالمثل. والحرب على ما يبدو قد اشرفت على نهايتها والقوات التركية المحاربة تنسحب مهزومة من البلاد.

قابل هذا الوفد القائد التركي الشاب واطلعه على رغبة الاهالي بالانسحاب بالنسبة للخطر الممكن ان يحدث بالمنطقة من جراء هذا الوجود الذي لم يعد له مبرر ينظره، واتبع رغبته هذه باخذ هذا القائد رهينة الى حين تلبية هذا الطلب.

استأذن هذا القائد الشاب رجال الوفد باعطائه فرصة للتشاور مع اركانه فسمح له ولكن كم كانت دهشتهم عظيمة عندما انقلبت مسألة هذا القائد الى شراسة وصلت الى حد اصدار اوامره بان يستعمل الجند سلاحهم ضد مرتبهه اذا خطر لاحدهم مسه باذى.

بعد مفاوضات استعملت فيها الحنكة والمرونة تم الاتفاق على فك اسره على ان يتداول واركانه وهو حر وان يعطي النتيجة في اليوم التالي.

علم الدكتور دراى بالامر وهو القيم على المدرسة باذن من السلطة التركية العسكرية، فاتصل باعضاء وفد الاهالي واقنعهم ان تصرفهم كان مبكراً وانه قد يحدث ما ليس بالحسبان وتعود الجيوش التركية فماذا يحل بهم عندئذ؟

حدث على اثر انتشار خبر هذا التصرف والتصرف المقابل للدكتور دراى صديق جمال باشا، تبلبل في الافكار واكفهر الجو وسادت الجميع حالة من الرعب والذعر. تحت ضغط هذا الجو الخائق عاد الوفد الى الاتصال بالقائد التركي واركانه ليرجوهم بالمكوث ما يشاؤون، فما وجدهم اذ كانوا في هذا الوقت قد اغتتموا الفرصة للانسحاب!! ومع ذلك راح الوفد يفتش عن القوى التركية لاقتناعها بالعدول ولكن بلا جدوى.

من الطبيعي ان يغمر هذا الجو المدرسة وتلامذتهم وعبد الله النجار احد المعلمين فيها وبصورة اخص وقد اقصي عن عمله بسبب اشتراكه في هذا الوفد. في ذورة هذا الجو المحموم، جو الغليان من الرعب والذعر والهلع، قام انطون بعملية تحديه العظيمة. تسلق سارية المدرسة الملساء بقوته الموصوفة والتي على كل حال ما كان بمقدور سواه ان يتسلقها (حتى ولا عامر عبد الملك، المفتول الذراعين) انزل العلم العثماني ومزقه اربا اربا معلنا « انتهاء عهد الذل والعبودية ».

تطوع واستئذان

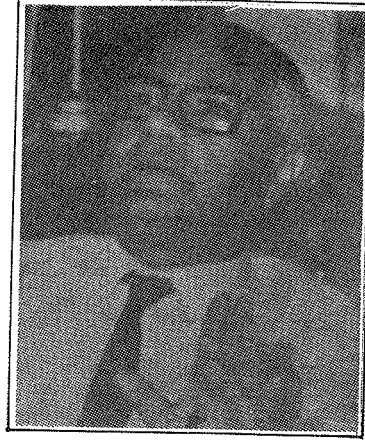
قال لي رشدي معلوف: « العالق في الازهان عن المحاكمة الاولى عند انكشاف امر الحزب ان حميد فرنجية كان المحامي الاول او الرئيسي في الدفاع عن الزعيم، انما الواقع الذي اكشفه للمرة الاولى هو ان اول محام جذبته مبادئ الحزب وسريته وشخصية زعيمه كان المحامي موريس الجميل.

كان محاميا ناشئا. كان قد اتخذ له من العلم قاعدة ومن الوعي والادراك اساسا ومن الحججة العقلية مستندا لدعم الآراء والافكار.

ما اكتفى موريس الجميل بالانجذاب الشعري بل كان اول من اتصل بالزعيم في



رشدي المعلوف



موريس الجميل

اسره في سجن الرمل واضعا نفسه تحت تصرف قضيته للدفاع عنها وعنه بكل ما اوتي من قوة واندفاع فقبل الزعيم وبدأ موريس الجميل عمله الشاق.

ما اكتفى موريس الجميل بعمله القانوني هذا بل اغتم هذه الفرصة وانضم الى قافلة المناضلين الاحرار واصبح مكتبه مكتبا للمراجعات الحزبية يلتقي فيه المسؤولون السريون في الادارة المركزية وفي الفروع للتداول ولتلقي التعليمات. فما كاد يخلو من الاعضاء حتى يعجّ ويضجّ بهم من كل حذب وصوب.

انتهت المحاكمات وبدأت مرحلة جديدة في الجمهورية اللبنانية وذلك بتشكيل الفلانج والنجادة فجاء موريس الجميل ذات يوم الى سعادته يستأذنه للانضمام الى تشكيلة نسيبه عارضا الاسباب العائلية التي لم يستطع التخلص منها والتغلب عليها والغريب في الامر ان الزعيم سمح له بذلك مقدرا له جهوده السابقة المشكورة.

ما ذهبت تلك المواقف والجهود والقناعات ادراج الرياح. وقد بقي لها اثرها المستمر في حياته الاجتماعية والسياسية.

أريحية

في جلسة هادئة مع «الشيخ» جميل عازار في منزله كنا خلالها نتذاكر بعض الحوادث التي مرت بنا خلال المسيرة الحزبية التي بدأناها وما نزل مستمرين فيها روى لي قصة حدث جرى له اثناء توليه مهام مفوضية المالية في الحزب لا يمكنه ان ينساه وانا بدوري ما نسيته واني اثبته فيما يلي: « كنا في مكتب كنا نتخذة مركزاً للقيادة



روبير ابيلا



جميل عازار

الحزبية في بناية سرسق في ساحة الشهداء واذ يحضر احد اعضاء الحزب ليلبغني ان معاملات عدلية رسمية تحتاج الى مبلغ من المال وان الفرصة المتاحة لنا لتأمينه قصيرة المهلة. ضربت اخماسي باسداسي فالخزانة العامة خالية خاوية فمن اين استطيع تناوله؟ وكاد ان يسقط في يدي لولا بادرة الرفيق روبر ابيلا الذي قال لي بكل اعتزاز: «اطمئن، سيكون المبلغ حاضراً خلال بضع دقائق فانتظرنني».

غاب الرفيق روبر ابيلا وقتنا، كان قصيرا، من الزمن ولكني خلته دهرا وعندما عاد سلمني المبلغ الذي سلمته بدوري للرفيق الذي كان قد طلبه. بعد انصرافه التفت الى الرفيق ابيلا وسألته من اين لك هذا المال؟ وانا اعرفك طفرانا فبالكاد تؤمن معيشتك من راتبك الضئيل من وظيفتك كمحرر في جريدة «البشير». (جريدة البشير جريدة كان يصدرها اليسوعيون في بيروت).

اجابني: «اتكتم سرّاً؟» وعند موافقتي على الكتان باح لي بالسر المكنون «اتذكر الساعة الذهبية التي كنت اعلقها في هذه السترة بسلسلتها الذهبية؟» قلت: «نعم وفهمت. رهنتها، أليس كذلك» قال: «نعم والآن انتهت ازمة الحزب واما ازمتي بكيفية استعادة ساعتى فسأحلها مع الوقت». وعدته بأني سأعمل ما بوسمي لاسترداد ساعته الذهبية وسلسلتها الذهبية ووفيت بوعدى. فهل يمكن ان انسى هذي الاريحية التي تدل على الاخلاص والتفاني التامين وعلى مرتبة سامية من الاخلاق وعلى مستوى عالٍ من التضحية؟».

قلت له: «وانا ايضا لن انسى اريحية روبر ابيلا» وها في برهنت اني لانسى فسجلتها في هذه «الجمعة».

فراصة صائبة

روى لي خليل نصر ابو فاضل عن الزعيم انه كان يتمتع بفراصة صائبة في تقييمه للاشخاص وانا من الموافقين على هذا الرأي فقد كنت اعرف عن فراسته لاحد الاساتذة في الجامعة الاميركية انه يهودي وكانت صائبة. انه كان احد المفتشين في الامن العام الفرنسي صديقا له، وهو من بيت مري، يدعى بشارة ناصيف الخوري، وهو في الوقت نفسه محبذ للمبادئ السورية القومية الاجتماعية وصدّاقة مفتش في الامن العام الفرنسي - في تلك الايام - كانت تبعث على عدم الارتياح حتى لا نقول، الريبة او الشك ومختلف الظنون والاتهامات.

تمّ التعارف بسعادة بواسطته فكان لقاء جميل بكل ما في هذه الكلمة من معنى. منحه سعادة على اثره ثقته التامة. وراحت الايام تدور وتبدأ مرحلة الملاحظات العنيفة من قبل السلطات الحاكمة المشتركة، الفرنسية بالفعل واللبنانية بالاسم.

حانت مناسبة لوضع الثقة على المحك. كان الرفيق نسيب حمدان ملاحقا ملاحقة شديدة بسبب احدى الوشايات وهو يفتش عن طريقة للخلاص من هذه الملاحقة بمجرد مقابلة احد المسؤولين عن الامن وتوضيح براءته من التهمة المنسوبة اليه (لا براءته من العضوية).

وهنا برز هذا المفتش الى الميدان. ابرزته ثقة سعادة فيه فهل يقدم؟ ما تأخر بشارة، الموظف، لحظة عن القيام بما عرض عليه للتدخل في هذا المأزق وحله بالمقابلة عن طريقه بل دعا الملاحق، نسيب حمدان، الى اللجوء الى منزله طيلة المدة التي قد يحتاج اليها لانجاح تدخله وهكذا كان.

كانت فراصة الزعيم صائبة. هذه الفراصة التي اشاعت الثقة فيه والتي اوحاها الى خليل بصورة خاصة فقام بما عهد اليه بكل جرأة وصراحة مع رؤوسائه غير هيباب متحملا مسؤولية سعادة بروحية يعتز بها كل شهم نبيل.

وتطورت العلاقة الى صداقة فقد دعا بشارة الزعيم الى زيارته في منزله في بيت مري وم كان عجب الدكتور مخير شديدا عندما قادته الصدفة الى هذا المنزل ويرى الزعيم فيه (وقد كان الدكتور مخير مصنفا «غير صديق» للحزب السوري القومي الاجتماعي).

ويذكرنا موقف الموظف بشارة ناصيف الخوري من بيت مري بالموظف في الامن

العام الفرنسي ايضا، المفوض سلامة عازوري، الذي مرّ ذكره في المجلد الثاني،
صفحة 521 تحت باب « خلاصة ».

سعادته لاول مرة

وتحت عنوان « سعادته لاول مرة » يكتب « اسامة الامين » في « المجلة »، العدد
الرابع، شهر ايار سنة 1954 ما يلي: « كان ذلك في اواخر سنة 1935 في كلية الشرق
في طرطوس نتابع دراستنا الثانوية عندما طلعت جريدة « المعرض » لصاحبها ميشيل
زكور نبأ اكتشاف السلطات الفرنسية في لبنان لحزب سياسي سري زعيمه انطون
سعادته اسمه الحزب السوري القومي الاجتماعي.

كان هذا النبأ مثيرا جدا تناولته الصحافة تناولا عميقا. حزب في لبنان يدعو
لطرده الاجانب؟ حزب في لبنان من اللبنانيين يدعو للقومية السورية، طلاب جامعة
واساتذة في سجون من اجل قضية امة ووطن. وذلك في بيروت؟ كل هذه الامور
المتناقضة حسب ما كان متعارفا جعلت الاذهان في ذهول كبير.

وصورة سعادته مجيبته المرتفع وصدوره المرتفع في جريدة « المعرض » تلفت الانظار
الى هذه الشخصية السحرية العجيبة اخذت مجلة المعرض واصبحت هذه المجلة كأنها
كتاب حبيب ارجع اليها كل يوم، اتفرس صورة الرجل واتأمله واحبه حبا كبيرا.
فكيف لا احبه وقد كنت مولعا بالتاريخ وبسير ابطاله.

بين كتيبي الدراسية صورة هندبرغ وليدندرف الالمانيين الذين كنت اتعصب لهما
تعصبا كما كانت بين كتيبي بصورة خاصة صورة المارشال ناي وبقية صور مارشالية
الذين كنت اعرف اسماءهم والكثير عن حياتهم كما كنت دائما مشوقا لاخبار جان
دارك كما تصورها كتبنا الدراسية الفرنسية.

وما ان ظهرت انباء انطون سعادته حتى ادركت براءة طفولتي آنذاك انني امام
رجل تاريخي وبطل من هؤلاء الابطال الذين كنت ارافق سيرهم بشغف كبير.

ان انطون سعادته من بلادي، هو مني، وجان دارك على عظمتها تمثل سيرة وبطولة
امة اخرى، فالذي كنت افتش عنه في بطون التاريخ وجدته حيا وجدته في امتي: انه
انطون سعادته البطل وبالرغم من بساطة مداركي وقتها وعدم نضوجي العقلي كطالب
ثانوي فلم يكن تهمني عقيدة سعادته وصحتها وغير ذلك من الامور التي لم اكن قادرا
على ادراكها، انما الذي اجتذبي بعنف الى سعادته هي صورة البطل - كما قلت - التي



عيسى سلامة

افتش عنها بعيدا في سنير التاريخ فوجدتها في صفحات جرائد بلادي .
فانا مع سعادته وقد كنت اؤلف جمعية سرية مع بعض الطلبة الشانويين تهتم
بالاصلاح، واي اصلاح هذا الذي كانت تهتم به هذه الجمعية لا اعلم الآن انما هذا هو
الواقع .

فقلنا في جمعيتنا، اننا جميعا مع انطون سعادته واخذنا نفتش عنم يدخلنا بهذا
الحزب العجيب ووجدنا من ادخلنا . واذا بصورة سعادته ومعرفتي اليه تزداد عندما
كنت اتبع انباء محاكمته التاريخية: « انتم الذين - موجها كلامه الى المحكمة الفرنسية -
خرقوا وحدة امتي في سيفر ولوزان وسيكس - بيكسو » هكذا كان يقول سعادته .

اليست هذه الاقوال جديدة؟ من يتكلم هكذا في بلادي؟ رجال الكتلة الوطنية في
دمشق الذين كنت اقوم بالمظاهرات لاجلهم، لا يتكلمون هكذا؟ اني امام رجل
تاريخ، اني امام رجل لامتي كسبارك لالمانيا .

واخذت انباء الفرنسيين ودعاياتهم المركزة حول سعادته يتهمونه كل يوم بفرية
جديدة . واضع يدي على قلبي واقول: هل فعلا ما يقولونه هو صحيح عن سعادته
الذي احببته جدا اسطوريا . وتسقط الدعايات وتسقط الاشاعات ويخرج سعادته كل مرة
بريئا وبطلا . فتعظم محبتي له الى ان قادني ظروف التقدم الى امتحانات البكالوريا
اللبنانية والفرنسية في اواخر 1936 ان آتي الى بيروت . وكان يهمني ان ارى سعادته
اكثر ما كان يهمني ان انجح في البكالوريا .

ذهبت اليه وكنا بضعة طلاب، جميعنا قوميون الى رأس بيروت لزي سعادته
فرأيناه وكلنا لا نزال نرتدي البنطلون القصير كاطفال . رأى فينا شعبه يسير ويتقدم
فضمنا جميعا الى صدره واحدا واحدا .

من أين يأتي الحزب السوري القومي بالأموال

تحدث وكيل عميد المالية إلى الرائد وقال: « المال هو العصب الذي تستمد منه الأحزاب قوتها والأساس الذي يرتكز بنيانها عليه. ولما كانت هذه الناحية في الحزب السوري القومي تشغل الرأي العام لأنه يريد أن يطمئن إلى حقيقة موارد هذه الحزب الذي أمسى يسيطر بمبادئه على أوساط الشباب الراقية في هذه البلاد، فقد أردنا أن نستوضح هذه القضية من مرجعنا فأوفدنا مندوبنا ليأتي بجديث صاف عن هذا الموضوع الخطير.

قال مندوبنا: في شارع المعرض، بناية شاهقة يحتل الطابق الرابع منها الحزب السوري القومي، إنخذ حضرة زعيمه جناحاً منه مقرراً له وأشغلت الغرف الباقية دوائر الحزب المختلفة. فهناك دائرة الإذاعة فالمالية فالداخلية بسواها... طرقت الباب فاستقبلني شاب هو جندي بكل معنى الكلمة وسألني عما أريد؛ فقلت أريد مواجهة عميد المالية لآخذ منه حديثاً لجريدة الرائد.

الرائد؟ نعم. تفضل. وبعد إنتظار برهة، دعيت لمقابلة وكيل عميد المالية. دخلت فإذا انا أمام شاب في الثلاثين من عمره، غض الشباب، واضح الملامح، تقرأ على وجهه الذكاء والقوة، وهي الصفة الملازمة لكل سوري قومي، وهو إلى ذلك من خريجي أكبر جامعات فرنسا ويحمل شهادة دكتورا في الإقتصاد ويلقي دروساً في أكبر بيوت العلم في بيروت.

ولم أكد أن أصير في حضرته حتى بادرنى بقوله أهلاً بالرائد ومندوبها. إن الجرائد الحرة تسدي إلى الشعب خدمات جلة بتصويرها الأشياء على حقيقتها وتسميتها بمسمياتها. إن الرائد في طليعة الجرائد المخلصة هذه. وبعد مجاملات قصيرة، قلت: لدي بعض الأسئلة، أرجو أن تجابوني عليها بصراحة، ليطلع عليها قراء الرائد الذين يريدون أن يتلمسون الحقائق عارية ويعرفوا الأشياء على حقيقتها وبمسمياتها.

1 - من أين مواردكم المالية؟

إن مواردنا المالية متأتية من الإشتراكات التي يؤديها أعضاء الحزب عربوناً للتكاثف والتضامن في سبيل تحقيق الهدف الامثل، ومن التبرعات التي يقوم بها من يعطفون على نهضتنا الفتية، ومن كل فرد منا يساهم تبعاً لمقدرته لضمان حياة المباركة وقد رأيتهم التضحيات الكبرى التي تحمّلناها أثناء التنكيل بنا والعمل على قتل النهضة

في مهدها .

2 - كيف تنفقون الأموال؟

نحن ننفق الأموال التي ترد إلى الخزينة في أوجهٍ عدةٍ منها ضمان حياة الحزب المركزية وتنظيم صفوف الأعضاء وإعانة المحتاجين من أعضاء وغير أعضاء . وبالإجمال يتم الإتفاق في سبيل المصلحة العامة بقدر ما تسمح به ميزانيتنا .

3 - ما هي مشاريعكم المالية لإنعاش الحالة؟

لا يخفى على أحد أنّ القطر السوري في عصابة من الضيق الإقتصادي . فلا موسم يعتمد عليه في انعاش الحالة ولا مورد يرجى منه لتدعيمها ، لأن السياسة الإقتصادية والمالية التي إتعت كانت في غير المصلحة القومية . ودعني أصارحك القول بأني أصبحت ضعيف الإيمان بإنعاش حالتنا الإقتصادية ، إذا استمرت الحال في الوقت الحاضر على ما هي عليه ، ورأيي أن ضعف مواردنا المالية متأية من عوامل الحكم الطبقي أو الرجعي وعدم وجود خزانة خاصة بالدولة ، وعدم خضوع الأنظمة المالية لمبدأ مصلحة الأمة وسيادة الدولة . ناهيك بارتقاء مستوى المعيشة حتى يبلغ حد الإسراف ، من غير أن يعامل هذا الإرتقاء إزدياد حقيقي في الثروة العامة ، بل بالعكس فإن معدل الثروة الحقيقية قد إنحط عن ذي قبل ، والحزب السوري القومي أخذ على عاتقه بكل ما أوتي من قوّة فلاحه الأراضي وزيادة الإنتاج لأنها هي العلاج الشافي لذلك الإضطراب القاتل . وهو يرى أن تلك السلامة لا تتم إلا بتضييق حرية الأفراد بإرغامهم على استعمال الأرض وإنقاذها من البوار وسن قانون يختص باستعمال الأرض طبقاً لشروط وقيود معروضة وتشجيع الملاكين على القيام باستعمال الأرض مصرف إعانات مالية وإقامة معارض عامّة والعمل على تصريف المنتجات تصريفاً لا يتأتى منه حيف على المنتج بإنشاء بورصة خاصة وإيجاد اسواق خارجية لتصريف محصولاتنا فيها .

ويتفرع عن هذه الفكرة عدة مشاريع تتعلق بصنع مواردنا الأولية واستهلاكها في أسواقنا وبتحقيق مشاريع الرّي في جميع أنحاء القطر السوري .

هذا هو المشروع الإقتصادي الكبير الذي نرمي إليه وأنت ترى أنه مشروع ضخم متسع غير أن الشباب الذي إتصف به الحزب السوري القومي في خلال زمن قصير يريك أننا أمام مبادئ تؤمن بها دون أن نهملها أو نغض الطرف عنها ما دامت مصلحة البلاد تدعو إليها .

الرائد - السنة الثالثة - العدد 116 .

دستور
الحزب السوري القومي الإجتماعي
وقوانينه

وضع في 21 تشرين الثاني 1934

وصنّف في 20 كانون الثاني 1937

الدستور ورتبة الأمانة

20 كانون الثاني 1937 . اختار الزعيم هذا التاريخ موعداً لتصنيف الدستور . كان هذا الدستور مواد متلاحقة كما مر بنا في الحلقات الاولى من هذه السلسلة . كان قد تم وضعه في 21 تشرين الثاني 1934 اي انه انقضت فترة سنتين ونيف حتى اكتمل شكله النهائي ، في شكل مراسيم او قوانين دستورية مع مقدمة تحتوي لقسم ، قسم الزعامة . نلاحظ استمرارية العمل الدستوري القانوني التي ظلت وبقيت من ميزات عمل الزعيم في جميع الحالات ، ان في السلم او في الصراع وآخر ما ذكرت عن هذا الموضوع هو ما ورد في رسالته الى سلمى الصائغ من السجن .

من هذه المراسيم ، مرسوم رتبة الامانة . وقد اختلفت الروايات حول تاريخ منح تب الامانة ، ان كان قد حصل في اواخر سنة 1936 أو في بداية سنة 1937 على اثر اعلان هذا التصنيف . (والارجح في بداية سنة 1937) . لا فرق من حيث الجوهر لجهة تطبيق النصوص الدستورية من مرسوم رتبة الامانة كما ورد ، لانه ما كان ليجوز منح الرتبة الى اي من الذين حصلوا عليها لانه لم يكن قد مر على اي منهم خمس سنوات على اعتناقه العقيدة القومية الاجتماعية ونظام الحزب السوري القومي الاجتماعي وانخراطه في سلكه كما تنص الفقرة الاولى من المادة الثانية .

المرسوم عدد 7 : رتبة الامانة

ان زعيم الحزب السوري القومي ،
بناء على المواد الاولى والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من الدستور يسن القانون
التالي :

مادة اولى : تنشأ في الحزب السوري القومي رتبة عليا تسمى رتبة الامانة .

مادة ثانية: يمنح الزعيم رتبة الامانة طمن يستحقها وتتوفر فيه الشروط التالية:

1 - ان يكون قد مرّ خمس سنوات على اعتناق العقيدة القومية ونظام الحزب السوري القومي وانحراطه في سلكه.

2 - ان يكون قد اظهر في مدة وجوده في الحزب السوري القومي فهما صحيحا للعقيدة القومية وایمانا بها وبمنشئها الزعيم، وعملا نزيها، خالصا لها وللقضية الناشئة عنها وحافظ على سلامتها وسلامة الحركة المنبثقة عنها ونظامها تحت كل الظروف.

3 - ان يكون مناضلا ممتازا بالفكر والفعل في سبيل القضية السورية القومية، مجاهرا بمبادئها، وان يكون قد قام بأفعال وتوضيحات غير اعتيادية في سبيل العقيدة والنظام.

4 - ان يكون، في جميع الظروف السهلة والصعبة، مثلا في الايمان بالزعيم والعقيدة والنظام وفي الامانة الكلية في القيام بالاعمال والمسؤوليات والمهام التي اسندت اليه.

5 - ان يكون اظهر تفوقا جليا في الايمان القومي وفي الادراك العالي للعقيدة القومية وفي الشجاعة والاقدام والحكمة في سبيل العقيدة واهدافها.

مادة ثالثة: يعطى حائز رتبة الامانة شهادة برتبته ممضاة من الزعيم ويحمل علامتها.

مادة رابعة: علامة رتبة الامانة: شريطة من حرير باللوان الثالثة: الاحمر والابيض والاسود، من فوق الى تحت وزوبعة من ذهب.

مادة خامسة: يؤتمن حاملو رتبة الامانة على الاسرار الخطيرة في المهام وينتدبون للاعمال التي تقتضي صفات ممتازة.

مادة سادسة: على القوميين الاجتماعيين واجب الاحترام التام للامناء فيقفون لتحتيتهم في المجتمعات والمجالس وهم التقدم على المنفذين العامين ونواميس العمدات في مراكز التشريعات في الاجتماعات والاحتفالات.

مادة سابعة: يتعرض لفقد رتبة الامانة كل من يخلّ بشروطها او يستخدمها لغير مصلحة الحزب والقضية السورية القومية.

الزعيم (التوقيع)

في 20 كانون الثاني 1937 .

الدقة في اختيار الامناء

اسرد هذه الواقعة التي يرويها الامين عبد الله قبرصي في عدد البناء الخاص الصادر

سنة 1957 بمناسبة اول اذار لادلل على دقة اختيار الزعيم للامناء . قال الامين قبرصي :
« عندما كان يوقع مرسوم منحي رتبة الامانة سنة 1936 جاء من يسر في اذنه اني قبلت
وكالة من صلاح شيشكلي « او سواء » الذي كان قومياً اجتماعياً آنذاك . وكان سجيناً في
سجن الرمل . وقبضت منه مالا لقاء الوكالة وعملت على اخلاء سبيله بواسطة احد
الزملاء ، بينما كنت اعرف ان قضية الحزب كانت قيد الحل بمفاوضات تجري مع الزعيم
في السجن مباشرة .

لم يوقع مرسوم رتبة الامانة قبل ان يتأكد من تاريخ الوكالة ويقارن بين تاريخ
اخلاء السبيل وتاريخ حل قضية الحزب سياسياً ، ليقنع ان اخلاء السبيل تم بواسطة
المحامي ، لا بناء على الحل السياسي الذي لم يبرم الا بعد ايام .
ويقول الامين قبرصي في « عبدالله قبرصي يتذكر » الجزء الاول ، الصفحة 165
تحت عنوان « في رتبة الامانة وامناء سعادة » :

« انشئت رتبة الامانة ومنحت لبعض الاعضاء البارزين في اعقاب خروج سعادة من
سجنه الثاني ، الا ان القانون الذي يحدد شروطها لم ينشر الا مع الدستور المصنف في
24 كانون الثاني 1937 .

اما كيف منحت انا شخصياً رتبة الامانة ، فأني اذكر الظروف والملاسات واعتقد
ان تدقيق الزعيم في الناحية المناقبية ، كان شغله الشاغل قبل توقيع مرسوم المنح لي او
لسواي .

استدعاني الى مكتبه ، في شارع المعرض على ما اذكر ، وقال لي : « هنالك شكوى
بجفك ، لقد منحتك رتبة الامانة ، هوذا المرسوم ، الا انني لا اوقعه قبل استجلاء
حقيقة هذه الشكوى ، فأن صحت بقي المرسوم دون توقيع ، وان كانت باطله وقع » .

ما هي الشكوى ؟

كنت اعرف العلاقة بين الشيخ بهيج تقي الدين ، النائب حالياً واحد كبار محامي
الحزب في العالم العربي ، وبين الاستاذ الفرد ثابت الذي كان في ذلك الزمان
1936-1937 مدعي عام استئناف بيروت ، اي ما يقابل اليوم مدعي عام التمييز لأن
التمييز كان قد الغي في التنظيم القضائي النافذ المفعول .

جاءني بعض من اهل صلاح الشيشكلي شقيق اديب الشيشكلي واهل رفيق آخر من
آل العظم ، وكلاهما كانا قد اوقفا بتهمة الانتفاء الى الحزب على اثر توقيف الزعيم في
حزيران 1936 وعرضا علي ان ارافقهما لدى محام قدير يساعدهما على اخلاء سبيل

الموقوفين، فلم يخطر ببالي الا بهيج تقي الدين لأنني كنت اعرف علاقته الطيبة بالمدعي العام الاستثنائي كما ذكرت فوق ولأنه كان صديقي (ولا يزال).

سنة 1936 كان الشيخ بهيج في عز شبابه، قامه فارعة ووجه نقي، لم يكن بعد قد

لمع نجمه. كان يجلوه بالمواقف الجريئة والتوفر على الدرس والمطالعة ليبدأ باللمعان.

وكان قد تدرج في مكتب حبيب ابي شهلا، احد ائمة محامي الجزاء والسياسة والدبلوماسية اللبنانية، فناله من شهرته قدر لا بأس به، الى جانب ما لآل تقي الدين من مكانة ونفوذ بدءاً من القاضي احمد تقي الدين الى الشاعر امين تقي الدين.. الى خليل وسعيد وقد كانا يطلان من على عالم الفكر والادب.

المهم نقدته مبلغ ثلاثين ليرة سورية بدل اتعابه، وفي اقل من 24 ساعة كان الموقوفان قد عادا الى الحرية.. والشمس.

ولم تمض الا فترة يسيرة، حتى اطلق سراح سعادة بناء على مفاوضات كانت تجري في الكواليس بواسطة قاضي التحقيق.

هذا، كان من حق سعادة ان يشك بأني استفدت من معرفتي بالمفاوضات، واستوليت على مال الرفيقين، دون اللجوء الى محام، حتى سعادة العظيم كان يشك في المحامين.. الا برياء ولكنه كما ذكرت كان على حق في شكوكه فالشك كان ولا يزال في السياسة وسواها قنطرة اليقين!..

تهمني ثقتك:

انتفضت، كمحام قومي اجتماعي مثالي، وقلت لسعادة، لا تهمني رتبة الامانة بقدر ما تهمني ثقتك بي وثقتي بنفسي. وهرولت الى مكتب الشيخ بهيج.. كانت الى جانبه نارجيلة عامرة، ولم يكن مكتبه مكتنظا ذلك النهار، على غير عادة، بانباء الجبل والموكلين.. حدثته عن القصة وانا مضطرب، ذبيح الصوت، لشدة تأثري واغتيابي.

قال لي: «لم يمض وقت طويل على هذه القصة واني اذكر جيداً انك نقدتني ثلاثين ليرة سورية، هل انا اذكر المبلغ جيداً؟»

قلت «هذه هي الحقيقة، هل لك باعطائي ايصالاً باسم الشخصين المذكورين. اجاب بالايجاب، وكتب الايصال، فحملته راكضاً، كما يركض الطفل وراء امه جائعاً، وسلمته للمعلم، فسلمني لتوه مرسوم الامانة، كل الذين نالوا الرتبة في تلك

المرحلة كانوا من المستحقين، الا ان المواصفات التي وردت في القانون الدستوري السابع، لم تكن تنطبق عليهم جميعا على نفس السوية وبعضها - كمرور مدة خمس سنوات على الانتماء - لم تكن تنطبق الا على جورج عبدالمسيح وحده، لان الباقيين ومنهم انا - لم يكن مر على انتمائهم - الا ثلاث او اربع سنوات.

رتبة الامانة هذه لماذا انشأها سعادة؟

برأيي - وقد اوردت هذا الرأي في محاضراتي في المعهد الحزبي - انه توخى عدة اهداف، من انشاء الرتبة ومنحها لعدد من اعوانه اهمها:

الف: ايجاد نخبة من المؤمنين المناضلين تحمل معه اعباء المسؤوليات الجسام التي تترتب على العاملين في القيادة.

باء: مكافأة المؤمنين المناضلين المتفوقين وحفز الاعضاء على الاقتداء بهم..

جيم: ابراز بعض المستحقين بنضالهم وادراكهم العالي للعقيدة وایمانهم بها وبالزعيم ليكونوا هداة للآخرين بمثابرتهم ومناقبتهم العالية وعطائهم المستمر وشجاعتهم الصامدة.

اود ان اذكر ان الشروط التي استنتها سعادة في تشريعه، لا يمكن ان تتوفر كلها في من يمنح او منح آنذاك الرتبة السامية. ولكن الاعضاء في الحزب يحسبون الامين رفيقا ميمزا ويطلبونه بالكثير وقلما يتساهلون معه اذا ارتكب هفوة او خطأ، كأنما الامين بنظرهم صار في مصف الآلهة او القديسين».

وجاء في مخطوطة مذكرات كامل ابو كامل بصدد رتبة الامانة:

« وكان الزعيم قد بدأ بتنظيم المؤسسات الحزبية بعد ان رأى في بعض القادة مؤهلات لتحمل هذه المسؤوليات وبعد ان اختبر ولائهم للعقيدة وتضحياتهم التي بذلوها في ممارساتهم الحزبية.

وكان اول عمل قام به هو منح رتبة الامانة الى كل من فخري معلوف، نعمة ثابت، مأمون اياس، كامل ابي كامل، عبدالله قبرصي، جورج عبد المسيح، معروف صعب، عجاج المهتار، انيس فاخوري، مصطفى المقدم، نجلا معتوق.

تبلغت منحي رتبة الامانة مع نسخة عن مرسومي رتبة الامانة وشروطها، ومرسوم تشكيل المجلس الاعلى.

واذكر بأنني فرحت بهذه الرتبة لانني شعرت بانها صادرة عن ثقة الزعيم بي ولكن بالوقت نفسه صرت افكر ماذا فعلت حتى استحققت هذه الثقة. ان ما قمت به وما تحملته هو واجب على كل قومي اقسام يمين الولا للمبادئ والزعيم ان يقوم به.

بعد ان تبلغت المرسومين باسبوع دعيت لاجتماع يعقد في بيت نعمة ثابت فلبيت الدعوة وعند وصولي وجدت الزعيم جالساً في الصالون الكبير يتحدث مع كلودا ثابت اخذت له التحية فدعاني للجلوس على يمينه قائلاً: « اجلس هنا يا امين كامل ». قلت: « حضرة الزعيم لقد حملتني حملاً لا استحقه ». قال: « سنرى ».

وتكامل عدد المدعوين فدخلنا غرفة الاجتماع وتم انتخاب اول مجلس اعلى للحزب بحضور الزعيم ففاز بالعضوية كل من فخري معلوف، نعمة ثابت، مأمون اياس، جورج عبد المسيح، كامل ابي كامل، عبدالله قبرصي ومعلوف صعب، ثم جرى الاقتراع على الرئاسة ففاز فخري المعلوف برئاسة المجلس وعقد اول اجتماع رسمي بحضور حضرة الزعيم حيث تولى مسؤولية الناموس اصغر الاعضاء سنأ واقتصر الاجتماع على قرار واحد كان لتعيين موعد ومكان الجلسة المقبلة. واخذ المجلس علماً في هذه الجلسة بأن الزعيم قد يجوز ان يتركنا بوقت قريب ويترك بين ايدينا هذه التركة الضخمة، امل الامة ورجائها، طالبا منا ان نحرص على استمرارها معافاة سليمة، وبالفعل كانت الجلسة الاخيرة الذي يحضرها الزعيم معنا في الثلاثينات ».

أول مجلس أعلى

لسنا هنا في وضع تحليل المنح انما الذي اود ان اسجله هو ان عددا من الاعضاء حصل على رتبة الامانة. وبهذا العدد شكل الزعيم اول مجلس اعلى للحزب السوري القومي الاجتماعي. اما الاعضاء فهم: فخري معلوف الذي انتخب رئيساً لهذا المجلس. جورج عبد المسيح، نعمة ثابت، مأمون اياس عبدالله قبرصي، كامل ابو كامل، معروف صعب. كذلك منح الزعيم الرفيق عجاج المهتار رتبة الامانة.



الامين مأمون اياس، ناموس المجلس

الامين فخري معلوف رئيس المجلس الاعلى



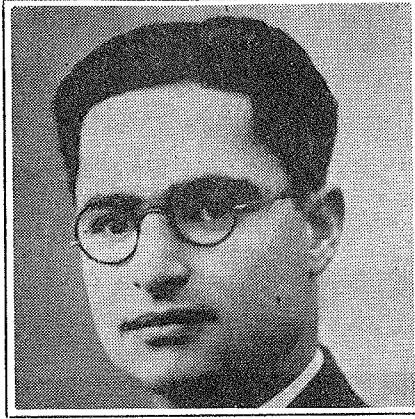
الامين نعمة ثابت



الامين جورج عبدالمسيح



الامين كامل ابو كامل



الامين عبدالله قرصي



الامين معروف صعب

بعد مدة وجيزة انتخب الامين نعمة ثابت رئيساً للمجلس الاعلى . (لا نعرف
الاسباب التي اوجبت هذا الانتخاب).

الوضع الحزبي

مكتب علي للحزب

كان لنمو الحزب مؤشرات. فعندما كان سريراً كان له مكتب سري في شارع فوش تحت ستار تجاري باسم الرفيق البير مفرج وعندما خرج الزعيم من السجن في المرة الاولى لم تتح له فرصة لاستئجار مكتب حزبي يستوعب المراجعات الكثيرة التي كانت تزداد يوماً فيوماً فجعل من منزله في رأس بيروت مكتبا للمراجعات. على كل حال داهمه الاعتقال الثاني بعد مدة قصيرة اما الآن فبعد خروجه من السجن الثاني فقد بادر الى استئجار مكتب للحزب يليق به وبالمستوى الذي توصل اليه فصار للحزب السوري القومي الاجتماعي مكتب في الطابق الرابع من بناية البحصلي في زاوية الالتقاء بين شارع المعروض وشارع ويغان فوق محلات ابو راشد في قلب الوسط التجاري، في صميم العاصمة وذلك باسم الرفيق المهندس جورج حداد.

كان في استئجار هذا المكتب الحزبي للمراجعات بهذا الشكل العلني نوع من فرض الوجود الحزبي العلني للمرة الاولى بعد هذين الاعتقالين وكان لوجود هذا المكتب دلالة معنوية رمزية قوية جداً دلت على التصميم على شق الطريق نحو حرية العمل الحزبي رغم القوانين المعمول بها وبخاصة قانون قمع الجرائم.

رأى مكتب عبر الحدود النور في هذا المكتب وعين له رئيساً الامين فخري معلوف تحت اسم مستعار «انور عصام» وكانت اهم فروع شاطئ الذهب، «قانا Ghana اليوم» والمكسيك.

كذلك تم اقتناء اول آلة استنساخ، «آلة ستنسل» تطبع على صحيفة من الجلوتين المرطب بالماء اضافة على الآلة الكاتبة التي كان قد تم شراؤها في مناسبة سابقة ذكرتها في حينها.

هذا فيما يختص بالمركز في بيروت اما في باقي المناطق فقد بدأت الفروع الخزبية تتركز تنظيماً أكثر فأكثر فمثلاً :

في عاليه

ويقول كامل ابو كامل في مخطوطه :

« وكنت قد انتقلت الى مدينة عاليه طلباً للرزق لان الضغوط علينا في بعقلين أصبحت لا تطاق فقد تعدى الاعتقال والسجن الى الضغط على زبائن الصيدلية التي كانت مورد رزقنا الوحيد فاصبح كل من يدخل الصيدلية ليشتري دواء معرضاً لضغوط مختلفة اذ يلاحقه الدرك بتنظيم محاضر ضبط بدجاجه، بخروفه، ببقرته، بالزبالة وان كانت بعيدة عن بيته حتى جعلوا الناس يتجنبون الشراء منا فقلّ رزقنا وانقطع موردنا حتى بالآخر نقلنا الصيدلية الى عاليه بعد ان عانينا من الشح والقلة الشيء الكثير .

لم تكن عاليه تختلف عن بعقلين نسبة لنا ففيها وجدنا كل اكرام وترحيب ومساعدة واذكر بالخير الرفيق الطيب الدكتور محمد امين تلحوق الذي احاطنا بالعاية الكاملة اذ جعل عيادته ملاصقة للصيدلية وكانت طبابته للاهلين بدون مقابل وذلك تشجيعاً لهم لشراء الدواء من صيدليتنا وبعده جاءنا نفس العيادة الدكتور عارف الرئيس الذي كان قد حضر حديثاً من فرنسا وبذلك اصبح رجحنا يكفي مصاريفنا من سكن ومأكولات - فتركت منطقة الشوف واستمررت اقوم بجولتين شهرياً عليها اتفقد شؤونها. الى ان تقدمت باستقالي واقترحت ان يكون حسن الطويل منفذاً عاماً للشوف بدلاً مني .

القوميون في عاليه قلائل وكان الدكتور امين تلحوق حائراً بأمرهم وقد شكى لي الامر اكثر من مرة اذ قال يأتون للاجتماع ساعة يروق لهم ذلك وقد جرب ان اقترح الرفيق امين عقل ليتولى شؤون المديرية وامين عقل شاب نشيط وزكي لكنه قليل المتابعة. قدم استقالته بعد مدة قصيرة فاقترح الرفيق نجيب الرئيس بدلاً عنه ولم يطل الحال بولاية السيد نجيب الرئيس لانه اضطر للسفر الى المهجر. وكان قدمراً على وجودي في عاليه بضعة اشهر اتصل بي الدكتور امين وبحث معي امر تسلمي المسؤولية وكنت قد استقلت من مسؤولية منفذ عام الشوف فوافقت فاقترح تعييني ناموساً لمنفذية الغرب الذي كان هو منفذها .

واول ما بدأت عملي قمت بجولة احصائية فتبين لي الآتي : مديرية عاليه وتضم عدداً

من الاعضاء واكثرهم لا يعبر النظام اهمية. وسأذكر اسماهم لان اكثرهم سقط على جانبي الطريق في المرحلة الاولى واستمر العدد القليل في ساحة النضال حتى اخر حياته. ان الاعضاء فهم الدكتور امين تلحوق الذي استمر مناضلاً طول ايام حياته حتى قضى نحبه في الاردن بعد عمر ناهز الثمانين وكان عطاؤه مستمرا.

نجيب الريس، امين عقل، امين زينة شهب، عجاج شهب، سليم حيدر، انيس باز، توفيق شهب، اديب الحداد، هاني شهب.

القفاطية اعضاء: حسن حادة، نجيب خلف

بيصور مديرية: حود نصار ملاعب، محمد العريضي، عبدالله العريضي، وكان مديراً لبيصور، اسماعيل نصار ملاعب، هاني العريضي.

شملان عضو: نجيب المقدم

سرحول عضو: توفيق نور الدين

عيناب اعضاء: سليم اسبر الخوري، وغيرهم. عضواً.

العابون: عضو اسد زين الدين.

الرملية مديرية: خطار سلمان، وديع سلمان، سليمان سلمان، نجيب ابو غانم، محمود سلمان وغيرهم.

العبادية اعضاء: محمد ثابت، سليمان العنداري، قاسم نجد.

مديرية صوفر: نجم الاحدية، رشاش الصايغ، حسين الصايغ، سليمان البنسا، وغيره.

فاعضاء منفذية الغرب لا يتجاوزون الستين عضواً.



محمد ابو حسن

نشأت في الشويفات وما حوالها على الساحل منفذية سميت منفذية الساحل الجنوبي وتشكلت هيئة منفذيتها من المسؤولين السابقين كالرفقاء طنوس نصر ونجيب طعان صعب واذيف اليها مسؤول جديد بصفة منفذ عام هو الرفيق محمد امين ابو حسن. كان المنفذ العام الجديد من المغتربين الذين عملوا لمصلحة وطنهم الام بالرغم من اغترابهم في الحقل الوطني حسب المفاهيم المتعارف عليها قبل بروز النهضة السورية

القومية الاجتماعية واعماله تبرز في مراسلاته التشجيعية للمخترع حسن كامل الصباح،
فالتحق بالسلك القومي الاجتماعي بالرغم من سنه المتقدمة التي لم تحل دون نشاطه الذي
كان يسبب نشاط الشباب وكذلك حافظ صعب للتدريب.

يوم تربل ومناوراته

ولا بدّ من ذكر ذلك الاجتماع الضخم الذي اقامته منفيذة زحله في سهول
البقاع الرحبة الارزاء يحمل القوميون الاجتماعيون اعلامهم اليه سرا ثم ينشرونها فجأة
في المكان المقرر للاجتماع فتعلم به قوى الامن وتحاول مدهامته ولكن انى لهم ذلك فقد
ناور المسؤولون واختفوا كما ظهوروا منكفئين لجهة «تربل» وهذا مما حدا بالزعيم
بتسمية تاريخ ذلك الاجتماع من الايام الحزبية التاريخية «يوم تربل ومناوراته».

كان الاجتماع يضم مايزيد على خمس مئة عضو اكثرهم من مدينة زحلة بالذات
وكان المنفذ العام مايزال يومئذ جوزيف البحمدوني ان لم تخني الذاكرة.

في الكورة

عادت الكورة منفيذة وعين الرفيق جورج ابراهيم عبدالله منفذاً عاماً لها.



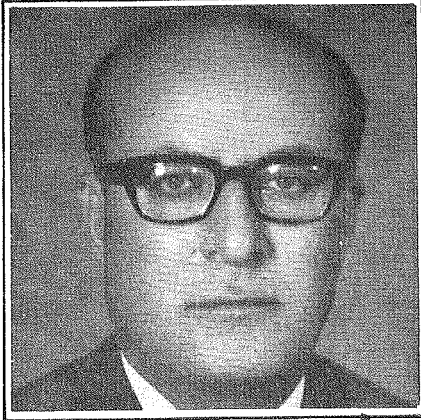
جورج ابراهيم عبدالله

في الجنوب اللبناني

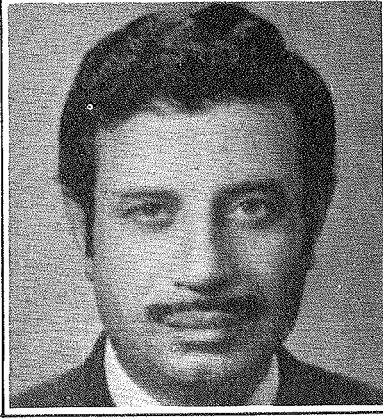
ابرز نمو للحزب في هذه الفترة حدث في الجنوب اللبناني بدءاً من صيدا. فقد
تشكلت منفيذة سميت منفيذة صيدا وعين الزعيم منفذاً عاماً لها الرفيق معروف سعد
الذي كان قد شق له طريقاً مرموقاً في الميدان السياسي الاجتماعي بعد معركة «القلعة»

التي خاضها ضد قائد الدرك اليباس مدور كما مر بنا، انما الآن عاد ليخوض معركة من نوع جديد وعين ايضا الرفقاء خالد جنبلاط، ابراهيم سنيورة وسليم البزري، ناموساً وناظراً للمالية وناظراً للاذاعة ومن المديرين البارزين الذين مازلت اذكركم بدر الدين مملوك الذي كان له نشاط كشفي بارز.

وانتقل النشاط ايضا الى صور، فانتمى الدكتور صبحي فؤاد الرئيس في المدينة كما أن الطالب خليل حلاوي انتمى في مدرسة الفرير التي كان يتلقى فيها علومه في جونية. وكان ادخاله على يد الرفيق اسعد الاسعد من الجنوب ايضاً.



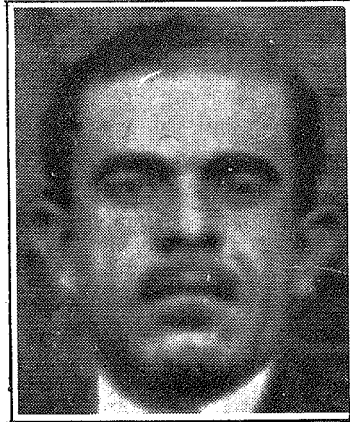
خليل حلاوي



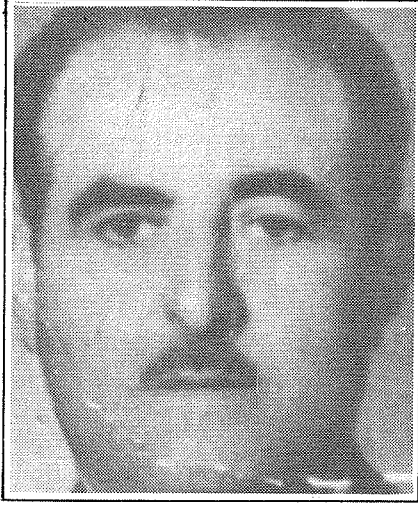
خالد جنبلاط

وفي قرى وادي التيم فقد انتمى في جديدة مرجعيون سليمان غلمية وميشال ندة وبعدهما اميل ابو سمرا ونظمي شديد، وسليمان خوري كذلك يعقوب خنيفس من بلاط وجورج زريق من دبين وفي ابل السقي كامل حداد وجورج سعاده وفي حاصبيا توفيق ابو غيدا.

توفيق ابو غيدا



وكان لهذه الانتهات الصدى الطيب مما اصبح يبشر باقبال مرموق . اما في
راشيا الوادي فكان اول المنتمين حنا مفرج الذي ادخل منصور اللحام ثم توفيق غزاله
في بكيفا فسالم جمال في المحيثة .



منصور اللحام

مع مجلة العاصفة

وفي الخامس من شهر شباط يدي بتصريح صحفي الى مجلة « العاصفة » لصاحبها
كرم ملحم كرم صديق الرفيق فريد مبارك الحميم الذي افسح المجال فيها لاقلام
القوميين الاجتماعيين ومن ابرز من كتب فيها الرفيق فريد مبارك نفسه تحت اسم
مستعار « احمد فريد » والاب بولس مسعد وكميل ضاهر طنوس (المعروف بكميل
خوري من بزبدین) وهذا الاخير اشتهر بزجلياته .
ويجري « احمد فريد » مقابلتين وينشرهما في مجلة « العاصفة » واحدة مع صبحي
فؤاد الرئيس والآخرى مع جورج عبد المسيح .

لماذا تركت مدينتي وابي وامي وزوجتي ؟

في سبيل الحزب القومي كل تضحية تهون !

حاجب على الباب ... على باب عميد الاذاعة والنشر في الحزب السوري القومي .
طلبت مقابلة حضرة العميد فقيل لي ان وكيله على استعداد لمقابلتي ... وما هي الام
لحظة حتى دخلت على شاب في الثلاثين من عمره، تدل ملامحه على اللطف والايناس ،
هو الاستاذ صبحي فؤاد الرئيس .



صحي الرئيس

ابتسم وكيل العميد بغم لعبت به ايدي اطباء الاسنان فحولت معظم اسنانه الى ذهب، قال: اهلا بكم... واجبي كوكيل عميد الاذاعة والنشر في الحزب السوري القومي يضطرنني الى شكركم على الجهود الصحفية التي تبذلونها، ليس فقط في سبيل الدعوة لكل نهضة تفكيرية بل في سبيل مناصرة النهضات الحديثة الحقيقية على الاخص.

وتحدث وكيل عميد الاذاعة عن آمال الحزب فقال: آملنا تحولت الى حقائق راهنة لدى جميع سكان هذا الوطن... نحن لا نلوم الناس اذا لم يفكروا كما نفكر ويعملوا ما نعمل لان المسألة مسألة فهم وتحصيل وليس مسألة عناد وتعصب. حضرة زعيمنا المفدى فطن للامر ودعا جميع الدوائر المختصة في العمل الى تفهيم القوم - المؤمنين طبعاً - مناهجنا واعمالنا واهدافا ومرامينا!...

قلت: كيف صرت سوريا قومياً؟... لقد علمت انك تركت مدينتك واهلك واعمالك واتيت للعمل في المركز، فما هي الدوافع التي حملتك على ذلك؟

فاجاب: كيف صرت سوريا قومياً؟... الاسباب كثيرة، ولكنني اخصها لكم بكلمة مختصرة، لمست ان مبادئ الحزب السوري القومي مماثلة لمبادئنا فتركنا مدينتي وولدي واعمالنا وجئت اعمل في مركز الحزب فذلك لان حضرة الزعيم ارادني على العمل في ادارة المركز، و ارادة الزعيم فوق كل ارادة، وثق انني لست الاول والاخير او النادر بين السوريين القوميين الذين ينهجون هذا النهج!

- كيف ترى القوة في حضرة زعيمك وما هو السلطان الذي يملكه عليكم؟

- ارى قوة حضرة الزعيم في كل نواحي شخصيته الفذة ولكنها تشبه كرة دقيقة من النور والقوة تتجليان في عينيه اللتين تشعان بالوداعة والحزم اذا بك تلمسها في سعة اطلاعه العلمي العملي وقوة حجته في كتاباته واقواله، وتلتفت فتراها متجلية من شدة صبره على الجهد والعمل، واذا باعماله الكثيرة الجليلة تقفز الى عينيك متدفقة في كل ناحية، فترى في كل منها نوعا من معين قوته الشخصية الفياض، ففي عمله هذا قوة الحزم، وفي ذاك قوة المرونة، وفي آخر قوة البداهة، وفي غيره قوة الشعور بالمسائل المهمة قبل وقوعها، وهكذا حتى تغمض عينيك وتستسلم لسلطان هذا الرجل «البطل» وانت مرتاح الضمير لان في طاعتك هذا السلطان تخدم الحق والواجب والنظام والحرية!

- اذا كنت غير سوري قومي فماذا تريد ان تكون؟

لو لم اكن سوريا قوميا لوددت ان يكون هنالك رجل سوري تتوفر فيه كل شروط الزعامة وخصوصا الشعور بالام الشعب - كما هو الحال في حضرة زعيمنا المفدى - فيهب للدفاع عن حقوقنا الطبيعية وكرامتنا القومية، فانضم الى دعوته وابشر بها والحقه تاركا مدينتي واهلي، او بعبارة اخرى لو لم اكن «سوريا قوميا» لاردت ان اكون سوريا قوميا.

- ما هو سابق اعمالكم قبل عملكم الحاضر؟

- ان اعمال المكتب لدينا وافرة جدا لا يمكن حصرها في دقائق، وتستطيعون ان تسألوا عنها ناموس وكيل عميد الاذاعة. اما ما هي الاذاعة والنشر فهي التبشير شفها وكتايا بمبادئ الحزب السوري القومي السامية. اما درجة علمي فيدلكم عليها اني من خريجي دار المعلمين بدمشق، ومن خريجي جامعة ليون في التربية وعلم النفس العملي، واما سابق اعالمي فقد مارست التعليم مدة ست سنين في مدارس حكومية واهلية مختلفة، ابتدائية وثنوية، وكنت انشأت في حيفا جريدة «اليرموك» اليومية التي لم ترق سياستها السلطة هنالك فاغلقتها بعد سنة ونصف سنة، وابتدعتني من فلسطين عن رئاسة تحرير مجلة «النير» الاسبوعية، فعدت الى دمشق ومارست التعليم الخصوصي خلال اربع سنوات انشأت في السنة الرابعة منها مجلة «سمير التلاميذ»، وفي اواخرها انتسبت للحزب السوري وبدأت مهام العمل القومي تشغلني اكثر فاكثر عن اعالمي الخاصة. واخيرا استدعاني حضرة الزعيم المفدى للقيام بواجبات وكيل عميد الاذاعة والنشر فلبيت الامر طبعاً ككل سوري قومي وقلت على كل شيء في سبيل الحزب النبيل الهدف السلام!...

حسبوني سائق سيارة معدما شقيا بانسا مع اني حامل (بكالوريوس علوم) وحارس الزعيم

جورج عبد المسيح شاب جبار من شباب الحزب السوري القومي ، شعاره الخاص :
النواميس قضت ان لا يعيش الضعفاء . ان من كان ضعيفا اكله الاقوياء . شاب
تراه دائما واسع الخطى ، راكضا الى الامام ، آخذاً بيده معولا يهدم به كل سد يقف
دون تقدم امته ، ناسفا كل قديم رث .

وهو مفوض الداخلية العام في الحزب السوري القومي ، سألته : كيف دخلت في
صفوف الحزب فأجاب : « لن يدهشك قولي اني اول من اقسام بين الاخلاص لمبادئ
الحزب السوري القومي وزعيمه ، وكان ذلك في اواخر سنة 1932 ، وكنت يوم ذاك
تلميذا في الصف المنتهي من القسم العلمي في الجامعة الاميركية .

« واقسمت اليمين عن اقتناع بصحة ما اقسمت عليه . لانني كنت قد صرفت اكثر
من سنة ادرس على نفسي وبمساعدة زعيمنا المفدى تاريخ اجماد هذه الامة والقوى
الكامنة فيها . كنت منذ احساسى الاول بالكرامة الوطنية اشعر بالامتهان الذي لحق
شعبنا ، وكنت ارقب بدقة الاعمال التي يقوم بها طلاب الوحدة السورية راضيا حيننا
وحينا آسفا حتى تكونت في داخلي عاطفة النعمة على من كانوا يصوروننا لانفسنا
بالوان باهتة لا تتفق وما كنت اشعر به من قوة في الامة وكنت اود لو اصبح يوما
قادرا على حمل معول اهدم به كل ما يقوم على اساس وهنية بالية . ومما كان يزيدني
نقمة المنادة بالطائفية وحقوقها

وتعرفت الى الزعيم المفدى - الاستاذ سعاده حينذاك - فعرف في كل هذا
فتلطف بصرف بعض وقته بمحدثتي وارشادي الى الكتب التي يجب ان اقرأ حتى
اخرمت في عقلي فكرة جبارة وهي ان سورية هي بانية الاجماد العالمية ، منها خرج
النور للعالم ، ورجالها قادوا العالم ولا يزالون مشعلا نقتدي به بالروحيات والاجتماع
والفن والحرب والتجارة والقانون المدني ، وكرهت الطرق العقيمة التي سلكها العاملون
فيها اليوم اذ انهم جعلوا السياسة هدفهم الاوحد وقصدتهم ان يعيدوا الى قرون الظلم
قرون الحقوق الاقطاعية المكتسبة للزعماء واشباههم . كل ذلك كان يتعده في ذات
الشباب الذي خلق ليحمل رسالة المجد والكرامة لامة تحتفظ من القوة بما يؤهلها للعود
الى ماضي سؤدها .

وفي يوم خريف 1932 ، على صخر نائي في جهة « الروشة » اسر « الزعيم في اذني »
رسالته ، وكنت قد شعرت وتعرفت الى القوى التي تسربت الي من ذاك الرسول الامين
فقبلت الدعوة

واما القوي التي اكتسبتها فهي تعشق النظام والقيام بالواجب وحفظ جسدي قويا
نقيا للامة والوطن!

قلت: كيف تنظر الى حضرة زعيمك؟

قال: كتلة من شعاع الاجيال، خلاصة القوى المكبوتة، والمثل الاعلى للرجل
العامل والطبيب الاجتماعي الخاذق الوحيد الذي عرف ادواء هذه الامة فلم يداوها
بالتهويل والجعجة بل وصف لها الدواء الشافي واحل مبضع العلم واللقاح الواقى!

قلت: من هم الاشخاص الذين تحترمهم بعد زعيمك، ولماذا؟

فابتسم وقال: احترم نفسي، ومن لا يحترم نفسه لا يمكن ان يحترم سواه ولا يمكن
ان يحمل الناس على احترامه. واحترم كل من يحترم نفسه فلا يبدأ الا عن اقتناع، ولا
يبحث بيمين اقسامها.

قلت: لماذا عينك الحزب حارسا لحضرة الزعيم، وهل من شروط الحراس ان
يحملوا بكالوريوس علوم؟

قال: يمكنكم ان تسألوا الرفيق مأمون اياس وكيل عميد الاذاعة حينذاك،
فالقار صدر عن مكتبه. ولما كنت سوريا قوميا فعلي ان انفذ جميع ما يمهده به الي
بكل دقة وامانة.

قلت: كيف كنت تزور المستنطق ايام كنت من سكان سجن الرمل، ولماذا ظن
المستنطق بانك سائق سيارة لا تحسن اللغة العربية!

قال بعد ان خنق ضحكة صعدت في سراديب حلقه: غلطة الطبيعة يا استاذ، فلم
تمنحني مظهرها خارجيا «يلف» كما هي الحال مع شبان «التوايت» في هذه الامة.
وقد ساعدتها يومذاك ثلاثة عشر يوما لم يعرف فيها جنبي الفراش ولا ذقني الموسيقى،
فالسطة القت القبض على الزعيم المفدى وكان علينا ان نزور جميع المناطق لنزودها
المعلومات اللازمة قبل ان ننضم الى بطلنا وقائدنا في «قصر الرمل». فتصور الحالة التي
قابلت المستنطق بها. انا لم اتعجب من معاملته الاولى لي، ولا اكتمك اني جربت ان
امثل الدور الذي ارادني حضرته ان امثله بعد ان سمعته يحدث مفوض التحري الامير
شهاب بقوله «هذا المسكين، البريء، كل ذنبه انه كان يحرس السيد سعادة لقاء بضعة
درهيات ومحل للنوم. واني اشعر الان بان رأيه تبدل وقد عرف ان هذا المسكين
يحمل «بكالوريوس علوم» ولم يكن يخدم لا هو ولا غيره من العاملين في الحزب الا
مدفوعين بروح الواجب التي نفخها فيهم زعيمهم الفذ.

قلت: كيف تحمل اوامر الحزب الى المناطق وما هي مسؤولياتك الحزبية؟

قال: مسؤولياتي الحزبية اختصرها بكلمة سوري قومي متحفز لاي عمل يرى

الحزب ان يسنده الي. وقد شرفني بان جعلني صلة بين المركز والمناطق وهذا هو عملي الحالي. فاجمع ثقة المركز الى القوة الجسدية التي تساعدني على قطع الجبال لزيارة القرى النائية مشيا على الاقدام، واني احمل اوامر المركز بروح الرجل العسكري الذي يعرف واجبه ويقوم به بدقة وامانة واخلاص. ويساعدني في عملي تعشق النظام. فلا اسمح لنفسي ولا لاي سوري قومي كان الاخلال به.

قلت: كيف طاردت الاحزاب المريضة في الشوف والكورة؟

قال: هذه الاحزاب ليست الا حشرات سامة تغذي فئة عرفت كيف تهول على الناس وتستغل سذاجة سواد هذه الامة في سبيل منافع شخصية تؤذي الامة. اما كيفية مطاردتها فتصعب وتهون حسب المناطق. ففي الشوف، معقل اشاوس بني معروف، كانت الحرب هينة. اذ ان مبادئ الحزب فتحت لهم طريقا سويا لخدمة الامة في صفوف القومية فمشوا عن اقتناع وصمموا على خلع قبر الجماعات التي استغلت قواهم مدة طويلة. وكانوا دائما ينتظرون ان يتاح للوطن رجل او هيئة تعمل له باخلاص. وما اطلت مبادئ السوريين القوميين حتى هللسوا وانضموا افواجا افواجا الى صفوفنا!

« اما في الكورة فالشباب الراقي القادر على التمييز والمفاضلة كثير، وعلينا ان نوقظ فيهم روح خدمة المصلحة العامة لكي يميلوا عن استغلالهم زمنا واستعملوا قواهم ومواهبهم في سبيل مصلحة شخصية... »

★ ★ ★

في المدن السورية

في هذه الاثناء كان الامين مأمون اياس الذي كان يحمل مسؤولية عميد الداخلية، يقوم بجولة على المدن السورية الداخلية، دمشق، حمص، حماه وحلب، التي كان الحزب بدأ ينتشر فيها وبصورة خاصة في دمشق وحماه، لذلك كانت فروع الحزب فيها تحتاج الى عناية خاصة مباشرة.

كان ادمون عبدو لولب الحركة في دمشق كما ان اكرم الحوراني كان قائد الحركة في حماه. دامت هذه الرحلة اسابيع واعطت ثمارا جيدة.

وقد اخذ صورا تذكارية انشرها لهذه المناسبة.



مأمون اياس وادمون عبديو في دمشق



تقييم في العقيدة

وقبل ان نتابع سرد الحوادث الجارية بسبب الاعتقال الثالث اود ان اسجل تقييماً للزعيم عن العقيدة وفعلها في الاوساط السورية كما ورد في رسالته الرابعة الى غسان تويني تاريخ 26 ايار 1946 رداً على اتهام الحزب « بالتحجر الاكاديمي »: « بفضل ذلك « التحجر الاكاديمي » وتغير الظروف السياسية يتقدم الحزب السوري القومي الاجتماعي اليوم لاحتلال مكانه السياسي الممتاز في جميع المناطق السورية ودولها ومكانه الثقافي الممتاز في جميع المناطق السورية ودولها ومكانه الثقافي الممتاز في « تفجير النشاط الثقافي في البلاد، سواء في صفوف الحزب ام خارجها » الذي دعت اليه، بالاكتر، عقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي والتي وضعت على بساط البحث قضايا الامة الحقوقية والسياسية والاقتصادية والادبية والفنية والفلسفية وتناولت ما هو اوسع من نطاق الامة والتي هزت الافكار وحركت العقول وحررت الافهام. فلا ننسى كم حل « الجدال العقائدي » الذي اثاره الحزب، للعقول من عقد، وكم دعاها الى تفكير هادىء او صاحب. فان عقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي ونظرياته قد حركت العقول ونشطت الافكار، ليس فقط في الذين دخلوا في صفوفه، بل في جميع المشتغلين بالسياسة والاقتصاد والثقافة والادب. ولست اريد ان اقول ان كل نشاط فكري مصدره الحزب بل اريد اظهار ما كان لعقيدة الحزب ونظرياته من شأن في دفع قوى الامة نحو هذا « النشاط الثقافي المتفجر » وهو شأن اعترف به رجال ومؤسسات لها مكانتها. فاعترف به السياسي الكتلوي المعروف الاستاذ فارس الخوري في عدة مناسبات، منها امام عدد من نواب المجلس الشامي في غرفة رئاسة المجلس بحضور الزعيم ومنفذ دمشق العام آنذ الرفيق فريد مبارك، وشهد به مؤلف كتاب «Nationalité Syrienne devenue Arabe» من الكتلويين واعترف به الدكتور شارل مالك قبل تعرفه بالزعيم في « نادي الفلسفة في الجامعة الاميركانية » واعترف به جميل مردم نفسه في مقابلة بينه وبين الزعيم في فندق النجار في صوفر بحضور عدد من القوميين الاجتماعيين و« الكتلويين »، واقرب به رجال المفوضية الفرنسية انفسهم والاب ستور في الجامعة اليسوعية والمرحوم الدكتور عبد الرحمن شهنيدر وظهر اثر شأنه في محاولة « الكتلة الوطنية » اقتباس شكل مبادئه في « ميثاقها » الذي وضعته بعد اربعين هنانو. وفي تصريحات مكتومة للمير شكيب ارسلان الى اصدقاء خصوصيين له، وفي ادلة كثيرة وغير ذلك يمكن اخذها من الصحف وخطب السياسيين وحوادث البلاد بوجه الاجمال ونشوء طائفة الاحزاب البيغائية فيها، تقلد حزبنا ».

مع مجلة العاصفة

في 5 شباط 1937 يجري الزعيم حديثا مع مندوب مجلة « العاصفة » انخله لانه يلقي ضوءاً على الوضع الذي كان سائدا يومئذ وهو من باب « المختصر المفيد » .

قلت: « ما شجعك على القيام بحركة حزبية في بلاد لا تشجع على حركات كهذه ؟ »
قال: « شجعني على ذلك ان البلاد بلادي والقوم قومي، ومسألة اصلاح هذا الشعب وتقدمه تهمني وتشغل اوقاتي ومتى انتصرت الحركة التي اقوم بها اتسع المجال لقطف ثمارها » .

قلت: « ايلوح لك ان نجاح هذه الحركة طابق المأمول ؟ »

فاجاب: « هو بقدر ما كنت اتوقع، بل اكثر قليلا، فالامة برهنت ان عناصر الحياة فيها قوية فلا يخشى عليها من الاضمحلال، اقول ذلك لاني اختبرت الامر بنفسني، مما شجعني على المضي في حركتي حتى النهاية. »

قلت: « كيف كان شعورك لدى دخولك السجن في المرتين الاولى والثانية وما الفرق بينهما ؟ »

قال: « دخلت السجن في المرة الاولى شاعرا ان القضية التي اعمل لها في الخفاء اصبحت قضية علنية سيراها الشعب في اقوى صورها واجمل مظاهرها. دخلت السجن في المرة الثانية شاعرا ان الحزب السوري القومي يجتاز المحنة التي لا بد لكل حزب مثله ان يجتازها. ويمكنني القول انه اجتازها بسلام. »

قلت: « اتلاحظون كما يلاحظ سواكم تطورا في الرأي العام تجاه حزبكم ؟ »

اجاب: « نعم، لاحظ ان الرأي العام اخذ يفهم اهداف الحزب السوري القومي

الحقيقية بعد ان وضح اختلاق الاشاعات حوله وتجلت مبادئه القومية العادلة . «

قلت : « ما هو موقف السوريين في المهجر من حزبكم ؟ »

قال : « ان السوريين المهاجرين هم اكثر اهلية لتقدير هذه النهضة القومية الصحيحة ، وانا نعدهم من القوى العاملة في الامة السورية . »

قلت : « ما رأيك في النهضة اللبنانية الحديثة ، هل تطول ؟ »

قال : « حقيقة ، ان هناك فورة لبنانية غير منظمة التفكير وغير منظمة العمل ولا اقدر ان هذه الفورة تطول لان الحاجة الاقتصادية والعامل الاقتصادي يحددان مدى الاعمال التي لا تنطبق على شروط الحياة . »

وسألته ايضا ، هل قرر الحزب السوري القومي دخول الانتخابات النيابية في لبنان وعلى اي اساس ؟

فاجاب : « لم يقرر ذلك حتى الان فالمسألة لا تزال تحت النظر . »

قلت : « ما رأيك في مستقبل سورية ولبنان الاقتصادي والسياسي بعد المعاهدتين ؟ »

قال : « ان المعاهدتين لم تغيرا تغيرا كبيرا الكيان اللبناني والسوري بالنسبة الى الموقف العالمي . ولولا النهضة السورية القومية التي تعمل لها الآن الالوف من الشبان المنظم في طول سورية الجغرافية وعرضها لكنت من اشد المتشائمين بمصيرنا . »

قلت : « ما رأيكم في تسوية قضية الاسكندرونة بين الحكومتين التركية والفرنسية وما هو موقف الحزب السوري القومي منها ؟ »

قال : « ان موقف الحزب السوري القومي من قضية الاسكندرونة لا يزال عند المستوى الذي سجله الحزب في المذكرة التي رفعها الى الجمعية الاممية بواسطة دار الانتداب . وفي الكتاب الذي ارسلته الى المفوض السامي معربا عن استعداد السوريين القوميين للدفاع عن اللواء والاحتفاظ به مهما كلف الامر . اما التسوية الاخيرة بين الحكومتين التركية والفرنسية فهي تسوية عرجاء ليس الثبات مضمونا لها . »

الوضع السياسي اللبناني

في 8 شباط 1937، رفعت فئة محمدية تسمى نفسها « المجلس القومي الاسلامي »⁽¹⁾ عريضة الى المفوض الفرنسي فيها كل ما يمكن ان تحتوي عليه الحزبية الدينية من حجج تعزز موقفها في الكيان اللبناني وزيادة في اعطاء القارئ فكرة صحيحة عن الوضع السياسي اللبناني انشر فيما يلي مقالين كتبها الزعيم في جريدة « الزوبعة » التي كان يصدرها في بوانس ايرس - الارجننتين لما فيها من تحليل واقعي حقيقي لهذا الوضع السياسي اللبناني الذي لم يتغير وان بعد مرور عشر سنوات عليه، وبخاصة لبعض الاستشرافات التي ثبتت مصداقيتها اليوم، وذلك تحت عنوان « الحزبية الدينية » و« الدولة الدينية » في العدد 63 و 64 تاريخ 15 تموز 1947 و 1 آب 1947. (هذه الحزبية الدينية التي اصبحت تسمى اليوم « الطائفية السياسية »).

الحزبية الدينية في سورية وولاياتها

لا مشاحة في ان الحزبية الدينية لاتزال من اعظم مشاكل سورية الداخلية ومن اكبر العراقيل التي تعترض سير النهضة القومية الاجتماعية في سورية. وقد عاجلت الصحافة القومية الاجتماعية في الماضي بعض المسائل التي اثارها تلك الحزبية المشؤومة ونريد الآن ان نعالج المسألة الجديدة القديمة الناشبة بين مؤسسات واطاسات التعصب الحزبي الديني المحمدي وحكومة « الجمهورية اللبنانية » فقد ورد مؤخراً في برقية عن انقرة صادرة في 10 مايو الماضي ان « اخباراً من بيروت تعرف ان قصد الحكومة ارساد

(1) كان رئيس المجلس القومي الاسلامي الدكتور سامح فاخوري وهو والد رفيقنا عفيف فاخوري، عميد مالية سابق جاء بعد عميد المالية جورج حكيم وهو عم رفيقائنا محيي الدين فاخوري وبشير فاخوري ونعم فاخوري ابناء اول نائب محمدي سني عن بيروت محمد فاخوري.

عدد من المراكز في المجلس الذي سيتشكل قريباً، للبنانيين المهاجرين، قد اثار غضبا شديدا في اوساط لبنان المحمدية. والسبب هو ان كل هؤلاء المهاجرين تقريبا، الذين يعيش معظمهم في امركة الشمالية والجنوبية، هم مسيحيون. وتصف الاوساط المحمدية المذكورة تدبير الحكومة « بأنه ضد مصالحها الطائفية في المجلس»، والمسألة تشمل نحو ثمانين الف مهاجر».

الخبر يكاد يكون غريبا، وانه لغريب لكل من لا اطلاع له على مجرى الامور ودخائل القضايا في الوطن، لكن مها ظهر هذا النبا غريبا فهو الواقع. وهذه حقيقة محزنة، لان هذه الحوادث هي ذريعة الانفصاليين والداعين الى اليأس وحجة المسيحيين على تعصب المحمديين الديني وعلى « استحالة التفاهم والاتفاق مع المحمديين»، التي يرددونها كلما دعا داع من القوميين الاجتماعيين الى توحيد الصفوف والتآخي القومي.

ليست هذه اول مرة تظهر فيها هذه الظاهرة النكراء من قبل بعض الاوساط الرجعية من المحمديين ففي سنة 1937 رفعت فئة من هؤلاء الرجعيين، تسمي نفسها « المجلس القومي الاسلامي» عريضة الى المفوض الفرنسي - الى مفوض الدولة الاجنبية المحتلة البلاد! - تستنكر فيها عزم حكومة لبنان على تسوية مشكلة جنسية المهاجرين بما يبقي لهم حقوقهم في الانتساب الى وطنهم وتحتج على هذه الفكرة وتحارب بجميع الحجج الباطلة والصحيحة حفظ حقوق المهاجرين السوريين من لبنان في الهوية التابعة للاوضاع الحاضرة في الوطن، واليك نص العريضة، منقولاً عن عدد جريدة « النهار» الصادر في 13 فبراير 1936:

« يا فخامة السفير

ان المسلمين، رغم تعلقهم بمبدأ الوحدة قد قنعوا بالتريث في تحقيقها ريثما تنهياً أسبابها وظروفها باعتبار ان قضية الوحدة قضية زمن فحسب وان احقاق الحق والمساواة بين الطوائف في الجمهورية اللبنانية امر ضمنته الوعود التي قطعتها حكومة فرنسا، ووعودكم الشخصية ونصوص المعاهدة الفرنسية اللبنانية.

على هذا الاساس استقبل المسلمون الوضع الحاضر بأمل وتفاؤل غير انه جاء بالبيان الوزاري ما يصح ان نسميه مفاجأة، اعاد شعور القلق والتشاؤم الى نفوس المسلمين، اذ تلمسوا فيها بوادر الرجوع الى خطة قديمة مرسومة. ولقد رأينا، اتباعاً لخطة الصراحة، التي تعودتموها منا، ان نفضي اليكم بما يساور نفوسنا من القلق لهذه البوادر فتتخذوا منذ الآن ما يحول دون تحقيقها ويزيل المخاوف من النفوس لكي

يمكن الوصول الى استقرار يصح السكون عنه .

ان البيان الوزاري المؤرخ في 4 شباط 1937 تضمن فقرة خاصة بالمهاجرين تقول فيها الحكومة « انها تسعى لتصل الى حل نهائي لمشكلة الجنسية » .

ان فخامتكم تعلمون ان الركن الرئيسي الذي يقوم عليه النظام السياسي في لبنان هو نسبة عدد الطوائف بعضها الى بعض ، لذلك كانت قضية عدد السكان والنسبة بين طوائفهم قضية حيوية بنظر المسلمين خاصة لان على اساسها تتوزع الحقوق ومنها يجب ان يتبدىء الانصاف الذي يطلبون والذي وعدوا به والذي عليه يتوقف الاستقرار ، استقرار ينشده ابناء البلاد جميعا وتسعى اليه فرنسا .

وبعد فلو كان ما ورد في البيان الوزاري يعني السعي لعودة المهاجرين الى هذه الديار ليشتروا في خدمتها ويتمتعوا بحقوق الوطن ويقوموا بما عليهم من فروض وواجبات لكننا اول من يرحبون بهذا السعي .

ولكن لهذه القضية وجها آخر يتلخص بتضخيم بعض الطوائف تضخيماً وهمياً على حساب طوائف اخرى . وهذه خطة قديمة اتبعت في الماضي وكانت عاملاً كبيراً من عوامل التبرم والتذمر والاضطراب .

ان قضية المهاجرين اللبنانيين قد بتّ فيها دولياً بموجب معاهدة لوزان في المواد 30 وما يليها وقد جاء في هذه المواد ان العثمانيين الموجودين في المهاجر من ابناء البلدان المنسلخة عن السلطنة العثمانية (واللبنانيون منهم) لهم الحق ان يطلبوا التجنس بجنسية بلدهم المنسلخ عن السلطنة أو بجنسية البلد الذي يقيمون فيه وقد اعطوا مهلة سنتين انتهت في 11 آب سنة 1924 لاستعمال حق الاختيار المذكور . وبعد انقضاء هذه المدة اذا لم يستعملوا هذا الحق يعتبرون محتفظين بجنسيتهم العثمانية القديمة .

ولقد تبين، بعد انقضاء الموعد المضروب في معاهدة لوزان ان عدد الذين طلبوا الجنسية من المهاجرين كان ضئيلاً .

فقد آثر معظمهم عدم اختيار الجنسية اللبنانية في حين انه كان من المنتظر عكس ذلك ، اي كان منتظراً ان يعود المهاجرون اللبنانيون الى وطنهم ويحددوا صلتهم به بعد الانقلاب ، اذ زالت السيطرة العثمانية عن بلدهم وحلّت فيه فرنسة حامية ووصية ومنتدبة .

علا ، ان انصراف اولئك المهاجرين عن اعتناق الجنسية اللبنانية في تلك الظروف

التي كان مفهوما لديهم خاصة انها ملائمة لهم، متفقة مع مصالحهم وامانيهم، وقد اكد انصرافهم عن النظر الى لبنان كوطنهم الحقيقي وبيّن عزمهم على اتخاذ مهجرهم وطنا نهائيا لهم.

وان مشيئة هؤلاء المهاجرين الصريحة بعدم اختيار الجنسية اللبنانية وتثبيت هذه المشيئة دوليا بموجب معاهدة لوزان وانقضاء المهلة الممنوحة في المعاهدة، كل هذا جعل مسألة جنسيتهم امرا مبتوتا فيه من الوجة القانونية الدولية. فاعادة البحث في هذا الموضوع يكون مناقضا للامر المقضي ومنافيا للحقوق المكتسبة للطوائف المقيمة في هذه البلاد.

ولا يمكن ان يفهم منه الا انه في النية العودة الى خطة التضخيم القديمة التي كان من جملة مساوئها ان قيد كثيرين من المهاجرين في عداد الغائبين موقتا عن البلاد، في حين انهم انفصلوا بخارين جنسية وفعلا عن لبنان وقد قضوا خارجه مدة لا تجيز اعتبارهم غائبين موقتا.

لقد كان، يا صاحب الفخامة من وراء هذه الخطة اللبقة ضياع حقوق سياسية للمسلمين في بلد يقوم فيه التمثيل الانتخابي وتوزيع الحقوق على نسبة عدد الطوائف بعضها الى بعض.

وبينا نعتقد ان الدور الحاضر سيزيل الحيف الموروث عن مثل هذه الخطة القديمة، اذا بالبيان الوزاري يعيد الى نفوس المسلمين القلق الذي أشرنا اليه في صدر هذا الكتاب ويحملهم على الاعتقاد ان تنفيذ خطة التضخيم سيكون اشد خطرا واوسع مدى في هذا العهد مما كان عليه في السابق.

ان المسلمين في هذه البلاد لا يريدون ان يغمطوا حق احد ولا هم يريدون ان يأخذوا كثر من حقهم ولكن في الوقت نفسه لا يريدون ان تغمط حقوقهم بأساليب لبقة دقيقة من هذا النوع.

ان المسلمين يرون ان حسن النية في هذا الموضوع لا يمكن اثباته لدى الجميع الا بأن تكل الحكومة امر الاحصاء المقبل الى خبيرين فنيين من الاجانب الموثوق بتجردهم كما فعلت كثير من الدول الفتية، قطعاً لكل اعتراض وشكوى، على ان لا يدخل في هذا الاحصاء من المهاجرين الا من ثبت انهم اختاروا الجنسية اللبنانية بصورة صحيحة وفاقا لتصوص معاهدة لوزان.

ان هذا الاحصاء النزيه وحده يعطي الاكثرية لاصحابها، هذه الاكثرية. التي يدعيها الطرفان معا والتي طالما صرحت بعض المقامات المحترمة بأنها لطائفة وليست لآخري. وتفضلوا، يا فخامة السفير بقبول فائق الاحترام».

في العريضة المثبتة آنفا نجد الموقف الواضح للفئة التي سمت نفسها «المجلس القومي الاسلامي» وارادت ان تنزلها منزلة التعبير عن ارادة المسلمين المحمديين جميعهم (وسنبحث قيمة هذا التعبير في ما يلي) وجمعت فيها جميع الحجج التي يمكن ايرادها لتأييد وجوب الاستغناء عن بضع مئات او عشرات الالوف من ابناء الوطن المغتربين لمجرد انهم مسيحيون، وإبقاء جنسيتهم يمكن ان يضعف تأييد بعض الطامعين في وظائف الحكم من الحزبيين الدينين. فلننظر في الحجج الواردة في العريضة ونفحص جوهرها:

- تبتدىء العريضة بتوكيد تعلق المحمديين «بمبدأ الوحدة» من غير ان تعين أية وحدة تعني هل هي الوحدة السورية ام الوحدة العربية. ولكننا نرجح انها تعني الوحدة السورية، اذ لا يوجد بين الطوائف المحمدية في لبنان من يرفضها الا ان يكون ممالئا او نفعيا. ومع ترحيبنا بفكرة الوحدة السورية التي هي الفكرة الوحيدة التي تمثل حقيقة شعبنا وتشق له طريق السيادة والارتقاء أيا كان مصدرها ومهما كانت العوامل الوقتية الدافعة اليها عند فئات معينة، فلا يمكننا ازالة النفرة من الاسباب الدينية التي تدفع فئة «المجلس القومي الاسلامي» الى طلب الوحدة التي لا ترى فيها غير الوحدة الدينية، كما هو واضح من اغراض العريضة وحججها، ولا محو الاشتمزاز من الالتجاء الى سلطة اجنبية ومن الاستناد الى نصوص معاهدة فرضت على الشعب فرضا بحيث يكون الاستناد الى المعاهدة اعترافا بها.

- تنتقل العريضة الى بحث مسألة المهاجرين من لبنان الذين هم سوريون ويجب الاحتفاظ بجنسيتهم السورية او بالهويات الفرعية التي جزأت الارادة الاجنبية سورية اليها فنتناول هذه القضية الحيوية الخطيرة من وجهة نظر ديني بحت وتجعل نظام لبنان الطائفي المؤقت، الاساس اللازم لبحثها. فتقول تلك الرجعية انه بما ان نسبة عدد الطوائف بعضها الى بعض هو الركن الرئيسي الذي يقوم عليه نظام لبنان الفاسد فان استبقاء جنسية المهاجرين من لبنان يجب ان لا يكون لهم اشراك في مسائل لبنان لكي يتسنى للطوائف المحمدية ان تكتسب حقوقا اوسع في المجلس. وهذا الرأي يفتح قضية من أعرب القضايا التي تتصارع فيه القومية والمذهبية الدينية. فان طلب ترك ما

يزيد على مئة الف مهاجر يمدون اهلهم واقربائهم في الوطن ومشاريع الوطن نفسه بالمساعدات ويمكن ان يكونوا قوة لوطنهم في الخارج وفي الداخل هو من ادعى الامور الى الدهشة لما فيه من الغفلة عن المصالح القومية العامة في مجرى التاريخ وفي المستقبل القومي الذي يجب ان تذوب فيه قضية « نسبة عدد الطوائف بعضها الى بعض » في قضية « النمو القومي وحشد القوى السورية جميعها في الداخل والخارج لشق طريق الحياة والسيادة والسؤدد لسورية » .

- تحتج العريضة بالقول ان البيان الوزاري لم يشتمل على خطة صريحة لاعادة المهاجرين الى وطنهم . واصحاب العريضة لا يفهمون ان حفظ الجنسية هو شرط اولي لامكان العودة في الظروف المناسبة وان مشروع استقدام المغتربين ليس امرا يمكن الحكومة اللبنانية تقريره ، لانه يتناول مسائل اقتصادية خارجة عن صلاحية الحكومة اللبنانية « التي لا سيادة لها تخولها البت في هذه المسائل . وليس صحيحا ان اصحاب العريضة يرحبون بعودة المغتربين ليس امرا يمكن الحكومة اللبنانية تقريره ، لانه يتناول مسائل اقتصادية خارجة عن صلاحية الحكومة اللبنانية « التي لا سيادة لها تخولها البت في هذه المسائل . وليس صحيحا ان اصحاب العريضة يرحبون بعودة المغتربين المسيحيين الذين يزيدون نسبة عدد الطوائف المسيحية ، لانه ما دام الموضوع قائما على « نسبة الطوائف بعضها الى بعض » فلا يوجد طائفة تشتهي ان يزيد عدد غيرها لا زيادة حقيقية ولا زيادة وهمية . ومسألة عودة المغتربين تتطلب تشريعا لحماية الراسمال القومي . وهذا امر لا تملكه الحكومة اللبنانية ولا الحكومة الشامية ولا اية حكومة بلدية اقامها الاستعمار المسمى انتدابا . فكم من مغترب عاد الى وطنه ليوظف رأسماله فيه فخر ما حصله في عقود من السنين بالكد والكدح وكم من مغترب عاد الى المهجر يائسا ، حزينا ، لانه لم يجد ما يضمن له توظيف ماله في وطنه ليحيا ويعمل فيه ! فالغاء جنسية هؤلاء المغتربين الامناء لوطينتهم ، لانهم لا يتمكنون من الاقامة والعمل في وطنهم ، أمر لا يستند الى حق ولا تسوغه الروحية القومية الصحيحة ولا تقبله غير عقلية « النسبة الطائفية » .

- تتطرق العريضة الى الاستناد الى معاهدة لوزان الجائرة التي تعتبر مؤامرة على وحدة الشعب السوري وعلى القومية السورية وقواها في الخارج لتثبت ان لا وجه لاعادة النظر في مسألة المغتربين الذين لم يسجلوا اسماءهم في القنصليات الفرنسية ضمن المدة التي نصت عليها معاهدة لوزان المشؤومة . ولا يريد اصحاب هذه العريضة الغربية في

بأنها ان يبحثوا الدوافع الوطنية التي دفعت كثيرا من المغتربين الى الاحجام عن تسجيل اسمائهم في القنصليات الفرنسية. فأكثر المغتربين الذين لم يسجلوا اسماءهم امتنعوا عن التسجيل لاستغرابهم ما تفرضه عليهم تلك المعاهدة المذلة لآبائهم من الخضوع للتدابير الفرنسية والالتجاء الى القنصليات التي كان لها في معاملته قضايا لا مجال لفتحها الآن. وبين رافضي التسجيل عدد من المغتربين المحمديين والدروز فجميع هؤلاء القوميين الشرفاء يجب ان يخسروا جنسيتهم وحقوقهم في وطنهم لان الفئة التي تسمي نفسها « المجلس القومي الاسلامي » توافق على معاهدة لوزان التي عاملت مواطنيهم المغتربين معاملة الالهانة والتحقير، وعلى جميع الاتفاقات التي تحرم الامة السورية جماعة كبيرة قوية من انبائها بينهم مئات والوف من غير المسيحيين فأصحاب العريضة يريدون ان يضحوا كل الاعتبارات القومية وبجميع السوريين في الخارج من اجل تأييد ارتفاع « النسبة الطائفية » الى ما يشاؤون منها !.

لا غرو، فهذا هو منطق « القومية الدينية » !

الى هذا المنطق والى هذه الاسباب عينها تستند اعمال التهيج الجديد في الاوساط المحمدية في لبنان للخؤول دون تنفيذ مشروع الحكومة الرامي الى منح اللبنانيين المغتربين حق التصويت وانتخاب ممثلين لهم في المجلس .

بعد التحليل المتقدم لموقف فئات الرجعية الدينية، والحزبية الدينية المحمدية هل يجب ان نستنتج ان التعصب الديني موجود في الاوساط المحمدية فقط وان الحزبية الدينية لا وجود لها الا فيها وان اللوم يقوم على اصحاب العريضة النكراء التي رفعت سنة 1937 الى المفوضية الفرنسية ؟

لا شك في ان اصحاب الرجعة الدينية والحزبية الدينية المسيحية يريدون ان يعتقد العالم ان هذه هي الحقيقة. ولكن الواقع يخالف هذا الاستنتاج. فالذي لا جدال فيه ان الحكومة اللبنانية لم تفكر في هوية المهاجرين من لبنان لغرض قومي او وطني بل لغاية حزبية طائفية فقط.

الحكومة اللبنانية التي وجدت بفضل الحزبية الدينية والطائفية والفئة التي سمت نفسها المجلس القومي الاسلامي تخاطبان بلغة واحدة وعقلية واحدة وأسلوب واحد. فالحكومة اللبنانية التي اكثر اعضائها مسيحيون او يجب، في عرف طائفته الممقوتة ان يكونوا كذلك، لم تلجأ الى الاهتمام بأمر جنسية المهاجرين، الا عندما رأت ان عدد السكان المحمديين صار يهدد غاية الحزبية الدينية المسيحية من وجود « الدولة » اللبنانية

المنفصلة. فان المهاجرة من لبنان، واكثرها مسيحية، انقصت الزيادة النسبية المسيحية في عدد الطوائف. وما تجره المهاجرة من نقص المواليد ايضا في الجانب المسيحي مع بقاء نسبة المواليد المحمدية في ارتفاع بسبب قلة المهاجرة من الطوائف المحمدية جعل قضية الدولة المسيحية في لبنان في خطر كبير.

لهذا السبب لا لغيره تنشأ المشادة بين الحزبتين الدينيتين، المحمدية والمسيحية، في «دولة» لبنان، التي ارادت المقامات الدينية المسيحية ان تكون «دولة مسيحية» ولذلك صارت الطائفية اساسها. فأوساط الرجعة المحمدية تقاوم الاحتفاظ بجنسية السوريين المهاجرين من لبنان ومنحهم حقوق الانتخاب والتمثيل في المجلس النيابي اللبناني، لان ذلك يفقدها الامتيازات التي يمكن ان تحصل لها بسبب تناقص الطوائف المسيحية بعامل المهاجرة. وأوساط الرجعة المسيحية تريد تحقيق تلك الغاية للاسباب التي عرضت لها عريضة الفئة المسماة المجلس القومي الاسلامي. وهي اسباب حقيقية، وان كانت لا تجيز للفئة المذكورة اتخاذها ذريعة لطلب تجريد المغتربين من هويتهم، الذي يعني افقاد الوطن قوى هامة ضرورية للعمل القومي العام الذي توضحه الحركة السورية القومية الاجتماعية.

ولا يظن المسيحيون ان الفئات المحمدية الرجعية التي هي من نوع فئة «المجلس القومي الاسلامي» هي كل المحمديين او ممثلة لجميع رغباتهم. فان النهضة السورية القومية الاجتماعية قد برهنت على وجود عناصر محمدية قابلة للتفكير القومي الصحيح ومحاربة الحزبية الدينية في اوساطها. ولا يظن المحمديون ان حزبية الحكومة اللبنانية الدينية تمثل التفكير الصحيح لجميع الاوساط المسيحية. فقد برهنت الحركة السورية القومية الاجتماعية على وجود عناصر مسيحية صالحة للتفكير القومي الصحيح ونبذ السياسة الدينية الطائفية في القضايا القومية.

بناء على الشروح المتقدمة نقول ان وجهة النظر السورية القومية الاجتماعية تعتبر وجهتي نظر الحزبتين الدينيتين، المسيحية والمحمدية، في لبنان وفي كل بقعة سورية اخرى، خاطئتين ومسؤولتين عن كل شقاق وهياج ديني يسببه تزاوجهما، وعن كل خسارة قومية تنتج عن مقاومة احدها الاخرى. وفي الوقت عينه يمكن، من وجهة النظر القومية الاجتماعية، قبول نزعة الاوساط المحمدية في لبنان الى الوحدة السورية، مع رفض الاسباب الحزبية الدينية الداعية اليها، وقبول نزعة الحزب المسيحي في الحكومة اللبنانية لحفظ حقوق المغتربين وهويتهم وتوثيق عرى اتصالهم بوطنهم، مع

رفض الاسباب الحزبية الدينية الباعثة عليها .

واننا، لزيادة الايضاح، نقول انه لا داعي للتخوف من هذه المظاهر، الحزبية الدينية، لانها ليست قائمة على اسباب دينية، بل على اسباب سياسية شخصية مختصة بالاشخاص من المسيحيين والمحمديين الذين لهم مطامع مع الحكم وليس لهم وسيلة غير الطائفية لينفذوا بواسطتها مطامعهم ولو خربت الامة في الشقاق الديني. ولنا ادلة كثيرة على ذلك منها ان الحكومة اللبنانية التي احتجت عليها عريضة الفئة المدعوة المجلس القومي الاسلامي كان على رأسها رجل محمدي هو خير الدين الاحدب الذي اوعد الى مؤيديه من المحمديين بانشاء فئة اخرى محمدية لناوأة فئة المجلس القومي الاسلامي، فأنشئت الفئة التي عرفت باسم «المجلس الاسلامي الاعلى». وهكذا في الاوساط المسيحية انحازت فئة المعارضة لامييل اده الى الاتفاق مع اعضاء المجلس القومي الاسلامي، والذين منهم أمثال رياض الصلح، في مواقف عديدة.

فئتا الحزبية الدينية يتافقان في الدين وفي الوطنية. والحزب السوري القومي الاجتماعي ينادي بجمع المخلصين الى الاتحاد في مبادئه القومية الاجتماعية لتقويض الحزبية الدينية وازالة الحالة السيئة التي وصلت اليها الامة من جرائمها، ولانشاء العهد القومي الاجتماعي الجديد الذي تنهض فيه الامة السورية كلها لاستعادة سيادتها وحقوقها التي هزمتها الارادات الاجنبية المخالفة للحزبية الدينية في وطننا.

الدولة الدينية اللبنانية في خطر

مما نشرناه في العدد السابق في صدد الحزبية الدينية وولاياتها في وطننا يتضح ان دولة الاستعباد التي سميت «الجمهورية اللبنانية» قد اصبحت اشبه ببركان على وشك الانفجار والفضل في وجود هذه الحالة عائد الى الاغراض الاساسية التي بنيت عليها تلك «الدولة» الانفصالية السورية والى نظام الحقوق السياسية والمدنية المتبع فيها والى السياسة الدينية التي لم يكن بد من اتباعها ليصل الحزب الديني العيسوي الى اغراضه وغايته الاخرة من التمسك بالانفصال اللبناني.

لم تكن العواقب الوخيمة للانفصال اللبناني خافية على ادارة الحزب السوري القومي الاجتماعي. والحالة الحاضرة السيئة التي وصلت اليها تلك الجمهورية التي لا استفتاء فيها للجمهور كانت متوقعة ومنتظرة في ادارة الحزب، التي نهبت السكان في لبنان الى الاخطار الكبيرة التي تدفعهم اليه خطة الرجعة الى السياسات الدينية وتأسيس

الدولة على الحزبية الدينية المجرمة. وبلاغات الزعيم وخطبه وأحاديثه ومقالاته، وبلاغات الدوائر القومية الاجتماعية العليا تثبت ان الحزب السوري القومي لم يدخر وسعاً في كبس جراح المتحمسين للدولة الدينية العيسوية في لبنان وتدارك الامر قبل تفاقم الشر الذي قدح شرره اكثر من مرة منذرا بالويل وسوء العقبى. ولكن الجهل والنهوس في مراكز الاقطاع والنفوذ الرجعي في لبنان وسياسة مقام البطيركية المارونية الذي لايزال المدعون للسلطة الدينية في كل شيء، روعي وزمني يعدونه المرجع الاعلى لسياسة الطائفة المارونية، أبت الآ خدمة المطامع الاجنبية بالاستمرار في ضلال الدولة الدينية والتثبث بظل كيان أوجد غصبا عن ارادة نحو نصف السكان والا حسابان الامبراطورية الفرنسية خالدة وان استنادها الى تلك الامبراطورية المشؤومة يصون كيانها الموهوم الى الابد!

بهذه العقلية المظلمة قامت الحزبية الدينية المسيحية في لبنان تحارب الحزب السوري القومي وتصيح: يا لكيان لبنان! يا للسياسة الدينية في لبنان! يا للدولة الدينية، يا للبنانيين الاقحاح!

أدركت هذه العقلية الدينية المريضة ان نشوء الحزب السوري القومي الاجتماعي يعني القضاء المبرم على الحزبيات الدينية في سورية جميعها. فما انكشف امر هذا الحزب في اواخر سنة 1935 و لهر مدى انتشاره وتجلت قوة عقيدته في تحقيقات المحكمة المختلطة حتى قامت الحزبية الدينية العيسوية، والاولى ان يقال الحزبية الدينية المارونية، تنادي بالويل وتدعو الى تدارك الدولة الدينية اللبنانية من خطر هذا الحزب. وكانت هناك محادثات ومفاوضات ومراجعت مع رجال المفوضية الفرنسية الذين ادركوا بدورهم ان الحزب السوري القومي الاجتماعي سيقضي على مرض السياسات الدينية والتكتل الطائفي الذي يتدعون به لتجزئة القسم الشمالي في سورية الذي اطلقت يد فرنسية فيه تحت اسم الانتداب على ما تقرر في مؤتمر سان ريمو المشهور امه.

وانتهت دروس المفوضية الفرنسية السياسية الى تقرير « اعادة الحياة الدستورية » الى لبنان، لاضرام نار التعصبات الدينية وتجديد المنافسات الطائفية وشغل الناس بشؤون المزاحات الطائفية والشخصية في الانتخابات، عن النظر في النهضة القومية الاجتماعية التي تشق لسورية طريق الوحدة القومية والوعي القومي والتنبيه للاخطار الخارجية ووجوب دفعها. وتقرر في اوساط الحزبية المارونية العليا، بالاتفاق والتفاهم مع مراجع الاحتلال الفرنسي، ايجاد حزب ماروني يعمل على ابعاد الشبهة المارونية عن

عقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي وإيجاد حالة مقاومة واصطدام مع الحركة العظيمة التي أوجدها نشوء هذا الحزب.

كان من وراء ذلك ان مقامات الحزبية المارونية اختارت السيد توفيق لطف الله عواد (الشيخ)، نسيب البطريك الماروني الحاضر، ليقوم على رئاسة حزب ماروني تعضده الحكومة اللبنانية والمفوضية الفرنسية وتعترفان به ويعطى صفة «التعبير عن تمسك اللبنانيين بالقومية اللبنانية وبالكيان اللبناني». فأعلن نشوء هذا الحزب وسمي «حزب الوحدة اللبنانية»، الذي اختار القميص الابيض لفرقه التي حاول بها تقليد فرق الحزب السوري القومي الاجتماعي.

ولكن أوساطنا مارونية اخرى لم تقبل ان تسمح لتوفيق عواد ان يصير مرجع تكتل الحزبية المارونية كلها ووافق رفض هذه الاوساط الانضمام الى حزب توفيق عواد هوىً وهوساً ابتداءً يتضحان في رأس «رئيس الجمهورية» المؤيد من المفوضية الفرنسية والمصاب بمرض «جنون العظمة»، حتى تصور انه يقدر ان ينشئ حزبا من الشباب الموارنة يعتمد عليه في خدمة اغراض السياسة الفرنسية وفي تقوية مركزه الشخصي ونفوذه وفي محاربة الحركة السورية القومية الاجتماعية، التي كان لنشئها الفضل كله في «اعادة الحياة الدستورية الى لبنان» وفي تقرير الفرنسيين اختيار اميل اده رئيسا لجمهورية لبنان. فنشأت من هذه العوامل الجديدة حركة إيجاد حزب ماروني ثان يستند الى تأييد رئيس الجمهورية مباشرة. فتشكلت فئة من الشبان المذكورين اتخذت لنفسها صفة حزب ورفق وسمي حزب «الكتائب اللبنانية» واختير رئيسا له شاب. يدعى بطرس (بيار بالفرنسية) جميل وانتخب اميل اده رئيسا شرعيا له على انه لم يطل الامر حتى صار ذاك الحزبان المارونيان مسرحا لمنافسات الحزبية المارونية الشخصية بين فئة اميل اده الذي كان رئيس الجمهورية وفئة بشارة الخوري (الشيخ) المعروف برئيس كتلة المعارضة. فعملت فئة بشارة الخوري وشارك عمون وحيد فرنيجة وفريد الخازن ومن والاهم على اكتساب النفوذ في الفريق المعروف بحزب الكتائب اللبنانية. وكان نجاح فئة المعارضة كبيرا الى حد ان فريق الكتائب اللبنانية لم يشترك في استقبال رئيسه الشرقي حين عودته من فرنسا!

هاج هذا الطور الذي دخلت فيه «الكتائب اللبنانية» أحقاد اميل اده فحمي غضبه وقرر اباداة الاحزاب المارونية التي كان يعدّها من بعض خلقه ويحسبها عائشة بنعمة عطفه. فكان من وراء ذلك انه صدر قرار يحل جميع الاحزاب اللبنانيّة ومنع تجمع

افرادها. وعقب قرار الحل حدوث مظاهرة الكتائب اللبنانية التي فرقها الشرطة بالقوة وضربوا رئيسها الذي كانوا يسمونه « عميدا » وجرحوه وأدت هذه الحوادث الى جلسة التصادم في المجلس النيابي اللبناني بين كتلة المعارضة لامليل اده التي ضامها حل « الكتائب اللبنانية » لانها كانت تشعر ان هذا الحزب الديني صار ابنها بالرعاية والعطف.

اما حزب « الوحدة اللبنانية » فكان من اعماله الباهرة تحدي شعور المحمدين في لبنان الذي جرّ الى حوادث 15 و 16 نوفمبر 1936 الشهيرة التي كادت تجرّ الدولة العيسوية اللبنانية الى هاوية المذابح الدينية، لو لم يتدارك الموقف زعيم الحركة السورية القومية الاجتماعية باذاعة ندائه الشهر الى القوميون الاجتماعيين واصداره التعليمات بتدخل فرق الحزب في بيروت لدعوة الناس الى السكنة ورد المآرب الاجنبية العاملة وراء تلك المظاهر.

ليست حالة الحزبية الدينية المارونية في لبنان بسيطة، بل مركبة ومعقدة. وليس هنا مجال درس عواملها واشخاصها وغاياتها. فنكتفي في هذا البحث بالحوادث التي لها دخل في موضوع هذا المقال.

في جلسة مجلس النواب المذكورة آنفا، التي جرت يوم الاثنين في 29 نوفمبر 1937، وتطاحن فيها حزبا سياسة الدينية المسيحية المتمركزة في الطائفة المارونية، انفضحت اغراض هذه السياسة العامة والخاصة، اذ ادلى توفيق لطف الله عواد بصفته نائبا معيناً من الحكومة، في تلك الجلسة بتصريحات فاضحة مزقت كل حجب السياسة الدينية الطائفية المارونية. واننا نورد منها ما يأتي:

« في ربيع سنة 1936 ابتداء الحزب السوري القومي يضم عددا كبيرا من الشباب، حتى في المناطق اللبنانية الصرف » الى ان قال: « ان حزب الوحدة اللبنانية تأسس ليوقف تيار هذا الاتجاه الذي هدد استقلال لبنان (يعني انفصاله) وان الاحزاب الاخرى (كالكتائب اللبنانية والجهة القومية اللبنانية وغيرها) تبعت حزب الوحدة اللبنانية في هذا الغرض النبيل! »

في التعليق على تصريحات السيد توفيق عواد المثبتة فوق هذه الفقرة قالت جريدة « النهضة » المنشورة في بيروت في عددها الصادر في 1 ديسمبر 1937 بقولها: « وقد افادنا السيد عواد من فيض علمه ان في لبنان مناطق لبنانية صرف ومناطق لبنانية غير صرف. ولعل السيد عواد اول لبناني يعترف بهذه الحقيقة الباهرة التي اجتهد كثيرا

ذوو المصلحة في سترها عن الرأي العام والتمويه عليها بتعابير واصبغة متعددة».

ومن المؤكد ان ذكر السيد توفيق عواد وجود مناطق لبنانية صرف ومناطق لبنانية غير صرف لم يكن من باب التفنن ولا من باب الغلط في ايراد المعنى. انه كلام الواثق مما يقول ومن البيئة التي يقول فيها. وهناك ادلة تاريخية كثيرة تؤيد نزعة الطائفية المارونية الى حسابان مجموعها المجموع اللبناني وحده دون غيره.

ومن التصريحات الفاضحة التي القاها السيد توفيق عواد في جلسة المجلس النيابي المذكور قوله في الدفاع عن حزبه والاحزاب الشبيهة به: «نحن، يا حضرة الوزراء، لم نكن مشاغبين عندما دعينا لاستقبال العائدين من باريس».

بهذه العبارات يعترف رئيس حزب «الوحدة اللبنانية» بالنيابة عن حزبه وحزب الكتائب وغيرهما، بأن هذه الاحزاب الزائفة انشئت بارادة «الحكومة اللبنانية» صنيعا المفوضية الفرنسية لتقف في وجه الحركة السورية القومية الاجتماعية الخارجة من صميم الشعب ولتبقي على السياسة الدينية الطائفية التي اوصلت الرجال الذين تشكلت منهم تلك الحكومة الى كراسي الحكم التي اعدتها لهم الارادة الاجنبية.

ولم يسع السيد عواد كتم امر المسؤولية في المشاغب الدينية التي ولدها وجود حزب «الوحدة اللبنانية» وحزب «الكتائب اللبنانية» وحزب «الجهة القومية اللبنانية» الدينية الى جانب فرق «الكشاف المسلم» وفرق «النجادة الاسلامية» وفرق «الطلائع الاسلامية» الدينية. فقال: «ان الظروف السياسية قضت ان تكون نحن في جهة واخواننا المسلمون في جهة!» والحقيقة ان لا ظروف سياسية اوجبت الشقاق والمشاغبات غير رفض الرجعيين الدينيين المسيحيين قبول الدعوة القومية الاجتماعية التي جاء بها سعادة كما رفضها الرجعيون الدينيون المحمديون.

والآن ماذا ترى هذه الحزبية الدينية العيسوية عاقبة لسياستها الخرقاء التي هي ضد مصلحة المسيحيين جميعهم؟

انها بعد ان جرت سكان لبنان من مأزق الى مأزق ومن نكبة الى نكبة ترى جميع حساباتها وصلت الى ما يعادل الصفر وان خطر انهيار دولة الانفصال والعبودية في لبنان قد اصبح ادنى اليها من قاب قوسين. فالحزبية الدينية قنلت الامل بالمستقبل القومي واحيت احقادا كادت تتلاشى. وحمل ضيق نطاق «دولة لبنان» قسماً كبيراً من شباب لبنان، وأكثر هذا القسم من المسيحيين، على المهاجرة واللحاق بأقرباء

وانسباء له تركوا البلاد في زمن الظلم التركي - زمن سب النبي اقتلوه - يائساً من الوطن ومصيره، قاطعاً الامل من العودة اليه .

وأنزل احتكار الاجانب مرافق البلاد، بموافقة مجلس نيابي لا غيرة له على دين او دنيا، الضربات الاقتصادية التي قصمت ظهر الشعب، فقلّت الاعراس وقلّ النسل، خصوصا في الطوائف العيسوية. ووقف اصحاب سياسة الحزبية الدينية المسيحية ومؤيدو دولة لبنان المسيحية امام هذه الحقيقة المريعة للحزبين الدينين المسيحيين: ان عدد سكان جمهورية لبنان المحمديين يضارع اليوم أو يزيد قليلا على عدد سكانها المسيحيين وصار يمكن ان تصير الاكثرية في المجلس النيابي محمديّة ثم يصير رئيس الجمهورية محمديا وكذلك المدعي العام المركزي ورئيس محكمة الاستئناف ومدعي محكمة الاستئناف. وسيزيد عدد موظفي الحكومة المحمديين، تدريجيا، على عدد الموظفين الموارنة وغيرهم من المسيحيين، فما اقسى هذه الحقيقة على قلب امثال ايوب ثابت الذي نظن انه هو القائل في اوائل عهد انشاء « دولة لبنان الكبير »: « اذا لم يقبل المسلمون (المحمديون) هذه الدولة فليخرجوا من البلاد والا اخرجناهم على رؤوس الحراب »!

لذلك يريد الحزب المسيحي ان يتدارك هذه الكارثة بالالتجاء الى المهاجرين من لبنان، ليجعل لهم حقا في التصويت فيزداد بهم عدد الاصوات المسيحية .

لنفرض ان هذه المحاولة الاخيرة نجحت فكم يطول امد نجاحها، والمهاجرون يبعدون رويدا رويدا عن وطنهم الذي اخرجتهم منه السياسة الدينية التي تطلب الآن اصواتهم؟

هذا سؤال لا يطرحه اساطين دولة لبنان المسيحية على أنفسهم ولكن جوابه آت سريعا .

يَوْمٌ بِكُفْيَا

ونبدأ وصف مهرجان بكفيا الذي جرى في 20 شباط 1937 بما ذكره الزعيم عنه في خطاب اول اذار 1938 : « وتلا زيارة منطقة الشوف، الاستقبال الكبير في بكفيا الذي يكون في حياة الحزب نقطة تاريخية. ففي بكفيا ظهرت متانة نظام الحزب وقوة معنوياته بابرز مظاهرها. في بكفيا اظهر الحزب السوري القومي الاجتماعي تفوقه المعنوي، فهو لم يكن قادماً لحرب او لقتال ولكنه اظهر تفوقاً عظيماً في موقفه وحل القوة المسلحة على احترامه. وغلطة واحدة من جهةٍ وسوء تصرف او سوء نية من الجهة الاخرى ادبا الى حملة الجند على فريق الشوير وبكفيا والخنشارة وضرب عدد منهم باقضية البنادق وفوهاتها وسقوط جريجين وحصول جروح ورضوض طفيفة لآخرين من الاعضاء.

ان حادث بكفيا هو اختبار هام من اختبارات الحزب السوري القومي في جهاده لقوميته وحلقة متينة من حلقات تاريخه. انه كان من جهة اعتزاز بقوة الحزب ونظامه ومن جهة اخرى كان أول صدمة من هذه الصدمات، التي تمر في حياة كل حزب يتطلع الى المسؤوليات العامة. كان لا بد من حدوث هذه الصدمة لنا لنعرف كم هو استعداد الحزب لقبول الصدمات باكتراث عادي والتغلب عليها والاستمرار في السير الى النصر. فان الحزب الذي لا يستطيع الصمود لصدمة كصدمة بكفيا التي خربناها بتضحيات، من مقدرتنا، والحزب الذي لا يتوقع صدمات كصدمة بكفيا هو حزب غير جدير بالحياة.

واني اهنيء السوريين القوميين الاجتماعيين الذين حضروا ذلك اليوم بالموقف الشريف الذي وقفوه وصار جزءاً هاماً من تاريخ نهضتنا وجهادنا. ان الذين وقفوا في

بكفيا سيكون لهم ذكر حميد يوم تنتصر النهضة القومية الاجتماعية وان في موقفهم ما يشد اواصر وحدتنا ويدفعنا الى الامام» .

ثم في تصنيفه الايام التاريخية في ندائه من الارجنتين في شهر آب 1939 يقول عن يوم بكفيا: « اذكركم بيوم « بكفيا » وقد هاجتكم القوة المسلحة بقصد انتزاع اعلامكم فاطبقتم عليها اطلاق فك اسد على عنق غزال وارسل الي قائدكم يخبرني بان القوة المدججة بالسلاح قد اصبحت في قبضتنا ويسأل تعليمات جديدة فاشرت عليكم بالعفّ عن القوة التي لم يستحق قائدها هذه المعاملة النبيلة» .

عن بكفيا

وفي بكفيا غنى الرفيق يوسف تاج قصيدة « يا زعيم! مهما جرى فينا » وكذلك القى الرفيق عجاج المهتار قصيدته المشهورة « وثبتنا » انقلها عن ديوان « الزوبعة » التي كلفته الدخول الى سجن بعدا وزيارة الزندان .



يوسف تاج وهو يعني

وثبنا

[القيت في اجتماع « بكفيا » التاريخي 1937 . وكلفت صاحبها ثمانية وسبعين يوماً « توقيف » في سجن بعندا ، في « الزندان » رقم 12]

ظننوا البعض لعبتنا بسيطه ،
وقالوا : « الحزب » للغربي وسيطه
وفهموا من قضيتنا رتبنا
وقميص ، وطقم ، لَمَّاع الشريطه

فهموا من قضيتنا رتبنا
وجمع صفوف .. لسير النظمامسي
وجهلوا شوا عملنا ، وشوا كتبنا
لحفظ حقوقنا وصون الكرامه
شفقنا ، على الجماعه ، ميا عتبنا
اذا جهلوا المبادئ والمرامسي
وجينا نقلهم : نحننا وثبنا
تنجمع شمل هالائمه الخليطه

وثبنا ، عندمنا نادى المنادي :
فكره بعد سكرة دهر فكره
وتبعنا ، نور وضّاح المبادي
ونقشنا في دماغ الشعب « فكره » ،

فكره مغلفه بحلم السعاده ،
انصدمنا ، وكانت الصدمات ذكرى
ومها تكاثروا علينا الاعيادي
بنبايتهم على الرمله « هيطه »

وثبنا للجهداد بكلل هته
ولنا اهدافنا ماشين ليها
ونصبننا بآخر المضمار قته
وبكرا « الزوبعة » بتخفق عليها

القوميته ههدفنا، والمهمه،
عناصرنا، الكثيرة، تذبذب فيها
حتى نصير تحت الشمس « امته »
نقيه من سلالات اللقيطه...

وثبنا، وفاققت الاجداد فينا
وكسرنا قيودنا وكلل السلاسل،
وقلعتنا، ثوب، جواتو ريننا
عتيق، مرقع الاطراف ناسل
وطنا، امننا، المبداء ايننا
وقايدنا، بطل، ضرغام، باسل
« زعيم » بلادنا المخلص « نيننا »،
رسول الحق والقوة الشيطه

وثبنا، ومن مبادينا الدقيه
فصل « الدين » عن جسم السياسه
وحبنا، الرفيقه، والشقيقه
وعطينا كل « رجعي » درس قياسي
وثرنا عالايلب العتيقه
ورفعنا روح الله من « النحاسه »
وكشعنا الغيم عن شمس الحقيقه،
وضياها عم عاكل البسيطه

وثبنا، وكل عامل صار عامل
فروضو، بكل رغبه وكل طاعه

وبدينا، بأرضنا نفتح «معامل»
صناعه، ونعش مروج الزراعه
حتى ينال حقو كل - عامل -
والفلاح، يزرع في براعه
ويبقى مورد المجموع كامل
تا تبقى كفوفنا حره وبسيطه

وثبنا، وكل واثب، صار حارس
بروحو عن حدود ارضو يدافع
بصدرو يصد هجمات الفوارس
«بجقو» يصد فوهات المدافع
مبادي فكرتو بالقلب غارس
بكفو - زوبعه - للجور رافع
تأجحي مجد سوري، اليوم دارس
أثاروا عممت بجور المحيطه...

وثبنا، وكاننت الوثبه عظيمه
فيها الكون بطيورو تغتبي
هزينا الدني، بقوه وعزيمه
تأجمع شملنا ونحيا بوطنا
ونبني صروح نهضتنا الفخيمه
وكل الشرق يأخذ درس عنا
وترجع سوريه الحره الكريمه
الى الوحده الطبيعيه القديمه
كما «التاريخ» صور ع «الخريطه»



الزعيم يستعرض فرق الميليشيا في بكفيا ، يوم وقوع الحادث التاريخي



صورة تاريخية للزعيم في بكفيا بلباسه الرسمي وحوله فرق حملة الاعلام.

« من الامور المجهولة عن واقعة بكفيا امر الزعيم عندما بدأ الاصطدام بين مؤخرة القوى القومية الاجتماعية التي كانت تنسحب من الميدان بعد عملية التطويق الرائعة وبين قوة من الدرك كان قد افرج عنها بناء على تعليمات الزعيم بعد مفاوضات عاجلة اجريت بهذا الصدد.

وصله نبأ الاصطدام الذي فضح سوء نية الجهاز الاداري للحكومة الذي - على ما يبدو - كان يكمن افتعال حادث فهب من مكانه في الاوتيل وشهر مسدسه وانطلق، قاذفاً بنفسه، بسرعة الصاروخ، من على الدرج متجهاً الى حيث الاشتباك.

ما ان تنبه بعض الرفقاء الذين كانوا حوله بعد المفاجأة التي جابههم بها الزعيم حتى هبوا وعلى رأسهم الرفيق حافظ منذر الى الوقوف حاجزاً منيعاً في سبيله محاولين منعه من اكمال طريقه. بذلوا الكثير من الجهود حتى استطاعوا اقناعه في العدول عما نوى.

بعد مناقشة طويلة مستفيضة اقتنع الزعيم منهم انه لا يجوز أن يعرض نفسه في هذا الظرف بالذات لما لا تحمد عقباه. اقتنع وغادر المكان وهو يحرق الارم من غيظه.

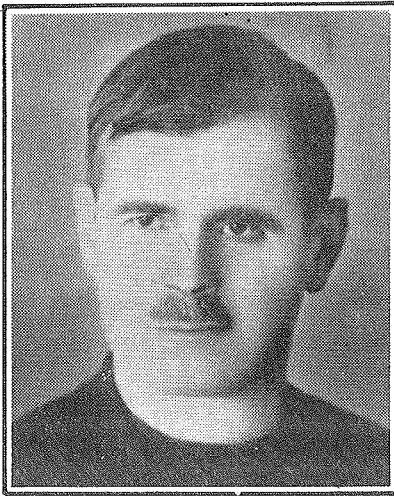
ولا بد من التسجيل هنا للتاريخ ان النية السيئة التي ذكرها الزعيم جاءت من القائمقام فؤاد البريدي الذي نفذ خطة الاصطدام بذلك الشكل الارعن الموتور خدمة لاسياده من وطنيين واجانب. واني اسجل ايضاً بهذه المناسبة وصفاً للامين عجاج المهتار عن واقعة بكفيا: « كان تجمع القوميين الاجتماعيين في «المحيدثة» حيث جردهم القائد المسؤول من اي سلاح او عصاية حتى... وزحفت غابات الاسنة تحت رايات الزوبعة الحمراء الى ساحة بكفيا حيث استعرض الزعيم صفوف القوميين الاجتماعيين قبل الحفلة الخطابية التي استمرت اكثر من ساعتين. وبعدها انتهى الاجتماع، وبدا القوميون الاجتماعيون بالانصراف بهجم القائمقام فؤاد البريدي على رأس القوة التي كانت لاطية ومختبئة بداخل السراي وخلف الحيطان بقيادة الضابط فيليب ابو نادر والملازم فيلمون الخوري. وامر القائمقام القوميين الاجتماعيين بالتفرق فاجابه المدرب العام، فيليب قيامة، بأنهم لا يتفرقون الا بأمر - من الداخل - وما ان اشار الملازم الى الجند بوجوب انتزاع الاعلام القومية من حاملها وبوشر التنفيذ حتى ارتد القوميون الاجتماعيون بايعاز من المسؤول وطوقوا الجند وهم بالسلاح الكامل والخذوذ الفولاذية وعزلوا قائدهم عنهم. ولكن اوامر الزعيم صدرت بعدم تجريد العسكر من سلاحه والرفق بهم فقبول هذا التصرف بعد فك الطوق بمباغتة من تبقى من القوميين الاجتماعيين وبغدرهم وذلك بالهجوم عليهم باعقاب البنادق والمسدسات والسياط !!

فجرت معركة دامية جرح فيها عدد من الجند وتكسرت عدة بنادق وسقط جريحان هما وديع الياس مجاعص وفؤاد فرح» .

ولا بد ايضا من ذكر بطولة وديع الياس مجاعص التي اثبتت جدارتها عن استحقاق نادر المثال في مقاومة الدرك وتحطيمُ البنادق التي كانت تتطير كالريش في مهب الرياح. كما ان الغلطة التي وردت في كلام الزعيم في خطاب اول اذار 1938 وقعت من قبل المدرب العام الرفيق فيليب قيامه من ضهور الشوير وذلك عندما اعطى ايعازا مشيرا لاحدى الفرق النظامية الملقبة « بفرقة الموت » مما صب الزيت على النار وذلك في توقيت غير مناسب اذ ان المعركة كانت قد اصبحت منتهية وكانت الفرقة تنصرف بسلام مما تسبب بالعودة الى المعركة باعنف.

وبمناسبة الحديث عن وديع الياس مجاعص ارى من الواجب ان انقل عن كتابي « انطون سعاد، منذ الولادة حتى التأسيس » الفقرة التالية، صفحة 171: « وكان مسك ختام ذلك الصيف تلك الوقفة التاريخية على تلة « حرف الدير » حيث التقى، المرة الاخيرة في هذا الفصل، سعاد والدكتور نسيب هام ووديع الياس مجاعص ووضعوا ايديهم في ايدي بعض وتعاهدوا على تأسيس حركة تضع العلاج النهائي لسوء الحالة التي تشكو منها البلاد، حركة تأتي بالترياق المنقذ، مبنية على المناقب الصالحة والاخلاق القويمة » .

منذ هذه الوقفة التاريخية اعتبر الزعيم ووديع الياس عضوا في الحزب السوري القومي دون الحاجة الى القيام باجراءات مراسم الانتماء. (كان ذلك عام 1932)



وديع الياس مجاعص

وجاء في جريدة « البناء » ، العدد 289 تاريخ 1981/2/28 بقلم جهاد العقل ، ناظر
اذاعة منفذية المتن الشمالي :

« بكفيا ، دخلت في تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي اثر الاستقبال الذي
اعده ابناء البلدة لحضرة الزعيم في ساحتها العامة في اليوم الثالث والعشرين من شهر
شباط من عام 1937 ، حيث تحول الاستقبال الى مظاهرة تأييد لسعاده وما يمثل من
تعالم قومية اجتماعية جاءت تعبر عن الحقائق التي هي في نفوس ابناء هذا الشعب ، وفي
مقدمتها ثقة فني اذار ان في النفس السورية كل حق وكل خير وكل جمال .

« يوم بكفيا » هذا وما تخلله من مظاهر النظام والقوة التي عبر عنها القوميون
الاجتماعيون باجلى معاني الانضباط وارتفاع المعنويات . هذا اليوم اثار الرعب في نفوس
الخانعين والجبناء والمستعمرين ، اما الخانعين « فطارت نفوسهم شعاعا » واما « الجبناء
فانخلعت قلوبهم فرقا » ، واما المستعمر « فاستباح كرامة الناس ، واهدر دم شباب الامة
وزج مقدميها في السجون » .

« يوم بكفيا » ارادت منه التجمعات الطائفية وسلطات الانتداب ان يكون بداية
النهاية للحزب ، و اراد له سعاده ان يأتي تأكيدا على معنى الحياة الجديدة التي فجرها ،
هذه الحياة التي تحتاج الى حرية التعبير عن حاجات الشعب و ارادته . ولعل يوم بكفيا
سيبقى الرمز عن حرية التعبير و ارادة التغيير وصيانة المصير في حياة الامم .

« يوم بكفيا » لم يمر يومها بسلام ، اذ اعتبرت سلطات الانتداب وعملاؤها ان
استقبال سعاده تعديا على الامن العام في البلاد . وبالفعل فقد كانت تلك المظاهرة
« تعديا » ولكن على « الامن المعتدي على حياة الامة ونهضتها القومية » هذا الامن
الذي وصفه سعاده « بالعبودية مكبله الشعب الحي بسلاسلها وبالرق متلبسا بالباس
العدل والطغيان مؤيدا بالقوة » ..

وانتصاراً للامن القومي على امن المستعمر وامن الامتيازات والمنافع ، كان الصدام
التاريخي بين قوات الحزب و حراب المستعمر . وقد سجل القوميون في ذلك اليوم العظيم
ارقي ايات النظام والبطولة .. وسجلت قوات المستعمر ومعاونيها ادنى درجات الخيانة
والعالة .

واهمية هذا اليوم ايضا ، لانه على اثره اصدر الزعيم في الاول من اذار بيانا للشعب
والتاريخ ، اعلن فيه ان الحكومة ليست الدولة ، وان الدولة هي جمعية الشعب الكبرى ..

ثم اعتقل في الثامن من اذار بسبب « خيانة ».

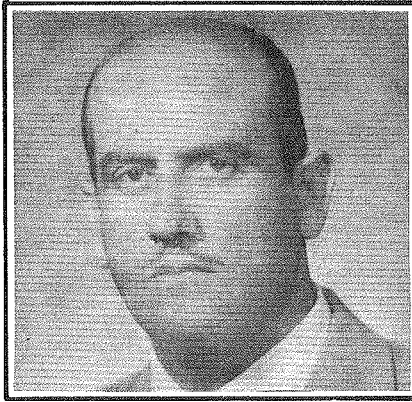
وقد كتب ما كتب عن يوم بكفيا، الا ان الاستمرار في كشف بعض الزوايا الغامضة في هذا اليوم المشهود يضيء بشكل افضل حقيقة هذا الصراع بين قوات العز وقوات الذل في هذه الامة.

وان افضل من يتمكن من تصوير بعض اللوحات الهامة لذلك اليوم هم الرفقاء الذين اشتركوا به. ونحن اليوم نستذكر مخيلة بعض الرفقاء الذين اشتركوا في هذا اليوم التاريخي، ليرسموا لنا صورة او ما تبقى من الوان وخطوط في ذاكرتهم عن هذه الصورة.

وكل واحد منهم يتحدث، طبعا، من خلال الدور المسؤول الذي اوكل اليه، ومن خلال الزاوية التي شاهد ما شاهد، والرفقاء هم: جميل قيامة، حمود الهاني وسليم المصري.



سليم المصري



حمود الهاني

جميل قيامة قال:

« كنا وحيدين انا وحضرة الزعيم في منزل كائن في عين القسيس عندما طلب مني ان اعد لمظاهرة ستجري في بكفيا.

اذهلني الامر، فطرحت على حضرته السؤال التالي: هل يتذكر حضرة الزعيم ان بكفيا مركز حكومي (وكر لليسوعية) وبلاد ماروني متعصب، ومركز للكتائب (مؤسسة رياضية) ومقر « لحزب » يوسف السودا الطائفي، وان فرع حزبنا فيها هو اضعف الفروع؟

اجاب الزعيم لان بكفيا كل هذا ، اريد ان تكون المظاهرة في بكفيا .
سألته ثانية : هل تريد ان نرفع علم الحزب في المظاهرة ؟
رد : اذا اردتم فليكن .

وقبل ان اترك الزعيم ، سألته : هل تسمح بتسليح فرقة لحماية العلم ؟
اجاب : لم يأت بعد وقت السلاح
عندها قلت له : هل تسمح لي ان اسلح الرفقاء بالعصي ؟
قال : لم يأت بعد وقت العصي .

بعد هذا اللقاء بسعاده ، بدأ الاعداد .
الرفيقات والمواطنات انصرفن الى تحضير العلم ، واستغرق العمل فيه ليلتين ونهارا ،
واذكر ان عيني احدى الرفيقات وهي م . ابو ناصر قد تورمتا من شدة التعب
والسهر .. واذكر ايضا اننا اضطررنا الى تأخير تحركنا نصف ساعة لاتمام انجاز العلم .
واود ان الفت نظركم الى ان القماش الذي استخدم في صنع العلم كان مقدمة من
ش.م. قدم لنا ثلاثة اثواب من القماش الابيض والاحمر والاسود ، وقال « قصوا
حاجتكم وردوا الباقي » . القماش لم ندفع ثمنه لان صاحبه رفض ذلك ، ويومها قدرنا
مبادرته .

في هذا الوقت بدأت بالاعداد لتنظيم التجمع .. وكان ذلك في منطقة الينابيع في
الزغرين .. الرفقاء والمواطنون توافدوا من مختلف انحاء المتن الشمالي للمشاركة في لقاء
الزعيم .

في الينابيع حيث اردناها نقطة الانطلاق نحو بكفيا ، تجمعنا .. وطلبت من الرفقاء
وبناء على رغبة حضرة الزعيم ان يسلموا اسلحتهم ، فسلمت جميع القطع الموجودة
معهم . الا انني لم اکتف بذلك بل فتشت الرفقاء بحثا عن بعض اسلحة اخرى لم تسلم ،
فوجدت بعض الاسلاك وقد اخفيت حول خصور بعض الشباب الزرعوني ، فانترعتها
وامرت بنقل السلاح والاسلاك الى ضهور الشوير .

كان لا بد قبل الانطلاق الى بكفيا من اجراء بعض التدريبات النظامية
للمشاركين ، وخصوصا لحامل العلم ، وعلى مصطبة في الينابيع ركز علم الزوبعة يحيط به
اثنان من الحرس ، وعلى ما اعتقد هي المرة الاولى التي يخفق فيها علم الحزب ، وقد ادى
الموجودون التحية الرسمية للعلم وربما كانت اول تحية رسمية تأخذها الصفوف
النظامية .

وقبل موعد الانطلاق بنصف ساعة وصل من بكفيا س. مجاعص وهو يلهث من الركض والتعب وقال عجلوا، رفاقاؤنا اصطدموا بمخفر الدرك الكائن في اول بكفيا من جهة بحر صاف.

كانت الخطة الموضوعية ان يدخل القوميون البلدة من جميع مداخلها وفي وقت واحد.

عند وصولي الى ساحة بكفيا طلب مني نعمة ثابت ان استلم القيادة العامة، في البداية حاولت ان ارفض بحجة اني لا اعرف الا رفاقا منطقتي. ولكن عندما اعلمني ثابت انه لا يوجد انسب مني لهذه المهمة، طلبت منه فرصة لتدريب الباقين، فقال الفرصة خمس دقائق فقط فتصرف. وفي خمس دقائق تم تنظيم بين 500 و 600 مشارك في المظاهرة، بشكل ثلاثي وعلى رأس كل ثلاث مجموعات مسؤول اختير من منطقة المتن الشمالي.

الدخول الى بكفيا كان من اروع ما شهدته الحزب: تنظيم واندماج وحاسة وثقة بالنفس وبالقضية، وسارت الجموع باتجاه ساحة بكفيا من جهة بحر صاف ومن هناك صعودا تجاه اوتيل كونتيننتال حيث كان اهل البلدة قد اعدوا وليمة للزعيم في الاوتيل.

الصفوف النظامية اتخذت مواقعها على جانب الطريق، كي لا نتيج مجالا للدرك لاتهمنا بعرقلة السير، وكان العلمان متقابلان يرتفعان في وسط الصفوف.. وعندما وصل حضرة الزعيم اخذت له التحية وبدأ باستعراض الصفوف وعندما مر بين العلمين انحنى لهما، ثم بعدها انتقل الى مكان الوليمة في الطابق العلوي من الفندق.

ومن ملاحظاتي في هذه اللحظة التاريخية، ان الكثير من الشباب كان يفضل ان يكون اقرب من سعاد لان معظمهم لم يشاهد الزعيم سابقا.

وقبل ان يصعد الزعيم الى الفندق القى خطابا ومن بعده عميد الاذاعة فقصيدة ليوسف تاج.

وكنت في هذه الاثناء قد دعوت المسؤولين عن المجموعات وشكلت حرس شرف للزعيم وعينت عليهم قائدا، وبقيت مع الرفقاء في الساحة، وكنت قد وزعت عددا منهم في انحاء مختلفة من مكان اللقاء لجمع المعلومات.

وما لبث بعضهم ان اعلمني بوصول فرقة من الدرك يتراوح عددها بين 50 و 60

در كيا، يرتدون الخوذ الحديدية تعبيرا عن استعدادهم للمجابهة، فأرسلت ج. ابو ناصر ناموس المنفذية ليعلم المسؤولين بمجيء الدرك على هذه الصورة، وبعد قليل وصلت سيارات اسعاف وبداخلها قوات للدرك فأرسلت س. مجاعص ليعلم المسؤولين بالامر.. وبعد قليل تقدم الدرك بشكل عشوائي وعلى رأسهم الكابتن فيليب ابو نادر والقائمقام فؤاد البريدي.

اقول اني في هذه اللحظة وجدت نفسي في اخرج موقف.. الصفوف منتظمة.. الدرك يتقدمون.. لا تعليقات ولا اوامر بالاصطدام مع الدرك.. الانضباط والتقيد به مطلقان.. كانت تعليقات الزعيم مشددة مكررة بعدم الصدام مع قوات الدرك التي اصبحت بين صفوفنا.

في هذه الاثناء لاحظت ان نظرة فيليب ابو نادر تجاه العلمين تحبب امر ما. عندها وعلى سبيل الاحتياط استدعيت مجموعة وكلفتها بالالتفاف حول حاملي العلمين. وعندما اعطيت الامر المذكور، نقل الي احد الرفقاء ان البريدي قال لقائد الدرك «هالغ... مشيرا تجاهي واحد من ثلاثة قلت لكم عنهم».

تقدم الاثنان مني وامرني البريدي بالتقدم فرفضت فكرر قائد الدرك الامر فلم تجاوب، عندها امر ابو نادر الدرك باعتقالي. تهدم سنة او سبعة عناصر مني وبدأوا بالشد بي لاختذي من موقعي. ومن اجل ان لا يبقى الرفقاء يدون مسؤول في مثل هذه الحالة، رأيت من الواجب ان انقذ الموقف عن طريق استعمال حركة الدائرة، فصرخت دائرة كون. عندها لبي الجميع الامر والتفوا دوائر حولي. فوقع في الدائرة الاولى معي القائمقام وقائد الدرك وفي كل من الحلقات التالية دركي او اكثر.

وبأمر ثان اصدرته وهو «تراصف» تجمعت الصفوف بجانب بعضها كي يمنعوا الدرك من استعمال سلاحهم، واما قائد الدرك فقد اكفهر وجهه من هول المفاجأة التي لم يكن ينتظرها.

في هذا الوقت فكرت ان اعطي امرا تجريد الدرك من سلاحهم ونزع ثيابهم العسكرية وارسالها في سيارة الى مركز الحكومة، وارسال الدرك بالثياب الداخلية وراء القافلة. الا اني تذكرت تعليقات الزعيم واوامره المشددة، وبقيت انتظر تعليقات جديدة. وجاءت التعليقات بالعفو عن القوة.

بعدها صعدت الى الاوتيل وقابلت نعمة ثابت وسألته ماذا نفعل، فاجاب لا

شيء.. فعدت الى الساحة وكان الدرك في هذه الاثناء، قد احتلوا الساحة امام درج الاوتيل وبالقرب منه، وقد انتظموا بشكل واحد يضرب القوميين ببندقيته واثنين لحمايته من الخلف.. وكانت معركة حقيقية. الدرك يعتدون علينا ببنادقهم ونحن ندافع عن انفسنا بايدينا.. طبعاً انها معركة غير متكافئة. لقد جرح من جرح منا، وتمكن البعض منا من انتزاع اسلحة الدرك وتحطيمها.. اذكر مثل وديع الياس مجاعص وعندما اعطى فريد شكر الامر بالانصراف تفرقت الصفوف..

وعندما علمت ان احد الرفقاء اصيب اصابة خطيرة في رأسه نتيجة ضربة ببندقية، اسرعت لنجدته ونقلته الى مستشفى مارجرجس.. ولم اعد اعرف ما حصل بالضبط...».

حمود هاني قال: «تبلغنا الدعوة بواسطة الرفيق فريد شكر، مسؤول المتن الاعلى آنذاك وكنا في حماس للالتقاء بالزعيم في اول تجمع عام للحزب. انتقلنا بواسطة شاحنة سالكين طريق قرنايل - صليبا - بعبدات - بكفيا. اذكر من رفقاء الرحلة يوسف تاج وعارف هاني. في اول بكفيا سرنا صفوفاً نظامية حتى وصلنا الى الساحة مكان الاحتفال. العلم في مقدمة الحشد. سرت حتى وصلت الى جانب حاملو. اكثر من شخص تناوب على حمل العلم وعندما وصل القائمقام الريدي على رأس فرقته طلب من الرفيق وديع الياس الذي كان يحمله في ذلك الوقت انزله فاجابه ان هذا علم الامة وعندما حاول سحبه منه تقدمت منه وابعده بالقوة ووقعت المعركة حيث تحطمت غالبية بنادق العسكر. على اثرها طلب الضابط من فرقته الانسحاب. كان خطاب الزعيم مرتجلاً وعنيفاً. وقيمة الاحتفال انه اول اعلان لتصدي الارادة القومية الواحدة للمخططات الغريبة عن واقعنا كما اثبت هذا الاصطدام اصرار القوميين على الصراع بمختلف اشكاله من اجل اثبات حق الامة.

بعد الاحتفال ومغادرة الزعيم للمكان اتت قوة اضافية من الدرك ومارست جوا من الارهاب على من بقي موجوداً في الساحة العامة. كما انني اصبحت ملاحقاً من قبل السلطات التي داهمت منزلنا في «رأس المتن» وصادرت منه بعض الاسلحة كما دوهمت على اثرها منازل اخرى كثيرة في الجبل.»

وتحدث سليم المصري، قال: «اتت الدعوة من المدير آنذاك، الرفيق محمود حسين ابو الحسن فانطلقنا في باص استأجرناه وعدة سيارات للرفقاء وقد سلكنا طريق المتين. كنت اول الوافدين تقريبا فقد كان هذا اللقاء بالزعيم اول تجمع عام للحزب. وكان

الاحتفال بجانب السرايا ثم بدأت تتدفق الحشود . كان هناك علم واحد وحله احد رفقاء زرعون . اذكر ايضا ان تجمعنا كان صفوفنا نظامية وحامل العلم بالمقدمة عندما تقدم القائممقام البريدي ومعه خمسون عنصرا من العسكر وتقدم من حامل العلم وطلب منه انزال « الشرطة » على حد تعبيره . عندها حدث احتياج شديد ووقع اصطدام عنيف بين القوميين والعسكر نتج على اثرها عدة اصابات وكسرت عدة بنادق للعسكر وطلب منهم الضابط التفرق والانسحاب بنظام . اذكر ايضا ان الرفيق يوسف تاج القى قصيدة قبل ان يرتجل الزعيم خطابه كما ان الضابط طلب تعريجات لقوته وبعد انفضاض الاحتفال بدأت عملية استفراد لتجمعات القوميين الذين كانوا في طريقهم الى مغادرة الاحتفال بعد انتهائه كما حصلت عملية مدهامات لمنازل القوميين بعد الحادثة .»

وفي رسالة منه الى عمدة الاذاعة انقل المعلومات التالية : اول هيئة لمديرية بكفيا التي كانت تضم عدا عن بكفيا ، اقسام المحيثة (وفيها الاعلبيية) وبجر صاف وساقية المسك كانت مؤلفة من اسعد نصار العقل ، مديرا - ابراهيم كمال ، ناموسا - جوزيف الفغالي ، محصلا - توفيق استفانوس ، مديعا - وتوفيق جبور ، مدربا .

اما عن يوم بكفيا فيقول توفيق جبور : « بدأ التنظيم والاعداد للمشاركة باستقبال الزعيم في منطقة الينابيع . (تبعث عشرات الامتار عن قصر الزعامة) انتقلنا بعد ذلك الى الدلب مدخل بكفيا من جهة الشوير وزغرين ، تجمعنا هناك وزحفنا فرقا نظامية باتجاه ساحة بكفيا . وكان الرفيق جميل قيامة مسؤولا عن قيادتنا . بعدما القى حضرة الزعيم خطابه سمعت القائممقام فؤاد البريدي الذي حضر مع قوة من الدرك يقول : « خطاب عملتو ، لازم تفلّو » .

الصفوف بقيت منتظمة ، تنتظر اوامر المسؤولين ، وعندما اعزز جميل قيامة بالانصراف ، بقوله جئنا بنظام ونصرف بنظام ، « هجم علينا الدرك ، وكان قصدهم انتزاع علم الحزب منا ، طوق الدرك المجموعة القومية التي كانت تحمل العلم وتحميه ، فقامت مجموعة منا وطوقت الدرك ، وهكذا وقع الدرك بين طوقين ، الا ان الاوامر كانت لا اصطدام مع الدرك ، نحن حافظنا على التعليمات . ولكن الدرك لم يستوعبوا موقفنا ، فتعقبوا بعض الرفقاء وضربوهم باقفيو البنادق وفوهاتها .

من ملاحظاتي :

- عندما امروا الدرك بالهجوم علينا بقينا في الساحة ، وكان بجاني وديع الياس .

هجم علي الضابط فليب ونادر وامسكني في رقبتني وحاول انتزاع شعار الزوبعة عن صدري، فضربته والقيت به ارضا .

- احد الجنود ويدعى يوسف شديد، حاول ضرب الدكتور حكمت جبور، الذي كان مشاركا في استقبال حضرة الزعيم بقفى بندقيته الا انني سارعت الى انتزاعها من يده وكسرتها على رجلي، وضربته بها، فارتمى ارضا، عندها قال له . حكمت جبور «قوم اضربوا يا خرا» . بعدها، تقدم مني اربعة جنود وحاولوا تطويقي للقبض علي، افلت منهم، فلاحق بي احدهم، فعدت اليه، فرمى بندقيته ارضا، وهرب .

- كانت تعليمات حضرة الزعيم مشددة، لا سلاح، لا عصي، لا اصطدام مع الدرك» .

عوامل فاصلة

وفي مقال للزعيم في « الزوبعة » تاريخ 30 نيسان تحت عنوان « عوامل فاصلة في الاتجاه السوري، باب « القيادة »، يذكر الصدام الدامي في بكفيا نثبته فيما يلي :

« من مزايا هذا العلم الفاصل المزايا الاساسية الآتية: الهداية الثابتة المستمرة، توحيد الجهود، حشد القوى على خطة واحدة، التخطيط وتعيين الاهداف التي يجب أن ترمي اليها الجهود والقوى المحشودة مع اجتماع عناصر القضية. وقال الزعيم ان أهمية القيادة تفوق، من الوجهة الفعلية أهمية أي عامل آخر. وظهر القيادة في الاتجاه السوري الحديث هو أعظم خطوة الى الامام خطتها سورية في تاريخها الحديث، فهي دليل ادراك عال لخطورة القضية الومية ومتطلباتها الروحية والفكرية والتكنية، وقد ضرب الزعيم مثلا قيادة الجيوش في ساحات الحرب وأوضح الفرق بين جيش له قائد وجيش عديم القيادة متخذاً مثلاً له ما كان من أمر الصدام الدامي بين فرق من الحزب السوري القومي وحملة الجند المسيرة عليها في بكفيا. فهذا الحادث التاريخي يقدم اعظم مثل اختباري على اهمية القيادة. وحكاية ما جرى انه لما اخذت الحكومة علماً بقدوم بعض فرق ميليشيا الحزب السوري القومي الاجتماعي لتؤدي التحية للزعيم بمناسبة زيارة تلك البلدة الجميلة، سيرت على هذه الفرق حملة عسكرية بقيادة الملازم فيليمون الخوري وتحت الرئاسة المدنية لقائمقام المتن السيد فؤاد البريدي. فلما وصلت هذه القوة الى ساحة بكفيا حيث كانت فرق الحزب البالغة ثلاثمائة نفر عدداً، صاح القائمقام بالقوميين أن يتفرقوا فأجابه واحد من المأمورين أن الذي له الحق أن يأمر الجنود القوميين الاجتماعيين بالتفرق هم رؤساؤهم فقط، فقال القائمقام « هاتوا

أعلامكم» وكانت الفرق القومية الاجتماعية بأعلامها، فأثارت هذه الواقعة غضباً في الصفوف القومية الاجتماعية ولم يتمكن واحد من القوميين من كتمان غيظه فصاح بالقائمقام « ليتقدم من يريد أخذ أعلامنا وأخذها ان أمكنه»، فأشار القائمقام الى الملازم بتولي الأمر وأخذ الاعلام القومية الاجتماعية بالقوة.

كانت الحملة بقيادة الملازم تبلغ نحواً من مئتين أو مئة وخسين بسلاحها الكامل وخوذها الفولاذية وحرايها في مقدمة بنادقها. أما أفراد الميليشيا السورية القومية الاجتماعية فكانوا عزلاً حتى من العصي والقضبان، إذ كانت الاوامر مشددة عليهم بعدم نقل السلاح لأن الحكومة كانت تطلب حجة علنية تجرمهم بها امام الشعب.

عندما صار الأمر في يد السلطة العسكرية أمر الملازم الخوري قسماً كبيراً من جنوده بالتقدم ونزع الاعلام من حاملها. فأجاب قائد الفرق القومية على حركة الجند بتكوين سدّ متمكن من صفوف السوريين القوميين الاجتماعيين مرتباً اياها صفّاً وراء صف.

فتقدمت جنود الحكومة حتى بلغت صفوف السوريين القوميين الاجتماعيين فضغظتها بأجسامها ومؤخرة بنادقها ولكنها لم تستطع خرقها أو ليها. ففشل الجنود تجاه عزيمة السوريين القوميين الاجتماعيين الصادقة وثباتهم وكانت عادة الجنود أن يروا الناس وجماهير المتظاهرين اللاقوميين يفرّون من مجرد مرآهم، فارتدّوا خائبين على مرأى ومسمع أهل بكفيا الخارجين من كنائسهم، إذ اليوم يوم أحد. فاغتاظ الملازم غيظاً شديداً وأعاد جنوده الى الورا ورتب كل القوة التي بقيادته ترتيباً طويلاً وقليل العرض ليضغظوا قلب الصفوف القومية الاجتماعية وأمرهم أن يسددوا حرايهم. فلما رأى القائد السوري القومي الاجتماعي ترتيب الجند صبر حتى ابتدأوا يتقدمون ثم أعطى أوامره فانشطرت الصفوف السورية القومية الاجتماعية الى شطرين وخرج رأس كل شطر من أقصى الجناح وتبع الصفوف الامامية اتجاه الرأسين واذا بالسوريين القوميين الاجتماعيين يشكلون شبه ذراعين مجدولين وبقيت في القلب قوة لحماية الاعلام. وقبل أن يدرك قائد الجنود ماذا سيحدث صفر قائد السوريين القوميين الاجتماعيين فالتفت الذراعان وصارتا طوقاً واحداً مزدوجاً حول الجنود عزلتهم عن قائدهم الذي صار خارج الدائرة. وللحال تقدم نحوه عدد من السوريين القوميين الاجتماعيين وأحاطوا به وحملوه الى بعد مائة متر عن مكان جنوده المحصورين ومنعوه من اصدار اوامره.

فقد الجند قائدهم وأصبح أمرهم فوضى لا يقدرّون أن يجمعوا على عمل موحد فاطبق عليهم السوريون القوسيون الاجتماعيون وقبضوا على معظمهم وأرسل قائد السوريين القوميين الاجتماعيين يسأل الزعيم، الموجود على الشاي في فندق قريب، عن المصير الذي يريده للجند فأصدر الزعيم أمره بعدم تجريدهم من سلاحهم وبقبول الصلح على أن لا تتعرض القوة العسكرية للفرق السورية القومية الاجتماعية لتأخذ وجهتها. فأخرج القائم مقام من محبّاه وعرض عليه اما عدم التعرض للسوريين القوميين واما تجريد الجند من سلاحهم فقبل الشرط الاول. فرفع السوريون القوميون الاجتماعيون ايديهم عن الجند وبعد قليل أخذت فرقتهم تسير بنظام الى اماكنها بعد أن سجلت ظفراً عظيماً للحزب السوري القومي الاجتماعي ولم يمض هذا النصر - العمل الاعتدائي اللئيم الذي قام به قائد الجند بعد. أن سار معظم القوة السورية القومية الاجتماعية. وقال الزعيم ليس اضلّ من شعب عديم القيادة في جهاده لنيل حريته وحفظ حقوقه ومصالحه.»

محاكمة قومي الكورة

اما المحاكمة فكانت في الاستئناف وذلك بصدد معركة سرايا اميون الكورة وكانت الافكار قلقة بشأن ما يمكن ان تكون عليه الاحكام وخصوصاً ان بين المائلين امام قوس المحكمة طالب الطب الرفيق عبد الله سعادة اذ قد يؤثر الحكم على سنته الدراسية الجامعية التي كانت قد بدأت في الجامعة الاميركانية.

كان القضاء معتدلاً بحكمه ان لم اقل متساهلاً فقد صدرت الاحكام بالسجن للمدة التي قضوها في سجن طرابلس فانتهى القلق وانشرح الصدر. جاء الحكم كأنه استجابة لطلب الطالب الرفيق عبد الله سعادة.

ويقول عبدالله سعادة:

« استأنفنا الحكم في بيروت. وكنت قد دخلت الجامعة الاميركية بعد سنتين عندما تيسر لي المال. وذهبنا الى المحكمة وطلبنا الى الرفيق عبدالله قبرصي ان يتولى الدفاع عنا. وكانت حادثة الزعيم في بكفيا قبل ايام قد وترت الاجواء بين السلطة والحزب فاخبرنا الرفيق قبرصي بأن النيابة العامة ليست مستأنفة ضدنا والارجح ان لا زيادة في

الحكم وطلب الينا ان نتشجع ونثبت في المحكمة. وتبارى الرفقاء في الشجاعة في مواجهة القضاء. ولما اتى دوري في السؤال الاخير ماذا تطلب اجبت: « اني دخلت الجامعة بعد انقطاع سنتين، فاذا اصدر الحكم بسجني قد اطرده من الجامعة وسترون وجهي في السجن تكرارا اما اذا اعفيت فسأستمر في دراستي الجامعية، واذا تعذر اعفائي فأطلب ارجاء التنفيذ الى العطلة الصيفية. وسألنا رئيس المحكمة عن مدة توقيفنا فقبل لنا واحد وعشرون يوما ولما اختلّت هيئة المحكمة لاصدار الحكم حكمت علينا بالسجن واحداً وعشرين يوماً ».

بعد بكفيا

ويقول كامل ابو كامل في مخطوطة مذكراته:

« وفي 20 شباط 1937 جرى اجتماع في بكفيا رغبت السلطة في تعطيله بعد ان كانت قد سمحت به فسيرت قوة من الدرك وزودتهم في افتعال الحوادث وقيل ان يظهر الزعيم في الاجتماع اشتبكت مع الرفقاء اللذين كانوا ينظمون صفوفهم في مكان الاجتماع، وكان ان اصيب فيها عدد من الطرفين «بجراح غير خطيرة ويحكى بان وديع الياس مجامعص كان يحطم بنادق الجنود على فخذه وكأنه يحطم قضيباً من التوت حتى بالاخير تكاثر عليه الجند وتم اعتقاله بعد اصابته بجروح. وتحاشيا لتفاقم الامور اشار البعض على الزعيم ان ينتقل من ساحة العراك الى ضهور الشوير وجاؤا له بسيارة نقلته الى الضهور ومنها الى بيروت، فورده المعلومات وكلها تشير بأن هنالك مؤامرة مدبرة للايقاع بالزعيم وليس افتعال الحوادث الا مقدمة لذلك. وكان خيرالدين الاحدب رئيسا للموزارة والمعروف بخير الدين الاحدب انه كان يوالي الامن العام الافرنسي، سلطة الانتداب ليكسب دعمها في منصبه كرئيس للموزارة فاجتماع الشوف الذي اظهر فشل السلطات في تفشيله لم يمض وقت طويل عليه فجرائد المدينة لم تزل تتكلم عنه والناس يتناقلون الاخبار عنه من قرية الى قرية فنجاحه رغم ممانعة السلطة لحصوله قد اعدّ انتصارا للحزب فوجدت الفرصة سانحة امامها لاعادة اعتبارها وتضييع الفرصة على الحزب فغررت بالقوميين في بكفيا بعد ان اذنت لهم بالاجتماع ولاحت زعيمهم وافرادهم. وتجاه هذا الغدر وهذه المخالفات اللاخلاقية التي صدرت عن السلطة اصدر الزعيم بياناً شديداً للهجة كشف فيه تصرفات السلطة الخاطئة ونعتها

بالسلطة العاصية . شددت السلطة بالقبض على الزعيم بعد صدور هذا البيان وتوزيعه في بيروت .

★ ★ ★

بعد غدر السلطات في اجتماع بكفيا تواري الزعيم عن الانظار فانتقل على الفور الى ضهور الشوير ومنها الى بيروت حيث استقر به المقام في منزل وداد ناصيف الكائن خلف حديقة الصنائع حيث كتب بيانا قاسيا ارّخه بتاريخ الاول من اذار فكان البيان بدل الاحتفال بالذكرى وارسله الى الطباعة واعطى تعليماته لاذاعته ونشره في الصحف وتوزيعه على الشعب .

ثم انتقل الى منزل خضر عيتاني القريب من منزل ناصيف كمحطة انتقالية وقد جاء هذا الانتقال في وقته المناسب اذ لم يكده يغادر الدار من الجهة الخلفية حتى داهمتها قوة من الامن كانت متربصة بها ولكن ومن بيروت الى عاليه ، الى منزل عائلة ابو كامل حيث كان يرافقه جورج عبدالمسيح وخليل ابي عجرم .



خضر عيتاني

ختيارة القنيطرة



وداد ناصيف

وبمناسبة ذكر وداد ناصيف انقل هذا المقطع من مقال بعنوان «ختيارة القنيطرة» نشر في جريدة «البناء» العدد 177 تاريخ 24 آب 1974: «وتلفت نجلونا ضاحكة: «انا لن اذهب الى لبنان، رغم الحاح ابني الوحيد سالم الذي يعمل هناك، فرمما حال امر ما دون عودتي الى القنيطرة التي اصبحت جزءا مني كما اصبحت جزءا منها. ان لي في لبنان ذكريات نضالية لا تنسى ابان الانتداب الفرنسي حيث كنت الى جانب صديقي الدكتور ايوب ثابت اعاونه في مناهضة الفرنسيين، ثم مع انطون سعادة حيث انخرطت في الحزب الذي اسسه».

وتصمت هنيهة هنا وتغمض عينيها وكأنها تسترجع ذكرى تلك الايام. «تعرفت الى

انطون سعادة عن كذب في بيروت . كنا نعقد اجتماعات حزبية عديدة في منزلي . اذكر حتى الان ابتسامته ، لقد كانت مصدر قوته . كان لا يجالس احدا الا ويقنعه بعقيدته . كان عدو المنتدبين الاول ، الا انهم كانوا يخافون منه لذلك فرض احترامه عليهم ، مع العلم ان سلطات الانتداب سعت جهدها لتحويل الحزب عن خطه القومي في اكثر من مرة .»

وتتهد تنهيدة عميقة تتخذ طابع الحسر والالم ثم تقول: « يا ابني ، الحكيم عن سعادة طويل وما بيخلص .. - سلمولي عا اهالي لبنان وما تنسوا الجنوب .»

★ ★ ★

في 25 شباط داهم التحري مكتب الحزب في شارع المعرض وختموه بالشمع الاحمر ولم يتمكنوا من توقيف احد .

أَوْفَ آذَارَ

ويقول ويليم صعب: « سنة 1937 ، كان مركز الحزب السوري القومي الاجتماعي في آخر سوق المعرض فوق « محلات ابو راشد » ، في البناية التي تحمل جدرانها الخارجية ، مصادفة ، تقاطيع تشبه الزوبعة ما زالت باقية الى الآن . وهناك في مكتب الزعيم ، وعلى طاولته ، نظمت ، بطلب من صاحب اول آذار ، مبادئ الحزب السوري القومي



ويليم صعب

الاجتماعي في شعر شعبي . وما زلت اذكر مطلع ذلك النظم للمبادئ الثمانية الاساسية والخمسة الاصلاحية ، كما اذكر نظم المبدأ الاصلاحى الخامس . وقد نشر التحويل قطعة شعر شعبي في نشرة الحزب الرسمية آنذاك والتي اثبت هنا بعضه :

نحن قوم المتحـديـن

السوريين القوميين

اول مبداً يجمعنا :
سوريوة للسوريين

اول مبداً يجمعنا :
سوريوة الناجملاة
ما في قسوة بتمنعنا
ان كنا اممة مكتملة
وقوميتنا بترفعنا
وان كنا قسد الحمللة
ما بدننا معاون معنا
مقديرن ومتفقيرن

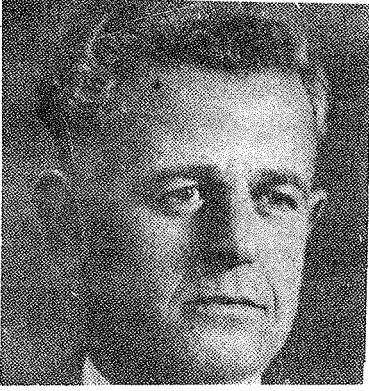
وهذا آخر المبادئ الاصلاحية

خامس مبداً: ضروري نعد
من الاممة جيش معلم
يوقف سد بوجه الضد
وبالمبايعة يتكلم!
ساعتها مستعد عن جد
ومنا منعود نتالم
وعن اخلاص منرفع يمد
ونتهف تحيا سوريا

ويحيا يحيي السوريين

قصيدة الشاعر الشعبي الامين عجاج المهتار بتاريخ اول مارس 1937 .

« من صلب صلب الشيخ صنين الكرم من روح روح العزم والمجد القديم
من قلب حكمة كل متني حكيم من قاع بحر العبقرية، من الصميم
طل الزعيم، وكان بالطللة عظيم



عجاج المهتار

بكفو حل مشعال حرية ونور نور الحياة، وهل من عمّ الدهور
وراح يبرم عالمدافن... والقبور ينفخ حياة المجد ويفيق عصور
حتى بعث امي دفيني من الرميم

* * *

فجفج سدود الارض عالاربع جناب ودك القبور، وعالظى زت الخشاب
مثل ما الله نفخ ادم تراب سعادته نفخ روح السعادة بالشباب
وتحررو من ذل وتعصب ذميم

* * *

شبان فاقو بعد سكرات المات عالجد، والحق المقدس في الحياة
وراحو يجودو بكل اخلاص وثبات خلف قايد كملو ربو بصفات
خالدي عالارز والعرش الرحيم

* * *

روح الزعيم تكهريت منها شعوب شرق الوطن والغرب وشمال وجنوب
مثل سلك الكهريا وريح الهبوب تغلفت في كل حبات القلوب
من الفتى، للشيخ، للطفل الفطيم

* * *

جبار بائي المجد عصخور الشمم صدرو براكين المراحل والحمم
قايد بلادو بالهمم، صوب القمم بالفخر اسمو مر عشفاف الامم:
هذا رجل، هذا بطل، هذا زعيم

* * *

في صافيتا

بينما كانت حملة الاعتقالات المسعورة قد بدأت في الكيان اللبناني على قدم وساق كان يجري في صافيتا، منطقة اللاذقية، احتفال صاحب بمناسبة الاول من آذار، تاريخ مولد الزعيم. تنادى الرفقاء ببناء على خطة مرسومة من كل حذب وصوب للالتقاء في مكان معين في الحارة الشرقية من المدينة فاجتمع ما لا يقل عن الاربعمئة عضو، انطلقوا في مسيرة ضخمة الى الحارة الغربية مروراً بالشارع الرئيسي.

كان على رأس المسيرة هيئة المنفذية. وبعض كبار المسؤولين: المنفذ العام الدكتور اسبر حنا، ناموس المنفذية خليل طانيوس، وديع سمعان، ناظر المالية، رفيق مقدسي، ناظر الاذاعة، والرفيق المحامي رفيق البيطار. طبيب الاسنان صادق الطيار، عيسى سمعان، عبد الرحمن ابراهيم، عبد اللطيف يونس، ياسين ديب، مصطفى المقدم، الخ... كان المفتش جبران جريج يتابع هذه المسيرة، خفية، عن كثب، بسبب الموقف المشار اليه سابقاً، من قبل الكتليين القليلي العدد الذين كانت تسندهم السلطة المحلية.

كانت تظاهرة لم تشهد لها المنطقة مثيلاً. اعطت للحزب زخماً سياسياً قوياً، خصوصاً لصدورها عن صافيتا، البلدة التي اشتهرت بمواقفها الوطنية الوحدوية في اي ظرف من الظروف السابقة وجود الحزب السوري القومي الاجتماعي.

لم تجرؤ القوة العسكرية المحلية على التصدي لها كما ان المتظاهرين لم يفسحوا المجال لاي تدخل اذ انهم ما كادوا يصلون بصفوفهم المتراسة الى مركز السراي حتى اعلنوا انتهاء المسيرة بالهتاف الحزبي المعروف «يا ابناء الحياة! لمن الحياة؟» عندئذ تقدم قائد الدرك اليازجي، ابن المنطقة، ابن الحصن الغربي، مهنئاً ومثنياً على الانضباط والانتظام مع انه كان معروفاً انه كان بلا لون. كان مثال الموظف، لا اكثر ولا اقل.

بيان الزعيم

اصدر الزعيم في اول آذار بيانه المشهور الذي يعلن فيه الحكومة عاصية على ارادة الشعب والذي وزع توزيعاً جيداً مما اقلق السلطة وحداها الى التشدد في محاولة اعتقال الزعيم. (وهذا البيان منشور في الجزء الثالث من الآثار الكاملة). وفيما يلي مقاطع منه لاهميتها:

« مرّ لبنان اليوم في عهد من عهود الطغيان لم يعرف مثيلاً من قبل ولا سمعت به
اذن بشر .

وما طما سيل الطغيان الآ على الخانعين فطارت نفوسهم شعاعاً، وما اصاب سوى
اكبد الجبناء فانخلعت قلوبهم فرقا .

لقد نام الشعب عن تعهد شؤون حياته ومصالحه فتعهدها ذوو المصلحة في ذله
واستعباده، وسكت افراده عن حقوقهم في الدولة وشؤونها فاهتضمتها جماعة تدعي
انها منه وليست منه، فاستبيحت كرامة الناس وحرماهم باسم القانون، وما كان
القانون الذي يمنع اعضاء الدولة من حقوقهم المدنية والسياسية الا الظلم مشروعا،
واستهدر دم شباب الامة الذين هم ذخرها للملمات والشدائد باسم الامن العام، وما
المستعدي على حياة الامة ونهضتها القومية الا العبودية، مكبله الشعب الحي بسلاسلها
والا الرق متلبسا بلباس العدل والا الطغيان مؤيدا بالقوة» .

« فمن لبنان ومن نحن يا ترى؟ لعلنا غرباء عن لبنان؟ ان هذا التبجح الفارغ
بالغيرة على لبنان والدفاع عن كيان لبنان يجعلنا ان نتصور لبنان ملكا خاصاً بهؤلاء
المدعين، او شيئاً خارجاً عن الشعب اللبناني وفوق ارادة هذا الشعب.....»

« اننا نعلن ان كيانا من هذا النوع هو كيان فاسد من اساسه. فاذا كان للبنان
اكيان فهو كيان الشعب اللبناني كله. اذا كانت الطبقة الحاكمة في لبنان تعتبر انها هي
لبنان وان الشعب ليس سوى الجماعة المحكومة فلنا الشرف ان نعلن ان من اهم
اهداف الحزب السوري القومي ازالة هذه الصورة السيئة لحياتنا القومية - صورة الحاكم
والمحكوم - والقضاء على الامتيازات المدنية في الدولة .

ان الدولة هي جمعية الشعب الكبرى وكل فرد من افراد الشعب مشترك في حياة
الدولة هو عضو في الدولة وما السوريون القوميون في لبنان سوى اعضاء في الدولة
اللبنانية» .

«..... وكل حكومة تحاول ان تربط مصير الشعب بمصيرها هي، تكون حكومة
خائنة مصلحة الدولة. والحكومة التي تمنع اعضاء الدولة من التفكير في مصير دولتهم
ومن استعمال حقوقهم المدنية والسياسية في تقرير هذا المصير حكومة قد تجاوزت
حدودها وخرقت حرمة المبادئ التي تقوم هي نفسها عليها وعصت ارادة الشعب الذي
له وحده حق تقرير مصيرها ومصيره. ان حكومة من هذا النوع يجب اعلانها حكومة
عاصية. واني اعلنها حكومة عاصية» .

« اننا لم نحمل ولا مرة على كيان لبنان او على الحكومة ولم نتخذ من اي اجتماع وسيلة للاخلال بالامن او الشعب على الحكومة وسياستها - على ما فيها من عقم - وكانت الحكومة قد اعلنت لنا انها اصبحت تفهم مرامي الحزب النبيلة وانها لن تلجأ الى محاربتة. ولعل مصلحة الانتخابات عندها اهم من نهضة الشعب وتقدمه!
ان الحزب السوري القومي يحمل الحكومة وحدها عاقبة ما ستجره سياستها العقيمة على البلاد » .

نموذج عن توزيع البيان

وجاء في مخطوطة كامل ابو كامل عن توزيع بيان اول آذار ما يلي :
« كنت في عاليه طريح الفراش اعاني من آلام في الكبد لا حدود لمرارتها وحدتها .
الدكتور امين تلحوق يزورني يوميا وينقل لي الاخبار التي كانت تزيد آلامي اشتعالا ،
وفي مساء يوم بينا كنت أئن انينا اقلق الجيران من الآلام التي احسستها تدخل والدقي
وتقول الزعيم في الصالون « اتقوم اليه او ادعوه الى غرفتك » قلت « لا بل اقوم اليه » .
لبست ثيابي ودخلت على الزعيم ، الذي بادرنى بالسؤال عن مرضي فضحكت
واحترت ما أجيب لانني احسست بالراحة فور ان سمعت بان الزعيم هنا قلت : « مرت
عليّ ايام صعبة ولكني الآن لا اشعر بها وكأني تعافيت » . قال : « عليك ان تدبر من يقوم
برحلة الى الشوف ينقل اليها بعض المطبوعات » . قلت : « افضل ان احملها بنفسي » . وقص عليّ
ما حصل في بكفيا حيث كنت غائبا عن حضور الاجتماع وما قاله معلقا : « ان دولة
الانتداب شعرت بفسلها امام ارادة القوميين في الشوف فارادت ان تستعيد معنوياتها
مما دبرته لنا في بكفيا فهي تملك امكانيات الايقاع بنا لكن فاتها باننا نملك القوة
بالارادة القادرة على تحمل الضغوط وتخطي الصعوبات فالصراع سيستمر بيننا وبين
الانتداب ومنفذي رغبته ومشيبته الى ان يزول الانتداب . ويستمر صراعنا حتى نقضي
على جميع المفاسد التي خلفها الانحطاط وزرعها الانتداب في رجالات الحكم
والطامعين اليه » .

ودخلت ام كامل حاملة صينية الشاي فأسرعت واخذتها من يدها بينا الزعيم كان
يشكرها ويقول تماما جاء بوقته . وبعد ان شربت الشاي مع الزعيم استأذنت منه كي
اتمكن من السيارات النازلة لبيروت اذ كان الوقت شتاء وعاليه في الشتاء يقل فيها عدد

السيارات التي تنزل لبيروت فالجميع ينزل صباحا ويعودون مساء وليس عندي القدرة كي استقل سيارة تاكسي فالامر يكلفني بما لا طاقة لي به وتركت الرفيق ابو شقرا يقوم بمهمة مناوب امام الغرفة التي كان يستعملها الزعيم مكتبا له فيضبط مقابلات الزعيم . ولدى وصولي الى سوق عاليه توفقت بسيارة نازلة فحجزت محلا فيها وقصدت محل اخي خليل الذي اعلمته بأني ذاهب لبيروت وعليه ان يذهب للبيت باكرأ فالزعيم نازل عندنا .

وحال وصولي « الى ساحة البرج » في بيروت ركبت سرفيس الى الصنائع حيث البيت المقصود . لم اضع البيت مع انني اذهب لأول مرة اليه فهو يقع مقابل جنينة الصنائع لجهة البرج اي تماما خلف بناية Union اليوم وهو آخر بيت في رأس بيروت وبعده الجنينة وبعد الجنينة بساتين الى البحر . وحوله ثلاثة بيوت او اربعة وهو احدتهم ، طرقت الباب ففتح لي محمد الباشا وبادرني بالسؤال « من اين اتيت » قلت « من عاليه » قال « وهل وصل الزعيم اليك » قلت « نعم وهو بخير » وبعد دقيقة اقبلت الرفيقة وداد ناصيف وكانت من السيدات الانيقات فارعة الطول جميلة المحيا ، انيقة الملبس فقدمني محمدالباشا اليها اذ كنت التقي بها للمرة الاولى . قلت اتيت كي انقل مطبوعات الى الشوف فارجو ان توضحوها لي « ولما كان الوقت متأخرا » اتيت كي انقل ابقى في بيتها على ان اصعد في اليوم الثاني وفي الصباح الباكر قصدت كراج الشوف وانتظرت البوسطات القادمة وكانت واحدة منها تعود الى الشوف في الساعة التاسعة صباحا فحجزت محلا فيها وفي الوقت المحدد جاءني رفيق يحمل سلّة وضع فيها المطبوعات في اسفلها وعلى وجهها برتقال وموز . اخذت السلّة ووضعتها على ظهر البوسطة وركبت على المقعد الامامي فالسائق كان من بلدي ، لذا لم يصعب عليّ حجز المقعد بجانبه . في البوسطة صادفت رفقاء من الشوف الاعلى وعندما وصلنا بعقلين اختليت باثنين منهم هما فريد ابو شقرا ووديع الحداد واتفقنا على ان يبلغا المسؤولين مسعود عبد الصمد عما طور وفريد عبد الصمد عين قني بأني اريد ان اجتمع بها على ان يكون اللقاء في بعقلين في بيت المنفذ العام حسن الطويل حماده .

قصدت بيت المنفذ العام وسلمته المطبوعات التي اخفاها في مكان امين واخبرته بانني تركت علما لمسؤولين من انشوف الاعلى بان يحضرا للاتصال به في بيته وارسل المنفذ دعوة الى هيئة التنفيذية للاجتماع به فلبوا الدعوة بالحال وتقرر توزيع المنشور في وقت واحد في جميع انحاء التنفيذية ، لذلك يقتضي ايصاله الى المديرية التابعة فوراً مع

ارسال علم بتوقيت توزيعه. كلف حضرة المنفذ رفقاء يثق بقدرتهم واخلاقهم بحمل المطبوعات الى كل من عينبال عترين - كفرنبرخ - الباروك عين وزين. كما ارسل آخرين لتسليمهم الى مديريات المناطق كفرحيم، دميت، ديركوشه، ديربابا، بشتفين.

وبعد الظهر وصل مسعود عبد الصمد الذي حمل مطبوعات الشوف الاعلى وتكفل بايصالها الى جميع المديريات. وفي صباح اليوم التالي كانت المناشير تغطي جدران الساحات العامة وجدران اسواق البلدة في كل مكان من الشوف وربطت مكانا في اول بوسطة تنزل لبيروت وذلك تحسبا للطوارئ فلا بد للسلطات المحلية من ان يصلها خبر عن وجودي في بعقلين وتدرك بأني كنت السبب في توزيع منشور الزعيم بهذا الشكل الواسع وذلك نسبة لسوابقي الحزبية في المنطقة.

وفعلا لقد قطعت حواجز الخطر قبل ان تتبته السلطة وتقرر ما تفعل. ولدى وصولي الى الحدث طريق بيروت القديمة قبل ان تفتح طريق الاوزاعي بيروت اذ كانت السيارات النازلة من الشوف او القادمة من الجنوب ان تسلك طريق الشويقات الحدث بيروت لمحني احد الرفقاء واظنه كان سليم ابر عجرم فأشار لي بالوقوف واخبرني بان لا اصعد لعاليه فالدرك يفتش عني والعائلة كلها في السجن لان الزعيم اعتقل في شتورة وهو بطريقه الى دمشق.

الاعتقال - الانشكاسات



اعتقال الزعيم

وقبل ان يغادر الزعيم المنزل كلف الرفيقين توفيق ابو شقرا وخليل ابي عجرم بمهمة اىصال رسالة الى منفذ عام دمشق كما انه سلم الرفيق كامل ابو كامل بعض الاوراق منبها اياه بالحرص الشديد عليها حتى لاتقع في ايدي السلطة اذا حدث مدهامة مفاجئة للمنزل.

كذلك ما كاد يغادر عاليه حتى داهمت دار ابو كامل قوة من الدرك اعتقلت الشقيقين رفيق، وخليل واستاقت معها والدتها بما اثار ضجة كبيرة في جميع الاوساط. ولم يبق في البيت على حد قول العامة «سوى البسة» فلماذا لم يلقوا القبض عليها وقد ملأت الارعاء مواء؟

وعند الميخات وقفت السيارة امام حاجز للدرك. كانت السيارة تقل الزعيم يرافقه جورج عبد المسيح وفيها وداد ناصيف التي كانت تستضيف الزعيم الفار الى حمامات «الحمة» التي يملكها زوجها في طبريا.

ما ان وقفت السيارة حتى ترجل منها الزعيم وجورج عبد المسيح وتسلا بعيداً يسترهما الظلام الدامس. ترجلا معا لكنها ابتعد احدهما عن الآخر دون ان يدريا فما عادا ليلتقيا فيتنفقا على خطة لاكمال خطة الهرب.

في هذه الاثناء لاحظ الزعيم من المكان الذي انتهى اليه ان وداد ناصيف ادخلت الى المخفر - موقوفة - فثارت فيه نخوة الرجال وفرضت عليه شهامته الانكفاء والعودة الى المخفر يسلم نفسه ليفرج عن سيدة تعتقل بسببه. وهكذا كان فقد جاء الامر بالافراج عن السيدة وسائقها وابقاء الزعيم في المخفر الى ان يصل من القيادة من يتسلمه.

حضر قائد الدرك بنفسه، (نور الدين الرفاعي) مصطحباً سيارة عسكرية فامتطأها الزعيم معه وجلسا في المقعد الخلفي وراحت تنهب الارض رجوعا الى بيروت. ما كادت السيارة تصل الى اعالي ظهر البيدر حتى ازت عدة طلقات نارية باتجاه السيارة فما كان من الضابط الكبير الا ان انبطح ارضا صونا لسلامته أما الزعيم فقد بقي جامداً لا يتحرك.

سألت الزعيم يوماً لماذا لم يتحرك من مكانه فكان جوابه مرفقا بابتسامته الشهيرة « معروف من ازيز الرصاص انه اطلق ارهابا لا بقصد الاصابة، الى اطارات السيارة مثلاً ثم قدرت ان جورج عبد المسيح رأنا فأحب ان يثبت وجوده او يحاول تخليصنا بهذه الطريقة ».

علق احد السامعين « كان بإمكان هذا الرصاص ان يصيب الزعيم فكنا خسرنا الزعيم بقصد انقاذه ». انتهى الحديث والتعليق أما انا فبيني وبين نفسي اكبر شهامة الزعيم وفروسيته تجاه سيده واعجبت بهدوئه بالنسبة لازيز الرصاصات ان كانت صائبة او ارهابية، لافرق ».

جرى هذا الاعتقال في 9 آذار 1937 وقد حامت حول اسباب هذا الاعتقال السريع شبهة حول خيانة احدهم قاربت حد الاثبات ولكن تجمدت ولم يتخذ بحق المشتبه به اي تدبير او اجراء كالفصل او الطرد.

وعين المدعي العام وجيه الخوري، رئيس مكتب التحريات القاضي رضى التامر محققا حول هذا الموضوع واحال اليه قرار الاتهام الذي ينص على العمل لحزب منحل. واستدعى اسعد البستاني من القوى العدلية للمساهمة في حملة الاعتقالات هذه، فقام بمداهمة مكتب الحزب في شارع المعرض وختمه بالشمع الاحمر. كما ان المدعي العام حرك الدعوى الذي كان قد اقامها عند الاعتقال السابق في حزيران، وعلى الاثر انعقد اجتماع في وزارة العدل لبحث الموضوع برمته.

كان من اهم القرارات التي اتخذت في هذا الاجتماع قرار عمم على الصحف يقضي بمنعها نشر اي خبر يتعلق بهذه الاعتقالات وتقيدت الصحف بهذا القرار فلم تنشر شيئاً يذكر عن الاعتقالات خوفاً من ان يطلها القانون.

حملة الاعتقالات

واشدت حملة الاعتقالات فشملت عدا مناطق جبل لبنان المناطق اللبنانية كلها حتى بلغ عدد المعتقلين في سجن بعدا وحده مئة وخمسة وثلاثين عضواً. فتشوا بيت

الرفيق فؤاد حداد فلم يجدوا فيه مطلوبهم لكنهم عوضوا عن فشلهم هذا باعتقال من وجدوه في المكتب وهم فريد مبارك، محمد راشد اللاذقي، ويلم أبو صعب، وحسن رؤوف من اللبنانيين ومن الشاميين صبحي فؤاد الرئيس الذي كان ناموسا لمكتب الزعيم ورئيسا لمكتب عبر الحدود والرفيق صلاح شيشكلي وخالد اديب في جبل لبنان. في المتن الشمالي القي القبض على وديع الياس مجاعض وفؤاد فرح الجريجين، وتوفيق فرح، جميل قيامه وميشال أبو صعب الملقب «بوفرفر» من ضهور الشوير ومن الشوف ماعدا أبو كامل اخوان، توفيق أبو شقرا، علي عامر، حسن الطويل من بعقلين ومسعود عبد الصمد، يوسف ملاك وفريد أبو شقرا من عماطور. من بكفيا فؤاد اندراوس، ابراهيم كمال، اسعد نصار، توفيق جبور وجوزيف فغالي وميخائيل عيسى ومن جل الديب نهاد ملح حنا ومن جرود عاليه، رشاش الصايغ، نجم الاحمدية ومن المتن الاعلى فريد شكر. اما في بيروت فقد القي القبض على عجاج المهتار ومحمد الباشا، اما التهمة العامة التي شملت الجميع هي تهمة العمل في حزب منحل.

ولا بد من ان اعرج على محلات الاي. بي. سي. (A.B.C.) التي تعرضت الى تفتيش دقيق بسبب الرفيق جورج خطار شقيق احد اصحابها والمطلوب من العدالة لانتمائه الى الحزب السوري القومي الاجتماعي المنحل!!!

هذا ما استوعبته الذاكرة فاتقدم بالاعتذار عن عدم ذكر كل الذين مروا في السجن في هذه الفترة من الاضطهادات.

واني انقل هنا قولاً للزعيم يدل على مدى اشتداد حملة الاعتقالات ادلى به الى الدركي بطرس، احد حراس السجن جوابا على سؤال المذكور: «ماذا يا حضرة الزعيم، هذه المرة؟ هيئتها حامية». «نعم يا بطرس، هذه المرة، حبس بتدين». والمقصود بهذا القول «الى حبس بتدين» المكان الذي يقضي فيه المحكومون من خمسة عشر عاما سجنا الى المؤبد، مدة محكوميتهم.

وورد في مخطوطة كامل أبو كامل عن الملاحقات ما يلي: «وبعد ان وصلت الى بيروت اخذت سيارة وصعدت الى عاليه حيث بقيت في بيت احد الرفاق، الواقع قرب خان الشيخ حتى المساء وعلمت منه بان والدتي اخلي سبيلها وان قاسم الرئيس مختار عاليه اقام الدنيا واقعدما لاعتقالهم والدتي ولكن والدتي، مع انها متدينة ومحافضة كانت رابطة الجأش اذ قالت للضابط حين مثلت امامه «ان كنتم تقصدون اذلال

اولادي بهذه المعاملة فهذا لا يشرفكم ابدا واني فخورة بهم وبجزهم وبزعمهم». واعتذر الضابط لها عن تصرفات العريف الذي يرأس الدورية وامر لها بسيارة تعيدها الى البيت.

لم اذهب للبيت خوفا من ان يكون البيت مراقبا فبقيت في بيت احد الرفقاء اتسقط الاخبار حتى بدأ الليل يسدل ظلمته. خرجت اتمشى وبيالي ان اجد العريف الذي اصر على اخذ امي الى المخفر بقصد ادلالها كي القي عليه درسا لا ينساه وبطريقي الى بيته التقي السيد مأمون اياس الذي جاء يتسقط اخبار الزعيم واخبار عبدالمسيح الذي كان يرافقه علّه يتوفق بأخر المعلومات عما يجب ان نفعله في مثل هذه الحالة. وقلت له بما اريد ان افعله فأقنعني بان اذهب معه للالتقاء بعبدالمسيح وقد نجده في الخلوات او في قرنايل وبعدها يكون لكل حادث حديث فاتفقنا ان نركب التران الى ظهر البيدر ومنها نمشي الى حانا وهكذا حصل ركبنا التران الى ظهر البيدر فوصلنا حوالي الساعة الثانية عشرة ليلا ومنها ذهبنا الى حانا مشيا على الاقدام وطول الطريق لم تمر بنا ولا سيارة. وصلنا حانا بعد منتصف الليل لذلك لم نتجرأ ان نطرق باب احد اصحاب السيارات لا يوصلنا الى الخلوات فرأينا من الافضل ان نتابع المشي وعندما وصلنا الخلوات طرقتنا باب المدير ابراهيم الخطيب علنا نجد جورج عنده او نعلم امرائه فأخبرنا بان جورج عبدالمسيح قد مر به منذ ساعتين حيث ارتاح قليلا وتناول الطعام وذهب باتجاه قرنايل فقصدنا قرنايل ورافقنا المدير بهذه الرحلة. وصلنا الى بيت نايف هلال وسألنا عن جورج فافاد بان جورج قد مر بهم حيث ارتاح قليلا وذهب الى بريم. عدنا الى الخلوات وصلناها عند الخامسة صباحا وكان التعب قد خذ منا مأخذاً كبيراً فمنا في بيت الرفيق ابراهيم الخطيب حتى الحادية عشرة قبل الظهر وبعد ان اخذنا ترويقة الصباح قرر السيد مأمون ان يرجع لبيروت لانه كان يشغل مسؤولية عمدة الداخلية وعليه ان لا يكون بعيدا عن بيروت في مثل هذه الاحوال. كلف المدير احد اقاربه بان يستدعي لنا سيارة من حانا لتعذر وجود السيارات في الخلوات.

وبدلاً من ان يذهب لحمانا بنفسه او ان يكتم اسماءنا طلب سيارة وذكر له بان السيد مأمون اياس يريدنا.

ومن لا يعرف من هو مأمون اياس. اللبنانيون جميعا يعرفونه بأنه من اركان الحزب القومي والسائق المحترم تباهي امام اقاربه بانني ذاهب كي اجيب مأمون اياس وانزله

لبيروت فيذهب احد المخبرين ويخبر المخفر بان مأمون اياس سيمر بسيارة السائق الفلاني وعند وصول سيارتنا الى مفارق الطرق واجهنا حاجزاً من الدرك فاراد السائق ان يعود ويفر بسيارته في طريق قرنايل فنهرو مأمون قائلاً قد تعرضنا لخطر اطلاق النار فالمسافة الفاصلة لا تكفي لتدوير السيارة والفرار دون ان نتعرض للنيران فالأوفق لنا ان نقف فان كان الحاجز لاجلنا نكون وقعنا بالفخ وان كان لغيرنا فنمر بسلام. نزل من السيارة وبدلاً من تفتيشنا او سؤالنا عن هويتنا وضعوا القيود بأيدينا فشرعنا بانها كانت وشاية والمقصود بالحاجز هو اعتقالنا. وكان على رأس القوة الكامنة عبدو نخله، شاويش من الباروك وعبدو هذا شكله اقرب للوحش، ذو طبع نزق وقليل الادب.

فعندما استتب له القبض علينا برم شاريه وقال: «انا عبدو نخله» وكأنه يقول انا عنتره بن شداد. فقال له مأمون: «تشرّفنا، شو حضرتك اعتقلت فؤاد علامه! نحن جئنا اليك طائعين، شوه المراحل!» ضحك وقال «بكرنا بتشوف لح بعلق نيشان».

امضينا في ضيافة عبدو اربع وعشرين ساعة. سمعنا من بهوراته الشيء الكثير وفي الصباح جاءنا قائلاً: «بتدفعو اجرة سيارة كي انقلكم بالسيارة الى بعبدنا وببيروت ام نذهبو مشيا على الاقدام؟» قلنا: «نذهب مشيا فلا نحمل مالا». قال: «وكيف اذهب معكم؟» قلت: «انت تركب حصانا ونحن نمشي». وقال مأمون: «انا معي ليرة سأشتري علبة سقاير والباقي ادفعه لك». اما انا فقلت: «وانا احمل نصف ليرة لا اتخلى عنها ابدا فقد اجوع بالطريق سأشتري بها ما آكله». واخيراً قرر عبدو افندي بأن يستأجر لنا سيارة وينقلنا على حساب الدولة. لا اكراما لنا بل اكراما لجنابه لانه ذاهب برفقتنا.

وصلنا بعبدنا واذا بالسجن يفضّ بالرفقاء المعتقلين قبلي خصوصاً رفقاء بكفيا وجمهور الشوير الذين اشتركوا في المعارك مع الدرك - فمن جمهور الشوير كان كل من وديع الياس مجاعص، فؤاد فرح، جميل قيامه، رشيد مطر، فؤاد اندراوس من بكفيا، عجاج المهتار، شرشاش الصايغ، نجم الاحمدية، سليم محمد ضاهر، توفيق ابو شقرا، حسن الطويل وعلي سعيد عامر.

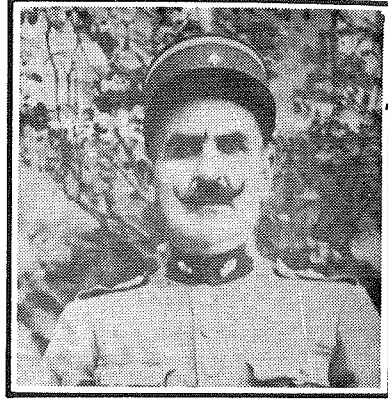
ويقول جبران جريج: «جاء في الأمثال - رب صدفة خير من ميعاد - وهذه لصدفة كانت في سجن الرمل بعد مضي عدة سنوات على اعتقال الزعيم حيث كنت

موقوفاً على ذمة التحقيق في تهمة العمل لحزب منحل .

كنت استغرب عطف العريف هرموش علي فكلما كانت نوبته في الخدمة لا يألو جهداً للاهتمام بي الى ان باح لي بسرّ هذا الاهتمام وهو ان ولده كمال، الخطاط المعروف منّا جميعاً ومكان عمله في محلة «عالمصور» اوصاه بي لانه «منكم» .



الخطاط كمال هرموش



العريف هرموش

كنا خلال الفرص التي كانت تسنح له نتداول احاديث كثيرة عن الحزب والمبادئ والزعيم الى ان كان ذات يوم اعلن لي انه هو الذي كان مسؤولاً عن المخفر في المربجات فروى لي قصة اعتقال الزعيم كما يعرفها .

« جاءته تعليمات من قيادة الدرك وجوب وضع حواجز على الطريق العام وتفتيش السيارات بدقة لان اخبارية وردت اليها تفيد ان انطون سعادة المطلوب من العدالة سيمر بين حين وآخر على الطريق باتجاه دمشق فيقتضي على كل مخفر على الطريق ان يلقي القبض عليه . واعطيت مواصفات السيارة .

وقفت سيارة امام الحاجز الذي وضعه المخفر وتوجهت اليها للتفتيش واذ بها تنطبق عليها المواصفات المبلغة بنا . كان فيها ما عدا السائق، سيدة ورجلان . طلبت منهم النزول للاجابة على بعض الاسئلة اطرحها عليها . فترجلوا . اختفى الرجلان ولم يبق بين ايدينا سوى السيدة والسائق . امرتها بالدخول الى المخفر . رافقتها واعلمت الرقيب بالامر . قال لي « ويحك ، فلت انطون سعادة من يدنا » .

كنت اسمع بأنطون سعادة وكنت احسّ بميل اليه ، ميل عاطفي لرجولته ولمواقفه الجريئة في محاربة السلطة الاجنبية ، لذلك غصّ قلبي عندما علمت ماذا جنيت ولكني

سررت لفراره. ما كدت ابدأ بالتحقيق حتى فاجأنا شخص بالدخول الى المخفر يقول لي: «انا المطلوب ولا ضرورة لتوقيفها فليس لها اية علاقة بأي موضوع».

سمعت انه اطلق الرصاص على سيارتها عند ظهر البيدر وبقي الفاعل مجهولا. كاد الرصاص يتسبب بقتل سعادته لأن نور الدين خبير بجالات من هذا النوع فانبطح في ارض السيارة. (وغمزني بعينه ليدلل على مدى خبرة خيرالدين!!! انه يقصد غير الخبرة، قد يكون قصده الاشارة الى خوفه!)

باغتني هذا الموقف الشهم الذي يدل على اخلاق عالية ولكن الاوامر هي الاوامر فتلفنت الى المرجع المختص انبئه بالخبر السار وانتظر منه التعليمات.

لم يطل الوقت حتى جاءت التعليمات بأن اسمح للسيدة والسائق بالانصراف وان احتفظ بانطون سعادته الى ان يحضر من يتسلمه فكانت المفاجأة الكبرى ان حضر قائد الدرك بنفسه في سيارة عسكرية واصطحبه معه.

هذا في المخفر اما في البيت، عندما عدت اليه وبيننا اروي للعائلة ما جرى معي، كانت المفاجأة الكبرى تنتظرنني اذ التفت الي كمال وقال بنبرة حادة «انت اعتقلت انطون سعادته؟ الا تدري ماذا يعني هذا العمل، خصوصا لي. انطون سعادته زعمي فانا سوري قومي اجتماعي. واخذ يشرح لي اهمية هذا الاعتقال وما يمكن ان نتوقف عليه من نتائج مما جعلني اشعر بعقدة الذنب.

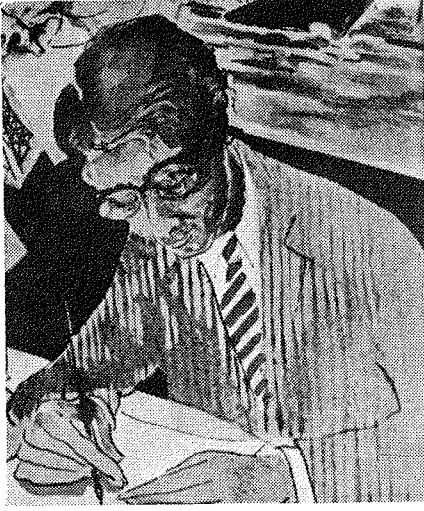
بعد سماعي حديث ولدي كمال هنأته على انتائه الى هذا الحزب الذي زعيمه يكون شهيا من هذا النوع فيأتي ويسلم نفسه ليفرج عن سيدة دخلت المخفر بسببه وقد تتعرض للتوقيف فالجسس.

كلما فكرت بهذا الموضوع اجد لِنفسي مبررات كثيرة فهو الذي جاء الى المخفر ولست انا الذي القى القبض عليه وعلى كل حال كانت النتائج الباهرة التي حصلت بعد التحقيق جعلتني اقول لابني: «عسى ان تكروهوا شيئا وهو خير لكم».

واخيرا استخلصت بيني وبين نفسي ان الشبهة حول خيانة احدهم كانت في محلها فمن اين لقيادة الدرك المعرفة بان انطون سعادته سيمر على هذه الطريق؟

مذكرات رضى التامر

وبهذه المناسبة أنقل من مذكرات القاضي رضى التامر، صفحة 194، هذا المقال الذي خصّ به الصدام الدامي في بكفيا انقله كما هو لانه يدل على جوّ الهيبة الذي كان يخيّم في البلاد على الصعيد الامني بعد تأديب الصحفي عارف الغريب كما يتبين من



رضى التامر

تصرف البستاني الوارد في المقال او من تأثيره على القاضي نفسه مما عرضه الى ارتكاب حماقة كادت لا تحمد عقباها .

« كان المهرجان الذي اقامه الحزب السوري القومي في بكفيا عام 1937 ، ذا اثر بالغ تبارى فيه خطباؤه يحملون حملات عنيفة ضد نظام الحكم القائم في لبنان . وتعالّت الهتافات ودوت الاصوات مطالبة بوحدة سورية الطبيعية وهتفت باسم سعادة عالياً ونودي بسقوط من بيدهم السلطات ، وكان طبيعياً ان تتدخل الحكومة وتتدخل جندها فيسعى لتفريق شمل المجتمعين وفوط عقدهم ، ويلتقي الفريقان ويحصل بينها صراع ، وينهزم المجتمعون اخيراً بعد ان يلقي القبض على عدد وفير منهم وتشن حرب لا هوادة فيها على الحزب السوري القومي ، وتبتدىء المطاردة وتنبري جريدة « الرابطة » بحملات متتابعة ضد الحزب القومي وتعرض لمبادئه واعماله ، فيهاجها مجهولون في محاولة حرقها . ويتعرض الاستاذ عارف الغريب صاحب جريدة المساء للحزب وافراده بمقالات عنيفة يكون من جرائها ان يدخل عليه مجهولون ويوسعوه ضرباً ولكماً .

ويشاء القدر ان اكون آنذاك اشغل دائرة تحقيق جبل لبنان ، وان تكون حادثة بكفيا تابعة للدائرة التي اشغلها . ولقد خاف عليّ اسعد بك البستاني رئيس البوليس العدلي من بطش القوميين وخاصة بعد الاعتداءات التي حصلت لكل من يتعرض لهم . عرض عليّ ان اختار رجلاً من رجال الامن ليكون بجراستي لان القوميين قرروا فيما

بينهم الاعتماد على كل من يتعرض لهم، فرفضت العرض بعد ان شكرت السيد بستاني وأجبتة بان لاداعي لحراستي ومادمت اقوم بالواجب المطلوب مني، ومادامت اعماي مع افراد الحزب القومي او غيرهم لا تتعدى حدود القانون.

ولكن السيد البستاني طلب الي ان يكون رفضي خطياً وان اوجه اليه مذكرة بهذا المعنى لتحفظ لديه رفعاً لكل مسؤولية عنه، فما كان مني الا ان اجبته الي طلبه ووجهت اليه المذكرة المطلوبة، وماكدت افعل حتى صرت انظر للأمر نظرة غير النظرة الاولى، نظرة حذر وحيطة. وزاد الطين بلة ان رويتُ على مسامع اهل بيتي ماطلب مني السيد البستاني، واخذوا منذ ذلك التاريخ يرون الاشياء مجسمة وينظرون الي كل غريب نظرة حذر وعداء. واذا صدف والقي رجل ما نظره الي بيتنا حسبوا ان هناك مؤامرة تحاك وان موعد تنفيذها اصبح قريباً. وكان طبيعياً ان احتاط انا للامر فصرت احمل مسدساً وما هي الا مدة وجيزة حتى طلبت منّي وزارة العدل بموجب مذكرة رسمية ايداعها كل اوراق التحقيقات المتعلقة بالحزب السوري القومي، فاودعتها اياها وعهد فيما بعد الي المحقق السيد جورج مراد اكمال التحقيق، لان هذا المحقق كان على صلة طيبة مع المرحوم خير الدين الأحذب رئيس الوزارة في ذلك الحين الذي اراد ان يجد للقضية مخرجاً سياسياً اكثر منه عدلياً. وهذا الامر لا يمكن ان يتم وانا اتولى التحقيق لاني من الذين يؤمنون بضرورة استقلال القضاء وبدعم تدخل السياسة في امور العدلية. ولقد اسدل الستار فيما بعد على حادث بكفيا بعد ان تحول مكتب السيد جورج مراد الي صالون سري يجتمع فيه ليلاً المرحوم خير الدين الاحذب والمرحوم رئيس الحزب السوري القومي. ولقد سويت الامور وعقدت الهدنة بين الفريقين. وخرجت انا من هذه القضية ولم اقم بشيء قضائي مهم، ولكني تعرضت اثناء التحقيق، والحقيقة تقال، الي شباب راسخي العقيدة يضمهم حزب منظم بعيد كل البعد عن التعصب الطائفي الذمير.

ولكن حادثة طريفة وقعت لي وكان ذلك اثناء قيامي بالتحقيق في حادث بكفيا وقبل ان يستلمه غيري واذ كنت عائداً في مساء يوم الي بيتي وكانت الساعة حوالي العاشرة، وما ان نزلت من سيارتي وسرت في الممر الطويل المؤدي الي مدخل بيتي حتى شاهدت شخصاً يتقدمني ويسير امامي بخطى بطيئة، فلفت نظري واحتطت للامر وصرت اسير متباطئاً حتى لا اتقدم ذلك الشخص فتفوتني مراقبته. ولقد قام في ذهني اول الامر ان هذا الشخص لا بد ان يكون متجهاً نحو البيوت المجاورة لبيتي، ولكني تركت ما قام في ذهني جانباً عندما شاهدته وقد ابتعد عن مدخل بيتي ما يقرب الثلاثة

امتار ، يلصق جسمه بالحائط المقابل للمدخل يواريه عن انظارني ظل شجرة « الاكاسيا » الموجودة هناك . وتأكد لي ان هذا الشخص لا يريد إلا الايقاع والفتك بي ، وخفت ان انا تراجع ان يفتك بي فلم يكن امامي الا مبادرة ذلك الشخص قبل ان يبادرني هو . وشهت مسدسي وصوبته نحوه وانذرت بصوت سمعه كل الجيران ان (ارفع يديك وإلا قتلتك) فما كان منه إلا ان رفع يديه مذعوراً واخذ يتسغيث بي ، فتقدمت منه وانا اشهر مسدسي في وجهه ، وكان كل همي ان اتحراه واعرف ما اذا كان يحمل سلاحاً ام لا ؟ ولكن كيف السبيل الى ذلك وما هي الطريقة التي يجب استعمالها ؟ وكان لا بد من ان اخلص من هذه الورطة فأخذت المسدس بيدي اليمنى وصرت اتحرى الشخص باليد اليسرى بعد ان انذرت بالقتل إن هو حرك ساكناً . ولما لم اجد معه سلاحاً امسكت بشعره وادخلته الى بيتي وبدأت اضربه ضرباً موجعاً . وكان يستغيث بين يدي ويقول لي دعني لأخبرك عن سبب وجودي في هذه المحلة ، ولم اكف عن ضربه إلا بعد ان نالني جهد كبير . ولما بدأت احقق معه عن سبب مجيئه في تلك الساعة المتأخرة من الليل الى هذه المحلة قال لي : وهل تعرف ماذا قال لي ؟ قال لي إنه عشيق « الصانعة » التي تخدم عندنا وانه سبق له وحضر الى هنا مراراً وكانت « الصانعة » عندما تراه يحضر تخرج من البيت خلصة وتذهب معه الى السطح وهناك يميلان ما يرغبان ويريدان من ادوار الغرام .

احمد الله تعالى على ان هذا المسكين لم يحاول الهرب عندما هاجته ولم يأت بأية حركة معادية وإلا لكنت اطلقت عليه النار ، وارتقت دماء إنسان بريء لم يجرم ولم يأثم ، ولكنك اجرت مرغماً بلا سبب يستحق الذكر .

تركت ذلك الشخص وشأنه وسمحت له بالانصراف واتبعته بحبيته « الصانعة » مطرودة ودخلت غرفتي وانا اتصوره يلعن الحب وكل ما اشتق منه فقد جنى عليه الليلة ولم يجن هو على احد .

في سجنٍ بعيداً

انقل هذا الوصف للتحقيق وللوضع في سجن بعيداً من مخطوطة مذكرات كامل ابو كامل:

« وبدأ التحقيق شديداً لأول وهلة. الامر الذي جعلني اتفق مع رفقاء الشوف والغرب بان يحدوا جميع المسؤوليات بشخصي. وكان يدير التحقيق كل من اسعد البدوي كمدعي عام ورضا التامر كمحقق وكنت على اطلاع بصداقة رضا التامر مع رفيقنا الدكتور محمد امين تلحوق فوضعت مخططي ومن ضمنها استثمار هذه الصداقة التي تربط الدكتور تلحوق برضا التامر.

ولما مثلت امام المحقق بادرنى بالسؤال التقليدي: ما هي مسؤوليتك بالحزب ومن وزع المنشور في الشوف، ممن تشكل هيئة المنفذية؟

اجبت « لست انا منفذاً عاماً للشوف فحسب بل ايضاً انا منفذ عام الغرب بالوقت نفسه واني مسؤول عن كل ما جرى في هاتين المنفذتين قال ومن سلمك المنشور ان كنت انت قد حملته بنفسك قلت لم اهمله فقط انا قد حضرته وطبعته ووزعته ».

قال: « انه موقع من انطون سعادة زعيم الحزب » قلت: « لا يا حضرة المحقق بل انه يحمل اسم انطون سعادة في ذيله ولكنه غير موقع منه ».

قال: « ان سلمنا جدلاً معك بانه غير موقع من انطون سعادة وانت الذي وضعتها فماذا تعني بما وارد فيه؟ أنت تدعو الى الثورة؟ ».

قلت: « نعم انا ادعو الى ثورة فكرية ولا ادعو لثورة مسلحة وهذه كلمات يفهمها الشوفيون لذلك قد اخترتها كي تعطيمهم ضمناً اكثر ».

قال بنبرة حادة: « انخلطها عليّ انا رضا التامر. لقد مرّ عليّ مئات مثلك فلم ار فيهم هذه الوقاحة ».

اجبت: « ولو رضا بك أنت رضا بك حقا وقد سمعت عنك الكثير ».

قال: « وما سمعت » قلت: « في كل ليلة التقي بصديقك الدكتور تلحوق يحدّثني عن مواقف لك مشرفة. فحرتك من عائلة كريمة لها تاريخ حافل بالبطولات ضد الاستعمار والمستعمرين واني اراك الآن تقلل من شأن الجماعة التي تعمل ضد الانتداب وتحارب ضد التقاليد الفاسدة ».

فقلل من عبوسه واعتدل في مكانه وكأنه تجاهل ما قدمت له وسألني من هم المسؤولون الذين يعاونونك في الشوف فهيتة المنفذية تتألف من منفذ العام كامل ابو كامل ناموس المنفذية توفيق ابو شقرا ناظر الاذاعة توفيق ابو شقرا - ناظر التدريب كامل ابو كامل ناظر المالية توفيق ابو شقرا.

واستمر التحقيق حوالي الساعتين بقيت فيها مصرا على اقوالي بأني المسؤول عن كل كلمة في المنشور الموزع وعلى ابي المسؤول عن منطقتي الشوف والغرب واحببت بذلك رفع المسؤولية عن حسن الطويل وعن الاعضاء المعتقلين من منطقتي الشوف والغرب سيما وان جميعهم يدخلون السجن لاول مرة في حياتهم. عدت الى غرفتي لاراها تغصّ برفقاء جدد اتواهم من المتن الشمالي. اربعة من زرعون وثلاثة من بكفيا وثلاثة شيوعيون ارمن.

وسجن التوقيف في بعدا يتألف من غرفتين صغيرتين 4/4 معدّتين لتوقيف السجناء المجرمين، لا نظافة فيها ولا نور. فالشمس لا تدخلها طيلة النهار والهواء يدخلها من شباك في الاعالي والبق يعيش فيها. اضطررنا بعد دخولنا بيومين ان نشترى سطلا ومماسح على حسابنا وغسلنا الارض والابواب بالصابون حتى نضفي جوا من النظافة ولا نعيش يوما بين الاقدار والروائح الكريهة. اما اكل السجن (القرواني) رفضناه منذ اليوم الاول واستعضنا عنه بالخبز والحمص الذي نطلبه على حسابنا. من المطعم الوحيد الذي يملكه امين ابو عرم ويقدم فيه اللحم المشوي والحمص والفول فقط والخبز في بعدا يمتاز على الخبز البتي لذلك كان اكثر السجناء يرفضون خبز الحكومة ايضا - وبعد اسبوع على وجودنا في سجن بعدا لجأنا الى الاضراب بحجة اننا لسنا بسجناء عاديين كي يضعونا مع المجرمين في غرفة واحدة لانهم جاؤونا بعدد من المتهمين بجرائم اخلاقية، واحدهم قاتل ابنة اخته والثاني متهم بفض بكاراة وآخرون بتهمة سرقة الكنيسة في بجمدون والقاتل مغرم بجرم العذراء فكان

يقضي نهاره يقدر ارض الغرفة جيئة وذهابا ويردد مريم العذراء شئمة وشرف.

استمر اضرابنا ستة ايام كاملة وفي اليوم الخامس زارنا الامير امين ارسلان وطلب منا ان نعود عن الاضراب فاصرنا على مطالبينا التي كانت تلخص بالآتي:

1 - ان لا يوضع بيننا سجناء عاديون.

2 - ان يسمح لنا باستعمال بابور الكاز كي نقوم باعمال الطهي لانفسنا لاننا نرفض ان نتناول طعام القراواني.

3 - ان نكون في مكان تدخله الشمس والهواء.

4 - اخلاء سبيل المعتقلين الابرياء اذ ان اكثرتهم لا علاقة لهم باي عمل.

وتمكن الامير من اقناع المدعي العام والقاضي في التحقيق من تأمين ما طلبنا وطلب منهم ان يعاملونا برفق ويوفروا لنا الراحة في معتقلنا.

فعاد الينا وقال سوف يؤمنون لكم ما طلبتم والآن عودوا عن اضرابكم.

قلت: « اسمع يا امير اعد بشرفي بانني سأعود عن الاضراب عندما ينفذون ما وعدوك به وارتفعت الاصوات تقول لا تعود قبل ان ينفذوا ما وعدوا به ».

وفي صباح اليوم التالي وردت الاخبار تشير بأنه سيتم جمعنا في مكان واحد وقد قرروا ان يفرغوا لنا المشغل وهو كناية عن صالون كبير بطول اثني عشر مترا وعرض ستة امتار فارسلنا للمحقق نقول نحن مستعدون ان نتكفل لتنظيفه وبعد مضي ثلاث ساعات كنا قد انتهينا من تنظيف المكان. اقبل الامير امين مع حاليين، كل منهما ينقل سلا كبيرا يحتوي على الفواكه والبقلادة وجميع انواع المؤونة من زيتون وزيت وعدس وحمص، فاصوليا، ارز، سكر، بن، شاي. فهنأنا على صمودنا وشكرناه على ما قام به من اجلنا.

وفي المشغل قسمنا انفسنا الى خمسة فرق، كل فريق يتألف من خمسة اشخاص ووزعنا المؤونة بالتساوي والمشكلة كانت في من سيتولى الطبخ فانبرى عجاج المهتار وقال انه قد تعلم من زوجته وبعضها تبرع فؤاد فرح بان يتعاون مع عجاج للغاية نفسها اما غسيل الصحون فقررنا ان يتولى كل فرد منا تنظيف صحنه ويتولى تنظيف الغرفة فريق من خمسة، دوريا.

اما السجن مارون وهو من مزرعة الظهر، القريبة من عريفة فقد صعب عليه ان

تميّز الادارة سجناء عن الآخرين فبنظره السجين مجرم مهما كانت التهمة ويرى من واجبه ان يعامله بالصباح وبالمسبات فمن الصباح الباكر حتى المساء لا يكف عن الصراخ والمسبات حتى اضطر توفيق ابو شقرا رفيقنا ان يناديه ويقول له: «اسمع يا مارون سأخرج من السجن واتزوج وستلد امرأتي ولدا ذكرا سأسميه مارون وعندما يكبر قليلا سوف ارقعه قتلة كل يوم اكراما لك».

بعد تحقيق طويل اجراه قاضي التحقيق مع جميع الموقوفين لم يتمكن من الحصول على نتيجة تمكنه من ادانة احدهم كما انه لم يحصل منهم على اشارة تدين الزعيم بما فعلوه لذلك اتخذ التحقيق شكل الضغط على الاعضاء لاخلاء سبيلهم لقاء انسحابهم من الحزب. ولما لم يجد بينهم ضعيفا يستجيب للضغط بدأ بقبول طلبات اخلاء السبيل وذلك بعد مرور عشرين يوما من السجن وكان يطلق سراح واحد او اثنين في الاسبوع الاولى وبالاخير لم يبقَ مسجون غيري وغير توفيق ابو شقرا وعجاج المهتار، ووديع الياس مجاعص وفؤاد اندراوس.

اطباء السجن كثيرهم من موظفي الدولة، القليل منهم اللذين يحملون وجدانا انسانيا في وظيفتهم فكأنهم يشغلون المكان ليعتدوا ايام الشهر فقط ويقبضون المعاش - هذا المعاش الذي يدفعه الشعب لهم من ماله ودمه. كي يقضوا له حاجاته، يسخرون منه ويمعنون في تعذيبه. قبل ان يقضوا له حاجته.

فطبيب السجن غير انساني لانه يهمل واجبه ولا يستعمل علمه وخبرته عندما يمثل امامه مريض سجين فيعامله وكأنه حيوان لا قيمة له امامه واليكم ما حصل.

يطلب السجنان بان يذهب من يشكو مرضا الى الطبيب فيذهب ستة. واحد منهم كان قد قضى ليلة صعبة يئن ويتلوى وكانت حرارته مرتفعة طول الوقت والآخر يشكو مغصا في معدته. والثالث يشكو الما في رأسه وفي اذنيه وآخر اعراضا عصبية، الخ... وبعد ان عاينهم طبيب السجن الدكتور فرحات امرهم بالعودة الى سجنهم وانه سوف يرسل لهم الدواء مع الممرض وفي المساء يأتيهم الممرض بلتر من الدواء المركب السائل. مكتوب عليه ملعقة بعد الاكل ثلاث مرات يوميا. قالوا لمن هذه فنحن ستة مرضاء قال هذه للسته.

وعندما عاد الطبيب للمرة الثانية وطلب المرضى من غرفتنا ارسلوا له لائحة باسماء المرضى دون ان يذهب احدهم اليهم فعاد السجنان مارون بصيحاته التي اصبحت

مألوفة لدينا « شو القصة » بدم تضحكوا عالطبيب كمان شوهايدا . فقال له احدهم :
« اسمع يا مارون انت عريف عظيم وتصح ان تكون ملازم اول فالدولة ظالمتك لانك
بتفهم . بلغ الطبيب تحياتنا وقل له .. طالما ان الدواء واحد وقبينة تشفي جميع الامراض
فلم نر من لزوم بان نعذبه في فحصنا . لذلك ارسلنا له لائحة باسمائنا » - هذه قضية
خبرناها بانفسنا فاطباء السجون كلهم سواء ، يملأون المركز ويقبضون المعاش دون ان
يقدموا خدمة صحيحة للتعساء .

★ ★ ★

اخبار التحقيق في بيروت كانت تصلنا تباعا منقولة حيننا وجاهرية احيانا ولكن
الجميع عندنا كانوا اقوياء . لم يظهر على احد منهم الضعف ولا حتى التأفف فكل ما
كانوا يطلبونه هوان يتوفر لهم بعض الكتب للمطالعة ولكن هذا كان ممنوعا علينا
والمسموح فقط هو الكتب الدينية ، قرآن وانجيل .
فتسليتنا الاكثر ممارسة كانت المساجلات الشعرية وقصص توفيق ابو شقرا التي لا
تنتهي .

طالت مدة الاعتقال هذه المرة فقد بلغنا الستين يوما على سجننا ولم يبدا بصيص
نور بأن الخروج الى الهواء الطلق سيكون قريبا وفي نهار الواحد والستين تسربت لنا
اخبار بيروت وكانت تشير بان اتفاقا سيتم مع الزعيم يكتسب الحزب فيها هدنة جديدة
للعمل بعيدا عن الملاحقات والسجون .

حبة بلادي

وانشر فيما يلي قصيدة الامين عجاج المهتار الذي نظمها في زندان سجن بعبدا
1937 .

بـزقـزوقـتـكـ ، يـا بـلـبـل الـوادي
ذكـرتـني ، بـالـأهـل ، وولادي
مـثـلـك مـبـارح كـنت بـلـبـل حـر
حـول السـعـادـه مـرـفـرـف و غـيـادي

فـرـفـر ، و غـنـي ، و طـيـر بـالـغـابـه
بـين الثـمـر ، و الزـهـر ، و صـحـاي

وهناك الفضل المليون، عساي
 والمرج والطربون... والنادي
 واليوم، حولي تشبكو القصبان
 سهران، بين العتم، والسجّان
 مدفون، طيب، والحراب كفان
 والعدل، غافي، ومين بتنادي ٢٢
 ذوب يا بلبل، روح تخنزانك
 عزم، وامل، برواح صيصانك
 ولو صرت متلي، بعشق بستانك
 اهل السما، وهالكايته، تعادي
 قصتي يا طير، يا حساس
 بالعقل والاحساس ما بتناقش
 جرّبت فك قيود جهل الناس
 وجهل الشرايع مسمّر «الفادي»
 بعرف قيودي عقود مجد وفخر
 وسوس ينخر عظم خصمي نخر
 وعندي اراده من صميم الصخر
 باني عليها مذهب سعاده
 شو همّي، بالحبس - ميّت - حيّ
 وحرّيتي، الفارقتها، والحيّ
 لكن هياك الحيّ تارك «مي»
 انكفأ أبنا، دبذببه، «دادي»
 يا غير الانسان عالانسان
 يا حضارة آخر الازمان
 ظلم، وظلام، وشلح بـ «الزندان» ١١٢
 محروم لمح الشمس بعيموني
 وذني الوحيد محبة بلادي ١٢

الوضع الحزبي

يقول الزعيم في خطاب اول اذار 1938 واصفا الوضع الذي كان عليه الحزب في تلك الفترة العصبية: « بعد حادث بكفيا كانت الاعتقالات الاخيرة التي جاءت والحزب لا يزال فاقد الشيء الكثير من حيويته بسبب الاعتقالات السابقة وجنوح عدد من المؤهلين للعمل الى اتقاء الخطر وهو من بقايا روحية الخنوع العتيقة، التي لا تزال عالقة بنفوس كثيرين والتي آن لنا ان نتحرر منها اذا كنا نريد تحقيق غايتنا السامية. واننا نريد. وكانت هذه الاعتقالات اخطر الاعتقالات في عنفها وشدتها. فتجهم الجو حتى ظن قليلو الايمان ان الساعة قد دنت، وقام خصوم الحزب السوري القومي الاجتماعي يبشرون بموته وبينهم الاحزاب الطائفية، التي انشئت بقصد محاربة الحزب السوري القومي الاجتماعي. في هذه المرة اوقفت جميع المفاوضات التي كان يقوم بها عادة من تبقى خارج السجن ».

وجاءت رسالة الزعيم الى فخري معلوف في هذه الاثناء تلقى نورا آخر على الوضع الحزبي كما كان يراه. وهذا نصها: « عزيزي فخري، اني مرسل كتابا الى رئيس المجلس الاعلى بواسطتك فيجب اخذ نسخة عنه قبل تسليمه ويجب حفظه بين اعمال المجلس.

ترى من الكتاب والمرسوم الذي برفقته (المرسوم مفقود) اني غير مرتاح الى حالة الحزب السياسية الادارية. ولم يكن في التدابير التي اتخذت اثناء سجنى الماضي ما يشجعني. فاريد ان لا تنقطع عن الاجتماع وان ترى ان لا يكون هناك تحيز شخصي وان تحارب روح الـ « كليك » Clique بكل قواك وان تسهل دخول عناصر جديدة صالحة الى ميدان العمل. اريد ايضا ان تتصل بي رأساً بواسطة المحامين.

لست كثير التألم من الاغلاط التي حدثت وجرتني الى السجن وواقفت مجرى التنظيم، فيجب علينا ان نكون دائماً مستعدين لتحمل نتائج الاغلاط، ولكن يجب علينا ان لانذع الاغلاط تهدد القضية.

عسى ان تكون والعائلة بخير وطمانينة. قدم احترامي للام المحترمة، وسلامي لك وللاصحاب».

واذا الواجب يدعو

كنت في صافيتا عندما حصل الاصطدام في بكفيا واني اروى هنا كيف انتقلت الى بيروت

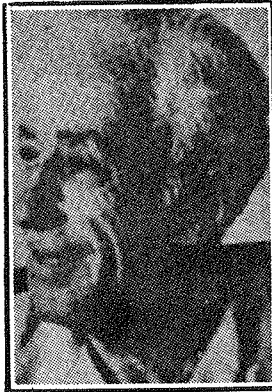
كانت الانباء عن النشاط الحزبي في الجمهورية اللبنانية تردنا تباعا ولذلك أخذنا نترقب المصير بعد وصول الانباء عن الاصطدام في بكفيا - المتن، جبل لبنان. قلقنا كثيرا وما زاد في قلقنا بعدنا النسبي عن ميدان المعركة. فالاخبار متضاربة والاشاعات تضخم الحوادث.

الوضع الحزبي المركزي

بيننا وانا في حيرة من امري تصلني رسالة من أنيس فاخوري من طرابلس يروي لي فيها مجريات الامور وينبئني باعتقال الزعيم وان لاقادة مركزية مسؤولة وان الفوضى بدأت تعم وان تدخل بعض السيدات يزيد الطين بلة ولذلك يدعوني للحضور حالا لنذهب معا الى بيروت نتدبر الامور وختم رسالته بقولي في شعري.

« واذا الواجب يدعو » فهل من واجب يدعو اكثر من هذا الواجب؟

لبيت الدعوة وحضرت فوجدت عنده الرفيق محمد علي فتوح الذي جاء من بيروت



محمد علي فتوح

يستنجد بنا وفي الوقت نفسه يثبت المعلومات التي اوردها لي انيس في رسالته السابقة وهكذا لم يعد من مندوحة لدينا سوى الحضور الى بيروت ففعلنا .

وصلنا الى بيروت ونحن نجعل تقريبا كل شيء عن المركز . قررنا ان افضل وسيلة نتبعها ان نقوم باتصال مباشر مع الزعيم في سجنه ولكن انى لنا ذلك ؟ بعد البحث والتدقيق عرفنا انه مسموح بادخال الطعام له كل يوم فخطر على بال انيس ان نبعث له برسالة تخفيها بطريقة ما مع الطعام المرسل له او لاحد المعتقلين معه كخالد اديب مثلا ولكن كيف ؟

أخيراً، اهتدينا الى طريقة وهي ان نكتب ما نريد ايصاله له من اخبار عن الواقع الحزبي وعن استعدادنا للعمل بتوجيهاته على ورقة رقيقة نأخذها من علبة سقاير «البافرة» التي كنت ادخنها وان نخفيها في اصبع «دريس» . كتبنا الرسالة وفتحنا الغلاف عن اصبع «الدريس» - وكانت حبة الدريس فارغة الوسط على شكل خاتم - وعبرنا الرسالة التي صارت ملفوفة، في الفراغ واعدنا الغلاف الى ما كان عليه والصقناه بكل دقة وانتباه حتى لا يثير شكله الشكوك والظنون عند التفتيش في السجن . ارسلنا عدداً من هذه الاصابع لخالد ورسمنا بعض الخطوط على الاصبع - الرسالة وقعدنا ننتظر نتيجة هذه المجازفة وايدينا على قلوبنا، نخاف من الصدق الملعونة او من سوء الحظ .

نجحت الوسيلة وارسل الينا خبرا مع احد محامييه الشيخ ابراهيم المنذر ان نكون على اتصال به مستمر . هنا بعضنا بعضا بالنجاح واقمنا علاقات يومية مع الشيخ ابراهيم .

المرسوم المهرب

ذهب الشيخ ابراهيم لمقابل الزعيم وقعدنا ننتظر رجوعه في منزله . ما ان اطل ، عند عودته ، من الباب حتى أدركنا ان وراءه خبرا هاما . لم يخب ظننا . مد يده الى جيبه وناول انيس فاخوري ورقة مطوية باتقان وقال له : « تفضيل يا نائب الزعيم » .

فلش انيس الورقة وتطلع فيها بامعان ثم نادائي وحوها لي لأقرأها وأذ هي مرسوم بتعيين انيس فاخوري نائب زعيم ، له كل الصلاحيات الادارية التنفيذية الا السياسية ويظل هذا المرسوم كل تكلف سابق وفيه بند خاص بالسيدات انهن غير مكلفات ولا صلاحية ادارية لأية منهن .



الشيخ ابراهيم المنذر

شكرنا الشيخ ابراهيم على صنيعه وانصرفنا الى غرفتنا في الفندق نتشاور بما يجب ان تكون عليه خطوتنا التالية فهناك التبليغ وتشكيل هيئة تنفيذية للاعمال الادارية وتأمين المال للسجناء وعائلاتهم وعددهم وفير وموجودون في غير سجن الرمل، سجن بعيدا مثلاً. ان المسؤولية كبيرة والمخطر جسيم ولكن ألم نكن من القائلين: «واذا الواجب يدعو» فهيا الى العمل والى النضال، الى التنفيذ، لنكون عند حسن ثقة الزعيم بنا وثقتنا بأنفسنا. ثانياً.

شكل نائب الزعيم هيئة تنفيذية من مفوضين، كنت فيها مفوضاً للمالية، قاسم حاطوم للداخلية، اميل خوري حرب للاذاعة وفريد مبارك الذي كان عميداً قبل الاعتقال، وكنا نعقد جلساتنا في منزل الرفيق جميل شكر الله الكائن عند طلعة محطة جنبلاط. وهكذا صار للحزب ادارة مركزية وهكذا بدأ الدولار يدور بالاتصالات السرية وبدأ المال يتجمع بالتبرعات ونتابع في الوقت نفسه العمل السياسي الذي كان - على ما يبدو - قد قام به الزعيم مع المستنطق جورج مراد ذي الصلة الحميمة برئيس الجمهورية اميل اده.

★ ★ ★

رسالة من الزعيم

« ثم تلقينا منه رسالة اخرى من السجن وجدت نسخة عنها بخط يده - ناقصة الصفحة الاولى - وذلك عن طريق الامين رامز اليازجي وهذا نصها: «واريد ان

يكون واضحاً لكم ولمن يهمهم الامر ان تترك المسائل السياسية كلها لي، للزعيم، ومتى احتجت الى وسيط او مندوب او مستشار فاني اعرف كيف اختاره. وتاريخ الحزب وتقاليده تعطى امثلة يجب اتباعها.

اتخذوا الحذر والحيطه في اعمالكم وابتعدوا الشيوعيين والذين كانوا شيوعيين عن الوظائف ومكامن الاسرار واتخذوا تدابير احتياطية لما قد يقع واتخذوا قراراً بتعيين خلف لكم في حالة اعتقالكم حتى اكون اتصلت ورأيت التثبيت او خلافه.

امنعوا كل تعليق سخيف حول اقوالي واعمالي التي يجب ان لا تكون عرضة لنقد العاطلين وآراء غير المؤهلين فان مقاصدي هي مقاصد الزعيم وقصّار النظر لا يمكن ان يدركوا مغزاها الا بعد وقت ولأني فوفروا عني الاصغاء الى تعالقي سخيفة بالتدابير التي اطلب منكم اتخاذها لمنع الاعضاء من ابداء آرائهم الصببانية في تدابير الزعيم. فالزعيم يعلم قبل كل انسان اذا كان سفره الى اميركا مما يحسن ان يصرح به ام لا وما يراه الزعيم لا يراه المتطفلون على السياسة، الناظرون اليها بالنظر العادي الذي لا جديد ولا نبوغ فيه. وامنعوا كل انسان من التكلم باسمي او التعبير عن رأي فاني لا اكلف احداً بذلك. وانتم انفسكم لا تهتموا كثيراً بأراء المتطفلين وبحبّ الظهور واختاروا معاونيكم من ذوي الرصانة والاحترام واهل العلم والخبرة لا اهل الطفرة. ولتحي

القضية القومية

الزعيم

في 9-4-1937

ملاحظات

يجب ان تتخذوا امضاء او اسما مستعاراً تتسترون به. يحسن ان تتخذوا الاستاذ ق. (قبرصي) مستشاراً قضائياً. كل ما يجري ضمن الهيئة الادارية والتنفيذية العليا يجب ان يبقى سراً فلا يتحدث احد افرادها به خارج الجلسات او امام من لا ينتمي اليها.

التشكيلات العليا تبلغ للمنفذين العامين فقط على ان يبقوها سراً ادارياً فلا يذيعوه على الاعضاء.

يجب اصدار اذاعة على الاعضاء تطلب منهم التقيّد بميزات النهضة القومية التي هي ان يعرف كل فرد حدّه وان يقوم بواجباته وان لا يشوش على ذوي التبعة افكارهم واعمالهم واطاعة الاوامر بدون تردد. وعدم التطفل او التقدم بما ليس اهلاً له او ليس

مكلفاً به والاحتفاظ برباطة الجأش والثقة غير المحدودة بالزعيم وتدابيره وهي صفات يجب ان تظهر في الظروف الاستثنائية كما في غيرها .

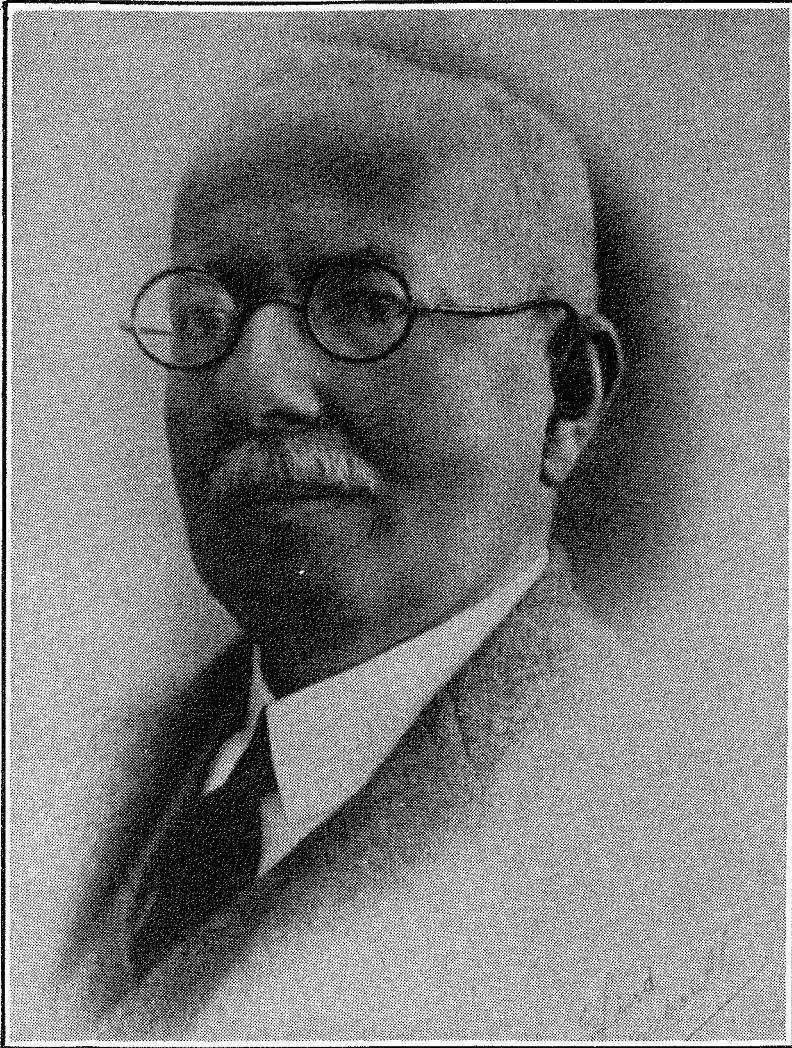
وقد ساعدتنا هذه التوجيهات وهذه التعليمات في عملنا الحزبي المركزي الجديد وانارت امامنا الكثير من السبل كما سيظهر تباعاً .

عندما حضرنا، انيس فاخوري وانا، الى بيروت كنا في جهل تام للوضع الحزبي المركزي، اذ اننا كنا بعيدين كل البعد عنه لكنه اخذ يتكشف لنا رويدا رويدا حتى بان لنا جليا . كان رئيس المجلس الاعلى الجديد نعمة ثابت ولم نكن ندرى لماذا حدث هذا التغير كما ان بعض المسؤولين المركزيين كان في الاسر والبعض الآخر حر، لكنه بعيد في الخفاء . لم يكن في الميدان العملي الا المحامون اذكر منهم الشيخ ابراهيم المنذر، مورييس الجميل، عبد الله قبرصي، اديب الحسيني، عبد الحكيم مراد الذي كان معيناً عميداً للاذاعة خلفاً للعميد الموقت صلاح لبكي . تسلمنا مسؤولياتنا بكل اندفاع وحماس يعاوننا فيها المسؤولون الفرعيون المحليون في المناطق وبخاصة في محافظة جبل لبنان ومنطقة مشغرة .

بدأنا عملنا ونحن نزلاء اوتيل بممدون الذي اخترناه لبعده عن الضوضاء وعن تسليطه الانوار، لأنه اوتيل من درجة ثانية او ثالثة، وقد يكون ايضا لقلة النقد المتداول بين ايدينا ثم لأسباب توفيرية استأجرنا غرفة في بناية تقع قرب حمام النزهة المشهور في محلة «عالمور» كان ظننا انها بعيدة عن عيون الامن واذا نكتشف بعد ان صرنا نتردد عليها للمبيت ان شرطيا ودركيا يسكنان فيها . غني عن البيان اننا كنا نحمل اسماء مستعارة واخيرا انتقل بنا المقام الى منزل الامير امين ارسلان الذي حسب ما عرفنا فيما بعد كان قد انتمى سرا باذن خاص من الزعيم بالنظر الى سنه المتقدمة وكانت زوجته حرة وشقيقتها سميحة رفيقتين ساهمتا مساهمة فعالة في تشكيل لجنة مالية تجمع التبرعات للحزب تحت اسم «مساعدة لعائلات مستورة» .

كانت هذه اللجنة مؤلفة من الرفيقات - ما عدا . من ذكرت - جمال ناصيف رئيسة، واميرة تيماني، نعم فاخوري، سلوى بدران، اسما سلام اعضاء وكان لمن الفضل الاكبر في جمع اكبر مقدار من المال نستعين به في اعمالنا الحزبية ومساعدة الرفقاء السجناء .

كان مفروض الداخلية الرفيق قاسم حاطوم حركة دائمة لا يغيب حتى يحضر وهو يتفقد المناطق ويستشير المهمم، ويدعو الى الانضباط التام، كذلك كانت تنفيذية بيروت التي تسلمها الرفيق سعيد البستاني بعد اللاذقي الذي كان قد اصبح عميدا للداخلية ثم سجننا اعتقل في مركز الحزب حيث كان على موعد مع الرفيقيين شيشكلي واديب فجرهما هذا الموعد الى السجن معه دون معرفة سابقة بهما فكان سجن فتعارف ولقاء . كنا ايضا نتردد احيانا الى منزل الشيخ ابراهيم المنذر الذي كان صلة وصل بيننا



الامير امين ارسلان

وبين الزعم في السجن . كنت التقي في هذا المنزل بناظر مالية تنفيذية بيروت الرفيق
جميل بتلوني الذي كان له نشاط مذكور في هذا الميدان وفي مجال التعاون كنا نلتقي
ايضا بالرفيق حافظ منذر نجل الشيخ ابراهيم الذي كان له موقف يوم بكفيا وما يزال
مكملا سيره الان معنا .

لم يطل عملنا كثيرا فان الفترة اقتصرت على شهر نيسان وقسم من شهر أيار الذي
تم فيه الافراج عنه .

في التحقيق

هذا من جهة الوضع الحزبي اما من جهة التحقيق فقد كلف به في بيروت القاضي جورج مراد الذي قاد الجولة هذه بدراية وحكمة وحنكة، ادت الى احسن النتائج افاختصر الوقت وافرج الكربة بعد ان كان الزعيم يظن ان هذه المرحلة ستكون طويلة قد تؤدي به الى سجن «بتدين» كما مر بنا .



جورج مراد

من حسن تصرف القاضي مراد انه حوّل التحقيق الى نوع من المفاوضات فقد قال لي في مقابلة شخصية « نعم انه كان مخلصا للبنان على طريقته واقتناعي

يقول المحقق جورج مراد: « نعم، إنه كان مخلصا للبنان على طريقته واقتناعي بهذا الاخلاص هو الذي جعلني امهد السبيل لتذليل كل العقبات التي كانت تعترض سبيله ان من جهة المندوبية الفرنسية التي كانت تظن بوجود علاقة اجنبية وراء هذا الانسان او من جهة السلطة المحلية التي كانت ترى في قوميته السورية عداا للبنان

واللبنانيين. كما اني نزعته من فكره هاجساً قوياً بان السلطة تريد « تصفيته ». فاطمان ووثق بي ثقة افتخر بها جعلته يتردد علي للبحث والتداول في الامور

وقد اخبرني الزعيم فيما بعد كيف توقف المحقق جورج مراد عند عبارة وردت في البيان تتناول موضوع الانتخابات وكيف انه شدد عليها، يريد معرفة القصد منها وكيف ان هذه العبارة كانت المدخل الى الموضوع السياسي ومنه كان الوصول الى الحل النهائي للمشكلة القائمة التي كانت تبدو معقدة جدا للعيان.

« والحكومة التي تمنح اعضاء الدولة من التفكير في مصير دولتهم ومن استعمال حقوقهم المدنية والسياسية في تقرير هذا المصير حكومة قد تجاوزت حدودها وخرقت حرمة المبادئ التي تقوم هي نفسها عليها وعصت ارادة الشعب الذي له وحده حق تقرير مصيرها ومصيره. ان حكومة من هذا النوع يجب اعلانها حكومة عاصية. واني اعلنها حكومة عاصية ».

كان لموقف بعض المسؤولين المركزيين الموقوفين مع الزعيم من أمثال عميد الداخلية محمد راشد اللاذقي، شأن في دعم موقف الزعيم من المفاوضات بخاصة ما يتعلق منها بالانتخابات فقد كان رئيس الوزارة خير الدين الاحدب يرغب في خوض المعركة في بيروت وهو بحاجة الى عناصر بيروتية فاختر منها اللاذقي واوعز للقاضي مراد بحسن معاملته عساه يستفيد منها في جذبته اليه لدعمه انتخابيا لكنه اصطدم بانضباطيته مما اوجب عليه العودة الى الزعيم في اي شأن من هذه الشؤون.

وبهذه المناسبة اذكر ما رواه لي القاضي جورج مراد عن ان التحقيق الذي اجراه مع الزعيم دون كله بخط الزعيم وذلك لتفادي الوقوع في الخطأ وفي تفسيره. ليت يعثر على هذا التحقيق. وقد دون خلاصة موقفه في رسالة خاصة سلمها له قبل الافراج ببضعة ايام.

رسالة الزعيم

« حضرة قاضي التحقيق مراد،

لي الشرف بأن اؤكد لكم الاعترافات التي ادليت بها امامكم خلال استجوابي هذا اليوم وأن اضيف اليها هذا الكتاب الذي احدد فيه الموقف الصريح للحزب حيال الدعايات الأجنبية وحيال الانتداب والقوة المنتدبة. أرجو أن تساهم الحقائق المعروضة ببساطة في هذا الملف في تحديد قناعتكم وان تجدوا من المناسب ابلاغها الى كل من يعنيه الأمر.

في ما يخص موضوع الدعاية الأجنبية، فإني أعلن أن المزعمة القائلة ان الحزب السوري القومي هو تشكيل أجنبي او متأثر بالدعاية الأجنبية، هذه المزعمة يروجها اشخاص معروفون بعدائهم للحزب وبوقوفهم ضد برنامجهم الاصلاحى. هذه المزعمة لا تتجاوز في الواقع نطاق الهمس العام. والحقيقة هي ان الحزب ناضل ويناضل سراً وعلناً ضد الدعايات الأجنبية. فمنذ ما قبل اكتشافه، وحيث لم يكن لاعدائه المجال بعد لنشر شائعاتهم حول هذا الأمر، عبر الحزب عن شعوره تجاه خطر الدعايات الأجنبية وعمل على محاربتها بوسائل الدعاية المتوافرة لديه.

هذا الموقف المناهض، يبدو جلياً في خطابي الرسمي الذي القيته في اجتماع الحزب العام في أول حزيران 1935 حيث حذرت فيه اعضاء الحزب من الدعايات الأجنبية وبخاصة الايطالية والالمانية، ودعيت في الوقت عينه الحزب الى ان يشكل حاجزاً يستحيل اختراقه في وجه دسائس هذه الدعايات. إن نسخة من هذا الخطاب وقعت بين أيدي رجال الأمن العام ورفعت الى المحكمة المختلطة خلال احالتنا الأولى أمام القضاء.

أما في ما يخص بالانتداب، فإن الحزب قد عبّر عن رأيه بضرورة استغلال وجوده لتحقيق الاصلاحات التي من أجلها تم انشاؤه. أما بالنسبة الى فرنسا، فلكونها قوة صديقة لديها علاقات حميمة بوطننا، فإن الحزب السوري القومي يطالب باستمرار التعلق الحميم بهذه الصداقة. ليس فقط بسبب علاقة الصداقة هذه في ذاتها، وإنما أيضاً لدواعي المصلحة القومية تلك التي تتوافق في شكل تام مع المصلحة الفرنسية في وجهات النظر المختلفة: المادية والثقافية والسياسية. ولكوننا من دعاة عدم الانعزال عن العالم، فإننا نتمسك بأن تدعم علاقاتنا بفرنسا كي نتجنب وضعاً نجد فيه أنفسنا مستفردين أمام المخاطر التي تحيط بنا. إنني عبّرت في الواقع، عن وجهة النظر هذه هي شكل صريح في مستند مخطوط تم وضعه مني وهو محفوظ لديكم في ملف التحقيق.

إننا نعتبر وجود فرنسا في وطننا بمثابة فرصة ثمينة لنا لزيادة التفاهم معها والوصول بهذا التفاهم الى شكل من أشكال التعاون وفقاً للقانون الدولي بحيث تزداد رغبتنا فيه بمقدار ما يثبت سيادتنا الوطنية.

إن الحزب يذهب أبعد من ذلك: إنه مع تحويل هذا التفاهم الى شكل ملموس، أي الى تجسيده في معاهدة على المدى البعيد.

وتفضلوا يا حضرة قاضي التحقيق بقبول..

11 أيار 1937

انطون سعادة

★ ★ ★

وعن هذه الفترة من الاعتقال يقول الزعيم في خطاب اول آذار 1938 : « وتمكنت في مدة قصيرة من حمل الحكومة على الاقتناع بان الوحدة القومية التي نريدها هي شرط اساسي للوحدة السياسية التي صرح لنا كبار المسؤولين في الجمهورية اللبنانية انهم لا يمانعون بها على هذا الاساس. وقد اكدت للحكومة اللبنانية ان غرضنا ليس هدم الكيان اللبناني، بل بناء سورية. وكانت الحكومة قد تعبت هي ايضا من هذه المشادة على غير طائل، فرأت الافراج عنا على هذا الأساس. وهكذا استطعت ان اصل بالحزب الى هذه الحالة السلمية التي تسمح لنا بتجديد معنوياتنا ومتابعة اعمالنا الانشائية التعميرية.

بيد أنه يجب الا يساء فهم غرضنا من ترك الكيان السياسي اللبناني فنحن امة واحدة سواء كنا دولة واحدة ام عدة دول وكل من يعتدي على قسم منا فقد اعتدى علينا جميعا ».

★ ★ ★

وتحت عنوان « كيف احترقت اوراق سعادة » يكتب جورج عبدالمسيح في جريدة « صوت الجبل الجديد » العدد 82 تاريخ 31 كانون الثاني 1960 :

كيف ينطلق اللسان بعد سنين ليطلع على المتلهفين بأمر كان يظنها فاعلها قد اصبحت طي النسيان.

كنا نعيد ذكرى الايام السود. رجعتنا من محنة لبنان الى كارثة الانسان السوري في لبنان عام 1949، عام سجل الحكم ابشع صفحة في تاريخ الفكر في هذه الامة.

والحديث شجون. وهل تكفي الوف الصفحات لتدوينه؟ لا! وتكفي بضع كلمات للدلالة امة في رجل تقاتل لعز الحياة. رجل يعبر عن ارادة امة، يكافح الارادات الاجنبية ويخوض، مع بضعة من الذين استيقظوا للنور، اعنف معركة عرفها التاريخ في جميع الامم وفي كل العصور.

وندخل السجن مع سعادة عام 1936 وعام 1937، واذا بنا مع القاضي الكبير.

هذا القاضي من الشمال

من هناك حيث الناس كلهم « محسوبون » على فرنسا ولفرنسا .

وهو ، هذا القاضي ، ما نسينا نحن كيف كان .. كان كل يوم يطلب سعادة يوم كان سعادة في السجن للمرة الثانية وكان كل يوم يستجوبه . كان القاضي يستنطق سعادته فلسفة الحياة التي ما كان سعادة يريد لها لفظاً منمقابل عملاً ، تحقيقاً ، غرساً . كان يريد لها ان يجب الواحد الكل في معرفة ان كل ما فيه هو للامة من دمه . فلا يطلب شيئاً لنفسه . لا شيء .. سعادة لم يطلب شيئاً لنفسه . احب امته واعطى دمه من اجلها .

وكان سعادته يكتب نقاطاً في مفكرات له ، هي اشارات الطريق الى كنه الحقيقة ، في ماهيتها ، في وجودها ، في التحقيق التطبيقي في الانسان الكل . وكان لا بد من ذكر احاديث مع الرجل القاضي ، هذا الرجل الذي تعلم كيف يركز كل شيء على الحق الطبيعي . على العقلانية التي ترى في القانون الاستعماري الموضوع ظلماً لا حكماً .

وجاء يوم . وضعت السلطة اليد على كل ما كتب سعادته . اوراق فيها من الحكمة ما يضيء الطريق لجيل يشق الطريق للاجيال الصاعدة ..

يهود .. وشيوعية

وكان في الحكم التعسفي عام 1938 وما بعدها ايضاً رجل يدعى كولومباني ، رئيساً لدوائر الامن العام الفرنسي . ذلك اليساري السائر ، على العمل ، وراء بلوم اليهودي . وكان لكولومباني شركاء من هنا ، من هذه البلاد ، كانوا ولا يزال بعضهم على رأس كل الدوائر التي تدور بالبؤس على الناس في بلادنا .

كان كولومباني يخدم ، زلفى لعيون بلوم ، ورهط اليهود الحاكمين في فرنسا ، كان يخدم اليهود بأتون من كل صوب الى تركيا . وهو يسهل لهم الطريق الى لبنان . وفي لبنان ينال هؤلاء المعدودية اللبنانية . وتسهل لهم الطريق الى فلسطين . لقاء المال ايضاً الى جانب الزلفى .

وكان لكولومباني شركاء واحدهم لا يزال يتمتع بمركز مرموق هنا في لبنان .

فضيحة وملاحظات

وصل الخبر الى القاضي صديق الحقيقة في سعادة . ورفع ، حسب امر الضمير ، الخبر المشؤوم عن تسرب اليهود الى المرجع المختص . واذا بذلك المرجع يوصل الشكوى الى

المفوض السامي. ومن هذا الى كولومباني. ومن كولومباني الى شركائه في بيع الوطن
بفضة حقيرة لليهود، بتسهيل وصولهم الى فلسطين.

وبدأت المطاردة، الشنعاء. وجاء من يقول لكولومباني انه لاحظ في بعض اوراق
سعادة ذكرا متكررا للقاضي فاضح الشركة المتعاملة مع اليهود.

اين الاوراق

وبدا فوراً التدقيق لمعرفة مصير الاوراق، اوراق الزعيم. وجاء احد الذين كلفهم
كولومباني بالبحث ليقول للقاضي: « دبر رأسك.. فان ما اصابك من نقل ليس الا
مقدمة للعزل ثم للسجن. ففي اوراق سعادة ذكر كثير للاحداث بينكما. وسعادة
ذكرك بما لا يرضي الاستعمار وخدام اليهود.. » اين الاوراق!

وكان هنالك من يعرف مكان الاوراق. الذين حملوها الى بيت القاضي يعرفون.

النار تستر

المطاردة عنيفة والوقت قصير. ليس في مكنة القاضي ان يعود الى الاوراق
يتفحصها ليرى ما له فيها ذكر ولم يكن في الامكان اخفاء الاوراق الهامة والكثيرة.
لتعدم كلها اذن.. وكانت زجاجة البترول وعلبة الكبريت وموقد الحمام.
واخذت النار تلتهم تراثا لم يتح له ان يتخذ طريقه الى الناس.

وهكذا او بعد عشرين سنة من التفتيش والسؤال. ينطلق اللسان في ساعة تجلي
الضمير ليقول القائل شيئا عن تعاليم تحولت الى رماد قبل ان حاولت المظالم نفسها ان
تحول الفكر الى تراب باعدام المعلم...

ليتني لم افعل

وينظر القاضي الكبير الي ليقول: الان وانا اتابع سيركم في طريق الحياة. اتطلع الى
النار في موقدي لارى قوة لم تلتهمها النيران. فهي فيكم، في الامة. ولن يكون للامة
الحية القبر مكانا تحت الشمس.

في سَجْنِ الرَّمْلِ

وتحت عنوان « لغة جديدة » يكتب وليم صعب في جريدة « صوت الجيل الجديد »، العدد 84، تاريخ 14 شباط 1960 :

« في مثل هذه الايام من سنة 1937 كان اعتقالنا في مركز الحزب في سوق المعرض آنذاك حيث كنا نشغل الطابق العلوي من البناية التي فيها « محلات ابو راشد » والتي كانت شرفاتها المطللة على الشوارع وما تزال تحمل تقاطيع كأنها زوابع :

كنا اربعة عشر من مختلف كيانات الوطن والمناطق والملل، وكلنا واحد، نشعر شعورا واحدا موحدا، ونعمل - كما لا نزال - لهدف واحد، يوحدنا التعاهد القومي الاجتماعي، ويشدنا بعضنا الى بعض بقلوب تنبض بالمحبة، نسير صفا نظاميا بوحى عقيدتنا ومبادئنا التي نشرت الوعي في هذه الامة وانقذتها من مشكلات تعصبية طائفية كثيرة كان يحاول قذفها اليها المتزعمون الاقطاعيون الذين لا يهمهم حرق الوطن كله في سبيل تنفيذ مآربهم غير الشريفة!

سبعة وستون يوما مضت على توقيفنا لنخرج بعدها بدون محاكمة، ولا نزال نتساءل الى الان: لماذا اوقفنا؟ ولماذا لم نحاكم؟

وكنت، في اواخر الايام السبعة والستين بعثت بثلاثة « معارضض » طلب اخلاء السبيل الى المستنطق الاستاذ جورج مراد، و « المعارض » الذي اعطى النتيجة كان الذي صغته بالزجل كله من اوله الى آخره، ولا ازال اذكر منه ما يلي :

يا حضرة مستنطقنا،

كيف تا هيك معوقنا؟

وفي الاستنطاق الاول
 لا كذبنا ولا تنافقنا!
 وفي الاستنطاق الاول
 وفي دايرة التحري
 حكينا وقرينا مطول،
 وبين خيري من شري!
 ما ظنينا بيتا أول
 الجوي في معنى البري:
 ما كنا عمنتسول،
 ولا نصبنا ولا سرقنا:
 عنا مبدأ نازل زخ
 بهالمفاسد والنكبات:
 ما منتركها حتى تنخ
 مها صابتنا ضربات!
 ومها عملتو ما منرخ
 ولا بتربطنا الكلبجات!
 بسوق المعرض كان الفخ:
 طلعتنا، دخلنا، وعلقنا!

وفي هذه الابيات من المعروض ذاته وصف لنظارة البرج:

وعينين عيونك لو شفت
 النظارة والشيخ محمود:
 نيشانو نيشان الجفت،
 بسيكارة ما كان يجود!
 ومنا نومه مثل الزفت:
 الفرش بلاط، اللحف زنود:
 قعدت، قلبت، قلقت، قرفت،
 وعدنا بسلامه فقنا!

كان عنوان حديثنا في العدد السابق: «ماذا نكتب؟». وموضوعنا اليوم متشعب من ذلك العنوان.

ليس المهم ما نكتب، بل المهم هو ما نفعل وما يمكننا ان نطبق! بتلك اللغة الخرساء كنا نتخاطب ونتفاهم. وبدون اية لغة مخطوطة او منطوق بها بواسطة الفم او اصابع اليدين يمكننا ان نتخاطب ونتفاهم، ذلك لان لغتنا نحن السوريين القوميون الاجتماعيين انما هي تعبير عن المناقب السورية القومية الاجتماعية، والتعبير انما يكون بالتطبيق العملي الذي يتكلم بوضوح وهو صامت، والذي يكتب ويسجل بمداد العز والفخر بدون ريشة او قلم!.

وتحت عنوان «كتاب مفتوح للعبرة والتاريخ» يكتب جميل هلال في جريدة «صوت الجيل الجديد»، العدد 84، تاريخ 14 شباط 1960:

كتاب مفتوح من سوري قومي

الى مستنطق بيروت العام الاستاذ جورج مراد...

استاذي: تحية قومية «لبنانية» اذا شئت او «سورية» على لغة ابناء الحزب السوري القومي وليس القومي السوري كما يقول الاستاذ وجيه الخوري...

استاذي: لا احب ان آخذ من وقتك الثمين واعكر عليك تحقيقك الطويل مع ابناء الحزب السوري القومي ولكن لا بأس ان كتابي هذا يقدم لك الخدمات القيمة من حيث تدري ولا تدري.

استاذي. ان الاجراءات التي تتخذها الحكومة اللبنانية وتحولها الى القضاء اللبناني لهي من الاجراءات التي لا تقع في طوق القانون «اذ ان اليقين لا يزول بالشك» والحكومة قد تحققت منذ العام الماضي ان الحزب السوري القومي لا يدين بالاعتبارات المريضة التي تتخذها الحكومة ضده فهو اذاً عمل لخير الامة وهناء الشعب والمجموع.

استاذي: ان المسيو «تارديه» يقول: «يجب ان لا نضع فرنسا في قنينة» وانا اقول، وان لم اكن بمنزلة ذلك الرجل السياسي العالمي: «يجب ان لا نضع لبنان في قنينة»....

استاذي: لقد اصبح اللبناني في هذه الايام ضمن جباله الجرداء القاحلة لا يقوى على كسب لقمة عيش يطرد بواسطتها شبح الجوع المخيف... ولقد اصبح ايضا لا يقوى على ترك البلاد والاعتراب الى بلاد الله الواسعة كما كان يصنع الجردود

والاباء .. اجل فإذا تريد منا حكومة لبنان حكومة الاستاذ اده، نحن اللبنانيين، ابناء الارز والثلج الخالد؟ .

ارجو منك، استاذي، ان تسأل الاستاذ اده ماذا يريد ان يصنع منا؟ هل يريد ان يصنع منا مخللا؟ .

عار علينا، نحن ابناء لبنان، ان نقوم بقتل مبادئ الحزب السوري القومي. نعم من العار الشائن ان نضع الكفن على اجسامنا ونحن احياء ..

على كل، ليعرف الاستاذ اده ان هذه الاجراءات لا تجديه نفعا والظلم لا يثمر له سوى رعية خائنة كما يقول المثل الاسباني ..

قل لفخامته ان اجراءات الاستبداد لا تنفع مطلقا بل هي اكبر دعاوة الى الحزب ورجاله ...

قل له انه لا يقدر ولن يقدر وسوف لا يقدر ان ينال الحزب السوري القومي لان مبادئ الحزب اصبحت ايمانا حيا جبارا لا يزعه مززع ولا يقوى على تحطيمه طاغية.. مهما كان قرقاشيا..

قل له ان نبيون احرق رومة .. وان عبد الحميد امد اسماك السفور بلحوم الناس .. وان جمال باشا .. احمد جمال. علق اعواد المشانق في ساحات البرج التي هي اليوم ساحة الشهداء .. ولكن ماذا كانت النتيجة .

قل له ايها الاستاذ الفاضل .. ان هذا الظلم لا يولد غير الانفجار، لا يولد غير الحقد والضغائن، لا يولد غير الكره للرئيس اده الذي هو من رجالات هذه الامة البائسة الجائعة .. نعم الرئيس اده رجل عظيم .. ولكن .

ايها الاستاذ: اظن انك تنظر الى كتابي هذا بعين العجب ... لا بأس، لعل الايام تجمعنا وتعرف من انا .. انا من صميم الامة .. انا من المخلصين المحافظين على سعادة هذا الجبل العزيز .

اجل ان جميع المداورات والاجراءات الظالمة الشائنة التي هي فوق القانون والعدل والانصاف والمنطق والوجدان والشرف والمساواة والشيم لا تستطيع ان تنال الحزب السوري القومي بمكروه ... نعم تنال رجاله المخلصين البررة ولكن لا تنال قضية الحزب لان قضية الحزب قد اصبحت فوق كل قضية ومصالحته فوق كل مصلحة، هذه هي الحقيقة الراهنة .

يا حضرة المستنطق، ما هذه الاشاعات التي تذيبها حكومة لبنان في جرائدها المأجورة كسفر حضرة الزعيم الى اميركا مع ان الحكومة يا حضرة المستنطق قد امرت الجرائد كلها ان لا تكتب شيئا عن الحزب والاعمال الجائرة التي تحاربه بها. فلماذا قامت جريدة « الصحافي النائه » وجريدة « الاوريان » وجريدة « صوت الاحرار » تذيب اخبار الحزب وبهذه الصورة المشوهة. ماذا يريد الاستاذ اسكندر الرياشي والاستاذ جبرائيل خباز والاستاذ خليل كسيب؟ ونحن نعرف ان الاستاذ الرياشي يريد النيابة والثاني وزارة والثالث وزارة المعارف وهناك من يقول رئاسة المجلس النيابي؟.. حقا يا حضرة المستنطق ان المسألة فيها نظر...

استاذي: اطمئن فكرك وفكر الحكومة فأقول: اعمال الحزب القومي السوري، عفوا، السوري القومي، سائرة بانتظام ودقة والمواصلات على اتم ما يرام.. ان جهود رجال التحري مع الرئيس اسعد بك تذهب ادراج الرياح... كان الاحرى بهؤلاء الناس ان يلاحقوا البلاشفة الحمر والجمعيات الرجعية والمؤسسات المريضة.

قل، استاذي، اما كان الاجدر بالحكومة ان تلاحق « الباروي » ولعب القهار في « الحي السرسقي » وان تقفل بيوتات الدعارة السرية وان تراقب ايضا الشركات الاجنبية النهمة الرابضة على ابواب العاصمة السعيدة في فرن الشباك وقرب نهر بيروت؟..

استاذي: ان قضية الحزب في ازدهار عظيم. نعم ان فكرة الحزب اليوم تسربت الى القلوب الى الخاصة، الى العامة، الى الجند، الى الشرطة، الى رجال القضاء، الى رجال قصر البرج، الى النواب، الى الوزراء، الى الكهنة والمشائخ ايضا وربما بعد حين دخلت بيت الرئيس اده. نعم بيت الرئاسة.. يا للدهر.. على كل، هذا حديث يلزمه اثبات والايام بيننا ايها الاستاذ الكريم الفاضل.

اخيرا لقد اطلت عليك الشرح والكلام فاطلب اليك المعذرة وارجو منك ان تفهم الحقيقة وتترك العاطفة - ان العاطفة حيوية - وانا على ثقة بانك لا تقدر ان تكون الا في جانب الحق في جانب الحزب.. مدالله بعمرك للجهاد والوطن لتحيي سورية وليحيي الزعيم.

بيروت في 24 مارس 1937

حاشية - استاذي، اذا كان القانون يسمح لك فأرجو منك ان تهدي سلامي وخضوعي واخلصي الى زعيمتي.. وانا واثق ان كلمتي هذه ستصل الى زعيمتي. كيف لا وانتم من كرام القوم... لا تقول يا استاذ اني « عما امسح جوخ » لا والله....

المحاكمة

« واني اعلنها حكومة عاصية » هذه المحاكمة المتعلقة ببيان الأول من آذار الذي وردت فيه هذه العبارة التي تطلال الزعيم من الوجة القانونية واليكم نص المقطع المذكور :

وتعيين موعد المحاكمة. يرأس المحكمة القاضي كمال العيتاني، مسموعاته نظيفة، انه من القضاة النزاهين. استبشرنا خيرا ورحنا نعد العدة لخصور الجلسة. وفي التاريخ المعين ذهب عدد كبير من القوميين الاجتماعيين الى قصر العدل لمشاهدة الزعم اولا ولمتابعة المحاكمة ثانيا. طبعاً، كنت بينهم. *

اقتربت من رفقاءنا المحامين استطلعهم جلية الموقف فكانوا متشائمين من جهة الحكم ولكن لجهة صلابة الزعيم وحصانة موقفه كانوا مبتهجين. كان الشيخ ابراهيم المنذر يحاول اقناع الزعيم بان يقف الموقف العادي البسيط، الذي يخلصه من هذه الورطة، « وهو انكاره البيان » فكان الزعيم يرفض باباء محاولا بدوره اقناع الشيخ ابراهيم بالتفتيش عن فتوى قانونية غير هذا الانكار الذي يحقر ويحط من قدر الزعيم بعين نفسه ان لم يكن بعين الشعب.

حضرت هيئة المحكمة ولم يكن قد جرى اي تفاهم بصدد الموقف الواجب اتخاذه. افتتح الرئيس الجلسة بتلاوة التهمة الموجهة الى الزعيم بعد ان اخذ المعلومات الشكلية عن اسمه واسم ابيه وامه وعمره. الخ... وسأله ماذا يقول:

طلب الزعيم منه ان كان بالامكان تلاوة البيان، موضوع الشكوى، فأجابه الرئيس بالقبول وراح يقرأه بكل هدوء وتأن. وعندما انتهى وضع البيان امامه وسأل الزعيم ما لديه بهذا الخصوص وهل هذا توقيعك؟

طلب الزعيم منه ان كان بالامكان ان يطلع عليه بنفسه فأجابه الرئيس بالقبول ونادى مباشر المحكمة فسلمه نسخة البيان ليطلع الزعيم عليها في قفص الاتهام. اخذه الزعيم بيده واخذ يتفرس فيه وينقل عينيه فيه من فقرة الى فقرة وعندما انتهى اعلن للرئيس مايلي: « هذا اسمي وليس توقيعني ».

ما ان ادلى الزعيم بهذا القول حتى ضجت القاعة بمن فيها ولولا حرمة المقام لدوى التصفيق حادا. تطلع المحامون الى بعضهم وارتسمت على شفطي الشيخ ابراهيم ابتسامة عريضة واقبل نحو الزعيم بهيئة على هذا المخرج والتفت الجميع الى هيئة المحكمة لتشاهد وقع هذا التصريح عليها.

لم يصدر أي تعليق من رئيس المحكمة او من أحد سواه ولكني لاحظت ارتياحا على وجه الرئيس وكأن كابوسا ازيج عن كاهله. موقف المدعي العام وعجزه عن ايجاد البينة وانتقل توا الى المرافعات معطيا الكلام للمحامين.

القيت المرافعات وقد استندت بصورة خاصة انه ليس لدى المحكمة النسخة الاصلية لهذا البيان، المكتوبة باليد ولذلك بغياب المخطوطة التي وحدها يمكنها ان تدين صاحبها فهم يطلبون البراءة.

نعم، البراءة وقد حملها هذا المخرج العفوي، ابن ساعته، الذي جاء طبيعيا، دون تكلف أو تصنع. نعم حملها على طبق من الصدق والصراحة والشرف.
نعم: « هذا اسمي وليس توقيعني ».

محاكمة الزعيم:

ويقول الامين عبدالله قبرصي في كتابه « عبدالله قبرصي يتذكر » الجزء الاول،
صفحة 196 :

« اما المحاكمة الاكثر طرافة فكانت تلك التي جرت برئاسة الاستاذ كمال عيتاني - وكان لم يعين بعد رئيسا للاستئناف، بل كان قد حل مكان الرئيس القصار الذي نقل الى مرتبة اعلى - لزعيم الحزب بتهمة اصدار بيان يعلن فيه الحكومة اللبنانية حكومة عاصية.

وكان قد تطوع للدفاع عن الزعيم الاستاذ موريس الجميل الذي كان قد انتمى الى الحركة رسميا كما اشرت فوق، وكنت انا وعبد الحكيم مراد واديب الحسينية. وكنا قد نصحننا سعادة ان ينكر صدور البيان عنه بعد ان ادى مفاعيله في التأثير على الحزب

وعلى الشعب! فلما سأله الاستاذ العيتاني رئيس المحكمة عن البيان وعن توقيعه عليه قال: « هذا البيان يحمل اسمي لا توقيمي ».

يلاحظ انه لم ينكر البيان فكان جوابه جواب محام بارع.

التفت الرئيس الى النيابة العامة وكانت ممثلة بالاستاذ وجيه خوري مدعي عام بيروت وسأله هل لديكم ادلة اثبات، فأجاب بعد ان بحث في ملفه اعتقد ان عندنا الاصل فالح الرئيس بابرار هذا الاصل فوقف المدعي العام بعد ان فتش في اوراقه واعلن ان ليس لديه دليل غير اسم انطون سعاده على البيان. فتذاكرت المحكمة لحظات واعلنت براءته بعد ان ترفع كل منا بوضع كلمات، كان اهمها ما شرحه الاستاذ موريس الجميل عن عقيدة الحزب السورية القومية!..»



القاضي كمال العيتاني

حادثة بكفيا:

اما المحاكمة الاخيرة فكانت امام محكمة بداية جزاء بعبدا، كان المتهمون فيها سبعة عشر رفيقا على رأسهم وديع الياس وفؤاد فرح. كان قد قبض عليهم اثر حادثة بكفيا التي وقعت بمناسبة الاحتفال باول اذار سنة 1937 في ساحة البلدة المحيطة باوتيل كونتيننتال.

كان لدي وثيقة من جيل قيامة احد قادة القوميين في تلك المظاهرة التاريخية ولكنها فقدت.

ابرز ما يرويه الرواة - وقد رواه الامين جريج في كتابه مع انطون سعادة - موقف الزعيم ورباطة جأشه وبسرعة خاطره.

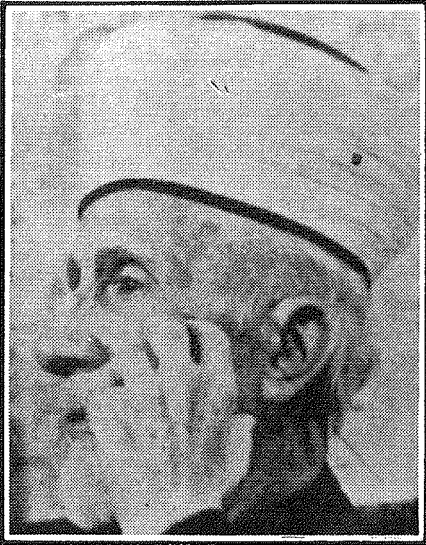
اذكر ان قائم مقام المتن الذي اشرف على تنفيذ قرار منع الاجتماع كان فؤاد البريدي الذي رقي الى رتبة مدير للخارجية والمغتربين في نهاية المطاف الاداري، وان قوة من الدرك كبيرة تجمعت في مكان الاحتفال لمنعه بالقوة، وان سعادة ابلغ بما وقع فأمر بتطويق الدرك. فطوقوا. ولما نشبت المعركة كان سعادة قد انسحب من الفندق وامنت سلامته رغم اصراره على البقاء للاشراف بذاته على التطورات، ولم يقع في المعركة قتلى بل عدد من الجرحى على رأسهم بعض فرساننا الاشداء، وديع الياس وفؤاد فرح، وديع الياس على ما قيل لي كان يمسك برجال الامن اثنين اثنين، فينتزع بنادقهم ويحطمها على ركبتيه.

وجرت المحاكمة في بعدا امام محكمة بداية الجزاء وكان يرأسها القاضي الشاب الاستاذ مسعود حنين. وقد اكتفى في احكامه بالمدة التي قضاها الرفقاء في السجن، فكان حكمه نموذجاً من التفهم لوضع الذين قاتلوا الدرك دفاعاً عن الاجتماع الذي لم يمنع الا في آخر لحظة. واستجابة لمطالب واحتجاجات خصومنا السياسيين من اهالي بكفيا..! هؤلاء الخصوم الذين كانوا صغاراً فكبروا ولا يزالون يكبرون بالطائفية والانسحاق للارادات الاجنبية.. حتى توصلوا الى ارتكاب جرم الخيانة العظمى بتعاملهم علناً مع اسرائيل.

في ختام هذه النبذة عن الحزب والقضاء اللبناني. يجب ان نذكر بالخير هذا القضاء، خاصة في عهد التأسيس فمن حسن قبلان الى صبحي المحمصاني الى جورج مراد، الى كل الذين حققوا مع القوميين او حاكموهم فمن ذكرنا فوق وعن لم نذكر سلسلة من القضاة الفضلاء النزهاء. ما تأثروا بسورية الحزب (هم العروبيون او اللبنانيون) ولا تأثروا بمعارضته: هم الموالون بحكم وظائفهم، بل حاكمونا وحكموا بالعدل، خلافاً لما كشفت عنه الايام. بعد تلك المرحلة، حيث صارت الاحكام تصدر علينا بامر السلطات الحاكمة، وسنأتي على تفصيل ذلك في حينه! ».

معلومات عامة

في 10 نيسان قبلت المفوضية الفرنسية لجوء الحاج امين الحسيني الى لبنان، بعد ان افلت من قبضة الجيش البريطاني! وهو رئيس اللجنة الفلسطينية العليا. نزل ضيفاً على الدكتور سامح فاخوري.



الحاج امين الحسيني

في 16 نيسان تقرر اعتبار تاريخ السادس من ايار من كل سنة عيداً رسمياً للشهداء وتألقت اول لجنة لتكريمهم.

تحول بيت الامير امين ارسلان الكائن في محلة رأس التبع في بناية الدكتور عمر سلامة الى مركز سرّي للحزب، مركز للعمل الحزبي بكل معنى الكلمة وقد بقي

محافظاً على هذه السرية بالرغم من اتساع الاعمال التي كنا نقوم بها وبخاصة توزيع المناشير التي كنا نستعين بالرفيقات لايداعها البريد العادي ضمن مغلفات معنونة باسماء المقصود ارسالها لهم.

اخلاءات سبيل

كانت بوادر الافراج تظهر بوضوح وذلك بقرارات اخلاءات السبيل للموقوفين الذين ذكرت ان عددهم كان يربو على المئة ونيف فبدأ هذا المسلسل وبدأت معه مشاكي فمن اين احصل على العديد ممن يمكنهم تقديم الكفالات، هذا من الناحية القانونية البحت اما من الناحية المعنوية فمن كان يملك الجرأة الكافية ليتقدم ويقوم بعمل من هذا النوع يتعلق بالحزب السوري القومي الاجتماعي. هذا الحزب المنحل المعرض لكل انواع الأضطهاد والتنكيل. على كل تدبرت الامر وكان من ابرز الذين تقدموا للكفالة الامير امين ارسلان ما عدا بعض اقارب الموقوفين واصدقائهم.

ومع ان الجو كان ما يزال ملبدا فقد استطاعت منفذية بيروت ان تقيم في مقهى عجم مأدبة على شرف الرفيقتين صلاح شيشكلي وخالد اديب عند خروجهما من



من اليسار منفذ عام بيروت: سعيد البستاني، مفوض المالية: جبران جريج، عضو «م.ا.م.»: منير العريس، نائب الزعم: انيس فاخوري، المحفطي بها: صلاح شيشكلي، خالد اديب. اعضاء: رياض اديب، جوزيف ابو سمرا، ناجي جمال، بهيج سمعان.

السجن وذلك في 2 مايو 1937 كما هو ظاهر في الصورة التذكارية التي اخذت لنا لهذه المناسبة السعيدة.

مذكرة المصالح المشتركة

نشرت هذه المذكرة في الجزء الثاني من الآثار الكاملة والصحيح انه كان يجب ان تنشر في الجزء الثالث منها حيث صدورها التاريخي (1937) : ولهذا المذكرة القصة التالية :

« من جملة الامور التي هنا الزعيم هيئتنا الادارية عليها والتي قمنا بها في أثناء وجوده في السجن كانت مذكرة المصالح المشتركة بين الشام ولبنان. كانت فكرة المذكرة قد راودتنا على اثر تسليم الفرنسيين لهذه المصالح للدولتين الشامية واللبنانية.

كانت المصالح المشتركة مؤسسة وحدوية تدير الشؤون الاقتصادية بين الكيانين وعندما حان موعد التفكير بالاستقلال تداول المسؤولون مشروع الغاء هذه المؤسسة الوحدوية وقسمتها، لكل كيان حصته منها.

كان المشروع خطيرا للغاية ولذلك قررنا تقديم مذكرة نسجل فيها موقف الحزب منه وتقديم الحلول للابقاء على الوحدة الاقتصادية وتعزيزها، فهي المظهر الحياني الوحيد لوحدة الوطن الواحد وان اختلفت الكيفيات السياسية وانظمتها.

استعنا لوضع المذكرة بالرفيق جورج حكيم وحصلنا على موافقة الزعيم بشأنها وهو في السجن. تبناها وقدمها بعد خروجه واذكر انه علق عليها ان مصيرها سيكون المصير نفسه للمذكرة التي قدمها الحزب للوفد الشامي في رياق ابان المفاوضات لعقد المعاهدة ولكن، لا بد، من ان نسجل للتاريخ.

سجل هيئتنا الادارية يقظتنا وتتبعنا لسير الاحداث واهتمامنا بتسجيل المواقف.

قراءة الروح

ويروي عبدالله سعاده الطرفة التالية ابان دراسته في الجامعة الاميركانية :

« جئت الى بيروت وكنت في صف « الفريشمان » ولا اعرف احدا من رفقائي الا واحدا من ابناء اميون، وكان المرحوم الاستاذ فؤاد مفرج يدرسنا مادة التاريخ وكان يحب الحوار وكنا اذا احببنا ان نهرب من الدرس نفتح حوارا معه فتنقضي الساعة. وكان يوم ذاك موضوع لواء الاسكندرون حاميا، فطرحناه على المناقشة وعلق عليه

الاستاذ مفرج باسهاب ذاكرا الزعيم ومذكرته بخصوص اللواء . وتناول الحزب السوري القومي الاجتماعي بنقد لاذع لانه كان قد اقصي عن الحزب من قبل الزعيم وصار يدعو الى القومية العربية، فاستمعت اليه باحترام في ذمه للحزب رغم تحيزه الى ان تناول شخص الزعيم بالذات مصورا اياه بانه « شاب حماسي غير مثقف ولا مؤهل للقيام بعمل وطني .. » .

ما تمالكت نفسي فاعترضته بعنف وقلت له: « لقد استمعت باحترام الى نقدك للحزب رغم عدم موافقتي... اما وانك تتناول على شخص انطون سعادته بهذا الاسلوب غير المسؤول فانما يدل على امر من امرين: اما انك في منتهى الجهل وهذا عار عليك كاستاذ تاريخ واما انك موتور مغرض وهذا عار اشد. فايها تصنف نفسك يا حضرة الاستاذ؟ » وكنت بالطبع منفعلًا فتراجع الاستاذ معتذرا ومدعيا ان الزعيم قريبه. فقلت له: « انه بريء من قرابتك لان قرابة الزعيم هي قرابة الروح والنضال وليست قرابة الرحم او الدم » .

بلغ خبر هذه المشادة الامين فخري المعلوف، وكان استاذ الفيزياء في الجامعة الاميركانية فاستدعاني وعرفني بنفسه وشجعني وايد موقفني .

الافراج

ويقول كامل ابو كامل في مخطوطة مذكراته عن الافراج:

« وفي اليوم الثاني والستين اطلقوا سراح عشرة من رفاقنا كما اطلقوا سراح الباقين في الايام التي تلت واحتفظوا بجمسة منهم عجاج المهتار، وديع الياس مجاعص، فؤاد اندراوس، توفيق ابوشقرا، كامل ابي كامل وفي اليوم السابع استدعوني للمثول امام المحقق وكانت دهشتي كبيرة عندما دخلت الغرفة ووجدت الزعيم متصدرا على كرسي في صدر القاعة وكان المدعي يجلس عن يمينه والمحقق يجلس عن يساره وبطريقة عفوية وجدت نفسي مسمرا رجلي بالارض ورافعا يدي بالتحية الحزبية. فنهض الزعيم وتقدم مني مادا يده للسلام علي بينما نهض الكاتب وقدم لي كرسيّاً للجلوس. وطلب لي فنجاناً من القهوة.

وبعد الانتهاء من شرب القهوة قال المدعي العام: « يا استاذ انطون هنالك من يسابقتك على صياغة المنشور وتوزيعه ». فقال الزعيم: « اما التوزيع فجميع الرفاق قد سبقوني وسبقوني اليه. قلت: « واما التوقيع فقد سابقتك عليه في الشوف والغرب ».

وكان المحقق قد اطلع الزعيم على افادتي قبل ان يستدعيني فضحك الجميع وضحكت معهم. وعدت الى الغرفة احمل النبا الى الرفاق فعم الفرح الجميع واعتبرنا بان الخلاص اصبح متوقعا ما بين ساعة وساعة. وانتهت الجولة بالتفاهم على ان يخفف الزعيم من مركزية الحزب وبان يساير الدولة في الانتخابات المحلية وان يخفف من اقامة المهرجانات العامة. ان كل ما صار الاتفاق عليه لا يمس جوهر القضية فللتخفيف من المركزية انشأ الزعيم مكاتب ادارية وسماها مكتب الشام (اي الجمهورية الشامية) مكتب الاردن، مكتب لبنان، وهذه المكاتب كلها تصب في مجلس العمدة

الذي يرأسه الزعيم. فالتغيير كان في المظاهر ولم يقبل ان يساوم على اي تغيير في العقيدة...

عدنا الى الديار فاستقبلنا الرفاق باحسن ما عندهم ولا منا المستسلمون على هذه التضحيات التي نقدمها ولا تأتينا بنتيجة فانها خسارة للوقت وللمال لان العين لا تلاطم المخرز هكذا كانوا يقولون.

وكنت اجيب على كلام هؤلاء الضعفاء، ان الامم التي بنت نفسها واصبحت قوية لم تبنيها في وقت قصير بل قضت اجيالاً تقدم الضحايا حتى توصلت بالاخير الى قمة المجد. ونحن في حياتنا ستقوم بواجبنا وسيخلفنا من يكمل بعدنا طريقنا حتى لهذه الامة العظيمة ان تعود الى مجدها السابق. ان جدودنا لم يعملوا ما كان يجب ان يعملوا ويقدموا من تضحيات كي نكمل طريقهم ونبلغ ما نتصوره ان نكون وان تكون امتنا من قوة وسؤود - فالامة السورية صانعة التاريخ منذ قبل الفي سنة - تتحكم بها الشعوب الذين كانوا وحوشاً يوم كنا بشراً نسن الشرائع ونبتدع الفنون ونخلق الحرف.

فلو كان لدى جدودنا ذرة من التفكير بقضاياهم القومية لما كان وصل بنا الحال الى هذا المنحدر الخطير الذي اوصلنا الى حصر همومنا في لقمة الخبز وبذل كل امكانياتنا للحصول عليها.

اما وقد ارسل الله لنا من وضع امامنا اهدافاً واضحة ومبادي جلية فعلينا ان نقوم بواجبنا ونعمل ما استطعنا تحقيقه والاجيال التي تأتي بعدنا كفيلة بان تحقق الاهداف وعندها تعيد هذه الامة مجدها وقدرتها لمجارة الامم الحية في العالم. فالمجد لا يأتي عفواً بل يصنعه الابطال في التاريخ.

لم يواجه الحزب هزة في اعتقال الزعيم هذه المرة كما واجهها عند انكشاف امر الحزب واعتقاله للمرة الاولى وذلك لان المركز لم يغب عن الفروع كلياً كما حدث في المرة الاولى فبقي الاتصال مستمراً من قبل المسؤولين اللذين لم يشملهم الاعتقال وخصوصاً من اللذين تمكنوا ان يفروا من الاعتقال كجورج عبدالمسيح مثلاً.

فالزعيم بانتقاله من عاليه الى الشام كان يرافقه كل من جورج عبدالمسيح والسيدة وداد ناصيف وفور وصولهم الى منطقة شتورا يفاجأوا بحاجز كبير للدرك يقطع الطريق فيرمي عبدالمسيح نفسه قبل وصوله للحاجز بعشرة امتار ويتدارى بين الصخور ويساعده الوقت اذ كان الظلام مخمياً. وقد ادرك عبد المسيح بان الزعيم بحكم المعتقل لسلك فعلية ان

يبقى متواريا وفكر بان يهاجم معتقله لكنه عاد عن هذه الفكرة لانه وجدها غير
مجدية فعاد وتسلق جبل الكنيسة وهبط بالاتجاه الثاني حيث وصل الى الخلوات كما
ذكرت قبلا ومنها ذهب الى قرنايل وعاد الى بمرم وبقي في تنقله متخفيا وحذرا الى
انتهاء هذه المرحلة وعودة الحزب الى الحياة الطبيعية. لا شك بان بقاء عبدالمسيح
خارج حلبة السجن والاعتقال افاد الحزب كثيرا وجعل الفروع تحافظ على استمرارية
فعاليتها حيث افاد من حيث المسؤولية التي كان يحملها كعميد من الاتصال بالفروع
ومساعدتها على تدبير شؤونها فصمود القوميين في الفروع وخروج المسؤولين المعتقلين
وغير المسؤولين من السجن وعلى رأسهم الزعيم بعزتهم وكرامتهم زاد ثقة الشعب المراقب
ايمانا بصحة عقيدة الحزب وقدرة زعيمه على تحطيط الصعاب فزاد عدد المتهافتين على
الدخول في صفوفه رغم الصعوبات التي يواجهها افراده. ولم تكن حالنا في الشام
افضل منها في لبنان ففي الشام ايضا كنا نواجه نفس الصعوبات التي نواجهها في
لبنان: ففي لبنان حرب مع السلطة المنتدبة وحرب مع رجال الدين الذين يخافون
على فتايت السلطة الزمنية التي يتمتعون بها ان تذهب من ايديهم وحرب مع رجال
الاقطاع اللذين يخافون ان يذهب عنهم هذا العز الذي اتاهم بالوراثة وجعلهم اسيدا
على الشعب المسكين دون ان يقدموا اية تضحية او يخوضوا اية معركة توصلهم الى
هذا الحق. وحرب مع العادات التي ترسبت مع الزمن واصبحت عاصية. وحرب مع
الفقر والعوز وقلة الاشغال.

وحرب مع الشيوعية التي دخلت لبنان بواسطة عناصر ارمينية وحرب مع اللذين ان
يبقى لبنان خارج محوره الطبيعي وكان الانتداب يدعم هذه الفكرة ويغذيها وقد وجد
في المارونية مجالا خصبا لها فأوجد كتائب الوحدة اللبنانية. ولما لم يكتب لها النجاح
اوجد الكتائب اللبنانية واراد اسنادها الى جورج نقاش صاحب الاوربان فاعتذر
وارسل اليهم بيار الجميل الرياضي الذي كان يعمل كحكم لمباراة الفوتبول وهو من
عائلة كريمة لها اسمها الكبير بين العائلات اللبنانية. وبعد تشكيل الكتائب اللبنانية
كرت المسيحية بتشكيل الكتائب الطائفية فبرز حزب النجادة المسلم السني للوجود كما
برزت الطلائع الشيعية.

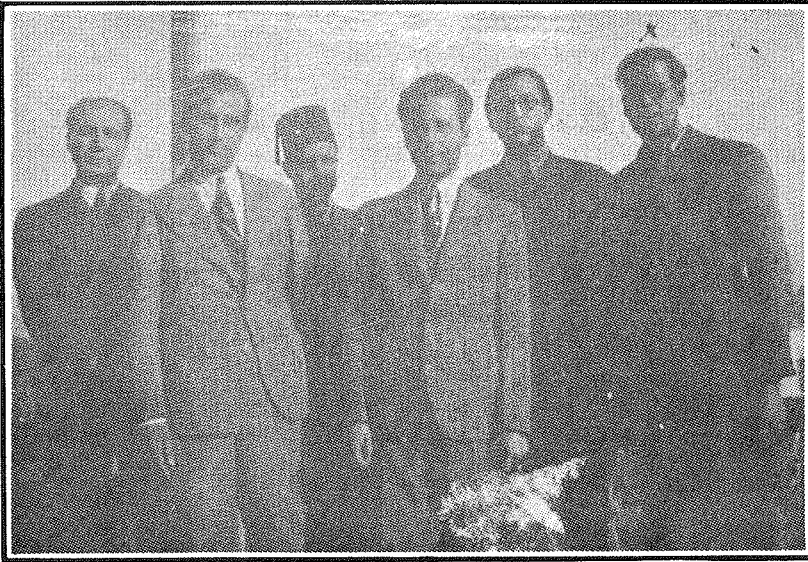
واخيرا برزت تشكيلة طائفية درزية بقيادة محمد عبدالباقي. الذي شكلها على نفقته
الخاصة تفكيرا منه بانه يتمكن ان يعمل لنفسه منزلة مرموقة يراحم بها الاقطاعيين
وتكون دعما له لبلوغ النيابة التي كان يرشح نفسه في كل مرة تحصل فيها انتخابات
نيابية».

كان الافراج يوم السبت تاريخ 15 ايار 1937 .

عرض على الزعيم اخلاء سبيله فورا لكنه رفض ان يخرج من الاسر وما يزال فيه قومي اجتماعي. انه يريد، في الافراج، ان يكون الاخير. فاحترمت رغبته ورحنا نهيء الكفالات المالية يعاونني الامير امين الارسلان ان في سجن الرمل او في سجن بعبداء. كنت اقابل الزعيم في مكتب المحقق جورج مراد وان لدقائق معدودات، اطلمه على سير الاخلاء الى ان جاء دوره فقدمت الكفالة عنه.

كنا هيأنا برنامج استقبال متواضع وهيأنا اسبابه. كنا على علم بنتيجة المفاوضات السياسية. تتلخص في درس موضوع الانتخابات بعد الافراج لان الزعيم ابى ان يخوض في اتي بحث بهذا الشأن وهو تحت رحمة سيف العدالة المسلط فوق رأسه. وهذا يعني ان الجو العام كان ملائما لاتخاذ خطوات علنية تنبئ الشعب عن انتصارنا في هذه المعركة التي كان المطلعون على خفايا الامور يقدرون لها زج الزعيم في سجن بتدين، سجن الاحكام الثقيلة وكبار المجرمين. الم يقل الزعيم لبطرس الدركي، الحارس في السجن، وصديقه فيه « هذه المرة الى بتدين، يابطرس ».

نفذنا البرنامج بجذافيره. ذهبنا الى سجن الرمل نستقبل الزعيم ساعة اطلق سراحه. استقبلناه، نائب الزعيم ومجلس المفوضين، عند الرجاج الحديدي الكبير. دفعتني عاطفتي فقبلته بعد التحية.



عند خروج الزعيم من السجن: جبران جريج، اميل خوري حرب، الزعيم، قاسم حاطوم، انيس فاخوري وفريد مبارك.



الزعم يستقل السيارة عند خروجه من السجن

امتطينا السيارة معه. تتبعنا قافلة طويلة من السيارات يربو عددها على الستين. ذهبنا الى البيت في رأس بيروت نخترق شوارع بيروت من سجن الرمل، الطريق الجديدة، البسطة، عالسور، ساحة الشهداء، شارع ويغان، باب أدريس، رأس بيروت. حتى انه لم يبق شخص واحد في بيروت ما عرف ان هذا الموكب هو لانطون سعاده، زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي، الخارج من الاسر. وذلك اما بالهتافات او بالزمامير الموقعة الانغام وبلطف ومهارة. وعند المساء انتشرت في سماء العاصمة الاسهم النارية تنطلق من مختلف الاحياء معبرة عن الفرحة التي تغمرنا لهذه المناسبة السعيدة وعلى سطوح بعض البنايات اضرمت النيران وكذلك في الجبال والقرى المنتشرة في طول الجمهورية اللبنانية وعرضها. بعد غيبة دامت شهرين ونصف الشهر عاد الاسد الى العرين.

وكان تدفق المهنيين من مسؤولي مختلف المناطق الحزبية مناسبة لعقد ما يشبه الاجتماع الاداري او المؤتمر. كان ذلك في دار نعمة ثابت، في الغبيرة.

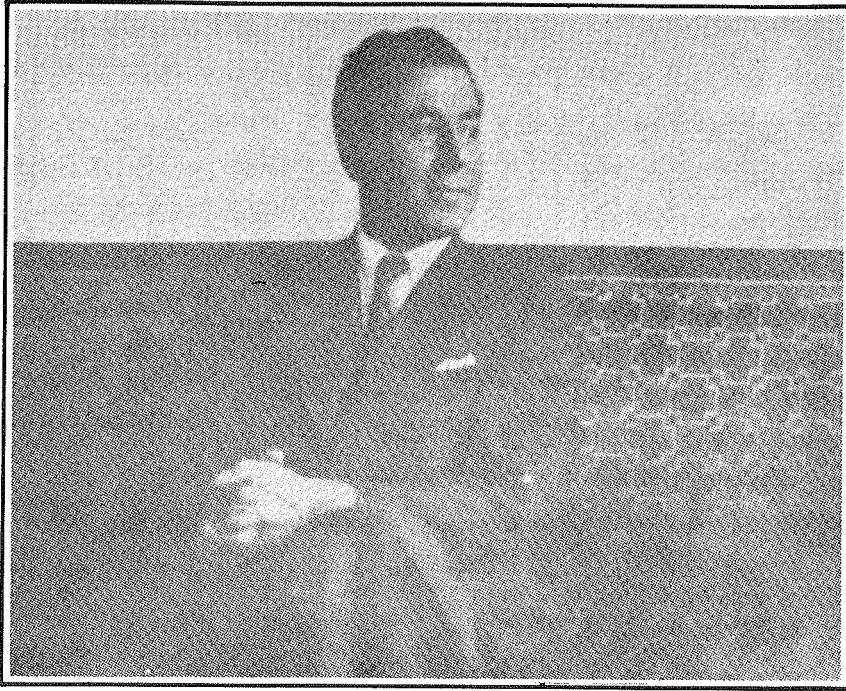
وقف الزعيم يخاطب بهذه الوفود وارتحل كلمة استعرض فيها الفترة التي سبقت سجنه، هذا، الاخير وخص معركة بكفيا بكلمة شرح فيها الاسباب التي أدت اليها. من أهم ما يزال عالقاً في ذهني من الخطبة المرتجلة هو قوله الشهير الذي ذهب مثلاً

« من حقنا ان نغلط لاننا نبني اختباراتنا. ان من لا يعمل لا يتعرض للخطأ ». ابتهجنا كثيرا بأقواله لكن هذا القول اثلج صدورنا فنحن حركة فنية، نحن امة تنهض، فلا بد من هذه المسيرة، مسيرة البعث والنهوض من أن نعثر لكن المهم هو ان نتعظ وان نستفيد من كبواتنا واغلاطنا واخطائنا.

نص الخطاب وبعض الوصف لهذا « المؤتمر » منشور في الآثار الكاملة، الجزء الثالث. وعلى اثر خروجه من السجن ادلى بتصريح لجريدة النهار منشور ايضاً في الآثار الكاملة. الجزء الثالث مع خبر ارسال وفد حزبي الى دمشق لتهنئة المبعدين، على رأسهم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر. كان هذا الوفد مؤلفاً من صلاح لبكي، خالد الكنج الدندشي ونسيب حمدان.



الزعيم يخاطب في دار نعمة ثابت
في المحتقلين.



بعد الخروج من السجن



القيادة المركزية مع الزعم بعد الخروج من السجن: اميل خوري حرب، قاسم حاطوم، الزعيم، انيس فاخوري، فريد مبارك، جبران جريج.

« ويقول توفيق جبور:

« بعد خروج حضرة الزعيم من سجنه الاول، حل رفاق مديرية بكفيا خروفا ونحروه في اوتيل سنترال تعبيراً عن فرحتهم بخروج الزعيم، في هذه المناسبة طرح علينا سعادة السؤال التالي:

« ما زال اهل بكفيا في ضلالهم يعمهون ».

في مجلة «الجمهور»

وانقل عن «الجمهور» لصاحبها ميشال ابي شهلا العدد 35 تاريخ 22 ايار 1937 هذا الوصف المختصر عن يوم الافراج عن الزعيم وهو يمثل ما نشر في مختلف الصحف البيروتية: « نهار السبت الواقع فيه 15 ايار 1937 فتحت ابواب سجن الرمل وخروج الزعيم وتجمهر القوميون وادوا التحية الرسمية وركب الزعيم سيارة اخترقت شوارع العاصمة اللبنانية في موكب من حوالي 50 سيارة فبلغ قصر الاستاذ نعمه ثابت، رئيس مجلس العمدة. ودخل الزعيم وسط عاصفة من التصفيق والهتافات. وكانت الرفيقات السوريات القوميات ينثرن الرياحين والزهور على سلام القصر وامام الزعيم ».



ميشال ابي شهلا

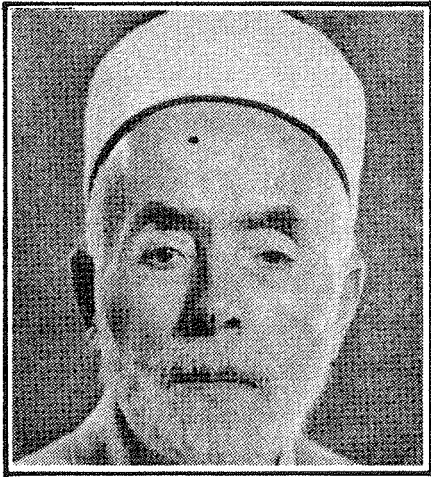
ثم تكلم عدد من الخطباء والشعراء القوميين مهنيين الرفقاء القوميين بخروج زعيمهم منتصرا من المحنة الثالثة.

وختمت الحفلة بهتاف ملأ الفضاء بحياة الزعيم المفدى ثم اخذت رسوم الهيئة المسؤولة مع حضرة الزعيم وكانت برقيات التهنية يحملها البريد والبرق وتتناقلها الافواه والرسائل المضمونة من جميع اقطار سورية. وقد جاء وفد دمشق وعلى رأسه وكيل المنفذ العام وقدم تهانته للزعيم كما ان وفود طرابلس وحص وحماه وتلكلخ وزحله وصيدا وصور والكورة وكسروان والمتن الاعلى والمتن الادنى ومشغرة والشوف كانت تتقاطر وتقدم تهانيتها الى الزعيم المفدى الذي كان يصفحهم بابتسامة سحرية كأنه لم يدخل السجن ولم يذق ما ذاقه من الم وقيد ومشقة.

في مجلة «العرفان»

وجاء في مجلة «العرفان»، عدد شهر ايار 1937، على اثر الافراج عن الزعيم تحت عنوان «الحزب القومي وزعيمه» ما يلي:

«حصل تضيق على زعيم الحزب القومي السوري الاستاذ انطون سعاده وافراد حزبه فألقوا للمرة الثانية او الثالثة في سجن الرمل عدا الذين سجنوا في غير بيروت وقد انتهى التحقيق من مسألتهم وافرج عنهم جميعا فنهنىء الصديق الزعيم سعاده راجين ان ينفع بلاده وقومه بما اوتيته من مواهب عالية»
وقد اثنى الدكتور شهبندر الزعيم الشعبي المحبوب على الحزب وزعيمه ثناء جميلا».



الشيخ عارف الزين

وجاء في مجلة «العرفان» في عدد حزيران 1937 عن الزعيم ازاء صورته تحت

عنوان « الزعيم انطون سعادة » ما يلي :

« وهو الذي اشرنا اليه والى حزبه القومي السوري في العدد الماضي وقد خرج من السجن وكنا اجتمعنا به في سجنه الثاني 24 ساعة لقينا منه ذكاء نادرا ويحسن سيع لغات ويلم باثنتين ونزل بعد خروجه من السجن في قصر بديع لاحد انصاره السيد نعمة ثابت في (الطيونة) قرب بيروت ومازالت الوفود تؤم محل نزوله للسلام عليه وهو والحق يقال شخصية جذابة وما برح يؤدي لوطنه الخدمات التي يستطيعها » .

النتاج السياسي .

وفي أحد لقاءاتي مع الزعيم واستعراض فترة السجن الاخير اخبرني عن المكاسب التي ينوي الحصول عليها بعد ضغط ثقيل من قبل السلطة عليه ومنه على السلطة .

طالب الزعيم أولاً بجرية العمل الحزبي فنال وعدا بالسماح للحزب في العمل ولكن دون علم وخبر رسمي . ثانياً ، طالب باصدار جريدة تكون لسان حال النهضة القومية الاجتماعية فنال وعدا بذلك . ثالثاً ، طالب بمنحه جواز سفر ليتمكن من الانتقال الى حيث يشاء فتمت الموافقة على هذا الطلب وأخيراً منح عفو عن كل الدعاوى الحزبية حتى تاريخه .

أما من جهته ، فكل ما قدمه رسالة يتعهد فيها بعدم العمل ضد الكيان اللبناني وهذا ما كان يشرحه للمحقق ان تهدم الكيان اللبناني ليس من غايات الحزب وهذا هو مضمونها :

« أنا ، انطون سعادة ، أؤكد ان المبادئ القومية هي عقيدة علمية ، تعمل في سبيل تحقيق وحدة المجتمع ولا تعمل على هدم الكيان اللبناني » .

انطون سعادة .

(سلم ريمون اده رئيس مجلس العمدة نعمة ثابت النص الخطي لهذه الرسالة لكنها فقدت)

وعن موضوع الانتخابات فقد بقي دون اي بت وهو الآن تحت الدرس وقد سألني بهذه المناسبة عدة اسئلة تتعلق بهذا الصدد عن منطقة لبنان الشمالي وبصورة خاصة عن الكورة ، اجبته عليها حسب معرفتي وبالنسبة لتقديري .

قيل ، يومئذ ، عن لسان رئيس الجمهورية ، اميل اده ، بمناسبة سؤال عن رأيه في

انطون سعادته « ان هذا الانسان رجل ذكي جدا ومبادئه حسنة لو انه يطبقها على اساس لبناني ».

وفي نهاية هذه اللقاء علق الزعيم على هذا النتائج بقوله: « يقولون ان الزعيم لا يحسن العمل السياسي وانه عنيد ومتصلب فما رأيك بهذه النتائج؟ او ليست باهرة؟ » قلت له انه انتصار عظيم وعسى ان تكروها شيئا وهو خير لكم فلولا معركة بكفيا التي تسببت من جراء بعض اخطاء كان قد ذكرها لي في مناسبة سابقة لما كان هذا الاعتقال وبالتالي لما كانت هذه النتيجة.

قال لي « ان الزعيم عنيد ومتصلب في الرسالة والعقيدة اما فيما يخدم هذه الرسالة وهذه العقيدة فالموضوع خاضع للاخذ والرد. انصرفنا وانا اتمنى ان تأتي حصيلة هذا النتائج كما يتمنى ويشتهي ».

ارساخ العقيدة

ومن رسالة الزعيم الرابعة الى غسان تويني بتاريخ 26 ايار 1936 اقتطع الفقرة التالية التي وردت حول موضوع الافراج ونتاجه السياسي.

« وما خرجت من السجن في ايار سنة 1936 حتى عدت اليه في حزيران سنة 1936 وفي السجن وضعت « شرح المبادئ » الذي بلور العقيدة وصفها من التآويل غير المسؤولة ومن المخالطات الغربية. وبعد خروجي من السجن الثاني ببضعة اشهر جرت اصطدامات بكفيا المشهورة وحصل السجن الثالث. فيكون غياب الزعيم، موجد العقيدة وصاحب الدعوة، عن الحزب وعمله الاداري السياسي مدة سنتين تتخللها فترتان قصيرتان جدا. وكانت الحرب على العقيدة تشدد وكان يجب ارساخ العقيدة في الحزب وصيانتها من الميعان المبادئ والاخلاقي المتفشي في شعبنا واكسابه الصلابة والمناعة اللتين هما، مع رسوخ العقيدة، كل رأساله المعنوي الذي يكسبه هذه المنزلة الممتازة في الامة ويؤهله لبدء المرحلة الجديدة - مرحلة دخول ميدان السياسة العملية. والحقيقة ان هذه المرحلة كانت قد ابتدأت في زمن السجن الثالث حين شعرت الحكومة اللبنانية بمناعة الحزب وصلابته وحاجتها الى التفاهم معه فابتدأت من جانبها بمفاوضة الزعيم في السجن فقبل الزعيم المفاوضة وتمكّن من الفوز بذلك « التفاهم » مع الحكومة اللبنانية المؤلفة من حزب اميل اده - خير الدين الاحدب وكان من وراء ذلك الافراج عن المعتقلين وعدم التعرض لحركات الحزب والسماح للصحف بنشر

أخباره واكتساب الرخصة باصدار « النهضة » واصدارها اشهرا عديدة وطبع مبادئ
الحزب مشروحة بقلم الزعيم وكتاب « نشوء الامم ».

التقرير الفرنسي

سمحت وزارة الخارجية الفرنسية بالاطلاع على الوثائق السياسية الموجود لديها وهي تعود الى الثلاثينات. ومن بين هذه الوثائق ما يتعلق بموضوع الانتداب والقضايا التي واجهت السلطات المنتدبة في سورية ولبنان في تلك الفترة. كما انها تحوي معلومات عن بعض الشخصيات السياسية. ومن هذه الشخصيات الزعيم انطون سعادة.

ونشر اليوم بعض الوثائق عن انطون سعادة وهي وثائق تنشر لأول مرة عن

« الزعيم » .

تشمل هذه الوثائق: تقريراً وملحقاً بالتقرير .

1 - اما التقرير فقد بعث به السيد ميرييه المندوب العام للمفوض السامي الفرنسي الى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية بتاريخ 25 آذار 1937 في شكل « شخصي » وعنوان التقرير : « انطون سعادة » وفيه :

- اشارة الى اعتقال انطون سعادة واطلاق سراحه .
- اعلان من انطون سعادة باحترام استقلال لبنان .
- مقابلة بين ميرييه وانطون سعادة في مكتب المفوضية .
- رأي ميرييه في شخصية الزعيم .
- موقف سعادة من الدعايات الاجنبية : الايطالية والالمانية .
- تحديد سعادة لهدف حركته السورية .
- المصاعب التي تواجه هذه الحركة .

- تكتيك سعادة المرحلي ، خصوصا بالنسبة الى سنة الساحل اللبناني .

- الناحية السورية (الشامية) من نشاطه السياسي .

- موقف ميرييه التحذيري لسعاده من اي نشاط سياسي يهدد سلامة الاراضي اللبنانية .

- واخيرا الاشارة الى قبض سعادة مبلغ الف فرنك فرنسي من رئيس الوزراء خير الدين الاحدب لكي يحمّد انصاره في الانتخابات النيابية .

اما « الملحق » بتقرير المندوب العام فهو الكتاب الذي وجهه انطون سعاده الى قاضي التحقيق مراد وفيه يعرض سعادة للامور التالية :

- مقدمة تتناول هدف الكتاب وهو عرض حقيقة موقف الحزب من الدعايات الاجنبية (الايطالية والالمانية) ومن السلطة المنتدبة .

- نفي اي علاقة بين الحزب والدعايات الايطالية والالمانية واعتبار مثل هذه الامور مجرد اشاعات يطلقها اعداء الحزب للنيل منه

- عدم رفض الانتداب من حيث المبدأ .

- اعتبار فرنسا قوة حديثة .

- تعلق الحزب بهذه الصداقة لانها تتوافق والمصالح القومية على جميع الاصعدة المادية والثقافية والسياسية .

- اعتبار وجود فرنسا في وطننا « مناسبة ثمينة » .

- الذهاب ابعد من مضمون الصداقة ، والدعوة الى اقامة معاهدة لمدي بعيد مع فرنسا .

بين كل ما جاء في هاتين الوثيقتين ، وهو مهم ومثير ، تنبغي الاشارة في شكل خاص الى ثلاثة امور جوهرية :

1 - تحديد سعادة لهدف حركته السورية وهو هدف « سورية العالم العربي » وهي مسألة لا تزال تثير الكثير من الجدل داخل الحزب نفسه وتلقي ظللا كثيفة من الشك على « عروبة السوريين القوميين الاجتماعيين » .

2 - ذهاب سعادة ابعد من الرئيس اميل اده نفسه بطلب توقيع معاهدة مع فرنسا لمدي بعيد بعد ترحيبه بالانتداب واعتباره « مناسبة ثمينة » .

3 - حصول سعادة على اموال من السلطة ثمنا لموقفه في الانتخابات النيابية.

★ ★ ★

وهذه هي الترجمة الحرفية كما وردت في وثائق الخارجية الفرنسية « الكي دورسيه »
تحت مستند E. 417 L. والمنشورة نسخة طبق الاصل عنها مع هذه الترجمة في باب
الوثائق.

من السيد ميريه، المندوب العام للمفوض السامي الى سعادة السيد وزير الشؤون
الخارجية (المشرق).

انطون سعادة

كان انطون سعادة رئيس الحزب القومي السوري، قبل اطلاق سراحه في شكل
مؤقت في 14 ايار، قد وقع مسبقا على وثيقة (اعلان) هي الان بين ايدي الحكومة
المحلية، وفيها يعترف باستقلال لبنان. بالاضافة الى ذلك فقد وجه (سعادة) الى
قاضي التحقيق بيانا حول عقيدة الحزب حيال الدعايات الاجنبية والصداقة الفرنسية.
ولقد سلمت النسخة الاصلية من هذا البيان الى اجهزتي بواسطة رئيس الوزراء اللبناني.
واني ابعث بترجمة للبيان مرفقة بهذه الرسالة.

من جهة اخرى، وبطلب من خير الدين الاحدب فقد حضر « الفوهرر » الى
ديواني ليعرض فيه الخطوط الكبرى لعقيدته.

لقد اعطى انطبعا بأنه صاحب ذهن متوقد ومدقق وواثق بنفسه، وانه على
معرفة، منذ مدة طويلة، بأسلوب التحريك السيكولوجي للجهاير.

ولقد استأذن بأن يصحب معه في المرة القادمة احد رفاقه في الحزب ممن يعرفون
لغتنا جيدا لانه لا يجيد التعبير بدقة بالفرنسية على رغم استعماله بعض التعبيرات الدقيقة،
وذلك، ليقدر، على حد قوله، على ان يشرح رأيه بالدقة المرجوة باعتبار ان هذه
الدقة في التعبير تشكل احدى شواغله الدائمة.

وفي حين اعلن انتسابه الى الاصول المسيحية، هو من طائفة الروم الارثوذكس،
مع انه ذو فكر علماني، فقد اكد سعادة ان حزبه لم يقاوم الانتداب الفرنسي ابدا لانه
يعترف بضرورة قيام تعاون حميم بين هذه البلدان وفرنسا، وانه يدين الدعايات
الاطالية والالمانية باعتبارها تخفي اهدافا امبريالية تتعارض مع الرسالة التي من مستوى
ارقي والتي اضطلعنا بها نحن في المشرق.

ان حركته السورية، كما اوضح، تهدف ليس الى توحيد لبنان مع سورية لكن الى امتصاص سورية لاحقا بواسطة «رؤوس» لبنانية كي يتم في شكل خاص عزلها (حرفها) عن العالم العربي.

انه لا يجهل ابدا قوة المقاومة التي يمثلها الاسلام، ولا العلاقة القائمة بين حركات الجامعة العروبية والجامعة الاسلامية، ولكنه يعتقد بامكان مواجهتها بالعمل في سورية كما في لبنان على خلق شعور قومي يقوم مقام المصالح الاجتماعية الخاصة والاقليمية والطائفية، وكذلك على وضع برنامج اجتماعي موضع التنفيذ في شكل تدريجي.

انه راغب الآن، على ما يبدو، في العمل على توحيد لبنان وانما، كي لا يفقد ماء الوجه بالنسبة الى انصاره السوريين (الشاميين)، فهو لن يتخلى عن دعايته في سورية. انه مقتنع بالقدرة على جعل الكتلة السنية الساحلية تقبل الاندماج في صلب الدولة (اللبنانية) اذ لم يكن في الامكان ربطها بالفكرة اللبنانية.

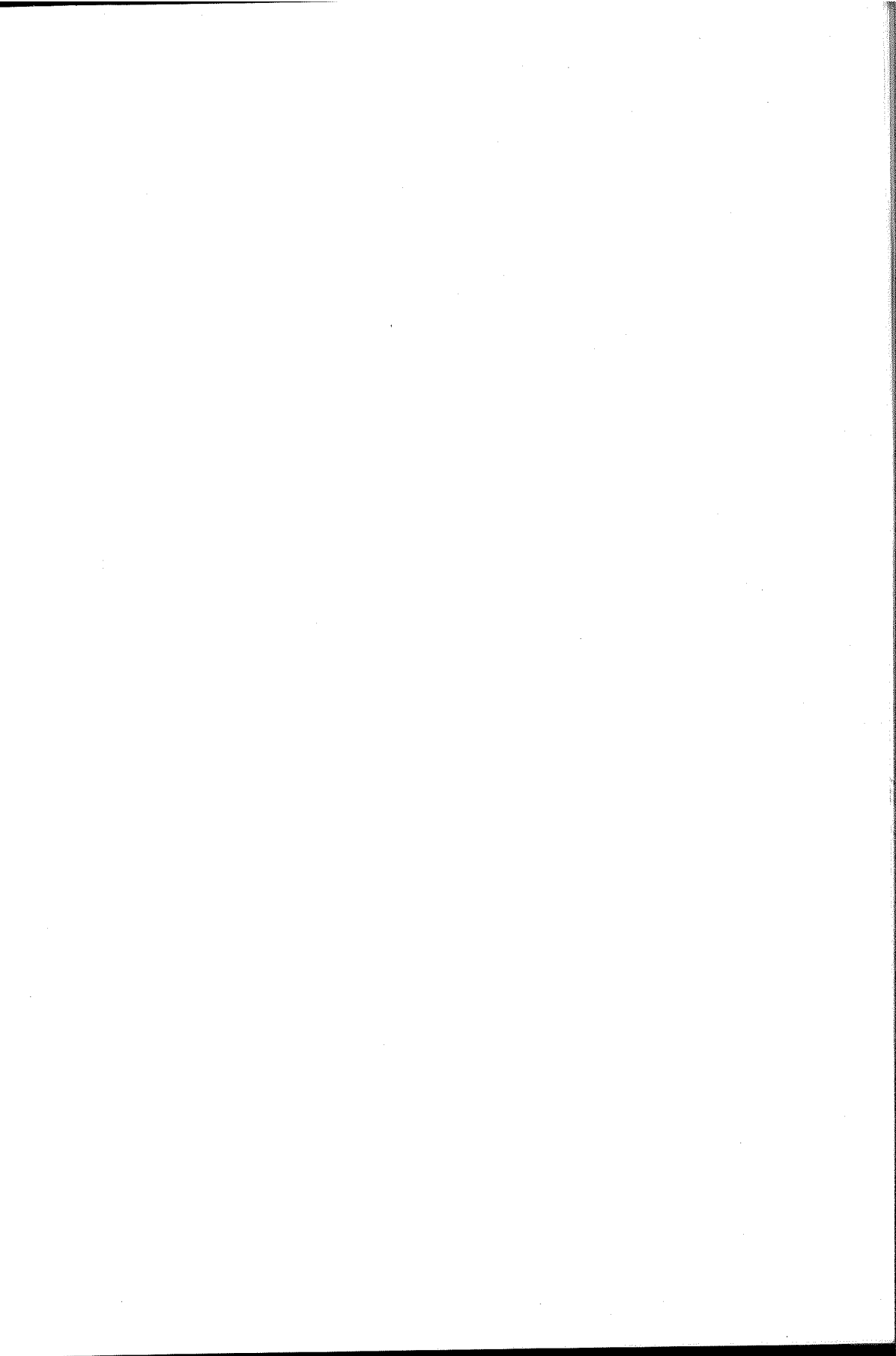
في ما يتعلق بالجانب السوري من نشاطه، فقد صرح اخيرا انه طامح الى ابعاد الجماهير عن ان تكون آلة بيد سياسيين محترفين محليين مشغولين بمصالحهم الشخصية بأكثر مما تشغلهم صياغة المشاريع البناءة وتنفيذها.

ولقد جرى ابلاغه ان نشاطه في لبنان يرتبط اساسا بالحكومة المحلية، والتي لكونها المسؤولة عن وحدة ارض البلاد، فان عليها واجب مقاومة كل حركة تشكل تهديدا لهذه الوحدة.

من جهة اخرى، فقد علمت ان سعادة قد اقام علاقات مفيدة مع الرئيس اده وخير الدين الاحدب. وعلمت ايضا من مصادر موثوقة ان هذا الاخير اقنعه بقبول مبلغ الف فرنك كي يذهب ويرتاح في الجبل، وذلك قبل ان يحاول استعمال قناعات انصاره وحاسمهم لاهداف انتخابية.

هيريه

المهارة



المرحلة الجديدة

ابداً هذه المرحلة الجديدة بما ذكره الزعيم عنها في رسالته الرابعة الى غسان تويني
تاريخ 26 ايار 1946 :

« وبعد خروجي من السجن الثاني ببضعة اشهر جرت اصطدامات بكفيا المشهورة
وحصل السجن الثالث. فيكون غياب الزعيم، موجد العقيدة وصاحب الدعوة، عن
الحزب وعمله الاداري السياسي مدة نحو سنتين تتخللها فترتان قصيرتان جدا. وكانت
الحرب على العقيدة تشتد وكان يجب ارساخ العقيدة في الحزب وصيانتها من الميعان
المبادئ والاخلاقي المتفشي في شعبنا واكسابه الصلابة والمناعة اللتين هما، مع رسوخ
العقيدة، كل رساله المعنوي الذي يكسبه هذه المنزلة الممتازة في الامة ويؤهله لبدء
المرحلة الجديدة - مرحلة دخول ميدان السياسة العملية. والحقيقة ان هذه المرحلة
كانت قد ابتدأت في زمن السجن الثالث حين شعرت الحكومة اللبنانية بمناعة الحزب
وصلابته وحاجتها الى التفاهم معه فابتدأت من جانبها بمفاوضة الزعيم في السجن فقبل
الزعيم المفاوضة وتمكن من الفوز بذلك « التفاهم » مع الحكومة اللبنانية المؤلفة من
حزب اميل اده - خيرالدين الاحدب وكان من وراء ذلك الافراج عن المعتقلين
وعدم التعرض لحركات الحزب والسماح للصحف بنشر اخباره واكتساب الرخصة
باصدار « النهضة » واصدارها اشهرا عديدة وطبع مبادئ الحزب مشروحة بقلم الزعيم
وكتاب « نشوء الامم ». وفي شرح المبادئ وغاية الحزب وفي تصريح الزعيم لجريدة
« النهضة » في صدد « الكيان اللبناني » وفي سياسة الحزب مع الحكومة اللبنانية في زمن
اده - الاحدب ومباشرة تدخله الفعلي في السياسة اللبنانية وسياسته مع الحكومة الشامية
والمساعي التي بذلها للتفاهم مع « الكتلة الوطنية » ثم مع الدكتور شهبندر المرحوم،



خيرالدين الاحدب



اميل اذه

يطلب منه وحصول مقابلة سرية بين الزعيم والشهيد عقيبتها مقابلة ثانية بين وفد حزبي والشهيد بعد مغادرة الزعيم الوطن وعدم كفاءة الوفد لاكتساب الوجه السياسي من المقابلة ، ودخول الحزب في السياسة الشامية العملية حيثما تمكن من ذلك. كما في تدخله الفعلي في انتخابات محافظة اللاذقية وفوزه في تلك الانتخابات في بعض المناطق وخسارته بعضها بسبب عدم ثبات بعض المتحالفين معه - في جميع هذه الظواهر المحسوسة نجد مبادئ السياسة العملية وقواعد مرونة الحزب الصحيحة مع صلابه عقيدته ورسوخ ايمانه للذين انقذاه من ورطات الميعان العقائدي والاخلاقي الذي حاول جره اليها امثال صلاح لبكي واميل الخوري وغيرها .

بفضل ذلك « التحجر الاكاديمي » وتغير الظروف السياسية يتقدم الحزب السوري القومي الاجتماعي اليوم لاحتلال مكانه السياسي الممتاز في جميع المناطق السورية ودولها ومكانه الثقافي الممتاز في « تفجر النشاط الثقافي في البلاد، سواء في صفوف الحزب ام خارجها » الذي دعت اليه، بالاكثر، عقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي والتي وضعت على بساط البحث قضايا الامة الحقوقية والسياسية والاقتصادية والادبية والفنية والفلسفية وتناولت ما هو اوسع من نطاق الامة والتي هزت الافكار وحركت العقول وحرضت الافهام. فلا ننس كم حل « الجدل العقائدي » الذي اثاره الحزب، للعقول من عقد، وكم دعاها الى تفكير هادى او صاحب. فان عقيدة الحزب السوري القومي الاجتماعي ونظرياته قد حركت العقول ونشطت الافكار، ليس فقط في الذين دخلوا في صفوفه، بل في جميع المشتغلين بالسياسة والاقتصاد والثقافة



الزعيم

والادب. ولست اريد ان اقول ان كل نشاط فكري مصدره الحزب بل اريد اظهار ما كان لعقيدة الحزب ونظرياته من شأن في دفع قوى الامة نحو هذا «النشاط الثقافي المتفجر» وهو شأن اعترف به رجال ومؤسسات لها مكانتها. فاعترف به السياسي الكتلوي المعروف الاستاذ فارس الخوري في عدة مناسبات منها امام عدد من نواب المجلس الشامي في غرفة رئاسة المجلس بحضور الزعيم ومنفذ دمشق العام انثذ الرفيق فريد مبارك وشهد به مؤلف كتاب «Nationalité Syrienne devenue Arabe» من الكتلويين واعترف به الدكتور شارل مالك قبل تعرفه بالزعيم في «نادي الفلسفة في الجامعة الاميركانية» واعترف به جميل مردم نفسه في مقابلة بينه وبين الزعيم في فندق النجار في صوفر بحضور عدد من القوميين الاجتماعيين و «الكتلويين»، واقرب به رجال المفوضية الفرنسية انفسهم والاب شنتور في الجامعة اليسوعية والرحوم الدكتور عبدالرحمن شهبندر وظهر اثر شأنه في محاولة «الكتلة الوطنية» اقتباس شكل مبادئه في «ميثاقها» الذي وضعته بعد اربعين هناسو وبعد ظهور الحزب السوري القومي الاجتماعي ومحاكمته، وفي تقليده وتقليد قسمه بتشكيل «القمصان الحديدية»، وفي تنظيم «شباب الوفد» المصري سنة 1936، وفي اقبال عدد من طلبة الجامعة الاميركانية العراقيين على درس مبادئه واشكال تنظيمه وطلب وفد منهم مبادئه ونظام تشكيلاته

ليحملوها معهم الى العراق ليسيروا هناك على غرارها، وفي تصريحات مكتومة للمير شكيب ارسلان الى اصدقاء خصوصيين له، وفي ادلة كثيرة غير ذلك يمكن اخذها من الصحف وخطب السياسيين وحوادث البلاد بوجه الاجمال ونشوء طائفة من الاحزاب البيغائية فيها، تقلد حزبنا».

امثلة في الانضباط

قبل ان انتقل الى موضوع المرحلة الجديدة اود ان اسجل هذه الواقعة.
جاء احد المسؤولين يراجع في امر من الامور المتعلقة بمنطقته وكان لما يمض على خروجه من الاسر بضعة ايام وكان ذلك بحضور نائب الزعيم الاداري انيس فاخوري.
سمع للمسؤول حتى انتهى من شرح مسألته وبدلا من ان يعطيه جوابا على سؤاله اشار بيده الى الرفيق انيس فاخوري وقال «راجع حضرة نائب الزعيم لاني ماتسلمت الادارة الحزبية بعد لأمارس صلاحياتي الدستورية».
كان هذا الموقف امثلة في الانضباط.

زيارة

من نتائج المفاوضات - التحقيق على اثر حادثة بكفيا التاريخية ان تمت زيارة لرئيس الجمهورية، اميل اده. جرت في هذه المقابلة اجمات بأمر كثيرة، كلها تدور حول الوضع السياسي في البلاد وموقف الحزب من الكيان اللبناني.
يروى المحقق جورج مراد على سبيل النكتة انه عندما اشدت النقاش عن لبنان واللبنانية قال له سعادته: «فخامة الرئيس، هل من لبناني يحمل الارزة على جبينه مثلي؟» وقطب حاجبيه فتكونت من التجاعيد صورة واضحة تشبه الارزة.

نظام منطقة الاسكندرون

وبينا كان الزعيم منهمكا باعادة تنظيم القيادة المركزية للحزب اصدرت الجمعية الامة في 29 ايار نظام منطقة الاسكندرون التي سميت «جمهورية هاتاي» وقانونها الاساسي.

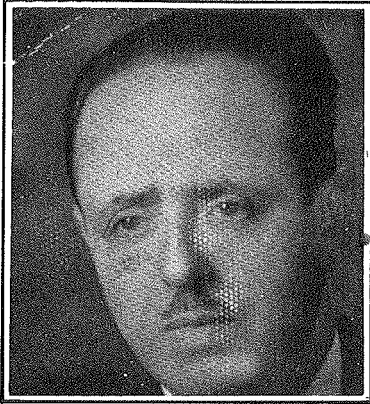
ابقى النظام المذكور الصلة الرسمية لهذه «الجمهورية» بدولة الشام.

(راجع المقال عن الاسكندرون)

هدية عملية

لاحظ الرفيق رجا خولي ان الزعيم يرتدي ثوبا يكاد لا يليق به. انه يلبسه يوميا كأنّ ليس لديه سواه فجاءني يوما يُسرّ لي انه قرر مع واحد او اثنين من الرفقاء الخالص ان يقدموا هدية للزعيم بمناسبة خروجه من السجن وان تكون هذه الهدية طقما جديدا فكيف الوصول الى قياساته لتفصيل الطقم وخطاطته؟ ان قطعة الجوخ حاضرة.

انشرحت للفكرة وعلى الفور اقترحت عليه ان يأتي بقطعة الجوخ وان يلاقيني الى محل الخياط فهدد حريق وهناك نتدبر الامر. في هذه الاثناء اتصلت بفهد وطلبت منه العون على تحقيق هذه الفكرة. كانت مفاجأة مزدوجة بانتظاري. الاولى: قياسات الزعيم موجودة لديه اخذها له في مركز الحزب في المعرض، قبل السجن ومنحه لقب « خياط الزعيم ». والثانية: انه مستعد ان يتبرع باجرة الخياطة فيساهم في الهدية.



فهد حريق



رجا خولي

وصل رجا ومعه قطعة الجوخ. بشرته بالنتائج ففرح كالولد الصغير. اودعنا فهد المشروع واتفقنا على موعد التسليم. واجاب على سؤال كيف يتدبر امر تجربة الطقم على جسم الزعيم فقال « ما عليك ساستغني عن هذا الامر ».

عندما اصبح الطقم جاهزا، حملناه، انا ورجا الى الزعيم وكان في منزل فخري معلوف وطلبنا مقابلته. عند المقابلة ارتج على رجا فقد تغلبت عواطفه على نطقه فتوليت عنه الحديث وقلت: « حضرة الزعيم، فكر رجا ومعه بعض الشباب ان يقدموا لكم هذه الهدية العملية بمناسبة خروجكم من السجن ». وناولته اياها.

اخذها بين يديه وقد عرف ما فيها فافتّر ثغره عن ابتسامته فيها كلّ معاني التقدير

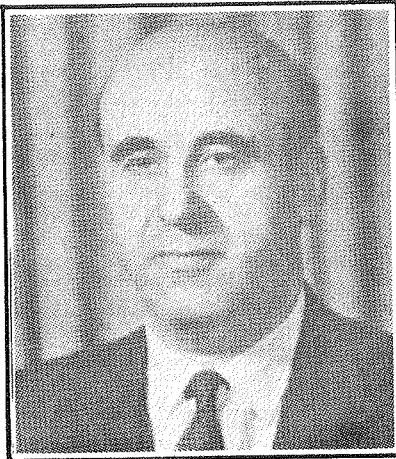
للعاطفة النبيلة التي حملتهم على اختيار هذه الهدية بالذات. قلت له: «حضرة الزعيم، هل بالإمكان ان نطلب منكم ارتدائها لتتأكد من صحة قياسها؟» فابتسم وقال: «سافعل».

غاب عنا قليلا من الوقت وعاد الينا وهو يعلن انهاصالحة، اخبرته انها خياطة الرفيق فهدحريق وانه بإمكانه مراجعته بشأنها فيما بعد، ان اكتشف اي داع لذلك فقال: «لا بأس، لا بأس».

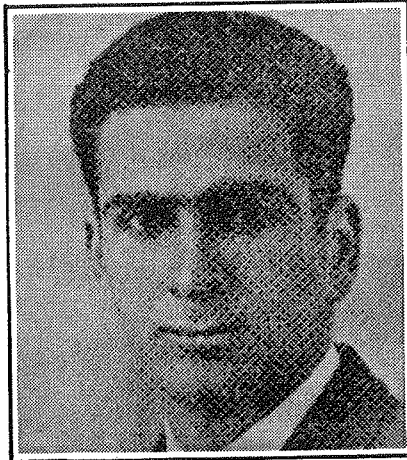
استأذناه بالانصراف وغادرنالمكان فرحين مغتبتين لنجاح عمل كم يحتاج الى جرأة معنوية واقدام.

مجلس عمد جديد

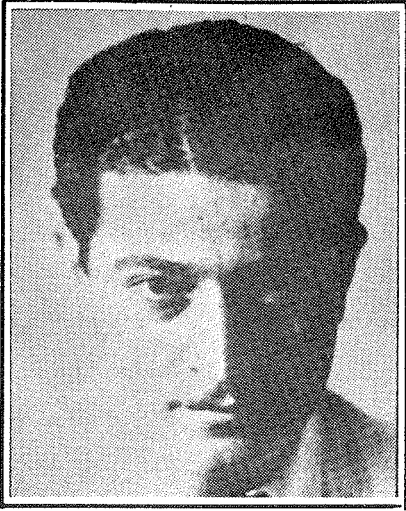
ان اول عمل قام به الزعيم في هذه المرحلة الجديدة هو اعادة تشكيل مجلس العمدة، فاختار الامين نعمة ثابت رئيساً له والرفيق محمد الباشا ناموسا للمجلس اما الرفيق انيس فاخوري فقد اصبح عميدا للداخلية والامين مأمون اياس عميداً للمالية والرفيق اميل خوري حرب عميدا للاذاعة والرفيق جورج حداد عميدا للتدريب (اصبح اسم عمدة الحربية عمدة التدريب) والرفيق صبحي فؤاد الرئيس بقي في مسؤوليته، ناموسا للزعيم وصار رئيسا لمكتب عبر الحدود. هذا بالنسبة للعمدة اما بالنسبة للوكلاء فقد صرت وكيلا لعميد المالية والرفيق خالد اديب وكيلا لعميد الداخلية وعين الزعيم الرفيق بشير فاخوري خازنا عاما فكان اول خازن عام في الحزب



انيس فاخوري



نعمة ثابت



مأمون أياس



اميل خوري حرب



جبران جريج



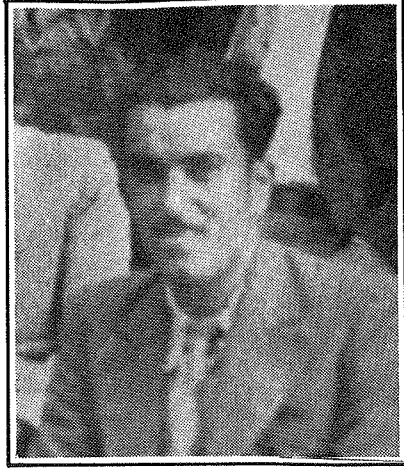
جورج حداد

كما تعين الرفيق خضر عيتاني حاسباً عاماً للخزانة اما في جهة العميد فريد مبارك الذي كان معينا عميداً للمراقبة فقد اصبح رئيساً للمكتب الاعلى المختص الذي كان يختصر اسمه بالأحرف الثلاثة م. ا. م. وكان يعاونه في هذه المكتب بشكل مركزي الرفيقان منير العريس وويليم سابا. ومنح الرفيق انيس فاخوري رتبة الامانة.

بعد هذه الترتيبات امر الزعيم باعادة فتح مكتب الحزب المركزي الذي كان قد ختم بالشمع الاحمر اثناء الاعتقالات وقد تم ذلك دون اي عائق وبدأنا نمارس



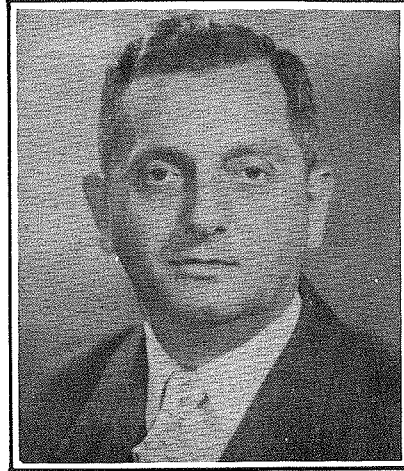
فريد مبارك



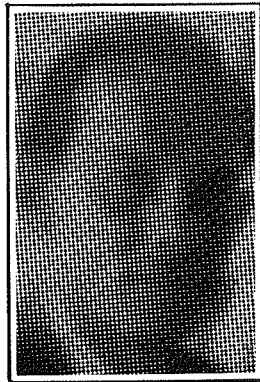
خالد اديب



ويليم سابا



بشير محمد فاخوري



منير العريس

صبيح الرئيس



صلاحياتنا الحزبية على احسن مايرام. وكان لهذا المركز الرئيسي في شارع المعرض،
بناية البحصلي مركزان رديفان ان صح التعبير. احدهما في منزل الامير امين ارسلان
السابق ذكره والذي بقي مفتوحاً لاستقبالنا في اي وقت من الاوقات، نقضي فيه
بعض الاعمال الحزبية والآخر في منزل الامين فخري معلوف في رأس بيروت الذي
كان ايضاً مفتوحاً لاستقبالنا في اي وقت من الاوقات ولكنه لاعمال حزبية من غير
النوع المذكور في منزل الامين امين ارسلان الكائن في رأس النبع.

★ ★ ★

في اليوم الاول من شهر حزيران استقبل الزعيم عدداً من القوميين الاجتماعيين الذين
اتوا خصيصاً من منفذية دمشق لتهنئته بالخروج من السجن وذلك في دار رئيس مجلس
العمد نعمة ثابت، في عين زحلنا - الشوف. القى فيهم كلمة نشرت في اليوم التالي من
جريدة « الجزيرة » الدمشقية لصاحبها تيسير ظبيان في العدد 1653 ، حزيران سنة
1937 ، تحت عنوان « نحن امة لانام ولانستكين ». (هذه الكلمة منشورة في الآثار
الكاملة الجزء الثالث).

كان من اهم نشاطات الزعيم خلال هذه الشهر زيارتان قام بهما في صوفر. واحدة
الى منزل السياسي موسى نمور والثانية الى منزل جورج ثابت حيث كان مدعوا لتناول
طعام الغداء.

الزيارة الاولى تمت - كما يلي - « رافقي، يارفيق بهجت ». (بهجت خولي، شقيق
المرحوم الرفيق رجا خولي) ومشى الرفيق بهجت بجانبه يرافقه من بمجدون حيث
كانت عائلته تصطاف الى ان حط بهما الرحال في صوفر، في منزل موسى نمور.
كان الجو السياسي عابقاً في تلك الايام بحركات الوحدة السورية وما يجتمع او
يتلاقى اثنان من المشتغلين بالسياسة الا وتدور احاديثها حول هذه الموضوع وموقف
الكتلة الوطنية في دمشق، المتمحورة حولها هذه الوحدة ومصير الاقضية الاربعه في
دولة لبنان الكبير.

جال سعادة في هذا الموضوع مع الموجودين الكثر من رجال السياسة الذين كان
يضمهم منزل السياسي الكبير موسى نمور. واذا باحدى الشخصيات المرموقة، تنبري من
بين الحاضرين، تصافحه وتعلن تأييدها اياه وتعلن سرورها لهذه الزيارة الى هذه الدار
التي اتاحت لها التعرف الى هذا الزعيم الفتي الذي يعبر عن اماني كل مخلص لوطنه
ولقضيته الكبرى في الوحدة والاستقلال. كانت هذه الشخصية البارزة، رياض الصلح.

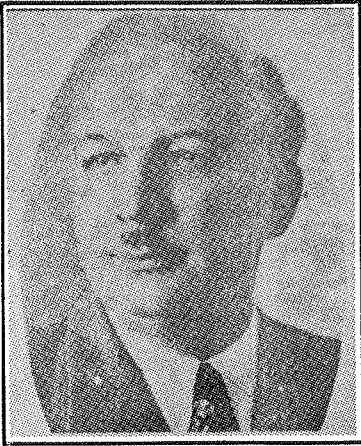
اللقاء الاول والاخير:

وهذا الصدد جاء في « عبدالله قبرصي يتذكر » الجزء الاول الصفحة 199 تحت عنوان اللقاء الاول والاخير:

« اللقاء التمهيدي الذي تم بين رياض الصلح وانطون سعادة، ولعله اللقاء الاول والاخير، جرى في صوفر في منزل موسى ثمور وكان رئيسا للمجلس النيابي ثم وزيرا للداخلية.

الامين جبران جريج يروي الواقعة في الصفحة 29 من كتابه « مع انطون سعادة » الجزء الثاني. ولكنه لم يسمع من سعادة نفسه وقائع اللقاء خاصة الواقعة التالية: « قال سعادة لرياض الصلح وقد سمعت ما قال من سعادة نفسه. ان « اهم ما قصدته في مبادئ حزبي الاصلاحية هو علمنة الدولة. والغاء كل آثار الطائفية من النصوص ومن النفوس ».

رياض الصلح وافقه على هذا الالغاء ولو كلف الدولة والشعب عشرة آلاف ضحية. اشدّد على كلمة عشرة آلاف ضحية التي جاءت في حديث رياض الصلح في صوفر منذ سنة 1937. كان الرجلان متفقين ان آفة الآفات في لبنان خاصة - والبلاد العربية عامة - هي الطائفية، هي الحزبية الدينية، قاتلة كل انطلاق نحو التطور، وقاتلة المصلحين والمفكرين ومعبدة السبل امام المستعمرين والعملاء والانعزاليين..



رياض الصلح

علماني في باريس وسني في البسطة

ولكن رياض الصلح الذي وصفه السيد كيفر في لقائنا معه في المفوضية العليا صيف 1936 بأنه علماني في باريس وسني في البسطة، حسب الف حساب لزعامته

السنية، قبل أن يقرر محاربة انطون سعادة، «المسيحي الدخيل على البسطة والزيدانية ورأس بيروت والطريق الجديدة».

واما الزيارة الثانية فكما يلي:

كان مدعوا الى تناول طعام الغذاء على مائدة الشخصية السياسية اللبنانية جورج ثابت وكان من الضيوف البارزين المطران عقل، راعي ابرشية جبيل والشاعر باللغة الفرنسية هكتور خلاط، شقيق زوجة جورج ثابت.

دارت اجاث كثيرة حول الاوضاع الراهنة ولكن سعادة ركز الكلام على موضوع الطائفية فدارت مناقشة حادة، اذا جاز التعبير بين سيادة المطران وبينه.

اعجب الضيوف بحجج سعادة الدامغة وتمييزه بين الدين القويم والطائفية السياسية التجارية، ذات المصالح الفتوية او الشخصية وعن الكيان اللبناني وآفته الممثلة بهذه الطائفية مما افعم سيادة المطران وجعله متوتر الاعصاب الى درجة انه طلب اقفال الموضوع، اذ انه لم يعتد مناقشات من هذا النوع الصريح، الى درجة انه طلب الى المضيف، جورج ثابت اقفال باب هذه المناقشة. وقد زادت وطأة هذه الاجاث ان المضيف طلب الاستمرار بها.

انتهت مناسبة الغذاء واذا تصل في اليوم التالي الى سعادته من الشاعر هكتور خلاط رسالة بالفرنسية تأييداً للطائفية.

وقد اتصلت بصاحب الرسالة علي اجد لديه نسخة عنها فتكرم وبعث لي بالرسالتين بأصلهما الفرنسي وهذه هي ترجمتها.

الرسالة الاولى

سيدي العزيز.

«افرحتم قلبي واثرتم كوامن نفسي عندما اعلنتم لي انكم كنتم تعلمون اني، منذ خمس وثلاثين سنة ونيف، وجهت رسالة الى المغفور له انطون سعادة ثم تسألوني ان كنت محتفظاً بنسخة عنها.

من اين لي ذلك منذ ذلك الزمن البعيد: ان قسما ضحخا من مراسلاتي قد اتلف. كان هذا جوابي لكم. وكان ردكم على هذا الجواب «الا تذكرون على وجه التقريب، ماذا كتبتم له؟ ان كانت ذاكرتكم ماتزال حافظة نصها، هل تحبون ان تكتبوا لي عن

موضوع الرسالة المنوه عنها؟»

اني اوافق بكل طيبة خاطر. ولكني لا اكفل لكم حرفية النص. قد تبخرت الكلمات انما الافكار ما تزال حية في ذاكرتي. وهذا هو على وجه التقريب، ما حررت له.

واني لاستطيع، ياسيدي العزيز ان اعيد قراءة ما اكتب للتصحيح او للتعديل فاني اتكل على حسن تفهمكم.

لكم مودتي
هكتور خلاط

الرسالة الثانية

اني مسرور تماماً بان يكون قد تم، امس، تعرفي، بكم، في صوفر، عند صهري جورج ثابت واحاديثكم اثارت اهتمامي بقوة.

طبعاً، لا اشارك افكاركم كلها، بخاصة تلك المتعلقة بالوحدة الجغرافية بين الشعوب والدول. كذلك هو الامر مع «القطعة» الجغرافية المرسومة بوضوح، المسماة «شبه الجزيرة الايبيرية» المنفصلة بشكل عجيب عن اوربا بسلسلة جبال البيرينييه والمحاطة، شرقاً، جنوباً وغرباً وبالاوقيانوس والمتوسط.

انها يجب ان تكون، حسب ارائك، دولة واحدة، لكننا نرى انها بعد مرور اجيال، ما تزال منقسمة الى دولتين، اسبانيا والبرتغال. ويمكن الاستشهاد بامثلة اخرى من نوع هذه الظاهرة التاريخية...

اني من جهة اخرى، على ام وفاق معكم فيما يختص بالطائفية. بهذه المناسبة، اسمحوا لي - بالقول - انني اعجبت بصراحتكم الجريئة، عندما قاطع المطران عقل سردكم الموضوع الذي استأنفتموه بعد ان رجاكم صهري بذلك.

لم يكن سيادة الخبر المحترم ممتناً، لكنني كنت بدوري راضياً. اني افكر دائماً ان الطائفية علة دولتنا، اكثر من جهالة بعض الجماعات في المناطق البعيدة عن العاصمة واكثر من تسلط الاقطاعيين الكبار.

ان استطعتم، مع الشباب الذي عرفتم كيف تدربونهم، ان تنزلوا الضربة القاضية بهذه الطائفية القتالة، تكونون قد اديتم الى هذه البلاد خدمة لا تقدر بثمن. ترى هل

تتيح لي الحياة البقاء ، وانا ادغدغ الخمسينات ان تكتحل عيناى بمراى ذلك اليوم
الجميل ؟

لكم مودتي
هيكاتور خلاط

ملاحظة : رسالة غير حرفية . ان بعض تعابرها المختلفة عن الاصل لا تجعلها بعيدة
عنه .

اول نشرة اذاعية

وهذا هو خبر اول نشرة اذاعية .

بناء على توجيهات الزعيم تقرر اصدار اول نشرة اذاعية تحمل اخبار الحزب
الداخلية وبعض الكتابات التوجيهية .

وبناء على توجيهات الزعيم كان استحصل عميد الداخلية ، أنيس فاخوري ، على
اول آلة طباعة على الستنسل - ميموغراف . هنأه الزعيم على هذا الانتاج فثمن الآلة
كان باهظا في ذلك الزمن بالنسبة لشحة وجود المال .

تخلقنا كلنا وعلى رأسنا الزعيم حول الآلة التي اشرف على تشغيلها الطالب خليل
الجر وعمل على الطبع الرفيق معروف البغدادي وكتب المواد التي هيأتها عمدة الاذاعة
على الآلة الكاتبة عميد المالية ، مأمون اياس وتسلمت انا ، وكيل عميد المالية ، النسخ
المسحوبة المطبوعة على الستنسل ليصير توزيعها وبيعها من الفروع الحزبية .

كان المشروع ناجحاً اذاعياً ومالياً . من الوجهة الاذاعية حملت ، ماعدا كلمات
توجيهية خاصة صادرة عن الزعيم ، بعض اقوال ادباء كبار كأمين الريحاني الذي قال :
« ثلاثة لا تزول في لبنان ، جماله ، عبقرية ابنائه والحزب القومي » .

كانت النشرة - على ما اذكر - تحتوي على سبع او ثماني ورقات . اعتبر الزعيم
صدور النشرة من اهم الاعمال الحزبية الداخلية وقال عنها « انها بالنسبة للاعضاء
كالجريدة بالنسبة للمواطنين . فعسى ان يأتي دور صدور الجريدة قريباً .

لا تجتمع جماعة على غش

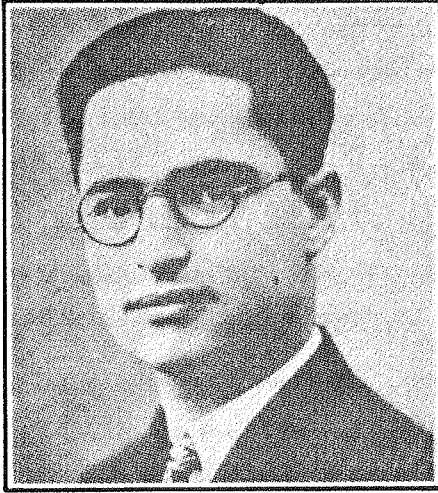
واني انقل عن « عبدالله قبرصي يتذكر » الجزء الاول ، الصفحة 179 ما يلي :

« كنت مستشار سعادة القانوني والقضائي رغم ضعف خبرتي في مطلع حياتي المهنية

المضطربة وتوزعي بين النضال الحزبي والنضال المهني والتوفيق بينهما وبين تحصيل المعاش.

ما اصعب ايامنا الاولى في الحزب! اذكرها بجمرة واعتزاز ايام الحرمان والقهر والفقير، كم رهنت ساعتى لاشترى لعائلي الصغيرة احتياجاتها اليومية. الم ابع معطفي لافي صاحب الدكان المجاورة لبيتي من آل سلطاني فاتورة الدكان المتراكمة النفقات.

ومع ذلك كنت احاول ان اظل المستشار المسموع الكلمة، وكان من توابع ومستلزمات المشورات القانونية، السعي وراء بعض المعاملات الادارية ومساعدة اركان الحركة والمحازبين في تأمين بعض الخدمات لدى مختلف الدواوين والدوائر الحكومية. لا تعد ولا تحصى مثل تلك الخدمات والمراجعات والمعاملات. وتعدادها قد يبدو من باب التمنين او.. فتح ملف التضحيات والنضال.



عبدالله قبرصي

استدعي سعادة يوما من قبل مدير الداخلية صبحي ابو النصر، كنت اعرفه سابقا. رجل ربع القامة. ميال الى القصر، احنت ظهره السنون الطويلة التي قضاه في الدولة العلية وعهد الانتداب، اعتقد انه خريج الاستانة، لان عقليته كانت بالفعل عقلية سائر موظفي الباب العالي. ليس لدي انطباع سيء عنه ولكني كنت - بسبب او دون سبب - اكره هذه النوعية من الموظفين!..

قصده مع سعادة بشأن معاملة تتعلق بالحزب. استقبلنا ببشاشة وترحاب. وقدم لنا القهوة تأدبا. بدا لي انه معجب بشخصية سعادة الا انه كان متخوفا من الحزب، ان

يكون حزبا نازيا او فاشيا، اي حزبا عميلا، قالها بلباقة لم يشعر سعادة معها بأي حرج في الاجابة، لم يكن صبحي بك متها بل متسائلا، اما جواب المعلم فكان قاطعا: لا تجتمع جماعة على غش.

لا ازال اذكر العبارة التي انطلقت كالسهم من فمه فاصابت هدفها، لم يجب المدير الا بالدعاء لنا بالتوفيق على الا نرتكب ما يخل بالامن او يسيء الى النظام.

لا تجتمع جماعة على غش وخاصة في حزبنا، الذي لا ندخله الا للعطاء في سبيل قضية. آمنّا بها، واذا بالايام على مدى ما يقارب النصف جيل تثبت انها هي الجسر الذي نعبّر عليه من القديم الى الجديد، من الركود والشلل الى الحركة والثورة، من التجزئة والتفرق والتمزق الى وحدة الروح والحياة والمصير، الى الوحدة القومية الجامعة الموحدة.

لو اننا اجتمعنا في الحزب لخصوصيات او مآرب شخصية او فئوية او لمنافع من التجزئة والتفرق والتمزق الى وحدة الروح والحياة والمصير، الى الوحدة القومية الجامعة الموحدة.

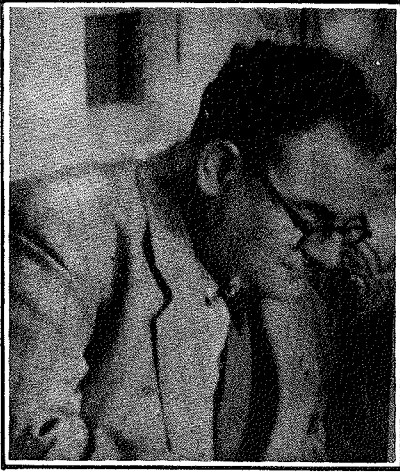
لو اننا اجتمعنا في الحزب لخصوصيات او مآرب شخصية او فئوية او لمنافع من اي نوع كان. لما كانت الايام تتكشف باستمرار على صمودنا وتسايقنا للشهادة، لو كنا اجتمعنا على غش لكان هذا الغش ظهر منذ بداية الطريق.. يوم تبين لنا ان الحزب انما هو تضحيات وفداء وتحمل وصبر ومشقة.. انه الطريق الطويل الذي لا يثبت عليه الا ابناء الحياة وطالبو الحياة والتقدم.

حقا لا تجتمع جماعة، بهذا التلاحم العجيب، والاستمرارية الدؤوب الصبور، الا حول مثل اعلى يستحق في سبيله ان يضحي الانسان لا بأرزاقه ومهنته وما يملك بل بدمه وحياته..

من التراث الحزبي

ويقول الياس جرجي:

« بمناسبة الافراج عن الزعيم من سجن الرمل اواسط سنة 1937، حضرت الى بيروت برفقة وفد من اعضاء تنفيذية طرطوس للسلام على الزعيم وتهنئته بالعودة الى حرية العمل والنضال القومي الاجتماعي بعد ذلك الاعتقال الجائر. وقد ضمنتنا السهرة في منزل رفيق من رأس بيروت مع الزعيم وعدد من الامناء والرفقاء القدامى. وكان



الياس جرجي

الحديث يدور حول تمادي السلطة الفرنسية في تشديد ملاحقة النشاط الحزبي وتحركات القوميين الاجتماعيين في كل مكان من لبنان. وتناول البحث ما كانت تقوم به من حملات صحفية مركزة ضد مبادئ الحزب وضد نظامه وشخص الزعيم بالذات. وما كانت تعتمد من اساليب لاثارة الشعب بكل فئاته ضد اهداف الحزب وغاياته «الهدامة»، مؤكدة انه يعمل على تقويض الكيان اللبناني والحاقه عنوة بسورية، اي بالجمهورية الشامية. ويتنكر ايضا للعرب والعروبة فضلا عن كونه دعوة صريحة الى الكفر والاحقاد. هو حزب عميل لايثاليا الفاشية والمانيا النازية مدعيا السعي الى تحرير البلاد من الانتداب الفرنسي بينما يخدم اغراضا استعمارية اخطر وادهى من سائر الاخطار الاستعمارية في العالم بأسره. كانت الملاحظات تفند اضطهاد الحزب من قبل الاجنبي وزبانيته من المواطنين المرتكبين والاغبياء النافعين، وكانت تتركز في ابراز توتر الاجنبي ضد انتشار الحزب وسرعة نموه في كل اوساط الشعب، وفي تخوفه من صلابه مواقفه ولحمة صفوفه المرصوفة التي تجمع جميع فئات الشعب وعناصره. وأتسع البحث في توفقه عند الجراف الاقطاعيين عامة وفريق من رجال الدين مع تيار العداء للحزب وتأييدهم لتدابير المستعمر المعادية لوجود الحزب دون وعي لمغبة هذا الضلال والتضليل ودون اي اهتمام بدراسة مبادئ الحزب واهدافه للوقوف منها، بالتالي، موقف الدارس المسؤول لا موقف الغبي التابع او المأجور المرتزق من خلال المنافع الخصوصية والاغراض الخاصة.

كان الزعيم يحلل هذه الظاهرة النائية يسجلها ذوو المنافع الخصوصية بتلاقيهم على الصعيد نفسه مع نوايا المستعمر وتصرفاته الطاغية ضد وعي الامة لشؤونها الاساسية

وقضاياها المصرية. لقد كان اصحاب النفوذ والمكانة التراكمية بمعظمهم عوناً صفيقاً لمخطط الاستعمار منذ نشوء الحزب وبدء انتشاره في صفوف الشعب. ثم اخذ الزعيم يقارن هذه الظاهرة المنحرفة باقبال الشعب على تتبع اخبار الحزب واعماله ومواقفه بشغف عميق واهتمام بالغ الجديدة والصفاء.

في تلك الاثناء اطل علينا شاب وسيم في مقتبل العمر معتدل القامة ممشوق القوام، واضح ملامح الوجه، صافي النظرات المعبرة عن ايمان وتصميم. فتوجه نحو الزعيم بخطى هادئة قوية، والقى عليه التحية القومية الاجتماعية بصوت متزن الثبرات متقد الايقاع، مما لفت اليه الانظار واتجه اليه الانتباه كأنه موفد الينا بمهمة من جهة معينة. توقف الحديث هنيهة وساد الجميع صمت من يترقب اعلان خبر ذي بال. وقد امتلأت نفسي انذاك بشوق ملح للتعرف الى الشاب وسيم المظهر والمسلك. ما كاد الرفيق يلقي التحية حتى اذن الزعيم له بالجلوس قائلاً هات ما عندك من طريف الاخبار. فارتفع في الحال صوت الرفيق فؤاد سليمان يملأ ارجاء القاعة صفاء وعزيمة صادقة ليعلن: « نحن اليوم يا حضرة الزعيم، امام تهمة طريفة جديدة، تهمة اننا حزب اولاد». ثم توقف



فؤاد سليمان

فجأة كمن يستفتي الزعيم لما يقتضي علمه ويستوجب اتخاذه من تدابير حاسمة للرد على جماعة المفترين عليهم يتعلمون كيف يحسبون لهؤلاء الاولاد حساب الرجال. ادار الزعيم نظره في وجوه من حوله من الرفقاء والامناء كأنه يستوحي من عنفوان رجولتهم ما يفحم به مزاعم المغرورين المستخفين برجالات النهضة. وخاطب الرفيق فؤاد بصوت خافت الثبرات عميق الهدوء واليقين: « نعم، يارفيق فؤاد، نحن حقا اولاد من

حيث الطهارة وقابلية النمو» .

ما ان تلفظ الزعيم بهذه العبارات حتى دوت القاعة، بضحكات الحاضرين كانها تصفيق الاعتزاز بطهارتهم القومية الاجتماعية وقابليتهم النبيلة للنمو، وراحوا يتبادلون نظرات المهنتين بعضهم بعضا بانهم حقاً وابدأ مثال الطهارة بالفكر والتعامل والاخلاق، مستمرين في النمو والتطور والانفتاح على الشعب كله ليكونوا دائماً رجالا وقدوة الرجال في ترسيخ قيم النهضة القومية الاجتماعية وفضائل الاصاله السورية، المتفوقة بطهارة العطاء وانطلاقة النمو والبناء» .

درس في المفهوم الدستوري

انتقل هذا الدرس الذي تلقيته من الزعيم في المفهوم الدستوري الاداري .

كنت ذات عصر في مركز الحزب انتظر احد المسؤولين في أمر يختص بعمدة المالية التي كان الزعيم قد عينني وكيلا لعميدها ، واذا برجل متوسط العمر يصل الدار وهو يلهث تعباً من الصعود على الدرج الى الطابق الرابع .

تقدمت منه بكل احترام ومددت له يد المعونة اسعفه في الجلوس على أحد المقاعد الموجودة في الدار لهذا الغرض . بعد فترة استراحة وجيزة تطلع فيّ وسألني «هل الاستاذ اميل خوري موجود؟» اجبته بالنفي اذ ان وقت دوامه كان قبل الظهر .

وسألته ان كنت استطيع ان اقضي حاجته بدلا . عنه فقال: «لا بالتأكيد ولكن متى حضر ارجوك ان تخبره بأني سألت عنه ، انا درويش طيارة» . وهم بالانصراف . استبقيته فقد عرفته وهو صاحب مخزن الاسهم النارية واكرمت وفادته اذ طلبت له من مقهى البناية المجاورة كوبا مبردا .

في اثناء محادثتنا علمت منه ان له ديناً على الاستاذ اميل تبلغ قيمته خمسة عشر ليرة لبنانية رصيد حساب الاسهم النارية التي اشتراها الحزب يوم خروج الزعيم من السجن . ودعني وانصرف شاكراً ، حامداً ، ووعدته اني سأبلغ الاستاذ اميل عن زيارته .

في اليوم التالي ، حضر العميد اميل الخوري وهو قد اصبح عميدا للاذاعة فسردت على مسامحة ما حدث لي مع السيد طيارة فقال لي حسناً فعلت سأراه في اول مناسبة . لكني ، انا ما اكتفيت ، بهذا الجواب فعقبت عليه قائلاً ببعض الحدة «ولكنك قبضت من عمدة المالية ثمن الاسهم النارية بكامله فلماذا لم تدفعه له كله فبقي له هذا الرصيد الذي جاء يطالب مركز الحزب به؟» .

انتفض حضرة العميد وقال « لا اسمح لك بأن توجه لي سؤالاً من هذا النوع، خل عميدك يخاطب العميد فقد تكون لدي اسباب ». جاء هذا القول زيتا على نار فأجبت بصوت عال « انا وكيله وهذا التصرف ليس تصرفاً صحيحاً كان عليك ان تدفع له المبلغ كله ».

تركي وغاب برهة مصطحباً معه رئيس مجلس العمدة نعمتة ثابت الذي طلب مني ان ارافقه الى مكتبه ففعلت. وهناك، في مكتبه، أخذ يشرح لي خطأي في مخاطبتي حضرة العميد بهذه اللهجة وانا وكيل وهو عميد، الخ... وطلب مني ان أحسم هذه المشكلة بأن اذهب الى حضرة العميد واعتذر منه. فانتفضت وقلت له ان عمله خطأ وانا اعتذر. ان هذا غير ممكن. وبعثنا حاول اقتناعي بأن المسألة تتعلق بالنظام ولا علاقة لها بالخطأ أو الصواب.

فوجئت في صباح اليوم التالي يستدعيني الزعيم الى بيت الامير ارسلان حيث كان ينزل ضيفاً، احياناً، لعدة ايام. لبيت الدعوة على الفور واذا بالزعيم يستقبلني بعبوس ويشير الي ان اتبعه الى غرفة كان قد اتخذها مكتباً له.

بدأ حديثه يشرح اهمية النظام في حركتنا وانني مؤهل لتبوء اعلى المناصب فيه ولكن بشرط ان اتحل بالانضباط وبضبط اعصابي فلا انقاد الى التوتر العاطفي فقد اكون على حق في مسألة عدم دفع المبلغ كاملاً لصاحب العلاقة ولكن الطريقة التي توسلتها كانت طريقة بعيدة كل البعد عن النظامية.

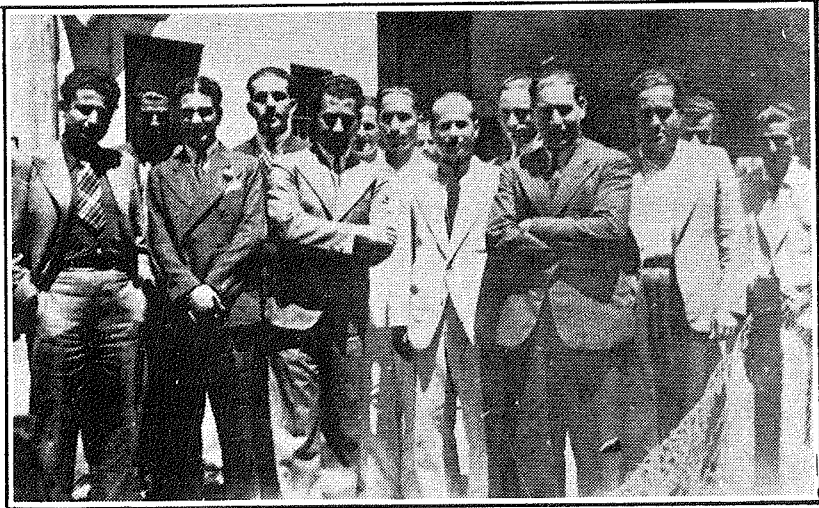
وراح يعطيني الامثلة على هذه المخالفة وكيف يجب معالجتها بفضيلة الاعتراف بالغلط وانه من الضروري بل من الواجب اخذ عبرة من كل ما يحدث معنا من اخطاء او اغلاط او امور في غير موضعها اما عن قصد او عن غير قصد وبالنهاية بعد شرح دام اكثر من نصف ساعة طلب مني ان اذهب الى مكتب حضرة العميد واقدم اعتذاري.

الحقيقة التي اعترف بها، دون خجل او دون اية موارد هي انني كنت اسمع ما يقول ولكنني ما كنت استوعب لاني ما كنت اريد الاقرار بالغلط ولذلك عندما طلب مني تقديم اعتذاري كدت اثور. ماثرت ولكن ما هضمت الاعتذار وكنت جريئاً او بالاحرى غير لائق حتى استعمل لفظة « فظاً » عندما رفضت مع اقتناعي الذي صرحت له به عما شرحة عن النظام ولكن تصرف حضرة العميد كان تصرفاً سيئاً بنظري.

عاد الى الشرح من جديد وبصبر بالغ في طول الاناة ان سوء التصرف لا يعود الى تقييمه بل لسلطة اعلى كمجلس العمدة مثلاً او الزعيم. وقد استفاض ما يقرب من النصف ساعة في محاولته افهامي هذا التسلسل المركزي في الوظائف واخيراً ابرز لي مرسوما يقضي بكف يدي عن ممارسة مسؤوليتي كوكيل عميد المالية الى ان اعتذر. وانه قد اعد هذا المرسوم لتبليغي اياه بالتسلسل ولكن عاد فترث وقرر ان يستدعيني علي اغنيه عنه والآن فقد شرح ما فيه الكفاية وعلي ان اقرر اما تنفيذ المرسوم او الاستغناء عنه.

وعدته ان اغنيه عنه فسر بموقفي ولكنني اعترف، الآن، اني ضمرت خطة عمل في نفسي، فذهبت الى المركز ودخلت مكتب رئيس مجلس العمدة وبلغته استعدادي للاعتذار ودلفنا معا الى مكتب حضرة العميد واعتذرت له ولكن كيف؟ قلت له « اني اقدم اعتذاري، يا حضرة العميد، بناء على طلب الزعيم ». اي انه لو لم يطلب مني الزعيم ذلك لما قمت به وهذه هي خطة العمل التي ضمرتها. اني اعترف، الآن، بسخافتها وكم كانت الانانية متغلغلة في نفسي...

هذه قصة الاسهم النارية التي تحولت الى قصة ضعف فهم النظام الحزبي ولعملية سبر غور متانة الفضائل المناقبية التي يجب ان يتحلى بها القومي الاجتماعي وبصورة اخص، المسؤول القومي الاجتماعي. انها كانت لي درسا وعبرة واني ارويهما للدرس وللعبرة.



وفد دمشق في عين زحلنا: من الشمال الى اليمين، مأمون اياس، نعمة ثابت، خلفه معروف صعب، الزعيم ثم رفقاء

من دمشق

ماتم ميشال زكّور

في 21 حزيران 1932 اغتالت يد المنون ميشال زكور وقد مر بنا ذكر عن موافقه الايجابية من الزعيم ومن الحزب ولذلك قرر الزعيم اشراك الحزب في جنازته وفيما يلي وصف لهذا الاشتراك .

قرر الزعيم اشراك الحزب في جنازة ميشال زكور . كانت تقام الطقوس الدينية في كنيسة مار جرجس المارونية، شارع الامير بشير . كان تقرر ان يكون مكان تجمع الاعضاء امام مركز الحزب، شارع المعرض .

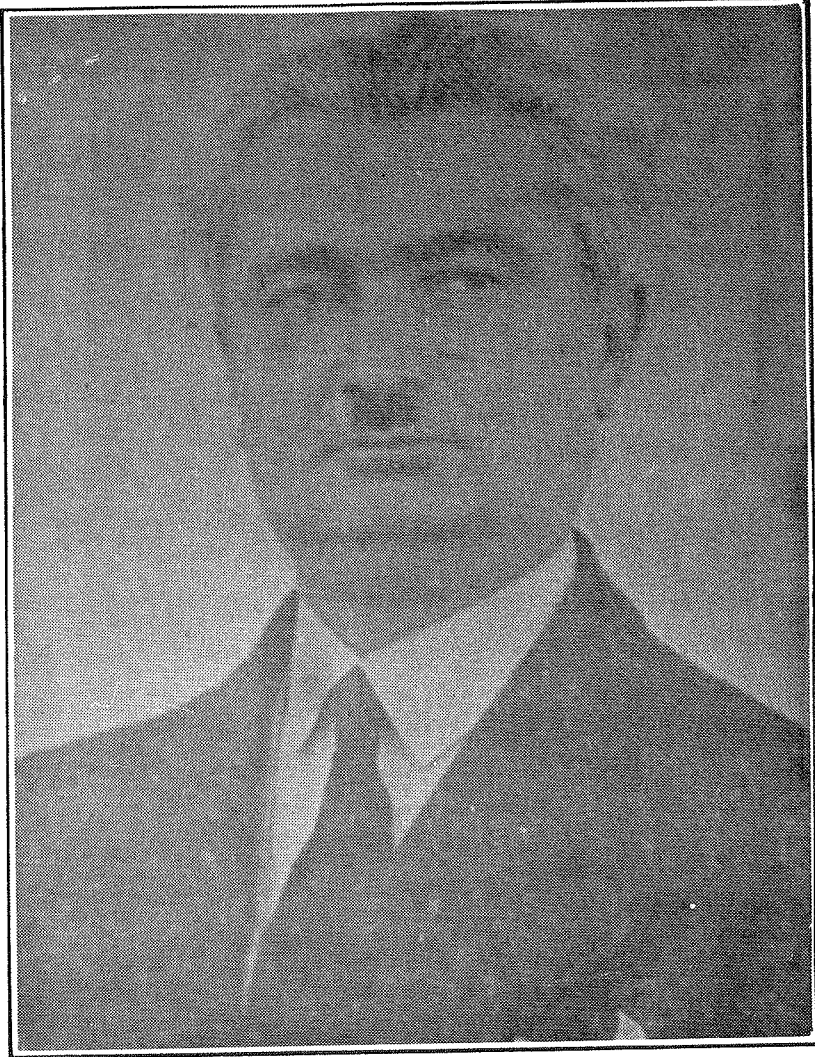
ورد خبر للزعيم ان الكتائب اللبنانية تنوي الاشتراك وهي محتشدة امام الكنيسة لتمشي خلف موكب الرجال الرسميين مباشرة وعلى هذا الاساس سيأتي موكبنا خلفهم او خلف من يأتي خلفهم . هذا يعني اننا لن نكون في الطليعة، ونحن نعتبر اننا لنا في ميشال زكور اكثر من اية فئة اخرى . الم يصدر عدداً خاصاً بالحزب من مجلته « المعرض » رغم الانتداب عدا عن علاقته الشخصية بالزعيم فيما بعد . فما العمل ؟

ارسل الزعيم في طلبي وأسر في أذني الخبر . وطلب مني ضرورة القيام بعمل سريع يخطط اولوية الفلانج ويضعنا نحن في المقدمة بعد الرسميين، تماماً . وانه، هو بالذات، سيتخذ مركزاً له في محترف المصور ثابت، جنب سينما روكسي وينتظر هناك نتيجة تدبيري وقد اعطى تعليماته للمسؤولين للتقيد باوامري .

وضعني الزعيم في موقف لا احسد عليه البتة . لكنه اثار فيّ روحية الانتكال على النفس والثقة منها ورحت ادرس خطة انفذ بواسطتها من شارع المعرض الى أول طريق الشام قرب المصور ثابت . وجدت الطريق خالية طول شارع المعرض صعوداً الى شارع سورية وان الطريق، ايضاً، خالية خلف العازارية وبالتالي اصبح امام الروكسي

ونحن آتون من الجهة المعاكسة، اي من الخلف.

ما ابطأت واصدرت امري الى الصفوف بالتحرك على هذه الطريق دون ان اعلن تفاصيل السير الا لقائد القطعة الاولى. سارت الصفوف بنظام بديع استرعى الانتباه وما ان وصلت الى مصليبة التياترو الكبير حتى تصدت لنا فرقة سير حكومية تريد منعنا من اكمال سيرنا. اتصلت برئيسها وأعلنت له هويتنا الحزبية واننا ذاهبون الى الطرف الاخر فلا دخل لنا في الموكب الرسمي المحتشد مع الفلانج امام الكنيسة



ميشال زكور

فاقتنع وسمح لنا. وهكذا بعد مضي رده يسير من الزمن كانت الجموع القومية الاجتماعية امام الروكسي وما ان وصلنا حتى بادرت الى ابلاغ الزعيم بوصولنا.

سر الزعيم كثيرا بوصولنا وارسل يخبرني انه ينتظر اشارة مني للنزول والتحرك على رأس القوميين الاجتماعيين للاشتراك في الجنازة وشدد أن لا انسى اننا يجب ان نكون نحن في الطليعة لا الفلانج.

هنا برزت العقدة صعبة الحل فنحن مصطفون صنفين على طول رصيفين والجنازة ستمر بيننا فكيف لنا ان نمنع الفلانج من العبور؟ جمعت قادة القطاعات استشيرهم فجاءني احدهم بفكرة سد الطريق وانه هو مستعد ان يكون وسط الطريق يسدها امامهم. كان هذا القائد، الرفيق جورج شقير، من الشويقات لكنه من سكان جونية ومدير أيضا وله مع الفلانج، في كل يوم تقريبا، مواقع ووقائع، فهو لذلك، يعرفهم جيدا وهو خبير بأموهم وشؤونهم. أكبرت فيه الحمية ولكني ما استحسننت الفكرة لجهة وقوفه وحده وسط الطريق يسدها.

راح الوقت يمر والاخبار تأتي بأن الصلاة انتهت وان الموكب الرسمي بدأ يتحرك. يا الهي! ما العمل؟ رأيتني، بديها، اعطى الاوامر بأن يتماسك القوميون الاجتماعيون متشابكين بالايدي وان يتأهبوا بانتظار الاشارة وعينت الرفيق نهاد حنا معاونا للرفيق جورج شقير طويل القامة مثله وجرأته حاضرة مثله ايضا.



نهاد ملحم حنا

بيننا والقوميون الاجتماعيون يتماسكون بالايدي لمعت في رأسي فكرة. نتخلص بكل بساطة بأن يبدأ القوميون الاجتماعيون بالسير خلف الموكب الرسمي توا، فيسدون

الطريق بالتقاء الاتي من الرصيف الايمن بالاتي من الرصيف الايسر وهكذا يسرون صفوفاً اربعة اربعة ينضم اليهم رفاقؤهم ويجرس هذا الالتقاء عند اخر موكب الرجال الرسميين، الطويلان جورج شقير ونهاد حنا، يقفان وسط الطريق يسدانها على الفلانج فلا تستطيع التقدم. وهكذا كان.

بدأت الصفوف تكرر وتتنظم فوجاً يليه فوج فتشكل حاجزاً بشريا ضخماً بين الرسميين والقادمين خلفنا. وكنت في هذه الاثناء قد اعطيت الاشارة للزعيم للنزول وما ان وصل حتى اخذ مركزه على رأس الصفوف فأبتسم ابتسامة الرضى وسار في الطليعة. رافقته قليلاً حتى اطلعت على الكيفية التي تمت بها العملية ثم عدت الى جورج شقير ونهاد حنا لأشرف على حسن قيامها بمهمتها. وبقيت في ذهاب واياب الى ان اطمأنت نفسي الى نجاح الخطة.

لاحظت ان الزعيم يسير وحده والقوميون خلفه على مسافة قليلة فاقتربت من بعضهم ونظمتهم مربعا كبيرا احتوى الزعيم ضمنه فصرت مطمئنا على سلامته.

بعد ان انتهى الموكب، الرسمي عرجت هذه الجموع من القوميين الاجتماعيين الى باحة منزل نعمة ثابت في الغبيرة وهناك من على الشرفه ابن الزعيم ميشال زكور واهم ما اذكره « كان ميشال زكور يؤمن بالتقدم والتطور. كان يؤمن ان الشعوب لا يمكن ان توضع في قوالب تمنع نموها كما توضع القوالب الحديدية في اقدام الصينيات.

(اما التابن الذي ارتجله الزعيم في هذه المناسبة فهو منشور في الجزء الثالث من الآثار الكاملة وقد نشر في حينه في «الجمهورية» بتاريخ 28 حزيران 1937).

قصة صلاح لبكي

جاء في حيثيات قرار الطرد الصادر بحق صلاح لبكي ما يلي! « بعد الاعتقال الثالث واقتراب الانتخابات النيابية اخذ صلاح لبكي يبذل مساعي انتخابية لنفسه على اساس ان الزعيم كان قد قال له ان بعد درس الموقف وفي حالة تقرير دخول الانتخابات فهو احد الاشخاص الذي ينظر في وضعهم في اللائحة.

ولما اخذ يشيع ان صلاح لبكي « نزل في الانتخابات اعلن الحزب في الجرائد ان كل اشاعة تقول ان الحزب السوري القومي قد رشح اعضاء منه للانتخابات ولا تكون مستندة الى بلاغ من مرجع رسمي لا تكون صحيحة.

رأى صلاح لبكي في هذا الاعلان ما يقضي على مساوماته الانتخابية فاعلن انه ينسحب من الحزب لانه لم يعد يطبق السلطة المحصورة في الزعيم والتي كان يطلب ابقاءها وتحويلها اليه نفسه حين كان الزعيم في السجن».

اما نص اعلان الحزب المذكور « فهو صادر عن عمدة الاذاعة وهو: « تسري في هذا الفترة عدة اشاعات مفادها ان الحزب السوري القومي قد قرر ترشيح بعض اعضائه للانتخابات النيابية وان بعض هؤلاء الاعضاء قد رشحوا انفسهم بصورة شخصية لهذه الانتخابات وتجاه هذه الاشاعات يعلن الحزب السوري القومي ان موقفه الصريح يتعين في بلاغ رسمي يذاع في حينه. ولذلك فلا صحة مطلقا لما شاع عن موقف الحزب وعن ترشيح بعض اعضائه وكل خبر لا يستند الى بلاغ رسمي يفتقر الى اثبات ولا يجوز الاعتداد به». في 24 حزيران 1937 عمدة الاذاعة..

وفي 29 حزيران 1937 ارسل صلاح لبكي الى الزعيم؟ الرسالة التالي نصها:
« حضرة الاستاذ انطون سعاده المحترم.

تحيات وبعد، فان الاستئثار في تقرير سياسة الحزب العامة والخاصة واحاطة هذه السياسة بالكتمان والغموض، تجعل التعاون امراً مستحيلاً ولا يترك للاعضاء مجالاً لغير العمل الالي. ثم ان هذا الشكل الاستثنائي المركزي الضيق الذي استفحل امره بعد نكبة الحزب الاخيرة لا يتسع لكثر من عمل دماغ واحد وهو يقضي بالنتيجة على كل تفكير وعلى كل نشاط غير عضلي. فانا تجاه هذه الحقائق، اراني مضطراً ان ابلغكم انسحابي من الحزب داعياً لكم بالتوفيق والعافية».

صلاح لبكي

مقال « الزوبعة » العدد 64

من دائرة الانشاء: تصدر في بيروت، منذ سنة 1936، مجلة تحمل اسم « الجمهور » صاحبها ميشال ابي شهلا، الذي كان قديماً شريكاً للمرحوم ميشال زكور في مجلة « المعرض »، وهي الآن، اي الجمهور، مجلة تخدم الدعاوات الاجنبية بغير تحفظ فتخصص اعداداً لخدمة الدقولين الذين لهم ظل في بلادنا وأعداداً اخرى لخدمة المرامي التركية الطامعة في ارضنا التي اتفقت مع فرنسا، وبأعضاء « الكتلة الوطنية »، وانتزعت من بلادنا بقعة من أغنى بقاعها ومن اعظمها مستقبلاً، نعني الاسكندرونة. وهكذا دواليك.

صاحب « الجمهور » حاول ان يمشي مع جميع الاعمال الماشية بدون تمييز بين مبدأ ومبدأ وبين غاية وغاية فتظاهر بالتلبس مدة، ثم لما ظهرت معنويات الحزب السوري القومي الاجتماعي المخروط في سلك هذا الحزب، بينما الزعيم في سجنه الاول، ثم قبل هو وبرلماني عتيق معروف هو الشيخ يوسف الخازن وأحد ابناء عائلة الصلح المدعو تقي الدين وغيرهم دعوة ايتالية واسبانية لزيارة ايطالية واسبانية ومراكش من غير أخذ رأى مراجع الحزب. وعاد مع الجميع الا الشيخ الخازن الذي بقي في رومة ليجدد علاقات قديمة للعائلة الخازنية في خدمة المصالح الايتالية كما في خدمة المصالح الفرنسية.

وكان المطرود من الحزب السوري القومي الاجتماعي المحامي صلاح اللبكي ابن المرحوم نعوم اللبكي يتردد قبل طرده من الحزب على ادارة « الجمهور » ويعاون في الكتابة والتحرير فيه.

وصلاح لبكي انضم الى الحزب سنة 1935 ودعي ليكون في اللجنة المركزية

الاولى التي تشكلت تحت اشراف عميد الاذاعة الاول الاستاذ المحامي عبد الله قبرصي، ثم بعد حل اللجنة المذكورة أعطي صلاح اللبكي وظيفة ثانوية في عمدة الداخلية. فلم يكن له شأن لا في اللجنة المذكورة ولا في الوظيفة. وهذه الحقيقة اعترف صلاح اللبكي امام قاضي المحكمة المختلطة، بصوت خافت، متهدج، قائلاً:

« ان الزعيم حل اللجنة، لأنها لم تكن لها فاعلية وفي الوظيفة التي كنت احملها لم أنل من الزعيم غير اللوم والتقريع». ثم تقدم للدفاع عنه المحامي الاستاذ شارل عمون صاحب جريدة « لوجور» التي تصدر في بيروت بالفرنسية، فسرّد تاريخ أبيه نعوم اللبكي في السياسة اللبنانية وأمانته لخطط الانتداب وتأييده الانفصال اللبناني، وأظهر انه لا يحمل مسؤوليات باعترافه انه لم يكن من الرجال الاساسيين في الحركة الجديدة ولا من العاملين الغيورين وأنه، لذلك، يستحق عطف القضاء الخ.

ولكن ما كاد يذيع دفاع الزعيم في المحكمة ويحدث ذلك التيار الكهربائي الذي اجتاح البلاد من اقصاها الى اقصاها، ويتبدى تحرك ألوف الشباب في مختلف الجهات نحو طلب الانضمام الى الحزب السوري القومي الاجتماعي، حتى رأى صلاح لبكي ان من المناسب الاهتمام بالقضية. فأخذ يتدخل اكثر في الامور ويظهر غير معتادة على الاعمال. ولاشك في انه رجل ذكي ومثقف. فرشحه بعض الرجال المركزيين لنيابة الزعامة اثناء وجود الزعيم في السجن وعرضت هذه الفكرة على الزعيم في اثناء سير المحاكمة التي استغرقت ثلاثة ايام. فقبل الزعيم هذه الفكرة، لعدة اسباب: أولاً، لدفع الشبهة عن العاملين الاساسيين امثال الرئيس الامين نعمة ثابت والامين مأمون أياس. ثانياً، ليعطي صلاح اللبكي فرصة جديدة لأظهار معدنه. ثالثاً، لأن المدة ليست كبيرة. رابعاً، لأن الزعيم امن الاتصال من السجن بالأدارة المركزية بحيث يمكنه وضع حد لنيابة الزعامة عند اول باذرة خلل او خيانة.

ان الدور الذي حاول صلاح لبكي ان يلعبه منذ ذلك الحين وهو دور طويل لا مجال له الآن. بالاختصار انفضح سلام اللبكي انفضاحاً كلياً حين اخذ يجعل مطامعه الانتخابية، التي كان يجد فيها مصالحه الرئيسية، فوق الاخلاص لعقيدة الحزب ونظامه. فأحضره الزعيم مرة امام مجلس العمدة وأوضح له سوء سلوكه الذي لا يتفق مع الروح القومية وما يمكن ان ينتج عنه من الأضرار وامره بالتوقف عن الاعمال والحركات الانتخابية التي كان قائماً بها ومساوماً فيها على قوة الحزب، التي كان يدعي ويشيع انه يستند اليها. فأبدى اللبكي الازعان وأضمر الاستمرار واستمر فعلاً.

فأصدر المكتب السياسي في الحزب بلاغه بعدم وجود مرشحين رسميين له وبعدم صحة بعض الاشاعات عن وجود مرشحين للحزب لم يعلنهم الحزب. كان بلاغ مكتب الزعيم السياسي ضربة قاضية على آمال صلاح اللبكي وعلى عبثه بنظام الحزب ومعنوياته فجاهر بخروجه على النظام، مستندا الى وعود « الكتلة الدستورية » او حزب المعارضة اللبنانية الذي يرأسه الشيخ بشارة الخوري. فأصدر الحزب مرسوما بطرده مبنيا على مداولات واقتراحات مجلس العمدة فطرد وأذيع طرده.

وكان بعد ذلك ان الفرنسيين وفقوا بين حزب اميل اده وخير الدين الاحدب وحزب بشارة الخوري وجماعته امثال سليم تقلا وحيد فرنجية وشارل عمون. فأسقط حزب بشارة الخوري صلاح اللبكي من قائمة مرشحيه، فأصبح صلاح لبكي لامع الحزب السوري القومي الاجتماعي ولا مع « الكتلة الدستورية » ولا مع احد.

اهتم بعد سقوطه لاستعادة بعض المنزلة بالضرب على وتر « العروبة » في خطاب ألقاه في مدرسة طرابلس فقال الناس: أيمن تصديق هذا التملق المفضوح؟

ويعود صلاح لبكي الآن الى الغيرة على لبنان فيبرهن ان طرد الحزب السوري القومي الاجتماعي له كان بحق لأنه لم يكن من رجال العقيدة اي انه كان بلا مبدأ.

الحزب .. وصلاح لبكي:

وفي الجزء الاول من « عبدالله قبرصي يتذكر » ورد عن قصة صلاح لبكي ما يلي وذلك في الصفحة 210 :

« لقد ذكرت في حلقة سابقة كيف ادخلت صلاح لبكي الى صفوف الحزب وكيف وصل فيه الى اعلى المراتب من رئيس اللجنة التنفيذية سنة 1936 الى عميد للاذاعة الى رئيس للمكتب السياسي او لعضويته سنة 1937 .. واذكر الآن نقلا عن المأسوف عليه كاظم الصلح في عدد النهار الممتاز لسنة 1975 صفحة 67 كيف انه حضر مؤتمر الوحدة السورية مع مأمون اياس وفوزي البردويل في دار ابو علي سلام وقال بانه يتكلم باسم خمسة عشر الف شاب يطالبون بهذه الوحدة. كما اذكر كيف انه بحضوري قال لكيفر في سجن سعاده الثاني: انه اذا ثبت ان الحزب على علاقة بايطاليا او المانيا فنحن لا نمشي.

هنا علي ان اطرح السؤال بصراحة واجيب عليه بصراحة: هل آمن صلاح لبكي ايمانا مطلقا بالعقيدة السورية القومية؟

جوابي ان ايمانه لم يكن ايمانا رسوليا ، لم يكن ايمانا من النوع الذي يدفع بصاحبه الى التضحية العظمى في سبيله ، كان ايمانا شعريا ، نوعا من الايمان المرجح ، نوعا من الايمان السياسي اذا جاز مثل هذا التعبير .

وينهض هنا سؤال : لماذا دخل اذن الحزب ؟

بعد مرور حوالي الاثني واربعين سنة على دخوله ، يمكنني من جمع مختلف المقدمات ان اصل الى النتيجة التالية : الذي اقنع صلاحا - وكان قد اشتهر كشاعر وكمحام - هو بالدرجة الاولى الفنان يوسف الخويك الذي كان بدوره متأثرا بايطاليا والذي آمن بالزعيم كقائد ملهم ، كما كان متحررا من العقدة المارونية المتزمتة ، بل اكثر من ذلك كان على مذهب جبران خليل جبران رفيقه في باريس سنة 1909 في وحدة سوريا الطبيعية ، (راجع كتاب الادبية اديك شيوب عن جبران والخويك في باريس) .

تفاسس فطرده الحزب :

وكانت صداقتي وزمالتني لصلاح الدافع الاخير له الى الانتماء الذي تم على يدي .

هل في انتفاء صلاح البعض من الانتهازية ؟ لا ابرؤه من هذا السير الانتهازي ، الا انني انصافا له ، لا يسعني الا الجزم بأنه تحمل باعصاب هادئة السجن الذي زاره من بعدي ، كما تحمل باعصاب هادئة المشكلات التي كان يواجهها في العمل السياسي والاداري ككنايب للزعيم او عميد للاذاعة كما انه يكتب ويخطب قريبا جدا من ادب النهضة كما نفهمه ونعيه وان يكن ليس الادب الذي نطمح اليه .

الى هذا اضيف ، ان صلاح لبكي كان زميلا في الدراسة لحميد فرنجية في مدرسة عينطورة ومعهد الحقوق ، وكانت الصداقة بينها قد بلغت درجة الاخوة .. وكان حميد فرنجية من كتلة بشارة الخوري . ولا مجال للنكران ان صلاحا كان متأثرا وهو داخل الحزب ، بالسياسة « الخورية » المخاصمة حتى العدا للسياسة « الادية » (اميل اده) .

ان ميل الحزب للكتلة الادية - خير الدين الاحدب - في انتخابات 1937 اربك صلاحا الذي كان يحاول جر سعادته الى موقعه السياسي عوضا عن التقيد بتعليماته وتوجيهاته . هذا فضلا عن ان حياة صلاح الخاصة لم تكن مهياة لاحتمال المراجعات والمضايقات والملاحقات والسجون . كان صلاح يحب الكأس ، كما يحب السهر ، والطاولة الخضراء وان تكن عائلية كما كان يحب الشعر والادب والفن ، كما كانت له علاقاته « ومجتمعه » واترا به واصدقاؤه واكثرهم بعد حادثة بكفيا كشفوا عن عدائهم للنهضة القومية .

كل هذه العوامل مجتمعة - الى جانب الضغط الخفي من انصار الام الخنون وفرسانها - اثرت في تصرفات صلاح وسلوكه. فاضطررنا لاستدعائه الى جلسة مجلس العمدة برئاسة سعاده في مبنى شارع المعرض، لاستجوابه ومحاكمته فجاءنا الجواب بانسحابه من الحزب لاسباب ذكرها ولكني لا اتذكرها ..

في تلك الجلسة تم اتخاذ القرار بطرده من صفوفنا. لو ان محضر الجلسة تلك لا يزال موجودا لقرأ الناس اني كنت الوحيد الذي استمهل ريثما يتم الاتصال بالمتهم، لأنني كنت بالفعل اضمن بقيمة ادبية كصلاح لبكي، تترك صفوفنا بهذه السرعة ودون استجواب ومحكمة ودفاع، او على الاقل دون معالجة لوضعه النفسي، الزعيم والعمدة كانوا على ما يبدو مقتنعين قناعة كلية ان صلاحا بلغ نقطة اللا رجوع في الخروج على الحزب وعقيدته وسياسته. واصبح عضوا اشل.

كزميل لي لم استطع الا البقاء على علاقة حسنة به، وكان باستمرار وحتى وفاته سنة 1956 يكرر علي: لو سمعتم مني لكنتم اليوم في الحكم. كان يريد حصر نشاطنا في الاطار اللبناني.. كما يريدنا اليوم كل الذين لا يزالون يظنون ان الوحدة السورية القومية حلم من احلام التاريخ، كما هي حلم من احلام المستقبل. بالنسبة لنا، نعتقد ان المستحيلات كانت احلاما فصارت حقائق، فكيف بوحدة طبيعية؟ فالطبيعي والمنطقي والعملي ان تتوحد لا ان تتجزأ بفعل الارادات الاجنبية والحزبيات الدينية والمطامع الخصوصية لمن لهم مطامع في الكيانية والتجزئة.

وذكرت واكرر ان صلاحا في آخر حياته عاد للتقرب، منّا - على الاقل في الشأن العقدي، فقد لقيته مع الاستاذ هاني البيطار - احد كبار محامي الشام لنتقنه بتولي الدفاع عن الامينة الاولى في محاولة لاعفائها من المدة الباقية لها من العقوبة التي كانت تقضيها في سجن القلعة في دمشق، اقتنع وتحرك ولكنه لم يستطع اكمال المهمة اذ فاجأ قلبه بانهيار كان نهايته المحتومة. »

عبر الحدود

في المكسيك

في 28 حزيران 1937 اقامت تنفيذية المكسيك العامة حفلة ادبية بمناسبة خروج حضرة الزعيم من السجن. افتتح الاحتفال بقطعة موسيقية من الرفيقين الكسي وويكتور مبيض وغناء الرفيق عبدالدائم نحاس ثم غنت ابنة الرفيق خليل طعمه، الطفلة ورده. كان لغنائها وقع طيب بين كل الحاضرين.

كان الهدف من احياء الحفلات او الرحلات او الزوايات ما عدا الدعاية للحزب وتعريفه للمواطنين والاجانب، جمع اكبر كمية من المال لمساعدة المركز اولا ومساعدة منكوبي فلسطين ثانيا.

واجب تجاه المكسيك

عندما امم الرئيس السابق General Lazaro Cardenas شركة البترول، قياما بالواجب تجاه البلد المضيف، اجتمعت هيئة التنفيذية ودرست الامر وتقرر مساعدة الحكومة مساعدة رمزية ولذلك تعين وفد وجمع ما يقارب خمسين الف ريال وذهب الى القصر الجمهوري وقدم باسم تنفيذية المكسيك للحزب السوري القومي الاجتماعي حوالة بالقيمة رأسا لفخامة الرئيس فكان لهذه البادرة احسن الوقع، ليس لقيمتها المادية وحسب بل لقيمتها المعنوية.

شكر فخامة الرئيس الوفد وبعدئذ ارسل للمنفذية رسالة شكر لا تزال محفوظة في ملفات المنفذية.

اول بيان لمكتب عبر الحدود

وجدت هذه النسخة من هذا البيان الخاص لمكتب عبر الحدود المؤرخ في ٢ يوليو (تموز) 1937 في ملفات تنفيذية المكسيك عند الرفيق توفيق الاشقر انشره لمضمونه

اولا وللذكرى والتاريخ ثانيا. وهو موقع باسم انور عصام وهو اسم مستعار.

بيان الى عموم السوريين القوميين عبر الحدود

قررت حكومة دمشق المنبثقة عن الكتلة الوطنية، ارسال وفد من قبلها الى المهاجر لجمع المال لمشروع الطيران في الجيش السوري. ولترغيب المهاجرين وخصوصا اصحاب رؤوس المال منهم للعودة الى الوطن ولانشاء المشاريع العمرانية في البلاد. ولما كان السوريون المغتربون يجهلون حقيقة الهيئات السياسية في البلاد، ولما كان على الادارة المركزية للحزب السوري القومي ان توضح ذلك وان تعين للسوريين القوميين في المهاجر الموقف الذي يجب عليهم اتخاذه تجاه هذه المناورات، توضيح:

ان الكتلة الوطنية هيئة سياسية يعمل فيها عدد محدود من شخصيات ذات نفوذ موروث عن العهد الاقطاعي وهذه الهيئة هي ابعد ما تكون عن النظام ولبس فيها اي ضمان على اعمال الافراد كما انها لا تقيد نفسها بأي برنامج اصلاحي. انه اثناء الحوادث السياسية التي مرت بالبلاد والتي اعطت للامة امكانيات عظيمة كان من الممكن استثمارها لمصلحة القضية القومية برهنت الكتلة على عقم اساليبها وعلى عدم استطاعتها القيام بمسؤوليات الحكم في هذا العهد الانشائي، وكان من نتيجة هذا الفشل ان احست الكتلة بضعف نفوذها في الاوساط الشعبية وقد اصبح للشعب دليل من مبادئ النهضة يقاضي بموجبه الهيئات المسؤولة فأخذت الكتلة تستعمل سلطة الحكم بمناوأة النهضة القومية الممثلة عمل الاصلاح. ولذلك وجدت النهضة القومية الممثلة في الحزب السوري القومي ان التعاون مع هذه الطبقة الاستشارية غير ممكن، واذا كانت سلطة الحزب المركزية قد ايدت موقف الكتلة فقد كان ذلك في ظروف سياسية انترناسيونية على امل ان يؤول ذلك الى اكتساب ابعاد حد ممكن من النجاح للقضية، وقد كان اختيار الحزب بعد هذه المحاولات انه من العبث نجاح اية قضية تعالجها الكتلة باساليبها العقيمة. فقد مد الحزب السوري القومي لها يد التعاون قبل عقد المعاهدة الاخيرة وكان يفهم من الجانب الفرنسي استعداد لوضع العمل على اسس اوسع مما كان عليه قبلا ولكن الكتلة لم تقدر هذه الامكانيات حق قدرها ولم تستطع ان تفهم التطورات العظيمة التي اوجدتها النهضة السورية القومية فراحت الكتلة تعقد معاهدة بعيدة عن التأثير بهذه التطورات. وجاءت قضية الاسكندرون وليدة المعاهدة واحس الحزب السوري القومي مرة ثانية بضرورة تأييد الرجال المسؤولين مهما كان

شأنهم حرصاً على قضية البلاد وهنا أيضاً وجدنا عجزاً فاضحاً في أساليبهم وفي نظامهم واعتماداً معيباً على قوى لا يمكن لها أن تجد في قضية الحدود السورية قضية موت أمة وحياتها كما يجد السوريون، فبينما كان السوريون القوميون مستعدين للسير بالالوف إلى حدود البلاد إذا دعا واجب الدفاع، رأينا رجال الجيل المتقهقر يتركون قضايا البلاد وينصرفون للكيد لهذه النهضة خوفاً على مراكزهم ورأيانهم يقفون من القضية موقفاً شائناً معيباً ينال من شرف الأمة الذي اشترته بدماء زكية غالية.

وليس فشل الكتلة في الناحية الاجتماعية والاقتصادية باقل منه في الناحية السياسية فالكتلة لم تعمل شيئاً في سبيل تنظيم العقائد وإيضاح المبدأ القومي ولذلك كانت طبقات الشعب الواقع تحت سيطرتها عرضة لأن تتغلغل فيه المبادئ الفوضوية الهدامة والشيوعية المقلقة ولسنا ندرى أي ضمان تقدمه هذه الهيئة النخرة لإقامة نظام قومي راقٍ في سورية يجذب المهاجر السوري إلى وطن هو منه وله وما كان ليهجره لولا العقم في نظامه الحالي. إنه من الواضح تماماً أن إنشاء هذا النظام الذي يرذده كل سوري مهاجر لا يمكن أن يتم إلا بالقضاء على جميع هذه الهيئات التي تحول قوة الشعب عن اتجاه صحيح يضمن للشعب الرفاهية والرقى وبانتصار مبادئ النهضة السورية القومية انتصاراً تاماً.

وهناك وجهة نظر أخرى تمنع على النهضة السورية القومية التعاون مع الكتلة وذلك سياستها المحلية الضيقة التي بدأت تتمشى عليها مثل مطالبتها بطرابلس بدل الإسكندرون مما هو بعيد جداً عن النظرة القومية كما يفهمها السوريون القوميون. هذا عن مؤسسة الكتلة بوجه العموم ولا بأس من العود قليلاً إلى بحث الأشخاص الذين سيتشكل منهم الوفد وهما السيد فخري البارودي والسيد فؤاد مفرج.

أما السيد فخري البارودي فهو شخص لا نظامي وليس يعرف له اتجاه في الشؤون السياسية والاجتماعية لأنه عديم التوازن ولأنه ضعيف الثقافة لا يفقه طبيعة الأمور التي دخل بها ومع ما تعرف به الكتلة من الفوضى وفقد النظام فقد كان البارودي لا يتقيد حتى بانظمتها الواهية. لذلك يرى مركز الحزب السوري القومي أنه ليس هناك أي ضمان على أن الأموال التي يجمعها هذا الرجل ستنفق في سبيل مصلحة القضية العامة ولكن جميع الدلائل وجميع تصرفات هذا الرجل وأعوانه تدل على أن كل فلس يقبض سيكون عقبه جديدة في سبيل النهضة القومية الإصلاحية.

السيد فؤاد مفرج: هو مثال لروح الاستثمار السياسي والتقلب في المبادئ فهو على

حادثة سنة قد اشترك في جميع احزاب البلاد المعروفة وخانها جميعها حتى انتمى الى الكتلة الوطنية.

ان السيد فؤاد مفرج قد اخذ على نفسه قسم الحزب السوري القومي ظهورا بالحزب واصبح عضوا نظاميا فيه غير ان تلونه السياسي وعدم ثباته وانقلابه على الحركة القومية في اشد محناتها مما لا يتفق مطلقا مع المبادئ الانسانية الشريفة فضلا عن الروح العالية المعروفة في الحزب وقد كان ذلك داعيا لفصله من العضوية.

لذلك فان مركز الحزب السوري القومي يحظر على جميع اعضائه التعاون مع هيئة هذا الوفد ويدعوهم الى مقاطعة وعرقلة اعماله حرصا على المجهودات المخلصة من ان تتحول الى غير سبيلها المضمون.

ولتحي سورية وليحي الزعيم
رئيس مكتب عبر الحدود
انور عصام

معلومات عامة

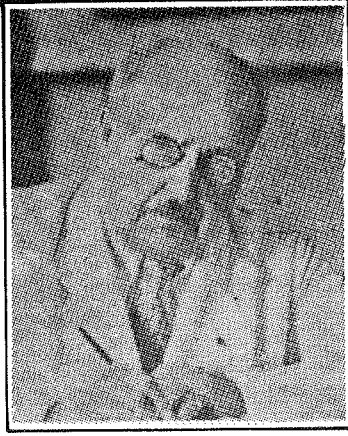
في 4 تموز، عقدت فرنسا وتركيا معاهدة صداقة اتفق فيه الطرفان المعاهدان على تعزيز العناصر التركية في الاسكندرون، في 12 تموز نشر الزعيم مقاله التاريخي تحت عنوان «شق الطريق لتحيا سورية» وذلك في مجلة «الجمهورية». في 14 تموز قام الزعيم يرافقه رئيس مجلس العمدة نعمة ثابت بزيارة تهنئة الى المفوضية الفرنسية، وفيما يلي حكايتها:

من ضمن سياسة التقارب قرر الزعيم ان يقدم التهاني باسمه وباسم الحزب الى المفوضية الفرنسية بمناسبة حلول عيد الحرية في 14 تموز. اصطحب معه نعمة ثابت وعند رجوعها رويانا لنا الوقائع. كان الزعيم منشرح الصدر، منفرج الاسارير.

وصلا الى قاعة الاستقبال. دلفا اليها بين دهشة الحاضرين وتعجبهم. فسرت همهمة بينهم «انطون سعادة، انطون سعادة» كان الكونت دي مرتيل، المفوض السامي منشغلا ببعض المهنيين فما ان انتهى منهم حتى كان الزعيم قد اقترب منه فرآه. قرأ الزعيم سماء الغبطة والمفاجأة على محياه. ماتمالك في البقاء واقفا مكانه بل تقدم خطوة واحدة اذ عند الخطوة الثانية كانا قد تلاقيا وتصافحا بجرارة واهتمام.

قال دي مرتيل: «فوهرر Fuhrer يعني ليدر. Leader». فقاطعه الزعيم بلطف وأدب وقال «فوهرر، ليدر، يعني في العربية «زعيم». فاستأنف دي مرتيل: «Bon جيد زعيم، الى أين تريد ان تقودنا؟» فأجابه «الى احسن النوايا لمصلحة بلادي ومصلحة بلادكم». فابتسم دي مرتيل ورحب بالنوايا الحسنة المتبادلة.

واخذ هذا الحوار البسيط القصير وقتنا اكثر من الوقت الاعتيادي للتهنئة ولقبولها



الكونت دي مرتيل

بما اثار فضول الحاضرين واندعاشهم، اذ لم تكن من عادة المفوض السامي اعطاء كل هذا الاهتمام لاية شخصية وطنية وبصورة خاصة في مناسبة رسمية من هذا النوع، لا مجال فيها للاخذ والرد .

سّرّ الزعيم كثيرا من هذه المناسبة ونتائجها الظاهرة واعتبرها بادرة تبشر بازدياد فرص نجاح سياسة التقارب التي انتهجها .

وفي هذا التاريخ بالذات رفع المذكرة التاريخية الى العصبة الاممية والامم المتحدة جوابا على البعثة الملكية البريطانية التي عرفت ببعثه اللورد بيل ولكنها لم تنشر الا في تاريخ 2 آب .

وقد قال بصدها في خطاب اول اذار 1938 ما يلي: « في هذه الفترة السلمية الاخيرة تمكن الحزب السوري القومي الاجتماعي من لم شعته واستعادة الشيء الكثير من معنوياته . وتمكنت من الاهتمام بقضية فلسطين فوضعت مذكرة عجلى رفعتها الى الجمعية الاممية رداً على تقرير البعثة الملكية البريطانية . وكان لهذه المذكرة الشأن الذي تعرفونه في الدفاع عن حقوقنا القومية في الجنوب وتسديد الافكار الى المسائل الاساسية في قضيتنا الجنوبية .»

- تمّ لقاء في صوفر مع جميل مردم لك كان له اثره الطيب .

الجنوب السوري

لعل اروع ماكتبه الزعيم بصدد المسألة الفلسطينية هذه المذكرة بصدد بعثة اللورد بيل التي جاءت الى المنطقة لتدرس وتحقق، فمثل امامها الكثير الكثير من

الشخصيات السياسية من رجال دين ودنيا .

رأى الزعيم ان يقدم مذكرة، الى عصبة الامم والامم المتعدنة يضمونها وجهة نظر الحزب بموضوع تقرير البعثة المذكورة وعكف على انجاز ذلك. راحت الايام تنقضي وانا اخالها طويلة لا تنتهي .

في صباح احد الايام قال لي: « اقرأ واطبع منها عدد كذا... من النسخ. اخذت المذكورة وتاملتها. انها قصيرة فوجف قلبي ثم اخذت اقرأها ولكن كلما انتقلت من سطر الى سطر او من مقطع الى مقطع يزداد اعجابي بمضمونها ولم يعد قصرها - بنظري - ذا بال .

اهم ما استرعى انتباهي قوله، كأنه يتنبأ، اولاً: ان موقف الصهاينة يستهدف انشاء دولة لهم في فلسطين. ثانياً: ان الصهاينة سيعمدون الى طرد ابناء البلاد من الاراضي الخصبه الى الاراضي القاحلة .

طبعت النسخ المطلوبة وجئت بها اليه في اليوم التالي. قال: « جيداً ». سترسل هذه النسخ الى ممثلي الدول المعتمدين في بيروت والى عصبة الامم » .

قلت له: « حضرة الزعيم! ما هذا الاستشراق؟ أليس سابقاً لاوانه؟ ». اجاب: « قد يطول الزمن في نظرك. انما التاريخ يسجل الوقائع فانه لا يلتفت الى المدى الزمني، طال او قصر » .

ومن يوميات عبد المسيح، الجزء الثاني، الصفحة 21، انقل هذا المقطع :

« وانجر ساستنا مرة اخرى للرد على تقرير لجنة اللورد بيل التي كانت توصيتها الطعنة الاخيرة بعد طعنة تصريح بلفور، على نفس الصعيد الذي ارادته هي. وقبلوا بان يقارنوا بين حق اليهود المزعوم في بلادنا وحقنا نحن فيها. وكان يبدو في ردود ساستنا انهم يحسبون المسألة الفلسطينية مسألة مستقلة لشعب جار في موطن مجاور .

وفي القسم الثاني من هذا الشهر قام بزيارة سرية للحاج امين الحسيني وهذه هي قصتها .

لجأ مفتي فلسطين، الحاج امين الحسيني، الى الجمهورية اللبنانية وقبله الانتداب الفرنسي بهذه الصفة. كان الانتداب سيستقبله، على كل حال، لان الفرنسيين كانوا يقومون بكل النكايات ضد الانقليز ولعكس بالعكس .

بقي مدة تحت الحراسة المشددة الى ان استقر به المقام، اخيرا، في منزل الدكتور سامح فاخوري يتمتع فيه بجزية نسبية. في هذا المنزل ترتبت زيارة سرية للزعيم يقابل فيها المفتي.

ليس هنا المجال للكشف عن كيفية اتمام هذه الزيارة وانما المهم فيها هو الانطباع الذي خرج به الزعيم من هذه الزيارة فقد ظل يردد لعدة ايام وفي اية مناسبة سنحت، التعبير الاتي « العلم عند الله ! العلم عند الله ! ».

قصة هذا القول تتلخص بملخص بملخص البحث الذي دار - بالطبع - حول المطامع الصهيونية وأهدافها والثورات الفلسطينية العديدة التي قامت وتقوم وحصيلتها التي تأتي سلبية، باهظة التكاليف في الارواح والممتلكات، وموقف السلطة البريطانية وجيشها، هذا الموقف المتحيز الواضح للعيان.

سأله الزعيم في النهاية « والان، ياساحة المفتي! ما العمل؟ ما هو المخطط الذي رسمتموه للوضع في فلسطين؟ » جاء الجواب « العلم عند الله، العلم عند الله ». لم ينبس الزعيم ببنت شفة فالكسوت كان اجدى.

أما الذبول التي تركتها هذه الزيارة فقد كانت تعزيز نظرية الزعيم بافلاس اولئك الزعماء وعدم اهليتهم للقيادة فكيف يكون هذا الانسان مسؤولا عن شعب وعن مصير وعن ارواح وعن وطن والمخطط كله هو الاتكال على الغيب، هو الهرب من الواقع الراهن الذي يتطلب دراسة - حتى لانقول - دراسات ومشاورات لوضع خطة تدعمها سياسة واضحة الاهداف ثم يأتي دور الله في المباركة والتوفيق. لم يقل - على الاقل - اننا ندرس الاوضاع. قال: « العلم عند الله ».

على المائدة

واختم هذه الحلقة بهذه القطعة للدلالة على الروح الفياضة التي كان يغمرنا بها الزعيم بحثي في المجالات الخاصة.

كانت المائدة تحوي أنواع المأكولات مما لذ وطاب. حصلت في بيت الامير امين بدعوة منه ومن زوجته الرفيقة حرية شمنك. كنا ما يقرب من العشر مدعوين: جمال ناصيف، مأمون أياس، أنيس فاخوري، قاسم حاطوم، سميحة شمنك، وغيرهم.

كنت في احدى الغرف اعطي درسا لاحدى الرفيقات في كيفية العزف على الكمنجة فتأخرنا قليلا عن الالتحاق بالمدعوين الى المائدة مما جعل الزعيم عند وصولنا

يستقبلنا بقوله « جبران ورفيقته بيتعدو كمنجة » فضحك الجميع للنكتة .

وفي اثناء تناول الطعام تحدث الزعيم عن الهيئة الاجتماعية الواحدة . تعرض احد الحاضرين لموضوع الزواج المختلط بين مختلف الطوائف مما اثار نقاشا كاد يطول ، حسمه الزعيم بتحييده ولكن على شرط أن يأتي بشكل عفوي طبيعي .

ثم انتقل الحديث الى الاحزاب التي تقلد حزبنا فكانت هدفا لتعليقات كثيرة ، الساخرة منها والمستهدفة مما حدا بالزعيم ان يرسل النكتة التالية : كان أحد الكهنة يعلم الاولاد الاحرف المهجائية وكان من الذين لا يلفظون حرف القاف بل يقولونها « آف » فكان عندما يصل الى هذا الحرف يقول « اسمعوا ، يا اولادي ، اولو آف ولا تؤولوا متلي » فكان الاولاد لجهلهم كيفية لفظه القاف يرددون وراءه ببغايا « اولو آف ولا تؤولوا متلي » . هكذا أولئك المقلدون يقولون « آف ولا تؤولوا متلي » .

وانتقد البعض العادات الاجتماعية والتقاليد المتبعة وبعض العبارات المتداولة منها مثلا « العين لا تلعو فوق الحاجب » . فعلق عليها الزعيم « بلي ، العين تلعو فوق الحاجب ، اذا الانبان وقف على رأسه تصبح العين فوق الحاجب » . فضحكنا .

وكان مسك الختام جدل اثاره الامير أمين عن الحدود الجغرافية ولماذا لم يسم الزعيم « جزيرة بن عمر » على نهر دجلة ، من جملة التسهيات في الحدود الطبيعية اما انا فاني اعترف اني سمعت بهذه الجزيرة للمرة الاولى وسررت بالشرح الذي قدمه لنا الزعيم بهذا الصدد .

كان الامير أمين قد اثنى على نشاطي الحزبي امام الزعيم في هذه المناسبة . كان الحديث قد تناول عملنا خلال الفترة الاخيرة ولكن الجدير بالذكر ان الزعيم لم يكن ليفهم من المقصود بهذا الثناء لانه كان يردد الاسم « جيم ، جيم ، جيم » وعندما لاحظت ذلك قدمت له التفسير وهو ان الامير كان يقرأ بعض التعاميم المالية التي كنت أرسلها الى الفروع الحزبية وكنت أوقعها بثلاث جيمات فسألني مرة « ماذا تقصد بهذه الجيمات الثلاث ؟ » فأجبت « انها تمثل اسمي » جبران ، اول جيم ، جرجس ، الجيم الثانية وجريج للجيم الثالثة » . ومنذ تاريخه اصبح اسمي عنده « جيم ، جيم ، جيم » .

كان الجو مرحا . اكلنا وشربنا وما شعرنا بوطأة وجود « الزعيم » بيننا بل كان تصرفه معنا بمنتهى التواضع و« الخوش بوش » . كان كأنه واحد منا . كانت تصرفات ، من هذا النوع ، تبدر منه ، بهذه العفوية ، تزيد من منزلته في نفوسنا وتقربه أكثر فأكثر الى قلوبنا .

المرأة في التأسيس:

وجاء في « عبدالله قبرصي يتذكر »، الجزء الاول، الصفحة 180، عن المرأة:

« كنت مرة في شارع المكحول سنة 1935 وكنت عميدا للاذاعة ودعيت لاقوم بعملية ادخال مواطن مع مواطنتين الى صفوف الحزب، انهيت قسم الرفيق الجديد، واقبلت اطرح الاسئلة على الرفيقتين قبل اداء القسم. ترددت قليلا، هل يقسم الرجل والمرأة نفس القسم؟. هل مسؤولية الرفيق ومسؤولية الرفيقة من قياس واحد؟ ترددت وانا من ضيعة كورانية محافظة (دده - الكورة) فأوقفت الاجتماع ورحت اسارع الخطى نحو « كوخ الزعيم » في رأس بيروت. وجدته وعرضت عليه المشكلة فقال بهدوء ما معناه:

« ان القسم وضع للحزب، لكل طالب انتماء امرأة كانت او رجلا، المساواة بين الجنسين مطلقة. لا فرق عندنا في الحقوق والواجبات بين الذكر والانثى ».

ورجعت اشرح الامر للآنستين - اللتين لا اذكر اسمهما مع الاسف - فأقسمتا فرحتين ان لا فرق في الحزب بين الرجل والمرأة.

ادخلت الآنستين اذن وصارتا رفيقتين، عضوين في الحزب، الا انني ظللت اتساءل كيف يمكن ان تحمل المرأة السلاح، ان تنفذ الاوامر الصعبة والمهام المستحيلة كما ينفذها الرجال؟ ولكن في الميدان اخترت ان الزعيم كان على حق وان نصف البشرية لا يمكن ان يهتم بالمطبخ وترتيب المنزل وانجاب الاولاد فقط؟!

وكم كنت اغتبط طوال نضالي الحزبي. عندما اشاهد رفيقات يتطوعن للقيام بمسؤوليات اساسية. كم فرحت عندما نالت نجلا معتوق حداد رتبة الامانة ومثلها جمال ناصيف؟.

ومنذ اللحظات الاولى لانتمائي الحزبي كان هناك وجوه للمرأة تبرز في العمل الحزبي بنفخر وتواضع وتستر، ابرز هذه الوجوه في عهد التأسيس الاول كان وجه اعفيفة حداد وكلودا تابت.

اعفيفة حداد التي شاهدها آخر مرة منذ ثلاثة عشر عاما في ديترويت ولها ولد ارتني صورته كولونيلا في الجيش الاميركي، هذه الشابة ككل افراد العائلة، شاركت مشاركة فعالة في عملية التأسيس. والدها في المطعم وهي في المنزل، واخواها بين المنزل

والمطعم، كانوا كلهم حركة دائمة، يعملون لانفسهم، لكسب الاود وحفظ الكرامة، ويعملون ما استطاعوا في سبيل الحزب. كما كان مطعم آل الحداد في شارع بلس مصيدة. كان المنزل ايضا مصيدة، كانوا يؤجرون غرفا مفروشة، يشغل احداها سعادة نفسه، ثم جئت انا وطالب صيدلة من الموصل نحل محله، ومن تلك الغرفة خرجت وانا سوري قومي كما خرج الطالب الصيدي سوريا قوميا. كان احدنا اذا افلت من فؤاد (توفي منذ عامين او ثلاثة) يعلق بيوسف او بعفيفة، ولكن المعلم كان العين الساهرة التي متى وضعت يدها على اي مرشح، يفلت من هذه اليد المباركة بصعوبة قصوى!..

يكفي في ذلك العهد السري، ان تتجراً امرأة شابة على اداء قسمنا الحزبي الرهيب! وان تتدرب على القيام بالمهمات الدقيقة على اكمل وجه، ان تحمل الرسائل والاشارات السرية والتعليمات، وان تمر بين آلاف الاعين والاذان وتخرج سالمة غائمة!..

يكفي مثلاً لنذكر عفيفة حداد بالخير، انها كانت في السجن الاول، تحمل الزاد الى حبس الرمل سنة 1935 دون ان تنهار اعصابها او تتراجع، يكفي انها نفذت بدقة تستدعي الاعجاب موجبات القسم والزاماته. فما عصت امرا ولا فضحت سرا ولا تخلت عن رفيق في حاجة تستطيع سدها!..

« بعد خروج سعادة من السجن، سنة 1936 ورغم اننا كنا قد اعددنا له منزلاً، تعرف بواسطة نعمة ثابت الى السيدة وداد ناصيف وكان بيتها في محلة الصنائع، صار هذا البيت مركزاً سورياً نلجأ اليه لعقد الاجتماعات السياسية واللقاءات الاذاعية، وعندما القي القبض على سعادة كما سنشرح في 9 اذار 1937 بعد حادثة بكفيا كانت وداد ناصيف - الشجاعة - ترافقه في السيارة لتساعده على اتقاء مؤامرات الانتداب والسلطات اللبنانية. في دارها كما ذكرت سابقاً اجتمعنا بالاستاذ حميد فرنجية وصلاح لبكي وجورج حكيم وتداولنا في انشاء المجلس الاعلى وصلاحياته، ومن منزلها انطلقت مع عبد الحكيم مراد - المحامي الذي كان عميداً للاذاعة في فترة من الفترات لمقابلة السيد كيفر. تلك المقابلة التي ذكرها سعادة في احدى مقالاته في الزوبعة في الارجتين.

لقد تحملت السيدة وداد - وكانت طريجة الفراش اكثر الاوقات - ازعاجات جواسيس السلطة حتى مغادرة سعادة الوطن.

والمير امين ارسلان وزوجته حرية ساعدانا في المرحلة العصبية التي كنا نجتازها بين منتصف 1936 حتى سفر سعادة الى المغربيات. كان المير امين من فرسان السياسة، وله

تاريخ حافل بالمواقف الوطنية الجريئة. واذا كان لم يدخل الحزب، فقد دخلته عقيلته وشقيقتها ونشطنا نشاطا يذكر بالخير.

في تلك الدار الكريمة كنا نعقد حلقات اذاعية ولقاءات سياسية على مستويات متفاوتة، من شعبية الى ثقافية الى دولية.

جمال ناصيف ووالدتها كانتا - خاصة الصبية الحلوة جمال - من المشتركات في تأسيس الفرع النسائي في الحزب والعاملات على انمائته وانتشاره. ولا استبعد ان يكون سعادة قد عنانا عندما قال « قد تدرك المرأة بقلبها ما لا يدركه الرجل بعقله ».

كانت سلمى صائغ شهيرة في لبنان ومصر كأديبة متحررة تطالب بحماس وايمان بحرية المرأة وحقوقها، دخلت الحزب مع الشاعر صلاح لبكي زوج ابنتها عائدة وخرجت منه بخروجها. كان المهندس جورج حداد يستعين بها في بعض المهام عندما تسلم منفذية بيروت، وكان منزلها ومنزل صلاح ملتقى رجال الادب والفن. في منزل صلاح التقى سعادة بالفنان الشهير يوسف الخويك رفيق جبران خليل جبران في باريس، والنحات المتفوق. واني لا انسى سماعي من فم سلمى صائغ عبارة قالتها للزعيم، على اثر زيارة قام بها المير خالد شهاب له في دارها: « يا زعيم انك مصور في نص قلبي ».

ان ما رويته من اسماء لا يشكل الا جزءاً من سجل المناضلات السوريات القوميات. لان عددهم غير محصور من جهة. ولان زوجة كل عضو او امه او اخته، كانت مساندة له في نضاله وجهاده. والجنديات المجهولات في الحزب كثيرات في كل المناطق. في عهد التأسيس وبعده، انني اعتقد ان اعتقال سعادة واعتقال اعوانه معه وزجهم في السجن سنة 1935 كان يمكن ان يتسبب بانهباء شامل. لو لم تقف وراء سعادة واعوانه المرأة السورية القومية اما او زوجة او اختا او خطيبة او عروسا او قريبة. فتشجعه. وتحمل له الزاد والعزاء. وتطل عليه كل اسبوع بالابتسام والالهام، وتبدو وكأنها فخورة باعتقاله، بل كان انكشاف الحزب هو دليل غافية شعبنا وامتنا وانتفاضتها ضد الاستعباد والمظالم.

ان الجنديات المجهولات هن بلا ريب في كل حي وقرية ودسكرة من سورية الطبيعية، فيها سوريون قوميون.»

زِيَارَةُ طَرَابِلُسَ - الكُورَةُ

والآن فالي زيارة طرابلس - الكورة التي صنفها الزعيم ايضا في الايام الحزبية التاريخية اذ يقول في بيانه الى القوميين الاجتماعيين المرسل من الارجنتين في آب 1939 مايلي: لقد اساء الناس فهمكم... وهو ما حملني على القول في يوم طرابلس - الكورة: « اننا قد انتصرنا بالصبر والاحتمال، ولكننا نقدر حين لا ينفع الصبر على الانتصار بوسائل اخرى » (خطابات الزعيم في الكورة جمعت في خطاب واحد منشور في الآثار الكاملة الجزء الثالث) في 25 تموز 1937

وهذا وصف هذه الزيارة التاريخية بالتفصيل^١. كان الاستقبال الاول في منطقة القويطع التابعة للكورة. وصل الموكب الى « كفرحاتا » وعند وصوله استقبله وفد من المواطنين على رأسهم الاستاذ جرجس سليم الذي القى كلمة رحب بها بالزعيم وصحبه ثم اتبعها بأبيات من الشعر.

كان البرنامج يقضي بتناول طعام الغداء في كفرحاتا فتم ذلك في منزل الرفيق جرجس الشويري وفي اثناء المأدبة القى الرفيق علي شلق قصيدة عامرة من عيون الشعر، قوطعت مراراً بالتصفيق الحاد. وهذا نصها:

العَلَمُ

« مدد ظلالك واخفق أيها العلم	لك المدى والعلما بالمجد ينتظم
هذي الاماني على جنبيك زركشة	والخافقات خيوط فيك تنسجم
فابعث لظي ثورة حرّ جواحها	شعواء تنخض من بركانه الأمم
الحق بالثورة الحمراء ترفدها	باليقظة البكر أفكاراً فتحتمد

من رام نيل الاماني وهو مندفع
ومن رأى النوب الشمطاء حاكرة
فلا تثبطه الاحداث والنقم
فليس من صرخة المخبول يهنزم»

الزعم

« إن كنت يا غرب قد غرتك غفلتنا
فان يقظتنا نار يؤججها
ونستلهم الوحي من ماضي أوائلنا
حيناً من الدهر لم تُسمع لنا كلم
من عالم الخلد صوتٍ وهجه الشمم
ونبتني للعلی ما ليس ينهدم

★ ★ ★

لكل عصر نبيّ هزّ همته
يستمطر الوحي من صافي طبيعته
بد الحياة تلوت فوق هامته
روح الحياة، وروى نفسه الالم
ويمسح القدس جنبه فيضطرّم
وشعلة الحق في عطفه ترتزم

هو الذي باتت الاجيال ترقبه
حتى اطلت بنات الفجر تحمله
ورھط جبريل يحدو عند مطلعته
رنا اليه فؤاد الشرق مغتبطا
والشعب في سكرة، والبطل مزدحم
والخور من حوله بالنور تلتئم
وزغردت «سوريا» فاهتزت الهمم
والنيل ضج رحاباً وانتشى الهرم

★ ★ ★

أنطون حبك إيمان ومعقّد
سعادة الوطن المحبوب ترفعها
فسرّ وحطم سدود الوهم وابن لنا
فالجيل خلفك بّنيان بوحدته
دع الطوائف تشقى تحت رايتها
الدين عندي أخلاق شائلها
والنفي في الحق لو يدرون معبدنا
ونور وجهك كالأحلام مبتسم
بغيض عزمك حصنا ليس ينثم
مجد الخلول، وركنا ليس ينحطم
قلوبه علّم ما بعده علّم
ومن ذوبها فقد أودي بنا السأم
يفوح من نبلها الاحسان والكرم
والسجن عندي بيت الله والحرم

★ ★ ★

دوى بساحتنا صوت الحياة فلا
لييك با ابنة «هنيسال» نحن لها
ان الشباب براكين مزججة
تشدت امواجها لا الريح تطفئها
جّين، وصاحت بنات الشطّ: أين هم؟
أسدّ بغير دروع المجد ما التأموا
تطال صدر السما من وقدها الحمم
ولا الفقاقيع بالانواء ترتطم

روح الشباب نداء الله ينشرها على الوجود وتُسجلى بها الظلم

★ ★ ★

سرنا مع الدهر احقابا نصرّفه ومجدنا فوق ما يهفوله الخُلمُ
ثملي على الزمن العاتي ارادتنا كأنها قدرٌ يجري به القلم
والبحر حوض على شطيه أعمدة من الجبابر ما ناموا، وما سُموا

★ ★ ★

خلّ الأولى قسّموا آباءنا شيعاً بالوهم، والبغي، والتضليل واقتسموا
تطاحنوا والسهوات العلى صُورٌ وحبلهم واهن، بالذل منقصم

★ ★ ★

يا قائداً برسالات الهدى طفحت أنوارها لوجود ما به عدمٌ
ازحفٌ، ووحدٌ، ومجدٌ أمةٌ وقفت على انتظارٍ، وموج البؤس يلتطم
حتى أطلت على الاشباح أشرعةً «عوليس» يحدو، و«هنيبال» يعتزم
وصاح من أعمق التاريخ صوتاً إباً هاكم لواء العلى والمجد فاستلموا

★ ★ ★

عند العصر اكمل الموكب سيره الى «بتعبوره» وفي الطريق عرف احدهم الزعيم
على دركيين كانا في عداد فرقة ارسلت للمحافظة على الامن واتبع التعريف بقوله
«انها قوميان» فابتسم لهما الزعيم ابتسامة رضى ولكن تفرس بالمعرف ثم بي كأنه يريد
ان يقول «لماذا يفضح انتسابها؟».

عند حدود «كفرحاتا - بتعبوره» في منقطة «الروس» ترجل الزعيم من السيارة
واعتلى صهوة جواد احضر خصيصاً لهذه الغاية فدخل «بتعبوره» فارساً من الفرسان
الاشداء بسمرتة الناعمة وعينيه النافذتين الى ان وصل الى دار الرفيق جورج الياس
صعب ومن على شرفة السام المطلة على فسحة من الارض،لقى كلمة استهلها بقوله
«ايها القوميون الاجتماعيون! ترون حولكم رجالاً يمثلون السلطة، مكلفين بالمحافظة
على الامن. ممن يريدون المحافظة على الامن؟ نحن لسنا اعداء لهذا الكيان وامنه
وللدلالة على ذلك اطلب منكم ان ننشد المقطع الاول من النشيد الوطني».

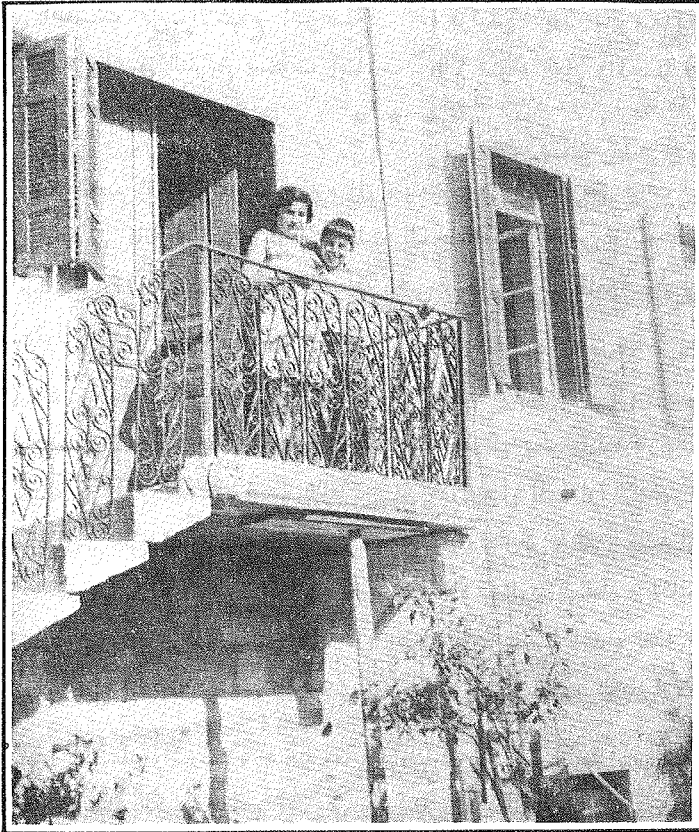
بدا بالانشاد واشتركتنا، جميعنا معه، «كلنا للوطن». وعندما انتهى من القاء كلمته
انبرى الاستاذ الكبير ابراهيم الخوزي وهو المريض، انذاك، انبرى من شباك منزل
المختار اسكندر نصار بوجه للزعيم كلمة اودع فيها كل ما عنده من محبة وغيره



هولاندا بربر صعب



جورج الياس صعب



الشرفة التي خطب منها الزعيم

وحماس نحوه ونحو القضية التي يمثلها ويعبر عنها منوها بجهود ابناء من هذه القرية، بتعبورة، بالذات، ساهموا في الاعمال الوطنية وان في المغتربات الاميركية.

ارتاح قليلا ثم غادر المنطقة الى طرابلس فكان له اول استقبال بعد القويطع في انفه على الطريق العام فترجل من السيارة ورد التحية للمستقبلين وصافحهم والقي احدهم كلمة ترحاب ثم استأنفنا السير الى القلمون حيث كانت الجموع قد احتشدت في المقهى الملاصق للطريق العام وعلى الطريق نفسها. وقف الزعيم خلف طاولة في المقهى والقي كلمة رائعة وبعد ان اديرت المرطبات اكملنا سيرنا الى طرابلس تسبقنا وتواكبنا دراجات بخارية يرفرف على مقدماتها راية الزوبعة الحمراء الى ان وصلنا الى منزل المنفذ العام مصطفى المقدم حيث القي الزعيم في المجتمعين كلمة مسهبة حول العقيدة والاطار المحدقة بامتنا وعن مناقبتنا وصراعنا.

وعند البحصاص وبناء على موعد كنت قد رتبته مسبقا، التقى الزعيم بالدكتور شاعر حكيم. احد اصدقائنا واحد الوجوه المحلية البارزة. اراد بهذا الملتقى التعرف الى الزعيم عن كثب وبعيدا عن اضواء الاجتماعات والاستقبالات.

تناول طعام العشاء على مائدة نجلا معتوق حداد في جو عابق بالعاطفة القومية الاجتماعية يملأ الارحاء وبات ليلته في منزلها. في اليوم التالي قام بزيارة لكبير الشيوخ العلامة محمد الجسر ثم قبل ان يقوم بزيارة اخرى لراشد المقدم لاغراض سياسية محلية: قبل بعد تردد ونقاش طويل.

استأنف الرحلة الرعائية، فكانت الزيارة الاولى لبيرومين، قريتي حيث اجتمع القوميون الاجتماعيون من منطقة «القلم» ولدى وصوله الى دده استقبلته كوكبة من الفرسان على الخيول يقودها الرفيق الامير احمد علي خالد الايوي شاهرا سيفه، يذرع الطريق ذهابا وايابا.

كان الاجتماع في بيرومين قرب البيادر، خلف بيت الياس الخوري نجار. فوقف الزعيم يخاطب المجتمعين من على شرفة البيت المطلة على المكان. اجاب في كلمته على اشاعة روجها بعض الشيوعيين مفادها، ان الزعيم سيتخلف عن الحضور بسبب تهديدهم له بفظائم الامور فيما اذا قرر الزيارة وختمها بقوله المأثور المشهور «لو اردنا ان نهرب من النجاح فلا مفر لنا منه».

استراح قليلا في البيت وفي الوقت كانت نكات والد الياس تضمني على الجو مسحة

من المرح والسرور، ثم انتقلنا الى تناول طعام الغداء في منزل الرفيق انور القطرير ترافقه ادعية النساء بالتوفيق والنجاح وعلى طول طرقات الضيعة ترش الصبايا موكبه بماء الزهر والرياحين والسكان يحيطونه بالزغاريد والتهنئات. بينما نحن نتناول الغداء قمت والقيت كلمة ترحيبية بالزعيم وبالخضور معلنا احدى المعجائب التي اجترحتها النهضة القومية الاجتماعية في هذه المنطقة بالذات.

كان بين ضيعتنا وبتورتيج مقاطعة حياتية بسبب حادث دموي جرى منذ عدة سنين قتل على اثره اثنان من وجوه قريتنا، أحدهما والد صاحب البيت وجرح ثالث وهو والد الياس. ومع ان الروح القومية الاجتماعية دخلت وانتشرت في بتورتيج لكنها لم تضع حدا لهذه المقاطعة الحياتية خلال السنتين او الثلاث سنوات الماضية. انما الان وبوجود الزعيم وبمناسبة هذه الزيارة وهذا الاجتماع فقد اثار هذه المقاطعة فحضر القوميون الاجتماعيون من ابناء بتورتيج لأول مرة بعد هذه الحقبة من الزمن، الى بيترومين وها هم الان يتناولون الطعام على مائدة اقيمت في دار احدى ضحايا ذلك الحادث المشؤوم.

غادرنا الضيعة كما دخلناها بالادعية والزغاريد والتهنئات ورش العطور الطيبة من القمام الملامى بها. غادرناها الى قلحات مروراً ببيع حيث توقف قليلا عند البيادر امام منزل فؤاد سليمان.

* * *

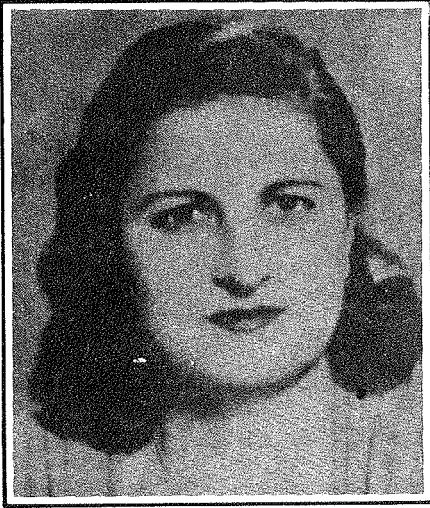
لم تكن الطريق معبدة بين بترومين وبيع كما هي اليوم بل كانت تعرج باتجاه «دده» ثم الى بيع فرغب الزعيم في ان يسير على الطريق العادية المباشرة مشياً على الاقدام وارسل السيارة تدور وحدها الدورة البعيدة.

افتدى به الرفقاء فاقفرت السيارات من ركبها وانطلق الجميع يصعدون درب «العقبة» (وهي درب صخرية تتجه من الوادي صعدا الى الطريق العام).

حاول الرفقاء اللحاق به ولكن مها غدوا بالسير تبقى المسافة هي هي حتى ان الرفيق جورج رزوق - «عفصديق» - ود ان يكشف تأثير المشي على الزعيم، اذ لا بد انه - وفي رأيه - من ان يظهر على وجهه بعض الكد من الجهد فلم يكتم تعجبه عندما راه في آخر الطلعة نشيطا يتطلع الى الرفقاء المرافقين بابتسامته الشهيرة وهم يلهثون لا تعباً من المشي بل تعباً من السرعة التي حاولوها من اجل تقصير المسافة بينهم وبينه. كان رياضياً ممتازاً».

وعند بيادر قلمحات تقدمت فتاة صغيرة من الزعم حاملة له باقة من الزهور فتناولها منها والبشر يطفح على وجهه الوسيم والقى في القوميين الاجتماعيين واهالي الضيعة كلمة يعبر فيها عن اغتباطه بهذه الروحية العامرة التي كان يثق بوجودها حتى لو لم يرها بأمر عينيه ويحسها بقلبه الخافق في محبة هذا الوطن ومحبة هذا الشعب. وقد تكررت مظاهر الزغاريد والهناتفات والادعية والرث حيثما مر واني اتجه.

استراح في « فيع » وبات ليلته فيها وقبل ظهر اليوم التالي مر بعفصديق « حيث زار الاميرة بلقيس الايوي التي كان لها موقف مشهود في سراي اميون يوم تظاهر



بلقيس الايوي

القوميون الاجتماعيون امامها سنة 1936 يطالبون بالافراج عن الزعيم او باعتقالهم اسوة به لانهم متساوون في الجرم وكان من نتيجة تلك الوفود المتظاهرة ان اصطدم وفد اميون بالدرك فأوقف بعضهم فذهب وفد من الفتيات على راسه الرفيقة بلقيس يطالب السلطة بالافراج عنهم وفد حيتهم في اثناء مرورها امامهم وراء قضبان الحديد المطلة على الباحة. حيتهم وكلمتهم في اثناء مغادرتها المكان. حيتهم بالتحية الرسمية وقد رفعت النقاب فاشفر وجهها الطافح بالحياة.

وعلى سبيل التفككة اورد واقعة حدثت عند قوس النصر الذي انتصب بافتخار وعز عند الطريق الرئيسية في القرية، يتسقبل الزعيم المار بها.

حامت بومة حول القوس وغطت عليه واطلقت عدة صيحات مما جعل الحاضرين يشعرون بالتشاؤم الذي يرافق اعادة وجود هذا الطير وسماع نغابته وفي مناسبة فرحة مثل هذه.

انبرى للبومة الرفيق جرجي الزامر بمسدس كان يحمله وبالرغم من المسافة التي لا تتفق مع قدرة الاداة للوصول فقد قام الرفيق المذكور بالمحاولة فاطلق الرصاص

منه .



جورج الزامر

اصاب الرصاص مقتلاً وخرت البومة صريعة على الارض مما اثلج الصدور فانقلب التشاؤم تفاؤلاً فسرت همهمة بين الحضور « هذا دليل النصر الاكيد » .

بعد عفضديق ذهب الى « بصرما » حيث كان عدد من القوميين الاجتماعيين محتشدين مع الاهالي وقد القى المدير خطبة بديعة الانشاء ومما قاله ان القوميين الاجتماعيين نعاج طيبة ، مسالمون ، لا يعتدون » .

وعند الانتهاء من القاء الكلمات قام الزعيم يوجه كلامه الى الجميع دون استثناء ورد على « نعاج » المدير بتلك العبارة الماثورة المشهورة . نعم ، نحن نعاج في النظام ولكن لسنا نعاجاً اذا هوجمنا بل اسودا » .

ودع بصرما كما ودعته باقي القرى بالزغاريد والتهنئات ورش العطور . كان الاهالي يستقبلون زعيماً شعبياً امتلك النفوس والقلوب . وهكذا وصل الى « بشمزين » حيث كان الاستقبال معداً في منزل الدكتور عون فاستقبله الشاعر سليم غازي بقصيدة من عيون الشعر رد عليها بكلمة تناسب المقام ومن هذا المنزل انتقل الى بيت مخائيل اسحق مفرج (ابو نديم) تلبية لدعوة رسمية ملحاحة من عقيلة الدكتور ابراهيم اسحق مفرج التي كانت تتمتع بمستوى رفيع من العلم والثقافة التي ، ما ان انتهى اللقاء ، حتى صرحت باعجابها العميق بهذا الشاب العبقرى .

في الطريق الى هذا البيت وقعت حادثة طريفة يجدر ذكرها، لم يعجب هذا الاستقبال الاجاعي احدهم فأطل من احد المفارق وهتف في وجه أموكب « يعيش لبنان » وفر هاربا. امتعض القوميون الاجتماعيون لهذا التحدي الرخيص وفكر بعضهم بتأديبه، ولكن التفاتة من الزعيم اوقفتهم عند حدهم واكملوا الطريق معه كأن شيئا لم يحدث.

ابتسم الزعيم وعلق على « يعيش لبنان » نحن لا نمنعه من ان يعيش بل نعمل من اجل حياته ومن اجل حياة الكيانات الاخرى في وطننا الكبير. انه رجل مسكين. ورداً على قول احدهم انه رجل مسكين مرتين، مرة لهذا التصرف السخيف ومرة اخرى لانه كمثقف تزيد مسؤوليته ولا تنقص.

وحط الرحال في منزل الرفيق سليم النبي حيث كان اعد وجبة من الطعام للزعيم وصحبه لكن الزعيم ابدى رغبته في جلسة قروية في فسحة صغيرة مزروعة بقولا.

طلب الزعيم من الرفيق النبي ان يلحقه بطبليية (طاولة صغيرة) الى الفسحة الخضراء وان يقدم له عليها بيضا مقليا في وعاء من فخار لاحظته في مكان ما وان يرفق هذه الفخارة المحتوية على البيض المقلي بالزيت الكوراني ببعض البصل الاخضر.

تردد الرفيق سليم بتلبية الطلب وحاول ان يثني الزعيم عن عزمه فتدخلت وقلت للرفيق المذكور « اعمل، رفيق سليم، كما طلب منك الزعيم ». لبي الرفيق ولكن على مضض فالمأدبة للزعيم وها هو يتخلى عنها.

وعلى كرسي صغيرة من قش وعلى طبليية قروية قعد الزعيم يأكل البيض المقلي في الفخار مع البصل الاخضر، تاركاً المأدبة ومأكولاتها الشهية لصحبه من الرفقاء.

وعند عنصر ذلك النهار وصلنا الى العاصمة « اميون » لن انسى ما حيت تلك الجموع من البشر التي غطت ارض البيادر الرحبة الشاسعة. اميون بأجمعها والكورانيون باعداد غفيرة تالقت في هذا المكان الواسع.

في « اميون » القت الفتاة اموريز سعيقان التي قدمت اليه باقة الزهر ابياتا من الشعر من نظم الرفيق حبيب عبدهم واحتفظ بها الزعيم وهنأها على حسن ادائها.

لقى المنفذ العام جورج ابراهيم عبد الله خطابه الترحيبي ومن اهم ما جاء فيه « انهم يريدون تصنيف حزبنا بالنسبة للاحزاب، اهو اشتراكي، اهو نازي، اهو

ديموقراطي، اهو ديكتاتوري، ان الجواب بسيط ان حزبنا هو الحزب السوري القومي وكفى».

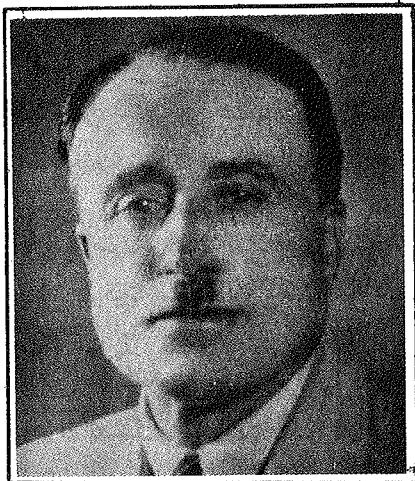
اعتلى الزعيم المنبر الذي كان قد اقيم في مكان يشرف على الحاضرين اشرافاً بارزاً وخطب ارتجالاً. كان كل مقطع وفي بعض الاحيان كل عبارة تقاطع بالتصفيق يدوي بحماس نادر المثال... وكان التصفيق دويًا عندما اعلن « ان القومية الاجتماعية ترفع بأنفس الملايين من البشر من الارض الى السماء بشكل زوبعة حمراء»، وقوله عن رجال الدين وعن حصر عملهم في الدين.

نكون قد اسبغنا عليهم منة يجب ان يعترفوا لنا بها. واخيراً اثنى على كلمة المنفذ العام واكد على ان حزبنا هو الحزب السوري القومي وكفى.

ولل انسى موقف خوري اميون « الشماس» وهو يصلب للزعيم عند كل مقطع أو عبارة تنتزعان التصفيق ودعاءه له « الله يجرسك، الله يخاليك، الله يرد العين عنك، الله يبارك فيك».

وبعد الانتهاء من الاجتماع الحاشد على بيادر اميون انتقل الى « الحارة الفوقى» وفي طريقه اليها مر بأحد البيوت كانت فيه احدى الصغيرات تنتظره لتقدم له باقة من الزهور فتقبلها منها مبتسماً فرحاً ثم زار مكتب القائمقام وذلك من قبيل اللياقة السياسية.

وبينا هو على هذه الطريق واذا بأحدهم، كزميله في بشمزين يهتف يعيش لبنان، طنا منه انه بهذا الهتاف يعكر الجو ويشغل البال واذا بالرفيق حبيب عبدو ينبري له



القائمقام فوزي رمضان

هاتفا وطالبا من الجميع ان يشتركوا معه في المهاتف ليحي لبنان ، ليحي لبنان ثم لتحي الشام ثلاث مرات ايضا وكذلك لتحي الاردن ثلاثا ومنها لتحي فلسطيني ثلاثا وبعد ان انتهى من المهاتفات التفت الى الزعيم سائلا هل اصبت حضرة الزعيم فأجابه اصبت ونعم الاصابة .

في الحارة الفوقى في بيت احد افراد ال غنطوس اقيمت حفلة ساهرة حضرها نخله الشمس ، احد الوجوه المحلية المرموقة ، جرى فيها غناء ورفض ودبكة وزجل وتبادل فيها الزعيم بعض الاحاديث مع بعض الحاضرين وبصورة خاصة مع بعض الشباب المتخرج حديثا من فرنسا ، الحامل افكارا تقدمية يريد تطبيقها في بلادنا وقد اعلن احدهم ، شحاده خزامي ، انه ينوي تأسيس حزب جديد يرفع لواء الافكار فشجعه الزعيم ومما اذكره قوله له ان تأسيس الاحزاب على افكار تقدمية هو دليل صحة وحيوية فالمهم ان نتحرك والاختبار سوف يدلنا ويصحح طريقنا ثم استجابة الشعب هي الحكم الاخير على افضلية حزب على حزب واذا أسست حزبا يا استاذ خزامي ، ستختبر بنفسك ما يحمله التأسيس من صعوبات وعقبات وعراقيل . وفقك الله .

★ ★ ★

عند رجوعه في « بصرما » عرج على « عابا » وكان استقبله في منزل ابراهيم شديد « ابو » حيث القى كلمة في الاهالي الذين احتشدوا لتحيته وكان لمنظر الشيوخ والمسنين في العمر اثر عميق في نفس الزعيم وفي نفوس الذين شاهدوهم يطفحون بشراً وایمانا .

لماذا لم ارافق الزعيم في رحلته الى الكورة :

وورد في « عبدالله قبرصي يتذكر » الجزء الاول ، الصفحة 213 ، ما يلي :

« كأنما قدر لي انا الكوراني الا ارافق سعادته الى الكورة ولو مرة واحدة .

لقد زار في المرحلة السرية بيترمين وبشمزين واميون ، ولم اكن معه . واعدت العدة لزيارة ثانية علنية كزيارة العلويين في التاسع من ايلول 1937 ، انا الذي ربيت في كروم العنب والزيتون ، وعلى الصخور والروابي ، من الارض الكورانية الخيرة كيف يمكن ان تفوتني مرافقة المعلم في هذه الزيارات جميعها لا تغنى بها وبه على رحاب بيادها ؟

انا الكوراني المتعصب للكورانية وكورته .. الذي يجب بلاده لانها صورة عن

مستط رأسه . كيف لا اكون الى جانبه ، في تلك الطلات الخالدات على القويطم ، ودده
وبيترومين وقلحات وعفصديق وبشمزين وبصرما ثم العاصمة اميون! ..

الآن تذكرت كيف كنت احترق وانا اتصوره ينتقل من قرية الى قرية ومن منبر
الى منبر وانا في ضهور الشوير امضي ليلة سوداء يجرح سوادها صراخ حببتي وهي
تلفظ مع دمها النازف انفاسها النازفة! ..

اجل في التاسع من ايلول 1937 لولا قدرة قادر كانت حببتي قضت نحبها وانا
والطب الساهر عليها بشخص الدكتور نسيب همام عاجزان عن انقاذها ، لم يكن لقوة
ان تحول بيني وبين مرافقة سعادته الى كورتي الخضراء لولا ذلك الخطر المحقق
بحبيبتي! ..

لقد نجت هي من الموت ، اما انا فلم انج من التحرق ، لم انج لأني اشعر وانا اتذكر
اني احترق من جديد .

ولكن هل هذا كل شيء عن تلك الرحلة التاريخية؟

بل هل ان الاهداف والمقاصد من تلك الرحلة اعطت ثمارها وكيف حصدنا ما
زرع المعلم؟

اني استطيع ان اختصر رحلة العلويين بأن غايتها كانت في الدرجة الاولى سياسة
وجاء التبشير مصاحباً للسياسة . اما رحلة الكورة فقد كانت تبشيرية - تثقيفية . واذا لم
يكن قد علم بها الا ان الحياة غير العيش ، لكفى . ففيها اجاب على تعيش سوريا بتحيا
سوريا .

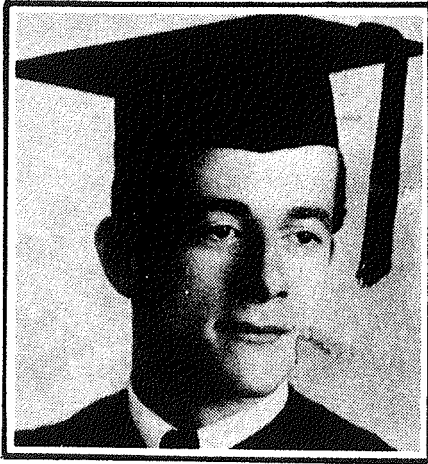
لكي نفهم سعادته على حقيقته ، يجب ان نوقن بان القائد المعلم - مع ايمانه بالنخبة
وبالديمقراطية التعبيرية - لم يكن ينتقص من قيمة فعل الجماهير وتأثيرها المباشر او
المداور على نمو الحزب وازدهاره . اقول ذلك ، لان البعض - وانا منهم - نعتقد ان
صانعي الثورات هم قلة مصممة مؤمنة . الا ان هذه القلة الصانعة للثورات وللتاريخ
الى حد ما تظل عاجزة عن تحقيق مراميها ومقاصدها ومثلها العليا اذا لم تتألب حولها
جماهير الشعب مؤيدة او مناصرة

من هنا كان يكرر سعادته امامي : « اريد ان اتعرف الى هذا الشعب ، وان يتعرف
الى ، خذوني الى كل مكان ، انا لست من الذين يعيشون في الابراج العاجية ، اني اريد
ان احيا في قلب هذا الشعب كما يحيا في قلبي » .

من هنا اقامته مهرجان بكفيا بمناسبة اول آذار 1937 وان ادى الى تصادم مع السلطة، ويوم عماطور، والعلويين وطرابلس، من هنا خطابه التاريخي في اول آذار 1938 في جمهور من القوميين والاصدقاء. من هنا رغبته في الاجتماع باكبر عدد من رجال الفكر والصحافيين والكتاب والعمال والفلاحين والسياسيين..

رحلة الكورة اذن كانت في هذا الخط وانجازا لغرض الاتصال المباشر بالشعب.

صحيح اني لم اكن مع سعاد في رحلته هذه، ولكنني كنت من الذين قطفوا ثمارها ولسوا اثارها، لقد اصبح الحزب في الكورة بعد خطب سعاد الثورية القطب الاوحد لكل كوراني شاعر ونائر ومثقف. والامل لكل مواطن غير مشدود الى الزعامات التقليدية او خاضع لنفوذ رجال الدين ورجال الاقطاع، وحتى هذا التاريخ يمكن القول ان الكورة رغم ما اصابها بسبب الحزب لا تزال قومية اجتماعية مستعدة لتقديم المزيد من التضحيات والدماء في سبيل القضية المقدسة.

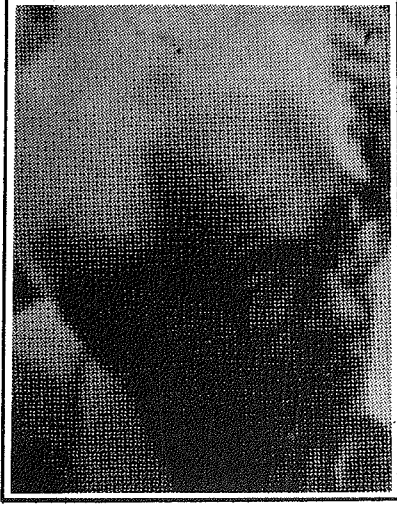


الدكتور عبدالله سعاد

لقد كانت الكورة - وستظل - بيت الحزب السوري القومي الاجتماعي وملكاه وسيفه وترسه. قد تطغى على بعض اهاليها بعض المنافع او القوى الخارجة عنها. ولكنها تظل الوقية للزعيم وعقيدته ومؤسسته. كم ضحت من اجل ان يكون ممثلها في المجلس النيابي ذاك الذي اسميته سنة 1953 النمر الابرص ابن الكورة رئيسنا الحالي الامين الدكتور عبدالله سعاد. ثم كم من قادة الحزب نجبت هذه الكورة الخضراء.. محاولة احتلال سراي اميون احتجاجا على سوء معاملة سعاد في السجن سنة 1936، قام بها شباب اميون والكورة.. الى جانب العديد من الكورانيين الذين مروا في السجن والمعتقلات من طرابلس الى المية ومية ومن القلعة الى سجن الرمل!.. واخيرا

قافلة الشهداء التي ختمت بالدم كل تلك التضحيات الجسام.

ان كورتنا ليست كورة الذهب والزيتون فحسب، انها كورة الشعر والادب والثقافة.. كورة الوعي الذكي للنهضة، للشأن القومي، وللعدالة الاجتماعية، وللمحبة وللتقدم، كانت وستظل مؤثلا للحياة الجديدة.



شفيق غنطوس

انتهت زيارة الكورة الشعبية الهائلة النجاح وفي قمته خطابه في اميون وقد عرفنا ان هذا الخطاب كان ينقل حرفا حرفا الى الديمان، حيث السدة البطيركية والى بيروت، الى الشعبة السياسية اللبنانية في المفوضية الفرنسية.

كانت زيارته للكورة زيارة تاريخية والتفاف الشعب حوله لم يحدث لغيره، لا من قبل ولا من بعد.

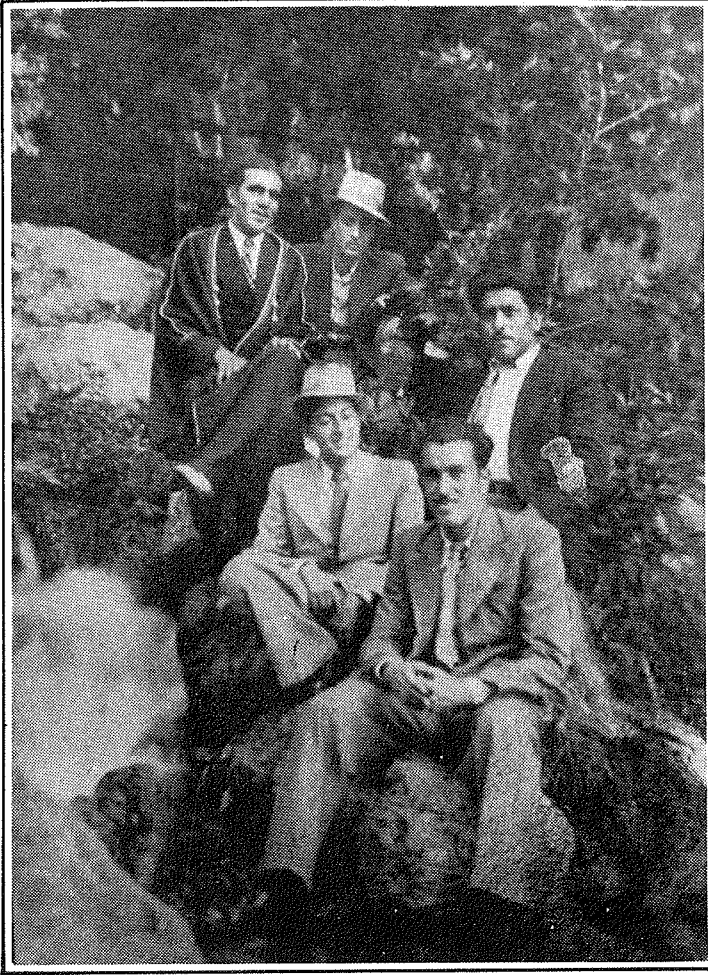
عودة الى الاسكندرون

ظل الزعيم يتابع مسألة الاسكندرون ومن اهتماماته الاتصال برئيس الحكومة الشامية وارسال وفد قومي الى منطقة اللواء لدرس احوالها. اما عن اتصاله برئيس الحكومة الشامية فيقول في رسالته الى القوميين الاجتماعيين في تموز 1939 من الارجتين مايلي: « ثم اجتمعت بنفسى برئيس الوزراء الشامية السيد جميل مردم بك. ولم اكن اعلق اي امل على الجانب الفرنسي، ولكن الوزارة الكتلوية كانت في موقفها عوناً للسياسة الفرنسية ضد المصلحة القومية. فقد قال لي رئيس الوزراء الشامي صراحة ان معاليه لا يعد نزع لواء الاسكندرون عن جسم الوطن خسارة لسورية بل يعده خسارة لتركية فلم أر صواباً في ذلك الوقت ان ازجكم في حرب ضد فرنسا وتركية والحكومات المحلية في وقت واحد. وكانت التأكيدات لنا من المفوضية انه لن يصير تساهل في حقوق السيادة السورية على اللواء فأريت ان اصبر فتكون لفرنسة فرصة جديدة للبرهان عن حسن نيتها ».

وعن ارسال الوفد القومي فأني انقل ما عرفته عن مهمته في مجال اهتمام الزعيم بالمرء اللواء.

ومن ثمار الهدنة بين النهضة القومية الاجتماعية والسلطات الفرنسية المنتدبة ان تم الاتفاق ان يزور وفد من الحزب منطقة لواء الاسكندرون للاطلاع على ما يجري هناك. تألف هذا الوفد من صلاح شيشكلي وخالد أديب وجورج عبد المسيح وجورج حداد واميل الدباس. (كان لهذا الاخير علاقات بالامن العام الفرنسي يعرفها الزعيم).

كانت رحلة الوفد الى حلب فاللواء فاللاذقية سهلة لم يتخللها ما يذكر وقد كانت مفيدة جداً.



في انطاكية - شلالات دفة: خالد اديب، جورج حداد، جورج عبد المسيح، اميل دباس ومصالح شيشكل

اعطت للزعم ولمركز الحزب صورة واضحة عما يجري هناك وبصورة خاصة وهذا للتاريخ، ان الادارة الفرنسية هناك، العسكرية والمدنية كانت تعاكس سياسة الدولة المركزية في فرنسا بينما كانت سياسة المفوضية في بيروت تساندها محليا . كانت اللعبة الخارجية مفضوحة، جلية للعيان ولكن السياسة الانترناسيونية كانت الغالبة في الاخير .

ان وجود الوفد في منطقة اللواء اثار فضول الكثيرين من السياسيين المحليين من أتراك او سوريين (عرب) .

كما انه لا بد من ذكر نشاط فرعي الحزب في انطاكية والاسكندرون اللذين كان لهما شأن اثبت وجوده في اكثر من مناسبة.

ويصف جورج عبد المسيح في يومياته الجزء الاول من هذه الرحلة فيقول « وانتدبنا الزعيم لجنة قومية اجتماعية للذهاب الى « السنجق ». كان فيها جورج حداد ، صلاح شيشكلي، خالد اديب وشخص آخر. (المقصود بالشخص الآخر هو اميل الدباس). في انطاكية تعرضنا لخطر من الاتراك. احاط جمهور منهم بالفندق الذي نزلت فيه مع الشيشكلي، فالآخرون نزلوا في فندق آخر. اتصلت بالامن العام الفرنسي. اكدت له اننا مضطرون لاستعمال السلاح اذا ما تعرضنا للاذى. وانت قوة « للانقاذ » وفتشونا، عن السلاح الذي لم يكن لنا منه اكثر من شفرات الخلاقة في علبة متواضعة جد ، لا يأسف حاملها على ضياعها او نسيانها في مكان ما .

اعلنا الحق السوري للاتراك وقفلنا راجعين، والاسى يحز في النفوس، في تلك اللجنة التي ليس لها مثيل في الدنيا. ودعنا « السنجق » والحفنة من الرفقاء الذين اقساموا على العودة بعد الخروج. واتجهنا في طريق الساحل تحترق بنا السيارة اكثف احراجنا التي بقيت بعد الحرب الكونية الاولى لبعدها عن مراكز جنود جمال باشا وطلائع حملة « اللنبي ». وامسينا في اللاذقية. وبدون ضجة جمعت الرفقاء، وسردت لهم - لكويني رئيس هذه البعثة التي عادت تحمل الاسى - بعض مشاهداتنا. وكانت محاضرة عن بوابات كيليكيا او مايسمى « مضيق بيلان » وحوالي منتصف الليل تفرقنا للنوم، وكان رفيقي للنوم، في بيت المنفذ العام، جورج حداد.

معركة في اللاذقية

ازقة اللاذقية ساكنة صامتة إلا من قط هنا وكتب هناك يعبث بتكة تركتها منظفة البيت على زاوية الباب. وفي حي، قيل لي انه حي الشحادين، في مضائق ازقته المتشعبة، طلع علينا ثلاثة من شباب اللاذقية ملثمين تظهر في ايديهم الخيزرانات.. وتصدوا مرافقي حداد دون الالتفات الى مرافقنا المنفذ العام... ابتعد هو قليلا حيطة، او لعدم انتباهه لما حصل... تقدمت اليهم وامسكت بواحدهم مؤكداً له اننا من ابناء البلاد ولسنا جواسيس اتراكا كما بدأ حضرة المهاجرين ينعنوننا... وبامساكي له ظهر الخنجر المختبيء في كم الجاكيت، وصدف ان وقع في بكلة الحزام حين وضع في بطني مع التهديد الناقم: سأدلق مصارينك!.. وخرج في التو ثلاثة آخرون كانوا مستترين في منعطف زقاق قريب... واصبحت بن عدد من الخيزرانات... محمد امين

الخليبي كان بين يدي وسكينه مشدودة مني ومنه في بكلة الحزام الحديدية فلا تتحرك
لفعل مقصود... وانفرت في اصبعي... تألم هو فتكلم مرة اخرى... وصاح بي
المنفذ العام... «ياخلي» هذا انا فلان... اسقط في يد الجماعة، فقد عرف المنفذ
الخليبي، وآخر من رفاقه، وخاطبها باسمها بصوت عال وفتحنا نوافذ حولنا... ما
هذا «جواسيس اترك». وصدر الامر الينا بالسير معهم... الى اين؟... المنفذ
العام يعرف ان اللذين عرفها هما من (زلم) السيد الخطير عضو الحزب الحاكم يومذاك
(عبد القادر شريتح) فلنذهب لبيت البيك صاح المنفذ الى بيت البيك... وسرنا ثلاثة
عزل تحرسنا ستة خناجر بالايدي اليسارية وست خيزرانات بالايدي اليمنى ماعدا
الخليبي الذي كان متمسكاً بي باليمنى وخنجره باليسرى.

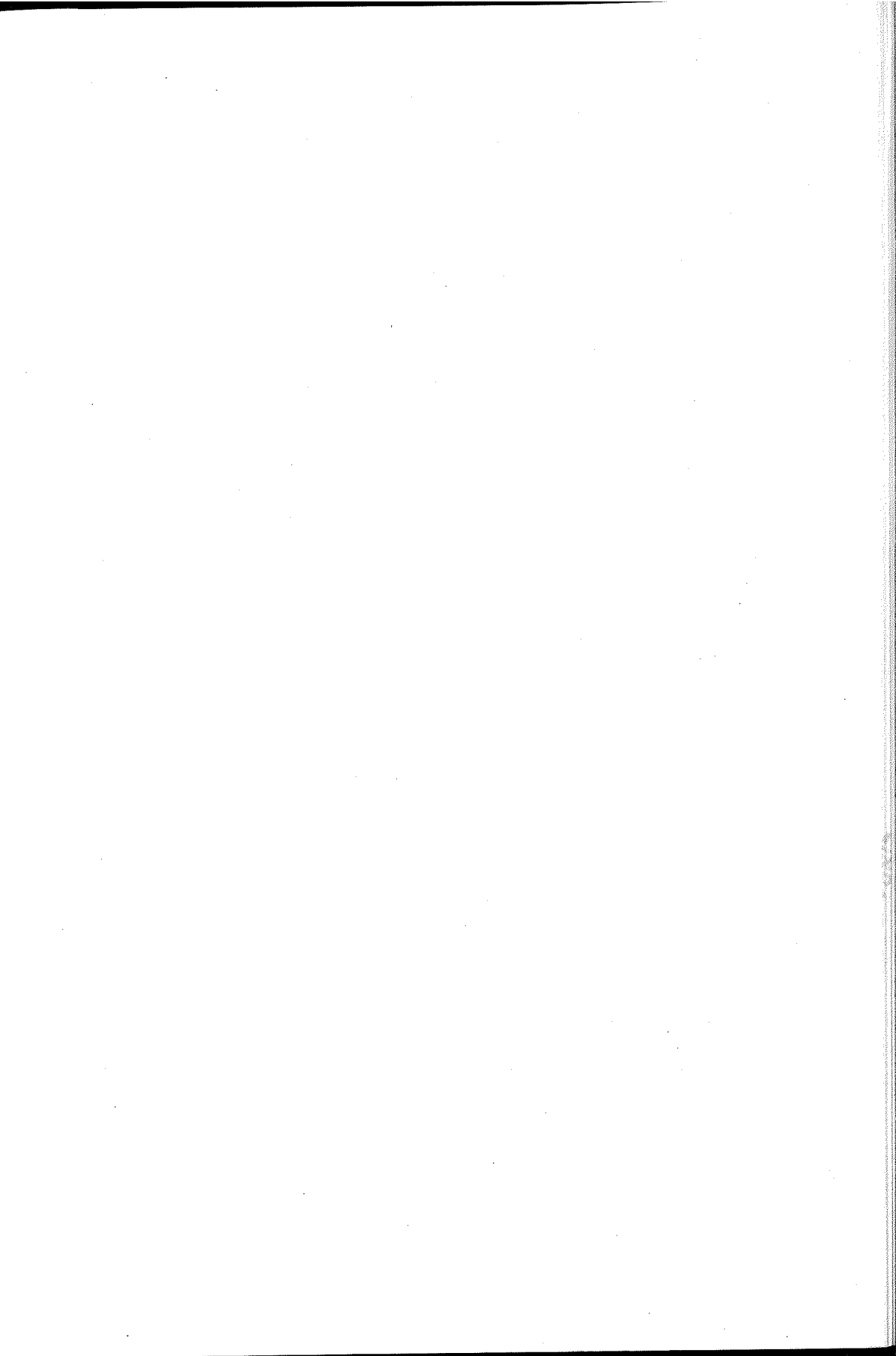
... في باحة دار البيك انتظرنا نهوضه الميمون فأمر بماء ساخن لجرح اصبعي -
علامته باقية حتى اليوم - وضمدها برباط ومطهر، وبدأ الحديث بعد كيل من
السباب للاشاوس الستة وطردهم من الدار... ليخرجوا ويدخلوا من باب جانبي الى
وكرهم في الطابق الارضي...

... شرح المنفذ العام كيفية حصول الهجوم، وذكر بعض الشتائم التي انهالت على
«جواسيس اترك».

... وهنا انزلق الرجل... بل قل زل لسانه... اعترف ان الشباب خرجوا من
داره العامرة الى الازقة، بعضهم دار لملاقاتنا نحن، حين لحظ سيرنا باتجاه بيت المنفذ
العام وكنوا في ذلك الزقاق الذي لا بد لنا من السير فيه، وبعضهم لحق بالآخرين.
ولكن رفيقينا «اديب» و«شيشكلي» كان في رفقتها عدد كبير من الرفقاء لان بيتها
في حي يكثر فيه الرفقاء. والذين كمنوا لنا قرب الساحة العامة، طلبوا من الحارس ان
يذهب فوراً الى دار البيك لامر هام فلبى مهولاً دون ان يتأكد من هوية مرسله.
وخلال الزقاق للابطال المرسلين لأذية «الجواسيس اترك».

... اعترف الرجل، ولكنه اكد لنا ان اخبارية اتته بان جماعة من الجواسيس
الاتراك وصلوا الى اللاذقية واجتمعوا الى عدد كبير من شبابها... وانتم تعلمون ان
للاتراك بعض جماعة هنا من قبائل وبيوتات تدعي الاصل التركي...
... لماذا لم تعطوا الخبر للامن العام... الامن العام يماليه الاتراك...

الاستاذ الطيب المركزي



النشاط الجندى المركزي

قلت فيما مر بنا انه كان للحزب بيتان يستخدمها عدا مركز الحزب الرئيسي في شارع المعرض. يقول الزعيم عن احد هذين البيتين، بيت المعلوف في رسالته السادسة الى غسان التويني تاريخ 4 آب سنة 1946: « وكنت اتردد كثيرا على بيتهم، نظرا لتوثق العلاقات الروحية بيني وبينهم ولكثرة الاعمال من ثقافية وغيرها، والتي كان يعاونني فيها فخري باجتهاد كثير. وبعض اجتماعات مجلس العمدة، في تلك الآونة جرى في بيتهم (اواخر 1937 - اوائل 1938) وفي بيتهم جرى الشروع بوضع قواعد التدريب الجندى بمعاونة الجنديين الرفيقين جمال باشا الغزي الذي كان اول من اخذ يعلم الرفقاء معنى الزعامة وقدر شخصية الزعيم ومنزلته في الحركة والنظام، ومنبر الملاذي. وفي بيتهم تألفت لجان وضع قواعد التربية القومية للنظام العام والنظام الجندى وابتدأ العمل باشتراك جميع هذه القوى تحت اشراف الزعيم وادارته وتوجيهاته واخذ في تحديد المعاني والقيم الاساسية الآتية: ما هو الوطن وما هي الامة، ما الزعيم ومن هو، العلم، ما هو النظام، ما هي الجندية، ما هو الجيش، الخ. وكثيرا ما كنت اتغدى واتعشى في بيت هذه العائلة الجيدة الصفات ويجتمع على المائدة ايضاً الرفقاء صابغ فنطرق مواضيع متعددة وكثير منها ثقافي. واحيانا كنت اتحدث الى اكثر السائلين واجيب على الاسئلة التي يلقونها عليّ وكان حلمي اكثر السائلين وكان يريني بعض مقاطع انشائي له. منها قطعة يخاطب بها طيارته.

يقول الرفيق منير الملاذي: « منذ 1937 قمت بالتدريب «تدريب القوميين» بعد ان اسند الي وكالة عمدة الدفاع وكنت بالتعاون مع جمال باشا الغزي وضعنا كتيباً في التدريب القومي والسلوكية القومية بعضها مترجم عن الأفرنسية وبعضها وضعناها

بالتعاون وبتوجيهات الزعيم وقد خصص لنا غرفة في بستان في جبل الديب عن طريق الرفيق المرحوم نهاد حنا الذي سهر على خدمتنا في ذلك البيت وبقيت مع جمال باشا هناك مدة اسبوع قدمنا انتاجنا الى الزعيم الذي كلفني بالذهاب الى طرطوس لتدريب بعض القوميين، وفي طرطوس قمت بتدريب بعض القوميين الذين جمعهم حينذاك الرفيق الياس جرجي قنيزح. وفي تلك الفترة قمنا برحلة دعائية الى بملكه ومتم عنونوق ووادي العيون ورجعنا الى طرطوس وكانت رحلتنا سيراً على الاقدام ورجعت الى بيروت لأقوم فيها بتدريب بعض القوميين وقد اجريت بعض التدريبات بحضور الزعيم في قصر نعمة ثابت في الغبيرة وكان المتدربون « نعمة ثابت، مأمون اياس، جروج عبد المسيح، جبران جريج، فؤاد ابو عجرم، ويلم سابا، انيس فاخوري، بشير فاخوري، اديب قدورة واظن ان الدكتور كرم عزقول كان في تلك التدريبات، وفخري معلوف وكلفت بعدها بالذهاب الى المتن واجراء التدريب لعناصر في بتعبورة وكفرحاتا ».

النظام المرصوص

الف الزعيم لجنة الوضع اسس التدريب العسكري. تألفت اللجنة من عسكريين: جمال باشا الغزي (الباشوية من السعودية)، صلاح شيشكلي ومنير ملاذي. كنت المدني الوحيد فيها. الغاية من وجودي هو المساهمة في الترجمة من الفرنسية او الانكليزية الى العربية. لست ادري لماذا اختارني. (الكلام للرفيق جبران جريج).

كانت هذه اللجنة تعقد جلساتها في منزل المعلوف. اعتمد القاعدة الفرنسية بعد درس طويل واجاث مستفيضة واقتصرت توجيهاتها على وضع كراس يضم الاسس للتدريب على النظام المرصوص ووضعت الكلمات العربية المناسبة من مثل « الرامي، الملقم، العين، او الايعاز » استقم واختصارها « قِمْ » واسترح واختصارها « رِخ » والى الامام هي بدل « سر » وتحاذ، تواز وانتثر بدل تفرق. وللمرة الاولى وضعت قاعدة « تحية الزعيم » خذ، يجي فتقدم التحية مع الرد بكلمة « سعادة ». وتقدم التحية بوضع اليد على الصدر، لا يرفعها مستقيمة، والابهام على القلب.

وطبع هذا الكراس بمنتهى السرية وعين الزعيم منير الملاذي مدربا عاما للحزب يتجول في المناطق ويطبق هذه التعليمات على الاعضاء الصالحين. قال الزعيم في احدى هذه المناسبات « بدأ الحزب يصبح قوة عملية ».

تردد الزعيم كثيراً بقبول هذا التخصيص بالتحية فاقنعه جمال باشا بضرورتها

لاسباب عسكرية لامت بأية صلة للمفاهيم البسيكولوجية او للتفسيرات الاجتماعية النفسية المتعلقة بالانانية والفردية او بالصفة الدكتاتورية فهو القائد الاعلى للقوات القومية وكفى .

ساهم الزعيم بجل مشكلة تسمية أمر نصف « الجريدة » فسماه « القومي الممتاز » ثم اعطى التسميات الآتية للرتب العليا من امثال « الساعد، العضد، » على اعتبار الهيكل العسكري شبيها بهيكل الانسان فيحسن ان نستعير منه بعض الاسماء .

كانت هذه الاوليات في التدريب العسكري وهي تمارس دون سلاح . على اثر الانتهاء من وضعها والشروع في طبعها قرر الزعيم المباشرة في تطبيقها على المركزين أولا .

اول تدريب

اجتمعنا، نحن المركزين، في الفسحة الرحبة من ادارة نعمه ثابت في الغبيرة . جمعنا الزعيم في عصر احد الايام، جريدة واحدة . كان يشرف عليها جمال باشا يعاونه منير الملاذي والزعيم جالس على كرسي يراقب المدرب والمدربين .

جئت في أول الجريدة بالنسبة لطوي . اعترتني رعشة ما عرفت لها سببا مع انني كنت مارست، في صغري، الكشفية وتمرين أولية من هذا النوع لم تكن غريبة عني . هل كانت هذه الرعشة لجدية هذه التمارين وما ينتظر منها الزعيم لمستقبل الايام ؟

ما طال وقت هذا التدريب الاولي في هذا المكان الاول في اليوم الاول . لكنها بدأت تطول كلما زادت ايام تمريناتنا وما عادت تجري في فسحة الدارة المذكورة بل انتقلنا الى احراج الصنوبر المحيطة بالغبيرة فكنا نسير ونركض ونقف وندور الى اليمين والى اليسار والى الورا، الخ... الى ان تقرر في احد الايام ان نمنح استراحة بعد هذا الاجهاد الطويل .

كنا، كلنا، ناجحين، تسيرنا روحية واحدة وارادة واحدة وهدف واحد . لاشك، اننا كمركزين كان من واجبنا ان نكون ملمين بهذه الاصول من جهة وان نكون قدوة من جهة اخرى .

علق الزعيم عند انتهاء هذه الدورة التدريبية البسيطة بقوله « هذه نواة الجيش القومي » . (راجع كتيب التدريب في باب الوثائق) .

احتجاز مدرب

من نوادر تطبيق تمارين التدريب الجندي اروي هذه النادرة:

« كنا في منزل وداد ناصيف في ساقية الجنزير، في بيروت. واذ بأحد الاعضاء من منطقة الشوف يحضر ويطلب مقابلة مستعجلة لحضرة الزعيم مباشرة. الح على ذلك كثيرا حتى كاد يدخل في روعنا ان السماء اطبقت على الارض.

حضر الزعيم الى البهو واستقبله. بعد التحية بدأ العضو المذكور يسرد حادثة وقعت للاعضاء في «عماطور» مع شخص اتاهم ويدعي انه قادم للقيام بتدريبهم. لم يعجبهم شكله ولا اسمه «بشير احمد يوسف» فشككوا في امره، لعله جاسوس. ولذلك قرروا اتخاذ تدبير وقائي فاسروه واحتجزوه في مغارة قريبة من البلدة ووضعوا من يؤمن الحراسة عليه وبالنتيجة اوفدوا حضرته لمقابلة الزعيم وعرض ما فعلوه وانتظار الاوامر بهذا الخصوص.

اصغى اليه الزعيم بكل جدية ورأيت تقطية حاجبيه خلال سرد الوقائع ثم ابتسامة باهتة تدل على اشفاقه لسذاجة هؤلاء الاعضاء ومن جهة اخرى تأثر من التدابير الوقائية الرهيبة التي اتخذوها فقال له: «الم يقرأ المسؤول عندكم التفويض الذي يحمله والذي يعرف عنه وعن هويته وعن مهمته؟» اجاب الموفد: «لست ادري».

اكتفى الزعيم بهذا الجواب ولم يعد الكرة اذ ان الشخص الذي امامه لا يملك الا البلاغ - وما على الرسول سوى البلاغ - ولذلك اختصر الزعيم معه الحديث وقال: «فكوا اسره. اوقفوا التدريب. ارسلوه الى بعد ان تعتذروا منه». ادى الموفد التحية وانصرف.

بعد ذهاب الرسول راح الزعيم يذرع البهو بخطاه ذهابا وايابا كأنه غير مصدق لما جرى أو كأنه يريد ان يحلل ما وراء هذا الموقف اللانظامي. اهو الوهم او الخوف؟ ام هي السذاجة والبساطة؟ وفي كلتا الحالتين ما كان ليجوز ان يحدث ما حدث اما في العلانية كان يردد «غريب، غريب، لا يجوز، لا يجوز».

معلومات عامة

اول موازنة للحزب

كانت جلسة مجلس العمدة مخصصة لدرس موازنة النصف الثاني من السنة. كان ذلك في صيف سنة 1937. انعقدت الجلسة وانيس العميد يضرب الاخماس بالاسداس. ما النفع من هذا الدرس ومن هذه الموازنة والخزانة العامة خالية خاوية.

افتتح الزعيم الجلسة وبدأت المناقشة وانيس مايزال على موقفه واستغرب موقف رصفائه العمدة الباقيين كأنه هو الوحيد الذي يكلل كل اهم كاهله. كيف لا؟ واضخم اعتماد في هذه الموازنة هو اعتماد عمدة الداخلية، عمدته، العامرة بالمشاريع والاعمال. خصوصا مشاريع طباعية كثيرة تتناول قرطاسية الوحدات الحزبية، الى جميع انواع السجلات للمديريات فالمنفديات ثم العمادات حتى مكتب الزعيم.

على كل حال اشترك العميد انيس فاخوري في البحث وان نظريا. وبينما هم على هذه الحالة اذ بالرفيق نهاد ملحم حنا يستأذن بصورة ملحاحة لمقابلة الزعيم لامر مستعجل جداً. سمح الزعيم له بالدخول. سلمه غلافاً وضعه الزعيم جنبه على الطاولة. حيا نهاد وانصرف واستأنف الزعيم الجلسة.

انتهت الجلسة ومد الزعيم يده الى الغلاف ليرى ما فيه واذا بابتسامة بفرغ ثغره عنها ويلتفت الى عميد المالية مأمون اياس ويقسول: « هنا، شيء يهملك امره » ويسلمه الغلاف.

كان الغلاف يحتوي على تحويل مبلغ عدة مئات من الجنيهات واردة من منفذية شاطيء الذهب على يد عائلة الرفيق امين الاشقر المقيمة في جل الديب. كان هذا المبلغ

كافيا لتغطية القسم الاكبر من الموازنة وكأنه هبط من السماء منا وسلوى للجائعين في صحراء القحط والظفر.

كان الزعيم هادىء الاعصاب كعادته كأنه كان ينتظر الفرج، أما انيس فقد فاضت عاطفته دموعا ترقرت من عينيه مناسبة على خديه وهو يتمتم: « ما اعظمك ايها الايمان! تباركت وتبارك المؤمنون! ».

يا بلادي! انهضي! يا بلادي!

في هذه الاثناء كان الرفيق ويكتور اسعد ينظم بعض المقاطع الشعرية وينشدها على لحن فرنسي شعبي. اصبحت هذه المقاطع نشيداً حزيباً وما يزال قيد التداول حتى ايامنا مع بعض التعديل بالكلام ليناسب الظروف. ويقال ان الرفيق يوسف الخال نظم بعض المقاطع أيضاً.

يا بلادي! انهضي! يا بلادي!

شجعي شعبك للجهاد

وانشري جيشك كي ينادي

باسم سوريه في كل ناد

ان أمت في سبيل بلادي

فخر قومي بذاك يكون

خبروا في فرنسا الاعادي

اننا لا نهاب المنون

سوريه موطني وبلادي

في سبيل هواها اموت

ان قضيت فطمي الفؤاد

فكرة حية لا تموت

سوريه! سوريه! لا تبالي

اننا عن حاك نذود

اننا رغم انفس الليالي
بالسيوف الظبي سنسود

سار جيش باعلام سود
ولباس بلون الرصاص
زحفنا في الوغى كالاسود
نصرنا ليس منه مناص

سارت الخيل فيهم سراعنا
باشتيقاق ليوم عظيم
كل شخص يريد الصراعا
هاتفين ليحيي الزعيم

نحن قوم اذا ما الاعادي
كبلتنا باقوى القيود
دأبنا، ابداً، ان ننادي
تجيا سوريه حتى الخلود

في الشعبة السياسية

في هذه الحقبة من الزمن كان الزعيم يرسل او ينتدب او يذهب بنفسه الى شعبة السياسة اللبنانية في المفوضية الفرنسية. في احدى هذه المقابلات مع رئيس الشعبة جرى حديث طويل اهمه هذه الفقرة: ان افكارك افكار عصرية، مدنية، ثقافية، فما رأيك، حضرة الزعيم، لو تنهج في العمل لها سبل التبشير وانشاء النوادي وتأليف الكتب، ان هذا السبيل، بنظري، اجدى وانفع من العمل الحزبي ومشاغله ومشاكله.

ابتسم الزعيم وقد ادرك الفكرة الخلفية وراء هذا التمني او هذه النصيحة البريئة المظاهر وقال له « كلا، ياسيدي، ليس اجدى ولا انفع فأنا اريد لافكاري التحقيق العملي الفعلي في الشعب، لا اريدها كتباً توضع على احد الرفوف في المكتبات! ».

سكت رئيس الشعبة وحول مجرى الحديث الى مواضيع اخرى. كان تعليق الزعيم

عندما روى لنا هذا الحوار ان الفكر دون انجاز فعلي في المجتمع يبقى حراً طليقاً في ميدان النظريات، لا ينفذ ولا يضر».

الملباس الرسمي

انقل ما عرفت بشأن اللباس الرسمي مع منطقته السوداء. او ليس هو القائل «ولكن سيأتي يوم، وهو قريب، يشهد فيه العالم منظراً جديداً وحادثاً خطيراً - رجلاً متمنطقين بمناطق سوداء، على لباس رصاصي، تلمع فوق رؤوسهم حراب مسنونة...».

بدأ الزعيم يفكر بتعميم اللباس الرسمي فالف لجنة فنية لدرس اصلح التصاميم لشكل القميص والبنطلون الرصاصيين وللمناطق السوداء التي تلف الزنار فوقها.

وردت أشكال كثيرة فللقميص أزرار من الامام ومنها ازرار لجهة الكتف ومنها، لها قبة عالية عند العنق ومنها دون قبة ولكن لها فتحة عادية يزينها شريط اسود مزركش الخ... وأما للبنطلون فمنها عادية ومنها الضيقة الفتحة تحت الجزمة ومنها الضيقة دون فتحة وترك أمر الجزمة للرتب العالية ومنها مزرر لجانب واحد مع شريط اسود مزركش، الخ...

بعد أخذ الوقت الكافي لهذه الدراسات قرر ان نبدأ أولاً بتعميم المنطقة السوداء على الخصر مع شراريب تتدلى للجهة اليمنى مقدار ثلاثين سنتيمتراً تقريباً. أما بخصوص القميص والبنطلون فقد تقرر صنع شكلين من كل منهما فيأتي الحكم على الافضل بطريقة واقعية ملموسة.

للقميص: الشكل الاول دون قبة وحول العنق شريط اسود مزركش يمتد الى الصدر كأن عليه فتحه. الشكل الثاني أيضاً ولكن على الكتف ثلاثة أزرار.

للبنطلون: الشكل الاول عادي، ضيق الفتحة. والشكل الثاني عادي، مزرر على الجانب الايمن وكلاهما دون جزمة. ولون القميص والبنطلون اللون الرصاصي.

من جهتي أنا، انصرفت لتأمين تنفيذ مشروع المنطقة السوداء فتوفقت بالرفيق انطون جكليس فعقدنا معه اتفاقاً خطياً تم العمل به بكل دقة وأمانة. وهكذا تعممت هذه المنطقة السوداء وبدأ الشعب يرى رجلاً متمنطقين بمناطق سوداء، فقط... لهذه المرحلة.



الاستهارة

بمناسبة الحديث عن اللباس الرصاصي اورد هذه الواقعة: « بقي الزعيم يدخل غرفة ويخرج من غرفة في منزل الامير امين ارسلان الى ان اعياه التفتيش. كنت في الدار على موعد مع احدهم. بدأت اعصابه تتوتر. والكيل - على ما يبدو - قد طفح. اخيرا وهو

يُمر بقربي خطر على باله ان يوجّه اليّ السؤال « هل تعلم اين بنطلوني الرصاصي ؟ »

- « نعم »، اجبته بكل بساطة، « استعاره الرفيق سليم ليفصل على شكله ».

- « من سلّمه بنطلوني دون علمي ؟ »

- « حضرة الزعيم، انا سلمته البنطلون بعلمك، المرة الاولى، وارجمه ثم عاد واستعاره ثانية فاعطيته اياه دون ان اعلمك تكرارا على ان يعيده بعد قليل ولكن لم يصدق الوعد ».

تأفف علنا وقال: « اليوم موعدي لممارسة رياضة ركوب الخيل واني مضطر ان اتخلى الآن عنها بسبب هذه الاستعارة. هذه ليست استعارة. هذا تصرف بمقتنيات الغير. الم اعد املك حق التصرف ببنطلوني ؟ »

كان الزعيم قد وافق على تصميم اللباس الرسمي وقرّر تعميمه وابتدأ التنفيذ بتعميم الشملة فاستعرناها منه وكنت انا المكلف بالتنفيذ. ثم جاء دور البنطلون فاستعرناه كما ورد آنفا. في المرة الاولى بعلمه وفي المرة الثانية بررت لنفسي الاستعارة دون اذنه بناء على وعد من الرفيق سليم انه في حاجة اليه لوضع ساعات فقط فما برّ بوعد فاكشف الزعيم تصرفي بسبب ممارسته رياضة ركوب الخيل، وانا على غير علم بهذا الموعد فكان ما كان.

انه لم يزد على ما ذكر كلمة واحدة لكنه كان كافيا لان يملأ جوانحي بموجة اسف ما عرفت لها مثيلا من قبل. اولاً لاني حرمته من متعة هو في اشد الحاجة اليها ثم ان مونتي كانت في غير محلها، تلقيت درسا، ان للعلاقة الشخصية حدودا لا يجوز خرق حرمتها لا بالمونة ولا بسواها».

زيارة الشوف

كان يرافقنا في هذه الزيارة عضو جديد فلسطيني. احمد الخليل. مررنا ببعض القرى ولكن ما توقعنا الا في « عين قني » حيث استقبلنا القاضي السابق زين الدين بكلمة ترحاب لطيفة ثم انعقد الاجتماع في محلة تقع بين الاشجار الوارقة الظل، تساب عند جذوعها المياه رقاقة تتلوى كالافعى، براءة كاللجين.

لم يكن الجمع كبيرا. كان من ضيوف هذا الاجتماع شخصيتان من آل جنبلاط. تكلم الزعيم من على منبر اقيم على عجل، على ما يبدو، في جل مشرف على المكان. كان

الزعيم يتكلم وكان أمامه حشداً ضخماً. لم يتأثر بالقلّة كما انه لم يتأثر بالكثرة. المهم ان امامه قوميين يتوجه اليهم. (صار خطأ في التبليغ).

وصلنا الى عماطور. نزلنا في دار رفيقنا عبد الصمد، نجل شيخ العقل عبد الصمد. ضاقت الدار على رحبها. اذكر كان بين الحاضرين ضابط متقاعد من آل أبي شقرا. ما ان استقر بنا المقام وانتهت فترة المجاملات الاجتماعية التقليدية حتى بدأ شيخ العقل عبد الصمد، الوقور الهيبة، الرصين، كلامه. ان أهم ما قاله مما لا يزال عالقاً في ذهني ما معناه « ان الانبياء جاؤوا لهدى الناس وخلصهم من شرور هذه الدنيا ولكن البشر اختلفوا بأسمهم وبدل المحبة حل الخصام والاقتيال فاصبحوا شيعا ومللا أما أنت. يا حضرة الزعيم، برسالتك القومية وحدت ما بينهم بعد التفرقة وجعتهم باسم الاخاء القومي كتلة واحدة مترابطة من جميع هذه الملل والشيع، فكان عملك عظيماً وجهادك مباركاً. وفقك الله، رب العالمين ».

بعد تقديم الضيافات العامة استأذن الزعيم وقلنا عائدين الى بيروت. وفي الطريق أخبرني الزعيم كيف ان الحزب قضى على حزبية عائلية كانت تتأكل بعضها البعض، حزبية عبد الصمد وابو شقرا وذلك بأن وجدوا انفسهم ضمن عقيدة واحدة صهرتهم في بوتقتها فتحول تفكيرهم الى ما هو اسمى وأعم من عماطور من آل عبد الصمد وآل أبو شقرا. (وقد مرّ ذكرها).

تبولة

من باب القيام بشؤون اجتماعية قبل الزعيم دعوة الرفيق نهاد ملحم الى حفلة تبولة تقام في بيته في جل الديب. وللزعيم مودة خاصة الى هذه العائلة القومية الاجتماعية بروحيتها وان لم يكن كل أفرادها أعضاء في الحزب. فوالده المحامي الاستاذ ملحم حنا ذو علاقات اجتماعية سياسية كم وضعها تحت تصرف الحركة وكم استغل صداقته مع النائب روكز أبو ناصر لمصلحة القضية القومية الاجتماعية ان على الصعيد المحلي مع الرئيس اميل اده أو مع الفرنسيين وان بشكل غير مباشر.

قبل الزعيم الدعوة والقي كلمة كلها عاطفة وثناء على هذه العائلة بفتياتها وفتياتها لما لها من حسن الجهاد وثبات في الصراع وسمو في النضال.

كان نهاد لولب نشاط وحيوية في كل المجالات. ان اجتماعية كهذه الحفلة او حزبية في منطقتة الساحلية او في المهات التي كان يكلف بها. كان مثالا للجندي القومي الاجتماعي وللمسؤول المدرك عمق هذه المسؤولية وجورها.

لن أنسى وقفة الزعيم عند الطاولة وصحن التبولة في يده وهو يوجه كلامه الى هذه العائلة الكريمة بذلك الحنان المغمور بالمحبة الخالصة.

تعارف

اقام الرفيق فؤاد سليمان حفلة شاي في منزله دعا اليها الزعيم والصحفي الشيخ فؤاد حبيش وبعض الرفقاء المسؤولين وسواهم، لبينا جميعا. طالت الحفلة اكثر من الوقت الذي يصرف عادة حول كوب من الشاي.

سبب ذلك ان البحث تشعب بين الزعيم والصحفي حبيش، صاحب مجلة «المكشوف»، وذلك حول العروبة والاقطار العربية والوحدة بينها وحجة حبيش ان وسائل الاتصال الآن، كالطيران مثلا قصر المسافات بين البلدان العربية مما جعلها اقرب الى الوحدة المنشودة.

كان الجواب الحاسم من الزعيم الذي ما ازال اذكره ان الامم لا تنشأ بناء على المسافات، قصرت أو طالت والوحدة لا تتحقق بوسائل الانتقال ان في الطيران أو في سواه. ان الامم تنشأ من بشر ومن بيئة فهل قصر المسافات تخلق البشر أو تخلق الارض؟ ان وسائل النقل تقرب الشعوب الى بعضها البعض فتصبح امكانات الاتحاد أو التعاون اوفر لما تحدته من احتكاك وتفاعل. وهذا ما يدعو له الحزب.

عدم السماح

كان أحد اعضاء الحزب في عكا بحاجة الى الالتحاق بدويه المغتربين في البرازيل فهو الوحيد الباقي على ارض الوطن وقد عزت عليه انضباطيته بالتصرف بأملأكه فيبيعها لأول شار دون مراجعة الزعيم وأخذ رأيه وموافقته بهذا الصدد. وما اكثر الشارين المواطنين ظاهرا واليهود باطنا!!

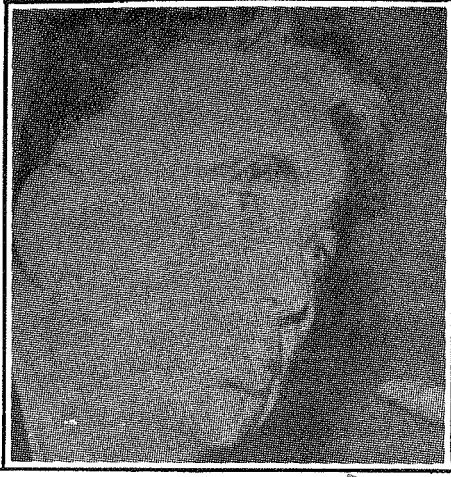
حضر الى بيروت وتداول معه بهذا الشأن. وبعد درسه مليا من جميع الوجوه كان القرار النهائي عدم السماح بالبيع مع عدم وجوب سفره فالبقاء على ارض الوطن للصراع من أجله هو افضل الف مرة من الهجرة. انها نوع من الفرار من الخدمة العسكرية في حالة حرب. وفي أهون الحالات والاحكام انها التهرب من القيام بالواجب.

أهم ما وجه به الزعيم هذا العضو هو انه لا يجوز لنا ان نتخلى لا عن الارض ولا عن المعركة.

لباقة التوجه

ذهب الى « عين القبو » ليستجم من عناء العمل بدعوة من عائلة « المعلوف »، يرافقه خالد اديب، وكيل عميد الداخلية.

امضى عدة ايام، منها ساعات كثيرة في « المشرع » في التأمل والاسترسال. يقول خالد ان تلك الايام القليلة كانت اياما من العمر انما الذي لفته هو ان الزعيم مع كونه



سعيد عقل

في وضع خصوصي وان شئت فعائلي، ما انساق الى التصرف الفردي بل ظل يتوجه اليه « بحضرة الوكيل » او اذا سأل عنه « فاين حضرة الوكيل ».

نشيد للحزب

صار من الضرورة وجود نشيد للحزب فقر الرأي ان يطرح الزعيم هذا الموضوع على بساط التداول فكان ان تصدى له الشاعر الناشئ سعيد عقل.

قام بالمهمة خير قيام ونظم شعراً جيداً وقدمه للزعيم الذي كان يتوسم فيه خيراً فقبله منه مع ابداء ملاحظة واحدة بسيطة.

كان قد ورد في احد الايات « تزرعين من ذرى طوروس » اهراما الى مقلب سينا « فصحح الزعيم كلمة « اهرام » قائلا « زرعنا الاهرام في مصر اما في بلادنا فقد زرعنا « امجادا ». وهكذا اصبحت الكلمة « امجادا » بدل « اهراما ».

بقي هذا الشعر قطعة ادبية رائعة، ما تحولت الى نشيد لصعوبة تلحينها، انما ضمت الى التراث القومي الاجتماعي.

وفيا يلي نص القصيدة:
صخب البحر؟ ام الجيش السخي،
ام بلاد تملأ الدنيا دوي؟
سورية

يقظة ملء المدى بسمة ملء الربيع
سورية فوق الجميع
تزرعينا

من ذرى طوروس امجادا الى مقلب سينا
ومن الابيض في الغرب الى دجلة شرقا
امة ام شعلة ترقى؟
من علاء لعلاء تملأ الافقا.

يا فداك! البطل السمح مراما
وحساما

يزرع الآفاق اعلاما

في سماح واقتحام

نحن تبنيك اذا جار الزمان

حفنة من تريك الدامي جبل يهزأ بالحدثان

اي مجد، ايها الام لم تهزيه على حضنك طفلا

لم يزل في ظل اعلامك يجي

انت في يقظتنا حلم

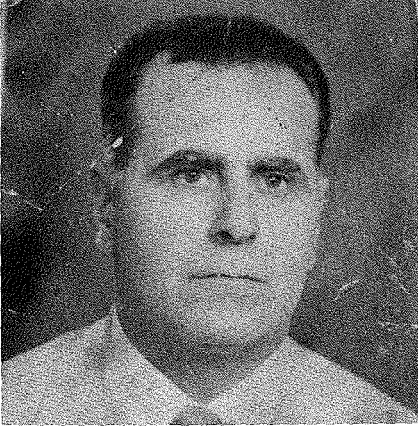
وغدا في كفنا دنيا.

لا يا رفيقي

اروي هذا الحادث للدلالة على المحافظة على الموالاته بالرغم من الصعوبات القاهره
التي كادت تحول دون ذلك.

اسمه الرفيقي منير شهاب من التابعين لمنفذية طرابلس. اصيب بجداث سبب له عطلة
دائماً منعه من القيام بأي نشاط حزبي. وم كان له من نشاط مشكور وسعي مرور.

ضاققت به الدنيا فكتب اخيراً وهو داعم العين والاسى يتقطر من قلبه المتناع،



منير الشهاب

كتب الى الزعيم رسالة مفصلة يشرح فيها مصيبتيه وفي الختام يطلب اليه ان يحله من مسؤولية العقد .

كان الجواب ما يثلج له الصدر . كان الجواب وثيقة حزبية عن مفهوم التعاقد والعقد وقبول الدعوة والالتزام بالدستور والقوانين المرعية الاجراء . (المؤسف ان الرسالة مفقودة) .

واخيراً ، وهنا بيت القصيد ، رفض الزعيم طلبه في حله من القسم « لا ، يارفيقي ! انت لست في حل من التعاقد مع صاحب الدعوة . ان الزعيم يعفبك من التزاماتك الحزبية في العضوية وتبقى السوي القومي الاجتماعي » .

« لا ، يارفيقي ! » ما تزال ترن في اذن الرفقاء الكثر الذين اطلعوا على هذا الحادث وعلى رأسهم سليم صافي . هذا الموقف الذي يضرب به المثل من حيث صفات الموالاة والاخلاص والوجدان القومي المرهف يتحلى بها الرفيق منير الشهاب .



سليم صافي

مآثم برمانا

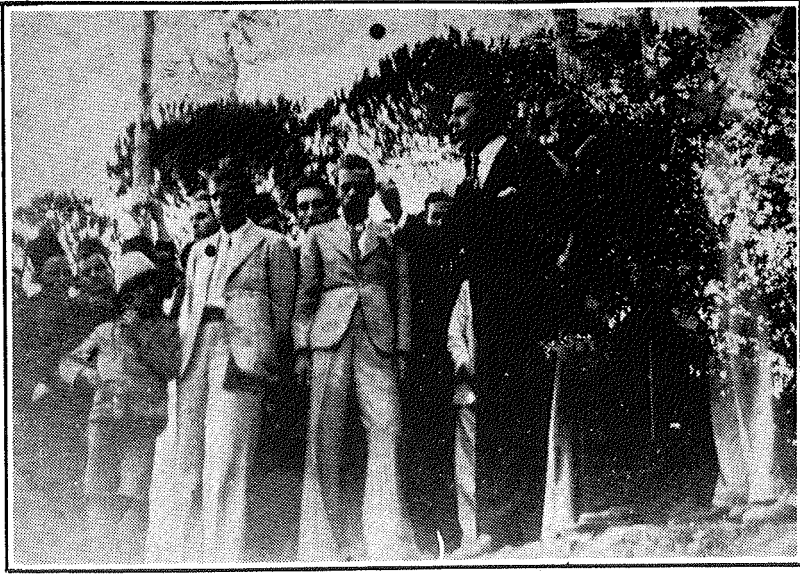
فقد يوسف تاج من برمانا ولدا ودعا الزعيم للاشتراك بمآتمه فلبى الزعيم فليوسف تاج منزلة مرموقة لديه .

حضر جمع غفير من القرى المجاورة وبعد الصلوات والترحم عليه القى الزعيم تأبيناً .

ان هذا التأبين لم يكن تأبيناً بمعنى الكلمة العادي ، لا كما بداه ولا كما انهاه - انه



الزعيم متوجهاً إلى حضور المآثم . امامه الرفيق فارس المنذر وخلفه الرفيق جبران جريج وعلى الجانبين رفقاء يؤدون التحية للزعيم وهو بدوره يرد التحية .



الزعيم يلقي كلمته والى يمينه نهاد ملحم حنا وجبران جريج

كان تأيينا « شاذاً » في نظر الكثيرين ممن حضروا ذلك المآتم المهيّب حتى ان القوميين الاجتماعيين استغربوا تلك المقدمة له .

توجه الزعيم مباشرة الى الشعب بكلام عظم مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي قائلاً : « ان اول مبدأ يقول « سورية للسوريين والسوريون امة تامة » . وراح يتوسع في شرح هذا المبدأ من مفهوم الامة الى الكيان اللبناني الى ان ختم هذا الشرح بعبارة شدد عليها كثيراً ، هي « لهذه المبادئ يعمل الرفيق يوسف تاج وهذه المبادئ كان يعمل فقيدنا الغالي » .

سئل الزعيم فيما بعد لماذا اختار هذا الاسلوب في التأيين فاجاب « لم تكن المسألة مسألة اسلوب بل كان كلامي جواباً على تحدي اولئك الذين كانوا يسمعوننا هتافاتهم بحياة فرنسا وحياتنا لبنانهم ليثيروننا ويحدثوا فتنة فحولت الجو الى شرح علمي وابعده عن الغوغائية والفوضى » .

والجدير بالذكر انه لولا وجود الزعيم لكانت حدثت فتنة اخرى على صعيد التقاليد والعادات من حيث من يحمل النعش واي بيرق يكون في الطليعة ، اذ لكل قرية بيرق وحلمة .

لاحظ الزعيم هذه التطورات فاعز الى القوميين الاجتماعيين بان يتقدموا ويحملوا

النعش على اكفهم فيحلون بهذا التدخل مشكلة المنافسة على الاولوية التي كادت تؤدي الى ما لا تحمد عقباه.

وأذكر ان عدداً كبيراً من القوميين الاجتماعيين من المنطقة ومن خارجها اشترك في هذه المناسبة وصحب الزعيم لدى الانتهاء من تشييع الجثمان ومغادرته المكان.

تسلقنا الطلعة صعوداً بين اشجار الصنوبر للوصول الى الطريق العام حيث كانت السيارات بانتظارنا. ما أجل منظرنا ونحن موزعون فرادى بين الاشجار، نصد بحماس يدفعنا بسرعة كأننا نتسابق ولكننا مع كل ذلك لانقدر بالزعيم لحاقاً فنجد أكثر فاكثر ولكن المسافة بيننا تأمى الاختصار. وكان بين حين واخر تنطلق هتافات من بعض الرفقاء تحيي سورية والزعيم واذ بنا نسمع من احدهم هتافاً لفرنسا ولبنان. استمر تسلقنا وما امهنا له.

أخيراً، وصلنا الى الطريق العام فما كان مني الا ان وقفت في مكان مرتفع قليلاً، بارز للعيان، اصرخ بأعلى صوتي الجمهوري بالهتاف الحزبي لتحية الزعيم ولكي ما كدت أفعل حتى الفيت الزعيم بجاني يربت على كتفي بلطف ويهمس في أذني «يكفي» وبالطبع انقطعت عن متابعة الهتاف وان يكن على مضض.

بقي سؤال يراود خاطري طيلة ذلك النهار وطول تلك الليلة فقد اعتبرت مقاطعتي بهذا الشكل العلني عملاً لا يجوز وقد قررت بيني وبين نفسي ان استفسر من الزعيم عن الاسباب وما لباني النعاس الا بعد اتخاذي هذا القرار الخطير!

وفي اليوم التالي ما ان وصلت الى المكتب وانا اهمم باستئذان الزعيم لمواجهته حتى وجدت علماً على مكتبي بأن أواجه الزعيم لدى وصولي. طرقت باب مكتبه ودخلت وحييت.

بعد رد التحية دعاني للجلوس وقال لي «دعوتك، يا حضرة الوكيل، لافسر لك ما جرى أمس، في برمانا. مع تقديري لموقفك الحزبي الانضباطي من الزعيم ولعاطفتك الخالصة تجاهه. اولاً، نحن في مأم ولسنا في اجتماع حزبي وان كان الهتاف بعيداً عن مكان الجنازة ولكن الجو جو حزن وأسى. ثانياً، في برمانا كما تعرف، بعض الخلافات المحلية وابو حسن (أي يوسف تاج) طرف فيها فقد كان يجوز ان يستغل هذا المظهر الحزبي الخصوم المحليون فنجره الى معركة حزبية نحن في غنى عنها».

شكرته واذا لم يعد من عمل آخر انصرفت وقد انتفى من نفسي كل تبرمي الذي امتلكني بقية النهار وطول الليل. والاكثر من ذلك اني لمت نفسي كيف اني عميت عن رؤية ما رآه الزعيم اذ بعد ابرازها لي بدت انها عادية وبديهية كان يجدر بي ان أتحمسها وأدركها. هو النقص في الخبرة والاختبار. أما هو فكان المعلم اليقظ الملم بكل شاردة وواردة، المنتبه لكل شيء.

هدية الاب

« هل حضرة الزعيم موجود؟ » سأل الاب المحترم. من شكله يبدو انه كاهن ماروني. كاهن وفي مركز الحزب! ويسأل عن الزعيم! وهو ليس على موعد، انه لامر غريب!

« كلا، يا أبونا » أجبت، وأنا ارحب بمقدمه بكل ما وسعني من لطف وكياسة ودعوته الى الدخول الى مكتب عمدة المالية، مكتبي، فلبى.

عرفني بنفسه. الاب بولس مسعد. قادم وان على غير موعد لتقديم نسخة من كتابه « الفيلسوف ابن سينا » أو « فلسفة ابن سينا » لم أعد اذكر. انه يهدي هذه النسخة الى الزعيم ويرجوني ان أقوم، بالوكالة عنه، بهذا العمل.

أكرمت وفادته وقيمت بواجب الضيافة وقبلت المهمة التي القاها على عاتقي وتسلمت نسخة الكتاب منه وتبادلنا بعض الاحاديث الودية وانصرف مشيعا بالحفاوة التي استقبل بها.

قرب ظهر ذلك النهار حضر الزعيم الذي كنت احاول الاتصال به فلم أوفق. حكيت ما جرى مع الكاهن المحترم وقدمت له النسخة. تناولها مني وابتم وقال، وهو يضع سبابته على فمه، « انه الرفيق الاب بولس مسعد، جميل منه هذا الاهداء يحمله بنفسه الى الزعيم ». (راجع رسالة الزعيم اليه تاريخ 2 آب 1946)

تسمية « جهاد » لأول مرة

تلقيت خبراً من برمانا لا يصاله الى الزعيم. رزق الرفيق منير الحسيني والرفيقة زوجته ولدا ذكرا، هو بكرهما. كان الزعيم غائبا وعندما حضر قمت بالبلاغ. ابتم ابتمامة عريضة وقال « غدا، نصعد الى برمانا نهنئ بالشبل الجديد.

بعد عودته وفي بيت الامير امين ارسلان حكى لنا - وكنا مجموعة من الرفيقات والرفقاء - عن زيارته هذه. طلبا منه اسما للمولود فتناول ورقة وقلما وكتب على

الفور « تهاني للرفيق منير الحسيني والرفيقة زوجته بمولودها الجديد واني ادعوه « جهاد » ، راجيا له اياما سعيدة » .

هكذا دخل اسم جهاد في قاموسنا الحزبي اسما جديدا من ابتكار الزعيم .

العروبة مع مغترب

من مغتربه المكسيكي قدم لتمضية فصل الصيف في جبال لبنان وللترويج عن النفس في بلاده السورية الجميلة . كان له قريب من الرجال البارزين في النهضة القومية الاجتماعية ، هو معروف صعب ، أما المغترب فهو عزت صعب .

كان هذا النسب العزيز يفيض بالوطنية البريئة الخالية من أي شائبة وهو يؤمن بها عربية صافية لوجه الله تعالى . كان يؤيد الحركات الوطنية لكنه ينتقد الحزب لخلوه من العروبة ، حسب زعمه .

تقابل مع الزعيم وتباحثا بالشأن العربي بصورة خاصة وهو صاحب الحجج الدامغة واذ بهذه الحجج تنهار الواحدة تلو الاخرى من المحيط الى الخليج لتصبح عروبة صحيحة تشمل المنطقة نفسها ولكن على اسس واقعية من الوحدات القومية تربطها جبهة مبنية بناء مرصوصا لمجابهة الاستعمار من جميع وجوهه .

والمهم ان الزعيم اثر في هذا المغترب الوطني بصراحته وتواضعه فهو لا يدعي تمثيل اكثر مما يمثل ولا يتكلم باسم وطن غير وطنه فيتوجه للعالم العربي كأنه زعيمه او كأنه ذو سلطان فيشير ويقرر عن الجميع منفرداً .

اعترف المغترب بانه اقتنع بوجهة نظر الزعيم وانه زال من خاطره الكثير الكثير مما كان قد علق به من شوائب ومغالطات حول عروبة الحزب ولكن الجدير بالذكر ان معروف ، احد اركان النهضة صرح ، وهو العربي الميول قبل انتمائه للحركة السورية القومية الاجتماعية ، انه لم ير يوماً الزعيم ابلغ منه عروبة من هذه الجلسة المفتوحة بين الزعيم ونسيبه المغترب مما قوى فيه ايمانه وفهمه للقضية القومية الاجتماعية التي اعتنقها .

حفلة بال في زحله

كان للزعيم في البرازيل صديق يدعى سليم نادر وزوجته السيدة ماري ، حضرا الى الوطن في فصل الصيف وفي مسقط رأسه ، زحلة ، اقاما حفلة راقصة في اوتيل القادري بمناسبة بلوغ ابنتها السادسة من العمر .



على البردوني: الزعيم والى يساره نظمي عزقول، فريد مبارك ومحمد علي فتوح
واحدى الرفيقات والى يمينه الرفقاء الحرس

دعي الزعيم اليها فلباها واصطحب معه الرفيق فريد مبارك. كان الرقص في الباحة الخارجية والصالونات على اشده. وما ان اعلن عن وصول الزعيم حتى توقف الراقصون وفتح الطريق امامه مع مرافقيه، الرفيق مبارك والمنفذ العام نظمي عزقول. وتهافت الحاضرون للتعرف على الزعيم والسلام عليه. على الرجل الذي ما كاد يخرج من السجن حتى يعود اليه. تعطل الرقص مدة ربع ساعة واكثر.

ولكن الطرافة في الموضوع ان اكثرية المقبلين الى التعرف كانت تتجه الى فريد فشكله على ما يبدو كان يوحي بالزعامة اكثر من الزعيم نفسه فقامته اطول وعمره اكبر ورأسه اجلح مما اربك فريد وازعجه .

والنكتة الطريفة الاخرى هي ان الزعيم اشترك بالرقص بدءاً مع السيدة نادر، المضيفة، رقصة والس واستمر حتى اخر الراقصين في الحلبة مما لفت الانظار وحاز اعجاب الجميع مما جعلهم يهمسون فيما بينهم « ان الزعيم يرقص... ان الزعيم شاب جميل بهي الطلعة ». كان يظنهم ان الزعيم يجب ان يكون ضخماً الجثة، معقوف الشاربين، بطنه منفوخ، الخ...

خاف المنفذ العام ان يكون الزعيم تأثر بشرب الويسكي حتى استمر في الرقص ولدى عودته الى الطاولة لفت المنفذ العام نظره الى اكثاره من الشرب فاجاب الزعيم على الفور « حضرة المنفذ العام هل هذا امر منكم ان اتوقف عن الشرب؟ » فرد عليه المنفذ العام « وهل يحق لي ان اصدر امرا الى الزعيم؟ » فكان جواب الزعيم: « انا الان بزيارة خاصة وتحت حماية وتصرف المنفذ العام ».

خلاصة القول ان الزعيم كسب في هذه الحفلة على الصعيدين، الشخصي والحزبي. على الصعيد الشخصي انه كان بإمكانه ان يكون زعيم حزب وان يرقص. ان يدخل السجن ويبقى انسان مجتمع. وعلى الصعيد الحزبي ان المبادئ وان كانت تؤدي بصاحبها الى السجن هي مبادئ اجتماعية عصرية تتماشى وتسير مع العصر ان من حيث التسلية واللهو او من حيث الصراع والجد.

روى لي هذه القصة بعد عودته من زحله ببضعة ايام وهو يضحك: « نعم، ان الزعيم يرقص، ان الزعيم انسان مثل كل الناس ».

ادخال تحت المراقبة .

هذا هو اسلوب في العمل الحزبي ارويه للعبارة والدرس.

توسمت بذلك الشاب خيراً. قلت للزعيم، يبدو انه متحمس للقضية ويرجى منه الخير العميم. ابتم وقال ان « اميل » يبدو كما تقول ويظن اني غافل عن مقاصده المستترة. قبلت دخوله الحزب على ان ترصد عمدة الداخلية حركاته.

تعجبت لهذا القول وقلت طالما انه ليس موضع ثقة فلما نعرض الحزب لخطر من هذا النوع، كان جوابه طالما انه مكشوف لنا فلا خطر منه بل ثمة نفع عميم منه اذ قد

نكتشف بمراقبتنا له من هم وراءه وما هو قصدهم.

وتطور حديثه عن هذا الموضوع الى امثلة سابقة مرت بمركتنا حتى في عهدها السري ما زال اذكر منها مسألة ادخال نقولا الشاوي والمهندس انطون ثابت والاديب رثيف خوري.

طلب ثابت وخوري الانتماء في بيروت ونقولا الشاوي في طرابلس وبالرغم من التدقيق حول هويتها الفكرية تقرر قبولهم ولكن سرعان ما انكشفت لي النوايا المبيتة فقد كانوا مستخفين بدقة نظامنا من جهة وشمول الفكرة القومية الاجتماعية من جهة اخرى.

كنت استمع الى احاديثهم، كل على حدة، وابحث معهم آراءهم وناقشهم فيها دون ان اعلن لهم ان هذه الافكار التي يريدون تطعيم النهضة القومية الاجتماعية بها هي من نتاج ماركس المادي.

كنت اصرف بعض الوقت مع ثابت وخوري، لقربهما الي، علني اوفق الى تحويل تفكيرهما المنحرف الى الصراط المستقيم فأرجمها للحركة القومية الاجتماعية واحولها الى طاقات بشرية خلاقة.

لقد حفظت الحزب من خطرهم واوجدت لهم سبلا اخرى للتفكير، جديدة بالاهتمام والمعلومات التي لدي انهم وان ابتعدوا عن حزبنا فانهم قد ابتعد احدهم او اثنان منهم من الشيوعية واصبحا يناقشانها، وهذا يدل على صحة المنحى الذي نحثه.

كثير من الناس دخل الحزب بنية تسخيره لاغراضهم. البعض منهم اصطدم بصلافة عقيدة الحزب ومتانة ادارته فانخذل وارتمد خائبا والبعض الاخر كان في نفسه بقية من كرامة فسحرت مبادئ الحزب ونظامه ووجد فيه تحقيق امله فصار قومياً اجتماعياً متين العقيدة، شديد الاخلاص، وقطع صلته بماضيه الخصوصي.

انسحاب

كان العالم المؤرخ الدكتور فيليب حتي في زيارة قصيرة الى الوطن وكان الزعيم قد كاتبه عدة مرات في شؤون تاريخية تتعلق بالوطن السوري. فحضر الى دار الزعيم يقابله وان دون موعد سابق.

صادف ذلك اليوم وجود زائرين كثر في المنزل انما هذا لم يمنع الرفيق المولج من ان يبلغ الزعيم عن وجود الزائر الكبير فاستمهله قليلا.

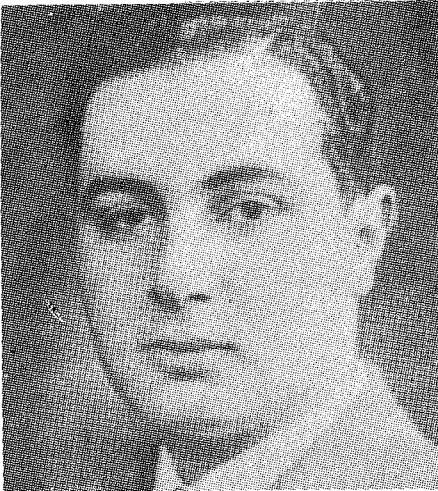
مر بعض الوقت اعتبره الدكتور حتي اكثر من اللزوم فقام وانسحب دون ابداء اية ملاحظة وهكذا لما خرج الزعيم من مكتبه لاستقباله لم يجده.

قيل له انه انسحب ولم ينتظر فقال الزعيم « كتبت له كثيرا وانتظرت اجوبته كثيرا ولم يفعل. اما كان بإمكانه ان ينتظر قليلا وهو على غير موعد وان تأخرت قليلا عليه.

مشروع اقتصادي

ورد الى مكتب الزعيم تقريران عن مشاريع اقتصادية من نوع واحد ولكن في منطقتين مختلفتين. احدهما في الاردن والآخر في منطقة الحصن في قضاء تلكلخ. فحوى التقريرين وجود مواد ترابية يستخرج منها الوان تستخدم في الصباغ والدهان وقد يكون العثور فيها على بعض المعادن التي يساعد وجودها على تسديد النفقات الصناعية فيما بعد.

استدعاني الزعيم ورجا خولي المهندس وبعد ان شرح لنا الموضوع كلفنا بالذهاب الى منطقة الحصن لدرس المشروع مكانيا والعمل على استحصال عينات من هذا التراب ليصار تحليلها في احد المختبرات الوطنية او الاجنبية.



رجا خولي

ذهبنا الى مرمريتا ومنها الى التلال المحيطة بها وقمنا بالمهمة الموكولة الينا يساعدنا فيها بعض الاعضاء. بعد قضاء يومين هناك قفلنا عائدين الى بيروت. كذلك ارسل الزعيم من يقوم بالمهمة نفسها في الاردن.

عرفنا في النتيجة ان تشكيلة الالوان في المنطقتين فريدة من نوعها مع رجحان تشكيلة مرمريتا انما اخراج المشروع الى حيز التحقيق قد لا يوفي وذلك لعدم وجود معادن في مرمريتا وبنسبة قليلة في الاردن .

كانت اهتمامات الزعيم بالشؤون العملية تلازمه كاهتماماته الفكرية فهو رجل فكر ورجل عمل في آن واحد .

تشجيعا للفن

انتمى شاب فنان الى الحزب يدعى حليم الحاج . استقبله الزعيم وتوسم به خيرا . وفي حديث عنه وعن الفن طرح الزعيم فكرة تشجيعه وذلك عن طريق فنه .

طبعا اخذت الفكرة بعين الاعتبار وانا وكيل عميد المالية وبجئت معه الكيفية فتمخض ببحثنا عن مشروع عملي ، يعطي بعض المال له وللخزانة العامة في الحزب .

اما المشروع فقد كان كناية عن لوحة منحوتة في الجفصين - على ما اذكر - ترمز الى شروق شمس النهضة من خلف الجبل واشعتها تدفق الحياة في الوجود ومقابلها امرأة تحمل طفلها توجه نحو هذه الاشعة المحيية . حجمها حجم مرآة يمكن تعليقها في الحائط او تركيزها على طاولة او مكتب .

نقذ هذا المشروع وتسلمت كمية منها عرضتها في مركز الحزب وارسلت منها الى الفروع الحزبية بعد ان زينتها بابيات من الشعر نظمها الرفيق وجيه الايوي الذي كان



وجيه الايوي

يعمل في عمدة المالية بصفة « حاسب عام » بدل الرفيق خضر العيتاني الذي استقال

يا دفقة النور السخية! يا افترار الزوبعة!
هذا صغيري أرضعته من الرموز الاربعة،
غذّيه من دين الزعيم وحبّه كي يتبعه.

تصويب

كان ذلك في مركز الحزب في المعرض. كان الزعيم يجتاز الردهة للوصول الى مكتبه واذ به يسمع الرفيق وجيه الايوي يقول في جملة يلفظها كلمة « افوضه » فالتفت اليه وفاجأه: « خطأ، رفيق وجيه، تقول الآية الكريمة: « افوض امري الى الله ». اذن افوض اليه هي الصواب، لا افوضه ».

روى لي الرفيق وجيه هذا التصويب وهو يتعجب - وهو الضليع في اللغة من ان يستشهد الزعيم في تصويبه بأية قرآنية، مفروض فيه معرفتها. اكثر من سواه.

عيادة مريض

وبمناسبة الحديث عن الانتخابات اللبنانية اورد فيما يلي الواقعة التالية: « عرف الزعيم من نعمة ثابت ان كميل شمعون مريض وكان كميل شمعون محسوبا من اصدقاء الحركة القومية الاجتماعية وان كان غير موافق على هوية الحزب السورية القومية. قرر الزعيم ان يعود في منزله في الاشرفية.

كان يشكو من عارض بسيط لكن الزمه الفراش. لم يمنعه هذا العارض من التحدث في كل شؤون الساعة من خارجية وداخلية وعربية الى ان وصل الحديث الى الخصوصيات المحلية. ان كميل شمعون شخصية نسيج وحدها.

اذكر من تلك الاحاديث هذا الحوار الموجز. سأل شمعون الزعيم مازحا: « اما تزال تدعو الى « هذه القومية السورية »؟ فرد عليه الزعيم بجّد ورسالة متجاهلا لهجة المزاح الواضحة في كلامه واخذ يشرحها له ثم ختم شرحه بهذه العبارة: « قد تصبح، يا كميل، رئيس جمهورية لكن تفكيرك لن يخرج من دائرة انتخابات جبل لبنان وبخاصة دائرة انتخابات الشوف ».

ابتسم كميل وابتسم الزعيم. انصرف الزعيم بعد ان شكره كميل على عودته اللطيفة واهتمامه.

طالب وطروحة

التقينا على الدرج. درج البناية التي فيها مركز الحزب السوري القومي الاجتماعي في طابقتها الرابع، في شارع المعرض، في بيروت. انا هابط والزعيم ومعه شاب، صاعدان. حيتت وحاولت اكمال النزول. استوقفني الزعيم وعرفني على الشاب. انه نجيب صدقه. طالب يحضر اطروحة. ثم طلب ان اعود معها ففعلت.

في صحن الدار وقف الزعيم فوقنا. التفت الي الزعيم وقال: « ان الرفيق نجيب بحاجة الى الاطلاع على الوثائق الحزبية الموجودة في المحفوظات (الارشيف) وقد سمحت له بذلك فمتى طلب ذلك ضعها تحت تصرفه ». دخل الزعيم ونجيب صدقه مكتبه وانا انصرفت.

الانقلاب التسلي

خبرت الزعيم، مرة، عن نجاح بعض رفقاتنا في الحصول على وظائف في جهاز الدولة اللبنانية. وظائف في مراكز حساسة بالنسبة لعلاقتها بشؤون الناس وقضاياهم اليومية.

اشار علي ان اكرم هذا الموضوع عن الاعضاء وحتى عن المسؤولين انفسهم محافظة على مراكزهم المرموقة من جهة وصونا لهم من جهة اخرى. وطلب مني ان ابقى على اتصال مباشر بهم فاكون حاضرا اذا دعت الحاجة للقيام باية خدمة تتطلبها المصلحة الحزبية او مصلحة احد الاعضاء

غتي عن البيان ان هؤلاء الاعضاء قد توصلوا الى هذه الوظائف بوسائلهم الخاصة وبواسطة التركيبة السياسية السارية المفعول مع الاحتفاظ بولائهم الحزبي الذي ظل فاعلا في نفوسهم لان الوسيلة او الوساطة هي امر عارض غير اساسي.

اخذ يشرح لي الزعيم اهمية هذا الحدث وكم هو ضروري الاهتمام بمواضيع من هذا النوع وتشجيعها لان الاستيلاء على قواعد مركزة من هذا العيار يمهّد السبيل امام النفوذ الحزبي فيقويه بواسطة الخدمات من جهة ومن جهة اخرى يكون الحزب قد تغلغل في دوائر الدولة فيتمرس الاعضاء بهذه المهام فيكتسبون خبرات ضرورية لمستقبل الحركة في الحكم.

« ان هذا العمل هو استيلاء على مراكز الحكم بالتسلل. انه انقلاب تسلي ».

مأدبة ضحك

وانقل عن «عبدالله قبرصي يتذكر» الجزء الاول، الصفحة 192، للترفيه ما جاء تحت عنوان «سعاده الانسان»:

«كنا نسكن في منزل المرحوم حمزة شاتبلا. ابو عبد، في شارع الصيداني، لقد تغيرت المعالم في السنوات الاخيرة، فصار شارع المقدسي، شارع البارات والفنادق والمحلات التجارية الباريسية الطراز!».

كنا نتجاور مع آل المعلوف وتبادل الزيارات.

لم يكن يمر اسبوع الا والمعلم يمر بنا، تارة مدعوا وطورا بدون دعوة، فقد ارتفعت بيننا الكلفة، وسادت علاقاتنا روح رفاقية. كنت قد اصبحت ناموسا (امين سر) لمجلس العمدة عوضا عن عمدة الاذاعة التي اوكلت اولاً الى صلاح لبكي ومن بعده الى فخري المعلوف ثم الى سواه وكانت تعقد احيانا جلسات مجلس العمدة في منزلنا هذا.

في المحاماة، كنت غرسة صغيرة قد نمت، اجالس كبار المحامين كحبيب ابي شهلا وكميل اده وشارل كاتسفليس وجان جليخ. وسواهم. كما كنت قد اصبحت معروفا لدى القضاة الفرنسيين، كديزانكل ودييان وروشا وفيتي واران ومانياي فضلا عن القضاة اللبنانيين كبارا وصغارا.

وكان خال زوجتي - الذي اكرر اسمه دائما واذكره بالخير والعرفان - المحامي ابراهيم خوري قد اصيب بالسرطان. واوكل الي ادارة المكتب وملاحقة الدعاوى.

بهذه الصفة تعرفت الى مغترب من دوما، كان في بوسطن ماس، واختلف مع مستأجري منزل له في فرن الحايك التحتاني - حي اليسوعية. اسمه حنا جرجس ابو زيد، كان هذا الموكل مثال المغترب اللبناني الساذج، الذي ينهر في الولايات المتحدة بما يشاهد من غرائب وعجائب فيطير بعض عقله ويبقى البعض الآخر.

الخلاصة، ان الموكل المتقدم في السن جون.ج. ابي زيد، ليس فقط مغتربا كريما يعود الى الوطن الام، ببساطة وتواضع، بل يحمل الى الوطن كتابا يثبت فيه خطأ نظرية دوران الارض حول الشمس، وصحة دوران الشمس حول الارض، وسلاحه في اثبات هذه النظرية بعض من الزجل، وبعض من روح النكتة، وكثير من الجهل والادعاء والمزاعم الخيالية.

وبالفعل جئت بالرفيق جورج سر كيس - وقد اصبح في ما بعد اديبا وشاعرا -
وكان قد تدرّب على قراءة جون ج. زيد فاذا ما وقف وبدأ بمقطع او فصل او سطر،
يقع الكتاب من يده ويقهقه حتى البكاء .

قبل ان يدفع لي سلفة على بدل اتعابي عن دعواه التي بقيت في مكتبي سبعة عشر
عاما نقدني كتابه « عن دوران الشمس حول الارض » .

كان الكتاب انيق الطبع، جذاب الغلاف، ثمين الورق، حملته الى البيت في تؤدة،
معتقدا اني احمل كنزا! ما ان وقعت عيناى على الصفحات الاولى، حتى رحّت
اضحك.. وضحك! الى ان كاد يغمى علي من الضحك، عوض النظريات العلمية عن
الافلاك والنجوم والارض والسماء وجدت ابياتا من الشعر العامي تشيد بعلم النجوم
الاميركي.. من الفلك ودوران الارض والشمس، هبط بنا جون ج. اي زيد الى علم
النجوم! .

صار هذا الكتاب عندي علاجا للاعصاب، كلما شعرت بالكآبة والخيبة او انتابني
شعور باليأس لجأت الى مستشفى الشاعر العلامة الفهامة جون ج. اي زيد .

دعوت سعادة وفخري المعلوم الى العشاء، وانا اقصد ان اقيم من بعد الطعام مأدبة
ضحك على مائدة العلامة الفهامة جون ج. اي زيد . وجلسنا الى مأدبة الضحك .

فاجأنا سعادة بالامر، لانه لم يكن على استعداد للاطلاع على ادب الفلكي العلامة
الفهامة جون ج. اي زيد . فما ان بدأ جورج سر كيس بالقراءة حتى بدأت ملامح
سعادة عن مثل التساؤل: اصحيح ما تقرأ يا رفيق جورج؟ .

ويستمر الرفيق جورج يقرأ ويضحك، ثم يتالك اعصابه فيقرأ.. وسعادة وفخري
المعلوم يضحكان ولا يصدقان ان كتابا مطبوعا على ورق صقيل بهذا الشكل يمكن
ان يحمل سخافات مضحكة الى هذا الحد؟ .

كان سعادة انسانا جديا في اوقات العمل، قلما يخرج عن وقاره وجديته، الا انه في
ذلك الزمن من عهد التأسيس وهو لا يزال في مطالع الثلاثينات من عمره، كان يجب
ان يشرب كأسا ويدخن غليوننا او سيجارة، وتستويه نكتة ظريفة كما يستهويه مجلس
انس ومرح .

في تلك الليلة، على رنات اشعار اي زيد الفلكية، ترنح سعادة وانطرب كما لم اره
لا قبل ولا بعد، كان يجلس على كرسي فوتيل. وكذلك الامين السابق فخري

المعلوف فما مضت اكثر من دقائق حتى كانا ينزلان عن الكرسي - وزوجتي وانا
ايضا - ونجلس على السجادة!..

صداقة وثيقة

كانت عشيرة «الحدادين» اكثر العشائر انفتاحا على التعاليم السورية القومية
الاجتماعية وكان رئيسها يوسف الحامد ذا اخلاق عالية، منفتحا على تطور تقدمي
صحيح ولذا فقد نشأت صداقة بينه وبين الزعيم توطدت مع مرور الايام.

في احد الايام التقيت يوسف الحامد عند آخر الدرج المؤدي الى باحة المكتب في
الطابق الرابعة من بناية المعرض. رحبت به اجمل ترحيب. كنت اعرفه معرفة جيدة من
«راس الخشوفة» ببلدته ومقر عشيرته في قضاء صافيتا منذ ان كنت انظم فروع الحزب
هناك.

سألني عن الزعيم فهو قادم دون اخذ موعد مسبق. صادف مروره في بيروت
فاحب ان يقوم بزيارة له. ابلغت الزعيم عن وجوده فخرج الى الدار يستقبله ودلفا معا
الى المكتب. هممت بالانسحاب تأدبا فاستبقاني الزعيم.

جالا جولة خاطفة في الامور السياسية. الكتلة الوطنية وتعصبها واعمالها التي تزداد
نكاية بمن كانت تسميهم انفصاليين الخ... الى ان بدأ يشكو همومه المالية والضائقة
التي يمر بها. وذلك دون ان يطلب شيئا من الزعيم.

غني عن القول ان الزعيم فهم مراده غير المباشر فسمعة الحزب المالية - انه يقبض
من المانيا او من ايطاليا - قد تكون طرقت مسامع الصديق، رئيس العشيرة فاحب ان
يدق هذا الباب وان بهذا الاسلوب البلوماسي.

شرح له الزعيم وضع الحزب السياسي وعرج في حديثه على الصعوبات المالية التي
تعرض لها الاعمال الحزبية، الى الشلل في بعض الاحيان، فكان في هذا الشرح جواب
غير مباشر على التلميح المقصود.

لباقة رئيس العشيرة قابلتها لباقة مماثلة من الزعيم وانصرف ترافقه الحفاوة التي
استقبل بها.

عرس فريوه - صائغ

وانقل عن «عبدالله قبرصي يتذكر» وصف اول عقد زواج مدني يقوم به الامين
قبرصي بوصفه «العاقد»:

« في يوم واحد عرسان قوميان . واحد لآل فريوه والآخر لآل الصائغ . كان ذلك في
ضهور الشوير في صيف 1937 ، في منزل هو نفسه حاليا اوتيل فيلا صوايا .

سعادة مدعو الى العرس ، والعروسان رفيقان . ونحن في ضهور الشوير التي كان قد
طغى عليها الطابع القومي . من لم يدخل الحزب تهيب فصمت ولم يجرؤ على المعارضة .
اما القوميون فقد تمكنوا من استقطاب الاكثرية الساحقة من المواطنين . كان يجب ان
نستغل المناسبة والا فما معنى ازالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب ؟ .

المعلم يمر في منزلي - وكان عبارة عن غرفة ومطبخ وشرفة - يا لذكريات الفقر
وما اطيبتها - ويطلب الي وضع قانون مستعجل للزواج المدني ، على الاقل في ما يتعلق
بالمراسم والشكليات .

المحاماة تسعف في مثل هذه الحالات الطارئة ، تذكرت القوانين الفرنسية ، تذكرت
كيف ان الزوجين في فرنسا يستجلان عقد زواجهما في سجلات النفوس المدنية قبل
المراسم الكنسية . كيف ان المختار - في دار المخترة - يعقد زواج العروسين Le
Maire .

كان علي ان اشترى سجلا . فاشتريت السجل .

ثم كان علي ان اضع نموذجا لزواج مدني فوضعت .

وإني لاذكر كيف سجلت اسم كل من العروسين وعمرهما . ومحل اقامتهما ، كما
سجلت اسماء الشاهدين ، وكيف نظمت محضرا رسميا ، ثم انتقلت الى ساحة العرس .

لا تمنحي من خاطري صورة الرفيقيين آنذاك جميل حبيقة الذي اصبح الشيخ جميل
واخيه عادل . كانا في مطلع شبابهما في ذلك العرس - العيد . يرتديان بزة بيضاء
يزهوان بالوان الفجر الشويري ، ويحملان على جبينهما كل عز الشوير ومرءاتها .

جئت الى الدار حيث تقام الافراح ، فاحضر لي الاهل طاولة مزينة بالورود
والزنابق ، وعلى الطاولة شمعتان ، فاجلست سجل الزواج في وسطها يعتز هو ايضا انه
اول سجل ، اول صفحة في تاريخ الزواج القومي الاجتماعي المدني ، العلماني ، القائم على
توافق ارادتين وتلاقي قلبين وامتزاج روحين .

ورحت انتظر .

الساعة الثانية تماما اقبل السادة المطارنة من طائفة الروح الارثوذكس ايليا كرم
وابيفانيوس زائد .

ثم اقبلت العروسان، فمرتاً اولاً مع العروسين بطاولة الاحوال الشخصية في الحزب السوري القومي ووقع الجميع مع الشهود على عقد الزواج المسجل في السجل.

ثم وقفت بصوت جهوري سألت كلا من العروسين؟

هل يرضى واحدهما بالآخر زوجاً له مدى الحياة؟

فكان الجواب بالطبع: نعم

ثم اعلنت: طالما ان هذه هي ارادتكما فاني اعلنكما باسم سوريا وسعادة زوجين سوريين قوميين..

دوت القاعة بالتصفيق.

العلم كان بين المدعويين. كان يصغي الي اطرح الاسئلة، كما كان يتفرج على العرسان يوقعون السجل. اين ذلك السجل الان؟ لقد جرفته كما جرفت كل اوراقنا ووثائقنا الملاحقات والتفتيش؟

كم عقدت من بعد عقوداً للقوميين، الى ان اسمتي جريدة «النهار» في احد الاعراس القومية «بطريك الحزب».

صحيح ان العقود لا قيمة قانونية لها. انها رمز لما تنوي تحقيقه في مقبلات الايام، انها الرمز الذي يعبر عن ثورتنا الاجتماعية في مؤسسة الزواج، انها ليست تلاقي زوجين من طائفة واحدة وفقاً للطقوس والمراسم بل تلاقي ارادتين مصممتين على الحياة معا تحت سقف النهضة القومية، لبناء العائلة الصالحة مداما كما في اسس الوطن القائم على الولاء القومي والتحرر من كل العقد القديمة التي تسببت مع الزمن بتفسيخ مجتمعا الى طوائف ومؤسسات طائفية!.

ويروي جبران جريج عن هذا الزواج المدني الرمزي الذي شاهده ما يلي: جرى ذلك في ضهور الشوير. كان الرفيق العريس من المغتربين. طلب من الزعيم أن يعقد له القرآن على الطريقة الخزبية أي الطريقة المدنية. اختار الزعيم المكان ضهور الشوير فهو يصطاف فيها. جرى الاحتفال المدني قبل الديني.

كلف الزعيم القانوني الأمين عبد الله قبرصي ان يقوم بمهمة «العاقدة». لبيّ الأمين قبرصي وقام بعملية العقد على أحسن ما يرام وفي نهاية العملية أعلنها زوجاً وزوجة باسم سورية وسعاده ثم التى كلمة باسم الحزب يوضح معنى هذه العملية على الأساس

القومي الاجتماعي ثم صرح أن هذا العقد هو الأول من نوعه، يدون في هذا السجل الرسمي، هو الأول من نوعه في تاريخنا الحديث ليس في الحزب وحسب بل في وطننا السوري كله، ان لم نقل في الشرق العربي كله.

ثم جاء الكاهن وقام بالطقوس الكنسية المرسومة لمثل هذه المناسبات ثم جاء دور التهنائي. كان الزعيم أول المهنتين يليه ضيف الشرف لطفي الحفار من شخصيات دمشق السياسية المرموقة المفتحة على نور العصر وتطوراته. ثم كرّرت المسبحة وتوافد الحضور للتهنئة.

مما اذكره عن تعليق الحفار على هذا العقد المدني انه عقد لا يتناهي مع اصول الإسلام فعقد الزواج فيه هو كناية عن تسجيل واقع الرضى من قِبَل الطرفين بهذا الزواج بحضور الوكيلين أي الشاهدين في العقد المدني.

انتهت الحفلة والأمين قبرصي يحمل لقباً جديداً « الخوري المدني ».



لطفي الحفار

جاء في مخطوطة جورج عبد المسيح ما يلي :

مع الاستاذ وجيه خوري

اكتب هتين النبتتين للتدليل على مقدار الحقد الذي يكنه الذين لا يزالون في

مراكز التحكم في رقاب العباد منذ الانتداب ومنهم وجيه خوري . ان هذا الإنسان كان في زمن الانتداب مرجع الشعبة الخاصة التي انشئت لمراقبة اعمال السوريين القوميين وكان كل ما يتبعه وهو الجزويتي الاصيل في عصبية هو ضمحلة القضية والقضاء عليها قضاء تاماً . وذلك لأنه لا يرضى ان يرمى لبنان « المسيحي » في احضان المسلمين . قال لي مرة وكان الزعيم قد خرج بالاتفاق المعروف من السجن الثالث . يجب ان تعرفوا اننا سنقضي على الحزب قضاء تاماً وسترى . فقلت له بماذا ؟ هل يمكنكم ان تقتلونا جميعاً ؟ ولنفرض انكم قتلتمونا فإذا دفنا في الارض فالنباتات التي تمتص اجسادنا تعود إلى تغذية فوج جديد من السوريين وإذا رميتونا في البحر تأتي الاسماك بمخلاصة ما فينا إلى سكان البر . ولذلك انا ادلك على طريقة وهي ان تجمعوا هذه الألوف من الشباب الذي آمن برسالة سعادته وتحرقوهم - بالاسيد سلفريك - فتأمنون بذلك تأثيرهم إلى ان تنتهي ايامكم انتم على الارض وبعدكم ماذا يهتمكم ؟ وكان لهذا القول اجرة ليلة طويلة في نظارة البرج وتهديد في اليوم التالي وتدخل الزعيم للافراج عني ١

قصة ثانية

كنت صدفة مع البرفيق جبران جريج في الشارع الذي يصعد من شبالي كنيسة العاشرين على الجميزة مقابل بنايات الفرار . وكان وجيه خوري ، ذاته ، نازل من بيته إلى طريق - الترامواي - فالتفت فرآنا خلفه فخف السير . وعندما لاحظنا خوفه اسرعنا نحن ايضاً لزيادة خوفه . فأوقف اول تكسي وانطلقت به معاكسة للسير وبعد بضع دقائق ونحن في طريقنا كانت دوريات التحري تفتش عنا وقد حقق معنا ولولا تمكننا من تأكيد مكان وجودنا لبقينا في السجن بتهمة محاولة اغتيال هذا السيد المحترم وجيه الخوري . وبقي التحقيق إلى المحكمة العسكرية وسألنا المستنطق عن هذه الشكوى ضدنا :

هذه نماذج عن الذين يؤلفون اليوم حلقة رؤوساء محاكمنا ولجنة العفو الدائمة التي تنتظر في قضايانا .

مع جريدة صوت الأحرار

التقى مندوبنا صباح امس بمحضرة الاستاذ انطون سعادة زعيم الحزب السوري القومي وتحدث اليه عن الحالة السياسية بمناسبة المشادة القائمة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية فطرح عليه المندوب مع بعض الزملاء اسئلة في الموضوع اجاب عنها الزعيم بما يلي :

المندوب - ما رأيكم في الحالة السياسية الحاضرة في لبنان؟
الاستاذ سعادة - ان دخول لبنان في طور جديد بعد عقد المعاهدة اللبنانية الفرنسية يضع علينا اعباء اقتصادية سياسية ثقيلة هي اعباء دولة منشأة لا تزال في بدء اختيارها الاقتصادي والسياسي.

وها نحن قد بدأنا نشعر بشدة وطأة هذه الاعباء التي تحتاج معالجة مشاكلها الى اختصاص واستقصاء لموارد الدولة وحاجاتها والى مؤسسات جديدة صالحة للقيام بهذه المعاهدة. ولا شك عندنا في ان حال البلاد الاقتصادية تحتاج الى عناية كبيرة مستمرة للحؤول دون وقوع نكبة شديدة، اما من الوجة السياسية فالبلاد مصابة بشلل.

المندوب - ما هي الاسباب التي تعتقدون انها اوجدت هذا الشلل؟
الاستاذ سعادة - الاسباب هي في عدم تمثيل الشعب تمثيلا صحيحا وعدم صلاح اساليب التمثيل بمهمة رفع الشعب من مستوى سياسي اقتصادي الى مستوى اعلى، ولكن مازالت الدولة تسير على النظام البرلماني فان هذا النظام يجب ان يكون صحيحا.

وان درسنا حال المجلس اللبناني بعد اعادة الدستور يدلنا بالنتيجة على ان تمثيل الشعب ومصالحه مفقود من المجلس الحالي فقد كثرت المناورات ضمن المجلس وتقلقل كل نظام وفقد الغرض من وجوده. وبما لا شك فيه انه ليس اسوأ للبلاد من تبلبل

مجلسها التمثيلي ، لان التبديل يحول دون درس المشاريع التي تحتاج اليها البلاد ويصرف الجهود عن هذه المشاريع الى اغراض اخرى ليست في مصلحة البلاد . وهذا هو الواقع في حال المجلس الحالي . اما اساليب التمثيل فغير صالحة لانها تجعل التمثيل للطوائف بدل الاحزاب ، وللأشخاص بدلا من البرامج الحزبية .

المندوب - ما هي الطريقة التي تترأونها للخروج من هذا المأزق؟

الاستاذ سعاده - ان استفتاء الشعب للوصول الى تمثيل جديد صالح للتعبير عن مصالح الدولة وارادتها هو العلاج الضروري للخروج من حالة القلق السائدة في المجلس . وقد يكون حل المجلس والدعوة الى انتخابات جديدة خير ما يمكن الحكومة فعلة للخروج من البلبلة السائدة في المجلس ولاءعادة الامر الى مرجعه الاخير الذي هو الشعب .

المندوب - ما رأيكم في شكل الانتخابات؟

الاستاذ سعاده - نحن نقول بوجود فصح المجال للاحزاب لان الاحزاب هي الطريقة الوحيدة لجعل النظام البرلماني صالحا لتمثيل مصالح الدولة وارادتها .

انتفاء بالمرسلة

فيما يلي الرسالة التي بعث بها جبران جريج الى شقيقه من جملة رسائل. بصدد حقيقة الحزب السوري القومي الاجتماعي التي كانت تشوّهها الدعايات المغرضة في ذلك الحين والتي كان من نتائجها انتهاؤه الى الحزب. انشرها لاعطي مثلاً عن التشويه المذكور بخاصة في المغتربات.



ابراهيم جريج

اخى الحبيب،

عسى ان يصل اليك هذا الكتاب وانت قد شفيت تماماً من كل مكروه والحق اقول لك ان هذا الخبر قد اقلقني واثار بلبالي ولست ادري أيجب ان يعرف به الاهل والاخوان؟ على كلِّ سأعمل جهدي كي اكون لبقاً في ايصاله اليهم واني استحلفك بمحبتك الغالية ان تسرع في الجواب حتى يطمئن فكري ويهدأ بالي.

وصلني تحريك اليوم صباحاً وقد وصل ساعي البريد وهو يحمل بيده دعوة من مركز البريد العام في بيروت للحضور لتسلم رسالة مضمونة وعلى الدعوة مكتوب بقلم رصاص « جبران جريج الحزب السوري القومي » فذهبت توتاً ليس لان الرسالة مضمونة

- وانت اعلم - فوصلت الى مركز البريد وطلبت الرسالة ولكن في الوقت نفسه طلب الموظف مني تذكرة نفوسي فلم تكن معي انما موظف آخر انقذ الموقف قائلاً له « أتريد دليلاً على انه هو المدعو من انه في الحزب السوري القومي؟ » وهكذا كان. تسلمت الرسالة ووقعت امضائي على سجله ووقفت راجعاً الى المكتب.

اخى المحبوب، ان كنت انت تسرعت وقلت ما قلت مختصراً على عجلة فأنا لا اتسرع وسأكلمك على مهل لان المثل القديم يقول « في العجلة الندامة وفي التأني السلامة » وعلى كل حال انت ادري بالامثال والحكم.

اخى، ممّا لا ريب فيه ان الفشيستية التليانية او النازية الالمانية مكروهتان ومما لا ريب فيه ايضاً انكم في بلاد واسعة ترى كل المعمورة واننا نحن اليوم في بلاد ضيقة لا ترى سوى حدودها. كل هذا صحيح انما الذي ضايقتي وآلني هو ان تسألني ذلك السؤال الموضوع بقلب يدك لانك لا تزال تكلم جبران الصغير، جبران الطفل، جبران تلميذ الفريز في Montevideo، جبران الضائع بين تساييح الرهبان في الخدمات الكنائسية وبين علومه المدرسية وبين تربيته البيئية عند تلك الام التي كانت تكذب وتخدع من اجل مستقبل عائلتها. فان كان سؤالك يا اخي، يحمل هذه الصيغة فاني فخور بأن اصرح لك ان ذلك الجبران قد مات او بتعبير آخر اصح ان الذرات التي كانت تكوّن ذلك الجسم قد تبدلت وتغيرت وتلايف دماغه تطورت حتى لم يعد لها أي اثر سوى الذكرى ونمت بدلها ذرات جديدة حلت محلها قوّت تلايف دماغ جبران الجديد فاصبح فتى طموحاً انما متردد تائه في مشاكل الحياة فيتهور حيناً ويغامر احياناً ويتهوس طورا ويكاد يياس تارة الى ان صار في طريق الرجولة بعد بعض الاختبارات البسيطة عندما اندمج في معترك الحياة المادية ونزل الى ميدان العمل يظن نفسه رجلاً لانه بدأ يكتسب بعض المال يكفيه تغطية بعض المصاريف الجزئية فمن الصحراء الى معلم مدرسة الى ان اهتدى للمصراط المستقيم فوجد ضالته المنشودة وعرف تماماً كيف تكون طريق الطموح الثابتة بطموح الامة الى المجد والعلاء وتعلم كيف يصير المرء رجلاً بتحمل المسؤوليات وبالا اعتماد على نفسه وبالاتكال عليها والثقة منها. اذن جبران اليوم، جبران السوري القومي الحائز على هذه الصفات كلها يجيبك على اعتقاد منه انك تؤمن ان جبران لا يكذب عليك ولا يدهنك ولا يتملق لاحد بل يصرخ بكل جرأة، لأنه سوري قومي، على امل انك تصدق اكيدا ما اقله لك ولا تعود ترتاب ابداً باقدس نهضة قامت في الوطن ولا تعود تشك بالامل الوحيد لبلادنا المحبوبة، الامل الوحيد للتخلص من نير التقاليد والعادات الرثة والاهوام الطائفية والاقطاعية والرأسمالية والتجزئات السياسية المحلية، اخي، ان الرجاء

الوحيد للبلاد هو الحزب السوري القومي لا الشيوعية او بكلمة اخرى القومية السورية التي يتركز فيها الحزب السوري القومي ومبادئه الاشتراكية.

ربما تفيد الفشيستية ايتاليا وربما تفيد النازية المانيا وربما تفيد الشيوعية في روسيا وفرنسا ولكن ما لا يجوز لنا ان نفكر به ابدا هو تقليد امّا ايتاليا او المانيا او روسيا او فرنسا لان لكل بلاد مشاكلها الداخلية وامراضها الاجتماعية ولا يصح ان نقول ان ما يحل مشاكل فرنسا وروسيا او ايتاليا والمانيا يجوز ان يحل مشاكلنا وان دواء امراض فرنسا وروسيا الاجتماعية هو دواء ايتاليا والمانيا وان دواءهم جميعاً ربما يكون دواءنا نحن السوريين.

هل مرضنا مرضهم، هل مشاكلهم مشاكلنا، هل مصيبتهم مصيبتنا؟ انك ستجيب اكيذا بالنفي.

لو سألتك يا اخي اين بلادك وما هو وطنك؟ ستجيب بلا شك انك سوري ولا وجود له اليوم وان جنسيتك السورية لا اعتبار لها اليوم؟

ربما تقول بالانسانية العالمية وبعدم تحديد الوطن، نعم، هذا جميل جدا ولكن ان كنت انا مريضا بجسمي غير مكتمل الاجزاء او مبتورها هل استطيع ان اخدم الفكرة الانسانية العالمية، كلا، بل بالعكس ان التفاحة للمريضة اصابت جميع التفاحات بالمرض فاخاف ان ظلت بلادنا بلا كيان، مريضة كما هي، ان يتسرب مكروبها كما تسرب في زمان الانبياء فيصيب العالم بالداء العياء!!!

اول ما يقوم به الطبيب الاختصاصي ه تشخيص الداء وتحديد مكانه ثم استنباط الدواء ثم يعلم المريض كيفية استعماله. وهذا ما فعله الحزب السوري القومي شخص الداء فمن نعرات طائفية وعنصرية الخ... ثم حدد مكان الداء فمن جبال طوروس الى السويس ومن البحر الى الصحراء.

ثم ابتكر الدواء بالقومية السورية والقضية السورية القومية قضية الامة السورية وسورية للسوريين والسوريون امة تامة. ثم ازال جميع اعراض المرض الظاهرة بالامة السورية هيئة اجتماعية واحدة فلا غني ولا فقير ولا رأسمالي ولا فلاح او عامل او صانع الخ... الجميع متساوون في حقوقهم المدنية والسياسية، ثم قدم للمريض المقويات تستمد النهضة السورية القومية روحها من مواهب الامة السورية وتاريخها السياسي والقومي فبدأت القوة تدب في الجسم المتفكك واخيرا مصلحة سورية فوق كل مصلحة

ليستطيع هذا الجسم من صيانة نفسه ضد كل مرض ربما ينتابه وهكذا يصبح الجسم المريض قويا يقدر ان يبرز الى العمل ويفيد البشرية.

ثم بعد ان شفي مرض هذا الجسم احتاج الى توجيهات جديدة فوصف له (بدل المأكولات التي تعطي في دور النقاهاة بالطبع) فصل الدين عن الدولة، منع رجال الدين من التدخل بشؤون السياسة والقضاء القوميين، ازالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب والغاء الاقطاع وتنظيم اقتصاد القومي على اساس الانتاج وانصاف العامل وصيانة مصلحة الامة والدولة. وثم اعداد جيش قوي يكون ذا قيمة فعلية في تقرير مصير الامة والدولة ينشئ في الشباب روح الجندية او روح الاتكال على النفس والاعتماد عليها فاذن ترى يا اخي ان القومية السورية قضية داخلية للامة السورية لا علاقة لاحد فيها.

ثم سأخبرك كيف بدأت هذه الاشاعة الفشيستية وكيف امتدت. يوم انكشف الحزب السوري القومي رأت البلاد السورية عدا عن مظاهر الجراة والاقدام مظهرا جديدا وهو رفع الايادي بصورة زاوية مستقيمة قائلين لتحي سورية. وكما تعلم يا اخي ان في كل حركة احباء واعداء ومن جملة الاعداء رجل كان في الحزب وقت كان سرا وهو يدعى عزيز الهاشم ومن سوء الحظ محامي وكان رئيس حزب الاستقلال الجمهوري وكان يعتقد انه قادر ان يستغل حماس الشباب واندفاعهم في سبيل بعض الغايات الشخصية وقد تألف فيما بعد مكتب التحريات لمقاومة الحزب السوري القومي وكان من اولى النتائج لهذا المكتب الاشاعة ان الحزب السوري القومي له علاقات دولية مشبوهة خصوصا مع ايطاليا وبدأت الاعتقالات تجري واخذت الحكومة اللبنانية تقبض على الشباب الراقي لمجرد وشاية من مبغض او حسود او لمجرد حرازة شخصية او عائلية او لمجرد نفوذ اي ان النهضة الرجعية بدأت تكافح الحزب تحت ستار انه حزب دكتاتوري، حزب فشيستي. مضى الاعتقال الاول فلم تجد الحكومة الافرنسية ما يدل على تلك العلاقات فكذبت الخبر ثم صار الاعتقال الثاني بناءً على تعليمات مكتب التحريات المحترم فلم يعثروا مع اوراق الحزب على شيء من ذلك ثم الاعتقالات الثالثة بناءً على رغبة البطريركية المارونية وغيرها من الخائفين من الانتخابات المقبلة فلم يعثروا على شيء فابن العلاقة؟ العلاقة ان الحزب السوري القومي يحيي برفع الايدي بصورة زاوية مستقيمة وعلمه بهيئة زوبعة حمراء تدور ضمن دائرة بيضاء على لوح اسود. فرفع اليه بصورة زاوية مستقيمة ترمز الى ان البناء يجب ان يكون مؤسسا على زوايا متينة

مضبوطة ليصلح البناء وفتح كف اليد تدل على اننا جماعة نحب السلام لا الحرب . ثم الزوبعة الحمراء اخذ رمزها عن الهلال والصليب فعندما فكر الحزب بايجاد شعار الحزبي اتفقت الكلمة ان الشعار يجب ان يرمز الى اندماج الهلال والصليب واخذت الاقلام ترسم حتى توصلت الى هذا الشكل فبدأت الافكار تتجه الى تسمية هذا الشكل فسماه حضرة الزعيم الزوبعة وهكذا كان . هذه هي الزوبعة فترى انها ابتكار محض واما الالوان فلاسود يرمز الى الجدد والابيض الى الاخلاص والاحمر الى العزم واما رؤوس الالهة ترمز الى اربع مثل عليا « الحرية ، الواجب ، النظام ، القوة » . فترى يا اخي ان الدكتاتورية في الحزب ليست لغير تعلم الواجب الذي يجب ان نؤديه بنظام فتتكون عند ذلك القوة التي ستينلنا حريتنا . اذن ترى ان القضية والرموز كلها قضية داخلية للامة السورية .

ثم تأتي مشكلة المال فيقول الناس كيف يستطيع الحزب ان يستأجر المكاتب لاعماله في احوال السلم وكيف يدفع الاموال الكثيرة في احوال الظروف الاستثنائية ولكن لا يعلمون ان الخمسين الف عضو المؤلف من الحزب اليوم كلها تدفع اشتراكاتها وتتبرع فتقيل الحزب من عثراته . ثم اعطيك النموذج عن اشاعتهم وكيف يقبض الحزب اموالا من ايتاليا . يقال « كيف يستطيع جبران ان يصرف في طرابلس او بيروت وهو اليوم لا يعمل شيئاً ولا يدخل فاذن الحزب يدفع له راتها معيناً ومن اين يأتي الحزب بكل هذه الاموال فاذن من ايتاليا ولكن الناس لا تعلم ان لجبران اخاً اسمه ابراهيم يرسل له من مدة الى اخرى اموالا يصرفها على الحزب وعلى نفسه .

ثم لا يجوز ان نبي جميع الاسس على حسب البلاد التي انتم تسكنونها فرمبا الشيوعية كفكرة نفعتم لان عندكم المعامل والمصانع والرأسمال الضخم الخ... ولكن في سورية ليس لنا معامل ومصانع او الرأسمال الوطني الضخم بل هنا الرأسمال الاجنبي ونحن ضده على طول الخط .

هذا وعسى ان اقوم في فرصة ثانية بشرح اوفى اذ انه من كثرة اشغالي احتجت ان اؤجل تنمة هذا التحرير من الامس الى اليوم فقيرت الريشة والحبر لاني اضطررت ان اذهب بجولة الى بعلبك ورياق وزحلة .

الخمس ليرات وصلت في اوانها كما تصل الاموال منك دائماً . دمت سالماً يا اخي ودمت سندا للعائلة والوطن والانسانية ولتحي سورية وليحي الزعيم

اخوك المؤمن باخلاص جبران

القضية والزعيم سعادة والموقن باقتناعك وانت والاخوان نصر ومن حوالىكم

في 12 اغسطس 1937

اني مرسل لك نسخة من شرح المبادئ بقلم الزعيم.

منح رتبة الامانة

في 13 اغسطس 1937 صدر مرسومان دستوريان بمنح رتبة الامانة لعضوين في الحزب موجودين عبر الحدود. اعطاني يومها الرسالتين ابعث بهما بواسطة البريد. واحدة لفؤاد ابي عجرم والاخرى لعساف ابو مراد.

كان فؤاد ابي عجرم معتمدا للحزب في الولايات المتحدة، مركزه ديترويت ميتشغن، حيث كان يتلقى علومه الصيدلنة، في جامعة «ان اربر» وعساف ابو مراد الذي كان قد اغترب الى المكسيك للتجارة كما مر بنا واسس فرعاً للحزب كان نشيطاً وممولاً.

رسالة المكسيك

حضرة القومي الأمين عساف ابو مراد، المحترم

اني تتبعت عملك وسعيك في سبيل حزبك وقضية الحقة وسررت كثيراً بالنجاح المشجع الذي لاقيته في مستقر هجرتك، عاصمة المكسيك. وكانت أخبارك موضوع اهتمامي وعنايتي فقدّرت حيويتك وروحية النهضة الصحيحة الفاعلة فيك. ووددت كثيراً أن أكتب اليك مهنتاً بما فعلت ولكن شواغل الحزب والقضية الملحة استغرقت كل عنايتي وفاعليتي فاكتفيت حيناً، بالاطمئنان والارتياح الى مساعيك المفلحة.

لقد سجلنا بكل فخر وتقدير الأعمال والمساعدات التي قام بها فرع المكسيك نحو مركز الحزب في ظروفه الصعبة. ولولا المساعدات المالية التي قام بها فرع المكسيك لكانت محنة الحزب أعظم ضرراً. كل ذلك كان نتيجة سعيك وعملك المخلص. ولذلك فقد قدرت اخلاصك واندفاعك ومنحتك رتبة «الأمانة» التي هي أعلى رتبة

في الحزب ولا تمنح إلا للأعضاء القدماء الذين ضحوا في سبيل الحزب ودأبوا على بث دعوته والدفاع عنه وقاموا بمجتمات جليلة الشأن وحاربوا الفوضى والبذع وأخلصوا للحزب كل الإخلاص وتجردوا في سبيل القضية عن كل غاية شخصية. وهذه الرتبة توجب الاحترام والتقدير لحاملها وتحييز له الوقوف على أسرار الحزب السياسية وغيرها وتؤهل حاملها لأن ينتدب للمهام الخطيرة التي تحتاج الى رصانة وأمانة وكمثال وتمهد له لأن يصبح عضواً في « المجلس الأعلى » فأنت قد استحققت هذه الرتبة وستصلك البراءة الرسمية فأهنتك .

ولا بد ان تصلك نسخة الدستور والمراسيم الدستورية والقوانين المالية وغيرها قبل وصول هذا الكتاب إليك فأوصيك بدرسها وعقد مجلس المديرين لدرسها والتذاكر في تطبيقها بكل أمانة ودقة .

يعمل الحزب الآن عملاً مستمراً لتثبيت مركزه وتقوية حركته. وعمل من هذا النوع، بعد اتساع نطاق الحزب اتساعاً كبيراً وازدياد مطالبه الادارية والاذاعية والتفتيشية، وبعد ما حل به من الصدمات، يحتاج الى جهود عقلية وعضلية ومالية عظيمة. والجهة المالية تعتمد في تأمينها على المهجر أكثر مما على الوطن، اذ الأحوال الاقتصادية والمالية في الوطن تسير من سيء الى أسوء، كما تعلم.

قد تسلّمت هدية الأنسة ألماس صعب. وهي هدية لطيفة تدلّ على سلامة ذوق من درجة عالية وعلى عاطفة صادقة تزيد في قوتنا الروحية وسأكتب للأنسة صعب على حدة، لأظهر لها تقديري واحترامي.

سأوجه رسالة الى السوريين المهاجرين في أول فرصة سانحة. أما الآن فأود أن أفرغ من بعض الشؤون الأساسية كتثبيت سياسية الحزب وانشاء علاقات طيبة تجعله أقوى قوة سياسية في الوطن، وتنقيح كتابي « نشوء الأمم » الذي ألفته في سجنى الأول، وتنظيم ادارة الحزب الداخلية تنظيمًا متيناً. وفي كل ذلك سننظر الى فرع المكسيك نظراً إلى وحدة قوية من وحدات الحزب السوري القومي التي تمثل موارد قوة وحيوية لاتنضب فإليك وإلى جميع السوريين القوميين التابعين لمنفديتك سلامي وحيّتي.

في 13 اغسطس 1937

ولتحي سورية

المؤتمر الإداري

قرر الزعيم عقد مؤتمر اداري لفروع الحزب كلها في دمشق. في الموعد المحدد حضرت هيئات هذه الفروع الى العاصمة الاموية ولكن لالتقى ترحيباً بالمؤتمر وانعقاده فيها بل لتلقى صدودا وجفاء.

كانت الهيئات تدعى الى مخفر «المرجه» وتستجوب وتبلغ المنع ولكن «اهلا وسهلا بكم في دمشق، سيدي». والنكتة الحلوة هي ان هيئة حزبية من لبنان على رأسها كامل ابو كامل اعتقلت لمدة اطول من باقي الهيئات وذلك للتأكد من أن كامل ابو كامل ليس انطون سعاده.

وبالرغم من حمله هويته معه وبالرغم من شهادة مرافقيه، باقي اعضاء الهيئة بأنه كامل ابو كامل فالتحقيق يصر على انه انطون سعاده ويريد ان يتثبت من خطأ تقديره بوسائله هو لا بوسائل الهيئة والشهود.

وأخيراً، افرج عن هذه الهيئة كباقي الهيئات مع الاعتذار عن هذا الخطأ المطبعي «سوء تفاهم، سيدي!!».

كان في هذا الوقت قد وصل الخبر الى الزعيم فقرر نقل مكان المؤتمر من دمشق الى بيروت وفي اليوم نفسه، وهكذا صار وانعقد هذا المؤتمر في مقر الحزب في شارع المعروض.

تكلم الزعيم بعد افتتاحه مسجلا موقف حكومة دمشق السليبي ومنتددا بهذه التصرفات التعسفية تجاه الحريات العامة.

وجاء بهذا الصدد في مخطوطة مذكرات الامين كامل ابو كامل ما يلي:
واذكر بان دعوة ارسلت الى جميع المنفذين العامين في لبنان وبعض المسؤولين
للتوجه الى الشام لحضور مؤتمر يعقد في دمشق برئاسة الزعيم على ان يحدد مكان
الاجتماع بعد وصولنا الى مكان تعين لنا واجتماع من هذا النوع يجب ان نحصل فيه على
ترخيص، لذلك تقدم المنفذ العام في دمشق بالطلب وحصل على الترخيص وفي صباح
يوم الاجتماع عادت الدولة والغت الترخيص دون ان تعلم المنفذ العام بذلك وكان قد
وصل الى مكان الاجتماع عدد من المنفذين العامين وعندما وصلنا الى ساحة المرجة
اوقفنا حاجز من الدرك ولم يسمح لنا بالمرور وبعدنا وصلت سيارات خمسة اوقفها
جميعها وحجز افرادها بحجة ممنوع دخول دمشق واستمر التوقيف حتى بلغ عددنا خمسة
واربعين مسؤولا. اذكر منهم الشيخ جميل العازار، عارف ابو علوان، عجاج المهتار،
نواف حردان، نهاد حنا، فكتور اسعد، جميل شكر الله.

وبعد حوالي ثلاث ساعات من الحوار مع قائد الحاجز تمكن من الفرار عدد منا
تسلل داخل البساتين حتى داخل دمشق وكنت احد اللذين تسللوا وبعد دخولنا المدينة
ونحن بطريقنا للالتقاء برفاقنا وبينما كنت اسير في شارع المهاجرين اعتقلني دورية من
رجال الامن العام بحجة اني انطون سعادة فاطهرت لهم هويتي فما صدقوها قالوا هذه
مزورة قلت يا عمي زعيم الحزب لا يزور هويته صدقوني انا لست انطون سعادة فقال
احدهم يا سلام كمان تريد ان تضحك علينا بالله انا عرفتك انطون سعادة وتأبط
ذراعي ومشينا نحن الثلاثة حتى وصلنا الدائرة. رئيس الدائرة كان اذكي من الشرطين
بقليل. على مثلث امامه عرضت عليه هويتي التبس عليه الموضوع ولكنه حجزي عنده
ريثا يتأكد بأنني لست زعيم الحزب. مضى على حجزي ساعة لم يأت من يسأل عني فيها
وفجأة اسمع حوارا في غرفة المدير وكأنني اسمع صوتاً اعرفه ويأتي من يفتح باب
غرفتي ويقول تفضل لغرفة المدير فأجد عنده الرفيقي انيس فاخوري ويوسف اليازجي
ويوسف شامي وانيس يحمل بيده صورة للزعيم يعرضها على المدير حين ان وصلت
امامه ويقول تفضل يا سيدي ميّزوا جيداً ايمن ان تكون صورته وبدا المدير
يتفحصني ويقارن ما بين الصورة وبينني حتى قرّر بالاخير انني لست زعيم الحزب.

اشترط بأن يخلي سبيلي بشرط ان اترك دمشق واعود الى لبنان وانه سيرسلني
بسيارة على نفقة الدولة مخفوراً حتى الحدود اللبنانية. وهكذا كان فعادت الى الحدود
مخفورا على نفقة الدولة الشامية. ولم اكن الوحيد الذي عاد على نفقة الدولة
الشامية بل جميع اللذين كانوا محتجزين في المرجة اعيدوا على نفقة الدولة بسيارات
كبيرة اوصلتهم الى شتورة وكان همي الوحيد ان اعرف مصير الزعيم لذلك فور
وصولي الى شتورة قصدت غرفة التلفون واتصلت بنعمة ثابت فاخبرني بان الزعيم لم
يذهب الى دمشق لان اخبار الخديعة قد وصلته منذ الصباح الباكر.

مَشْرُوعُ جَرِيءٍ

كان الزعيم في بيت مري يستجم، ضيفا على الرفيق جورج عبد المسيح. كان الوقت صيفا واذ بالرفيق ولم سابا يأتيني ليستعير مني بنطلونا يلبسه احد العسكريين قادمًا لمقابلة الزعيم. اقترحت ان يحضر هذا العسكري الى غرفتي ويبدل فيها ثيابه، اذ قد لا يناسبه قياسي.

حضر ومعه رفيقه. كانا اثنين، اديب شيشكلي وأمير شلاش. كلاهما عسكري في القوى الفرنسية الخاصة برتبة ضابط صغير. ناسبه قياسي. واصطحبها ولم الى بيت مري. ثار في الفضول ولكن... هو الانضباط ماذا وراء مجيئها وفي هذا الظرف بالذات؟

عرف الزعيم منهم أن تبديل الثياب جرى عندي ولذلك لم يجد ضيرا في اطلاعي على هذا الشأن وان كان اعتبره - كما قال - خطيرا وخطيرا جدا. انها يحملان خطوطا عريضة لمشروع انقلاب. «أليس هذا المشروع مشروعا جرئيا؟» «لا ريب في ذلك، انه جريء حد الجنون» كان جوابي، وانتظرت المزيد.

قال «اعجبتني الفكرة، لكنها تحتاج الى درس عميق فان المسؤولية المترتبة عليها مسؤولية مصيرية». واخذ يشرح لي بعضها كأنه يريد ان يختبر وقعه علي او يستأنس برأيي. ولكن من أين يكون لي رأي في شأن من هذا النوع!

قال «المسألة في نظرها بسيطة. الروح الوطنية فاعلة في أفراد الجيش من المواطنين وهناك عدد من الضباط الوطنيين على رأس هذه الوحدات تشكل اكثرية، لا بأس بها».

«يعلن هؤلاء الضباط قيادة وطنية لهم، تؤمن لهم شبه استقلال عن القيادة الفرنسية».

تعاون هذه القيادة الوطنية مع القيادة الفرنسية اذ ليس هدفها طرد الفرنسيين من البلاد بالقوة. يجري الشيء نفسه للجهاز المدني فتعلن هذه القيادة حكومة مدنية تدير شؤون البلاد تدعمها هذه القيادة العسكرية الوطنية. تصبح القوة الفرنسية قوة رمزية تمثل مصالحها، لا أكثر ولا أقل».

هذه الخطوط العريضة للمشروع الخطير الذي كان مفروضاً فيه ان يتم بالتعاون مع جميع الضباط القوميين الموجودين في الجيش مختلطين بين لبناني وشامي. فاللبناني كان ينقل الى حلب مثلاً والشامي ينقل الى «الميومية» في صيدا، الجيش وحدة تامة لا يتعرف على التجزئة السياسية».

وأخيراً، اعطى رأيه في هذا المشروع الخطير فقال عنه «ان هذا المشروع يحمل روح التحدي القومية اكثر من مشروع انقلاب بحت».

يقول منير الملاذي:

«نسيت ان اقول، اني في سنة 1937 دعيت لاجتماع عقد بمجاه برئاسة الزعيم وقد ضم الاجتماع اديب الشيشكلي، صلاح الشيشكلي، امير شلاش، اكرم حوراني وواصل حوراني درسنا فيه عدة قضايا من جللتها قضية انتشار الحزب في الجيش فقال اديب شيشكلي حينذاك باعتقادي انه لا يجب ان يستمر الحزب في الجيش اكثر من ستة اشهر دون ان يقوم بعمل حاسم وكان جواب الزعيم مشجعاً وقد استمر الاجتماع يومين دون اتخاذ قرار حاسم في اي موضوع».

انشاء الندوة الثقافية

يقول الزعيم في النشرة الرسمية للحركة القومية الاجتماعية، المجلد الاول، العدد التاسع، شهر مايو 1948 عن الندوة الثقافية ما يلي: « في الصفحة 27 من العدد الاول من « النظام الجديد »، في المقدمة لكتاب الزعيم الى الدكتور شارل مالك، ايضاح للطبعة الثقافية للحركة السورية القومية الاجتماعية التي اثرت بتعاليمها ونظرتها في جميع فئات الامة السورية وجميع مناطقها واصبحت اساليبها وطرق تفكيرها طابع العصر - الطابع الذي تتميز به الاحزاب والتكتلات والمشكلات السياسية والجمعيات السياسية والاقتصادية والفكرية التي اخذت تحذو حذو الحزب السوري القومي الاجتماعي في وضع التعاليم والمناهج وتقتبس من تعابيره. وقد ورد في المكان المشار اليه، في صدد ندوة الحزب السوري القومي الاجتماعي الثقافية، ما يلي: « انشئت الندوة الثقافية في الحركة القومية الاجتماعية في خريف سنة 1937 للابحاث الثقافية ولنقل الفكر من السطحيات ومسائل الادراك العادي الى الاساسيات وقضايا العقل العلمي والفلسفي ».

وفي الصفحة 27 من العدد الاول من « النظام الجديد »، المجلد الاول، شهر مارس 1948 ورد ما يلي: « كان ظهور تعاليم النهضة السورية القومية الاجتماعية في هذه البلاد حادثا خطيرا جدا. لانه اوجد، لأول مرة في تاريخ هذه الامة الحديث، قضية الفكر الفلسفي الاساسي. ووضع امام العقل السوري قضايا الحياة والوجود الاساسية الكبرى وقضايا الحياة العملية. ولكن الغفلة عن قضايا الفكر والحياة العظمى ابقته هذه الحقيقة محجوبة عن الادراك والمعرفة. ولم تتمكن الحركة القومية الاجتماعية، في بادئ عهدها، من الانصباب على قضايا الحياة والكون والفن، التي تقدم تعاليمها نظرة واضحة اليها، نظرا للظروف السياسية العنيفة - التي لازمتها في بدء عملها. مع ذلك فان الحركة القومية الاجتماعية، وهي الحركة السلبية بطبيعتها التي لا تخضع لامر مفعول ولا تسلم

لقوة اخرى او فرض غريب، لم تقف جامدة تجاه القضايا الكبرى ولم تتخل عن اثبات نظرتها الى الحياة والكون والفن بالفعل والقول، حتى في اشد الظروف حرجاً.

في عرزال ناء عن العمران، وفي «كوخ» حقيير في بيروت، قائم وراء دار المرحوم الاستاذ جرجس المقدسي في الشارع المسمى «جان دارك» في رأس بيروت وفي طرقات حديقة الجامعة الاميركانية، كان الزعيم يعلم ويلقي دورسه على تلاميذ دعوته الاولى. وفي ذلك الاجتماع القومي الاجتماعي الاول الذي حضره وفود من فروع الحركة القومية الاجتماعية، المنعقد في اول يونيو 1935 القى الزعيم خطابه المنهاجي الاول الذي هو اول شرح مثبت لمبادئ الحركة القومية الاجتماعية واطهر فيه نواحي هامة من النظرة القومية الاجتماعية. ثم تلا ذلك تأليف الكتاب الاول من مؤلف «نشوء الامم» في ربيع سنة 1936 في سجن الرمل. وتلاه كتابة «شرح المبادئ» في صيف سنة 1936 في سجن الرمل، ايضاً. ثم انشئت الندوة الثقافية في الحركة القومية الاجتماعية في خريف سنة 1937 للابحاث الثقافية ولتقل الفكر من السطحيات ومسائل الادراك العادي الى الاساسيات وقضايا العقل العلمي والفلسفي».

تحقيق مشروع الندوة الثقافية

كلفني الزعيم بعد خروجه من السجن الثالث ان اجس نبض الرفيق زكي نقاش عن مدى استعداده للعمل الحزبي في الحقل الثقافي ولما كان الجواب الذي حملته معي مشجعاً فقد سلمه الزعيم رئاسة الندوة الثقافية وعين الرفيق فؤاد سليمان ناموساً لها.

وصنف اعضاءها صنفين: مشتركين ومستمعين. من الاعضاء المشتركين اذكر بعضهم - يوسف صوراتي، منير تقي الدين، عبد الله قبرصي، فخري معلوف، منير الحسيني، ناجي عيتاني ومن الاعضاء المستمعين انا وجورج عبد المسيح، انيس فاخوري، الخ...

اذكر ان جورج عبد المسيح ابدى تدمره امام الزعيم من كثرة المشاغل الحزبية التي تقف حجر عثرة في سبيل حضوره اجتماعات هذه الندوة الثقافية فكان جواب الزعيم مختصراً مفيداً. قال «في الحزب، نريد اختصاصيين، في الادارة، في الاذاعة، في المالية، في الاقتصاد، في التدريب... وليس من الضرورة ان يصبح كل المسؤولين المركزيين في الحزب اختصاصيين في الامور الثقافية. التنوع في الاختصاص ضرورة اساسية في هيكل نظام اية دولة ومنها دولتنا القومية».

وجاء في رسالة الزعيم السادسة الى غسان تويني تاريخ 4 آب 1946 بصدد هذه الندوة الثقافية ماييلي: «وكانت اجتماعات «الندوة الثقافية» لذلك المعهد تجري في بيت الامين عبد الله قبرصي الذي كان قريبا جدا من بيت معلوف في رأس بيروت. وكان يحضر هذه الاجتماعات، بصورة دائمة، فخري ورشدي معلوف ويوسف صايغ، وبصورة استثنائية صار يسمح للاحداث حلمي وفوزي معلوف وفايز صايغ بالحضور والاستماع.

كان الزعيم يحضر جميع هذه الاجتماعات، حتى حين يكون مريضا ومرهقا، نظرا لاهتمامه الخاص الكبير وبالناحية الثقافية ولان الثقافة من اقوى اعماله واغراض رسالته، وكان في آخر كل اجتماع يتناول محاضرة المحاضر فيحللها ويعرض لاسئلة الحضور واجوبة المحاضر عليها ويبين مواضع النظر في كل ذلك ويصلح الاغلاط ويصحح الاستنتاجات بموجب قواعد اساسية يشرحها ويعطي توجيهاته فيستغرق كلامه احيانا ساعة و احيانا اكثر او اقل على نسبة اهمية الموضوع وطريقة عرض المحاضر له. واكثر ذلك كان يدون في وقائع الاجتماعات وكان الناموس المدون آنئذ الرفيق فؤاد سليمان شقيق موسى سليمان و احيانا كنت املي عليه الاجزاء الهامة من كلامي التي كنت اخشى ان تغفل.

وفي سياق هذه الاجتماعات عرضت علي فكرة السماح لاشخاص من خارج الحزب بحضور اجتماعات الندوة والاشترك في حركتها واعمالها وذلك ان خبر الندوة وابعائها اخذ ينتشر في المجتمع في راس بيروت واخذ بعض محبي الابحاث الثقافية من معارف الرفقاء يبدي رغبته في الحضور والاكتساب فرحبت بالرغبين في ذلك بحسن نية واعلنت ان غرضنا نشر الثقافة في جميع اوساط الامة واننا نسمح لكل راغب في العمل الثقافي بالاقتراب منا والاشترك في اعمالنا الثقافية بشرط ان لاينتج عن ذلك افساد لخطتنا وتعويج لاهدافنا الثقافية».

وفي ختام الحديث عن «الندوة الثقافية» اذكر ان اول موضوع تم الاتفاق على طرحه على بساط البحث كان «تاريخ لبنان» تأليف رستم والبستاني. يخصص كل اجتماع من اجتماعات الندوة لدرس ومناقشة فصل من فصل.

الديموقراطية

وفي احدى جلسات الندوة الثقافية التي كان من حظي امكان حضورها لوجود بعض الفراغ في وقتي الذي يستهلكه عملي الحزبي جرى نقاش حول الديموقراطية.

ما عدت اذكر من هو الذي افتتح النقاش حول هذا الموضوع ولكنني اذكر جيدا ان الموضوع اثير بمناسبة الاتهام الذي كا يوجه الى الزعيم بالدكتاتورية.

بعد اخذ ورد بين اعضاء الندوة ورد فيها ذكر للجان المديرات ومجالس التنفيذات وعن مبدأ الانتخاب في الحزب تسلم الزعيم الكلام فشخصت ابصارنا اليه نصيحخ الى ما سيقول.

« ان زعامة الحزب السوري القومي الاجتماعي هي اصح تعبير عن الديموقراطية. ان هذه العقود الثنائية بين صاحب الدعوة الى القومية السورية وبين المقبلين عليها وتكريسها بالقسم الحزبي الواضح الصريح لمي الدليل العملي الملموس للديموقراطية بمفهومها العلمي المختص.

ما هي الديموقراطية؟ ليست هي ممارسة الاختيار بموجب الارادة الحرة المطلقة بين القبول او الرفض لامر من الامور؟ أليس قبول الآلاف لهذه الزعامة على هذه الاسس من الذين اصبحوا اعضاء في هذه الحزب هو اكبر استفتاء شعبي يشهد على ممارستهم الاصول الديموقراطية في الاختيار؟

هل جمع الزعيم هؤلاء الآلاف من السوريين القوميين الاجتماعيين بسلطان تعسفي او بطريقة كيفية وفرض نفسه عليهم زعيما مطلق الصلاحيات؟ ام انه طرح عليهم قضية واضحة لا تقبل التأويل فارتبطوا معه فيها بعقد واضح ايضا.

ان الانتماء الى الحزب السوري القومي الاجتماعي هو اعظم دليل على ممارسة للديموقراطية والزعيم ليس دكتاتورا بل هو زعيم اكبر واعظم مؤسسة شيدت على لتطوع الحر الناتج عن عميق الاقتناع الشخصي ونضوح الوعي والادراك».

وهنا لا بد ان نوضح ان الندوة اللبنانية والاكاديمية الفنية اللبنانية وما جرب ان يقوم به الأب يوحنا مارون وسعيد عقل وجماعة من الادباء في احياء التراث الفينيقي، كل هذه قد اخذها مؤسسوها عن برامج الندوة الثقافية القومية الاجتماعية، كما استقت الاوساط العامة من نظام الحزب يوم الشجرة ويوم المهاجر وسواها من المناسبات التي شجعتها الحكومات في المؤسسات الأخرى للنيل من قوة الحزب السوري القومي الاجتماعي كما يظهر من سجل اعمالنا في جريدة النهضة ووقائع جلسات الندوة الثقافية ووقائع مجلس العمدة لتلك الفترة الغنية بالاعمال والتوجيه في الادارة والثقافة والسياسة العملية.

مؤتمر بلودان

من اجل فلسطين انعقد المؤتمر في بلودان المصيف السوري الجميل . وعلقت الصحف في مختلف الاقطار العربية على اهمية هذا المؤتمر الذي يعقد جلساته في بلودان ، في القطر السوري ، قلب العروبة النابض ...

كان المشتركون فيه ، من جميع الاقطار العربية ونزعاتهم ، تشكيلة من السياسيين يمثلون ، دون شك ، بيئاتهم خير تمثيل ان لجهة انعدام الفعالية أو المتاجرة بهذه المسألة لتقوية مراكزهم المحلية .

ولم يغفل المؤتمر تمثيل رجال الدين من سائر المذاهب ففيه جلس الاكليركي المسيحي الى جانب المعمم . وزيادة في الاكرام والتقدير انتخب رجل دين مسيحي نائباً ثانياً لرئيس المؤتمر المطران اغناطيوس (حريكه ، راعي أبرشية حماه) وذلك



المطران حريكه

للظهور بمظهر الهيئة الواحدة ، لا فرق بين الطوائف والاديان .

كان من المفروض طبيعياً والموضوع موضوع فلسطين والمسألة تتعلق بالصهيونية ان توجه دعوة الى زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي ، الشاملة قضيته القومية

فلسطين. لكن شيئاً من هذا لم يحدث.

بالرغم من هذا الموقف المتجاهل للحزب قرر الزعيم ان يذهب الى بلودان ويقوم باتصالات مع اراخنة السياسة المعنيين بمصير سورية الجنوبية وينقل اليهم وجهة نظر الحزب وفي الوقت نفسه يبذل مجهودا للاشتراك وان متأخراً.

ذهب الزعيم الى بلودان يرافقه الامير امين ارسلان وقام بالاتصالات ولقي الترحيب اني حل واين اتجه ولكن - لا اشتراك رسمي له بالمؤتمر لانه لم ترسل أية دعوة الى الاحزاب. اين الاحزاب في ذلك الحين؟ لا أحزاب بمعنى الاحزاب لا في الوطن السوري او في الاوطان العربية الاخرى. ولكن هي العقلية الرجعية التي لا تقبل تبديلا ولا استشفاء.



الامير امين ارسلان

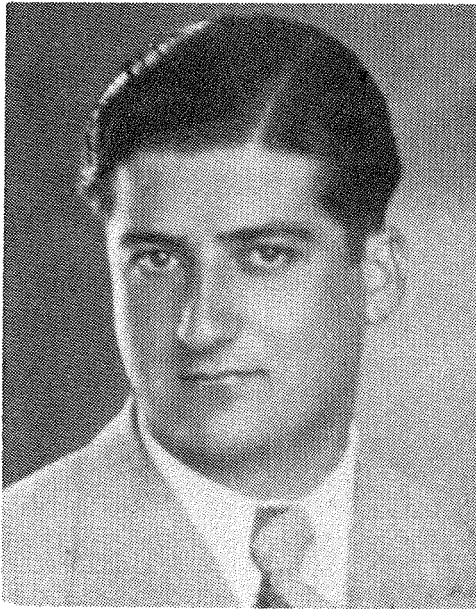
هكذا عاد الزعيم من بلودان يحمل معه انطباعات جديدة ترسخ في نفسه اعتقاده اليقيني ان لاخير يرجى من هؤلاء، لا من اجل فلسطين او من أجل كيليكيا والاسكندرون.

عشنا حاول اظهار الخطر الصهيوني على حقيقته القومية والفاتهم الى مقالاته بهذا الصدد منذ سنة 1924 وهو يافع في البرازيل وأخرها لا اخرها، المذكرة التي قدمها بشأن لجنة اللورد بيل والتي كانت أساسا لايحاء الدول العربية في عصبة الامم في جلساتها الاخرية وهي تبحت تقرير اللجنة المذكورة وتقرح التقسيم. وقد تبني وجهة نظر المذكرة مندوبا مصر والعراق.

كل هذا لم يجد فتيلاً. لو كانت له صفة شخصية كالمرحوم والده الدكتور خليل سعاده لكان ذلك ممكناً ولكن المؤتمر لا يريد ان يفتح عليه باب دعوة الاحزاب. ولكن أين هي الاحزاب؟

عاد وهو يروي لنا مشاهداته وملاحظاته المريرة على ما شاهده ولكن تعليقه الاكبر والاهم كان « لا يحق للحزب السوري القومي الاجتماعي ولا لأي حزب آخر ان يشترك في معالجة مسألة فلسطين والصهيونية. لماذا؟ لانه حزب ».

ولأخذ فكرة عامة شاملة عن العقلية والنفسية اللتين كانتا مسيطرتين على هذا المؤتمر انقل ما جاء على لسان مندوب « المنارة » الاستاذ عادل ابراهيم (اليوم الامين عادل) الذي حضر المؤتمر خصيصاً لهذه الغاية وذلك بتاريخ 18 ايلول 1937 العدد 42 السنة الاولى لصاحبها أديب الغرزوزي. ولما كان برنامج المؤتمر واعماله قد اذيعت في الصحف اليومية احببت ان اطرق الموضوع من جهة غير سرد الوقائع فانصرف الى نبيان ما استنتجتته من احاديث رجال المؤتمر فاشرح الحالة النفسية واشير الى نتائج هذا المشروع وما ينتظر من فوائده.

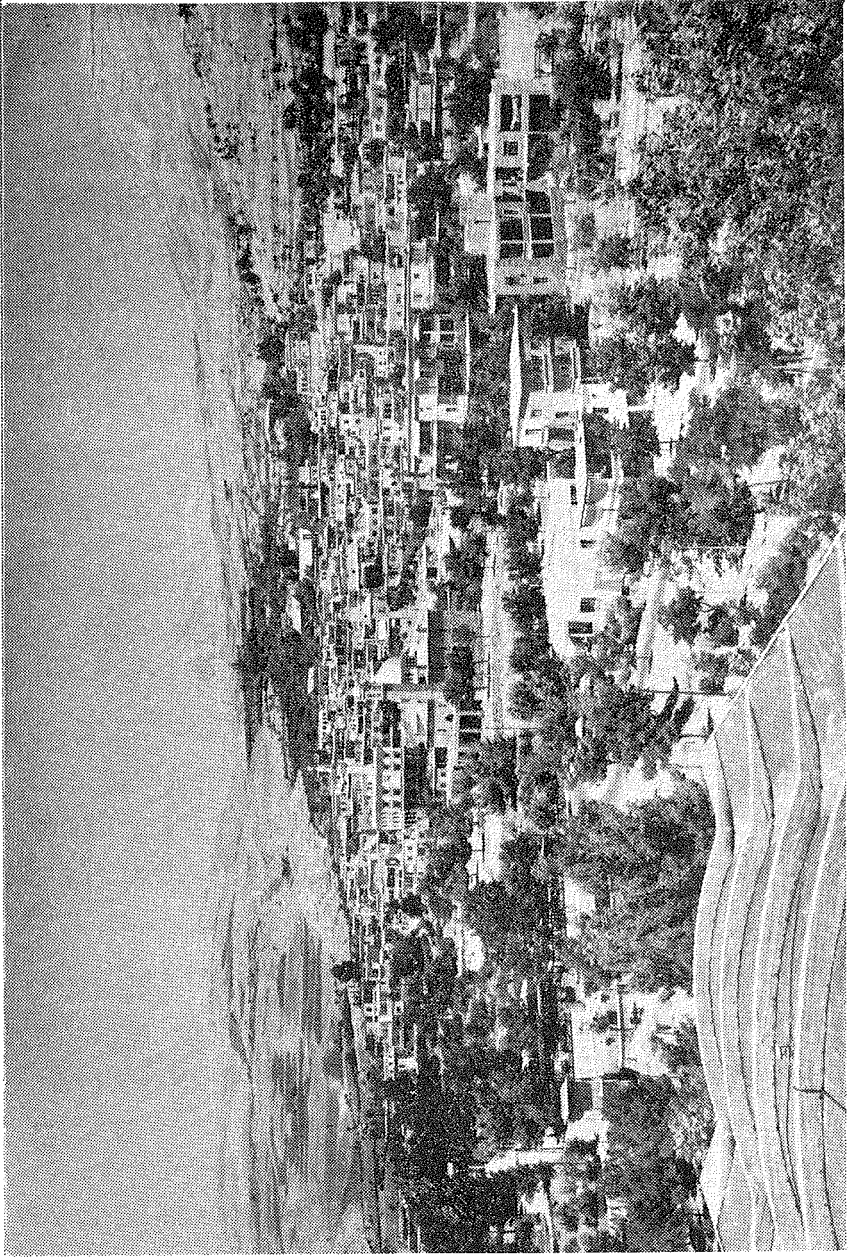


عادل ابراهيم يعقوب

ولا مجال هنا لايراد حديث كل من اجتمعنا به من الزعماء ولكن اقول ان كل فرد من افراد المؤتمر يستنكر مشروع التقسيم ويجسبه عملاً عدائياً ويصرحون ان الحل



فندق بلودان حيث عقد المؤتمر



مصيف بلودان

الوحيد «هو البلاد لاهلها» والاستناد الى الحق الطبيعي مما لا جدال فيه . والحالة النفسية هناك حالة الكرم المهضوم الحق الذي يأبى عليه شمه ان يرضى بأمر لا تسلم به عقيدته ولا يرضى وجدانه . والقوم هناك احرار، الارواح الكبيرة ومن ذوي الاصلاح . وجلهم ان لم تقل كلهم جاهدوا وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل المبادئ السامية والاحلام الكبيرة ننفرس من الوجوه فترى الاخلاص والصدق والوطنية مرسومة عليها كلها، ونقرأ في كل عين آية واحدة وهي « انت عربي وانا عربي اذن نحن اخوان فلنتعاون ولنتقدم ولنصح » وكنت المس العزة القومية في كل حديث بل في كل مقطع من مقاطع تلك الاحاديث . وها انا الخص مافاه به الزعيم الفلسطيني السيد جمال الحسيني عضو وفد الرعاية في لندن .

جمال الحسيني يتكلم

سألت الاستاذ جمال عن اعماله في لندن فأظهر اسفاً لعدم نجاح المساعي الدعاوية وقال « حتى اصحابنا الانقليز استحسنا مشروع التقسيم وابتهجوا له وصرحوا لنا ان ذلك يجب ان يرضينا ولكننا بعد ان قمنا بما وجب من شرح القضية وتبيان دخالها واسرارها عادوا عن موافقتهم على المشروع ووعدوا بمتابعة المناصرة لنا . على ان من اهم اسباب الفشل لدعاوتنا عدم اطرادها وتخاذلنا عن السهر عليها . ثم قال حضرته بصدد مشروع التقسيم « ان كل رجل عربي كبيرا كان ام صغيرا، صعلوكا ام اميرا . يعارض مشروع التقسيم ويفهم منه تحديا لاماني العرب وعقبة في سبيل تقدمهم الى الوحدة والاستقلال والرخاء » .

وقد اعجبني كلامه اذ قال « وقد ساء في مراراً ان وافقت على الاجتماع ببعض رجالات اليهود لكنهم بعد ذلك استغلوا الموقف لمآربهم الخاصة ونقلوا على لساني اقوالا لم اتفوه بها . على اني لا انكر ان بين اليهود شبابا ذوي وجدان يؤيدون مطالب العرب ويرون في الوطن القومي اعتداء على الانسانية ومعظم هؤلاء الشبان من الشيوعيين... وقد صرحوا بتصريحات مغرية كما اوجب علي شكرهم » هذا ملخص ماتفوه به الاستاذ جمال الحسيني لنا ننشره لقراء المنارة شاهدين للاستاذ انه من خيرة المجاهدين العرب ومن انبغ من رفعوا الصوت للذود عن الوطن المقدس...

حديث ناجي باشا سويدي

عندما تقع عينك على ناجي باشا لا يسعك الا القول هذا عربي لا غش فيه ، اما انا فاقول انه رجل عالم فصيح بعيد النظر طيب القلب ، كبير في تواضعه ، عظيم في

اخلاقه، خطير بمقامه في قلوب الناس.

يصطاف في الجرجانية وهي قرية جميلة كثيرة المياه، عذبة. سألناه عن رأيه في قرار اللجنة الملكية. فقال فيما قال « لا قوة على الارض تستطيع ان تنشئ دول غريبة في بلاد العرب مهما كانت عظيمة وشديدة البطش ولا خوف على العرب من اية تدابير تتخذ في هذا الشأن لانه من المستحيل صمود اي جنسية ازاء العربية في بلاد العرب. وقولي هذا مبني شاهد علمي طبيعي تاريخي سهل. فالامم التي اختلقت بالعرب وجاءت بلادنا وحاولت قلب جنسية اهلها اندمجت بجنسية البلاد وذابت فيها دون ان تؤثر شيئاً في جنسية العرب. جاءنا اليونان والرومان وبدلوا الجهود العظيمة ليوننة البلاد ورومنتها فلم يفلحوا ومن بقي هنا منهم اختلط بالاهاالي وضاع اصله الحقيقي واصبح عربياً يدين بدين العرب وعقائدهم. وكذلك قل على الترك والمغول والماليك وغيرهم فانهم قصروا جميعهم عن تحويل جنسية البلاد... وذلك كله راجع الى قوة الامتصاص العربية التي لا يضاهاها قوة في سائر الامم. واذا جردنا اليهود عن نسبهم الشرقي وقرباتهم الوثيقة للعرب نرى ايضا استحالة ثباتهم دولة منفردة قائمة بذاتها في وسط محيط عربي للسبب نفسه. هذا فضلا عن نهضة العرب الحديثة ومحافظتهم على عاداتهم وتقاليدهم واخلاقهم واخذهم باسباب العلم وتطلعهم الى الحرية والاتحاد والاستقلال مما يجعل اي محاولة لانشاء دولة غريبة عن العروبة في بلاد العرب تصطدم بمعاكسة للعرب في كل الاقطار وهذا المؤتمر دليل على ذلك. فالعربي الذي احتفظ بعروبه رغم كل ما اصابه من العذاب ورغم كل المحاولات لتضييع جنسيته وهو في الضيق لا يمكن ان تقوى عليه امة اخرى في بلاده تختلف عنه ثقافة وجنسا وعقيدة وهو من الحرية بحيث يستطيع الدفاع عن كيانه وحرية.

ونحن لا نبغض اليهود بل نشعر معهم في ضيقهم ونرثي لحالهم في بؤسهم ونعترف بالواجب الانساني لمساعدتهم ولا بأس من هجرتهم الى كل الاقطار العربية ولكن بشرط واحد فقط وهو عدم محاولتهم الاعتزال او الاستقلال في بقعة من البقع. ولو سلمنا بذلك لم يحسب لنا ذلك انسانية بل ذلا وهوانا.

نحن نرحب بكل مهاجر يهودي لا يستطيع العيش في اضطهاد الغرب ونفتح له بلادنا اذا لم يقم بمناصبتنا العدا والاعتزاز في البلاد دوننا. هذا بعض ما قاله لنا الزعيم العراقي الكبير « فشكرته باسم المنارة » وتمنيت له هناء وسرورا اطال الله عمر الزعيم ونفع العروبة بذكائه وعلمه وعبقريته.

احاديث اخرى لزعماء اخرين

عدت من الجرجانية الى الزيداني فبلودان حيث اجتمعت بكثير من الرجال الفلسطينيين منهم السيد احمد الشقيري المحامي وهو وطني راسخ العقيدة وعزة دروزة الاديب المعروف وفؤاد بابا سكرتير اللجنة العربية العليا والمحامي مغنم مغنم وهو وطني شديد العارضة وعيس العيسى صاحب جريدة فلسطين وفخري النشاشيبي وهو شاب ذكي متوقد الفؤاد والسيد شلبي الجمل عضو وفد الدعاية السابق الى لندن وغيرهم منهم الاستاذ انطون سعاده زعيم الحزب السوري القومي وهو شاب راق جدا ومما قال الاستاذ شلبي الجمل مايلي:

قال نحن نحترم الانقليز ونريد التعاون معهم وكنا نشيد بعدلتهم ونزاهتهم ولم سررنا يوم سمعنا تصريح اورمسي غور وزير المستعمرات باعلان اسماء اعضاء اللجنة الملكية وقوله ان هؤلاء انقليز حسبا ونسبا وليس لهم اي ميل غرضي ولكن من يطالع قرار اللجنة لا يسهه انكار ما يشعر به من التحيز لليهود. ولندع هذا فان اللجنة اعلنت انها لا تستشير احدا ولا تصغي لغير نداء الضمير. وهذا وايزمن يعلن في مؤتمر زوريخ انه اجتمع الى اللجنة الملكية واتفق معها على فكرة التقسيم، ونحن لا نقول ان مشاوره وايزمن خطأ بل نقول ان الخطأ في مشاوره وايزمن وحده دون مشاوره احد في الجبهة الثانية لذلك لقد اصطدم ايماننا في انقلتره صدمة عنيفة لا تستطيع بريطانيا ان تتصل من التحيز بعدها ونأسف لذلك جدا الاسف..». ثم التقيت بمراسل جريدة «التايمز» وكان ساعتئذ قد ارسل لجريدته برقية عدد كلماتها تسع وثمانون.

فسألته عن رأيه في الموقف الحاضر فقال « صرفت في انقلتره مدة في هذه الايام وعدت منذ اسبوع فقط وارى ان الحكومة الانقليزية ماضية في عزمها على تقسيم البلاد».

فقلت وكيف الشعور هناك وميل السكان؟ فقال من العجب ان الميل مع العرب وكثرة لا يستهان بها من الرأي العام تعترف اليوم بحقوق العرب».

المستر اوليفر يحضر المؤتمر

وكان بين من اموا بلودان لحضور المؤتمر المستر دانيال اوليفر ويعرفه قراء المنارة جيداً وهو انقليزي اطلق عليه لقب « صديق العرب » لشدة اخلاصه لقضيتهم ولاعجب فالرجل بين العرب منذ ٤٨ سنة ولعله في كثير من المسائل السياسية



المستر اوليفر

والاجتماعية اخبر رجل في هذه البلاد لاسيا فيما يتعلق بشؤون العرب وماضيهم ومستقبلهم. ونعلم حق العلم انه خدم ناشئة هذه البلاد ثقافيا وانسانيا اجل الخدمات وكان في المؤتمر دائم الحركة لا يفرغ من محادثة هذا حتى يتبدى بمحادثة ذاك والجميع يبشون له ويقدرون مقامه حق قدره فشاهدته مجتمعما بعطوفة الامير شكيب ارسلان واحسان الجابري والاستاذ جمال الحسيني وناجي باشا السويدي والاستاذ فؤاد سابا وعيسى العيسى وشبلي الجمل ومغنم مغنم وعزة دروزة وعمر الداعوق ورشيد جنبلات والزعيم عبد الحميد كرامة وبعض زعماء جبل حوران منهم سعادة محمد باشا عز الدين الحلبي وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكر اسمائهم كلهم.

وتحدث المستر اوليفر الى جميع هؤلاء الزعماء واعتقد انه سأل سؤالاً واحداً للجميع وهو، ما هو الاقتراح العملي الذي يمكن ان يقدم لمنع تقسيم فلسطين؟ والى متى يدوم العمل بعد المؤتمر؟ وما هي الوسائل العملية التي تنيل العرب حقوقهم المشروعة في الموقف الحاضر حيث تظهر البوادر كأنها غير مواتية لهم؟ ثم وعد الزعماء الذين اجتمع بهم انه مستعد لمساعدتهم بكل طاقته متبرعا بنقل المعلومات التي يأخذها من المؤتمر الى بعض ذوي المقامات في انقلترة الذين يعطفون على قضية العرب فيستغلونها لصالح القضية الكبرى.»

حضرت هذا المؤتمر مندوبا لاسبوعية « منارة الشرق ». وبالطبع لم يكن يهمني كل خطاب يلقي او تعليق يعلن مما يدخل في جملة اهتمامات الجرائد اليومية، فانصببت على التعرف بالشخصيات، ولا سيما ذوي البريق المدعويين الى المؤتمر وسر اغوارهم عن كتب لاستخلاص مؤشرات وصور وقرائن تساعدني على انتقاء كل كلمة اسطرها في الموضوع مجتنباً الكليشيات والروايات غير المسنودة الى قناعة. وهذا يوضح للقارئ السبب الذي دعاني الى ذكر اسماء عديدة في تغطيتي لاعمال مؤتمر بلودان وتعمدي، لا بل تفردني، بذكر اسم انطون سعادة، زعيم الحزب السوري القومي، وتخصيصه بوصف مقتضب متعمد يتم عن هاجس في خاطري سائبينه في ما بعد.

يضاف الى ذلك ان الزعيم انفراد، بعد الاختتام، في توجيه نقد الى المؤتمر والى القيمين على تدبيره اذ نشر عدد من الصحف تصريحاً له قال فيه ما مؤداه « ان مؤتمر بلودان محكوم عليه بالفشل لأنه المحصر باعضاء، لهم احترامهم، ولكنهم يفتقرون الى القاعدة الشعبية الفاعلة، وكفى به اهمالاً انه تجاهل وجود الحزب السوري القومي الذي يمثل الحركة الشعبية الوحيدة المؤثرة في ميدان نهضة الامة والدفاع عن حقوقها ». وقد كان لهذا التصريح دوي متفاوت الأثر في ارجاء الوطن والخارج.

اما لقايتي بالزعيم فكان على النحو التالي:

عند الغداء في الفندق جلسنا الى طاولة وكنا ثلاثة: انا، مندوب مجلة « منارة الشرق » لصاحبها استاذي في اللغة العربية اديب الغرزوزي، والسيد دانيال اوليفر، مراسل جريدة « اخبار العالم » (نيوز اوف ذي وورلد) اللندنية والشيخ حسين التقي من رأس المتن. وبقربنا طاولة لاثنين جالسين مواجهة احدهما الامير امين ارسلان الذي حياه الشيخ حسين وسلم عليه عن معرفة سابقة. عندئذ عرفه الامير امين برفيقه قائلاً: حضرته الاستاذ انطون سعادة. وللحال نهضت من مكاني وتقدمت نحو الجارين وصافحت الزعيم بجرارة وكذلك رفيقه. ولولا شعور خاص عندي لكان يكفي التسليم من بعيد بالحناءة احترام تقليدية. لكن لما تمكنت بقسمات وجهه وثبتت الى خاطري صورة الزعيم امام المحكمة المختلطة في محاكمته الشهيرة التي نشرت تفاصيلها مجلة « المعرض » لصاحبها ميشال زكور. وهنا يمكن ان اضيف ان موقف الزعيم في تلك المحاكمة هز النفوس والقلوب لدى شباب البلاد وشبيها، واصبح المؤيدون لسعادة والمؤمنون به وبقيادته لا ينحصرون بالمنتسبين الى الحزب حسب اصوله وقواعده بل يشملون قطاعات شعبية واسعة.

لقد شعرت بارتياح تام عندما صافحت الزعيم وعدت الى مكاني بعد ان صافحت الامير امين وعرفتها باسمي ومهمتي واحسست كأني وفيت دينا علي. عندئذ طرح السيد اوليفر رجاء على الامير وقال:

- هل تتفضل وتتوسط لنا للحصول على بطاقة عضوية في المؤتمر لرفيقنا الشيخ حسين؟

فاجاب الامير امين بالنفي قائلاً: لا اقدر.

فقال اوليفر: عجباً كيف يمكن ان الامير امين بما له من وجاهة وهو زعيم عربي لا يقدر على مثل هذه الخدمة؟

فتدخل سعادته وقال لاوليفر: لماذا العجب!؟ انت انكليزي. فهل يمكنك ان تخرج لنا الانكليز من مصر!؟

فران علينا الصمت وانصرفنا الى تناول الطعام، وقد تركت كلمات الزعيم ومدخلته الموجزة تلك مكانا فسيحا للتأمل والتساؤل.

وبينا نحن في باحة الفندق بعد ساعات التقينا الزعيم جالسا على مقعد فاقرب منه اوليفر وقال له بالانكليزية ما معناه:

- عسى ان تكون مرتاحا هذه الايام وقد كفت السلطات عن مضايقتك؟

فاجاب الزعيم بالقول: هذه الايام، المضايقة اخف.

فقال اوليفر: ارجو ان تعلم اني عندما اسمع شيئا من مثل ذلك مما يسبب لك الحرج او يشكل على سلامتك خطرا فاني اتكدر واشعر بالحزن والاسى، ويذهب قلبي معك.

فرد الزعيم بالقول: شكراً.

★ ★ ★

رحم الله نقولا القباني، الرفيق الحبيب والصديق الوفي وابو الهات، لقد شاءت الاقدار ان يقترن ذكره مع ذكر بلودان، المصيف السوري الجميل، بمناسبة المؤتمر الفلسطيني فيه وهذه هي حكاية هذا الاقتران.

كنت قبل وفاته بعدة ايام قد كلفته بمناسبة سفره الى دمشق بشأن المطبوعات التي كان مسؤولاً عن دائرتها ان يحاول الحصول لي على صورة او صورتين لبلودان من اجل



نقولا قباني

القطعة التي اكتبها في الجعبة، المجلد الثالث، عن مؤتمر بلودان الفلسطيني الذي انعقد فيها.

توفاه الله وانا لم اكن قد حصلت على اي جواب بصدد الصورة ولكن المفاجأة وردتني من الرفيق عبدالله ناصح الذي اتى من دمشق ليشارك في المؤتمر اذ اخذني جانبا وقال لي « لقد اوصى لك المرحوم الرفيق قباني على صور لبلودان وكلفني ان الاحق الموضوع واحصل عليها وقد وعدني الرفيق ابو حسون انه سيلبي الطلب واني انتظره». فشكرته وترحمت على « الحاج ».

ومضت عدة ايام اخرى واذا باحد الرفقاء يسلمني غلafa فيه الصورتان عن بلودان وعند سؤالي عن الكلفة اجابني: « يهديك الرفيق ابو حسون سلامه ويقول لك انه دفع ثلاثمئة ليرة سورية ولكن لا يريد لها لانه دفعها زكاة عن روح « الحاج ».

هذي هي الحكاية وقد رأيت من واجبي ان ادونها مع القطعة عن مؤتمر بلودان الفلسطيني وذلك لاحياء ذكرى الرفيق نقولا قباني التي لن تزول.

رحم الله نقولا قباني، الرفيق الحبيب والصديق الوفي وابو الهمت، والبقاء للامة.

صُدور جريدة النهضة

وبدأت المساعي لجمع المال اللازم لإنشاء الجريدة. كان اول مبلغ يتوجب تأمينه خمسمئة ليرة لبنانية بدل الامتياز. تقرر أن يكون الامتياز باسم احمد دمشقية المطابقة اوصافه الشروط المطلوبة حسب قانون المطبوعات. أصبح دمشقية عضواً سرياً في الحزب.

أمن عميد المالية، مأمون أياس، الخمسمئة ليرة من الرفيق جمال ناصيف. سمعت الزعيم يقول وقد عرف بمصدر المبلغ بعد ان انتهت المعاملة « ما كان ليجوز ان يؤخذ المبلغ من جمال فقد تحتاج إليه لبائنتها قبل استطاعة رده اليها ». (كأنه كان يتنبأ بما وقع فعلاً).

صدر العدد الأول ومأمون أياس وجورج عبد المسيح يقومان بجوله لتأمين



جمال ناصيف



احمد دمشقية

اشتراكات سنوية مسبقة. صدر العدد الأول وليس في صندوق الجريدة ما يكفي لاستمرارها اكثر من حقبة بسيطة جدا من الزمن.

صدر العدد الاول وفيه تصريح عن الكيان اللبناني. للمرة الاولى يذكر رسميا عبارة « الكيان اللبناني » السياسية في صدر التصريح بشكل يسترعي الانتباه. ثبت فيه ما ورد في تصريحه الى المحقق مراد وجاء ردا على وحدة رياض الصلح السوري السياسية. ومما يجدر ذكره ان استعمال عبارة « الكيان » اصبحت متداولة في السوق السياسية.

اجتمعت بالزعيم بعد صدور الجريدة بعدة أيام في مركز الحزب لشؤون حزبية تتعلق بالعمدة بسبب غياب العميد وبعد أن انتهى عملنا ذكر الزعيم أمامي خشيته من توقف الجريدة عن الصدور بسبب عدم وجود المال الكافي لتسييرها وان الرفيق فريد مبارك، المسؤول عن التحرير والادارة ليس بإمكانه القيام بالعملين معا.

شعرت بحافز داخلي قوي يدفعني للتطوع لمعالجة هذه الأزمة فوجدتني بدون كثير تفكير أعرض عليه ان يسلمني ادارة الجريدة قبل مسروراً، لكنه نبهني الى خطورة الموضوع والى مسؤولياته المعنوية الجسيمة، وكأنه كان يقرأ في ضميري قال لي « فكر قليلا بالموضوع ».

كان جوابي، أي مستعد لتحمل هذا العبء فالمسألة لا تحتاج الى تفكير، لا كثير ولا قليل، أزمة علينا أن نجتازها وسأرفع اليه بعد دراسة الوضع اقتراحاتي بشأنها.

قبل تطوعي. عين لي الساعة الرابعة بعد الظهر موعداً للقائه في ادارة الجريدة التي كانت قد اتخذت لها مكتبا في شارع المطران، خلف بناية البلدية. التقينا في الموعد المضروب وطلب من فريد مبارك تسليمي الشؤون الادارية ففعل بكل طيبة خاطر، غير مصدق أن الكابوس المالي زاح عن عاتقه.

انصرف الزعيم وهو ينبهني الى خطورة المهمة التي تطوعت لادائها.

تفويض ثقة

بدأت عملي الشاق في الجريدة وأنا مقدر مسؤوليتي كامل قدرها. ان الحقيقة يجب ان تقال. عندما تطوعت لهذا العمل لم تكن لدي أية فكرة صحيحة او تقريبية عن حقيقة ضخامة متطلبات الجريدة بصورة اخص جريدة لحزب.

بدأت اختباراتي تدلني على الطريق. كلما برزت عقبة أزيلها ولكن كنت أصل الى أوقات أظن أن كل شيء سينهار ولكن يأتي الدعم من حيث لا أنتظر أما حوالة بريدي

من العدد غرسان سوديان لبنان

جريدة مجرية سياسية

ساحب الامتياز المسؤول : احمد دشتية

الطبعة : بيروت - شارع الطران - طبعة السنه

قرعة القرون : 51 - 76

النَهْضَةُ حرية واجب نظام قوة

من العدد غرسان سوديان لبنان

الاشراك

في المخرج 12 دولاراً

- جميع المراسلات والطلبات باسم

مدير الاطباء : جبران جريج

قرعة المصنف : واحد وعشرون سنة -

العدد 439 السنة الاولى

---><---

الاجد واللاتين في 11 و 11 ابريل سنة 1988

العلاقات بين سورية وفرز

كيف تنظر اليها مجرمة ايطالية

روما - الاحرام - نشرت جريدة ابون في كورنالي و سلالينتون و اشارت الي ان الحلة الرقائبة في قرعة الشرب حتى الان ايام العاهدة و مع العلم بان مسدداً كبيراً في وزارة الخارجية بالقدس صرح في حديثه بانها لا تدرون ان ايام العاهدة السورية سيتم قبل اخر شهر ابريل

Nous sommes des Criminels

نحن مجرمون

و نحن مجرمون ولكننا منتظرون لقامة علماء

مجلس الشيوخ يبتدل بلوم فيقدم استقالته

تكليف المسير والادوية لتأليف الوزارة الجديدة

البرس في 9 مارس - اجتمع الشيوخ في الساعة 10 الفاتحة في مشروع الحكومة الكلي و قرأ البرس اول بيان في مشروع الشئون و رفض المشروع للادوية التالية :
الوزارة و علمانه ياتي هذا الاجماع الا صوت لفضية التزاكم في الحكومة اخرى و يوافق القاطنون ان يجرى الحزب الاندما في حلة وادوية توسلا لامعاع الطعام

من منطقة او تحويل من عبر الحدود .

كان الزعيم مسروراً من السير وهو يراقب نشاطي ويثني على جهودي الى أن كان ذات يوم اطلعته على قدوم أزمة غدوت مختاراً في كيفية معالجتها فاقترحت عليه ان تمد خزانة الحزب صندوق الجريدة ببعض المعونة ولو بصفة قرض .

استمع الزعيم الي وأجل اعطاء الجواب لما بعد الدرس . في اليوم التالي استدعاني وسلمني ورقة وهو يبتسم وقال لي : « تصرف بحكمة وعند الحاجة القصوى » وعدته أي سأكون عند حسن ظنه وعظيم ثقته بي وانصرفت .

عندما خلوت لنفسي في مكتب الجريدة أخذت أقرأ ما ورد في الورقة واذا بها تفويض بمنحي حق اصدار أوامر صرف الى الخازن العام - وكان يومها بشير فاخوري - بأي مبلغ قد أحجته لتأمين حسن سير الجريدة . لم يحدد القيمة برقم معين . لم يضع شروطاً . منحني التفويض ومعه ثقته بحكمتي .

زادني هذا التفويض قوة مزدوجة ، معنوية ومادية . معنوية لجهة الثقة غير المحددة ، ثقة مطلقة قلما حصل منه عليها أي من المسؤولين المركزيين . ومادية لجهة الدعم الاحتياطي الذي يمكنني أن الجأ اليه عند الحاجة القصوى .

حملت هذا التفويض الى الخازن العام . استعملته يومها على الفور فقد كان علي أن أدفع أجور شغيلة التنضيد الاسبوعية وعلي أن أرسل بريد عبر الحدود وليس في صندوق الجريدة شروى نقيب . حملت هذا التفويض الى الخازن العام ابلاغه مضمونه . وجدت لديه علماً بذلك ولباني فوراً . كانت خزانة الحزب على -صالة مواردنا أغنى من صندوق الجريدة ، في ذلك الاسبوع .

التبويب والانشاء

وسهر الزعيم على تنظيم أبواب الجريدة مع جهاز التحرير الذي كان على رأسه الرفيق فريد مبارك. من أهم أركانه فؤاد سليمان ويوسف الخال. كانت الصفحة الأولى لأهم الانباء العالمية اذ كانت القاعدة التي بني عليها هذا التبويب تقول أن معرفة هذه الانباء ضرورة أساسية بخاصة لشعب كشعبنا مرتبط مصيره الى حد بعيد بمجريات الأحداث في العالم لذلك يجب أن تحتل الصدارة ثم المقال في السياسة الخارجية الذي خص نفسه به.

هذا لا يعني حصر الصفحة الأولى بهذين البابين بل بالامكان كتابة ما يأتي بالدرجة الأولى من الأهمية فيها. أما من جهة العناوين الكبيرة فقد قرر ان لا يستعملها الا في حال وقوع حدث فوق العادة يستدعي ذلك. لا مكان في هذه الصفحة لما تم التعرف على تسميته « بالافتتاحيات ».

يحتل الصفحة الثانية بابان سميا « رأي النهضة » و « المعرض السياسي ». لكل منها اختصاص. الأول يحمل في طياته كل ما يراد ان يقال حول ما يجري في الوطن كله والثاني يحتوي على ما يجري على المسرح السياسي الداخلي ويمتد هذا الباب الى الصفحة الثالثة حيث شمل التبويب الكيانات السياسية السورية الأخرى: الشام، الأردن، العراق، فلسطين ثم الشرق الأوسط. كل ذلك بلهجة رزينة مسؤوله دقيقة بعيدة عن الغوغائية والعاطفية والسطحية. فالجريدة جريدة نهضة ولذلك فرأبها في الشؤون الجارية وعرضها لها يجب أن يأتي على مستوى النهضة التي تمثلها وتعبر عنها في الوطن وعبر الحدود.

اما الصفحة الرابعة فهي لمختلف المقالات وتنوعها. كانت كل الجرائد تصدر بأربع صفحات.

من الوجهة الادارية جعل ثمن العدد غرشين سوريين والاشترك في الوطن أربع ليرات سورية ولعبر الحدود تزداد عليه أجرة البريد. كان للحسابات الرفيق جميل عازار، للتوزيع الرفيق شحادة رزق الله معاون في الادارة الرفيق عبد الرحمن عكاوي ويساعد في لف الجريدة وتوضيها عبد الحميد شوشاني.

بدأ فؤاد سليمان حياة الكتابة فيها ويوسف الخال استمر فيها بعد أن كان قد بدأ الكتابة الصحفية في طرابلس أما فريد مبارك فكان قد مارس هذه المهنة في جريدة الراصد. كان الزعيم يوجه سياسة الجريد ويعطي ملاحظاته العامة، أما من الوجهة

التحريرية فقد كانت له صفة المعلم. نعم، كمعلم المدرسة تماماً.

كان الزعيم، في أكثر الأحيان، يأتي الى ادارة الجريدة يكتب فيها مقاله، ان في السياسة الخارجية أو في رأي النهضة أو لاعطاء توجيهاته من التاسعة صباحا الى ما يقرب الظهر ثم ينتقل الى مركز الحزب والجدير بالتسجيل انه لم يكرر كتابة مقاله ولو مرة واحدة فكان المقال يذهب الى التنضيد كما يكتبه دون أن يحدف منه كلمة أو يزيد عليه كلمة. كان يذهب الى التنضيد نظيفا دون أي محي او تشخيظ.

كان متى جلس الى المكتب لينشئ مقاله يسترسل في الكتابة في البداية الى النهاية دون توقف كأنه كان ينقل افكاره الى القرطاس بواسطة القلم مدونة مسجلة لا تحتاج الا هذه العملية، عملية النقل. وذلك كله بعبارة سلسة واضحة، متينة التركيب، صحيحة البنيان، معبرة عن الفكرة دون أي اجهاد في التفسير أو في التحليل.

كان يصر على استعمال كلمة «منشئ» بدل كلمة «محرر» فالانشاء هو الذي يعطي معنى الكتابة وليس التحرير، كما أنه كان يستعمل كلمة «رائد» بدل كلمة «مندوب» المتداولة.

كان يوجه اسرة المنشئين في الجريدة الى أن الجريدة هي للتوجيه، توجيه الرأي العام الى ما فيه الأفضل والأكمل واعطائهم الاستنتاجات الصائبة حول ما يحدث. على الجريدة أن تفعل في الناس لا أن تنفعل فيهم فتكتب ما يستيفونه، عليها أن تكتب ما يجب على الناس أن يدركوه ويفهموه ويستوعبوه ليصبح الوعي فاعلا فيهم فتزداد ثقافتهم ومقدرتهم على رؤية ما يجري حولهم.

هذه لمحة وجيزة عن تبويب الجريدة وانشائها كما وضع قواعدها الزعيم، فشق يومئذ طريقا جديدة للصحافة، استقبلت بالنقد من البعض وبالتحبيذ من البعض الآخر وبالسير على غرارها فيما بعد من البعض الآخر.

لا غرو في ذلك فهو الصحافي منذ فتوته، ابن السابعة عشرة من عمره في جريدة «الجريدة» ومجلة «المجلة» في البرازيل، عند والده ذلك الصحافي الممارس العنيد.

معلم اللغة العربية

كان الرفيق فريد مبارك، بصفته مسؤولا عن تحرير الجريدة يقرأ كل ما يكتبه الزعيم قبل ان يرسله الى التنضيد. وقد تولد عنده، من هذه القراءات، اعجاب عميق بلغة الزعيم العربية مما دعاه يوما الى اجراء هذا الحوار معه.

- حضرة الزعيم! اقرأ كتاباتك دائماً واني اعترف لك اني حاولت اكثر من مرة ان اكشف غلطة، من اي نوع كان، املائية او نحوية ولكن ذهبت كل اتعابي سدى فهل تسمح لي بسؤالك « اين درست اللغة العربية وعلى يد اي استاذ؟ ».

جاء الجواب سريعاً، مختصراً ومفيداً.

- نعم، رفيق فريد، تعلمت اللغة العربية على يد المطران جرمانوس فرحات. (المطران متوفٍ من زمن بعيد) وقبل ان يثوب الرفيق فريد من اندهاشه، اكمل الزعيم « في كتابه بحث المطالب ».

حملات مسعورة

كانت جريدان، البشير اليسوعية ونقيضتها صوت الشعب الشيوعية، تقذفان الحزب والزعيم بحملات أقل ما يمكن وصفها بأنها مسعورة.

كانت « البشير » تصفنا « بالغلان » واليكم نموذج من كتابتها « سؤال الى حكومة لبنان - جريدة حزب الغلان، ظهرت جريدة جديدة في الثغر عنوانها « النهضة » وقد اتصل بنا من مصادر موثوق بها أنها لسان حال حزب « الغلان » القومي السوري. فنحن نطرح على الحكومة المسؤولة عن كيان لبنان واستقلاله والدفاع عنه بأشد الوسائل والذرائع، هل هي على اطلاع من قضية هذه الجريدة؟ وكيف تساهلت فسمحت باصدارها؟ الرجاء أن يلفت هذا السؤال نظرها إلى ما يطلبه منها الواجب في الدفاع عن كيان لبنان...

كان تعليق الزعيم عندما سئل رأيه في كتابة من هذا النوع ان عدم التعليق عليها هو الرأي المرجح. لو أردت أن أجيب لكان يصح في هؤلاء الرهبان نعت الغربان.

أما جريدة « صوت الشعب » فما كان لحماتها من حد. كانت تتلاحق يوماً بشكل بذيء متواصل ولكن على نمط واحد مما جعل القارئ يعرف الأوصاف التي تكيها لنا سلفاً من مجرد اطلاعه على العنوان فتكر المسبحة واليكم بعض الفقرات المحمومة: « ان هؤلاء الرجعيين قد رأوا بأعينهم أن الشعب نافر منهم... وان أبناء بيروت هم مع الديمقراطية والحرية والخبز والوطنية الحققة، لامع الطرق الفاشستية. » انتشر بعض أعضاء الحزب القومي السوري من عصاة انطونينو سعاديني داعية الدوتشي موسوليني وخدام الاستعمار الايتالي ».

عندما سئل الزعيم رأيه في هذه الكتابة كرر قوله بعدم التعليق وان كتابتهم تفيدنا

لأنها تذكر الناس بوجود الحزب فيتحدثون عنا حتى لو كان شتماً وسباباً وأما عن انطونينو سعاديتي فقد استقبلها بضحكة خرجت من صميمه لتفاهة التعبير وسخافته. أين الفكر يقارع الفكر بالحجة والبرهان»!

في العدد الأول

وفي العدد الأول الذي صدر في 14 تشرين الأول 1937 نشر أول تصريح رسمي للزعيم عن الكيان اللبناني كما انه وجه كلمة الى القراء ثم نشرت الجريدة كيف كان وقع صدورها على الناس.

وتعميماً للفائدة فاني انشر فيما يلي تصريح الزعيم اولاً ثم الكلمة الى القراء وقد جاء في مقدمة الجريدة: «لا يعرف اتجاه الشعب إلا من الحركات المستقلة المتولدة فيها. فهي أهداف تعبر عن حاجاته لأنها وليدتها. والحزب السوري القومي هو محور النهضة التي ولدها والحركة الأولى المستقلة بتفكيرها ونظامها. وقد تعرض هذا الحزب لشتى التأويل عن اغراضه واهدافه فرأينا ان نجلو للرأي العام حقيقة تخطيطاته. فأوفدنا رائدنا الى زعيمه يستوضحه بعض النقاط التي تشغل الرأي العام.

س - اتهم الحزب السوري القومي الاجتماعي بالعمل لهدم كيان لبنان فهل هذا صحيح؟

ج - لقد جرى الاتهام ولم تثبت صحته والحقيقة اننا لسنا اعداء الكيان اللبناني ولسنا حزباً يطالب بالوحدة السياسية الاعتبارية التي يريدها بعض المتزعمين لاسباب غير قومية وان تسترت بالقومية، بل نحن حزب يعمل للوحدة القومية اولاً. اما الوحدة السياسية فمسألة غير متعلقة بنا رأساً بل مرجعها الامة ونحن في لبنان نعمل بصورة ايجابية ضمن الكيان اللبناني لنجاح الشعب اللبناني وتقدمه من غير ان يمنعا هذا العمل من اعتبار الواقع ان سورية الجغرافية تشكل وحدة اجتماعية اقتصادية. ومنذ الوقت الذي تم فيه الاعتراف بالكيان اللبناني اصبح هذا الكيان كيان جميع اللبنانيين ونحن منهم، واصبح واجب جميع اللبنانيين ممارسة حقوقهم المدنية ضمن هذا الكيان. ونحن من جملة اللبنانيين الذين لهم الحق ان يمارسوا صلاحياتهم المدنية لمصلحة الشعب اللبناني.

س - كيف توفقون بين عقيدتكم القومية الاجتماعية واحترام الكيان اللبناني؟

ج - ان عقيدتنا القومية الاجتماعية شيء اجتماعي والكيان اللبناني شيء سياسي ونحن لا نخلط بين الاثنين فاذا كانت المصلحة ان الظروف السياسية اقتضت انشاء الكيان اللبناني فالمسألة من هذا الوجه تبقى مسألة سياسية بحت ولاوجه لاحلال المسألة السياسية محل القضية القومية. ولذلك فالذين يظنون الحزب القومي الاجتماعي حزباً وجد لمجرد المطالبة بالوحدة السورية يخطئون او يغلطون او يسيئون فهم قضية الحزب السوري القومي الاجتماعي والذين يهولون على غلاة اللبنانيين بالقول ان الحزب يريد « ضم لبنان إلى الشام » يأولون القصد ويريدون بث دعاوة خبيثة فالحزب لا يقول بالضم او الفصل بل يعمل للوحدة القومية وجعل الأساس القومي الاجتماعي محل الأساس الديني ونزع فكرة الحكم على أساس المذهب فيكون الكل سوريين قوميين، لا اكثرية محمدية ولا أقلية مسيحية، كما يريد بعض ذوي الغرض ايها الناس انه النتيجة الوحيدة لفكرة الحزب السوري القومي الاجتماعي.

إن الحزب لم ينشأ لتحقيق رغبات الذين لهم في الوحدة السياسية المتسجلة اغراض تتستر وراء المصلحة القومية. ولا للقول ببقاء حالة معينة تستفيد منها فئة من الناس. بل انشئ الحزب السوري القومي الاجتماعي ليعمل على تطوير حالة المجتمع وتوحيد العقائد في عقيدة واحدة هي العقيدة القومية الاجتماعية التي لا عقيدة غيرها تكفل زوال النظريات الخصوصية وتضمن توحيد الشعور والاتجاه.

ما الفائدة من الوحدة السياسية المتسجلة على غير أساس الوحدة القومية؟ وهل يمكننا ان نصور وحدة سياسية على أساس بقاء الأمة اقواماً دينية متضاربة المصالح، متنافرة الغايات؟

إننا نهضة قومية اجتماعية اكثر منا حزباً سياسياً والنظرة القومية الاجتماعية هي التي تملي علينا سياستنا.»

إلى القارئ

هذه جريدة جديدة نضعها بين يديك فتقول: قد زاد عدد الجرائد! هذا حكم أول وهلة. ولكننا نثق بأنك ستري بعد أن تقرأ اعداداً منها أن قيمة هذه الجريدة ليست عديدة بل نوعية. فهي جريدة انشئت لتؤدي الفروض الآتية:

١ - الأمانة في الرواية والاخبار. فلا تنشر الا ما تستوثق من أنه صحيح فتنقذ الشعب من استعباده للشائعات الاستثنائية والانباء المغرصة.

٢ - الدرس المستقل لكل موضوع سياسي او اقتصادي او اجتماعي ومقياس
الدرس حاجة مجتمعتك الصحيحة وارادته في الحياة.

٣ - انتقاء المفيد ونبذ الضار ونفي كل ما يشوش على القارئ نفسه واتجاه
حياته وافكاره الاصلية. وستظهر المحافظة على هذه الفروض. ان « النهضة » ستكون
تعبيراً صادقاً عن النهضة القومية، التي تمتد في وطننا وتعمل على رفع الأمة الى المستوى
اللائق بها معرضاً لنتاج الروحية القومية الجديدة. إننا نريد ان نتكلم كثيراً عن
النهضة، بل نريد ان نفسح لها المجال لتعالج حاجاتك النفسية والمادية، ونترك لك
رأيك الناضج بها والكلام عنها ».



توجيه في السياسة الخارجية

أود ان الفت النظر الى مقالات الزعيم في السياسة الخارجية التي كان يتناول فيها
الاحداث الجارية على الصعيد الانترناسيوني والتي لها علاقة مباشرة او غير مباشرة
باوضاع بلادنا.

وقد أخذت نموذجين منها. الاول مقال بعنوان « في شرق المتوسط » العدد ١
تاريخ 14 اكتوبر 1937 اقتطف منه هذين المقتطفين: « وضعت الحرب اوزارها
فوقعت بلاد العرب والعراق وجنوب سورية تحت نفوذ السياسة البريطانية ووقع شمال
سورية (قبل اعلان لبنان الكبير) تحت نفوذ السياسة الفرنسية حتى جبال طوروس فما
مضى وقت قصير حتى اضطرت فرنسا الى سحب جيوشها من اقاصي الشمال تاركة
كميكية للسيطرة التركية. اما بريطانيا فقد تغلبت سياستها على ثورة العراق وتشنجات
مصر ولم تخسر شبرا واحدا من الارض الداخلة في منطقة نفوذها والمعاهدة الاخيرة بين
فرنسا وتركيا افقدت فرنسا وسورية السيطرة على لواء الاسكندرون فانكشفت الحدود
الشمالية امام الجيش التركي. فما هو هذا السر العجيب الذي يقود الموقف الى هذه الحالة
الراهنة الغريبة؟

ان القوى الروحية والثقافية المخزونة في منطقة النفوذ الفرنسي في لبنان والشام هي
اعظم قوة من نوعها في الشرق الادنى. وان تحريك مثل هذه القوى في سبيل مصالحها
يفتح لها وللنفوذ الفرنسي آفاقا جديدة في الشرق الادنى، خصوصا وان في الروحية
الفرنسية نفسها جاذبية كبيرة تسهل الانتشار وتحول الخرز الى مدّ يجلب الرفاهية الى

البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي ويؤيد السياسة الفرنسية.

إذا نظرنا الى العراق وجدنا ان وحدته الاقتصادية والسياسية ولدت حركة تحاول من الوجهة السياسية ان يكون لها نفوذ في الشام ولبنان فان مبالغ من المال تنفق سنويا وشهريا على عدد من الصحفيين والسياسيين يعملون للمصالح السياسية العراقية. وإذا نظرنا الى بلاد العرب وجدنا مركزية ابن السعود تتعاضم وتقوى. وفي لبنان والشام عدد من العاملين لابن السعود وهو يغذيهم بالمال. فما كان امن منطقة النفوذ الفرنسي بان يكون لها اتجاه واحد فاعل وعمال في الخارج يعملون لمصلحتها ومصالحة العالم العربي فتتفق مصلحة هذه الامة وسياسة فرنسا على منهاج جديد يضاعف الامكانيات لتوسعها المعنوي والمادي.

يقول مثل عامي: «زيادة الخير خير» فلو فرضنا ان الحالة الراهنة هي خير لنفوذ السياسة الفرنسية فان زيادة هذا الخير يفسح لها المجال للتوسع خير مرغوب فيه وزيادة الخير يمكن ان تحصل باستقصاء امكانيات الامة الروحية وفهمها واكتشاف فاعليتها العظيمة فان في هذه الامة قوة روحية مخزونة اذا احسن استخدامها اعطت نتائج باهرة. (هل هي هذه السياسة سياسة فرنسا الحالية التي بدأت بعهد دي قول؟).

والنموذج الثاني فمقال بعنوان «المعاهدتان». العدد 8 تاريخ 22 اكتوبر 1937 اقتطف من المقاطع التالية: «تعني المعاهدتان الاعتراف بحق السيادة انترنسيونيا للشعبين السوري اللبناني. وهذا امر جوهري لمستقبلها. لان هذا الاعتراف ينقذ حقوق هذين الشعبين من كل النظريات المعقدة والاجتهادات في تأويل انتقال السيادة من السلطنة العثمانية والذهاب بها الى الجمعية الاممية التي اعطت حق البت في مصيرها. فاذا ابرمت المعاهدتان خرج الامر حقوقيا من الجمعية الاممية واصبح معلقا على ارادة الدولة المتعاقدة وهكذا يقفل نهائيا باب البحث في امكان نقل الانتداب من دولة الى دولة بواسطة الجمعية الاممية ولا يبقى وجود للمساومة على هذا القطر.

ولكن الاعتراف بحق السيادة يجب ان لا يكون معناه التخلي عن هذين الشعبين لمصير سيء وهذا ما ينتظر ان تضمنه المعاهدتان خصوصا في هذه الظروف المبشرة باشتداد النزاع بين الامم.

اي سياسية ثابتة في الشرق الادنى يجب ان تأخذ بعين الاعتبار ان في هذه الامة يحتمل ان تصبح قوة سياسية كبيرة لا يمكن تسوية شؤون الشرق الادنى من غير النظر في حاجاتها.

هذا المبدأ الاساسي الذي يتطلب الاعتراف بالسيادة القومية لهذه الامة هو قاعدة
الوحيدة لايجاد سياسة ثابتة في هذا الجانب من البحر السوري تؤيدها حاجة هذه الامة
وارادتها.

ويمكن ان تكون المعاهدتان فاتحة عهد جديد على هذه القاعدة.

قدمت نموزجين عن السياسة الخارجية بقلم الزعيم والآن اشير الى نموزجين آخرين
يعالجان موضوعين: احدهما داخلي تحت عنوان « الازمة الاقتصادية في الشام ولبنان »
بقلم الاستاذ ميشال بولس - دكتور في الحقوق. (صاحب كتيب « في سبيل سورية »
الذي نشر في المجلد الثاني) وهو كناية عن ثلاث حلقات نشرت من عدد 24 الى عدد
26 من تاريخ 10 الى 12 تشرين الثاني 1937. والآخر خارجي عربي تحت عنوان
« بلاد العرب - معلومات خبير هامة » بقلم جمال باشا الغزي. (هو الذي بدأ في وضع
النظام التدريبي كما ورد تحت عنوان النظام الجندي التدريبي.) وهو كناية عن سلسلة
حلقات من العدد 17 الى العدد 24 من تاريخ 31 الى 10 تشرين الثاني 1937.

انها موضوعان هاما فمن يرغب في الاطلاع عليها فليراجع « جريدة النهضة ».



كيف كان وقع صدورها

« شعر قراء الرأي أن صدور النهضة ليس حادثاً عادياً بسيطاً بل تطوراً خطيراً في
عقلية الأمة وفتحاً جديداً في عالم الصحافة القومية. والذين راجعوا الادارة ابدوا
جميعهم شعورهم بان حاجة الأمة الى صحيفة هدفها مصلحة الأمة والى اخبار صادقة
وأراء أصلية تعبر عن ذوق الأمة ونظرها الصحيح قد تأمنت في النهضة فان اخبارها
مستقاة من أوثق المصادر. والجهود المبذولة لتوسيع نطاقها. ومقالاتها مستوحاة من
فكر اصلي ونظرة مستقلة غير خاضعة لمقال نشر في جريدة أجنبية أو لا يعاز صادر
عن « يمونون ».

ولاشك في أن القراء لاحظوا الایجاز في الاخبار والكفاية في بحث المواضيع
وتجنب العنوانات الضخمة التي تأكل حق القراء في المادة المفيدة. ويسرنا أن يكون
استحسان هذا الشكل قد جاوز القراء الى بعض الزميلات فرأت ان تحذو حذونا.

ويلاحظ الرأي العام ان النهضة حيوية رصينة تعالج القضايا الجوهرية والمسائل التي
تهم الأمة قبل غيرها. ففي مقالات السياسة الخارجية يجد المطالع دروساً وافية لجميع

العلاقات السياسية العالمية مبتدئة بما بهم هذه الأمة قبل غيرها. وهذه المقالات هي أصلية لا تقليد فيها.

ونرى أن نشير هنا إلى ظاهرة جديدة في ترتيب النهضة. فقد سمع بعض اصدقائها انتقاداً خاطئاً أو غلطاً في تبويبها. فقال قائل ان النهضة كان يجب ان تقلد جميع الصحف الصادرة في هذا القطر فتضع رأبها في افتتاحية في أول الجريدة وتقدم الاشياء الوطنية على غيرها. بدلا من أن نضع البرقيات في أول الجريدة وهي شيء اجنبي.

إن النهضة قد ابتكرت اسلوبها الجديد لغاية قومية نبيلة. انها قد صدرت صفحاتها بأخبار السياسة العالمية ومقالات السياسة الخارجية لكي تحول أنظار الرأي العام من سياسة القرية القائمة على المباحكات الشخصية السقيمة والمشاحنات الداخلية العقيمة الى السياسة القومية التي لها علاقة وثيقة بالسياسة الانترناسيونية. فعلى ضوء ما يجري في أمم العالم نستطيع أن نرى مجاري مصالحنا المجموعية القومية بالنسبة الى المصالح الانترناسيونية ويصبح في امكاننا ادراك ما يحيط بنا من الخارج فيكون ذلك فعلا في تقوية شعورنا القومي وعاملا على ادراك وحدة مصالحنا ووحدة مصيرنا.

نشكر للذين هناونا بصدور النهضة عواطفهم الصادرة ونرحب بالذين أقبلوا على الاشتراك معنا في هذا العمل القومي الثقافي الخطير. ونشكر للزملاء الذين نوهوا بصدور النهضة».

وتحت عنوان «منهاج النهضة» يكتب احمد دمشقية، صاحب الامتياز المسؤول، ما يلي: «بعد جهاد اثني عشر عاما في مختلف ميادين الصحافة، تاقت نفسي الى الاستقلال... باصدار جريدة يومية سياسية اظهر فيها على الملأ بمبادئ وآرائي لا بمبادئ الآخرين وارايتهم. فكاشفت بالامر نخبة من اصدقائي فما لقيت منهم الا كل عطف وتشجيع.

كذلك ولدت «النهضة» ولا عيب فيها غير ان حجمها صغير حين تقاس بالجرائد الكبرى، لكنها مكتوبة باقلام ناضجة، منسجمة، متناسقة تصدر عن فكرة موحدة، وترمي الى هدف معين وتسير على خطة مرسومة في تكوين المجتمع واصلاحه، واعداده لمجاراة الشعوب الراقية.

وسرى القراء ان «النهضة» ليست نسخة عن الصحف الكبيرة التي غصت بها بيروت، وانما هي صحيفة مفيدة الابحاث، صادقة الاخبار، ثابتة العقيدة، محكمة

السياسة، جريئة في اعلان الحق، لا يغيرها وعد ولا يثنيها وعيد. رائدها احلال الوثام محل الخصام، وان يكون الفضل في التقدم للكتابة والاخلاص، لا للقسمه الطائفية والحساب المذهبي. وهي تعلن احترامها للاديان كافة، غير انها لاترضى الرؤساء الروحانيين الذين نذروا انفسهم للعبادة ونشر التعاليم السماوية ان يهبطوا الى مزالق السياسة، فيتعرضوا الى ما يتعرض له السياسيون من سهام الطعن والتجريح، فهذه الجريدة ستحارب كل تدخل من شأنه ايجاد الخلاف الديني او توسيع شفته. وستكون في الانتقاد والمناظرة مثالا للادب الرصين، لا لتجادل خصمها بالسباب والمهاترة وانما بالمنطق والحجة وسيكون نضالها في سبيل الامة عن عقيدة ومبادئ، لا عن هوى واشخاص.

اجل ستكون « النهضة » لسان حال النهضة القومية تحمل نتاج قرائح قرائها وادبائها فتكون فاتحة عهد جديد مزدان باعمال رجال يريدون لامتهم كل خير، ويبدلون ادمغتهم وسواعدهم في سخاء الشجاع الكريم، سعيا وراء امنيتهم الغالية التي هي امنية كل وطني حر. انهم يريدون ان يصهر الفرد نفسه ليصوغ المجموع جسما قويا، متناسبا الاجزاء، متحد العناصر.

هذه هي « النهضة » قدمناها بين ايدي قومنا، وعلى منهاجها الواضح الصريح،

نطلب منهم الثقة والتأييد. »

ويكتب عبدالله قبرصي في الجزء الاول من كتابه « عبدالله قبرصي يتذكر »، في الصفحة 200، تحت عنوان: « جريدة النهضة، تشرين الاول 1937 :

« اتجاه سعادته العفوي منذ ان اصبح قادرا على العطاء الفكري - في سن مبكرة - كان الادب والصحافة، دليلى على صحة هذا القول انه كتب مقالات قيمة سنة 1921 وما بعدها، وان اول ما نشر من مؤلفاته كانت قصة « عيد سيدة صيدانايا » و « فاجعة حب » وفي سجنه الثاني الف قصة « دمية » التي فقدت. واول مهنة امتهن لم تكن التجارة ولا الصناعة كما يفعل سائر المغتربين طلبا للمال والجاه. بل مهنة الصحافة. وشاهدي على ذلك مقالاته في « الجريدة » و « المجلة » اللتين كان يصدرهما والده المجاهد الخالد الدكتور خليل سعادته. بل ان عودته الى الوطن سنة 1930 لم تكن للتعليم بل للصحافة بدليل التحاقه بجريدة « الايام » في دمشق لصاحبها نصوح بابيل

وتسلمه انشاء صفحة الشؤون الانترنسيونية فيها. ولقد كان همه الاول بعد انكشاف امر الحزب الاتصالي بالرأي العام. فما كان يفوت لقاء مع الصحافة الوطنية والاجنبية. بل انه كان يدفعنا الى الكتابة والى الاتصال برجال الصحافة لنشر افكار الحزب وآرائه. ولما صار حزبنا جسما حيا وقويا طرح علينا في مجلس العمدة (كنت قد اصبحت انا ناموسه، (اي امين سره) جمع المال لاصدار جريدة كان قد هيا لها اسمها: « النهضة ».

نحن الذين كنا متهمين بالعلاقات مع الطليان والامان، بل ان بعضهم كاسكندر الرياشي زعم في بعض ما كتب ان البريطانيين هم الذين اسسوا الحزب بواسطة سعاد. لم نكن نملك ما نأكل. بعضنا كان يكتفي بوجبة طعام في النهار. وزعيمنا نفسه كان يشاركنا ما في جيوبنا ليتمكن من الترفيه عن نفسه بحضور حفلة سينائية في الاسبوع، وحيانا ليركب الترامواي وحيانا ليدفع اجرة مسكنه او ثمن ملبسه ومأكله.

من اين المال لاصدار جريدة؟ ..

كان سعاد وحيانا يطالبنا بالمستحيل. وظل الى آخر حياته يطالبنا بالمستحيل، بل يحاول هو تجاهل ما نسميه مستحيلا، ليظل على ظهر المخاطر والمجازفات، لان التاريخ لا يصنعه التعقل والتحليل وضمان النجاح دائما. بل يصنعه اولئك المصممون على ركوب المستحيلات ليجعلوا منها حقائق راهنة او ممكنات رغم مظاهر الاستحالة.

كان من المستحيل بنظرنا، نحن المطالبين بتسديد اجرة المكتب. وبثمن القرطاسية وبتأمين الزاد والقوت والملبس للزعم وكل منا لنفسه وعياله، ان ندفع تكاليف اصدار جريدة، واذا اصدرناها، فكان اكثرنا يعتقد انها تستمر اسبوعا.. وتختصر ثم تموت.

ان حزبنا كان من الاساس حزب المثقفين والفلاحين والعمال. كان حزب الفقراء والمحرومين والمعوزين، لذلك ظل حزبا محروما فقيرا، معوزا.. ولا يزال حتى يومنا هذا في مثل هذه الحالة رغم ما يزعمه البعض عن ثروات خيالية في حوزته او حوزة قادته!.. واني لازعم ان النهضات في العالم لم تتحقق الا على يد المثقفين والفلاحين والعمال، على يد الذين يشعرون مع الشعب في آلامه وحرمانه وعبوديته، ويقدمون انفسهم قرابين على مذبح تحريره وتأمين حياة جيدة كريمة عزيزة له ولاجياله الصاعدة. لانهم اختبروا الام الحرمان واوجاع المهانة والعبودية.

الا ان سعاد الاديبي والصحافي ومحاول المستحيل كان يطالبنا باستمرار منذ ان

خرج من السجن الثاني ثم من السجن الثالث ان نوجد الموارد الضرورية لدفع تأمين الجريدة (500 ل. سورية) ولتأمين الورق والرواتب للمحررين والعمال ..

وكان الحاحه باصدار الجريدة يتوازي مع الحاح الظروف الموضوعية. فالانتخابات على الابواب والاحزاب البيغائية تظهر للوجود، وان امامنا فرصة العمر ليكون لنا رأي وموقف.

لم يكن بالامكان لصحيفة « مستعارة » ان تستوعب حيوية سعاد الانتاجية، ولا ان تستوعب مطالب هذا الحزب وحاجاته الاعلامية. وتتجرأ على التعبير عن ثوريتها واقدامه. وخرجت جريدة النهضة الى الوجود (راجع مع « انطون سعاد » لجبران جريج الجزء الاول صفحة 135).

المشرف على التحرير كان سعاد مباشرة يعاونه عميد الاذاعة انذاك فخري المعلوف، كنت انا قد استقلت في اواسط 1936، وعين مكاني صلاح لبكي، وبعد ان صار صلاح خارج الحزب عين هذه المسؤولية المنظر العقائدي الاول بعد سعاد، اي الامين السابق فخري المعلوف. (تحت اسم مستعار « نصح الخطيب »).

جهاز التحرير:

اما المحررون فكان على رأسهم فريد مبارك بعاونه فؤاد سليمان، يوسف الخال وجورج عبدالمسيح. وقد شاركت كل اقلام النهضة في الكتابة. واني لاذكر ان الدكتور فايز صائغ كتب اولى مقالاته - وكان لا يزال في سن المراهقة - في جريدتنا وكانت مقالاته تبشر بان لكاتبها مستقبلا!.. لقد عهد الي الاهتمام بشؤون القضاء والمحاماة. كما كان سعاد يستحني على الانشاء باستمرار متها اياي بالكسل، اذا لم اقدم على الاقل مقالا في الاسبوع!

امران اساسيان عالقان في ذهني عن جريدتنا العقائدية:

اولا: التبويب

ثانيا: المبدئية.

في ما يعني التبويب، جرى اجتماع قبل صدور العدد الاول بمدة غير وجيزة، لتحضيره والاتفاق عليه. الوحيد بيننا الذي كانت له خبرة صحفية بعد سعاد كان المرحوم فريد مبارك.

ليس من باب الخروج على المؤلف طرح سعاد التبويب الجديد، التبويب الثوري، ليس من باب المخالفة لعرف سائد في العالم، بل انطلاقا من قاعدة واضحة، هي تأثير

الشأن الانترنسيوني في كل الشؤون الداخلية للأمم والشعوب، وخاصة في بلاد مثل بلادنا كانت ترزح تحت نير الانتداب الاستعماري، ان بين مؤرخينا كالدكتور جواد بولس من يعتقد جازما ان مصير الشرق الاوسط كله معلق على ارادات خارجية، معلق على لعبة الامم وان الشعوب المفروض ان تكون حرة في تقرير مصيرها، حرة فقط نظريا وبموجب ميثاق الامم المتحدة الا انها في واقعها محكومة بلعبة الامم.

لم نن فعلا نفهم نظرة سعاد في عمقها وابعادها حول هذا الموضوع، انا نفسي اذكر اني عارضت، مستندا الى ان كل ما قرأته من الصحف الانكليزية والاميركية والفرنسية - وهي امهات الصحف العالمية - تبدأ بالافتتاحية، والاخبار الانترنسيونية تأتي فيها بعد الاخبار المحلية، لان القارئ العادي يهيمه بالدرجة الاولى معرفة ما يجري في بلاده، بل ان قراء عديدين يهتمون من الصحيفة بمعرفة من مات ومن تزوج ومن سافر ومن اقام مأدبة حافلة! كيف تسقط الحكومة لتحل محلها المعارضة، وكيف ينزل الوحي من المفوضية، بل كيف يتنافس الاديون والخوريون على رئاسة الدولة.

المهم ان سعاد استمع لارائنا، ثم اقنعنا بالتبويب الذي طرحه، فقبلنا، بعضنا عن قناعة والبعض الآخر لانه كان يعتقد ان الجريدة حلم لن يتحقق، ولتحقق والتبويب ثانوي جدا.

مسألة الاعلان:

اما الشأن المبدي، فقد جاء في اعلان نشرته « النهضة ».. الاعلان كان يتعلق بشركة بريطانية على ما اذكر، غضب المعلم وثار وكانت حجته اننا نعتبر انكلترا مسؤولة عن وعد بلفور وعن مساندة الصهاينة لانشاء وطن قومي في فلسطين، ونقيم عليها القيامة في ما نكتب ونخطب، بل نحملها مسؤولية كل ما يصيب الشرق والغرب من ويلات، ودمار وتقتيل، وكانت بنظرنا مجسدة لما نسميه اليوم الامبريالية، ثم نشر اعلانا دعائيا لبضائعها او لأي شأن، يستنتج منه اننا ننسى موقفنا منها. الجريدة العقائدية - يقول المعلم - لا يجوز حتى في الاعلان ان تناقض مواقفها. انني تعلمت وحفظت. والحزب كله تعلم وحفظ. وكل ما لا يتوافق مع هذه القاعدة يكون من باب السهو او الغلط.

ونكمل مع جريدة « النهضة »:

لم نتعلم منها الاخراج والتبويب فقط، لقد تعلمنا كيف تكون الصحافة في الظروف

العصيبة التي كانت تجتازها البلاد. جريئة وصریحة ومقدامة، كنا نتوقع ان يقطع لسانها منذ الايام الاولى، الا انها مرت بسلام بضعة اسابيع.
« مشاكل » التحرير:

فريد مبارك، مدير التحرير كان في مظهره وتفكيره نقيض فؤاد سليمان ويوسف الخال، كيف تعايش هؤلاء الثلاثة تحت سقف « النهضة »؟ لست ادري.

فريد مبارك رجل الهدوء تستفزه استفزازا لتخرج الكلمة من فمه موزونة خافتة، بينما فؤاد سليمان يستفز حتى جدران الغرفة التي يكتب فيها، كان بركاننا ينث اللهب حتى في احلامه، دم خفيف، ومحبة عارمة، ولكن بشرط الا تتحداه او تمس قدس اقداسه: الكرامة والمشاعر.

واما يوسف الخال، فشاباب ريان، وبراعم تفتق عن آمال ازاهر، باكرا كان ينظم الشعر وكان شعره جميلا. من يرضى فؤاد سليمان عن شعره يكون شاعرا بالقوة والفعل معا، وكان فؤاد يدرّب يوسف الخال تدريبا حسنا.

هؤلاء الثلاثة تحت اشراف سعادته وتوجيهاته حملوا اعباء « النهضة » واعباء العيون التي كانت تترصدها والديون التي كان ينوء بها كاهلها، والنجدة الكبرى التي انقذت الجريدة وانقذتهم كانت في تعيين الامين جبران جريح مديرا للادارة.

عطلت.. ثم عطلت.. وكنا نستبدلها « بشمس » كمال الغريب لشدة حاجتنا الى متنفس لما يعتمل في رؤوسنا من ثورة وغليان، لكي يعلو صوت الحق، ويعلو معه صوت الشعب المهيب الجانحين، المكوم الفم الذبيح للسان!..

سعادته « الجريدة » و « الايام » القادم من وراء بحار الحنين والاختبار والمعاناة، صب في « النهضة » فكره المنير، فما وفر فرنسا ولا وفر كبرا، ولا صغيرا، كانت اقلامه - واقلام تلامذته - نافثات اللهب، في وجه الحكام والمتسلطين وكل اقطاع سياسي او ديني...».

ماذا في الجزيرة؟

انشر فيما يلي ما ورد الى جريدة « النهضة » العدد 14، تاريخ 29 تشرين الاول، 1937. من وجيه معروف في جرابلس - سورية الشمالية - عن حالة الجزيرة بكل دقة واخلاص وهذه المعلومات تعطي صورة موضوعية لانعكاسات سياسة الكتلة الوطنية وقس على ذلك.

« من السياسة العقيمة التي اتخذتها الكتلة الوطنية في الجزيرة تعيين بعض الموظفين من الطراز القديم الذين ارهقوا الاهلين بجورهم وظلمهم وتعجر فهم .

في اثناء الانتخابات الماضية اعلنت الكتلة مرشحها ولما وجد الزعماء هذا التصرف الشاذ اعلنوا المعارضة (كما في محافظة اللاذقية) ورشح كل نفسه لا حبا بالنيابة. ولكن تثبيتا للمركز والنفوذ فتعمدت الكتلة الممثلة بالحكومة تنحية رئيس بلدية « الحسيجه » (عبدالاحد الامرد) ورئيس بلدية القامشلي (ميشال دوم) وهما رغم مسيحيتهما من عنصر كردي نزحنا الى سورية منذ القديم وتوطننا فيها واصبحنا سوريين بطبيعة الحال . ولسنا نعجب من الحوادث التي جرت بعد هذه التنحية المستعجلة خصوصا حينما اوقف الرئيسان المذكوران ووضعنا تحت المراقبة الشديدة في السجن .

لو نظرنا بصورة عامة لوجدنا ان ثلثي الجزيرة هم اكراد ومسيحيون اكراد تجمعهم الكردية ممتزجة بالقومية السورية .

وكان الدافع للحركة الاولى رجل يدعى (دهام الهادي) انتسب للكتلة الوطنية ليجعل له من التكتل مركزا ساميا يقضي به على نفوذ الامير الكبير ميزر الجربا رئيس العشائر هناك واراد ان يستفيد من الفرصة فجمع حوله مردييه وفخذ العشرة التي يرئسها وقام بمناوأة الاكراد الذين لم يتحملوا هذا الاجحاف فثاروا ثورتهم واعلنوا العصيان .

ان الكتلة قامت بالترشيح والمداخلة في الانتخابات حتى سببت تلك الاضطرابات التي اضررت في البلاد من الوجهتين السياسية والاقتصادية . فلو اتخذت الكتلة ، القومية ، اساسا لحزبها في لواء الجزيرة لوجدنا عكس ما نجد الآن من تطاحن بين العناصر . فالاكراد وقد مرّ الزمن على نزوحهم الى البلاد السورية هم بحكم الطبيعة سوريون يتألمون لألم البلاد السورية ويهجم امر رقيها وازدهارها .

وما قول حزب الكتلة في العفو الصادر من جيراننا الاتراك عن الاكراد ؟ أليس ذلك دعاوة واسعة النطاق يريدون بها الاستيلاء على قلوب الاكراد في الجزيرة وتحريكهم من جديد على اثاره الشغب على البلاد السورية ؟ ان الاتراك يقومون بدعاوة فاضحة فماذا اتخذت حيالهم الكتلة ؟ وهل بعد كل ما عملت تستطيع المداخلة في شؤون الجزيرة ؟ »

الانتخابات النيابية الشامية

ويقول الياس جرجي بصدد الانتخابات الشامية:

« افرج عن الزعيم للمرة الثالثة من السجن مع العديد من المسؤولين الحزبيين 1937 مذ كشف عن سرية الحزب. تلك الاثناء جرت انتخابات نيابية عامة في الجمهورية الشامية. خاضها الحزب في معظم المناطق بزخم قوي وفاعلية مقدامة لفتت اليه اهتمام الاصدقاء والخصوم. وقد كان له في بعض الدوائر الانتخابية مرشحون من اعضائه وايد في المناطق الاخرى مرشحين من انصاره. ومن المناطق الشامية التي تميزت بنشاط الحزب الفعال دائرة طرطوس الانتخابية حيث برز التنافس عنيفا وكثيفا بين كثرة من المرشحين الاقوياء بما لهم ومؤيديهم. وكانت طرطوس انذاك من اقوى منفعديات الحزب في الجمهورية الشامية وكان عليها ان تتدارس الوضع الانتخابي والشعبي بكل روية وموضوعية لتحسن اتخاذ الموقف الملائم لمناقب الحزب ومكانته المرموقة.

لدى تداول اوضاع طرطوس الانتخابية من قبل اعضاء هيئة التنفيذية توزعت الاراء كثيرا وتضاربت وجهات النظر بشدة تعذر معها التوصل السهل الى اتخاذ الموقف المطلوب لاختيار المرشح الجديد بموازرة قوى الحزب. واخيراً ولما طالت الابحاث وتشعبت التقديرات حول كل من المرشحين راي المنفذ العام بالوكالة الرفيق الدكتور ابراهيم يازجي ان يرفع الى المركز في بيروت اقتراحا معللا بمناصرة الحزب للمرشح عيسى جميل عنونق، عملا بصلاحياته الدستورية. وقد كنت بوصفي ناظرا للاذاعة، ممن خالفوا هذا الاقتراح وسجلوا في تقرير خاص اسباب هذه المخالفة رفع الى عمدة الداخلية مع اقتراح المنفذ العام وقد ضمنت التقرير طعنا يمتازة موقف المنفذ العام بالوكالة منها اياه بالانحياز لصالح المرشح عيسى جميل عنونق باعتباره ابن عمه مع بيان الادلة لذلك. وبعد ايام قلائل من موافاة المركز بدراساتنا للوضع

الانتخابي في طرطوس واقترحاتنا بصدد الموقف المناسب اتخاذه من المرشحين. جاءنا الجواب بوجوب تأييد الحزب للمرشح عيسى جميل عرنوق اي بالموافقة على اقتراح المنفذ العام بالوكالة. ثم جرت الانتخابات وابدت فيها صفوف الحزب بطرطوس منتهى الفاعلية والانضباط واعطت للمرشح عيسى عرنوق ابرز تأييد وافعل دعم وقد قارب النجاح بعدد قليل من الاصوات مؤكدا صلابة جبهته ومنتانة شعبيته ثم استؤنفت الاعمال الحزبية بنشاطها المعهود بينما كنت اتسرب الفرصة السانحة لي كمدرس في معهد اللاييك الفرنسي لاتابع مع المركز موضوع اتهامي للمنفذ العام بالوكالة بخصوص سلوكه من الانتخابات. في تلك الاثناء تلقت التنفيذية مرسوماً من الزعيم بترقية الرفيق الدكتور يازجي من مسؤولية منفذ عام بالوكالة الى رتبة منفذ عام طرطوس. استوقفتني هذا التدبير واشكل عليّ تعليله كما صعب عليّ تقبله بارتياح واطمئنان. وقد هالني ان يحدث مثل هذا التقدير لمن تحوم حوله الشكوك وهو ما يزال موضع اتهام خطير وقبل ان يصار الى اجراء اي تحقيق معه. ثم سارعت الى الاتصال بعمدة الداخلية للحصول على موعد قريب من اجل معالجة الوضع الشاذ لمنفذية طرطوس ظلتا مبني ان هنالك غموض معيب يستوجب الجلاء او وجود حلقة مفقودة يقتضي وضعها امام المركز لاعادة الامور الى نصابها. وبدأت المخاوف تنتابني بسبب الثقة التي منحت للرفيق الدكتور يازجي وهو غير اهل لها بنظري وما قد ينجم عن التفريط بالثقة جزافاً من ضرر يصيب الحزب ويعيق سلامة استمراره في طرطوس. وقد خامرتني حتى الشك بصحة تطبيق العدالة الصحاحية في تدابير الحزب او اعتماد المعلومات الخاطئة اساساً لتصنيف الاعضاء وتقييم امكانياتهم ومؤهلاتهم.

وقد هزني تصور ما تؤول اليه حال منفذية طرطوس بفعل تدبير كأنه مكافأة لمن يسيء الى مصلحة الحزب. لم اكن قادراً حينذاك على ان اركز تفكيري بما حدث ولان اضبط اضطرابي لتحليل الاسباب واستشفاف العوامل التي حدث بالزعيم الى منح ثقته لمتهم جدير بالعقوبة او بالمؤاخذة على الاقل. آلمتني الحادثة خصوصاً وقد كنت لا ازال في مطلع حياتي الحزبية وبدء تكوين اختباراتي الاولى لتفهم معاني تدابير الحزب وفحوى الاجراءات التي يعتمد عليها في الكشف والتوجيه والبناء.

وتوجهت اخيراً الى بيروت للاتصال بالجهات الحزبية المخولة بمعالجة الامر واعدت نفسي على ان اكون شديد المصارحة لما كنت اعانيه من الم مرير نتيجة اهمال عمدة الداخلية لشكواي ضد المنفذ العام ومكافأة الحزب له جزاء سوء تصرفه في توجيه الموقف الانتخابي خدمة لقريبه المرشح. وعزمت على ان اواجه الزعيم اذا اقتضى

الامر ليس فقط بما ارى وما لدي من ادلة على اتهام المنفذ العام بل بما خامرني ايضا من ظنون وحز في نفسي من شجون تجاه الثقة المجحفة بالحقيقة التي اولاهها الزعيم الى الرفيق الدكتور يازجي انذاك. وصلت المركز واخذت اسرد لعميد الداخلية نعمة ثابت كل ما يتعلق بوضعية منفذ عام طرطوس ومسلكه ابان المعركة الانتخابية لكنه قاطعني بتوعدة ولباقة ليتابع هو ما كنت اود ان اخبره به عن طرطوس ومنفذهما وغير منفذهما. كانه كان على علم مسبق بما لدي وما يدور في خلدي ويشغلني من هموم على مسيرة الحزب في طرطوس. ثم غادرني مستأذناً الى غرفة مجاورة وعاد منها خلال دقائق ليدعوني الى مقابلة حضرة الزعيم.

قابلني حرة الزعيم بابتسامة الترحيب ببناء مستحب، ابتسامة تم على ارتياح عميق راح يغمر قلقي بعناية ودراية مطمئنة من جهة ومشجعة من جهة اخرى على الاقضاء الكامل بكل ما في نفسي من قناعات وما في ظنوني من تقديرات دون اي تردد او ادنى تحفظ او تهييب. عرضت امام رحابة الزعيم الحافلة بعميق الابوة كل دخائل فكري وخفايا مشاعري وجوانب تصوراتي بما فيها من غموض وسداجة بريئة. وكان الزعيم يأخذ بددي وهو يصغي الى كل اشارة تبدر مني ليبدد جميع اوهامي ومتاعبي ويشجعني على المضي في تنفس الصعداء وانا اعلى افكاري وافند اتهاماتي بعجزها وبجرها. ما اروع وادق تحمل الزعيم الحميم لجموح براءتي المشدود، ولاقتحام براءتي كل معقول وكل صحيح بدافع تخوفها البدائي على الحزب وقلقها على مصيره البالغ منتهى الغلو والمبالغة المتدفقة حرصا انفعاليا على سلامة الحزب لكن لاريب في صفاء ايمانها. يا لبلاغة صمته وصفاء تأمله النابض بالحياة المفعم بالثقة واليقين المطلق بان الصحيح وحده هو الباقي المظفر في خضم كل الاخطاء والاططار. لازلت ارتوي من رحيق هاتيك العبر وقد مضى عليها اربعون عاما ونيف واخالي الان اصغي الى كلمات الزعيم تقول ابدا:

يا رفيقي اخذ المركز بجميع شكوكك حول تصرف منفذ عام طرطوس، لذلك وكى لا تجمد التهم المنسوبة اليه في حيز الشك بل تخرج الى اليقين المسند الى الوقائع الثابتة. ولثلا يحكم الانسان بالشكل ويدان بالظنون بل يظل بريئا حتى ثبوت ادانته بالادلة والشواهد القاطعة، ومن اجل ان يقطع دابر الشك فلا يطول اجله بالتردد والدوران حوله والتربص به في الخفاء. لهذه الاسباب كلها التي تكرس مبدأ الحصر على العدالة وضرورة الاخذ بها بجرأة وحزم، اقتضت، الضرورة، انطلاقا من الشكوك

الواردة بحق المنفذ العام، ان يمنح مزيدا من الثقة ويعطى متسعا من المجال ليتصرف بحرية وامان فيثبت يقينا اما انه بريء مما نسب اليه او يثبت يقينا انه مرتكب غير جدير بأدنى ثقة. ونصل هكذا بالاثبات الخالي من اي شك الى الحكم له او الحكم عليه. نطول له الحبل وهو حر ان يشنق نفسه به او ينقذها. وتظل الثقة الواعية الموجهة السبيل الى كشف الحقيقة، واثبات كامل مناعتها ومطلق صوابها. ولسنا بخائفين على الحزب من احد لان الجسم السليم لا بد له عاجلا او اجلا ان يلفظ المادة الغريبة عن جوهره اما اذا تناسبت مع اصلته فهو يعرف كيف يمتصها ويمثلها قوة ودرة وعافية متجددة مها طالت مراحل معاناته لتحملها ومضغها. ففي النهاية كل مصير تقرره معا طبيعة الجسم المستوعب وطبيعة تلك المادة المعدة للتفاعل والامتصاص من اجل تأمين المصير الاوحد والهدف الامثل « اما طريق الحياة فلا يثبت عليها الا الاحياء وطلبوا الحياة بوقفات العز التي لا تنضب. ويسقط الاموات على جانب الطريق ».

نبدا بالكلام عن الانتخابات النيابية في الكيان الشامي لانها جرت قبل عدة ايام من موعد اجراء الانتخابات النيابية اللبنانية. جرت في منتصف تشرين الاول.

الانتخابات الشامية

كانت قوة الحزب الانتخابية في محافظة اللاذقية، فقد انتشر الحزب فيها انتشارا عظيما، خصوصا في المناطق العلوية. كما انه صار للكتلة الوطنية قوة يحسب لها حساب وكيف لا؟ وهي قد اصبحت صاحبة السلطان ومقاليد الحكم في يديها. وهكذا انقسمت المنطقة الى فريقين رئيسيين هما الكتلة الوطنية والحزب السوري القومي الاجتماعي.

ومما زاد في اهمية قوة الحزب، وضع المنطقة فهي تعد منطقة انفصالية بالنسبة لمشروع الوحدة السورية الذي تتزعمه الكتلة الوطنية وقد استطاع الحزب أن يجذب اليه ركنين كبيرين من أركان الانفصال هما رئيس عشيرة الحدادين، يوسف الجامد ورئيس عيرة المتاور، عزيز الهواش. قبل بالوحدة السورية المبنية على الاسس القومية الاجتماعية التي تقول بفصل الدين عن الدولة واعتبار السوريين هيئة اجتماعية واحدة فلا فرق بين جماعة المذهب المحمدي السني الممثل في الكتلة الوطنية وبين جماعة المذهب المحمدي العلوي الممثل في الركنين العلويين.

زار الزعيم رئيس الحكومة الشامية وبحث معه مسألة محافظة اللاذقية عارضا عليه التعاون الانتخابي واطهار المنطقة بوحداوية الاتجاه وان في حزبين، فحشد المشروع وأبدى تشجيعه له ولكن بعد زيارة له الى المحافظة المذكورة وبعد القيام بالاعيب انتخابية سياسية مهر بها أمثاله قرر ان تعمل الكتلة مستقلة وفي السر شجع محاربة الحزب.



جيل مردم بك

بالرغم من هذه الجهود التي بذلت بكل إخلاص من اجل المصلحة القومية العليا وقفت الكتلة الوطنية هذا الموقف المتحزب المزري الذي بنته على القواعد السياسية التقليدية الموروثة من العهد العثماني وبالرغم من هذه المحاربة التي استهدفت اظهار اركان الانفصال سابقاً في مظهر الاقلية التي لا يؤبه لها، بالرغم من هذه السياسة الخرقاء فقد صمدت قوة الحزب ونجحت في منطقة تلكلخ - الحصن - وانخلت الكتلة.

قال لي يوماً « ان الكتلة الوطنية تقرر امورها السياسية على أساس سياسة الضيعة. ان سياستها الكتلوية التحزبية سياسة ضيقة، خرقاء، مبنية على نظرة صغيرة هي نظرة الاحتفاظ بالحكم ».

ومرة اخرى قال لي « ان احد الكتلويين صرح له ان البلاد في حاجة الى وحدة الصفوف وان تعدد الاحزاب يضر البلاد. كان الزعيم يتكلم بلهجة ساخرة « على اي اساس يريدون وحدة الصفوف والكتلة لا برنامج لها ولا مبادئ اجتماعية ولا خطة نمائية ولا عقيدة صالحة! تريد الكتلة ان نسلمها اعناقنا بكل طيبة قلب فنصبح عندئذ وطنيين مخلصين، كأن الدولة تبني على أساس طيبة القلب.

انما الخيبة التي مني بها الزعيم تعدت مسألة الانتخابات العامة والا عيبتها في الرشوة والخذاع. كانت هذه الخيبة داخلية. والشخص الذي لعب الدور الكبير في تقريب وجهات النظر بين الحامد والهواش والحزب، عزيز حديد ارتكب خطأ لا يغتفر. كانت خطيئته مميتة.

كان المرشح الناجح في الحصن - تلكلخ - الياس جرجس قد وافق حسب زعم عزيز حديد على الانتماء الى الحزب بصفة سرية وقد ابلغ عزيز حديد الزعيم عن تنفيذ هذا الشأن. وكان بعد الانتخابات والاجتماع في المجلس في دمشق ان اعلن النائب المذكور عدم انتمائه الى أي حزب من الاحزاب.

طلب الزعيم عندئذ من الامين عزيز أن يرسل له بطاقة الانتماء للشخص المذكور واذ لا بطاقة ولا من يجزنون، مما اضطر الزعيم على السكوت عن تكذيب تصريح النائب الآنف الذكر وبالتالي ادى هذا الموقف الى هزة معنوية عميقة الاثر والنتائج.

خسر عزيز حديد بهذا الموقف رتبة الامانة التي كان له شرف حملها وخسر جهاده المبرور له على الصعيد السياسي او في مواقفه محاميا عن القوميين الاجتماعيين امام المحاكم.

وقد ورد في جريدة « النهضة »، العدد الاول، تاريخ 14 تشرين الاول 1937 بصدد انتخابات محافظة اللاذقية ما يلي: « بعد تأجيل جديد تقرر ان تجري الانتخابات في محافظة اللاذقية في الثاني من الجاري (الدرجة الاولى) والحادي عشر (الدرجة الثانية) فنشطت الحركة الانتخابية بين الاحزاب والعشائر.

اما الاحزاب ففي محافظة اللاذقية حزبان رئيسيان هما الحزب السوري القومي والكتلة الوطنية التي اخذت تقبس التنظيم وتشكل نفسها كأنها حزب.

وقد انتشر الحزب السوري القومي في محافظة اللاذقية انتشارا عظيما، خصوصا في المناطق العلوية. والفضل في هذا الانتشار يعود الى مبادئه القائلة بفضل الدين عن الدولة واعتبار السوريين هيئة اجتماعية واحدة يتحد فيها الجميع في مصلحة حقوقية، اجتماعية واقتصادية واحدة. فازالت هذه المبادئ الفوارق بين جماعة دين وجماعة دين آخر وآمن العلويون على حقوقهم في الدولة بعد ان كانوا معرضين للقلق تحت النظام القديم السائد.

اما الكتلة فان علاقاتها من حيث كانت قائدة الحركة السياسية اوجدت لها مؤيدين

انجازوا الى جبهتها واخذوا يجدون لها الانصار وينشئون المكاتب التي تصبح مراكز واندية لهم. وهم حائزون على مناصرة وتأييد الحكومة الوطنية الكتلوية.

وراء هذين الحزبين يقوم نظام العشائر ونظام الاقطاع. والعشائر العلوية اربعة الحدادون، رئيسهم يوسف الحامد. والخياطون، رئيسهم جابر العباس. والرسالنة رئيسهم امين ارسلان. والمتاورة، رئيسهم عزيز الهواش. وهناك الدنادشة في تلكلخ.

والعشائر العلوية متناظرة ورؤوساؤها يختلفون فيما بينهم. وفي الاستعداد للانتخابات انقسمت العشائر الاربع بين الحزب القومي والكتلة الوطنية فالحزب رئيس الخياطين ورئيس الرسالنة الى الكتلة الوطنية وبقي رئيس الحدادين والمتاورة يعملان مستقلين متضامنين يؤيدهما ابراهيم الكنج المشهور. فعقدوا اخيرا مؤتمر بانياس واتخذوا قرارات ذات صيغة لا مركزية. وهنا تدخل الحزب السوري القومي فبذل المساعي لدى الحكومة المركزية في دمشق. وبلغنا ان الزعيم زار دولة رئيس الوزارة الشامية وبحث معه مسألة محافظة اللاذقية. وقام معتمد الحزب السياسي ومعاونوه في اللاذقية بجهود تحمد لتقريب وجوه النظر وازالة اسباب الخلاف ونفي الصيغة اللامركزية لجبهة مؤتمر بانياس. وقد نجح الحزب في مساعيه الى حد كبير في حمل جبهة مؤتمر بانياس على ترك امر اللامركزية وتأليف جبهة انتخابية واحدة مع الحزب السوري القومي، وتم انشاء الجبهة فاذا هي قوية جدا.

وواصل المسؤولون في الحزب السوري القومي مساعيمهم للتفاهم مع الحكومة المركزية على لوائح الانتخابات. ولكن الحكومة المركزية رأت ان تعمل مستقلة بعد ان كانت شجعت التقارب.

فلما قرب موعد الانتخاب رأت الحكومة ان جبهة الحزب السوري القومي متينة فخشيت مغبة الامر. فقصد رئيس الوزراء الى محافظة اللاذقية فتنقل فيها ودرس الموقف ودعا الى مؤتمر عقد في تشرين اول الجاري في اللاذقية. فلم يفلح في ايجاد اتفاق، وبذلت مساع كثيرة لخرق الجبهة اللامركزية، خصوصا في طرطوس، حيث عرضت على السيد محمود المحمود مرشح جبهة الحزب السوري وظيفه وقيل انه دفع له نحو الف وستاية ليرة سورية لقاء انسحابه فتخلى عن الجبهة بهذا الثمن البخس وانسحب فقاطع الحزب السوري القومي الانتخاب جزئيا، وصوت للسيد محمد آغا اسماعيل فقط الذي كان رفيقا لمحمود المحمود على القائمة.

صدع انسحاب محمود المحمود الفجائي جبهة الحزب السوري القومي وزاد في

الصدع اعلان الشيخ ابراهيم الكنج مقاطعة الانتخاب في بانياس ضد مصلحة مرشح الحزب السوري القومي السيد محمود احمد حبيب فانتصرت الجبهة الكتلوية انتصارا غير مستحب لما سيجره من ذيول ولذلك تأجلت الانتخابات الثانوية لرتق الخرق.

وقد لاحظ الناس في محافظة اللاذقية أمرا لم يكن لهم به عهد من قبل هو نظام الحزب السوري القومي البديع وشرف تصرفه فقد ثبت الحزب واظهر رباطة جأش نادرة ولم تضعف صفوفه. فكان اعضاؤه الذين عرض عليهم المال لقاء اصواتهم يجيبون السامرة « حاشا لنا ان نخب ظن الزعيم الذي سجن وتأم من اجلنا »، وعند قدوم رئيس الوزراء الى بانياس قابله السوريون القوميون بتظاهرة سار فيها نحو اربعة آلاف سوري قومي هاتفين بحياة الزعيم.

ويوجد من يقول ان اجتماع اللاذقية تحت رعاية رئيس الوزراء عقد بقصد اخراج الحزب السوري القومي من المعركة. وان اتفاقا سريا جرى في اللاذقية على اساس تأمين نجاح رؤساء العشائر. وان انسحاب محمود المحمود ومقاطعة الشيخ ابراهيم الكنج كانا من نتائج التفاهم السري المشار اليه.

اما في الحصن (تلكلخ) فقد انخذلت جبهة الكتلة وفازت جبهة الحزب السوري القومي. ويقال ان الحكومة ترمي من وراء تأجيل الانتخابات الثانوية الى خرق العرف الديموقراطي والسماح بنزول مرشحين جدد وتغيير مناطق بعض المرشحين وجعل الاساليب غير المشروعة او غير المعروفة معروفة ومشروعة.

واما في بانياس حيث جبهة الحزب السوري القومي هي الاقوى فقد ادى التدخل في حرية الناخبين الى حوادث غير محمودة.

والتخوف من الحزب السوري القومي يسود الجو في محافظة اللاذقية وفي اللاذقية نفسها تتوالى الاجتماعات في منزل عبدالقادر شريتح لدرس وسائل مكافحة الحزب النامي.»

من ذيول الانتخابات

وجاء في جريدة « النهضة » العدد 25 تاريخ 11 تشرين الثاني 1937 تحت عنوان « الدكتور الياس عبيد انفصالي ام كتلوي » ما يلي: « يظهر ان الفشل الذي اصاب الدكتور الياس عبيد في انتخابات اللاذقية الاخيرة، كان شديد الوطأة عليه. فقد اصيب بمثل صرعة جعلته يتخبط في سياسته، ويأتي باعمال من شأنها ان تجعله في مرتبة

المتذبذبين التائهين في مؤخرة موكب المستغلين بالسياسات الحزبية المحلية الانتهازية .

وانه ليسؤنا حقا ان نرى هذا الرجل يصرع تحت اقدام الاخلاص في المبدأ والثبات في العقيدة . فقد عرفناه وطنيا متطرقا ، « وفيصليا » مخلصا ، ثم رأيناه يتقلب فجأة ليصبح انفصاليا طمعا بالنيابة في المجلس التمثيلي العتيق باللاذقية . ثم رأيناه بعد الحكم الوطني يصبح وطنيا كتلويا ، طمعا كذلك بالوصول الى كرسي النيابة ، متخذًا القول المأثور : « انا مع الواقف » .

وكان ان اصبح الدكتور مع الواقفين ، اي رجال الحكم الوطني فخاص معركة الانتخاب الى جانبهم ضد النائب الاستاذ الياس الجرجس ، واقسم يمين الطاعة والاخلاص للجهة الوطنية المتألفة في قضاء تلكخ من الدنادشة والزعبية والسيدان جابر العباس وسليمان مرشد .

وما ان اسفرت الانتخابات عن سقوطه واخفاقه حتى طير برقيات الى المفوضية العليا احتجاجا على تدخل الحكومة الشامية بالانتخابات . والحقيقة على عدم تدخلها بصفته مرشحا كتلويا اسوة بزملائه المرشحين الكتلويين الذين تدخلت الحكومة لمصلحتهم .

والاغرب من ذلك ان يشاركه في الاحتجاج على تدخل الحكومة الكتلوية مؤسسو مكتب الكتلة الوطنية في تلكخ وهم دباح آغا الاحمد ، وعهاد الدين آغا ، والسيد ناصر الزعبي . والدليل على ذلك التلغراف الذي بعثوه الى المفوض السامي بتوقيعهم الشريفة . وقد علمنا اخيرا ، ان الدكتور الياس عبيد يطوف في هذه الايام على بعض القرى المسيحية الموالية له في الماضي ، يطلب منهم توقيع مضابط بطلب الانفصال باسم حماية الاقليات ! وذلك بالاشترك مع الاستاذ نوفل الياس الذي فشل ايضا في الانتخابات النيابية الاخيرة » .

في طرطوس

كان بعض المغرضين ، اصحاب الغايات المقوتة ، قد دسوا اسمي في بيان كاذب ، معلنين بالنيابة عني زورا وبهتانا اني انسحبت من الحزب السوري القومي ، لتخلي الحزب عن بعض الشخصيات بانتخابات طرطوس . ولما كان ذلك دسًا ، غايته بذر التبليل وهذا ما يعجز عن بذره امثال من دسوا البيان ، ولما كنت لا ازال من جنود

الزوبعة الحمراء المخلصين، فاني ارجوكم نشر هذا البيان خدمة للحقيقة ومنعا
لتأويلات المستثمرين الرجعيين ودمتم.

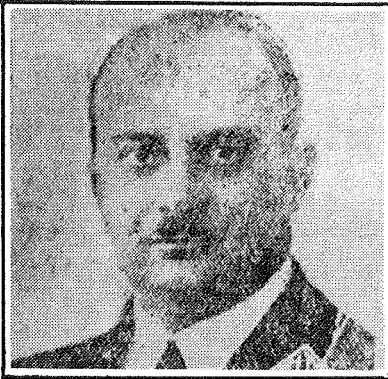
ابراهيم عثمان - طرطوس
في 17 اكتوبر 1937

الانتخابات النيابية اللبنانية

الجامعة الاميركانية سياسية، لاسياسية

قبل التكلم عن الانتخابات النيابية اللبنانية والتي تحدث لأول مرة بعد تأسيس الحزب اود ان اذكر تعليقا للزعم نشر في جريدة « النهضة » في العدد 2 السنة الاولى بتاريخ 16 اكتوبر 1937 يتناول فيه حرية الترشيح فيما يختص بصديقه الدكتور رثيف ابي اللمع الذي كان استاذ طب في الجامعة الاميركانية، وهذا نص التعليق.

« عندما صار من المؤكد ان يتقدم الدكتور رثيف ابي اللمع لترشيح نفسه للنيابة عن بيروت نزولا عند رغبة المتعلقين به ورده كتاب، على قول رواة ثقات متصلين به، من الجامعة الاميركانية يخبر فيه الدكتور ابي اللمع بين مكان استاذ في الجامعة والترشيح للنيابة.



الدكتور رثيف ابي اللمع

وحجة الجامعة في هذا الموقف السياسي ان قانون الجامعة يحظر التدخل في الاحزاب والحركات السياسية.

وظاهر من هذه الحجة ان اركان الجامعة لا يفرقون بين النيابة عن الشعب لخدمة مصالحه والتشريع لحياته العامة وبين الاعمال السياسية البحت. ولو انهم كانوا يدركون الفرق بين حل امانة الناخبين وممارسة الحقوق المدنية من جهة والقيام بجملات سياسية لاغراض سياسية من جهة اخرى، لما وجدوا في قوانينهم حجة تمنع عضو الدولة من استعمال حقه وفعل واجبه القومي.

خصوصا وان الدكتور رثيف ابي اللمع بعيد عن السياسة ولم يعرف انه تلون بالوانها وكل ما عرف عنه انه رجل وطني يحب موطنه ويريد ان يخدمهم بمواهبه العقلية من غير دخول في التحزبات السياسية.

الحقيقة ان الجامعة الاميركانية قد اخذت في المدة الاخيرة تتطرف بفرض انظمة واتجاهات على التابعين لمؤسساتها وذوي العلاقة بها حتى انها تكاد تجردهم من حرية الفكر والقول التي كانت الجامعة نفسها تفخر فيما مضى انها صفة اساسية لها. ويظهر هذا التطرف بالتحيز في تطبيق قوانين منع السياسة. فبينما نراها تحظر على احد اساتذتها الدكتور ابي اللمع ممارسة حقوقه المدنية الدستورية نراها تجيز للدكتور طبوريان ان يمارس هذه الحقوق عينها. وبينما هي تقبل في عداد طلبتها بعض الذين اشتركوا في حوادث مخلة بالامن العام وكانوا المحرضين عليها كالسيد عادل عسيران اذا بها ترفض احد طلبة الطب لانه اشترك في مظاهرة احتجاج. وهي في الوقت نفسه تتساهل مع بعض جماعات الفكر بصورة لا قانونية وتتشدد مع جماعة فكر اخرى على شكلين قانوني ولا قانوني.

ان النيابة ليست سياسة مبدأ النيابة تمثيل ارادة الشعب ومصالحه. اما السياسة فهي شيء له علاقة ثانوية بالنيابة.

في حين الجامعة تجاهر بالابتعاد عن السياسة نرى بعض اساتذتها المؤيدين يحاولون ان يشبوا لك ولي ان هذه المدرسة الفكرية ضد سياسة الجامعة وان تلك المدرسة الفكرية التي هي من الصنف نفسه تتفق مع سياسة الجامعة الاميركانية واهدافها.

المعروف عن الجامعات في العالم ان الفكر فيها حر على اساس العلم، فتتفاعل الافكار. لا تقاوم النظريات والآراء المتولدة من هذا التفاعل الا بالنظريات والآراء، اما التحيز في سياسة الطلاب ومحاولة بعض الدوائر فرض عقلية خاصة عليهم فسياسة

تخرج عن الامانة الدراسية .

وبعد كتابة ما تقدم تلقينا من رائدنا المحلي الخبر التالي: «تتابعت مساء الخميس الماضي اجتماعات المرشحين المعارضين للائتلاف في بيروت وكانت متعددة متوالية وانتهت بزيارة للجامعة الاميركية وقد علمت ان الغرض من هذه الزيارة كان للاجتماع برئيس الجامعة والبحث معه بقضية ترشيح الدكتور رثيف ابي اللمع . وعلمت اخيرا ان هذا الاجتماع لم يؤد الى نتيجة مرضية...» .

نشر مقال في العدد 4 من جريدة « النهضة » تاريخ 18-10-1937 فيه تحليل لبعض المرشحين للانتخابات النيابية اللبنانية وذلك تحت عنوان « شخصيات واحزاب ومؤسسات » . ابرزها يوسف السودا ونقول الشاوي . ومن يرغب في التفصيل فليراجع المقال المذكور .

موقف الحزب السياسي من الانتخابات

وصف الزعيم الاوضاع الانتخابية التي كانت سائدة حينذاك في خطاب اول اذار 1938 كما يلي: « وقد جاءت الانتخابات اللبنانية بعد مدة قليلة من وقت خروجنا من السجن (في ايار 1937) وكان جو هذه الانتخابات متجها والدعاوات سائرة على قدم وساق . وبرزت الانانيات الجاحمة على المسرح . وظن بعض اصحاب هذه الانانيات انه يستطيع تسخير الحزب السوري القومي الاجتماعي لاغراضه وتضحيته على مذبح شهواته . اما الحزب فتجاه ما كان متراكما عليه من القضايا الجزائية وتجاه الحاجة الى وقت لاعادة تنظيمه بعد نحو سنتين من اعتقالات وملاحقات لم يكن في حالة تسمح له بمحوص المعركة الانتخابية باساليبها الطائفية الفاسدة وامكان شراء اصوات كثيرة بالمال فضلا عن الاتجاهات السياسية ، التي كنت ارى خطوطها بجلاء . ولذلك فضلت العمل لمصلحة الحزب ، لاسيما ونحن لا فرق عندنا بين حكوميين ومعارضين في السياسة الحاضرة فكان موقف الحزب السوري القومي الاجتماعي في الانتخابات اعظم الانتصارات السياسية .

ان هناك افرادا تعودوا تسخير الاحزاب التقليدية لمنافعهم الخاصة فظنوا انهم ينالون من الحزب السوري القومي الاجتماعي ما كانوا ينالون من الاحزاب الاخرى . وقد ساء فاهم ، لان الحزب السوري القومي الاجتماعي يقول ان الافراد يسخرون للقضية القومية لا القضية القومية للافراد » .

جرت هذه الانتخابات في 24 تشرين الاول برعاية المفوض السامي الكونت دي مرتيل بصورة خاصة. بلغ عدد المرشحين خمس مئة، فقط، لا غير. كانت المعركة حادة وحامية، خصوصا في بيروت حيث تجابه الصديقان رياض الصلح الصيداوي، الدخيل على المجتمع البيروتي وخير الدين الاحدب، صاحب جريدة «العهد الجديد» التي كانت تضم ماعداها صلاح عثمان بيهم وكلهم دعاة للوحدة السورية.

لهذه الاسباب كسبت الانتخابات في بيروت اهتماماً لم تحظ بمثلها الانتخابات الاخرى حتى في جبل لبنان الذي انتهى الى ائتلاف او في الشمال حيث عبد الحميد كرامه من جهة الوحدة السورية وماتبقى من جماعة الجانب اللبناني وعلى رأسها «المقدم».

وان انقل هنا بعض الفقرات من الفصل السابع عشر من كتاب «الايام اللبنانية» لمؤلفه الصحفي اسكندر الرياشي تحت عنوان «الرجل الذي ظهر فجأة». «وكان من اكبر ظاهرات تلك الانتخابات الهامة فوز خير الدين الاحدب - بعد معركة هائلة بين المرشحين المسلمين ببيروت - فجاء للمجلس بالرغم عن الوجاهات الاسلامية، وكان فوز خير الدين مفاجأة انتخابية غير منتظرة خصوصا وقد كان حد علم الناس ان الفرنسيين يعدونه مع رياض الصلح وصلاح عثمان بينهم - الثلاثة لا كبر خصومة للانتداب - فاذا بخير الدين يأتي للنيابة، ومن وراء مساعدة الفرنسيين ضمنا وبنوع خاص له.

ولم يكن في تلك الايام احد غير رياض الصلح يحزر في خير الدين الاحدب رجل المستقبل ويعرف تماما ان من وراء الظواهر الطريفة المرنة الوديدة التي يتحلّى بها يخفي شجاعة سياسية كبيرة وحيلة وسعة تجعله يقدم على كل شيء ولا يتراجع عن شيء. جاء خير الدين الاحدب وجاء معه صديقه الجديد الكبير اميل اده نائبا معنا».

«وعلق رياض الصلح في اليوم الثاني على ما كتبتة الجرائد بهذا المعنى يقول: «كنت انتظر ان يتحالف خير الدين العربي المنادي بالوحدة والعدو الاكبر للانفصال، مع الشيطان، ولكن ليس مع اميل اده الركن الابر للانتداب الفرنسي بيهذه البلاد».

والشيء الذي كان معروفا جيداً يومئذ ان رياض الصلح هو الذي كان مفروضاً ان يأتي للنيابة - ولكن المفوضية السامية - بعد ان كانت قبلت ظاهريا بترشيحه، عادت في آخر ساعة ووضعت عليه «الفيتمو» الذي لا يقاوم - فانسحب ساعتئذ واعلن ترشيح خير الدين الاحدب - وتأييده له - وهو يظن - وعن حق - ان الفرنسيين

يقاومون ايضا هذا الترشيح - ولكنهم - ولدهشة رياض الصلح - لم يقاوموا ترشيح خير الدين بل ايدوا ذلك الترشيح ورعوه بعطف كبير وبمساعدة ناجحة .

« كما وان رياض الصلح كان من جهة ثانية ببيروت يوجه في الاجتماعات العامة الناس نحو اميل اده الذي كانت تربطه معه احدى تلك الصداقات العجيبة - التي كان مشهورا بها والتي كان يعقدها مع اشخاص يجب بالاحرى ان يكونوا من خصومه السياسيين - يعملون في الحقل المعاكس للحقل الوطني العربي الذي كان يعمل هو فيه ولهم غير تفكيره وغير عاداته وغير مبادئه . »

بدأت الاتصالات وكان من اهمها اتصال رياض الصلح محاولا كسب الاصوات الحزبية البيروتية وقد اكسب هذا الاتصال قوة للحركة القومية الاجتماعية في عين الاحدب الذي كانت هذه المعركة تعني له الوجود او الزوال .

اما في جبل لبنان فأهم الاتصالات كان ذلك الاتصال الذي تم في منزل الامير أمين ارسلان من قبل حكمت جنبلاط والذي بدا منه ان الزعيم يشجعه ويغنيه وقد تكررت هذه الزيارات التي كانت تجري بسرية تامة . هذا ما عدا اتصالات الشيخ ابراهيم المنذر ومعه باديء ذي بدء اميل لحود وما عدا الاتصال الذي كان يقوم به من جهته كميل شمعون .



حكمت جنبلاط

وفي البقاع كان الاتصال محصورا بشخصية محلية قوية هي الياس طعمه سكاف وتليها بالاهمية يوسف الهراوي. كان سبب اتصالها بالمساة من قوى انتخابية في البقاع عامة وفي مشغرة وجوارها، خاصة.

وقد لاحظت ان الزعيم كان يركز اهتمامه على كسب حكمت جنلاط الى جانبنا في معركة جبل لبنان ولم يهتم الاهتمام نفسه بالنسبة لرياض الصلح. كان يقول لي «اذا نجحنا بحكمت تصحح مسألة الحزبية المحلية المزمنة في الشوف على طريق التصفية». هذا ما كان يرمي اليه من تركيزه على حكمت.

ولكن في بيروت فقد كان يحاول ان يفسر لوسطاء رياض الصلح الذين كانوا يتسلحون بالوحدة السورية، كان يحاول ان يفسر لهم البون الشاسع بين الوحدة السورية السياسية التي ينادي بها رياض الصلح وبين الوحدة السورية القومية التي يبشر بها الحزب.

كانت خطة الزعيم التي وجه بها المكتب السياسي تتلخص في العمل على ربح الوقت لايجاد جو من الهدوء والسكون او بكلمة اخرى لايجاد جو هدنة بين النهضة القومية الاجتماعية والدولة وذلك لكي تتسهل سبل التبشير امامها.

اهم ما كان في هذه المرحلة ان الزعيم كان يقود المعركة الانتخابية النيابية الاولى بعد تأسيس الحزب وانكشافه والاضطهاد الذي لقيه مما ائخنه بجراح بليغة تحتاج الى وقت لشفاؤها. كلني في هذه الاثناء بطبع لوائح احصائية لقوانا الحزبية الانتخابية وبما ان المعركة تجري على أساس الطائفية فقد طلب مني ان ابوب هذه اللوائح على اساس الطوائف. فعلت وجئت اليه بمسودة للموافقة قبل طبعها على «الستنسل».

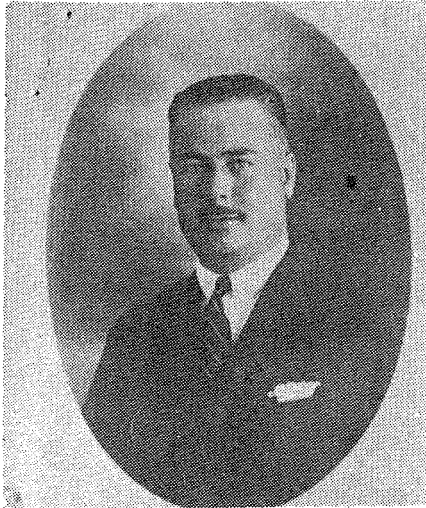
وافق على ترتيبها وتبويبها ولكنه صحح في عناوين الابواب التصحيح التالي: كنت وضعت عنوان «المسلمون» وتحت السنة، الشيعة، الدروز». فجاء في التصحيح شطب اسم الدروز من تحت عنوان «المسلمون» وجعل لهم عنوانا خاصا بهم فاصبحت العناوين، المسيحيون، المسلمون، الدروز.

تطلعت اليه مستفها عن سبب تخصيص الدروز فقال لي «ان الشرح حول هذا الموضوع يطول ولكن لمعلوماتك المستعجلة ان للدروز «الحكمة» كما للمسيحيين «الانجيل» وكما للمسلمين «القرآن». اخذت بقوله وهذا مما دعاني ان اتوسع في فهم هذا التمييز.

خسرتنا هذه الانتخابات صلاح لبكي وعدد من الاعضاء لم يستطيعوا ان يدركوا موقف الحزب السياسي من هذه الانتخابات وان هذه المشاركة في الانتخابات من أجل الانتخابات بحد ذاتها التي لم يكن الزعيم ليرجو منها خيراً. كان الموقف سياسياً لا موقفاً انتخابياً.

ظاهرة جريئة

في هذه الاثناء كان يوزع في محافظة جبل لبنان بيان انتخابي، صادر عن مرشح مستقل من الشوفيات، اسمه سليم صعب، اعتبر في ذلك الحين انه ظاهرة فذة جريئة لأنه كان يدعو لتأييد ترشيحه من كلّ ابناء الطوائف فهو ليس بطائفي ولا يمثل طائفته الدرزية بل هو للكلّ دون استثناء، إذن على هذا الكلّ أن يمنحه صوته. كنت احد الذين اعجبوا به وبيانه.



سليم صعب

في 13 آب 1982 أي بعد مضيّ خمس وأربعين عاماً اكتشفت أن هذا البيان - الظاهرة كان قد دخل مستودع ذاكرتي من باب هذا الاعجاب وبقي فيه كامناً الى هذا التاريخ!!! فكيف كان ذلك؟

وهل يمكن أن ينتسى هذا التاريخ؟ تاريخ القصف اليهودي على مدينة بيروت، هذا القصف الجوي العشوائي الذي استمر يوماً كاملاً وقد اصاب البناية التي فيها مسكني في الصنوبرية، في رأس بيروت فحطم ما حطم من زجاج وخرق السطوح

واحراق السيارات التي في موقف البناية وسيارتي بينها، مما اضطرني على مغادرتها واللاجء الى اوتيل البريستول المجاور وهناك في مقهاه، COFFEE-Shop، الذي تحول الى ملجأ، قضيت فيه انا وعائلي عشرة ايام.

تحول هذا المقهى الى منتدى ضمّ العديد من النواب ورجال السياسة ورجال الاعمال والموظفين الكبار في الدولة، يقضون وقت النهار في الاستماع الى الاذاعات ثم يجلبون ما يسمعون ثم عند المساء ينتقلون الى ملجأ آخر، اما انا وعائلي وبعض الافراد والعائلات الأخرى، كنا نقضي الليل على المقاعد.

من هؤلاء الافراد من رجال الاعمال رجا صعب وعمر صعب. تمّ التعارف بيننا ولشد ما كانت دهشتي عندما علمت انها نجلا سليم صعب، اذ وجدني اقول لها فوراً «سليم صعب، المرشح المستقل للانتخابات سنة 1937، ابي ما ازال اذكر بيانه اللاطافي». خرجت هذه الكلمات من مستودع الذاكرة حيث كانت كامنة خمسا واربعين عاماً كما ذكرت في بداية هذا الكلام.

غني عن البيان انها ابديا سرورها من هذا الذكر الانتخابي ومن ذاكرتي التي ما تزال تحفظه حتى اليوم وأخذنا نتحدث عن هذا الموضوع الى ان ابدت تمنياتي لو ان هذا البيان موجود في محفوظاتها فانشره في مسلسل كتاباتي في «صباح الخير» التي بعنوان «من الجعبة».

وكما كانت دهشتي كبيرة ايضاً عندما اجابني عمر انه يحتفظ به وأنه سيكون مسروراً أن يسلمني نسخة عنه عندما تنتهي من الاجتياح اليهودي.

خرجنا من الملجأ وانكفأ الغزو اليهودي عن المدينة وهدأت الايام نوعاً فبدأت ملاحقتي لعمر لينجز ما وعد به فكان عذره دائماً انه موجود مع محفوظات اخرى يصعب الوصول اليها وعندما تسنح له الفرصة سيتصل بي.

داومت على مراجعاتي الى ان اتفقنا على اجراء لقاء بيني وبين والده فيروي لي قصة هذا الترشيح بنفسه وهكذا كان وتمّ اللقاء في الاشهر الاولى من عام 1985 أي بعد ثلاث سنوات.

اللقاء واكتشاف جديد

دفعه طموح الشباب بعد الحرب العالمية الثانية إلى الهجرة. كانت الهجرة تغري بالثراء السريع. وصدق الخبر والخبر. فهاجر واثرى وعاد إلى الوطن يحمل آمالاً كبيرة

باستثمار رأسماله الذهبي في شتى المشاريع . استبعد الربى عن هذه المشاريع مع انه كان ساري المفعول في ذلك الحين . كان من القلائل الذين يتمتعون بأفكار عمرانية من هذا النوع ولذلك احرز شهرة واسعة في عالم الاعمال .

قال لي بعد هذه المقدمة الوجيزة على سبيل المثال انه بالتعاون مع احد المهندسين الاجانب كان اول رجل اعمال استعمل الاسمنت المسلح في فن البناء . اعتبر في ذلك الحين مغامراً . اجتاز هذه التجربة - المغامرة بنجاح واصبح منذ ذلك الحين استعمال الاسمنت المسلح شأنًا اساسياً في العمار .

كان يدير مكتبه بكل عناية ولذلك اختار محامياً بارزاً لقضاء معاملاته . كان هذا المحامي اميل اده الذي انتقل من مركزه في هذا المكتب إلى مركز رئاسة الجمهورية اللبنانية . من هنا بدأت علاقته بالسياسة المحلية، الى ان كانت سنة 1937 سنة الانتخابات النيابية .

كانت قد توثقت علاقته بكسروان الخازن، احد اقطاب هذه السياسة اللبنانية مع فريق اميل اده وبما ان كسروان الخازن يرشح نفسه للانتخابات فلم لا يفكر هو كذلك بالترشيح وقد اصبح شخصية مرموقة . بدأت مساعيه لانجاز مشروع الترشيح بالطرق التي كانت سائدة تلك الايام - وما تزال - التي تتلخص بالاشترك باحدى اللوائح، كيف لا واميل اده، محامي مكتبه، هو رئيس الجمهورية!!

باءت هذه المساعي بالفشل وكانت الضربة القاصمة جواب رئيس الجمهورية له ولكسرون انه لا يتدخل بهذه الانتخابات وكل شيء بيد رئيس الحكومة خير الدين الاحدب وانه لا يستطيع ان يفعل اي شيء من اجلهما مع كل رغبته في ذلك، اعتبره صادقاً - وقد كان كذلك - لكنه مع ذلك بقي مصرّاً على الترشيح وان مستقلاً . من هذه الفكرة جاء طرح نفسه بالمرشح اللاطائفي وحتى يكسب دعماً لا طائفيّاً اتجه إلى مساندة الاحزاب له فكان اتصاله بالحزب السوري القومي الاجتماعي، ففي الشويفات وجوارها اعضاء كثر من هذا الحزب اللاطائفي فصمم على لقاء انطون سعاده زعيم الحزب .

كان له لقاءان: شرح له في اللقاء الاول اسباب ترشيحه وفي اللقاء الثاني اخذ منه الجواب . من تعليقات الزعيم على هذا الترشيح انه تحد للبيزكية والجنبلاتية فكيف يأمل باكتساب الاصوات من الفريقين والمرشحين عنها تقليديان . اما الجواب في اللقاء

الثاني فقد كان قرار الزعيم بالموافقة على تأييده لان بيانه الانتخابي ينسجم كل الانسجام مع طروحات الحزب الفكرية الاجتماعية .

اتفقا وما يزال يذكر ذلك الحديث الرزين وذلك الموقف الرصين خصوصاً تلك الابتسامة التي قابلها بها عندما سأله عما يتوجب عليه من مساندة مالية للحزب ، تلك الابتسامة التي ارفقها بما يلي : « تضع تحت تصرف الادارة الحزبية ثلاث سيارات لمدة يومين وذلك لتبليغ اعضاء الحزب في محافظة جبل لبنان قرار الزعيم بتأييدك . هذا كل ما عليك » .

كانت نتيجة الانتخابات انه حصل على عدة آلاف من الاصوات من جميع المناطق مما اثار تعجب المراقبين اما بالنسبة لي فقد ادى هذا الحديث الى اكتشاف جديد هو ان الزعيم كان وراء مساندة هذا الترشيح ، هذه المساندة التي بقيت طي الكتمان 48 سنة ولولا هذا اللقاء لما انكشفت ، خصوصاً أن التعليق الاخير كان « ان انطون سعاده العظيم اكتفى بثلاث سيارات للتبليغ » ، « اني لن انسى هذا الموقف المبدئي ما حييت ، وها اني افعل الآن » .

من نكبات التعيين

(نقلا عن جريدة « النهضة » ، العدد 13 ، تاريخ 28 تشرين الاول 1937)

ارسلنا في عدد سابق من هذه الجريدة كلمة حول التعيين قلنا فيها انه لا يستند الى اي اساس قانوني ، وان وجوده مخالفة صريحة للمبادئ الدستورية ولابدأ تمثيل ارادة الشعب في مجلس النواب ، بل رأينا فيه اسلوبا من اساليب العمل السياسي في البلاد ولطخة عار في صميم الكرامة القومية .

والظاهر ان وجود التعيين لا يكفي ، فلم تشأ الظروف الا ان يكون تطبيقه نكبة فاضحة ، فعوضا عن انه يحمل الى الاريكة النيابية الشخصيات الفذة ، من رجال العلم والاختصاص ، اذا به يحمل اسماء المناصرين والموالين الذين لم يكن الانتخاب فسيح المجال لارضائهم .

نحن لا ننكر ان وجود رجال الصحافة من الزملاء الافاضل ضمانة قوية لمصالح الشعب ودعامة للثقافة وعامل لتطور الحياة النيابية الى مستوى اسمى وافضل من مستواها القديم ولكن ان يكون الى جانب هذه الاسماء الكبيرة ، الثقيلة الوزن ، اسماء لا تعني شيئا ولا تفيد شيئا كاسم الاستاذ توفيق لطف الله عواد ، رئيس الوحدة اللبنانية ،

فهذا ما يزيد التعيين ضرراً، وما يستفزنا للاحتجاج على تطبيقه كما احتجاجنا على وجوده.

لو فرضنا وقررنا من باب الجدل مبدأ التعيين وقبلنا بفرضه علينا، يجوز ان نقبل بوجود «النائبة» توفيق لطف الله عواد، هذا الذي لم يعودنا الا الشتيمة والسباب، والذي لم يكن له موقف محمود الاخلق ازاءه الف مشكلة والف مفسدة، هذا الذي لم يشأ وجدانه القومي الا ان يثير التعصب الطائفي في صفوف الشعب الآمن، هذا الحموقة المستهتر بكل شيء الا بأن يذكر اسمه «رئيساً» وان يطبل له فريق من الشبان ويزمر في روحاته وغدواته. هذا الذي لم يججل من ان يصبو سهام جهله الى كل الذين حملوا راية الجهاد لرفعة شأن الامة، وتلاحم صفوفها، وتسيير دفتها الى المثل العليا والاهداف السامية في ميادين الاجتماع والسياسة والاقتصاد.

لقد كنا نعتقد ان الحكومة الموقرة، وهي التي لم تكن تحتاج لتفوز، لامثال الاستاذ توفيق لطف الله عواد ومن لفّ لفه، ستزین لائحة النواب المعيّنين باسم من ذوي الاهلية والكفاءة، باسم من الذين يستحقون التأييد والتشجيع، من رجال الشمال، والشمال غني بالرجال وفقير جداً بامثال الاستاذ عواد، فكيف وجدته الحكومة؟

موقف الحزب الانتخابي السياسي

ويجدر بنا بهذه المناسبة ان نلقي نظرة وان عجل على المقال الذي نشره الزعيم في جريدة «النهضة» في العدد 11، تاريخ 26 تشرين الاول 1937 وهذه بعض مقاطعه. «صرح رئيس المكتب السياسي في الحزب السوري القومي لمخبر «النهضة» ان هذا الحزب سيقف من الانتخابات موقفاً سياسياً، اي انه سوف لا يدخل معركة الاشخاص والمنافع الشخصية التي يقوم عليها الاتجاه الانتخابي.

بعد هذا التصريح الذي نشرته «النهضة» في عدد سابق، فتحاً سياسياً جديداً، لانها المرة الاولى في تاريخ هذه البلاد السياسي الحديث التي نجد فيها النظرة السياسية المجموعية تسيطر على الاتجاهات السياسية. فالحزب السوري القومي قد برهن هذه المرة ايضاً كما برهن سابقاً في كل ظرف وفرصة انه منظمة تنظر في احوال الوضع السياسي العام وشؤون مجموع الحزب وتضع هذه الشؤون فوق جميع الاعتبارات.

انها الطريقة العملية الوحيدة لانقاذ المجموع من امراض الشؤون الشخصية وسيطرة المصالح الفردية وانها الطريقة العملية الاولى لتربية الشعب على حب المصلحة العامة

وتفضيل نظرة المنظمة على نظرة الفرد الاولية الناقصة المبنية على رغبات خاصة قد تتفق في الاقل النادر مع المصلحة الممثلة المجموع، ويكون اتفاقها مؤقتا، وكثيرا ماتصطدم مع ارادة المنظمة او المجموع الصادرة عن الحاجة العامة الرئيسية.

لا شك في ان هذه الطريقة ستصدم افرادا كثيرين لايزالون يتبعون الاساليب الضرورية العتيقة القائمة على قاعدة التسويات المؤقتة والتكيف حسب مقتضيات الظروف. وكثير من الذين لا اهلية لهم لاذابة خصوصياتهم واخضاعها لنظام الجماعة ويطنون الحزب منظمة ضعيفة قابلة للاستثمار والاستغلال الشخصيين سيصطدمون بالقواعد السياسية الفنية والاساليب الترتيبية التي يبتكرها هذا الحزب ويظهر بها نبوغ الامة وشعورها بشخصيتها ومقدرتها على توليد نهضتها، وستكون الصدمات شديدة الوقع عليهم فتثور في انفسهم نائرة المبررات الشخصية التي لايزال لها تقدير كبير في بيئتنا، نظرا للمجرى العميق الذي حفره تاريخ المصالح الفردية الطويل في حياة الشعب.

... ولكن موقف الحزب في هذا الصدد كان بالحقيقة باهرا. فان اركانها الحقيقيين انكروا انفسهم وقاموا يعملون في سبيل مصلحة واحدة هي مصلحة الحزب...

... في هذا الموقف الانتخابي ضمن الحزب السوري القومي بممكنات كثيرة في سبيل سياسته العامة. ولاول مرة في تاريخ الانتخابات نجد أفراداً يتقدمون الى صندوق الانتخاب ليضعوا فيه اوراقا لا تمثل رغائبهم الفردية بل تمثل ارادة الحزب.

... ولاول مرة في تاريخ الانتخابات نرى حزبا يقف من الانتخابات موقفاً لا يظهر فيه سوى ارادة المنظمة التي يثق كل فرد من افرادها.

رأي في الزعيم

رأي خير الدين الاحدب في الزعيم: روى لي نجله عن لسان والده مايلي: «سأل أحد السياسيين والذي كيف تتركون لانطون سعادته الحبل على الغارب وهو القائل بالسورية في الكيان اللبناني فاجابه «اولا: ان المبادئ التي يبشر بها انطون سعادة هي مبادئ حضارية، على مستوى القرن العشرين، اذن، فهي راقية وسامية ولبنان بلد راق وحضاري. ثانيا: ان صفتها المميزة هي صفة ثقافية علمية فلا بأس من ان يتشقف الشعب ويتعلم. ثالثا: لا خطر سياسيا منه على الحكم في لبنان (وهنا بيت القصيد بالنسبة للسائل). واخيرا ان شخصية من هذا النوع يجب ان نعتز بها ونحترمها».

بَعْدَ انْتِهَاءِ الْاِنْخِطَابَاتِ

ومع انتهاء معركة الانتخابات بدأت همة عميد الاذاعة اميل خوري حرب تفتقر لانه على ما يظهر كان من الطامعين بالترشيح عن بلاد البترون من قاعدة « تنورين » بلده افانزوى وابتعد عن الحزب رويدا رويدا وراح يقوم بنشاطات اخرى الى ان وافاه الاجل المحتوم. عين الزعيم مكانه الامين فخري معلوف تحت اسم مستعار نصوح الخطيب.

كما انه حضر الى المركز في بيروت الرفيق عساف كرم الذي كان ملازما في « جيش الشرق » للتعرف بالزعيم بعد ان كان قد مضى على انتمائه ما يقرب على السنتين وذلك لتجسيد الانتساب بالتعرف الشخصي.

انتمى في هذه الفترة ايضا الضابط في الدرك اللبناني « الشيخ » اميل الخازن مبهورا برجولة وبطولة السوريين القوميين الاجتماعيين المستمدتين من قدوتهم في تجسيد نضال زعيمهم انطون سعاده.

الحديث الخطير

وقبل الانتقال الى سرد واقع الوضع الحزبي في الفروع بعد الانتهاء من سرد وقائع لاعمال في المركز من قبل الزعيم اريد ان اسجل له هذا الحديث الخطير:

كان يستريح الزعيم في غرفته عندما سمح لي بمقابلته. كان يصغي الى برنامج اجنبي عن الموسيقى الكلاسيكية، قطع لتشيكوفسكي، وشوبين، باخ وموزار. اجلسني جنبه واثار بيده ان ابقى صامتا فامتثلت. التفت الي بعد قليل واخذ يشرح لي اهمية هذه القطع الفنية الرائعة ووزنها الثقيل. وراح يحكي لي عن مؤلفيها العظام. كان يعرف اني احب الموسيقى وأميل اليها.

ثم انتقل بحديثه الى زيارته الاخيرة لدمشق ومقابلته رئيس الوزارة فيها، جميل مردم بك، وكان تعليقه على ابحاثه انه متشائم من حيث حسن نتائجها.

اولاً: يظهر «دولة الرئيس» اعجابه بنظام الحزب ومثانته من جهة وكيف ان مأمون اياس كان يحمل تعريفا خطيا مني عندما اوفدته اليه منذ مدة. مع ان التعريف الخطي امر رسمي يجب ان يتزود به كل مكلف بمهمة رسمية تحدد فيه الغاية والصلاحيات ومن جهة اخرى يخشى من هذا النظام وهذا الحزب فيعمل في السر على محاربتة وهاك مثالا في الانتخابات الاخيرة.

ثانياً: يريد منا ان نجزيء عملنا الحزبي فيسمح لنا في العمل في منطقة الجزيرة مثلاً وذلك لضعف الكتلة الوطنية فيها وقوة المتفرنسين وكثرة مشاكلها العنصرية والطائفية وقربها من الحدود التركية وييدي استعداداه للمساعدة. ويمنع هذا العمل بالذات بصورة غير مباشرة في منطقة اخرى حيث تملك الكتلة قوى شعبية يخاف عليها من الحزب.

ثالثاً: يريدنا اقوياء في لبنان ويهتني على مواقفي السياسية لجهة طلب الانسجام السياسي مع الشام على الاساس القومي ومن جهتهم لم يبال وفد الكتلة بمذكراتي السابقة لمشروع المعاهدة واللاحقة لها فيما بعد فلا يتقدمون بأية خطوة عملية نحو هذا الانسجام.

رابعاً: وهذا اخطر ما سبب لي الما وهو في الوقت نفسه يدعو الى السخرية انه من المضحك المبكي، تصريحه الخطير عن مسألة الاسكندرون ونحن نبحت الخطر التركي «ان الاتراك قد جلبوا لانفسهم المشاكل بتدخلهم في منطقة جديدة غير متجانسة» وبعض رجال الكتلة في الحكم يعتقد ان نفاذ الاتراك الى هذه المنطقة لا يفيد الاتراك كثيراً ولا يحسب خسارة للسوريين لان الامانوس وهضاب انطاكية لا تصلح استحكامات للدفاع. انه لكلام يدعو الى الاشفاق والغضب في آن واحد.

انهم عاجزون عن ادراك اسباب السلامة القومية وان الامانوس وهضاب انطاكية تصلح لان تكون مراكز دفاعية وهجومية للجيش المكلف بالسهر على سلامة الحدود. والحقيقة ان الخطر التركي قد اصبح مداها وفي حالة حرب لا يستغرق زحف الجيش اكثر من بضع ساعات حتى يصبح عند التلال الشرقية قرب حصص، محتلاً الجزيرة وحلب وفي بضعة ايام يصبح عند مداخل لبنان الذي لا يبالي، هو الآخر، بهذا الخطر ويعتبره خطراً على الشام وحدها.

قلت لدولة الرئيس جوبا على تصريحه الخطير « طالما ان احتلال الاتراك لهذه المنطقة يجلب لهم المشاكل فلنوسع لهم رقعة المنطقة فتزداد المشاكل وهكذا نتعبهم اكثر فاكثر » .

ان هذه العقلية وهذه المفاهيم تشكل خطرا على امتنا اكثر بكثير من اي خطر خارجي .

تكذيب انسحابات

من الوسائل التي استعملت ضد الحزب السوري القومي الاجتماعي وسيلة رخيصة تتلخص بان تنشر سلسلة انسحابات منه وهي لم تحدث ، مما اضطر الذين كتبت باسمهم على تكذيبها . ولا تخفى الغاية من نشر هكذا اراجيف ، اقل ما يقال فيها نشر البلبلة و اظهار خفة الانتماء و سطحيته .

« نشرت جريدة الاحوال عدد 11444 تاريخ 30 ، 31 تشرين الاول 1937 انسحابي من الحزب السوري القومي وذلك لم يكن الا بواسطة بعض النفعيين اصحاب المآرب الشخصية والنفوس الدنيئة لذلك اعلن اني لا ازال في الحزب مؤيدا للعقيدة القومية الشريفة وسأبقى جندياً للزوجة الحمراء . » عبدالله سرور (جريدة النهضة ، العدد 17 ، تاريخ 3 تشرين الاول 1937) .

« لم اسمع في بلد ما ان حرية الناس تمتهن بهذه القحة التي قام بها بعض الافراد الذين خانوا مبادئهم . ولكي يخففوا من جرمهم جعلوا يحشرون بين اسمائهم اسماء اشخاص لا علاقة لهم بالحزب مطلقا . وقد دهشت واستنكرت الامر عندما قدمت اليّ جريدة الاحوال عدد 11444 تاريخ 30 و 31 تشرين الاول 1037 . وطالعت اسمي بين جماعة ادعوا انهم من الحزب وتقدموا يعلنون انسحابهم . ولهذا اتقدم بواسطة جريدتكم سائلا الحكومة اي صلاحية اعطيت هؤلاء بان يتعاطوا بالناس وباسمائهم كما يشاؤون ؟ الم يكفهم انهم اسقطوا من مراكزهم بانسحابهم من مبادئهم الشريفة الى ان يزوروا عن السنة غيرهم ؟ نعم ، انه لم يكن لي اية علاقة بالحزب ولكني لا انكر اني احبذ مبادئه الشريفة واحضّ الناس على اعتناقها . » نعم ابو فاضل . (كان قد ورد اسمه بين اسماء نشرت في جريدة الاحوال المذكورة انهم منسحبون من حزب واصلا ليسوا منتمين اليه . كل هذا دون علمه) .

المطرودون

وجاء في العدد 15 من جريدة « النهضة » تاريخ 30 اكتوبر 1937 بهذا الصدد ما يلي:

ان مناورات الاستثمار والاستغلال التي شكلت شبه موجة كبيرة غمرت الجمهورية اللبنانية بمناسبة الانتخابات النيابية قد تناولت جميع فئات الشعب اللبناني. فقد بلغني ان احصاء قامت به دوائر هذه الحزب اظهرت مئتي حادثة خروج عن النظام.

ودوائر الحزب العليا لاتخفي هذه النتيجة وقد اتصلت بعمدة الاذاعة فاطهر لي احد أركانها ارتياحه الى ان الحزب السوري القومي قد صمد للصعوبات ولم يمكن المستغلين من صدع وحدته. وعلق على المئتي مخالفة المذكورة قائلاً: « ان ضألة هذا العدد تدل على معنويات الحزب القومية بالنسبة الى حالة البلاد الاقتصادية والاجتماعية والى الظروف الحاضرة ».

وزاد محدثي ان الاحوال الاخيرة وظروف الانتخابات مكنت الحزب من اكتشاف بعض المندسين في صفوفه من الشيوعيين والعاملين لمآرب خاصة.

فسألته ان يتكرم على « النهضة » ببعض التدابير التي يقصد الحزب اتخاذها فاعطاني لائحة اسماء قرر الحزب منذ السادس والعشرين من الجاري اعتبار افرادها موقوفين عن ممارسة حقوق العضوية الى ان يكون قد تم التحقيق بشأنهم، وهذه هي اللائحة: زلزل بشارة زلزل، مرشد عبد الملك، داود كرم، وديع رزق، رزق الله ابو فاضل، امين محمود فخر، موسى ابو فاضل، جورج خوري، متري كنعان، سلمان عبد الملك، نعمة الله ابو فاضل، جريس تادرس، داود سليمان، نجيب الصايغ، الفرد بشارة، ناصر الاسود، جبران كنعان (من المهمولين) نعيم ابو فاضل (من المهمولين) عبد الله سرور، نجيب الحاج، لبيب تبشرافي (من المهمولين).

واضاف الموظف الاذاعي انه قد صدرت مراسيم طرد بأكثر افراد هذه اللائحة بناء على ظهور خيانة لمبادئ الحزب وخروج عن النظام.

ولاحظ محدثي ان ما يفقده الحزب لا يوازي عشر الريج الذي ناله الحزب فلاقبال عليه قد اصبح محسوسا في مناطق متعددة.

الى المنسحبين - المطرودين

ويكتب الامين عبدالله قبرصي في جريدة « النهضة »، العدد 18، تاريخ 3 تشرين الاول 1937 عن الذين كتبوا انسحابهم وهم مطرودون من الحزب السوري القومي بسبب مخالفتهم الموقف الحزبي في موضوع الانتخابات: « كان فيما بعض الذين كتب لهم الخزلان والخنوع ينسحبون من الحزب السوري القومي ويذكرون لانسحابهم اسبابا شتى، يملها عليهم عمال العبودية واذناب الجواسيس وتفتح لهم الجرائد صدورها، فتمرح هي باسمائهم « الكريمة » ويرحون هم بكرم العبيد والجواسيس.

وكان الحزب « في ذلك العهد المشؤوم » يسمع اللعنة ويقرأها، ويلمس التحامل الوقح على رجاله ومبادئه ويمر بها هازئا محتقرا مكتفيا بايمانه بقضيته وبازدراؤه الذين ينسلخون عن صفوفه القوية، لمجرد وشاية او تهويل او تهويش.

اما اليوم فقد خرج الحزب الى الميدان، واصبح له سياسة ورأي، وقد تغلغل في كل الزوايا، ومشى الى كل معمور ومأهول، وقد انفتحت له صدور الصحف الحرة فاصبح المنسحبون اذا كذبوا، والمنفسخون اذا تواقحوا، والمفصولون اذا ثرثروا، والمطرودون اذا تطاولوا، يجدون على صفحات « النهضة » اقلاما ترد كيدهم الى نحرهم، وفتيان عقائد وایمان يناقشون الحساب، حجة تقرع حجة، وميزان يزن الافكار، ورأي مثقف يحكم.

ايها الذين ادعيتكم انكم انسحبتم من الحزب السوري القومي وقلتم ان الاثرة في الحزب تمنع عليكم حرية العمل والرأي. ذكرتم من الهراء ما لا يرتكز الى اساس، تعالوا نفهمكم حقيقة انسحابكم الغاشم.

لقد قرر الحزب صبيحة يوم السبت في الثالث والعشرين من اكتوبر سياسته الانتخابية واعلن المكتب السياسي في كل انحاء الجمهورية القوائم التي يؤيدها الحزب، وارسل العلم مندوبيه يحملون الاوامر. ماذا كان منكم؟ لقد سجلتم على انفسكم الانتقاص على الامر وضربتم بالنظام عرض الحائط، امام عاطفة حقيرة تتأجج بها قلوبكم نحو شخص او شخصين من قائمة الحزب.

اجل، لقد اعتبرتم انفسكم حتى الرابع والعشرين من اكتوبر سوريين قوميين تلبون حين تدعون، وتقيدون بقسمكم وبتعليقات مركز الحزب. لقد كانت ثقتكم عمياء وارادتكم موصولة بارادة الرجال الذين جعلهم النظام رؤوساء كم. وقد كنا نشعر بوجودكم وبحسن حيويتمكم، وكنتم ترتفعون عن مستوى العقلية اللبنانية

العامه، الى مستوى ارفع، يليق بعلمكم وثقافتكم وشخصيتكم الفتيه. لقد كنتم تسرون، وتشعرون من جهتكم، بعامل النهضة القومية، يدفعكم الى الآفاق الواسعة، والاماني لكبيره، ويلهب مشاعركم بالفضائل النفسية العالية، ويؤجج في قلوبكم حب بلادكم وامتكم، فتهتفون لها وتهتف لكم، ويراكم الذين حولكم فيدلون عليكم بالبنان قائلين: انهم رجال.

اما بعد تاريخ 23 اكتوبر فقد برهنتم ان عاطفة عارضة، وشهوة مريضة، وحقدا ذميا، فصل بينكم وبين ماضيكم القريب بهوة، فلا انتم رجال تؤمنون، بل قطع من البشر العاديين، تؤثر بكم العوامل الحقيرة التي تؤثر بجيرانكم، وتجركم القضايا الشخصية الصغيرة التي يخلقها لكم الاستقلاليون الاستشاريون.

لقد طلب اليكم الحزب تأييد قائمته لا لانه يرى ان هذه القائمة تحوي الذين يمثلون عقيدة الحزب ومبادئه، بل لانه رأى ان في هذا التأييد مصلحته التي هي مصلحة الامة، فجنتم تدعون انه زجكم في موقف حرج. ولو رجعتم الى ضمائركم، وعقيدتكم، لادركتم ان الحزب السوري القومي، يوم دخلتم فيه افهمكم انه لن يتصرف بكم الا لمصلحتكم: للمصلحة العامة، لمصلحة القضية ولخير النهضة.

حقاً ان نكولكم عن تأييد قائمتنا، وعمردم على الامر الصادر من الدوائر العليا لم يترك مجالا للاخذ والرد بانكم مخطئون وتستحقون العقاب. اما العقاب الاعظم في الحزب فانتم تعرفون انه الطرد. فيا للعار! انكم طردتم طردا من المؤسسة التي رفعتكم الى مرتبة الرجولة ودونت اسمكم في التاريخ الجديد الذي بدأ معها للامة والوطن.

يا للعار! لو بدلت قضية الحزب السوري القومي، او لو تغير نظامه، وتمردتم على اوامره، لكنتم معذورين. ولكن ان تبقى قضية الحزب قضيته، قضيتكم بعينها، التي من اجلها سجنتم، اضهدتم ونبذتم، وان يبقى نظامه هو هو، وان تكون الانتخابات افسحت امامه مجال التقدم والنمو والعمل الهادي، وان يكون وصل الى مرحلة تفيد بها جهودكم ونضالكم وثقافتكم، وضلتم انتم السبل القويمة واعتصمتم ضد النظام لاسباب نافهة صغيرة، ترجعكم اطفالا لا عقل لكم ولا ايمان ولا قوة. فهذا مما يدعوننا للاسف، ويغمرنا بموجة من الاستياء ويجعلنا نشجبكم ونشطب اسماءكم لتنقل من اوج الكرامة الى احط درجات الاستضعاف والخنوع، ايها المطرودون المساكين!

اننا نرثي لحالكم وندرك في هذه الساعات كم تندمون وكم تبكون لاننا لا نشك بانكم خدعتم، وأريد بكم شرا، واستسلمتم لذوي الغايات والمآرب الترابية.

لقد طردتم حقا يوم تمردتم، فاياكم ان تكذبوا وتقولوا انكم انسحبتم، لقد كان ذلك باستطاعتكم يوم لم يكن يقف لكم بالمرصاد احد، اما اليوم « فالنهضة » هنا فالصدق يبقى والكذب ينهار .

سوف نؤنبكم . سوف نناقشكم، سوف نجتهد ان ننساكم وننسى خنوعكم، ولكننا نرثي لكم على كل حال، لان ضائركم كم ستكون لكم جحما، ومنذ الآن نشعر بايدىكم على جباهكم السوداء الكالحة، تفكرون بنتائج الطرد الوخيمة - وتتوبون حيث لا تنفع التوبة .

تكذيب انسحاب

وقدم الرفيق نهاد حنا من جل الدي الى جريدة « النهضة » بالتكذيب التالي نصه :
« لقد راجت في المدة الاخيرة اشاعات عديدة من بعض اصحاب المآرب بانني انسحبت من الحزب السوري القومي لاسباب انتخابية فتكذيبا لما اشيع اعلن الى جميع الرفقاء والى الرأي العام، بأني كنت ولم ازل وسأبقى في الحزب السوري القومي حتى الموت وبان العهود التي قطعتها على نفسي لا اضمن، لتغذيتها، بكل تضحية مهما كانت .

الى حزب الوحدة « اللبانية »

درس في المناقبة

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « النهضة » كلمة بريئة الى الرأي العام نشبتها فيما يلي لنعطي فكرة عن كيفية الردود على الاحزاب التي انشئت في هذه الاثناء لمحاربة الحزب السوري القومي : تكاد تكون الشماتة اخطأ النقائص الخلقية بنظري وخصوصا بين الخصوم السياسيين او الذين كان سبب الخلاف بينهم خلافا في العقيدة، او في شؤون الفكر والعلوم .

على ان الشماتة، في بلادنا، اكثر انتشارا من اي تفسخ خلقي آخر، وتكاد تكون مصدرا ملازما لبعض الهيئات الاكليركية والرجعية ولبعض محترفي السياسة من الذين جعلوا تأليف الاحزاب صنعة لهم وعملا ...

وكان لسوء فهم الحركة القومية التي قام بها شباب هذه البلاد الحرة رد فعل مباشر على السلطات، وكانت الاضطهادات والسجون والارهاب . فلم تجد الحركة الا الشامتين

واللائمين والمنددين. وقلما وقفت صحيفة - الا بعض الزميلات الحرة - موقف المدافع او المناصر.

ثم تطورت الحال فبدأ المجموع والافراد والحاكمون يفهمون حقيقة النهضة وكيف انها ضمان نمو هذه البلاد وعمرانها فخفف الاضطهاد وكاد يزول واصبح الناس يتطلعون اليها في عيون وقلوب مليئة بالامل، مفعمة بالتأييد والعطف.

عندئذ، هبّ الشامتون، في لغة المناشير ولغة الصحف، يطالبون الحكومة بان تظلم، ويبستجدون بها على هؤلاء الذين يسمونهم اعداء الكيان اللبناني.

مهلا، ايها الشامتون! اننا نحسّ في لهجتكم الخوف ونشعر الرجفة، فاذا كان لكم على النهضة القومية حق ما فامامكم صحفكم ووسائل دعاوتكم، فاقنصوا هذا الحق بالحجة وارجعوا دعواكم بالبرهان.

اما هذه الطريقة!!! هذه الطريقة القابعة في الدرك السفلي من الاخلاق فلا تسلكوها رحمة بجرية الاخلاق، وشفقة عليكم انتم من ان تصغروا في اعين انفسكم.

اقرعوا الحججة بالحجة، ونظموا صفوفكم كما تفعلون، وقوموا بالتظاهرات العدائية، وقولوا كل كلمة سوء واجعلوا من حرابكم حرابا تطعن في الظهور والقلوب، ان هذه طريق من طرق الحرب واساليب تجيزها الخصومة، اما ان تطالبوا السلطات والحاكمين بان يرهقوا شباب الحزب السوري القومي، بان يزجهم في ظلمات القبور، بان يجعلوا منهم عبرة للمعتبرين، فهذا سلاح للجنباء، أفهمتم، يا شباب الوحدة اللبنانية ومن لفّ لّفكم.

اتحريض للحكومة، وتعريض بها اذا لم تفقر مئات من عائلات السوريين القوميين واذا لم تكبّل نخبا من حاملي لواء الثقافة في هذه البلاد؟

اتحريض للحكومة، وتعريض بها، اذا هي ادركت بعد طول الزمن من ان الحركة القومية هي حركة بنيان وتعمير!

التحريض سبيل للشهامة، وقد قلنا عن الشهامة انها مرض خلقي ذمّيم. فايّاكم ان تحرضوا وتشمتموا، يا من لكم ذرّة من الكرامة والحياء، فانكم تتهورون.

النجادة والقومية

علم الناس اخيراً ان النجادة ستعود للعمل بعد ان قضت العطلة الصيفية. والتقى مندوب « النهضة » بالقائد العام للنجادة السيد عبدالله دبوس وطرح عليه بعض الاسئلة رأينا ان نشتها هنا ونطلع القراء على خلاصتها.

- اصحيح ان النجادة ستعود لتنظيم صفوفها بعد ان تشتت جمعها وانقسمت الى فريقين، اذا لم نقل عدوين فانها مختلفان في اهم النقاط؟

- نعم، وسيجتمع رؤوساء هذه المؤسسة في المقر العام نهار الخميس القادم للنظر في هذه القضية.

- وهل سيظل حزب النجادة حزباً طائفيًا كما كان في العام الماضي؟

- لقد كان في العام الفائت طائفيًا، وظهرت النعرة الطائفية في اعمالنا فكان من جرائها ان انحلت رابطتنا وتفرق شملنا.

- واليوم.

- اليوم سنعمل لتوحيد الشباب على اساس القومية ونجمع بين جميع ابناء الطوائف في حركتنا حتى اننا سنغير اسم هذا الحزب باسم قومي اذا امكنا وذلك، اني، انا شخصياً، اعمل دائماً في سبيل تحقيق فكرة القومية التي هي اساس بناء الامم اليوم.

- وهل ستظل حضرتك متسلماً القيادة العامة؟

- كلا، وذلك لظروف لا تسمح لي بالقيام بهذه المهمة التي ارجو ان تتجمع بالقومية فقط. وأنا سأقف نفسي على خدمة الكشفية في المدرسة.

- ومن تظن انه سيملاً هذا المنصب الشاغر؟

- ارجح ان المقر العام سيعين احد هؤلاء: محمود العيتاني، محيي الدين العلماوي، مصطفي فتح الله، سعد الدين الصمدي.

- وهل سينتخب رئيس جديد للنجادة؟

- كلا، فان الرئيس احمد اللاذقي سيظل رئيساً.

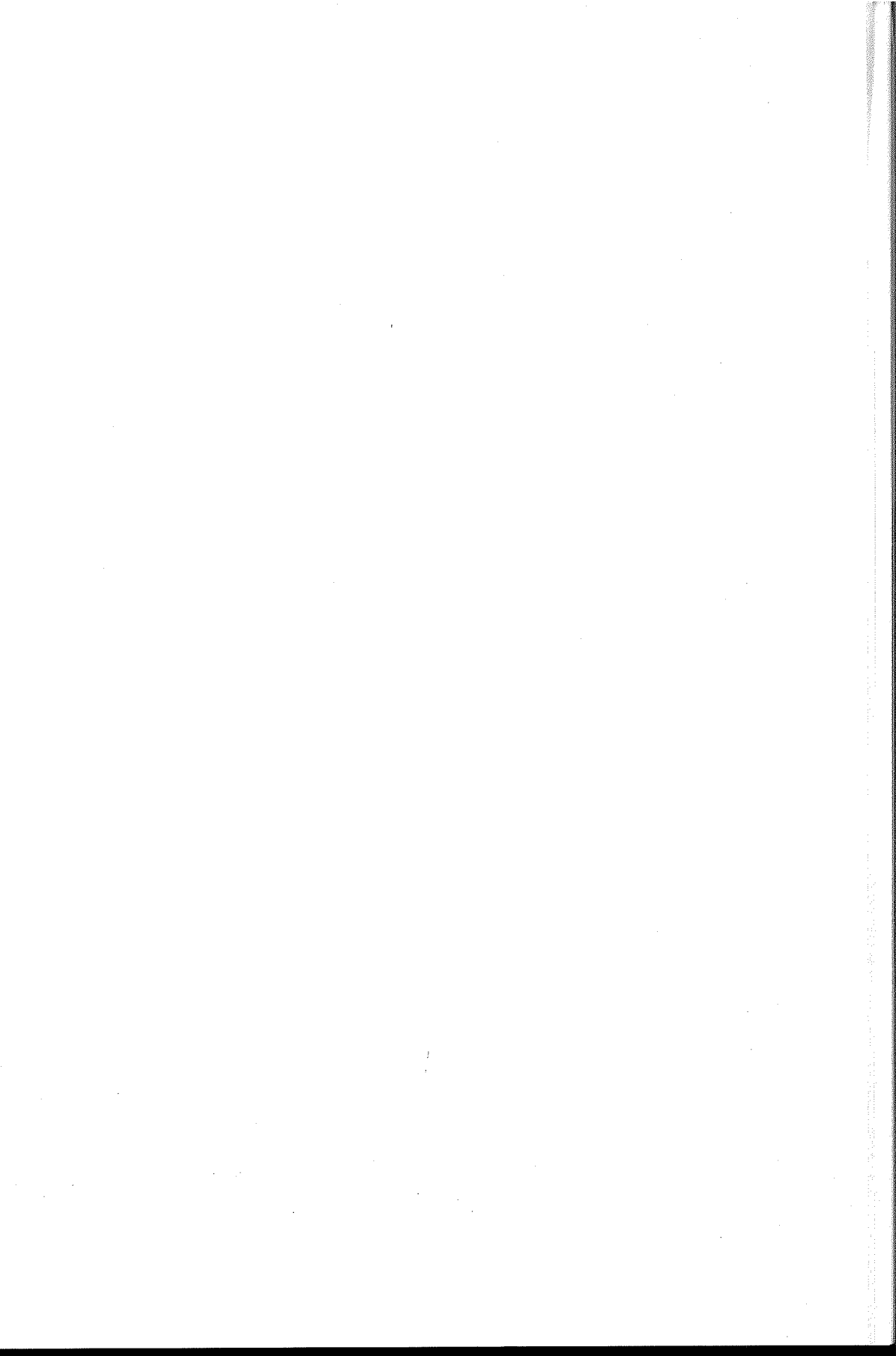
- وهل السيد اللاذقي يعتنق الفكرة القومية ويعمل لها ؟
- لربما... ولكن فالسيد احمد كان ولا يزال من العاملين على تهيئة الشباب
للحركة الوطنية الشاملة .

(نقلًا عن جريدة « النهضة » ، العدد 10 ، تاريخ 24 تشرين الاول 1937)

عفو خاص

وفي 12 تشرين الاول صدر عفو خاص من رئيس الجمهورية اللبنانية عن الرفيق
عبد الله الجميل وفي 17 منه صدر عفو خاص ايضا عن الرفيق ناصيف اللحام الذين
كانا محكومين بمسألة تأديب الصحفي البذيء عارف الغريب. تناول هذا العفو الخاص
ما تبقى من مدة محكوميتها في 18 تشرين الاول.

النسب الطائفة في الفروع



في بيروت

منفذية بيروت منفذية المركز عن حق وحقيقة لا يوجد حي من احياء المدينة الا وفيه سوريون قوميون اجتماعيون. واني فيما يلي وفي ختام هذه السنة الحزبية الخامسة اقوم باستعراض موجز مكثف لبعض الاعمال التي حدثت في هذه المنفذية يلقي بعض النور على المسيرة الحزبية في هذه الحاضرة.

ابداً هذا الاستعراض بمقال الرفيق محمد يوسف حمود نشر في كتابه « هاتف الجراح » الصادر عن منشورات دار المعرفة تشرين الثاني سنة 1975 تحت عنوان « سعادة لأول مرة » يبين فيه تأثير ناظر كلية المقاصد الخيرية الرفيق الاستاذ زكي النقاش في نفوس طلابها في ذلك الحين.



محمد يوسف حمود

ومن هؤلاء الطلاب امتدت رقعة الحزب في المدينة فانتمى العديد العديد من الشبان المثقف. منهم من بقي ثابتا حتى يومنا هذا ومنهم من سقط على جانب الطريق ومنهم من انحرف وسنأتي على ذكرهم في سياق السرد بخاصة اولئك الذين دخلوا السجن مرارا او شردوا.

وهذا لا يعني اني ساخص بالذكر الرفقاء من الذكور فقط بل سأعرج على نشاط الرفقاء من الاناث لما كان هن من ايام بيضاء في شتى الحقول والمناسبات.

وبعد هذا العرض الخزي سأحاول ان اعطي صورة قدر الامكان عن الوضع السياسي في المدينة وكيف نشأت بعض الشخصيات التي تبوأ مراكز قيادية في السياسة اللبنانية ابتداء من هذا التاريخ. واليكم المقال:

«يرحم الله فؤاد قاسم، فلولاه لما تمكنت من متابعة تحصيلي الابتدائي في مدرسة الفاروق المجانية التي كان يديرها، ولما تمكنت من الفوز بشهادة السرتفيكا ولا الانتقال الى كلية المقاصد طالبا بالكفالة.

لم اكن ادري كيف كان، يرحمه الله، يأتيني بالكتب في مطلع كل عام دراسي، لئلا يعيقني ثمنها عن استئناف الدروس في معهده الذي كان من معلميه محمد النقاش.

ولمحمد النقاش في خاطري صورة من عام 1934 ما محت، لانها تكررت وارتسمت علامة استفهام في نفسي، طالما رأيته بعد الانصراف من المدرسة يقبل على شاب بانتظاره وسم الطلعة اسود اللحية، سألت مرة عمن يكون وعمما يعمل، فقبل لي انه مأمون اياس يهوى التمثيل.

والكفالة في كلية المقاصد اوجبت على الاتيان بكفيل ملاك يتعهد معي باني اسدد الاقساط السنوية التي ستراكم ديونا عليّ حتى اخرج وامارس عملا ما فأسددها بالتقسيم... اذكر ان خالي قال لي يومذاك - وقد وجدني في حيرة وارتباك - ما عليك يا خال انا ملاك... وهكذا كان، فقد وقع معي الكفالة، واصبحت في كلية المقاصد طالبا. ثم ادركت ان خالي ما كان يملك سوى خمس دجاجات في بيته الوضيع الذي كان يسكنه بالايجار في محلة الطريق الجديدة البائسة بجوارنا... فما كان كاذبا، وما كانت جمعية المقاصد لتسيء نباتها الخيرة فتتحرى، وما تلكأت عن تسديد ما توجب علي من ديون مع خالص العرفان، لدى اول عمل توليته، ليرة عثمانية ذهبها كل شهر.

كان زكي النقاش ناظر الكلية العام، وكان استاذ التاريخ فيها، وكانت له على الطلاب سيطرة المحبة على الاحترام وسلطة التعليم على التعلم، وكانت لنظراته ونبراته في نفوسهم رهبة وطاعة، وكان لأسلوبه في تلقين التاريخ وقع الايمان ومتاع النشوة.



زكي النقاش

دخل علينا في الصف الرابع الثانوي في صبيحة يوم من مطلع تشرين الثاني عام 1934 واجما على غير عادته، واطرق ثلاث دقائق ساد فيها صمت مطبق. ثم راح يذرع ارض الغرفة مرارا بخطواته الحازمة متكئاً يتمم بما لم نكن نسمع... الى ان توقف، ورفع رأسه وشمل العشرين تلميذاً بنظرة واحدة منه وابتسم وارسل: صباح الخير، نهارك سعيد، بونجور، مرحباً، العوافي، مساء الخير، سعيدة، بونسوار، الله معكم، السلام عليكم، بخاطركم... اف ما اكثرها!.. وهنا وجدنا نحن التلاميذ متنفساً فابتسمنا! بل ضحكنا ملء صدورنا المطبقة.

وتابع استاذنا يقول بالعربية الفصحى التي ما تخلى لسانه يوماً عنها: حبذا لو اوجد هذه التحيات في تحية واحدة يرددها جميع المواطنين المسيحيين والمحمديين. وردد: حبذا، حبذا. وراح يتساءل: وماذا نقول؟ وماذا نحني؟ ارضنا؟ ساءنا؟ شعبنا؟. واطرق من جديد دقيقتين صمتنا فيها يدوي التساؤل عما سيطلع به علينا الاستاذ. وانتفض كمن يستفيق من غيبوبة، يقول بلهجته الخطابية التي اشتهرت عنه: وهل اجمل واحلى وامتع واصوب من تحية الوطن وتحية الامة بتحية واحدة في كل آن ومكان؟ صباحاً وظهراً او اصيلاً ومساءً؟ في المدرسة والشارع والبيت؟ هل اروع من ان نحني دائماً بلادنا فنقول: تحيا... وتوجه الينا بسؤال: وما اسم بلادنا؟ فأجبنا معا بصوت واحد: سورية... فقد كان الجواب بديها عامذاك نتعلمه حتى في كتاب التاريخ لفرحات الذي اقرته وزارة المعارف اللبنانية ليعتمد في الامتحانات الرسمية. واطرق استاذنا ايضاً هنيهة، ثم اشرق وجهه المحمر والتمتعت عيناه وهتف: تحيا سورية... هذه هي... وجدناها... هذه هي التحية التي يجب ان تعم وان

تردد فتحل محل كل تحية سواها... تحيا سورية... قولوا معي: تحيا سورية!...
فرددنا كلنا: تحيا سورية... وتقدم استاذنا نحو كل منا يصافحه بدوره متهللا
قائلا: تحيا سورية، فيتلقى الجواب من كل منا: تحيا سورية... وما ان انتهى من
المصافحات وتبادل التحيات حتى عاد الى منبره، واستوى، وتطلع الى فوق مرسلا
من اعماقه بانسراح وارتياح: اللهم اني بلغت!

وانطلقت «تحيا سورية» منذ فرصة الساعة العاشرة يومئذ تتردد في ملعب
الكلية، وعمت جميع التلامذة والطلاب في اليوم التالي، فلا تحية سواها.

وبات لنا في كل صباح عقب اجتماع الصلاة، قبل الدخول الى الصفوف،
هتافات نردها مع الناظر العام: - يا ابناء الحياة لمن الحياة؟ لنا! - ولن نحيا؟
- لسورية! - تحيا سورية! - تحيا سورية!

وبعد ايام في صبيحة نهار ادينا واجب الصلاة، ولم نهتف... ذلك لان الناظر
العام غائب، لعله مريض، سلامته.

وفي الصبيحة التالية كان هذا الخبر في الملعب يستقبل التلاميذ الوافدين: الاستاذ
زكي محبوس، وهذه صحيفة «المعرض» تحمل صورته: ان عميد الحربية في حزب
سياسي سري اسمه الحزب السوري القومي يريد ان يقلب الحكم في البلاد. وهذه
صورة مأمون اياس، وصورة محمد النقاش. وهذه صور كتب تحتها نعمة ثابت،
صلاح لبكي، عبد الله قبرصي... هذا هو «الزعيم» انطون سعادة، وهذه
الزوبعة شعار الحزب السري الذي اكتشف امره، وهذه عبارة تقول: تحيتهم «تحيا
سورية»!

وبعد شهر من ذلك اليوم، افرج عن الاستاذ زكي النقاش. وها هو عميد
الحربية في اخطر حركة، يعود الى المدرسة. وما ان وطئت قدماه الحازمتان مدخل
الكلية، حتى كان فوق «علي السبع» الطالب القوي المنكبين في امواج الطلاب
المتظاهرين ابتهاجا بعودة من يجبون ويحترمون ويقدرنون. وكان تعيش زكي
النقاش وتسقيط فرنسا التي حبسته ظلما وعدوانا، وكان ان اطلق «علي السبع»
صرخة من تحت من يحمل: يعيش الزعيم زكي النقاش يا... فسارع صوت من فوقه
الى الصراخ: لا، لا، ابدا، لا زعيم الا الزعيم!

كان ذلك منذ احدى وعشرين سنة. وكان لا بد لي من سنتين عامذاك، حتى

يتاح لي البدء بالدروس الاولى في مدرسة الحياة هذه بكفالة الشرف والحقيقة
والمعتقد، ولم اكن اظن ان زكي النقاش سيحبس نفسه في سجن نفسه مؤبدا، وان
محمد النقاش سيكتفي بكرسي صغير يقتعده في زاوية من غرفة « بيروت - المساء » .

يرحم الله فؤاد قاسم فلولاها لما تمكنت كذلك من القاء بعض دروس الحياة،
بالاذاعة اللبنانية، كما قالت لي الشجرة التي قطعوها... وشكرا لدجاجات خالي!

منذ خمس وعشرين سنة، وبوابة مدرسة الفاروق تواجهه بوابة سجن الرمل
هناك، تواجهه ويواجهها معهدان يتنافسان في تعليم الشباب وتلقيه ما لا ينبغي...
ويطالان على الشط الابيض ذاك الذي ابتلع المعلم وتلاميذه فاشرب منارة هادية
تتألق باضواء الزوبعة الحمراء؟

حمل هؤلاء الطلاب المشعل وانطلقوا الى الرحاب الاوسع في المحيط البيروتي
تبشيرا وتجسيدا فتوسعت الرقعة وتلاقت مع الانطلاقات الاخرى التي سبق ذكرها
في الحلقات السابقة من الجعبة فكانت حصيلتها تيارا جارفا من الروحية القومية
الاجتماعية شملت الكثيرين من جميع المستويات في المتحد البيروتي بدءا من الرفيقيين
خضر سلام وابراهيم الزين مروراً بامثال محمد رستم طباره، عبد الرحمن العدو وامين
سلام او من امثال محمد راشد الجبلاوي، محيي الدين سنو، عبد الرحمن عكاوي،
عبد الرحمن بشناق، عبد العزيز شبارو او كالمسؤول سعدي حكيم الذي عينه الزعيم



عبدالرحمن بشناق



محمد جبلاوي

لانشاء نوع من الكشفية في الحزب ومحبي الدين فاخوري وشقيقه بشير فاخوري الذي كان اول من حاز على شهادة طيران مدني من احد المعاهد السويسراية (لم يستعملها) وهما ايضا نجلا اول نائب بيروت محمد في عهد الانتداب، محمد فاخوري، وكذلك منير كريدية، احمد مفتي، عون علم الدين، منير الحسيني، احمد تنير، احمد الشيخ، محمد علي وفتوح، محمد طرابلسي رامز ابو ظهر ومحمد صعيدي ومنير العريس.



بشير فاخوري



محمد طرابلسي

ومن قب الياس، في البقاع الغربي، ينتمي نجيب الشويري ولكن في بيروت حيث كان مركز عمله.

ومن الشويفات، في الساحل الجنوبي، ينتمي خليل جابر صعب ولكن في بيروت حيث كان يعمل في فرن يملكه والده عند حاووز الدحديلة.

في هذه الفترة يغادر الوطن الرفيق خليل تميم الذي ورد ذكره كاؤل من حشبي قنيينة بمواد تنفجر، في عمدة الدفاع في العهد السري، يغادر الرفيق تميم الوطن الى اميركانية حيث يدرس فن الطيران ثم ينخرط في الجيش الاميركاني.

وبمناسبة ذكر هذه الاسماء يجدر ان ندون ان الرفيق محمد طرابلسي كان اول قومي اجتماعي لف كفته بعلم الزوبعة عند وفاته بعد خروجه من الصلاة عليه في الجامع وذلك للدلالة على هويته الحزبية اي انه عضو في الحزب السوري القومي الاجتماعي وقد جرى له تأبين عند المدفن.

قام المنفذ العام ويكتور اسعد بهذا الرثاء وقد استهله بالعبارة الاتية « كان محمد » وما ان لفظ هذه العبارة حتى انطلقت عبارة « صلى الله عليه وسلم » من افواه

المشيعين على اعتبار ان المقصود هو النبي الكرم مما جعله يرتج عليه فوقف هنيهة صامتا لا يدري كيف يخرج من هذا المأزق ولكن كان يجواره من حسن الحظ الرفيق محمد يوسف حمود الذي تدارك الموقف رأساً ولقنه بالعبارة التالية « كان محمد ... لا يبكي على ميت بل كان يردد الآية الكريمة: « انا لله وانا اليه راجعون ».

وبعد ان لفظ المنفذ العام العبارة الملقنة استدرك القول السابق وكان قد استعاد قواه بعد الارتباك واكمل التأبين واصفا الرفيق محمد الطرابلس، السوري القومي الاجتماعي، بنشاطه الحزبي وكانت والدته الرفيق محمد طيلة هذا الوقت تقاطع الكلمات بعبارة « لتحي سوريا يا محمد قم وانظر الى رفقاك » وقد ودعته اخيرا الى مثنوا بالتحية الحزبية الرسمية لانها اعتبرت ان والدته القومي الاجتماعي قومية اجتماعية.

عرس محمد رسم طباره

كان للرفيق محمد رسم صالون حلالة ممتاز في محلة « الزيتون » ان لم تخني الذاكرة. كان صالونه يعج بالزبائن للحلقة ولغير الحلقة. لقد استطاع محمد رسم طباره ان يستقطب عددا لا بأس به من الاصدقاء والمحبين وعندما انتمى الى الحزب انطلق في سبيله انطلاقا كلها حماس واندفاع ولذلك عندما قرر طلاق عهد العزوبة ادعا الزعيم لحضور حفلة زفافه. لبي الزعيم الدعوة تقديرا لنشاطه.

كانت حفلة مشهودة من حيث الحشد الضخم الذي تجمع سواء على الصعيد الحزبي او على الصعيد الشخصي والمحلي في منطقة البسطة. والجدير بالذكر ان الزعيم لم يجد مندوحة من ان يلقي كلمة في هذه المناسبة. (المؤسف ان الكلمة غير مسجلة).

كان لحضور الزعيم اثره البالغ ولتأثير كلمته مدى لا يمكن وصفه لما كانت النفوس عليه من الظلم والتوق الى سماع ما سيقوله انطون سعاده الذي ما كان يخرج من السجن حتى يعود اليه وهو الممثل الوحيد للخطط الوطني على الساحة اللبنانية ماعدا بعض اللقاءات السياسية المرتجلة، هنا وهناك، في طلب الوحدة السورية « اسلام ومسيحية » ولو اقتصر على ضم الاقضية الاربعة.

في بيت الفاخوري

وفي دار الرفيق بشير فاخوري عند محطة النويري، تعقد الاجتماعات فلا يمضي اسبوع الا وفيه لقاء بين المواطنين الواردين الى رشف رحيق العقيدة السورية القومية الاجتماعية من ينابيعها الاصيله. كان الزعيم يحضر البعض منها وفي احدها التمي

الرفيق محمد شامل قصيدة من عيون الشعر، يذكرها الرفقاء القدماء لبلاغتها.

وهذا نصها الكامل كما حصلت عليه من الرفيق ناجي جمال الذي التقيته في زيارة لي مؤخراً، يرافقه الرفيق حسن جمال فأعلن لي بوجودها عنده وسلمني الدفتر الذي كان يحتفظ فيه بها وقد عثرت ايضاً فيه على قصيدة للرفيق احمد تنير موجهة الى الزعيم وأثبت هنا نصها الكامل ايضاً. والقصيدتان مكتوبتان بخطها يمكن الاطلاع عليهما في باب «مستندات».

قصيدة محمد شامل الغول

اخا الخطرات الفرّ انك ملهمي
ومن مُحكمات الرأي فيك تولدت
أثرها عوانا في البلاد اذا ابى
ولم نرض الا وحدة فابن اسها
وان صك الاستعباد لم تمحه يد
وغيرك في الالباب لم يتحكّم
بنا عزيمة شاء لم تتحطّم
علينا ارتياد الحق سيف المقسّم
بأيدي وخلّ القول للمتهجّم
فقد يمحي صك المهانة بالدم

ينزجون في ليل السجون ضياغاً
ولو انصفوا هموا بدك شرائع
وهل كانت الاصفاد الا لضيغم
بها يؤخذ الحرّ الايي كمجرم

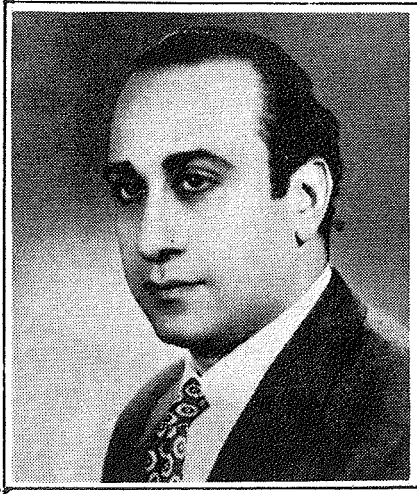
واني زعيم القوم جئت مبايعاً
كما بايع الانصار قديماً محمداً
على رغم ما يبدي العشير ولومي
وصافى الحواريون عيسى بن مريم

قصيدة محمد التنير

اهلاً وسهلاً بالعظيم الشأن
اهلاً وسهلاً بالشجاعة والنهي
يا مرجباً فيمن يدين بوحدة
انشأت حزباً للنظام نموزج
انظون! اتا قد خلقنا للقنا
اني سأذكر نبذة من شرعه
ابن السعادة منقذ الاوطان
والعلم والاخلاص والعرفان
الشام والاردن مع لبنان
شيدت صرحاً ثابت الاركان
ان نبذل التدمير بالبنيان
فصل السياسة عن هوى الاديان

في ذي الشريعة قد جعلت المسلم الحر الايّي يعانق النصراني
فليحيّ انطون العظيم وحرزبه ولتحيّ سورّيّة مدى الازمان
في 19-1-37

وبرز في هذه الاثناء في صفوف النهضة السورية القومية الاجتماعية ثلاثة اعضاء في
الحقول الفنية وهم محمد صعيدي، رامز ابوظهر ومحمد البكار. الصعيدي نجح نجحاً
منقطع النظير مع «البزق» كما ان محمد البكار نجح ايضا نجحاً منقطع النظير في الغناء
وبصورة خاصة في الغناء العالي «السوبرانو» مما جعل الزعيم يوجههم الى المزيد من هذه
الطاقة الموسيقية والغنائية والى ورود مناهل عالمية ترفعهم الى المستوى اللائق بمواهبهم
الفنية الطبيعية.



محمد البكار

ويروى عن لسان الزعيم بهذه المناسبة التي كان يشجع فيها هؤلاء الرفقاء انه صرح
جواباً على سؤال «لو قدم لكم احد من الناس مليون ليرة يضعها تحت تصرف الحزب
فما هو المشروع الذي تفضلونه لاستثمار هذا الراسمال الضخم؟» «لو وضع تحت تصرفي
مليون ليرة لشيدت افخم بناء للاوبرا «Opera» ليس في بلادنا فقط بل في الشرق
العربي قاطبة». كان الظن انه سيصرح «اقوم بانقلاب او اتسلم السلطة».

ومما يجدر ذكره ان محمد البكار صار مغنياً للاوبرا في نيويورك بعد ان مرّ بمصر

وعمل فيها وفي بعض افلامها كما ان الصعيدي وابو ظهر قاما بجفلات ناجحة. منها اول اذار. اهمها في منزل الرفيق صلاح بكداش بحضور الرفيقين محمد يوسف حمود وعبد السلام فاخوري (والد الرفيق جمال فاخوري) الذين القيا ابياتا من الشعر واخرى في منزل الرفيق الياس سمعان شارك فيها صابر الصفح و ابراهيم عليوان كما يروي الرفيق محمد جيلوي.

عرس اللبايدي

كانت العروس الرفيقة مليحة لبايدي، شقيقة صلاح و زكريا. دعت الزعيم والمركزين الى حفلة زفافها. كانت مليحة من الاعضاء الملتزمات والمدركات بشأن النهضة وشأوها. كانت في اثناء ممارستها حقوق العضوية على اتصال وثيق بالزعيم.

كنت ممن حضر حفلة العرس وكان بعلمي ان زكريا اهمل دعوة العميد اياس لخلاف طارئ - كان هذا التصرف من رواسب العهد السابق للنهضة - واذ بالزعيم يحضر، يرافقه رئيس مجلس العمد، نعمة ثابت ومن المركزين، ما عدا انيس فاخوري وصبحي فؤاد الرئيس، عميد المالية، مأمون اياس. لاحظت زكريا قد بغت ولكنه كتم موقفه.

تصدر الزعيم القاعة، بجانبه ثابت وبالجانب الآخر المفتي نجا وعلى مقعد مجاور القاضي غلاييني، القائم باعمال العقد. ومن الضيوف البارزين محافظ جبل لبنان البرجاوي. كان الحديث اجتماعيا، شاملا، لم يخص لاي شأن من شؤون الساعة، كانت القاعة مزدحمة بالحضور وكلهم عيون شاخصة نحو ضيف الشرف، الزعيم.

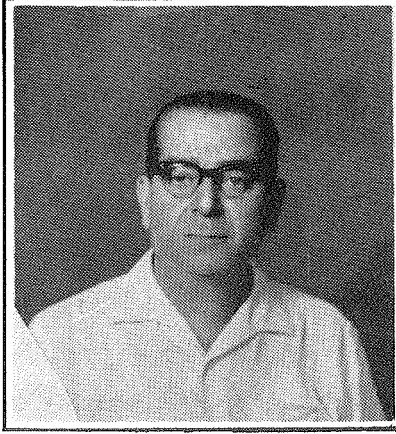
انتهت عملية العقد وجاء دور تقديم القهوة يتولاها زكريا وقد تردد قليلا من اين يبدأ ولكن هذا التردد لم يطل. توجه رأسا الى الزعيم ثم اكمل دورته حسب الرتب الاجتماعية.

هم الحضور للتهنئة، جاء زكريا الى صلاح يعرض عليه مشكلة تهنئة الزعيم للعروس. هل يدخل الى غرفة «الحريم» او... فما كان من صلاح الا ان هب واقفا يجابه المشكلة فيدخل الى غرفة الحريم ويصطحب العروس ويقول للزعيم «اقدم لك العروس، يا زعيمنا».

كانت هذه البادرة الاجتماعية قبلية الموسم. كان ينطق عليها مبدأ ازالة الحواجز... والجدير بالذكر ان الجو البديع الذي كان مهيمنا يعود الفضل فيه



محمد اللادقي



زكريا لبايدي

وجود رجلين من ائمة الدين، منفتحين على المجتمع، متحررين من العقد التعصبية. اليس القاضي غلايبي هو كاتب مقدمة كتاب نظرية زين الدين «السفور والحجاب».

ليس المفتي نجا هو صاحب القول المتداول، حينئذ، بين شباب الطائفة «لاتسمحوا للخمر ان يسيطر على عقولكم»... اليس المفتي نجا، هو صاحب القول المتداول بين الصبايا «انا لا اقول لكن ان تفتجين وتلزمين الحرم بين جدران اربعة ولكن اوصيكن ان لا تسفرن عن اكثر من المحيا واليدين فالخشمة فضيلة المرأة الاساسية.

قالي لي زكريا فيما بعد ان الزعيم يتجاوزه عدم دعوته للعميد مأمون اياس لقنه درسا بليغا في التمييز بين العلاقة الشخصية والعلاقة الحزبية فلا تؤثر الواحدة على الاخرى، مع العلم ان سبب الخلاف الطارىء كان سببا واهيا، لامعنى جوهريا له.

الاعتقال التظاهرة

كان منفذ المنفذية محمد راشد اللادقي لولب الحركة لا يهدأ. وكان موجودا في كل مكان يعاونه رفقاء متحمسون مندفعون وخصوصا بعد هذا الخروج المنتصر من السجن. ولشد الاواصر عقدت المنفذية اجتماعا عاما في الاشرافية في منزل الدكتور يواكيم الرحب الذي كان ولده الرفيق موريس من الاعضاء الشيطيين وذلك في الرابع عشر من شهر ايلول.

كنا نترقب صدور الموافقة على منح امتياز اصدار جريدتنا التي تقرر تسميتها

« النهضة ». بينما ونحن نترقب اعلان هذه البشرى السارة اذ بنا نفاعاً بخبر يحمل اليها التقيض تماما. هذا الخبر هو اعتقال المئة عضو ونيف الذين كانوا مجتمعين في منزل يواكيم المذكور في الاشرفية، يقضون سهرة قومية اجتماعية، يحتفلون فيها بعلنية العمل الحزبي.

كانت صدمة قوية لنا هزتنا هزة عنيفة عميقة واثارت لدى الزعيم شكوكاً كثيرة حامت كلها حول صدق نيات الحكومة تجاهنا وهل هي جادة في وعودها وخصوصا وعدها الاكيد بمنح امتياز اصدار جريدة. وكيف ستعفو عن المخالفات الحزبية السابقة العالقة لدى المحاكم وهي الآن تضيف اليها حلقة جديدة بهذا الاعتقال الجماعي المفاجيء! اسئلة وتساؤلات كثيرة انتابتنا كلنا.

وقعنا في حيص بيص. مئة عضو يعتقلون هكذا. اهل يعقل ان يكون التدبير محلياً؟ اليس من مخطط مدورس وراه؟ وردت اقتراحات جمة للزعيم. منها ما يدعو الى رد فعل عنيف سريع ومنها ما يدعو الى التريث والترقب ومنها ما يدعو الى التعقل وتحري الاسباب الكامنة.

لن انسى منظر الزعيم وهو يصغي الى خبر الاعتقال. كيف انتفخت اوداجه وتصلبت عروق رقبتة ولمعت عيناه ببريق ينذر بالغضب الشديد والتمرد. خلت انه سيأمر بالثورة على التعسف والطغيان. كان الجو يدل على ان السير سيكون في هذا الاتجاه.

واخيراً، قرر الزعيم ضبط النفس واللجوء الى الهدوء والقيام باتصالات سريعة لجلء غموض الموقف وما ان انتصف النهار التالي حتى جاءته تطمينات اكيدة ان المسألة ليست مفتعلة بل هي نتيجة اخبارية كاذبة وصلت الى مخفر طريق الشام ضخمت موضوع الاجتماع فنعتته بمهاجمة الانتداب والحكومة بخطب حاسية.

اعتقل هذا العدد الكبير دفعة واحدة لكننا الافراج عنه جرى على مراحل دامت ما يقارب الشهر. صدرت الجريدة والافراج عن المعتقلين ما يزال قيد التنفيذ.

علمت ان خير الدين الاحدب - رئيس الوزارة - اعتذر للزعيم عن هذا الحادث ولا غرو في ذلك فخير الدين الاحدب في احتكاكه بالزعيم صار من المعجبين به.

وقد جاء في مذكرات القاضي رضى التامر ما يدل على تدخل المدير العام للامن

العام الفرنسي كولومباني الذي اشتهر بقسوته واني انقله فيما يلي :

« وبينما كنت في عالية في بيتي، علمت ان رجال الامن قد داهموا بيتاً في محلة الاشرفية في بيروت والقوا القبض على نحو مائة شخص كانوا مجتمعين هناك كلهم ينتمون للحزب السوري القومي المطارد. وما ان اتصل بي ذلك حتى نزلت الى مخفر الاشرفية حيث باشرت التحقيق مع من كان قد القي عليه القبض. وفيما انا في غرفة المفوض رئيس مخفر الشرطة، اقوم بذلك اذ بأحد رجال الشرطة يدخل علي مذعوراً ويخبرني بان حضرة مدير الامن العام السيد كولومباني قد حضر وانه يريد مقابلتي. فأجبت الشرطي بالايجاب وما ان دخل علي المدير المذكور حتى استقبلته كالمتعاد واذا به يفاجئني قائلاً: الا تذكر يا حضرة المحقق انا تشاحنا مرة « تلفونياً » فأجبت: « ان ما تعده يا حضرة المدير مشاحنة لا اعده انا كذلك بل اقول انه تفاوت في وجهات النظر حصل بيني وبينك، فانت كانت كل رغبتك ان توقف فيليب ارقش حسب رأيك، اما انا فكان رأيي ان يترك فيليب ارقش وانت لك اجتهادك بذلك وانا لي اجتهادي فيما فعلت، وان مثل هذه الامرو كثيراً ما تقع وكل ما ارجوه هو ان لاتقع مرة ثانية بيني وبينك » وقد كنت احاطبه وانا لا ازال وراء مكنتي، فما كان منه الا ان غير موضوع الحديث وطلب مني ان اعطيه بعض المعلومات بما يتعلق بالتحقيق الذي باشرت به، فاجبته آنذاك باني لا ازال في بدء التحقيق واذا ظهرت معي معلومات تهم الامن العام فاني موافيه بها دون ريب او تأخير بمذكرة رسمية وحسب الاصول وبواسطة النيابة العامة وعندئذ تقدم مني ذلك المدير وشكرني وعرض علي خدماته اذا كنت محتاجاً لبعضها فيما يتعلق بالقضية موضوع التحقيق الواضع يدي عليه فقلت له: باني بحاجة الى قوة من الشرطة تنقل لي الموقعين الى نظارة مخفر البرج لان مخفر الاشرفية ضيق لا يتسع لعدددهم الذي كان يزيد عن المائة، وقد يطول التحقيق مع هؤلاء فلا بد من مكان يتسع لهم. فتقدم من فوره الى الهاتف، بعد ان استأذن مني في استعماله، واتصل بالشرطة المركزية التي ارسلت الي من فورها قوة من الشرطة، وقد كان شأنه معي شأن كل موظف تابع للسلطة العامة وخاضع لقاضي التحقيق اثناء اجراء وظيفته. وقد نقل الموقعون الى سراي البرج واثمت التحقيق معهم وواقفت منهم من اوقمت وتركت من تركت »

وقد جاء في جريدة «النهضة» العدد 2 تاريخ 15 اكتوبر 1937 عن هذا الاجتماع والاعتقال بما يلي :

« يذكر القراء خبر القاء القبض على نفر من السوريين القوميين بحجة عقد اجتماع غير قانوني في محلة الاشرفية ببيروت وقد اخلي سبيلهم جميعاً بعد ان قضى كل منهم المدة التي يتطلبها التحقيق... وكان آخر من خرج من هؤلاء السيد مالك مجاعص بعد قضاء ثمانية وعشرين يوماً في سجن الرمل.

وقد رأينا ان نرسل مندوبنا للتحدث الى السيد مالك عن بعض النقاط التي تداولتها الالسن حول الاجتماع المذكور والاسباب التي دعت الى طرح مئة وسبعة اشخاص في السجن. فجاءنا مندوبنا بالحديث الآتي: - نسب اليكم انكم القيتم خطاباً ضد الحكومة وضد الانتداب والمفوض السامي. فهل هذا صحيح؟

= لا اساس لهذه الاشاعة مطلقاً فهي اقرب ما تكون الى الاشاعات التي لاتصدق عن شباب معروفين برصانتهم واحترامهم للقوانين.

- ماذا كان القصد من اجتماعكم؟

= لم يكن القصد منه غير سهرة عادية تنادينا اليها نحن الشباب للمسامرة ولا انكر ان هذه السهرة قد اصطبغت بصبغة اخوية لان من البديهي ان سهرة من هذا النوع تضم عدداً غفيراً من القوميين، لا تخلو ولا يجب ان تخلو من احاديث تمت الى الاخوة ونبذ التعصب الديني.

- كيف كانت المعاملة التي لاقيتموها في السجن؟

= لقد كانت المعاملة لا بأس بها من وجه عام. غير ان حادثاً له اهميته بنظرنا قد حدث بين احد القوميين واحد الموظفين. فقد تعرض الموظف المذكور للحزب بالسباب وبكلمات سافلة. غير اننا رفعنا عريضة احتجاج الى المسؤولين. وقد فهمنا بعدئذ ان الموظف « المتهجم » نال الجزاء الذي يستحقه.

وعلى كل فاننا كنا نتوقع معاملة احسن من ادارة السجن لاسيما بعد ان اطلع رجال الادارة على حسن نوايا السوريين القوميين ودرجة تهذيبهم، ومحافظتهم على الانظمة والقوانين.

- كيف كان سير التحقيق؟ وكيف كان اتجاهه؟

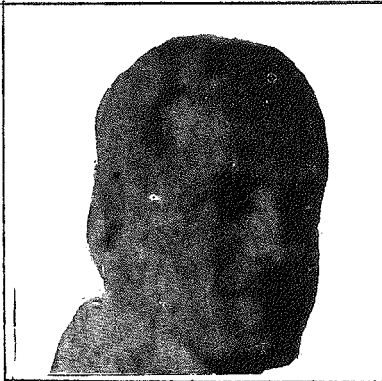
= لقد كان اتجاه التحقيق نحو عقد اجتماع سري والقاء خطب من شأنها الاخلال بالامن العام. وقد اظهرت في معرض كلامي انفا ان لاحقيقة لهذه

التهمة، ولا اساس لهذه الشائعة. اما سير التحقيق فقد كان معدوما جدا اذ انني لم اطلب للاستنطاق خلال الثانية وعشرين يوما التي قضيتها في السجن بحجة «التحقيق».

ان هذا الاعتقال الذي جرى بهذا الشكل الاعتباري اعطى زحما قويا للعمل الحزبي في مدينة بيروت ورفع قيمة الحزب الانتخابية الى المستوى الذي يليق به وجعل المهتمين بالسياسة الانتخابية يركزون لخطب وده. هذا من جهة اما من جهة امنية فان الاهتمام الذي لقيه هذا الاجتماع في هذا الظرف بالذات والذي لم يكن مقصودا، ان الاهتمام الذي لقيه هذا الاجتماع كان اكثر بكثير من الاهتمام الانتخابي فقد جذب هذا الاعتقال مدير الامن العام الفرنسي الجديد موسيو كولومباني من بيته وجاء يحضر بنفسه عملية تنفيذ الاعتقال والسوق الى نظارة البرج ثم الى سجن الرمل. وبما لفت نظر الرأي العام الاحاديث التي تناولت الاندية الاجتماعية البروتية عن انتظام الشباب صفوفًا صفوفًا وهم ذاهبون سيرا على الاقدام من مكان الاجتماع الى مكان الاعتقال بخطى موزونة، رافعي الرؤوس، شامخي الانوف وكأنهم يمشون في عرض عسكري في قلب العاصمة التي لم تشهد من قبل منظرا بهيا كهذا المنظر غير المتوقع علمنا فيما بعد ان المسؤول عن هذا الاعتقال كان مفوض مخفر طريق الشام ايليا بصل اليهودي.

ملاحظة

ذهبت بمعية الزعيم الى البيت المعين فيه مكان انعقاد اجتماع المسؤولين الاداريين لبيروت كان ذلك تلبية لاقتراح الرفيق سعيد البستاني، منفذ عام بيروت الجديد. ثبتت



سعيد البستاني

عليه وابلغته للزعم بصورة خاصة، مبيناً الفائدة المعنوية من حضوره اجتماعاً من هذا النوع فوافق ولتبي .

وصلنا الى مكان الاجتماع في «الناصر» لنجد المكان خالياً الا من صاحب البيت والمنفذ العام. ليس بالامكان تصوّر خيبي لهذه المفاجأة، غير المتوقعة. اعتذر سعيد عن عدم امكان عقد الاجتماع لسوء تفاهم جرى بينه وبين المكلف بالتبليغ فيما يختص بالموعد .

التفت لارى ردة الفعل على الزعيم فوجدته كأن شيئاً لم يحدث وكل ما طلبه تعيين موعد جديد منذ الآن وكتابة التبليغ في هذا الحين بالذات وهو مستعد للحضور. انصرفنا وانصرف سعيد للتنفيذ .

بينما ونحن في الطريق للمرة الثانية الى مكان الاجتماع التفت اليّ الزعيم وقال لي: «هل تنوي حضور الاجتماع؟» استغربت سؤاله واجبت «نعم، بالتأكيد». اشار الى لباسي وقال: «لا يجوز لمسؤول مركزي مثلك ان يحضر اجتماعاً رسمياً كهذا وانت في لباس دون كرافاة. لا يجوز». قلت: «ليس لحر الصيف من مبرر لعدم ارتداء ربطة العنق؟» اجاب: «لا صيف ولا شتاء في الشكليات الرسمية».

استأذنته وانا متأفف ضمناً لهذه الملاحظة. قال لي وانا افارقه «سنتظرك». قال هذه الكلمة كانه قرأ افكاري واراد ان يستحثني على الحضور بسرعة. غيّى عن البيان اني عدت في اسرع ما يمكن والتأم الشمل وكان الاجتماع ناجحاً. اكتسب المسؤولون الاداريون للمديريات توجهات قيّمة وسألوا اسئلة كثيرة كان يجيب عليها بكل بساطة ووضوح.

مانسيت تلك الملاحظة الصادرة عن دقة في النظر الى الامور الحزبية بجدية وورصانة والدليل اني ما نسيت، هو في اثباتها، هنا .

النشاط النسائي .

ولا يجوز ان ننهي كلامنا عن النشاط الحزبي في مدينة بيروت دون ان نسجل النشاط الذي كانت تبديه مديرية القوميات الاجتماعيات بهيئتها الادارية وسائر اعضائها كما ان والدة الرفيق، ويكتور اسعد، السيدة فني جريديني

أسعد، ماتخلت يوما عن نشاطها الذي بدأته يوم دخل نجلها السجن ولاغرو في ذلك فلقد كان لها نشاطات اجتماعية شتى قبل الحركة السورية القومية الاجتماعية منها رئاستها لجمعية تهذيب الفتاة السورية التي مركزها بلدة الشويفات وكذلك نشاطات الرفيقات انجا وبنات عازار شقيقات الرفيق جميل عازار.



مديرية السيدات يتوسطها الزعيم: من اليمين المحيل عبد المسيح، سلوى البستاني، نعم فاخوري، سلوى بدران، جمال ناصيف (المديرة) عفيفة حداد وسميحة شمنك.

اول منفذية للطلبة

كان النمو الذي لاقاه الحزب في الاوساط الطلابية يدعو الى اقامة تنظيم خاص يتولى امور الطلبة ويرعاها ولذلك رفع الزعيم مستوى مديرية الجامعة الاميركانية الى

منفذية وضم اليها الفروع الطالبيه في المقاصد والبطركية واليسوعية دون تمييز بين جامعي وثنائي وهكذا نشأت اول منفذية للطلبة في بداية السنة الدراسية في تشرين الاول 1936-1937 سميت منفذية الطلبة وعين الزعيم الرفيق رائف زنتوت طالب صيدلة، منفذا عاما لها .

ولكن ما ان دخل العام الدراسي التالي 1937 - 1938 حتى تغير الوضع اذ ان عددا من اعضاء مديرية الجامعة الاميركانية تبعر اثناء فصل الصيف في اوروبا واميركانية تاركا فراغا يجب سده ومن هؤلاء الرفقاء رائف زنتوت نفسه، سروري بارودي، محمد القاضي، اسبريدون ديب، ويليم سابا، توفيق ساسين شيبوب، مضمون عابدين بك من دمشق الذي تألفت منهم مديرية برلين المستقلة ومفوضية انقرة المركزية. تعين الرفيق مضمون عابدين بك مدير المديرية برلين المستقلة والرفيق توفيق ساسين شيبوب طالب الهندسة مفوضا لمفوضية انقرة المركزية.

اما الطلبة في باقي المناطق الحزبية فسيأتي ذكر تنظيمهم عند ذكرها حسب التسلسل .

ونشرت جريدة « النهضة » في العدد 3، تاريخ 16 تشرين الاول 1937 الخبر التالي: « بلغنا ان المدرستين: البطركية والمقاصد الخيرية تبثان في صدور تلامذتها روح العداة والكره للحركة السورية القومية. ونحن نأسف ان يحارب رجال العلم والتعليم مثل هذه المبادئ القومية التي تعود بالخير والمجد والسعادة لوطننا العزيز ».

الحياة السياسية في بيروت

ليس هنا المجال للتوسع بالكلام عن الحياة السياسية في مدينة بيروت اذ انها كانت حافلة بكل عجب غريب فبعد تشكيل الكتلة الدستورية التي ورد ذكرها أنفأ وعلى رأسها بشارة الخوري وتشكيل ما سمي فيما بعد بالكتلة الوطنية وعلى رأسها اميل اده بقي الجو السياسي يتراوح بين الاكفهار والانقشاع فما كنت تسمع احاديث السياسة في اي مجتمع من المجتمعات الا من خلال اميل اده او بشارة الخوري ان في بيروت او في اية منطقة من المناطق اللبنانية ولكن الاهم من كل هذا هو ان اختلافهم مها عظم شأنه فما كان ليتناول الا الخصوصيات وقلما تعرض لسياسة الانتداب الجوهريه من حيث احتلاله البلاد وتحكمه التعسفي بها لابل كانا يتزاحان للحصول على رضى الفرنسي عليها ويزيدان من اجل هذا الحصول .

قبل وبعد الانتخابات النيابية وظهر خير الدين الاحدب على الساحة بالشكل المفاجيء الذي ذكرنا، انفتح الباب البيروتي على مصراعيه ليفسح في المجال لاشخاص عديدين اقتحام هذا الميدان. اكتفي ذكر ستة اسماء اولها: سامي الصلح الذي كان قد اشتهر بموقفه القضائي المشرف في الحكم العادل لمصلحة الفريق الذي كان يخاصمه الحاكم الفرنسي بالذات والذي حاول استدراجه اليه فلم يتجاوب، ثانيها: صائب سلام الذي كان يشترك مع اشقائه الكبار في استقبال الشخصيات السياسية التي كانت تتوافد على دارهم لعقد المؤتمرات السياسية الوجدوية، يومئذ كان صائب سلام اشداهم رصانة واكثرهم لباقة واعلاهم صوتا. ثالثها: عبد الله اليافي الذي كان وكيل قضايا الامير جورج لطف الله في بيروت. فاخذ يطل رويدا على عالم



عبدالله اليافي



صائب سلام



سامي الصلح

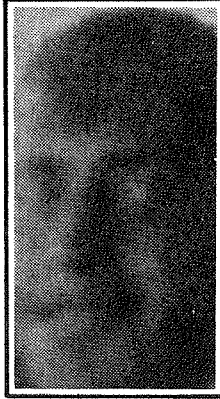
السياسية وقد كانت بداية هذه الطلة عندما كلفه الامير لطف الله بان ينوب عنه بتهنئة الزعماء الذين نالوا من الدباس (رئيس الجمهورية) وانقذوا البلاد من خصمه الالد. واستفاد المحامي اليافي بوكالته هذه استفادة سياسية اخرى كانت مدخلا واسعا له ايضا عندما كلفه الامير لطف الله بملاحقة الصحفيين والسياسيين الذين ماشوا الدباس بعد ان كانوا اخذوا منه مالا بموجب سندات صورية كانوا يوقعونها له بناء على طلبه اثناء ترشيحه للرئاسة ظنا منه ان هذه الاوراق تربط اصحابها بحضرته. وتجعلهم لا يخونونه. واخذ اليافي يلاحقهم ولكن بلطف ولباقة مما اكسبه صداقتهم فضمهم الى رأساله السياسي الذي بدأ يتكون بعد ترشيحه للنيابة عن بيروت ولو كان قد انسحب لمصلحة الاحدب.

رابعها: هنري فرعون الذي كان يلعب دور الرصانة والتعقل فيتبنى القضايا

الصعبة الحل كمسألة الباروك التي سميت بالثورة البيضاء وكان خازن اموالها.
خامسها: حبيب ابو شهلا الذي اتخذ لنفسه قاعدة للعمل السياسي وهي تتلخص
بأن يكون الوسيط او حامة السلام بين اي فريق متخاصمين.

سادسها: محيي الدين النصوي، الصحافي، صاحب جريدة « بيروت » والذي كان
قد جعل شعارها « العروبة فوق الجميع » والذي استغل مركزه الكشفي في بيروت
بصفة القائد الاعلى للكشاف المسلم فرتب بمعاونه ساعده الايمن عبد الله دبوسي
استعراضا كشافيا بمناسبة ذكرى تأسيس الكشفية وكان على رأسه ممتطياً صهوة
جواد ابيض وحوله وامامه ووراءه الكشافون يحملون المشاعل والاعلام بالبستهم
المزينة بالشارات الكشفية. كان الاستعراض يضم الآلاف وبقي حديث الاندية لمدة
طويلة من الزمن، وجاء بمثابة مقدمة للوصول الى المجلس النيابي تحت شعار السفينة
الفينيقية وان بالتعيين.

لست انقل الحديث عن هذا الاستعراض الكشفي عن لسان احدهم فقد شهدته
بام العين في محلة البسطة من امام دكان الرفيق ناجي جمال، مدير المديرية، الذي



ناجي جمال



هنري فرعون

كان قد دعاني اليه لمشاهدته. كان منظرا مدهشا يجلب الالباب، لا ينسى.
كما ان ولدت عصبة جديدة عصبة « الميثاق الوطني » المؤلفة من الدكتور سليم
ادريس، يوسف السودا، نجيب الصايغ، توفيق يوسف عواد، الدكتور الياس
الخورى، الدكتور رثيف ابو اللمع، صلاح بيهم، الدكتور عبد الحميد قرانوح
ونصري معلوف.

فلسطين في بيروت

من يوم لجوء الحاج امين الحسيني الى بيروت بدأ العنصر الفلسطيني يتدخل في السياسة البيروتية ولا بد من التنويه في هذا المجال بثلاثي أنشأ ما اطلق عليه اسم «الشباب الوطني». هذا الثلاثي كان مؤلفا من ثلاثة قوميين اجتماعيين هم محمد زستم طيارة، الذي ورد ذكر الاحتفال بعمره، امين سلام وعبد الرحمن العدو الذي ورد ذكر انتائها الى الحزب من مدة غير بعيدة من الزمن. لست هنا في معرض ذكر اسباب تفلتهم من الحزب ولكن اود ان اشدد انهم ما كانوا مستوعبين العقيدة السورية القومية الاجتماعية استيعابا كافيا حتى ان احدهم عبد الرحمن العدو اصطدم بنقاش عنيف في منزل الرفيق بشير فاخوري في احد الاجتماعات الوارد ذكرها سابقا، اصطدم مع العميد زكي نقاش اصطداما ادى به الى مغادرة المنزل غاصبا وبالتالي مغادرة الحزب...

كان اهم عمل قام به هذا «الشباب الوطني» تبني محاربة اليهود الممثلة بشخصية الحاج امين الحسيني وهذا ما اريد ان اذكره امانة للتاريخ وانصافا للعمل مجد ذاته وان كان خارجا عن نطاق الحزب وفيما يلي نصوص اقتطفتها من فصل «الشباب الوطني وامين الحسيني» من كتاب عبد الرحمن العدو «ايام من الحياة». تدل النصوص هذه على الاسلوب الكيفي الذي كان هؤلاء الشباب يعتمدونه.



عبدالرحمن العدو

« وبالرغم من ان اعمالنا كانت تنحصر في بضعة افراد ليس الا، فقد ساد في العالم العربي كله الاعتقاد بان هيئة الشباب الوطني هي مؤسسة كبيرة عظمى... مركزها بيروت ولها فروعها الكثيرة، وينتمي اليها عشرات الآلاف من الاعضاء... والواقع هو كما تقدم بان مجموعنا لا يزيد على عدد اصابع اليد فقط...»

« كما تجدر الإشارة هنا الى اننا منذ تأسيس الشباب الوطني حتى هذا اليوم لم ننتم الى اي شخص كان، في علاقتنا السياسية العامة وفي اي شكل من الاشكال. وحتى في حال انتهاء اي منا لحزب من الاحزاب، فان علاقتنا الحزبية قد ظلت محصورة فقط في حدود المباديء لهذا الحزب ليس الا.

« وفي عام 1937 التجأ مفتي فلسطين الى لبنان هاربا من الانقليز في فلسطين وذلك في زورق بحري صغير فاعتقلته السلطة الفرنسية في بيروت ووضعته في فندق « نيو رويال » وذلك تحت الحراسة الشديدة تمهيدا لاعادته الى فلسطين وتسليمه لـحلفائهم الانقليز. الى ان اضطرت السلطة الفرنسية لنقله الى منزل الدكتور سامح فاخوري (كما مر بنا) رئيس المجلس الاسلامي تلك الايام بعد ان رأت تملل الرأي العام وبوادى حركته، انتصارا للحاج امين الحسيني...

« نقل لنا هذه المعلومات بعض موظفي الامن العام اللبنانيين... اجتمعنا على الاثر وتدارسنا الوضع من جميع وجوهه... فاعتزنا امرا.

كنت وبعض اخواني من الشباب الوطني مدعويين الى حفل انتخابي اقيم في حديقة منزل صديقنا الدكتور محيي الدين برغوت القريب من حي الصنائع، وذلك احتفاء برياض الصلح.

وما كاد شمل الجماهير ينعقد... وينتهي الخطاب من القاء كلماتهم في تأييد رياض الصلح وصحبه انتخابيا حتى دوى في الافق صوت امين سلام مع جبهة من رفاقه الاشداء الاقوياء هاتفين بـجياة فلسطين العربية وزعيمها الحاج امين الحسيني. ثم مالبت ان تبعه الزميل والرفيق الدائم محمد رستم طيارة بحطاب حاسي وقد حذر فيه الجماهير الغفيرة بان الفرنسيين قد بيتوا امرهم بشأن الحاج امين الحسيني... وما كاد طيارة ينهي خطابه حتى اندفعت الجماهير وكأنها البحر الزاخر وهاجت وماجت ثم انطلقت بحماس شديد ليس له نظير، وهي تردد الشعارات العنيفة بسقوط الانقليز والفرنسيين والصهيونية المجرمة. وسارت على هذا الحال بشكل مظاهرة كبرى مهددة ومتوعدة الفرنسيين ومنذرتهم بعدم تسليم الحاج امين... وقد قدر عدد هؤلاء المتظاهرين مع من انضم اليهم في الطريق، ابتداء من منزل الدكتور برغوت حتى وصولهم قبالة دار الدكتور فاخوري بعشرة الاف متظاهر حينما خرج الدكتور فاخوري اليهم بعد وصولهم بوقت قصير واطل عليهم من شرفة داره بعد ان كان قد اجري خلال هذه المدة على ما ظهر - اتصالاته السريمة فطمأن الجماهير على مصير الحاج امين... وعند ذلك فقط تفرقت الجماهير... وهي لا تزال تهدد وتندرد وتتوعد».

في جبل لبنان

والآن ننتقل الى محافظة جبل لبنان بدءاً من منطقة المتن التي كانت تضم عددا كبيرا من المديریات على اختلاف تقسيماتها، الشمالي، الاعلى، الادني، الساحل، الخ. اصبحت هذه التقسيمات الادارية منفذية واحدة قبل اجتماع بكفيا التاريخي بوقت قصير.

استدعى الزعيم الرفيق نسيب حدان وعينه منفذا عاما للمتن كله الذي غدا منفذية المتن. لم تطل مدة ممارسة المنفذ العام الجديد فقد حدثت معركة بكفيا وابتدأت الملاحظات. كان يعاونه الرفيق طيبب الاسنان فريد شكر.

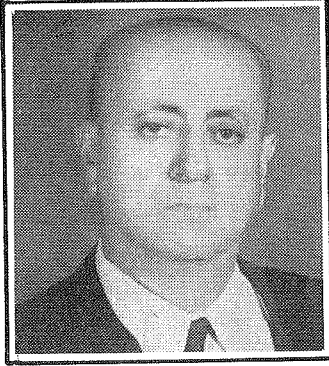
كان الحزب ينمو بسرعة في هذه الفترة من الزمن وبخاصة في المتن الاعلى ففي رأس المتن الرفيق هاني الهاني الذي كان في عداد حرس الزعيم وشقيقه جود هاني الذي اشتهر في واقعة بكفيا اذ انه لم يكتف برفض الانصياع لامر الانصراف الذي صدر عن قوى الدرك بل قاوم الامر بالدفاع عن النفس فحطم بندقية الامر العسكري وكذلك من الاعضاء الذين انتموا، عارف نبا، محمد عبد الصمد، حلیم نويهض، عارف نويهض، حلیم مكارم وحليم غزال. كذلك في بزبدین فقد بدأ الرفيق جميل ابو علي السير على طريق الحياة. بجانب الرفيق كميل خوري وفي قرنايل برز الرفيق حسين هلال وسواه من آل هلال لا اذكر اسماءهم.

لم يبق الرفيق نسيب حدان في الكيان اللبناني ملاحقا بل ارسله الزعيم الى دمشق مسؤولا اداريا مركزيا عن دمشق، حصص وحماه. وقد جاء تعيينه في الوقت الذي كانت فيه دمشق تستعد لاستقبال المبعدين السياسيين وعلى رأسهم الدكتور عبد الرحمن شهندر وسلطان الاطرش - قائد الثورة السورية في جبل حوران. وسنأتي على ذكر

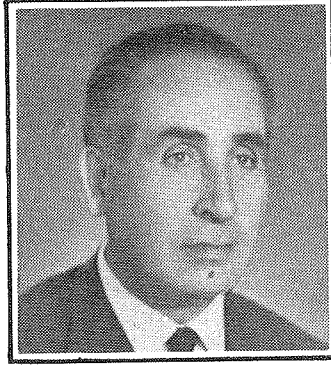
ما حدث في دمشق عند وصولنا اليها في التسلسل الذي نتبعه.

بعد بكفيا عادت منفذية المتن القصيرة الاجل الى التقسيمات الادارية السابقة فللمتن الاعلى عين الرفيق طيبب الاسنان فريد شكر منفذا عاما وللمتن الشمالي عين الرفيق رشيد مطر منفذا عاما، وللمتن الاذي او الساحل المتني عين الرفيق نهاد حنا، منفذا عاما. وفي هذا الوقت بالذات انتمى الى الحزب عدد من آل ابو جودة.

في المتن الشمالي نحي الرفيق رشيد مطر عن مسؤوليته لتصرف شخصي وذلك وقاية من انعكاساته على الحزب فعين بدلا عنه الرفيق فريد صباغ وقد برز في هذه الفترة عضوان، كل ضمن مجاله، فؤاد قاصوف من الخنشارة في مؤسسة الريجي التي كان مركزها بكفيا بالذات وان سرّاً و ابراهيم معلوف من زبوغا.



ابراهيم معلوف



فريد صباغ

بلدية زهور الشوير

من جملة الاضطهادات التي كالت السلطة ضرباتها على القوميين الاجتماعيين في هذه المرحلة التي وقعت فيها معركة بكفيا كانت عملية عزل العضوين في البلدية القوميين الاجتماعيين، فريد صباغ وشفيق جرداق. كانا اول عضوين من الحزب ينجحان للمرة الاولى في انتخابات بلدية وكان ذلك سنة 1936 وفي زمن كان الحزب فيه ملاحقا والزعم في السجن. لكن ذلك لم يمنع القوميين الاجتماعيين من تشكيل لائحة انتخابية حزبية من سبعة مرشحين وبالرغم من انسحاب رفيقين هما المحامي الناشيء يومئذ الرفيق اديب عون مجاعص والرفيق انيس ابو نعمه صوايا من الاعضاء الخمسة عشر الاول. بالرغم من انسحابها فقد اصر الباقون على السير بالمعركة وشرح اثنان بدلا عن

المنسحبين فنجحت اللائحة بأكملها، مع ان المسؤولين الحزبيين المركزيين كان يخامرهم شك بإمكان هذا النجاح مما دعا الرفيق فريد صباغ الى مراجعة الزعيم في السجن ويجدر بالذكر هنا انه كان يصطحب معه زوجة الرفيق رشيد مطر الالمانية لتتنقل الى الزعيم بلغتها ما يريد اخفائه عن سمع الحارس المناوب المشرف على الزيارات السجنية. كان من نتيجة هذا الاتصال ان وافق الزعيم على خوض المعركة بالرغم من معارضة المركزيين.

على اثر عملية العزل اقام الرفيقان فريد صباغ وشفيق جرداق دعوى لدى مجلس شورى الدولة على وزارة الداخلية باعتبار العزل غير قانوني. رجا الدعوى لان العضو المنتخب لا يمكن عزله. رجا الدعوى ولكن مع مرور الزمن كان قد تبدل العهد فلم يستفيدا من حكم مجلس الشورى سوى تسجيل الموقف الحقوقي الصحيح.

الوثائق الحزبية

عند تشكيل القيادة المركزية على اثر حوادث بكفيا تسلم مفوض المالية الرفيق جبران جريج الوثائق الحزبية التي كانت مودعة في مديرية الشوير لدى ناظر التدريب الرفيق انطون نهر التي كانت محفوظة في شنتطين كبيرتين. انى لن انسى ذلك التسلم الذي جرى بعد عناد من الناظر المذكور والذي حله تدخل الرفيق وديع الياس كما انه لا يمكنني ان انسى ذلك المطر العرّيز الذي انهال علينا في تلك الليلة الليلية.

مديرية جونوية

كانت قد نشأت في جونوية مديرية، وكانت تابعة لمنفذية الساحل المتني ثم اصبحت مديرية مستقلة وعين الزعيم لها الرفيق جورج شقير مديرا.

عرفت العناصر المناوئة للحزب ان الرفيق جورج شقير، مدير مديرية جونوية، دعا الزعيم الى زيارة المدينة فارتعدت فرائصها واهتز كيائها - هل يعقل ان يحضر انطون سعاده، زعيم الحزب السوري، الى مدينة جونويه وزيادة على ذلك يعقد فيها اجتماعا لفرع حزبه؟

وتنادت هذه العناصر وتدارست الموقف فقررت الوقوف بوجه هذه المحاولة وراحت توزع الانذار تلو الانذار، مهددة بالويل والشور وعظائم الامور ان تجرأ الحزب على القيام بما عزم عليه.

اثار هذا الموقف موقفا مضادا في الجانب الاخر، جانب القوميين الاجتماعيين وهم الى جانبهم، على رأسهم والد الرفيق المدير شقير وهو ضابط متقاعد.

غدت جونية في ذلك اليوم ساحة قتال، وقف كل فريق على سلاحه ولكن حكمة القوميين تغلبت على روحية الحقد المتعصب وعلى عقلية التآمر فانعقد الاجتماع في مكان، لم يُعرف من الفريق الاخر.

انعقد الاجتماع في منزل على الشاطئ وبعد الانتهاء منه تجول الزعيم في جونية وهو يجتاز شوارعها في طريقه الى منزل الرفيق شقير. مر بهم، بوسطهم فاعجب بعضهم به والبعض الاخر بجرأته فألقوا سلاحهم والبعض منهم تبعه الى المنزل المقصود.

كان ذلك اليوم من الايام المشهودة في جونية وكان تجمهر الناس لمشاهدة هذا الزعيم الجريء البطل اكبر دعاية له وللحزب. كانت المديرية تعد ما لا يقل عن الاربعين عضوا، من جونية نفسها ومن صربا، حارة صخر وغوسطا.

مزايا الجندية

بمناسبة اجتماع مديرية جونية روى الزعيم عن اجتماع في جل الديب، في منزل عائلة حجل القومية وذلك قبل فترة من معركة بكفيا بقليل، انه كان يلقي كلمة تفصيلية في العقيدة والنظام واذ بدورية درك تدخل المنزل لتستطلع ماذا يجزي فيه: كان الجو السياسي جو هدنة اكثر من جو معركة ولكن هذا ما كان يعني ان التوتر غير ممكن في اي حين وبالتالي بدء معركة يغرف اولها ولكن لا يُعرف آخرها.

دخلت الدورية وتمركزت تريد ان تصغي. ارتبك بعض الاعضاء انما الزعيم بقي مستمرا في شرحه الذي حوِّله في تلك الآونة بالذات الى موضوع الجندية ومزاياها والجنود وفضائلهم.

كَمَل حديثه يشرح الجندية ومزاياها من محافظة على الامن، والزود عن حدود البلاد ضد العدو الغاصب وان الجندية ميدان التضحية الكبرى وان الجنود من درك وشرطة وجيش، هم مواطنون لنا، هم ابناء الشعب، هم ابناؤنا الذين يقومون بكل الخدمات العامة وهم يتحلون بالانضباط والمحبة والاخلاص والولاء.

كان لهذه الاشادة بمزايا الجندية وفضائل الجنود اثرها الممتاز في الدورية فما ان انتهى من هذا المقطع حتى دوى المكان بالتصفيق. كان في طليعة المصفيقين افراد تلك الدورية التي سحرها هذا الكلام الذي ما تعودت سماعه قبلا.

انسحبت الدورية ممتنة وختم الزعيم الاجتماع بعد ان ظن الحاضرون ان الواقعة وقعت واصبحت المعركة قاب قوسين او ادنى.

الساحل الجنوبي

والمقصود بـمنفذية الساحل الجنوبي قرى قضاء عالية الواقعة على الساحل بدءا من كفرشيا، الحدث وصعودا الى بشامون وعين عنون، الخ... انشئت هذه المنفذية وعين لها الرفيق حسن ريدان منفذا عاما.

وقد ظهر وجود القوميين الاجتماعيين في هذه المنطقة عند عودة الامير شكيب ارسلان، ابن الشويقات، الى وطنه من المنفى وذلك عندما سمح لهم بالاشتراك مع جماهير المستقبلين الذين توافدوا الى مدينة بيروت لهذه الغاية. ولكن اشتراك القوميين الاجتماعيين تميز عن اشتراك سواهم باعلام الزوبعة الحمراء التي كانت ترفرف فوق رؤوسهم جميعا دون تمييز.

كانت هذه هي المرة الاولى التي تظهر الزوبعة الحمراء في مدينة بيروت علنا وبهذا الشكل البارز المميز الملفت.

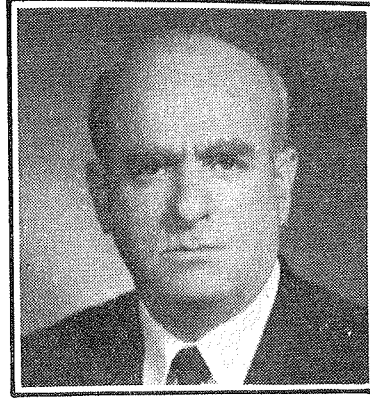
منفذية الغرب، قضاء عاليه، مديرية الطيبة

استمر النمو في هذه المنفذية ففي عين كسور انتمى عدد من المواطنين للحزب، منهم عارف احمد ابو مصلح، العامل في محكمة عاليه، عارف يقظان ابو مصلح ومسعود ابو مصلح. في بتاتر سعيد عبد الملك اما اهم بؤرة للتفاعل القومي الاجتماعي فكانت «الجامعة الوطنية» في عاليه فتألفت مديرية للطلبة وعين لها الرفيق فؤاد فخر الدين من قبيل مديرا. كانت مديرية نشيطة ومن اعضائها الشقيقان عادل وجميل حبيقة من ضهور الشوير وقد برز عضوان اخران هما امين سري الدين ومصطفى عبد الساتر الذي يقول في جريدة البناء، العدد الخاص في الاول من اذار سنة 1951 حول انتائه ما يلي: «في اذار 1937 تعرفت لأول مرة، الى سعادته، فكانت تلك المعرفة بداية الطريق التي ادت الى دخولي الحزب السوري القومي الاجتماعي».

في سنة 1937 كنت فتى، طري العود تهزه اخبار البطولات وفي نفسي توق عارم لمحاربة الاستعمار الذي كان يجثم فوق صدر بلادنا، ونقمة صاخبة ضد المستعمرين الاجانب الذين استعمروا بلادنا ومزقوها وضد صنائعهم من ابناء بلادنا الذين



امين سري الدين



فؤاد فخر الدين



مصطفى عبد الساتر

انتصبوا خداما لهم يستجدون منهم العون، للتحكم بابناء شعبهم، ويؤدون لهم الخدمات
بتمكينهم من هذا التسلط.

في تلك الحقبة من تاريخنا كانت البطولات قد تقزمت حتى غدت تزاوحا على تقبيل
اعتاب المستعمر وتسابقا على كسب رضاه، وصوت الوطنية اضيع من الكرام في مأدبة
اللثام، فكانت رؤية بلادي في ليل داج تحز في نفسي الطريئة وانا قد نشأت في بيت
يكره الاستعمار ويعشق الوطنية وقد تعلمت من صغري، من اهلي واتراي، اناشيد
البطولة والقومية، حتى غدا الحنين في نفسي الى استقلال وطني وعزامتي اشد من حنيني
الى والدي وانا بعيد عنها في المدرسة، في عاليه.

لقد كانت اخبار اكتشاف امر حزبي سري، هو الحزب السوري القومي
الاجتماعي. قد دوت دوي القبلة الهائلة وسط الركود المخيم في اجواء البلاد، وكانت

قد هزت نفسي اخبار اكتشاف جماعة، في ذلك الحين، تجرؤ على محاربة الاستعمار، هزة عفيفة لم تلبث ان ركدت وانقلبت الى عداء. ذلك لان زيانية المستعمرين عرفوا كيف يطلقون بقوة اخبار السوء عن هذه الحركة الجبارة ليفصلوا بينها وبين الشعب، فدفعوا، بزخم، دعايات السوء بكل ما ملكوا من قوى مادية، فاذا بهم يوهمون الناس ان هذه الحركة ليست حركة استقلالية بل هي مجرد حركة عاملة في خدمة الالمان والتليان، معادية للعروبة والدين، ولاخبار السوء زخم في الانتشار والسريان اقوى بكثير من زخم اخبار الخير فاذا بي احمل للحركة، التي لم اعرفها الا سطحيا من اخبار الصحف، عداء شديدا.

حتى كان ان عرفت سعادته والمبادئ التي يدعو اليها في اذار 1937 وبعد خطاب في المدرسة هاجمت فيه الحزب اخذني اعضاؤه، على اثر ذلك، باللين بدل القوة، واطلعوني على مبادئ الحزب وتعاليمه، فاذا بي اخجل من نفسي لتسرعي اذ وجدت في هذه التعاليم ضالتي المنشودة وكل ما تتوق اليه نفسي... وكان ذلك بداية الطريق لدخولي الحزب، وقد دخلته وانا لانا انظر اليه الا كحزب سياسي يعمل في السياسة فقط لطرد المستعمرين وتحرير الوطن وتحقيق وحدته. وبقيت على هذا المفهوم الضيق للحزب حتى كان اذار 1947، موعد التقائي مجددا بسعادة بخطابه الشهير في « الغبيرة » فور هبوطه ارض الوطن. »

اما على الصعيد العام فقد حملت مجلة « الضحى » التي كان يصدرها عارف النكدي باسم الطائفة الدرزية. حملت في صفحاتها على الحزب.

وعلى الصعيد السياسي انتقلت عاصمة الدولة اللبنانية الى عالية وذلك بسبب اصطيفاي رئيس الحكومة خير الدين الاحدب فيها.

ولابراز اهمية « عاليه » في هذا الفصل من السنة. فصل الصيف. انقل ما جاء في كتاب « الايام اللبنانية » لمؤلفة الصحافي اسكندر الرياشي:

« كان الاصطيفاي في تلك السنة (1937) ازهى موسم عرفه لبنان. كان خير الدين الاحدب حينئذ رجل الساعة اذ انه وصل في ذلك الصيف الى افضل ايام عزه بوصفه رئيس الحكومة اللبنانية وكان اثبت حالا وجوده بعد استلام الحكم وذهب يصطاف في عاليه - حيث جعل مقره العام وحيث نقل معه السياسة بكاملها والسياسيين باجمعهم



اسكندر رياشي

من بيروت - للمصيف الجميل - يمشي وجهرة من اهل القول والدهاء والظرف
يؤلفون مجلسه الدائم ويحضرون خلواته المدهشة الظريفة».

وبكلام اخر غدت «عاليه» العاصمة بكل ما تحتويه من مناورات سياسية
ومرشحين للنباية ومستوزرين، الخ... ليس فقط من لبنانيين بل من شاميين ومصريين
وغيرهم.

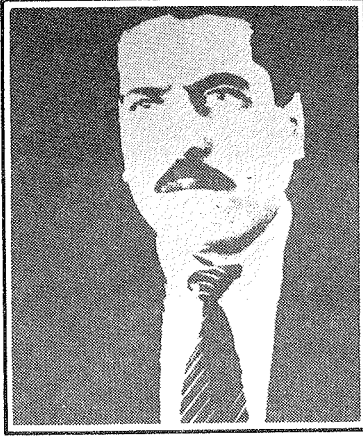
وكان الحزب موجودا ايضا وذلك بواسطة مكتبه «م.ا.م.» اي المكتب الاعلى
المختص وبالمناسبة اذكر هذه الواقعة مثلا على الخدمات الجلى التي قدمها للزعيم. كان
حلاق رئيس الحكومة، خير الدين الاحدب، سوريا قوميا اجتماعيا، دون علم دولته،
طبعا. وكان م.ا.م. يكلف هذا العضو بمهمة سؤال دولته بعض الاسئلة من خلال
احاديث او من خلال اخبار بعض الصحف فيجيب دولته كما يشاء، مرات بتحفظ
ومرات اخرى بالصراحة.

كان الزعيم يوظف هذه المعلومات في جلساته مع دولته عند بحث بعض الشؤون
فيجد دولته الزعيم مطلعاً حتى على بعض الخفايا التي كان يعتقد انها في حوز حريز وقد
صرح دولته بذلك اكثر من مرة مبدياً تعجبه عن كيفية حصول الزعيم على هذه
المعلومات غير دار انه هو بالذات كان اهم مصدر لها.

الشوف

ومن منفذية الغرب الى منفذية الشوف حيث كان الانتشار كما اسلفنا ممتدا الى

اكل قرية من قرى الشوف وحيث كانت تتم الجولات عليها مثل الكورة سيرا على الاقدام . في منفذية الشوف تمت الاجراءات الادارية فقد تغير المنفذ العام كامل أبو كامل الذي انتقل الى عالية واصبح منفذا عاما للمنفيذية هناك محل الدكتور محمد امين تلحوق وحل محله جورج عبد المسيح وظل يعاونه حسن الطويل وتوفيق ابو شقرا وكان جورج عبد المسيح وكيلا لعميد الاذاعة في الوقت نفسه .



جورج عبد المسيح

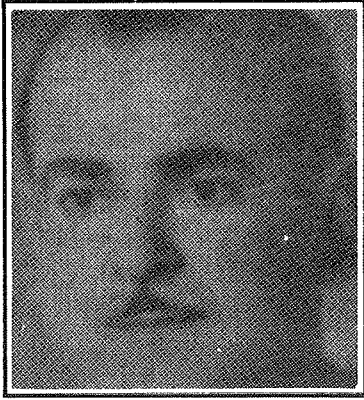


حسن الطويل

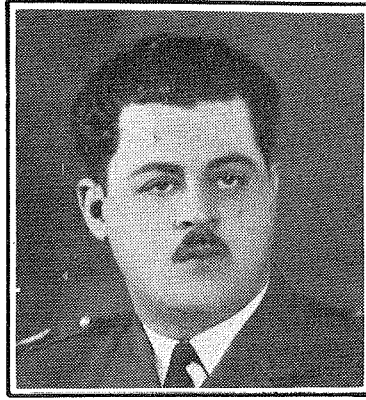
الجدير بالذكر ان التقارير كانت ترافق اي مسؤول في اي فرع من الفروع مرافقة الظل وكلها ترمي الى غاية واحدة وتحتوي على معلومات متشابهة مقصودة، كلها تدين المسؤول كأننا ما نزال في العهد العثماني بمعنى « انه سب السلطان ».

وعلى هذا الاساس كانت العين عين السلطة تراقب وتلاحق ولكن دون جدوى فالعصفور دوري ولا يعلق على الدبق. لذلك باءت جهود ضابط الدرك « نصر » بالفشل ويقال انه نقل تاديبييا الى بلاد جبيل.

من الذين نشطوا في الشوف وفي بيروت في وقت واحد الرفيق فريد حسن من عينبال وكذلك الرفيق عمر عبد الباقي مرافق المسؤولين في جولاتهم الحزبية السرية وانا منهم وعباس الشمعة من عين قني الذي كان يعمل نجارا في المحيدثة - راشيا الوادي وكان من الذين اطلعوا على الدستور - المخطوطة، والحسنية من عين وزين



عمر عبد الباقي



فريد حسن

في بلاد جبيل

في هذه السنة الحزبية تأسست اول منفذية في بلاد جبيل وكان المنفذ العام الرفيق جبيل شكر الله عبد الله يعاونه الرفيق بطرس سابا من اهمج. كان الحزب قد انتشر في قرى «القرنة» واخصها المنصف وعلى الساحل الحلوة والبربرة اما في مدينة جبيل نفسها فقد كان الادخال فيها بطيئا وقد جاء الانتساب عن طريق شركة شكا للاسمنت. وكان قد برز في تلك الاثناء الرفيق شارل ابو صعب كما كان للحزب نواة في غلبون، بجة، حبالين، عمشيت، علمات ولاسا.

والان ننتقل الى واقعة الاجتماع الحزبي في البربرة الذي انعقد بحضور مسؤولين مركزيين هما جورج عبد المسيح وجبران جريج، للتدليل على اساليب القمع التي كانت



جبيل شكرالله



جبران جريج

الدولة تتبعها في محاربة الحزب، هذا بالرغم من فترة الهدنة التي كانت قائمة بين الحزب والدولة. يقول جورج عبد المسيح في «يومياته» تحت عنوان «1937» الجزء الاول: «خرجت من السجن «بريثا» بسبب حادثة تصلح للتسجيل. «القي القبض علي بسبب ما ادعاه قائد منطقة جبيل «خطابا ناريا» ضد فرنسا وحكومة لبنان. (ترك جبران جريح وشأنه) لم يعد لفرنسا ومحكمتها حق في النظر في قضايا شتم فرنسا من قبل مدني لبناني، انه من حق المحاكم الوطنية... الاستاذ «مراد» هو المحقق... وجميع الشهود من رفقاء ومواطنين يؤكدون ان الخطاب والحديث لم يذكر فيها لفظنا فرنسا او حكومة الا في مجال واحد حين اكدت لهم بالبرهان ان الاصلاح لا يأتي من الحكومات... الاصلاح يكون في الشعب...

في المنطقة اخصام للحزب، رأى احد المواطنين اثنين منهم يركبان دراجتين ويتجهات من «الحلوة» الى جبيل... لقد رأى بالحدس انها يقصدان الوشاية... واتت «القوة» وساقني الى جبيل ثم الى بيروت بعد تدبير «مخضر الضبط» الذي حشي بما ولده خيال قائد المنطقة... وزاد في حدته انه كان قريب العهد بالانتقال من الشوف، من المختارة حيث انب مرارا لتقاعسه في اللقاء القبض على جورج عبد المسيح، وكيل عميد الاذاعة ومنفذ الشوف، مثلت امام الاستاذ المحقق جورج مراد.

مذكرة التوقيف غير الموقت حاضرة. المهم ان يحقق معي الاستاذ مراد في ثمانية تقارير: سبعة منها من الشوف، والثامن من جبيل... من جبيل تؤكد التقارير انني زرت جدائل وعمشيت والحلوة وعلما، ويظن انني زرت العاقورة ايضا...

اكدت للمحقق اني كنت في زيارة عائلية وحسب... واصلتني رسالة من احد اقاربي المغتربين يؤكد فيها ان سجل العائلة الذي كان عند جده - ضاع - يرجع اصل عائلتنا الى بيت العقل في تلك المنطقة... وان جدنا الذي انتقل الى بيت مري وتفرع الى حص وبيروت والاسكندرية كان يدعى عقل العقل ولد عبد المسيح فأصبح جد العائلة.

- لسنا في حديث جدك... انت متهم بالتحريض على الحكومة... انها تهمة خطيرة: التآمر على سلامة الدولة الخارجية والداخلية...

... بحققك مذكرة احضار منذ شهرين ذهبت الى الدرك، وعادت الى دائرة

التحري، واليوم رجعت الينا معك...

... هذه التقارير من الشوف تؤكد كلها انك تخطب وتشم فرنسا، وشبهت الفرنسيين بالنمل الذي يجب ان نسحقه بارجلنا لانه يأكل غلات بيارنا... سبعة تقارير تدينك وعليها شهود... وفوق هذا كله قلت لقائد مخفر المختاره (نصر) وانت معه في السيارة الى بيروت: «انت وحكومتك مثل هالهاء يشد السيارة ولا يمنع سيرها».

- قائد مخفر المختارة هو نفسه «نصر» الذي انتقل الى جبيل وامسكني ليدلك على انه ليس مثل الهواء

- بدأ الاستاذ مراد قراءة نقاط التقارير المرسله من المخبرين ومنهم مختير القرى:

من مرستي جمعت القوميين وبعض «المهوسين» من اهل القرية وخطبت وشتمت، الخ... في جباغ... شرحه... في مزرعة الشوف... في نيحا... في الخريبة... في معاصر الشوف... في بعقلين... في عينبال، في المناصف، في مجمل قرى الشوف سبعة اجتماعات، خطب نارية وشتائم وتحريض على الدولة المنتدبة، وعلى حكومة لبنان الكبير المستقلة... وفوق هذا تشويق للوحدة السورية.

التهم: العمل لتقويض لبنان، وضم الوطن الى وطن اجنبي (سورية). تجمعات ممنوعة، شتائم بحق دولة الانتداب... وماذا بعد؟ بعد السجن... والموت بعد... الاستاذ مراد اصبح متفهما حركتنا... لقد حقق مع الزعيم في سجنه الثالث، وحقق معنا، وانتهى الامر بان خرجنا «منع محاكمة».

واليوم تأتي التهمة بالجملة... ولكنها، لحسن الحظ، لا تربط الحزب... المتآمر على سلامة الدولة الداخلية والخارجية هذه المرة هو شخص جورج عبد المسيح، لا الحزب... ولا الذين سمعوه يجرّص على سلامة الدولة في خطبة.

في غمرة هذه التقارير بدأ الاستجواب للرسمي... اجل لقد زرت جميع قرى الشوف وتكلمت فيها. تحدثت عن السنغاليين الذين اتوا من اجل تمددنا «موا سفيلزافو»... تحدثت عن شعبنا وامكانيات ارضنا... كان الموضوع الالهام مايشغل الرأي العام في الشوف وهو «شعار» حقوق الطوائف... تكلمنا كثيرا عن هذا الشعار

المصنوع لنا لتحجر حالتنا الممزقة... حسن الطويل كان يؤكد لسامعيه ان حقوق الطائفة لا تحفظ اذا اصبح ابن الفلاني وزيرا او موظفا... انها حقوق حرية الشعب ونموه في جميع مرافق الحياة العزيزة... كلماته تؤثر اكثر مادمت انا من طائفة «محفوظة حقوقها»!

الاستاذ مراد يقرب التقارير ليرى اسماء موقعيها... اعطى كاتبه اسماء القرى... وكان يسلمه التقارير ليأخذ اسماء مقدميها لتبقى سرا عني...

تطلع الى الكاتب وقال له: ضع قبالة كل تقرير تاريخه ايضا: تاريخ القاء الخطاب والاجتماع ضروري مستندا للقرار الظني.

دهش مراد لان التقارير السبعة التي تؤكد اني عقدت الاجتماعات وخطبت في حوالي 12 قرية من قرى الشوف تبعد بعضها عن البعض الاخر مسيرة عدة ساعات على الارجل لعدم وصول طرق السيارات اليها. دهش حين وجد ان جميع هذه الاجتماعات وهذه الخطب حصلت بين 6 و 8 نيسان في ليلتين فقط، وكانت في ليلة واحدة عدة اجتماعات في قرى متباعدة جدا...

انقلبت دهشته الى غضب وصاح بالكاتب اعطني هالتقارير!!

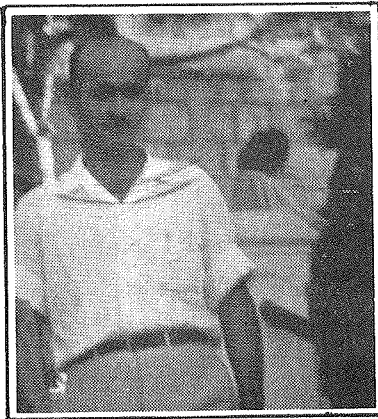
اخذت الحديث فورا مؤكدا للسيد مراد اني املك قبع الاخفى. وخاتم لييك فلا داعي لغضبه... المارد يحملني بلحظة من مرستي الى دير دوريت ومنها الى مزرعة الشوف... فنيحا، في ليلة واحدة لاخطب عدة ساعات في كل قرية. التفت الي الاستاذ مراد، بعد ان مزق ورقة التوقيف غير الموقت وامر الكاتب بان يعطيني ورقة رفع طلب، وقال: «البس قبع الاخفاء حالا واركب مارك واذهب. لعن الله هكذا حالة».

بعد خروجي تأكد لي اني في تاريخ التقارير كنت موقوفا في نظارة بيروت مع جبران جريج، ايضا، لان المدعي العام فرنان ارسانيوس شكانا باننا نترصده لانه صدفنا نازلين وراءه في احد شوارع بيروت، هو من بيته الى محطة التاكسي ونحن خارجون من دكان صانع الحزم الى محطة الترامواي.

اما التقارير فقد رفعت ضدي بناء على طلب احد ازمال الزعامة المحلية لكنه نسي ان ينبههم للتاريخ».

في البقاع

كان الحزب كما مر بنا سابقا قد نما نموا سريعا في بعض مناطق البقاع وفي بعضها الآخر كان نموه بطيئا. ففي الهرمل تشكلت مديرية مستقلة كما مر بنا وبدأت الانتاءات تترى منها انتاء الرفيق عبد الكرم سيروان الذي كان يتعاطى مهنة طب الاسنان، اما في بعلبك فقد كان بطيئا جدا ولم يبدأ الامل في انشاء فرع للحزب فيها الا بعد انتاء الطالب مصطفى عبد الساتر. في رياق كان النمو ظاهرا للعيان بين شغيلة محطة سكة الحديد وفي زحلة فالمنفذية ناشطة. في البقاع الغربي كان الادخال يجري بشكل عادي وكان من المنتمين الجدد الرفيق عبد الله محسن الذي تدرج بسرعة في المسؤوليات الادارية كما ان في القرعون بلد الامين عساف ابو مراد كان للرفيق نجيب الحجار نشاط مذكور فهو احد الخمسة الاول الذين تم ادخالهم في السنة السابقة. ومن البقاع الغربي فالى منطقة راشيا الوادي حيث تم للحزب فرع في المحيثة على يد الرفقاء سالم جمال، دياب سلامة.



نجيب حجار



عبدالله محسن

في دمشق

كما في بيروت كذلك في دمشق. سياسة، كتلة وطنية، مفاوضات، مظاهرات، اضطرابات ثم العفو عن المبعدين. يهمني هنا ان اشير الى واقعتين هامتين بالنسبة للممارسة المحلية في منفذية دمشق. الواقعة الاولى سياسية والثانية حزبية بحت.

اما السياسية فقد كانت في استقبال المبعدين السياسيين من قبل القوميين الاجتماعيين والاتصال بهم. فكان ان قام القوميون الاجتماعيون باستقبال الدكتور شهنندر في درعا بالرغم من معرفة القيادة الحزبية انه سيكون من المعارضين لسياسة الكتلة الوطنية اما الاتصال الحزبي فقد تم على مرحلتين: الاولى بزيارة قام بها وفد حزبي شكل خصيصا لهذه الغاية والثانية بزيارة قام بها الزعيم نفسه سرا على غرار زيارته للحاج امين الحسيني عند لجوئه الى بيروت.

اما الوفد الحزبي المنتدب لتقديم التهادي للمبعدين السوريين العائدين فكان قوامه: الرفقاء صلاح لبكي، مأمون اياس، خالد الكنج الدندشي ونسيب حمدان. زار الوفد الدكتور شهنندر في منزله فاستقبلهم بالترحاب والحفاوة البالغة وقد قال لهم خلال الاحاديث: « ان الحركة السورية القومية الاجتماعية حركة فكرية احدثت انقلابا في البلاد السورية وانني مرتاح اليها كل الارتياح وقد كنت اتبع سير حركتكم هذه وانا في مصر فاعجبني منها مناهضتها الحراب والاهداف الطائفية وعلى الاخص في الساحل.

لقد عرفت مدى علاقتكم بالقضية العربية وصلتكم السياسية الوثيقة بها فاعجبت بالعلاقة والصلة لانني من الذين يبنون السياسة على الاسس العلمية. وانا اتمنى نجاح اهدافكم وارجو ان توفقوا في حركتكم الفكرية السلمية.»



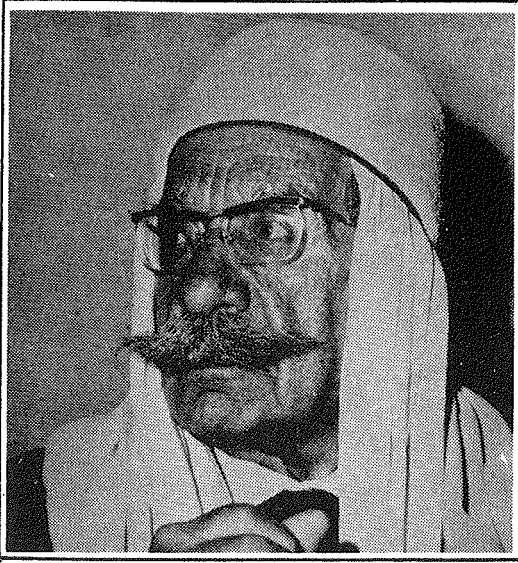
استقبال الشهبندر،
وترى الزوبعة ترفرف بين الجموع.

ثم كان لا بد للزعم من الاتصال به بالرغم من العقبات المصطنعة وبالرغم من ان السلطات الاجنبية والوطنية ترصد تحركاته وكابت تحيطه بجوازها المحافظة على الامن. تمت الزيارة عن طريق هاني جلاد، هذا المواطن الدمشقي الذي اعجب بالحزب فانتمى اليه باذن خاص لتجاوزه السن القانونية التي ينص عليها الدستور.

رتب الجلاد هذه الزيارة التي قال عنها الزعيم في حينه انها كانت ناجحة جدا. اتفقا في هذه الزيارة على دوام الاتصال والتشاور في الامور السياسية الراهنة وبخاصة ان الدكتور شهبندر او «الحكيم» على لغة الزعيم حمل لواء المعارضة للكتلة الوطنية. هذا من جهة اما من الجهة السياسية الاخرى فقد كان بالاتصال الحزبي الذي قام به المندوب نسيب حمدان بسليمان الاطرش في الفندق الذي نزل فيه والذي ادلى فيه قائد الثورة الاطرش بذلك التصريح الذي هز الحاضرين وبخاصة السياسي الحديث الطلعة صبري العسلي قال سلطان الاطرش: «لم يكن لنا من امل يراودنا في منفانا سواكم، انتم، ايها السوريون القوميون الاجتماعيون. كانت احاديثنا عن اعمال الحزب السوري القومي الاجتماعي لاتنقطع، ان الحزب هو امل الامة».

وعندما حاول الرفيق نسيب حمدان تدوين هذا التصريح ليصير نشره تدخل العسلي واقترح ان يكون هذا التصريح اشمل واعم وكان الجواب على هذا الاقتراح ان بقي التصريح شفويا.

والان ننتقل الى الواقعة الثانية الحزبية البحت وهي انه جرى تجمع ضخم، ضم اكثر من الالف عدا، قوميين اجتماعيين وسواهم. كيف لا يكون والدكتور عبد الرحمن شهبندر يحضره وهو حامل لواء المعارضة.



سلطان باشا الاطرش

كان فريد مبارك، منفذ عام دمشق فوق العادة، قد سمح باقامته في دار هاني الجلاد العامرة الرحبة، وهو من الميالين الى الشهبندر قبل انتائه الى الحزب.

كانت المفاجأة الكبرى حضور الزعيم، على غير موعد، او على غير علم مسبق وقد سجل ملاحظته هذه على المنفذ العام الذي برر موقفه بانه تصرف من ضمن صلاحياته المحلية الموسعة

تعالت الهتافات وامتدت الايدي بالتحيات. قدم المنفذ العام فوق العادة مركز الصدارة للزعيم. بدأت الخطب الرنانة وعلى رأسها خطبة للشهبندر تثير حماس الحاضرين.

جاء دور الزعيم فراح يخاطب العقل محل العاطفة ويشرح الاوضاع بموضوعية اخذت بمجامع القلوب وتحول الحماس الى تعقل وتصميم وارادة.

عبارة واحدة عظيمة احتلت مركزها وما تزال حتى الآن ترن في الآذان « قال الحكيم شهبندر اتكلوا على السماء تنزل اليكم بالبركات والخلاص اما انا فاقول لكم - ارفعوا نفوسكم الى السماء حاملة اليها بركات اعمالكم وخلص الوطن مما يرسف فيه من قيود واغلال».

والآن نأتي على ذكر الادارة في منفذية دمشق فقد نمت هذه المنفذية نموا هائلا وقد يكون للسياسة من اثر بالغ في ذلك ولكن هذا لايعني ان السياسة كانت كل

شيء. اهم مديرياتها القصاع، القيمرية، الميدان، سوق ساروجه، الصالحية، المهاجرين وقد برز في الميدان الرفيق زكي الصواف ومن المديرين النشيطين الرفيق طبيب الاسنان زكريا فحيش مدير القيمرية والرفيق جورج عزام مديرية القصاع والرفيق زهير صواف مدير مديرية الميدان ولا يجوز ان نستعرض شؤون منفذية دمشق دون ان نأتي على ذكر منزل الرفيق فؤاد عبدو الذي كان يشاركه فيه ابن عمه الرفيق ادمون عبدو كلاهما من بسكنتا، المتن الشمالي الذي كا يتحول الى مركز للاعمال الحزبية عند وجود الزعيم او وجود اي مسؤول مركزي يقوم بزيارة لدمشق. كما انه من الواجب ايضا تسجيل معاملة والده الرفيق فؤاد عبدو لاي قومي اجتماعي كضيف، مسؤولا كان وغير مسؤول...

في منفذية دمشق

ونقلا عن جريدة « النهضة » في عددها 12 تاريخ 27 اكتوبر 1937 اورد نص العريضة التي تقدم بها بعض الرفقاء من منفذية دمشق باسم الحزب في صدد بعض الاصطدامات التي جرت، الى اصحاب الفخامة رئيس الجمهورية السورية، ورئيس المجلس النيابي ورئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية ورئيس محكمة التمييز ونائب الجمهورية العام والهيئات الوطنية بدمشق.

« كان الحزب السوري القومي قد تقدم الى السلطات الحكومية السورية والى المجلس النيابي السوري بتاريخ 37/5/11 بمذكرة احتجاجية (نصها مفقود) ضمنها كل ما هو ضروري وبهم المجلس النيابي السوري والسلطات المذكورة الاطلاع عليه والفصل بشأنه ».

وكما يبدو من الوقائع والحوادث التي تلت رفع المذكرة المشار اليها ان السلطات الحكومية اهتمت كل الاهمال النظر في مضامين المذكرة واتخاذ التدابير التي من شأنها صيانة الحريات الشخصية.

وكاننا بالحوادث ابت الا ان تسوق الرد على مذكرتنا الاحتجاجية السلمية بشكل فواجع دامية ظهرت في حوادث الاعتداء على السوريين القوميين بمدينة حماه في شهر حزيران الفائت (وقد مر ذكرها).

وان حادث الاعتداء الذي وقع بتاريخ 21 تشرين الاول سنة 1937 على السوري القومي السيد رزق الله قندلفت من محلة القصاع بدمشق، وان في التدابير القاصرة التي

اتخذها مفوض شرطة القصاص وفي المقابلة الودية التي قابل بها المعتدي وفي التنويه بصداقته لآخ المعتدي وفي اطلاق سراحه فوراً بالرغم من ان افادة المعتدي اثبتت انه مدفوع من قبل جماعات شيوعية.

وبالرغم من ان المحقق النزيه يستفيد من ادخال الدافعين في القضية الكشف عن عدد لا يستهان به من القوميين وجلبهم باعتبار متدخلين فرعيين، وبالرغم من ان سلامة التحقيق تقتضي عدم الافراج عن المعتدي ريثما يتم استجواب الذين يسميهم، ان في كل ذلك وبالرغم مما تقدم مما يدل على ان الامن العام سيستمر في خطر محقق وإن الحريات الشخصية معرضة لسلسلة من الاعتداءات قد يكون نتائجها القتل والتشيع.

انه اذا كانت هنالك تعهدات سياسية ضمنية او توصيات صادرة عن مراجع عليا في باريز بصدد الاغضاء عن الشيوعيين في سورية، وترك الحرية الكافية لهم لمزاولة اعمالهم الشيوعية فان تلك التعهدات وتلك التواصي لا تعني بشكل من الاشكال السكوت والتغاضي عن اعمال العنف والاعتداء واستعمال القوى العضلية، كما انها لا تعني على الاطلاق غلّ ايدي السلطة المحلية في قضايا الامن العام وانتهاك حرمة القوانين السائدة والتعرض لاقدس ما يجب ان يتمتع به الافراد والجماعات من الحريات الدستورية ضمن حدود القوانين والانظمة.

ان السكوت عن اعمال الاعتداء وعدم تصدي السلطات لقمعها ولمقاومة التوجه الشيوعي الارهابي يحدو بالقوميين الى اعتبار الحكومة السورية غير مريدة او غير مستطية ان تتحمل، أزاء ارادة المراجع العليا في باريز، مسؤوليات الضرب على ايدي المتآمرين والمشاغبين الذين يشرعون في البلاد مناهج الفوضى ويعطلون ويشلون الاقتدار الحكومي ويطعنون السلطة في صميمها.

ان عدم تحمل مسؤوليات الحكم على شكلها الدستوري او تخوف الحكومة من ممارسة سلطتها يؤدي بلاشك الى ان يعتبر القوميون انفسهم مسؤولين بالدرجة الاولى - اي قبل اية سلطة او قوة تنفيذية عن حماية انفسهم، والدفاع عنها منفردين ومجتمعين اي باعتبارهم افرادا وباعتبارهم جماعة منظمة تستطيع ان تستعمل حق الدفاع المشروع بنفس القوة واستنادا الى نفس الحقوق التي تستعملها وتمارسها السلطات الرسمية - هذا في حالة اعتبار السلطات الرسمية كأنها تحت اي الظروف والتعهدات، لا تستطيع ان تستنكف عن ممارسة مهامها الرئيسية في حفظ الامن العام.

ونحن لانشك في ان مما هو جدير بامعان النظر ان استعمال حق التقاضي بالذات
يجر البلاد الى حال من الفوضى والاحتراب بين ابناء الوطن الواحد ويكون السبب في
ذلك ان فئة من الفئات تنحرف في اعمالها السياسية انحرفا تمييز معه لنفسها ان تباشر
اعمال العنف والارهاب من جملة ما تباشر من مهاجها الحزبي.

ويكون السبب المباشر ان الحكومة القائمة في حال لا تتمكنها من الامتداد بايدي
لقوة الى مواطن الخطر الاجتماعي. ان اية فئة في البلاد مهما صغر شأنها، اذا شعرت ان
لحكومة القائمة على حال من مثل ما ذكرنا تجد نفسها مضطرة الى مباشرة الدفاع
للمجاعي.

اننا نعتقد ان توسيع التحقيق توسيعا يشمل الدافعين على الاعتداء باعتبارهم
متدخلين فرعيين وباعتبارهم من ناحية اخرى يأمر ويثرون على القوانين امر
جوهرى لامناص لكل حكومة شرعية من الامر به ان لم يكن من اجل العدل
الاجتماعي فعلى الاقل من اجل هبة الحكومة واستقرار مشروعيتها التي لا تقوم حكومة
بدونها.

دمشق في 23 تشرين الاول 1937.

الى جريدة النهضة

عين الزعيم الرفيق زكي صواف منفذا عاما مؤقتا لمنفذية دمشق وذلك بسبب
مغادرة الرفيقين نسيب حدان وفريد مبارك « فوق العادة » لدمشق. اما تسمية فوق
العادة فقد وردت في الدعوة التي ارسلتها مديرية الامن العام للرفيق مبارك للحضور
اليها وذلك لان تعيين الرفيق مبارك جاء في مرسوم للزعيم بصفته منفذ عام « فوق
العادة » فتحولت عبارة فوق العادة للاسم فاصبح فريد مبارك فوق العادة.

وقد جرى حوار ظريف بين فريد مبارك فوق العادة ومدير الامن العام تناول
مهمته في دمشق فكان جوابه للمدير: « انا ماروني من كسروان اؤمن بوحدة وطننا
السوري وانا في دمشق فاذا كنت تنوي اعتقالي فاني اترك رد الفعل على هذا الاعتقال
لمواطني في كسروان » طبعا افرج عنه.

غادر الرفيقان دمشق ليلتحقا في جريدة النهضة التي تقرر اصدارها في بيروت.
فريد مبارك ناموس للتحريير ونسيب حدان محرر في المحليات. كان له خبرة سابقة في



فريد مبارك



الدكتور نسيب دردرى

هذا الحقل من خلال عمله في جريدة الشرق. كان الزعيم قد اوكل اليه تصحيح صف مقالاته من اية اغلاط مطبعية بالرغم من وجود مصحح للجريدة الاستاذ دمشقية شقيق الرفيق احمد دمشقية، صاحب الامتياز.

اعانة منكوي الطوفان

ورد من دمشق الى جريدة « النهضة »، العدد 21، تاريخ 6 تشرين الثاني 1937 الرسالة التالية اعيد نشرها هنا: « ان الحزب السوري القومي قياما بالواجب الانساني المقدس الذي تفرضه الضروريات الاجتماعية نحو اولئك المنكوبين من اهل القرى المجاورة لدمشق من جراء السيول الاخيرة قد قرر تأليف لجنة من اعضائه لمساعدة المنكوبين واسعافهم بجميع الوسائل الممكنة وان اللجنة المذكورة ستباشر مهمتها ابتداء من نهار الغد وستعلن عن برنامجها وعن اسماء المتبرعين والجهات التي ستنفق فيها التبرعات المجابة بمناشير خاصة ستذاع في القريب العاجل وهي مستعدة للتكاتف مع باقي اللجان التي انشئت في دمشق والعمل الخيري الجليل، راجية من الجمهور الكريم مد يد المساعدة لها كي تتمكن من اداء مهمتها القومية على الوجه الاتم.

وقد رفع الحزب السوري القومي ببنفذية دمشق الى اصحاب المقامات عريضة هذا نصها: « ان الحزب السوري القومي قياما بواجبه الانساني نحو منكوي حوادث السيول الاخيرة قد قرر المساهمة بهذا المشروع الجليل فانثدب من اعضائه لجنة قوامها السادة: المحامي فوزي المفتي رئيساً، زكي الصواف ناموسا، والدكتور نسيب الدردرى خازنا والدكتور زكريا فحيش والمحامي مصطفى البرقدار وجورج غناجه ورشيد فرعون وعبدالهادي ظبيان اعضاء لها، مهمتها القيام بجباية الاموال الممكن تحصيلها بكافة

الطرق المشروعة وتقديمها لتصرف في سبيل الغاية التي جبيت من اجلها وهي تقبل ما يفرضه القانون عليها من رقابة تدعو لاطمئنان المراجع المسؤولة على وجوه الجباية والصرف وهي تظهر استعدادها للقيام بكل مساعدة تتطلبها اللجنة العليا التي انشئت لهذه الغاية ايضا .

وعلى اثر حوادث السيول هذه، تألفت لجان لبنانية عدة من مواطنين وطلاب مدارس لجمع التبرعات كما ان الزعيم كتب مقالا تحت عنوان: « شعور لبنان نحو الشام » .

دمشق، 3 تشرين الثاني 1937

رئيس اللجنة: فوزي المفتي

انتاءات

وفي هذه الاثناء جرت انتاءات عديدة كان أبرز المتتمين زهير صواف .



زهير صراف

في حصص

من دمشق الى حصص حيث تحولت المديرية المستقلة الى منفذية شملت عدا المدينة عدة قرى حولها اهمها صدد ومجموعة القرى المسماة « بالجفتلك » وقد حدث فيها عدة ميازلات بين القوميين الاجتماعيين ورئيس عشيرة الخياطين جابر العباس الذي كان يناسب الحزب العداء على الطريقة العشائرية اذ ما كان ليطلق خروج افراد من عشيرته على طاعته وزعامته وبصورة خاصة انضمهم الى حزب يجارب العشائرية. وبهذه المناسبة يهمني ان اذكر للامانة التاريخية جهاد وصراع مدير مديرية الجفتلك الرفيق علي ...

قلت اصبحت مدينة حصص منفذية ومنفذا العام استاذ مدرسة، خلوق فهم لكنة عصبي المزاج، هو الرفيق احمد نوس السواح. برز في هذه الاثناء اعضاء جدد صار لهم فيما بعد. شأن حزبي بقدر، على سبيل الذكر صفوح الدروي.

وعلى ذكر منفذية حصص اورد ذكر هذه الواقعة التي حدثت مع وكيل عميد المالية للعبرة والدرس. كانت عمدة المالية تجري يانصيبا مركزيا على جهاز راديو وقبل الوقت المحدد لتسديد ثمن الاوراق بايام ارسل الوكيل تعميما يذكر الفروع الحزبية بقرب حلول موعد التسديد وارجاع ما يكون قد تبقى من هذه الاوراق مشددا على المسؤولية في عدم التقيد بهذه التعليقات منبها الى ان الذي لا يعيد بقية الاوراق في الموعد المحدد يكون مسؤولا عن تسديد قيمتها كأنه باعها.

في يوم من الايام يتلقى رسالة باسمه، لا باسم العمدة، من منفذ عام حصص. ولشدة ما كانت دهشته عظيمة وهو يقرأ نص هذه الرسالة.

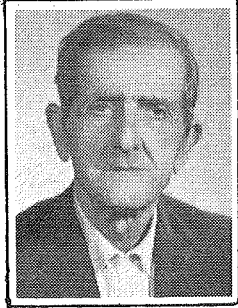
يرد حضرته عليه يتهمه بانه شكك في أمانته وان هذا الشك يمس شرفه في الصميم وان عباراته مصوغة بقالب يخلو من الكياسة والدبلوماسية ولذلك لا يرى وسيلة لمحو هذه الطعنة النجلاء التي اصابت منه مقتلا الا بالدم ولذلك فهو يتحداه ويدعو الى مبارزته في المكان الذي يريد وبالسلاح الذي يختار.

صدمته كثيرا، هذه الرسالة، وعاد فورا الى التعميم يعيد قراءته لاكتشاف مصدر الاهانة والتحقير وسوء النية فما العى شيئا. كتم غيظه واتصل بعميد المالية يطلعه على هذه الرسالة المدهشة. اخذها وقراها وقطب حاجبيه واتصل فورا بالزعيم. كان وكيل عميد المالية الرفيق جبران جريج وعميد المالية مأمون اياس، استدعاه الزعيم وطلب نسخة من التعميم ففعل وبعد اطلاعه عليه طلب من عميد المالية ان يرسل حضرة المنفذ المذكور وان يذكر له ان الزعيم اطلع على تعميمه وانه ما وجد فيه شيئا مما اعتبره ماسا بشخصه الكريم وان يشدد على ان اللغة الادارية الحزبية لاتصاغ بعبارات سياسية او دبلوماسية بل تكون دائئا عبارات عادية تحدد القصد تماما وما تعنيه فلا سبيل للتأويل او الاستنتاج. وفي النهاية ان هذا تعميم موجه لجميع المسؤولين لا اليه خصيصا. ومن جهة اخرى عليه ان يعتذر هو عن اللهجة التي صاغ فيها رسالته الخالية من كل اصول المراسلة وآدابها وخصوصا في الحزب السوري القومي الاجتماعي.

حل البريد الحزبي هذه الرسالة الجوابية وكلنا ننتظر الجواب على احمر من الجمر واذا بالبريد الحزبي يحمل بالمقابل رسالة من حضرة المنفذ العام الرفيق احمد نورس السواح يعتذر فيها عما بدر منه. كانت الرسالة عبارة عن قطعة ادبية حفظتها لدي في حينه لشدة اعجابي بها. اهم ما جاء فيها انه اساء فهم المقصود « انك تعتبر مسؤولا عن تسديد ثمنها اذا بقيت لديك ولم تعدها في الوقت المحدد قبل اجراء السحب » ثم يعتذر عن سوء فهم هذا لحدائته في الحياة الحزبية وعدم تمرسه في المسؤوليات.

قال الزعيم بعد ان قرأ الرسالة « استجابة تعزز فضيلة نظامنا الروحية ».

وللمعلومات اذكر ان صاحب الحظ السعيد كان ناموس منفذية بلاد جبيل الرفيق توفيق فرح الذي تبرع به بدوره لخزانة الحزب بالرغم من العسر الذي كان فيه.



توفيق فرح



صفوح الدروي

في حماه

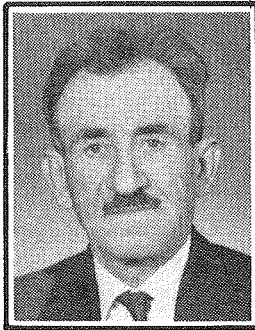
كما مدينة حصص كذلك أصبحت مدينة حماة منفذية منفذها العام اكرم الحوراني واصبح الدكتور وجيه بارودي من معاونين مع باقي المسؤولين الذين كانوا معه. من اهم القرى المجاورة التي انشئت فيها فروع للحزب كانت محردى المدير الدكتور محفوظ ابراهيم.

كان لهذا النمو انعكاس سلبى من سوء الحظ على فرع الكتلة الوطنية كما مر بنا في حديث سابق مع الزعيم. كانت الكتلة تريدنا في غير مناطقها وحماة من ضمنها وخصوصا ان لبعض الرفقاء مراكز اجتماعية محلية تؤثر على نفوذها مثلا على ذلك الرفيق واصل الحوراني شقيق الرفيق اكرم الذي كان يرأس البلدية، ومن ابرز الاعضاء صادق سمعان، ميخائيل انطكلي، ذكي قسطون، على نابلسي، عبد الله فردوس العظم وسعيد شقيقه، وابراهيم شوقي العظم ولا ننسى نخلة كلاس ومحمد الشقفة ومحرز الحلبي ونديم الباوي والدكتور وجيه بارودي.

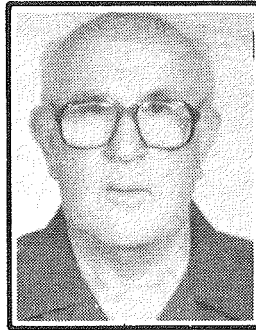
كان رئيس فرع الكتلة الوطنية في حماة الدكتور توفيق شيشكلي اوعز الى بعض



ابراهيم شوقي العظم



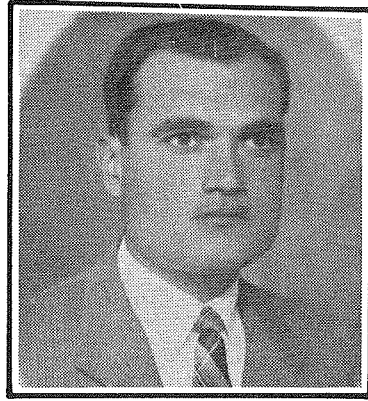
ميخائيل انطكلي



صادق سمعان



الدكتور وجيه البارودي



عبدالله فردوس العظم

الغوغاء بمهاجمة السوريين القوميون بعد ان لمس بيده ان كرسي نفوذه الشخصي بدأ يتضعض من جراء تنبه الشعب لمبادئ الحزب فكان من وراء هذه المهاجمة ان حدث اعظم اضطهاد لحرية الفكر في القرن العشرين مما اضطر اكثر الاعضاء الى البقاء في بيوتهم محبوسين عدة ايام بينما تخفف حدة الهجوم وكان الامين جورج عبد المسيح مكلف بمعالجة الوضع فشاركهم هذا الحبس.

ولا غرو في ذلك ففروع الكتلة الوطنية كانت بالواقع، فروعاً مستقلة. كل فرع يخضع لتأثير رئيسه فيتفرد بالمواقف حسب مقتضيات زعامته المحلية. ان هذا التفكك ادى الى توزيع وضعف الجهود، وبات الشعب يزرع تحت كابوس خنق الحريات.

اما في حماه فزد على ذلك ان الدكتور شيشكلي كان نائباً في البرلمان ولا ينفك عن التدخل في كل شاردة او واردة حتى اصبح يستأثر بالسلطة كلها كأنه رئيس دولة حماه في العهد التركي، عهد الظلمات والاستبداد، سلاحه الغوغاء يجرها لتنفيذ مآربه بالبطش والارهاب.

ما اكتفى بذلك في تصديه لمحاربة السوريين القوميون الاجتماعيين بل فرض على كل منهم ان يعود ويقسم بالقرآن الشريف انه استعاد ايمانه بالرسول ورسالته التوحيدية. كذلك حاول الدكتور الشيشكلي فرض هذا الموقف على القوميون الاجتماعيين من المسيحيين بواسطة مطران الابرشية اغناطيوس حريكة فلم تنجح المحاولة بسبب صلابة موقف المطران.

كان اكرم الخوراني على رأس منفيذة الحزب فدافع دفاع المستميت وغالب هذا التيار الجاهل الجارف بالوسائل التي كان يملكها وهي لا تتعدى الجراة والاقدام محاولا

ان يخاطب الشعب بالكلمة فطبع كراسا يجلل فيه الوضع وزعه توزيعا شاملا ما يمكن .



وهذا هو بيان منفذية حياه

أيها الشعب الكريم!

إن قوة المستعمرين في هذه البلاد بمكافحة كل نهضة قومية دعت رئيس الحزب السوري القومي لأن يحملوا امره سريراً خوفاً عليه من ان تحطمه أيدي هؤلاء المستعمرين إلا أن نشأته السرية جعلته غامضاً في اذهان الشعب فزرع المتطوعون لناهضة كل عمل وطني بهذا الغموض فروجوا حوله الدعايات الكاذبة والحزب ساكت لا يرد عليهم جواباً. إننا نأسف لما هو عليه الشعب من انقياد اعمى للشائعات دون ادني تمحيص أو تدقيق ونأمل الا يساق الشعب بعد الآن بسياط الدعايات كقطعان الغنم، فقد آن لعهد الجهالة والتضليل ان ينقضي وبشرف العهد الذي لا يسمع فيه كلام غير قائم على اساس الحجة والبرهان. اننا لمسنا هذا الوضع المؤسف فعملنا على ألا ننف مکتوفي الأيدي تجاه كل دعاية يروجها اخصامنا ونشرح للشعب مبادئنا وخططنا لثلاثين عاماً بسوى الحقائق الراهنة.

الطائفية: إن مبادئ الحزب السوري القومي هي علاج لامراضنا الاجتماعية وخططنا العليا. ان الوطن السوري منقسم لطوائف دينية عديدة توطنت وتجمعت - لأسباب تاريخية - في أمكنة معينة فشكلت على مر الزمن ما يشبه الهيئات الاجتماعية. وقد استغل الحكم العثماني البائد هذا الوضع لمصلحته فضرب بعضها ببعض وقسمها على بعض من يستقيم له الأمر ويستتب له الحكم، واتى بعده الاحتلال الفرنسي فاقر هذا الوضع المزيف وبديهي ان البلاد كالكائن الحي لا يعيش منه عضو مبتور عن الاعضاء الأخرى وإذا قدرت له الحياة فلأجل وتكون نهايته الموت. فجمعاً لشمل الأمة السورية - القاطنة في حدود سوريا الطبيعية - ومنعاً لتدخل الأجنبي في حفظ حقوق الأقليات الدينية نادى الحزب باللائطافية متأكداً ان جميع المصاعب التي تقف عثرة في سبيل تحقيق وحدتنا الشاملة واستقلالنا المنشود منذ الاحتلال إلى الآن لم تكن ناشئة إلا من تعدد الطوائف. فنداء الحزب باللائطافية عمل يرمي من ورائه إنشاء الأمة السورية المتجانسة التي لم تكن موجودة قبل نهضته القومية، ولا نعني من ذلك انه تمكن بهذه المدة القصيرة من لم شتات الأمة المتشعبة ولكنه وجد ضمن مؤسسته جميع نزعات واهداء الطوائف ووجهها نحو مثال اعلى واحد، فالدرزي والسني والعلوي والماروني

والشيعي المنتمون للحزب يفكرون بتفكير واحد ولهم نزعة واحدة يسمون لمثل اعلی واحد .

فمؤسسة الحزب هي نواة الأمة السورية . ولا يوجد وسيلة لإنشاء هذه الأمة إلا بجعل العلاقات والروابط بين أبناء هذه الطوائف قائمة على الحب والثقة وأن تقضي على الخصومات الطائفية التي لم يستفد منها الدين كثرة في اشباعه بل كانت وبالاً عليه وعلى الأمة وأداة هدامة في أيدي المستعمرین فهل يرى الشعب بأساً إذا نادى الحزب باللائطائفية وهل يعد ذلك مروقا من الدين وخروجاً على أحكامه ! إن بعض الاغبياء والنلقمين تمتوا أولاً بعبارات غامضة حتى إذا صمموا على المهاجمة لجهلهم أو لإرضاء شهواتهم أبو ألا يصرحوا بما يعد جريمة وطنية، فأخذوا على الحزب تزعمه لرجل ينتمي لطائفة لا ينتمون إليها وجعلوا من الدين مطية لمارهم السياسية مع ان المؤمن حقاً من جعل الدين فوق كل مأرب شخصي .

فما الزعيم يعرفنا إلا شخص ممثل للمبدأ الذي نؤمن به وما هو بمطاع خارج هذه المبادئ بل هو خادم لها ساهر على تحقيقها . وهو لم يترأس الحزب بصفته الدينية بل بصفته القومية البحتة وليس ذلك بدعاً بل هو مبدأ مقبول عند جميع الأمم الراقية . إن هذه الدعوى وإن اقتضت على حثالة الأمة فإنها دعوة خطيرة ويجب مكافحتها فوجود زعيم غير مسلم على رأس حزب وطني قومي لا يعد جريمة دينية ولا تضيق به صدر الشريعة المحمدية السمحاء بل هو فخر قومي يدل على نضجنا السياسي واننا أمة لا تقل مدنية عن أرقى الأمم، ودليل واضح على فقدان الطائفية في سورية نصفع به وجه كل من يريد التدخل في شؤوننا وهذا ما سار عليه سليل النبي، فيصل بقوله : « الدين لله والوطن للجميع » وهو عين ما نرمي إليه « بفصل الدين عن السياسة وإلغاء الحواجز بين مختلف الطوائف » .

العنصرية - إن الشعب السوري عدا تعدد طوائفه الدينية - قد مني بكثرة طوائفه العنصرية التي هاجرت كتلاً وتوطنت في بقاع خاصة حافظت فيها على قوميتها . إن سورية كانت منذ القديم محط رحال الفاتحين والمهاجرين من كل جيش وقد مرّ على هذه الأقوام الزمن الكافي الذي صهرها في الكيان السوري ولم يبق لها أثر إلا في أوهام المنادين بالقوميات التاريخية المنقرضة - كالقومية الفينيقية - التي دعا إليها بعض المتهوسين ارضاء لعنرتهم الطائفية ولم يأهبوا في سبيل تحقيقها من تفريق صفوف الأمة والفتك بوحدتها على أن هذه الأوهام لا يخشى خطرهما فقد قتلت في مهدها وانصاع

أغلب القائمين بها للأمر الواقع وإنما الذي يخشى خطره والذي كان ويمكن ان يكون مصدر الويلات على هذه الأمة هو كثرة طوائفها العنصرية التي ما زالت محافظة على قوميتها ولم ير الحزب السوري القومي وسيلة لحل هذه المعضلة إلاّ بقبول الفئات القاطنة منها فعلاً بالوطن السوري والتي تود الإندماج الحقيقي في كيانه العظيم - ما عدا العنصر اليهودي - وانه يقاوم كل اقلية عنصرية تحافظ على قوميتها. إن دمج هذه الأقليات العنصرية في الأمة السورية التي هي إحدى الأمم العربية غون ان نلتفت للرابطة السلالية - التي يقرها العلم - بعد خطوة عظمية نحو تحقيق القضية العربية التي لا يمكن ان تتحقق قبل إيجاد الأمة السورية، وتوحيد أجزائها وفك قيودها وأغلالها. ولذا فالمستقبل كفيل بتقرير هذه القضية حسب مصلحة الأقطار العربية المشتركة. فبحثها الآن يكون من قبيل بحث الشيء قبيل أوانه وهو لا يخرج عن حد القول لأنه لا يمكن أن يتعداه إلى طور العمل المثمر. ولا يعني هذا عدم الإكتراث بالأمم العربية وقطع الصلات معها فهذا يعد خرق في الرأي بل الواجب الذي يجعل « مصلحة سورية فوق كل مصلحة » يقضي يتمكن أواصر المودة والآء بين مختلف الأقطار العربية حتى يحين الوقت الذي يمكن فيه بحث هذه القضية عملياً فالحزب السوري القومي لا يضيره الشغف بهذه الفكرة وإنما الذي يضيره ويضر هذه الفكرة نفسها ان تنصرف إليها أذهاننا وتشتغل بها - دون جدوى - ويترك الوطن مهملاً تعبت به النعرات العصبية والطائفية وتخيم عليه ظلمات التجزئة والإستعمار.

فالخير كل الخير للأمم العربية والقضية العربية أن تكون كما تنص مبادئ الحزب « أقوىاء في أنفسنا لنتمكن من تأدية رسالتنا للعالم العربي، يجب على سورية أن تكون قوية بنهضتها القومية لتستطيع القيام بمهمتها الكبرى، فإيجاد جبهة من الأمم العربية تكون سداً ضد المطامع الأجنبية الإستعمارية وقوة يكون لها وزن كبير في إقرار المسائل السياسية الكبرى هو جزء متمم لعناية الحزب السياسية ».

إلغاء الإقطاع - إن بعض الحاقدين علينا يجهدون أنفسهم لإيجاد مغمز في مبادئنا فارجفوا أننا فئة نميل للمذهب الشيوعي، إن ردنا عليهم يكون بالرجوع لمبادئ الحزب التي تنص: « على إلغاء الإقطاع وتنظيم الإقتصاد القومي على أساس الإنتاج وإنصاف العمل ».

إن كل منصف - حريص على مصلحة المجموع - يعترف بأنه قد اهملت شؤون

الفلاحين والعمال عندنا مع أنهم يؤلفون القسم الأعظم من الأمة حتى أصبحوا بحالة يرثى لها من الجهل والفقر والإنحطاط وهم مع ذلك مصدر الإنتاج والرزق عند جميع الشعوب فالواجب يقضي أن نسعى لرفاهيتهم ورفقيهم والنهوض بهم إجتماعياً وإقتصادياً وعلمياً، وهل يتسنى لنا ذلك إلا بالغاء الإقطاع قبل كل شيء؟ لا نعني من إلغاء الإقطاع مس حق الملكية الذي هو مقدس عندنا وإنما نرمي لدفع الحيف الذي ينزله المالك بالفلاح والذي يمثل ما يشبه الدور الإقطاعي في القرون الوسطى وأن نضع حداً للملك الذي خرج عن المعقول في بعض الأنحاء فأصبحت بنتيجته كثير من الأراضي الزراعية بوراً غير مستثمر ورهن أغلبها في المصارف الأجنبية: « إن هذه الإقطاعات كثيراً ما يكون عليها مئات وألوف من الفلاحين يعيشون عيشة زرية في حالة من الرق يرثى لها وليست الحالة التي هم عليها غير إنسانية فحسب بل هي منافية لسلامة الدولة بابقائها قسماً من الشعب العامل والمحارب في حالة مستضعفة وخيمة العاقبة على سلامة الأمة والوطن فضلاً عن إبقائها قسماً كبيراً من ثروة الأمة في حوزتها وفي حالة سيئة من الإستعمال ».

ليس العامل بأحسن حالاً من الفلاح وإنما الذي يخفي حيفه صبره على المكروه دون ان نسمع منه شكوى وخطتنا المثل في اصلاح شأنه ألا نتركه فريسة في أيدي الرأسماليين. وأن نوجد التعادل الصحيح بين الأجر والعمل وأن نتوسل بجميع الطرق التي تسلكها الحكومات الراقية في تأمين رغبته وهنائه. إن انحطاط العامل وبقايا الإقطاع في هذه البلاد حصر النهضة بطبقة دون أخرى من طبقات المجتمع كما احدث بينها هوة سحيقة وتبايناً عظيماً، وأن هذا التباين في درجات التقدم والإرتقاء قد أدخل بانسجام الأمة الاجتماعي الذي يُعدّ اعظم نكبة منيت به البلاد وإذا ما اهمل شأنه فستجد الشيوعية في بلادنا سبلاً ممهدة تجاه دعاياتها المنظمة.

النظام - إن ذكاء السوريين ومواهبهم الممتازة لم تبؤهم مكانهم اللائق تحت الشمس وما ذلك إلا لتأصل روح التمرد والفوضى في نفوسهم لأن النظام هو الشرط الأول لمن يريد السباق في مضمار الحياة. وقد تذرع الحزب بنظام عسكري قاس لأنه النظام الوحيد الذي نستأصل به هذه الروح الخبيثة التي عرقلت مساعينا وعبثت بمواهبنا وجعلتنا كتلاً متفرقة الأهواء والآراء ولا نقصد بالنظام العسكري التدريب الرياضي بل الرياضة الروحية التي تغرس في نفوس الشباب حب النظام والواجب التي ترمز إليهما رؤوس الزوبعة الحمراء.

خطة الحزب وغايته - يسعى الحزب لتأليف أمة مترابطة متجانسة منظمة منزهة عن جميع النعرات القبلية والطائفية والعنصرية. وإن العمل في الميدان السياسي سيساعد - طبعاً - على إيجاد هذه القومية الصحيحة. فنحن لا نعمل للسياسة من أجل السياسة كما تعمل جميع الأحزاب دون نظر لهذه القومية التي سبب عدم تكاملها جميع ما يلاقيه السياسيون من المصاعب لبلوغ الهدف في الوحدة الشاملة والإستقلال الصحيح. فتأليف القومية ووجدانها هو الخطوة الأولى للعمل السياسي المثمر وبدونه يكون كل عمل آخر غير محقق لجميع الرغائب القومية وما هو إلا تدبير وقتي زائل. فموقفنا إذاً موقف إنشائي محض لا هدام ولا معترض حتى نصل لغايتنا: « في نهضة قومية تكفل تحقيق مبادئنا وتؤدي إلى إستقلال بلادنا سورية بجوودها الطبيعية والإستمرار في خدمة الأمة والسعي لإنشاء جبهة عربية تكون سداً ضد المطامع الأجنبية ».

يعتقد كثير من الناس بسمو مبادئنا ولكنهم يعتقدون بصعوبة تحقيقها ولهذا فانهم عن مساعدتنا معرضون، مع أن الصعوبات هي التي تغري السوري القومي بحب العمل، ولم تنزل روح اليأس والحمول عالقة في أذهان كثير من الناس مع أنها الروح القتالة لنهضات الشعوب. أن الحياة والمستقبل لكل من يعمل لمصلحة الأمة دون ان يكثر للمتعاب والمصاعب. إننا سنسعى حتى الموت ولا بد أن نحمل مشعلنا الأجيال القادمة. إن الوطنية لا تنحصر في الإحتجاجات والمظاهرات فحسب بل هي في تهذيب الشعب لأن الداء في أنفسنا فإذا ما نزعناه وصلنا لكل ما نرغب ونريد.

أيها الشعب! لا تكتف بما وصلت إليه.. إنك تخطو فلا تقف ففي وقوفك الموت. أيها الشعب! ليست مبادئنا أفكاراً غامضة بل هي مبادئ واضحة للسالكين المؤمنين بحقهم في الحياة الشريفة فلا تكلف بالأعراض الزائلة بل اعمل لمصلحة سورية. إن الحياة والمستقبل لمن يعمل لمصلحتها.

لتحي سورية وليحي الزعيم

مجلة الرائد - العدد 116 - تاريخ 13 شباط 1937

لم يقبل الزعيم البقاء في بيروت بعيداً عن الأحداث بل توجه الى مدينة حمص، اقرب مكان للحياة، يرافقه الرفيقان صلاح شيشكلي وخالد اديب فأجتمع بالرفيق اكرم الذي وافاه الى هناك واطلع منه على حقيقة الواقع وبالنتيجة قرر الزعيم ان يعود العمل الحزبي الى السرية ولام اكرم لبعض تسرعه في اتخاذه مواقف مرتجلة كان يحسن تجنبها لو درس الموقف ملياً، لا اقول انهارت التنفيذية في حماة ولكن اصيبت بضرية قاصمة

أخرت مسيرتها في النضال والكفاح. انما اهم ما حدث هو ان هذا الحادث كان بداية انحراف اكرم عن الطريق القومية الاجتماعية واساليبها ادت الى ما هو معروف مع انه في تلك الجلسة اعترف بخطئه وتسرع.

كانت جلسة الزعيم في حصص درسا بليغا في استراتيجية العمل الحزبي ومعالجة الفورات الغوغائية واهم من كل ذلك كان ان نتحسب لما يمكن ان يقع لا ان نشور عاطفيا بعد وقوع الحدث فنندم ولات ساعة مندم.

وجاء بهذا الصدد في « عبدالله قبرصي يتذكر » الجزء الاول صفحة 194 :

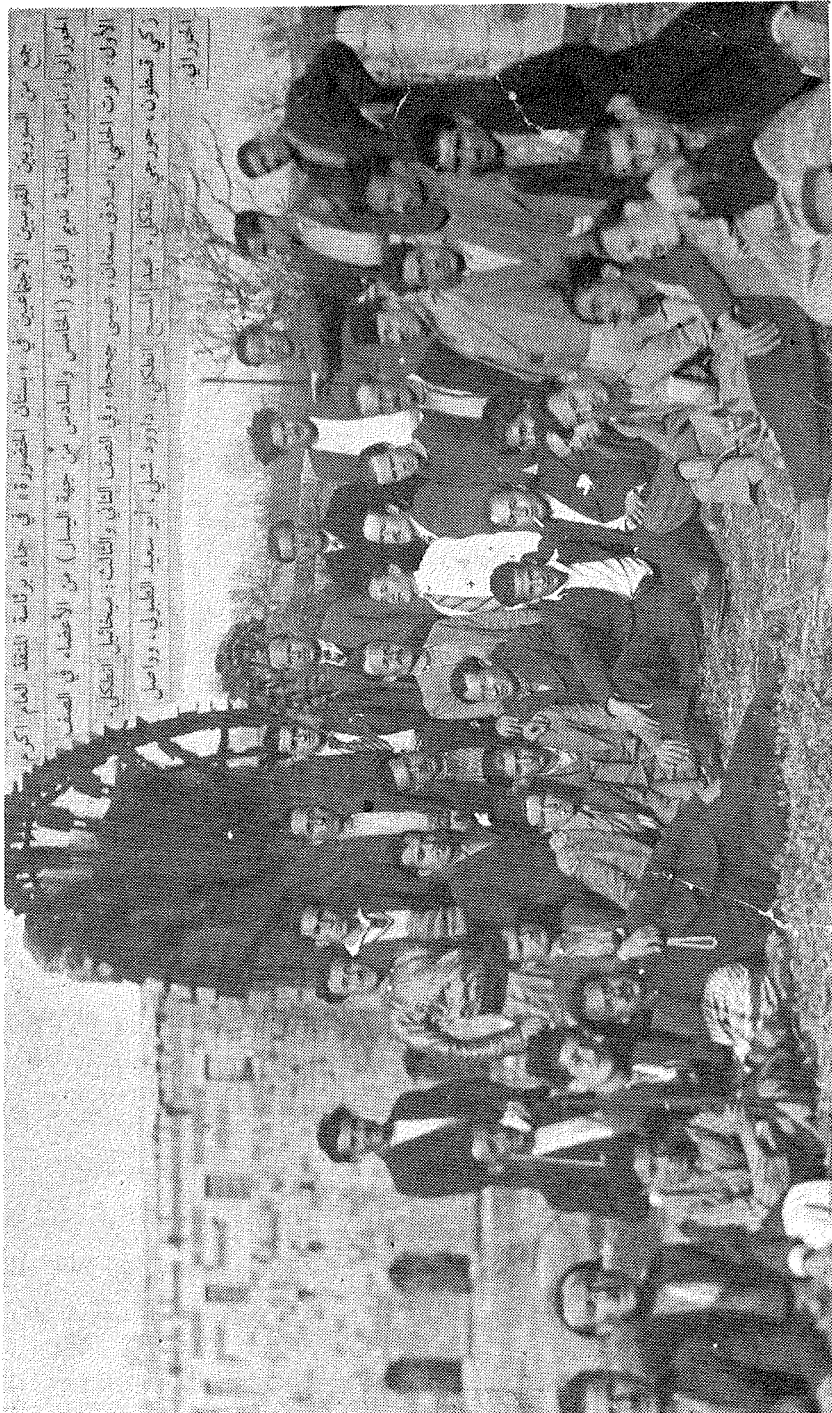
اكرم الحوراني والمهجوم على حماه 1937 :

« اكرم الحوراني: المحامي الناشئ على هدير العاصي في حماه، بدأ حياته السياسية نائرا على محيطه الصغير. وكان تعبيره الاقوى عن رفضه للواقع انتاءه الباكر الى صفوف الحزب السوري القومي. اجل ان اكرم حوراني الذي اصبح فيما بعد الساعد الايمن لحسني الزعيم والذي صنع له بيانات انقلابه والذي توصل الى ان يكون نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة كان في مطلع حياته السياسية سوريا قويا. كنت انا وكيله في بيروت وكان وكيلي في حماه. ثم كنت انا في مجلس العمدة يوم كان مركز الحزب فوق محلات ابي راشد تجاه الجامع الكبير وكان اكرم حوراني منفذا عاما لحماه. الحزب، في الشام كما في لبنان، كما في كل بقعة من بقاع الامة السورية، كان تحديا للعقلية القديمة المتحجرة، كان حربا على الاقطاع العقاري والديني والسياسي. كان رمزا للتقدمية والثورية.

اول من ناصبنا العدا في حركتنا الثورية التقدمية كانوا رجال الدين ورجال الاقطاع والزعامات السياسية التقليدية هذا عدا المؤامرات الاجنبية المتحالفة باستمرار مع كل هذه الفئات لضربنا واضطهادنا وتفشيلنا بأي ثمن ولو كان الارهاب الجسدي تصفية او سجننا!..

في حماه لم ننح من هذه العقلية العتيقة العفنة. كان نائب حماه يومذاك الدكتور توفيق الشيشكلي. « جماعته » - رغم ان صلاح شيشكلي واديب شيشكلي قد انتميا سرا او علنا الى الحزب - هاجوا مركزنا وكسروا ما فيه كما احرقوا الاوراق والاضرابات او ا تلفوها.

هرول اكرم الحوراني الى بيروت يحمل الينا النبا كانت ايام صيف فاجتمعنا على



جمع من السوريين المقيمين في إسطنبول حضر في
 المحور الثاني والتمس التلبية بدم النادي (المجلس الخامس من جبة البيلار) من الأعضاء في الصف
 الأول، هورت الثاني، عضدي سلطان، عيسى ججهاد، وفي الصف الثاني والثالث: ميخائيل انصاري
 زكي سلطان، حمزة بن انصاري، عبد الله انصاري، داود شبي، أبو سعيد الطويل، وواصل
 انصاري

شرفة مكتب الحزب برئاسة سعادة وحضور العمدة، ودعي المنفذ العام اكرم لاعطاء التفصيلات عن الحادثة، واقتراحاته في الرد او عدم الرد، فقدم تقريرا مفصلا وخطة متكاملة لمقابلة العنف بالعنف.

تدارسنا الموقف، واتخذ سعادته قرارا بالموافقة وتسلم المنفذ العام امرا باستنفار قواتنا في حمص وصافيتا وجوارها ووضعها تحت امرة منفذ حماه..

يبدو لي ان ردا عنيفا لم يحصل آنذاك وان المحادثة لم تترك ذيو لا كما سويت بالتالي هي احسن.

الا ان مبدأ الرد اقر، وعندما كان سعادة يعلن اننا لا نقصد في الحياة لعبا، واذا هوجنا لسنا نعاجا بل اسودا. واننا نبحث عن القتال لا ندع القتال يبحث عنا، كان يعني ما يعلن، رغم ان القوى العتيقة في حماه كانت طاغية، الا ان الحزب الناشئ، وقائده فيها اكرم الحوراني، الشاب المطل على السياسة لم يفزع ولم يهيب، بل استنفر قواه واعدها لهجمة معاكسة، تكيل كيلين مقابل الكيل الواحد وصاعين مقابل الصاع الواحد.

وعلى ذكر الاستاذ اكرم الحوراني، الصامت الان والمتواري عن الساحة العامة، لا ارى مندوحة عن رواية واقعة جرت لي معه على ضفاف العاصي في 19 آب 1939 اي قبيل اعلان الحرب الكبرى الثانية. كنت في حماه اتابع دعوى لموكلي المأسوف عليه عجاج الشويري ضد احد وجهائها عبد الكريم الرسم. قصدها بنفسه واستعنت بالاستاذ اكرم. وفي المساء رحنا نتنزه في عربة خيل على ضفاف النهر، وتلوح لنا من خلال القصور « قال لي اكرم: ما كان يهمني انا، هو معالجة فتوره تجاه الحزب. سألته: هل يئست؟ اجابني: الزعيم يرسل لي سوريا الجديدة من البرازيل، اقرؤها بلفهه، انا مؤمن بالنهضة، لكن لم تكتب لها الحياة في حماه، الرجعة اقوى منا واشرس. مستحيل ان نعلن عليها حربا. لاننا مغلوبون سلفا.. قلت وما السبيل؟ فاجاب: سأنشئ جمعية او حزبا في قلب حماه، من شباب حماه، وسأعمل لاصل الى مركز قيادي. اقسم لك اني حالما اصل سأعود الى صفوف الحزب واسخر كل نفوذي وما اكون كسبت وانحزت لمصلحة القضية.

سمعت تلك الكلمات ولكني اذكرها بأسف وحرقة».

في حلب ودير الزور

في حلب ودير الزور

ولحقت مدينة حلب مدينتي حمص وحماة فاصبحت ايضا منفذية منفذها العام الرفيق نور الدين الخالدي، استاذ في الجامعة الاميركانية في حلب، وتشكلت الهيئة من اساتذة وسواهم فكان نعمة غزال الاستاذ مسؤولا في هيئة المنفذية، اظن كان ناظر اذاعة، كانت المديرية موزعة على احياء المدينة المتباعدة نوعا، فحلب مدينة رحبة شاسعة، كان من الرفقاء البارزين - ما عدا عمر ترماني - من المهنية الشقيقان وداد وفؤاد الشلي، نجلا الدكتور شلي المشهور وابناء شقيق قائد الدرك الشلي، ذي النفوذ الواسع.

وكذلك الاديب الناشئ اورخان ميسر والمسؤول الزراعي الاختصاصي المكلف بالاشراف على حديقة «السبيل» البديعة الرفيق جورج منير ابن اللواء المشرد وزميله من اللواء، الرفيق ميشال الخوري ناظر المالية في هيئة المنفذية. كانت الجامعة الاميركانية بؤرة ثقافية نشيطة تنطلق منها شرارات تشع في المتحد الحلي، من الشيطان فيها كان رفيقان من اميون الكورة، ابراهيم الحاج عبيد وجورج كرم الرياضي ومن اهم المديرية، الجميلية، الباب، حي السريان، باب الفرج.

ومن حلب الى دير الزور حيث تأسست مفوضية مفوضها الرفيق رضى لشلاش، شقيق الرفيق امير، الملازم في جيش الشرق، زميل الملازم الرفيق اديب الشيشكلي، كما مر بنا.



اورخان ميسر



اكرم الحوراني

شخصيات سياسية

لا جديد في سياسة دمشق الكتلوية الانهازمية . وهذه هي صور ثلاثة من أقطابها .



هاشم الأتاسي

شكري القوتلي



سعدالله الجابري

في لواء الاسكندرون

ان الحديث عن اللواء لا ينتهي فكل يوم خبر يرجح فيه كفة الاتزاع على السوريين ومن هذه الاخبار ان نواب اللواء غادروا دمشق بسرعة مفاجئة ويقال انهم تلقوا طلبا مستعجلا من الموسيو غارو مندوب اللواء الجديد .

وهناك اشاعة تقول ان نواب اللواء سوف لا يعودون الى دمشق في هذه الدورة النيابية وربما ايضا في الدورات المقبلة ، وذلك على اثر المعاهدة الاخيرة التي عقدتها الحكومة الكتلية مع الحكومة الفرنسية ، والتي اعطت في اللواء امتيازات خاصة للحكومة التركية ، التي قضت بفصل اللواء السوري عن سورية .

وقد اتصل بنا ايضا ان نواب اللواء لم يحضروا جلسة المجلس النيابي يوم الخميس ما عدا الشيخ داود الريجاني .

في 22 تشرين الاول حضرت الى لواء الاسكندرون اللجنة الدولية المكلفة بتطبيق وتنفيذ الاتفاقية المقررة من قبل «عصبة الامم» وقد اتصلت باركان الحكومة التركية بينما لم يتصل بها اي مسؤول عن الحكم السوري ولو شكلا . التفاصيل في العدد 9 من جريدة «النهضة» تاريخ 23 اكتوبر 1937 .

قانون الانتخابات

انتهت اللجنة الدولية قانون الانتخاب وقد انقصت عدد النواب السابق من 40 الى 20 على النحو التالي: نواب اترك 8 ، نواب علويون 6 ، نواب سنيون (عرب) 2 ، نواب ارمن 2 ، ارثوذكس 1 ، نواب عن الاقليات 1 ، قانون انتخابي على اساس

العنصر والمذهب (مع الوضوح ان الاكثرية ليست تركية) ولكن... والجدير بالذكر ان الحكومة التركية احتجت على طائفية وعنصرية هذا القانون.

معلومات عامة

بالرغم من قرار المجلس النيابي الشامي بعدم الموافقة على النظام الجديد للواء الاسكندرون فقد قام رئيس وزراء الشام بزيارة الى تركيا لازالة مايمكن ان يعكر العلاقات بين البلدين المتجاورين.

بدأ النشاط التركي من اجل الانتخابات بارسال دفعات من الاتراك الذين كان آباؤهم او اجدادهم في اللواء فكانت الدفعة الاولى 2500 فقط لاغير وقس على ذلك. منحت مهلة ستة اشهر للموظفين السوريين ليتعلموا اللغة التركية.

بدأت اللجنة الدولية بتسجيل نفوس السكان تمهيدا للانتخابات. تحركت الاصابة السورية عند عدد كبير من الشباب فالفوا وفودا منهم للقيام بحملة توعية بين المواطنين فحصلت عدة اصطدامات بينهم وبين الدعاة الاتراك.

بدأ الامير عادل ارسلان بوساطة بين الشام وتركيا لتعديل بعض المواد في النظام الجديد وفي الانتخابات.

ظل الاتراك ان قسما كبيرا من العلويين سيقيدون بقائمهم الانتخابية ولكن النتيجة كان عكس ما ظنوا فقد جاءت لصالح السوريين كما شهدت اللجان الدولية التي كانت تعمل واجبها بكل تؤدة ودقة. وقد غاظ الاتراك هذا الفشل فزادوا من الاصطدامات بمختلف الحجج مما تسبب بوقوع جرحى وقتلى. كانت هذه الاصطدامات تشمل اللواء باجمعه. استلم الجيش الفرنسي مقاليد الامن وراحت الفرق تجوب الشوارع. ارسل الاتراك عرائض الاحتجاج على تعدي السوريين عليهم!!

قدمت اللجنة الدولية استقالتها بتاريخ العاشر من شهر ايار على اثر توزيع بيان يسجل الحوادث المخلة بالامن. هي اللجنة الثالثة التي تفشل في مهمتها وتستقيل.

كل هذا لم يمنع ان تكون النتيجة الانتخابية النهائية لصالح الاتراك. انتهت مرحلة لتبدأ مرحلة اخرى اشد ايلاما.

وبمناسبة الحملة من اجل الاسكندرون انقل القصيدة التي نظمها الرفيق عجاج المهتار بهذا الصدد عن ديوان « الزوبعة » .

الإسكندرون... لنا

الإسكندروننة ملكنا. وفيها تخوم
ما منترك شبر منها تالسا
محدّدة، وأرواحنا عليها تخوم
تهبط عاسطح الأرض وتذرذر نجوم

ما منترك منها شبر تالسا
وحتى تصبح أرضها بحيرة دما
تقشط عاراس المعتدي مها سما
والجهاجم حول ضفتها تعوم

يا مصطفى عهد المضى راح ومضى
بصدور في شرايينها جمر الغضا
والشعب فاق وابشر الحق إنتضى
لا تخرجوها بتفجر عن ٣ ايلزوم

ولا تعتدو على أرض خنا أصحابها
منروح نجبل دم بترابها
وعظم الصدور سياج حول جناها
ومنموت فيها بعدما نصد الهجوم

صرنا رجال وعهدنا الماضي بطل
من عزمنا والحق فبركنا الكل
وسرنا مواكب خلف قايدنا البطل
ومن غضبنا غاز فواح السموم

خليك يا سوري شديد الإندفاع
وهبّ مع اولاد ربعك للدفاع
وصون أرضك تاتنال الإرتفاع
عن سورية ولا تخاف عبسات الغيوم

وحاجي علينا تهولوا بسيف دقنا
الإسكندرونه حقنا بتبقى لنا
لحنا الفنا الموت. ما منخفش الفنا
وانتوا بتبقوا في مجاهل أرضروم

وليّ زمان التفرقة باسم «الصلا» وتقسيمنا «شلعات» بعون الملا
وساومه عبلا دنا الغالي وعلى سكانها وتكشّحت هاك الغيوم

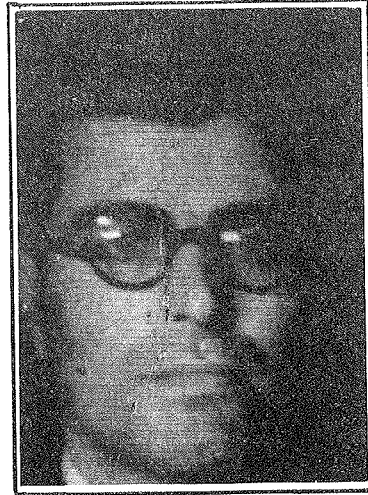
★ ★ ★

وفاقت ارادة «سورية» مجودها والغاب وعيت عازئير اسودها
ويكرا بترجع ارضنا لحدودها ومنصير امة كاملة، بوجه العموم

عجاج المهتار

في محافظة اللاذقية

ليس من جديد في مدينة اللاذقية، ان المديرية المستقلة اصبح مديرها لفترة وجيزة الرفيق احمد الشيخ خميس ثم الرفيق اديب عازار، ولا يمكن ان نمر بهذه المرحلة دون ان نذكر النشاط الشعبي الذي كان يبديه كل من الرفقاء جورج سعد وعزيز كريمه وحنا الدست ابن اللواء وابنته الرفيقة كاترين ثم النشاط الذي تسلل الى مدرسة « بوقا » الزراعية والذي كان يقوم به ابن بشري الرفيق رشيد كيروز. اما اهم نشاط كان ذلك الذي كان يمارسه الرفيق اديب عازار بواسطة جريدة « الارشاد » الذي كان يعمل في مطبعتها اذ كان حائزا على ثقة صاحبها الشيخ امين حكيم الذي ما كان ليرد له طلبا فاستطاع ان ينشر في الجريدة الكثير الكثير من المقالات والتسويجات والارشادات ذات الطابع القومي. كما انه لا يجوز ان ننسى الرفيقة « ام خالد » زوجة الرفيق اديب عازار، المرحبة الدائمة بالضيوف الرفقاء ان محليا او من الخارج من مركزين وسواهم في اي وقت من اوقات النهار او الليل.



أديب عازار

في الحفة

ثم خارج مدينة اللاذقية دخل عدد من الاعضاء في بلدة « الحفة » فتألفت منهم مديرية مستقلة مديرها الحقوقي عزيز ارناؤوط. اما من الناحية السياسية فقد كان المحافظ مظهر ارسلان يناهض الحزب على الطريقة الكتلوية يسانده بكل قواه امين سر المحافظة جواد المرابط.

في المزيرعة

نشأ في هذه الاثناء فرع حزبي في المزيرعة القريبة من مدينة اللاذقية ما طال به الزمن حتى اصبح يؤلف مديرية من اكثر من ثلاثين عضوا وعين الرفيق النشيط ويكتور خوري مديرا لها. كانت مديرية مستقلة.

حاولت السياسة الكتلوية في هذه المحافظة وفي مدينة اللاذقية بالذات ان تستجلب السوريين القوميين الاجتماعيين اليها عن طريق التوظيف بدل محاربتهم وسرت اشاعة في الاوساط المحلية تعزز هذه الفكرة مما جعل القوميين الاجتماعيين يردون عليها بتصريح على لسان ناموس المنفذية الرفيق اديب عازار جوابا على سؤال وكيل النهضة هذا نصه:

س - قيل ان الحكومة شرعت تحارب الحزب السوري القومي علنا فهل هذا صحيح؟

ج - نعم، بكل اسف اقول ان الحكومة الشامية شرعت باعلانها الحرب الشعواء على السوريين القوميين الذين كرسوا نفوسهم لخدمة بلادهم تحت لواء سعادته، بحجة ان القوميين يعملون لحساب دولة اجنبية ومع ان الوقائع ابطلت تلك الدعوى وهذا ما شاهده الرأي العام السوري وبات يعتقد - والحمد لله - ان المنظمة السياسية النظامية التي تعمل في سبيل سورية بدقة واخلاص هي منظمة الحزب السوري القومي. بالامس القريب طلب احد المسؤولين الى احد السوريين القوميين ان ينسحب من الحزب بشكل يطعنه في صميمه مقابل وظيفة يسندها اليه ولكن حضرة المسؤول اصطدم اصطداما عنيفا بولاء القوميين وشرفهم القومي».

حجز « النهضة »

وفوجيء اهالي المدينة بحجز جريدة « النهضة » دون اي مسوغ قانوني وقد دامت

هذه الحالة مدة خمسة ايام ثم افرج عنها وفي هذه الاثناء وردت رسالة من الرفيق اديب عازار يشرح الوضع الراهن نقتطف منها اهم ما ورد فيها: « ان « النهضة » ليست ضد الكتلة الوطنية بالذات او غيرها من الهيئات والاحزاب بل هي تقدر كل من يعمل باخلاص لهذه الامة بصرف النظر عن مبداه السياسي. واذا كان الرجال القائمون على الحكم اليوم لم يظفروا حتى الآن بشيء من المدح والتقدير فهذا ما نسجله بكل اسف فلانهم لم يستحقوا بعد هذا التقدير... اما خسارة الجريدة المادية فليست شيئا يذكر امام خسارة البلاد، اجل ليست مصادرة اربعمئة عدد من « النهضة » كل يوم خسارة امام خسارة الاسكندرون، والجزيرة او بتروها وامام ما خسرناه، ايضا من كرامتنا القومية في نظام الاقليات واشياء اخرى كثيرة داخلية وخارجية».

اما على الصعيد الاداري فقد حضر مدير ادارة الجريدة الرفيق جبران جريج الى اللاذقية لاستعادة الاعداد المصادرة وقد نصح بعض المحامين باقامة الدعوى على المحافظة بطلب تعويض مالي لانه يعتبر المصادرة ان هي الا تدبير شاذ.

هذا على الصعيد المحلي وعن تعرض « النهضة » للمنع من الدخول الى الجمهورية الشامية اود ان ادون هنا اهم ما جاء في مذكرة وكيل الجريدة في اللاذقية الرفيق احمد الشيخ خميس الى رئيس الجمهورية بهذا الشأن. « وهذه الجريدة تختلف. كل الاختلاف عن الجرائد الغارقة في لبنانيتها المستحدثة بل تتكلم بلغة سورية عامة لكونها تركز دعائمها على اساس وجود امة سورية ضمن وطن سوري معين الحدود تاريخيا وجغرافيا، وهي اذا ما نقدت حكومتكم الموقرة، فهي ترمي من وراء ذلك الى الاتجاه نحو الصالح العام وليس لها غرض غير هذا الغرض السامي البتة.

« ان جريدة « النهضة » تنطلق بلسان آلاف السوريين القوميين المنتشرين في طول الشام وعرضها فضلا عن آلاف القوميين المنتشرين في لبنان والمهاجر النائية. ولا مشاحة ان تحدي معتقدات هذا الجيش القومي العرمرم ليس بالامر السهل وسوف تكون له نتائج غير مستحبة خصوصا في حين لم يستقر فيه وضع البلاد الاجتماعي والسياسي على اساس ثابت».

في جبلة

وفي قضاء جبلة بدأ نشاط الرفيقتين عيسى حكيم وفاضل كنج يؤتي ثماره وان يبطاء. فقضاء جبلة مركز عشائري وفيه ابراهيم كنج الذي كان يوما رئيسا لحكومة العلويين الانفصالية.

في بانياس .

واصبحت مديرية بانياس المستقلة منفذية منفذها العام محمود احمد حبيب فتوسعت بسرعة مدهشة . من ابرز اعضائها في مديرية بانياس صديق ديب المذيع الشعبي ان نثرا او شعرا عاميا ، وكذلك الرفيق النشيط عبد الخالق ديب ، هذا ماعدا بعض الدعاية تشربت الى مدرسة الراهبات والى مؤسسة الريجي التي كان من اهم اعضائها سجع حداد من صافيتا . والان ننتقل الى مقابلة هيئة المنفذية للزعيم في بيروت .

كان محمود احمد حبيب ، شكري ديب واسد مهنا ويوسف حبيب من هيئة منفذية بانياس ، مدعويين الى مقابلة الزعيم . كان مكان اللقاء المعين منزل الامير امين ارسلان فأوصلتهم اليه وانبات الزعيم بوصولهم .

كان الزعيم مصابا بوعكة صحية فهو في الفراش ، انما ذلك لم يمنعه في استقبالهم وان في غرفة نومه . هممت بالانصراف لكنه استبقاني فاشتركت بالحضور .

بدأ الزعيم بالاستفهام عن الوضع الحزبي الداخلي وعن سيره في المنطقة خصوصا وان حبيب ومهنا من عشرينين مختلفتين ، ان لم نقل ، متخاصمتين (حدادي وخياطي) وهذا مما يسهل الانتشار الحزبي . الم يعلم مهنا الزعيم ان « بستان الباشا » اصحح اسمه « بستان سعادة » لنزع الاسم الاقطاعي عن البلدة وابداله باسم باعث الغاء الاقطاع

لم يكن الزعيم راضيا عن العمل الحزبي ، فهو بنظره ، بطيء يحتاج الى جهود انشط واقوى وهنا تسلم الحديث واخذ يشرح الوضع العام في سورية وخصص الجنوب السوري بقسط وافر من هذا الحديث وراح يبرز الصهيونية ودورها المفجع ومطامعها وان المسألة مسألة سباق بين النهضة القومية الاجتماعية وبينها ولا يعني بعد بانياس عن حيفا او يافا ان الخطر بعيد بل هو اقرب مما يظن وما يؤثر على الجزء يمتد تأثيره الى الكل .

ثم عرج على الاسكندرون وابان مطاعم الاتراك في اللواء واوضح موقف الكتلة الوطنية منه وقصر نظرها في رؤية هذا الخطر المداهم . انطلق في حديثه بشكل اذهل هؤلاء المسؤولين من بانياس واذهلني انا ايضا ، فاني ما رأيت مرة بهذا الوضوح وبهذه البلاغة . حجج دامغة ، تطلعات الى آفاق بعيدة والامل الكبير بالنهضة والا فالمصير قائم .

وراح يشرح الوضع الداخلي في البلاد وخص الكتلة الوطنية بتشريجه مما جعل الهيئة

المذكورة تندهش وتقول بلسان الرفيق شكري ديب « انك يا حضرة الزعيم، كأنك تعيش بين ظهرانينا ».

كانت خلاصة الجلسة التي استغرقت ما يقارب الساعتين ان وعدت الهيئة بالانتقال من الركود الى الحركة وبمضاعفة النشاط والاهم من كل هذا، ان هيئة بانياس خرجت من لدن الزعيم وهي اكثر ايمانا بالقضية وبزعامته.

في طرطوس

بعد الانتكاسة التي اصابته مديرة طرطوس المستقلة التي مر ذكرها في حلقة سابقة والتي تقلصت المديرية بسببها الى مفوضية تابعة لمنفذية طرابلس والتي امست تضم خمسة اعضاء هم الرفقاء الياس جرجي قنيزح طبيب الاسنان ابراهيم اليازجي الذي عين مفوضا لهذه المفوضية، الطالب عبد الكرم الشيخ، احمد ترككاني وعثمان درويش، بعد هذه الانتكاسة عاد العمل الحزبي الى السرية فبدأ ينمو في المدرسة، مدرسة اللايك التي كان يدرس فيها الرفيق قنيزح ثم انتقل الى المدينة ومنها الى القرى المحيطة فعدت المفوضية مديرة مستقلة مديرها المفوض السابق طيبب الاسنان الرفيق ابراهيم اليازجي. هذه المديرية اصبحت فيما بعد منفذية منفذها بالوكالة الرفيق اليازجي نفسه.

اما اهم القرى التي امتد اليها الحزب فهي الخراب وحرارة البرية في ضواحي طرطوس ثم بملكه، السودا، المتن (متن عرنوق) دويرطه، الخرببات حيث جرت مناظرة لبست طابع الحدة مع المطران عبد، مطران الطائفة المارونية عند زيارته الرعائية لها، وحباش، سقبولي، جديدة، مجنين، زهر مطر، ساعين، منطقة الخواي، منطقة القمسية، زهر صفرا، المزرعة الخ...

ولكن الاهم كانت مديرة الطلبة في كلية اللايك التي كان مديرها فرنسيا في هذه المرحلة، الموسيو ارتران. كان في جهازها التعليمي عدد من الاساتذة اذكر منهم ما عدا الياس جرجي قنيزح الرفقاء شحادة اليازجي، فؤاد عرنوق، رشاد دملج، رشيد سنو، احمد الجندي ومن طلابها الرفقاء الستون عدا ابراهيم كمال نور الله من جبلة، الغلونجي، ويكتور عرنوق، اديب الضبيعة، الشقيقان نوري سلامة وعيسى سلامة من مرمريتا. جميل مخلوف. فاضل كنج وعيسى حكيم. هذا من حيث التشكيلة الحزبية اما من حيث نشاط هذه المديرية الطلابية فقد سجلت موقفين، واحد سياسي والثاني حزبي بحت.

الموقف السياسي: كانت منطقة محافظة اللاذقية او منطقة العلويين كما كانت تسمى محليا، كانت هذه المحافظة، كما مر بنا، محور تجاذب بين القوى الانفصالية التي كانت تغذيها المفوضية الفرنسية والقوى المناهضة بالوحدة السورية. في اوج هذا التجاذب جرت زيارة لمسؤولين فرنسيين كبار (كان دي غول احدهم) للمنطقة وكانت زيارة المدرسة ضمن البرنامج الموضوع. كيف لا وهي مؤسسة فرنسية وان علمية وعلمانية. كان من المنتظر ان يكون استقبال الطلاب لهم حافلا واذ تقع المفاجأة الكبرى ويحدث الاستقبال الترحيبي ولكن بشكل تظاهرة للوحدة السورية وشجب الانفصال. وكان على رأس هذه التظاهرة الرفيق كمال نور الله يعاونه عبد الكريم الشيخ، ويكتور عرنوق وعيسى سلامه. بالامكان تصور الخيبة التي صدمت كبار الزائرين.

اما الموقف الحزبي فقد جاء ردة فعل لقرار من الادارة كانت تفكر باتخاذ ذلك لمنع النشاط الحزبي السياسي داخل حرم المدرسة. كانت ردة الفعل التهديد باعلان الاضراب ان هي اقدمت على ذلك وهنا اكفهر الجو واسقط في يد المدير الفرنسي. جاء من ينصحه او يشير عليه بان يستنجد بالحزب، بالادارة المركزية لحسم الخلاف وهكذا كان فانتدبت الادارة المركزية الرفيق جبران جريخ للتحقيق بالموضوع والقيام بالمساعي اللازمة لانهاء الخلاف.

كانت مهمة شاقة فاغلب الاساتذة رفقاء وهناك وحدة حزبية بيضت وجه الحزب بموقف سياسي مشرف، ثم هناك ادارة اجنبية علمانية تربوية يجب مراعاة ظروفها، حضر الرفيق جريخ الى طرطوس تمهيدا ثم حضر ثانية يصطحب معه رئيس مجلس العمدة نعمته ثابت وكان الحل النهائي الذي ارضى الجميع، بقي الطلاب القوميون الاجتماعيون على ولائهم الحزبي مع مراعاة المناخ الدراسي الذي يفيد الجميع، اساتذة وطلابا، وعدم تدخل الادارة بالشؤون السياسية فلا تخلط السياسة بالتربية او العكس بالعكس وانتهت السنة المدرسية على هذا الاساس.

ولكن في السنة الدراسية التالية 1937 - 1938 لم تتعاقد ادارة المدرسة مع الاستاذ الياس جرجي قنيزح كانها كانت تريد ان تقول «الان استطعت ان ادفعك الثمن عن الحزب كله».

على صعيد المدينة ومديرياتها فقد برز الرفيق احمد اسماعيل الذي انشهر بالاذاعة الشعبية والرفيق المحامي لطف الله اليازجي شقيق المنفذ العام بالوكالة وفي العمل النسائي انشهرت شقيقاته ايضا. ان افراد العائلة كلهم كانوا قوميين اجتماعيين.

وبمناسبة الحديث عن نشاط الرفيق احمد اسماعيل اروبي ما كتبه لي عن هذه الفترة: « بينما كنت في شارع الخراب واذ بجزمة زعران يفوق عددها المائة تهجم علي فما كان مني الا أن دخلت في بيت واختبأت فيه اسبوعا كاملاً والناس تسأل عني وتلح بالعثور علي وحادث ايضا بينا كنت عاقدا اجتماعا في بملكة واذ بالدرك وقائدهم والقائم مقام بياغتون الضبعة ويطلبون من مدير الحزب تسليمي لهم وهدد المدير قائد الدرك اذا لم يسلمني لهم سيهدونناق كل اهالي القرية وينزهم مقيدين الى طرطوس وكنت في تلك البرهة محتبئاً في بيت المدير (جميل الشريقي) فجاء المدير الي وقال لي سنضطر إلى تسليمك والا الحكومة ستزلنا جميعا والقيد في ايدينا اذا لم نسلمك وكان حاضرا ثلاث رفقاء من قضاء الخوابة فتأثر هؤلاء الرفاق وابوا تسليمي فعلقوا في وسطي حبلا وانزلوني من نافذة تطل على عراء خارجي ومنه انحدرنا في النزول الى النهر وثم صعدنا جبال قلعة الخوابة وقد بقيت انتقل في تلك القرى شهرا كاملا ابشر بمبادئ الحزب واخيرا عدت الى طرطوس بعد هدوء الغليان وارتدت ان ادخل الى بيتنا ويالهول ما رأيت. الناس اوغرت صدور اخوتي علي فسحبوا خناجرهم وهموا بقتلي حسب زعمهم تخلصا من العار الذي لحقهم بسبب دخولي الحزب وعندما طرحوني ارضا وهموا بقتلي خيمت فوقي امي وقالت اقتلونني انا وعندما راي اخوتي ما كان من امهم تركوني على شرط ان اترك الحزب ولا اعاشر المسيحيين فاضطريت تحت الضغط ان اعدهم لفظا بذلك. وبعدها وليت هاربا. والتجأت لعند شقيقتي آكل وانام عندها ولكن ما ان درت الناس بذلك حتى صارت تراقبني وتربص الفرص لتظفر بي حتى اضطريت ان آوي الى احد البساتين كمتشرد مطارد بعدها امر الحزب ان اتغيب بجولات اذاعية فذهبت برفقة عبد الكرم الشيخ والأمين الياس جرجي تنتقل سيرا على الاقدام من قرية الى قرية لنعقد اجتماعات ونفهم بماديء الحزب. وبعد غياب لا يقل عن شهر رجعنا الى طرطوس ونحن في عياء وفي نفس اليوم الذي رجعنا فيه الى طرطوس كانت المجتمعات في طرطوس تغلي غليانا احق علي وتفتش عني بجرارة فتوا قصدت القوميين واطلعتهم على الظرف المحموم الذي أنا فيه فجاء الامر من المنفذ ان اطلع حالا للقرى بجولة اذاعية كبيرة فاذعنت للامر وطلعت الى القرى اتغلغل في داخلها واتوغل في اقسامها والقرى التي كنت اقصدها سيرا على الاقدام على طرق وعرة المسالك انتقل من قرية الى قرية اعقد الاجتماعات وابشر وأبين واوضح فمن هذه القرى بديري، متن ابو ريا، صايا، دوير طه، السودا، بزاق، متن عرنوق وكثير من القرى التي لم يحضرني اسمها فيقتت شهرين تقريبا وانا انتقل من

قرية الى قرية سيرا على الاقدام اعقد الاجتماعات وانظم المديرية وبعدها عدت الى طرطوس وانا منظم 14 تقريراً عن رحلتي الاذاعية وضابطها حسب المطلوب مني. فزرت رفاقي والمنفذ لآخر بما اجرته في جولتي الاذاعية واذا بالمنفذ يأخذ الاوراق مني بلهفة وقلق ويقول حالا توارى عن الانظار لان اخوتك يفتشون عنك ليقتلوك وكثير من الزعران يشاركونهم في ذلك وللحال تلفن المنفذ الى المركز واعلم نعمة ثابت وجورج عبد المسيح بما يجري حولي من اخطار وعندما علم الزعيم بكل ما جرى لي امر بهجرتي الى البرازيل وكان الزعيم حينها متوار عن الانظار نظراً لإن الحكومة حينها كانت تطارد القوميين جميعاً وكان جورج عبد المسيح قد اجتمع اثنائها برفيق اسمه عزيز حديد المحامي فاقترح عزيز حديد سفري الى كوادلوب حيث له في هذه الجزيرة صديق ومن هناك اتوجه ان اردت الى البرازيل وزودني برسالة الى صديقه».

في صافيتا

من طرطوس الى صافيتا حيث العمل الحزبي يسير بانتظام انما لا بد من ذكر واقعتين، احدهما تتعلق بمصير الرفيق اديب طيار المنفذ العام السابق والثانية تتعلق بالموقف الانتخابي من منطقة «حزور» وهي جزء من قضاء صافيتا تضم قرى الكفرون والمشتى وسواها.

الواقعة الاولى هي انه لم تجد نفعا المساعي التي بذلت مع الرفيق اديب طيار أثناء وجوده في المركز باستدعاء رسمي فمع انه حضر عدة اجتماعات وندوات حزبية واخذ بعض الدروس الادارية ولكن كما قلت لم تحرز اي قبول لديه فتقرر نهائياً اقصاءه عن الحزب فصدر مرسوما بطرده.

حضرت مع رئيس مجلس العمدة عميد الداخلية نعمة ثابت الى صافيتا لتنفيذ القرار وتبليغه فعدنا لهذه الغاية اجتماعاً عاماً في منزل ناموس التنفيذية خليل طانيوس الذي كان يتسع لاجتماعات عامة من هذا النوع. انعقد الاجتماع الذي كان عامراً بالحضور. تكلم الرئيس ثابت عن الموضوع وعين الخيشتات وتلا كلمة مكتوبة كان قد اعدّها سلفاً. لم يتقدم احد بأي سؤال، كانت التلبية تامة كاملة وانتهى الامر على هذا الشكل الانضباطي الرائع.

اما الواقعة الثانية فقد جرت في كفرون «رفقه» (هناك عدة كفارين) فقد كنت برفقة رئيس مجلس العمدة عميد الداخلية نعمة ثابت لتبليغ الرفقاء القرار الحزبي المتخذ

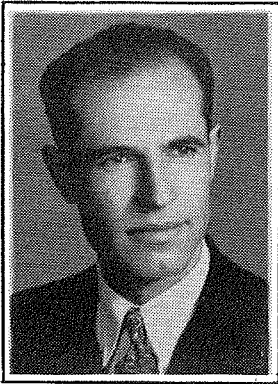
بشأن الانتخابات النيابية. كان القرار لصالح لائحة عزيز الهواش رئيس عشيرة المتاوراة المتحالف مع يوسف الحامد، رئيس عشيرة الحدادين ضد لائحة جابر العباس رئيس عشيرة الخياطين.

في الاجتماع الذي كان ينعقد للتبليغ انبرى احد الرفقاء ميشال سليم رفته - وهو غير الصيدي ميشال رفته - يعترض على هذا القرار ويعارض في التبليغ ويهدد باستعمال العنف، كان الرفيق المذكور يميل الى لائحة العباس لارتباطه بمصالح خصوصية معه يسانده في هذا الموقف المدير فائق نصار. وصلت به الحدة الى حد استدعاء الدرك يجرضهم علينا باعتبارنا لبنانيين نتدخل بأمر سورية داخلية.

طوق القوميون الاجتماعيون المذكور ولم يسمحوا له بالتأدي وقررنا الانتقال من الكفرون الى المشتي لاستكمال مهمة التبليغ. من الاعضاء النشيطين نعمان الصايغ، سلمى جبرين، وميكال ووديع الصايغ وطانيوس سعاد وغيابوس كوزاك، وفي المشتي الدكتور شفيق طعمه وجميل نعمة وولديه نبيه وجورج.

في تلكلخ

اما في تلكلخ فالامور سائرة على مايرام، ان في الحصنين الشرقي والغربي او في تلكلخ بالذات. وكان الحزب قد امتد حتى ناحية «شين» في اقصى حدود القضاء المذكور. كان لولب النشاط الحزبي في الحصن الغربي ناموس التنفيذية انطون سلامه.



انطون سلامة

الوضع السياسي المحلي

في اللاذقية لا منافس لعبد القادر شريتح يدعمه اسعد هارون ليكون البديل عنه عند الحاجة. في بانياس تحزب محلي بين عائلة الخدام وعائلة عثمان، في طرطوس، تحزب محلي بين عائلة عبد الرزاق وعائلة المحمود، في صافيتا، مركز العشائر، كان التنافس كما ذكرت آنفا، وبعد فشل عزيز الهواش، رئيس عشيرة المتاوردة صدر مرسوم بتعيينه محافظا لحوران، من قبيل المكافأة والاسترضاء اما في تلكلخ فقصة الانتخابات معروفة بانجاح المرشح الياس الجرجس وفشل الدكتور الياس عبيد. نجح الياس الجرجس بصوت مندوب واحد حصل عليه عزيز حديد باسلوب خاص. كان الانتخاب على درجتين.



شكري ديب (بانياس)

في لبنان الشمالي

في عكار

من تلكلخ نعبير الى عكار حيث الحزب ما يزال يجبو الا في مديرية الحاكور وفرع بينو الناشئ وهنا وهناك بعض الاعضاء الفرادي من امثال معين عبد الكرم الطالب في كلية الارشاد والتعليم في طرابلس، الذي يتمتع بمنزلة اجتماعية مرموقة. كانت الفروع الحزبية في عكار تابعة لمنفذية طرابلس ومن النشيطين في هذا الميدان، ميدان عكار الرفيق اكرم صوفي من طرابلس.

من الوجهة السياسية برز الى الميدان بروزا خجولا بشير عثمان الذي كان الرفقاء المحيطون به، ان في طرابلس او في عكار، يحاولون جهدهم تشجيعه ليتبوأ مركزا اجتماعيا تقدما ولكن دون جدوى في ذلك الحين كذلك كان لعصبة العمل القومي فرع بقيادة المحامي شوقي دندشي.

زغرتا - الزاوية

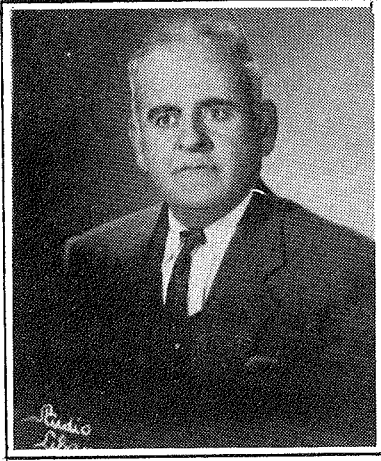
ومن عكار الى زغرتا - الزاوية والجرد. ففي زغرتا اصيبت المديرية بنكسة عندما اعتقل مديرها حميد كرم لبضع ساعات (يقال انه افرح عنه بضغط من الديمان) وكان قبل الاعتقال يتعرض لضغوط اكليركية متنوعة. ولكن المديرية لم تحل بل بقيت مستمرة وذلك بتعيين مدير جديد لها هو الرفيق يوسف ابو ديب المحامي.

كان الحزب قد انتشر افراديا في بعض قرى الجرد فمثلا دخل عضوان من عائلة فخري من بشري بمساهمة وحضور الرفيق الشاعر سعيد عقل الذي صادفت وجوده في طرابلس عند عملية الادخال التي تمت في منزل المنفذ العام مصطفى المقدم.

هنري كرم من حصرون وسليم بوجود من بريسات بالرغم من وجود فرع « للوحدة اللبنانية » الذي كان يرأسه توفيق عواد.

في الكورة

اما في الكورة فالحالة ما تزال على ما كانت عليه من الخماس والاندفاع بخاصة بعد زيارة الزعيم لها. من ابرز مظاهر هذا الخماس والاندفاع انشاء مديرية خاصة في كفرحاتا - الكورة (منطقة القويطع) من الذين تجاوز عمرهم الحد المسموح به للانتماء الى الحزب، من ابرزهم الياس صوايا، فارس قيصر وقيصر معتوق. وفي بتعبوره برز الى الميدان، ميدان المحبذين امثال يوسف بربر، نخول بربر، الياس فياض والياس خليل.



فارس قيصر

وكذلك من حيث النشاطات ارى من الضرورة ذكر الاضراب الذي حصل في شركة شكا للاسمنت الذي كان الاول من نوعه تتعرض له الشركة المذكورة منذ تأسيسها. لم يكن الاضراب صادرا عن قرار حزبي. كان القرار صادرا عن النقابة او الجمعية التي كانت تضم عمال الشركة على مختلف اختصاصاتهم، ان مكتبية او فنية او عمالية عادية. كان في المجلس هيمنة حزبية، اي انه كان للحزب عدد من الاعضاء المسموعي الكلمة. لم اعد اذكر بالتام المطالب التي تقدمت بها الجمعية ورفضتها الشركة انما اذكر انها كانت تشمل الاجور بصورة رئيسية، عملية التوظيف، مشكلة المطعم الذي كانت قد انشأته الشركة، الخ...

دام الاضراب عدة ايام وحصل هيجان كبير وتدخلات كثيرة لانهائه لصالح

الشركة ولكن صمود المضربين ادى بالنتيجة الى مكتسبات عديدة رضي المضربون بها. كان بولس شخوره من المتدخلين وقد كان له الاثر الكبير في النجاح بتوجيهاته الحكيمة

انتهى الاضراب، كانت الشركة اثناء الاضراب قد استغنت عن خدمات بعض قادة الاضراب منهم الرفيقان وهيب عوده من انفه و خليل داغر من صيد، من الاختصاصيين في الحريق على الفرن. وعندما انتهى الاضراب لم يعودوا الى العمل. كانا كبش المحرقة، لا بأس في هذه التضحية في سبيل المجموع.

بالمناسبة اذكر انه كان قد تم وضع منشور لتأييد هذا الاضراب وصادف اقامة حفلة زجلية في احد مقاهي شكا. كان الرفيق ويليم صعب والرفيق يوسف حاتم الزجالين الرئيسيين في الحفلة فاستغل المسؤول الحزبي وكان يومئذ الرفيق جبران جريج هذه المصادفة فاتفق مع الرفيقيين على توزيع المنشور عند الخروج من القاعة عند انتهاء الحفلة وهياً للتوزيع فريقاً من القوميين الاجتماعيين للقيام بهذه المهمة فتمت العملية على احسن ما يرام فقد الهى الزجلان رجال الدرك عند نهاية الحفلة باحاديث شتى بينما كان القوميون الاجتماعيون يوزعون المنشور عند الباب وعندما تنبهت دورية الدرك لأمر التوزيع كان الرفقاء قد اختفوا فجأة كما كانوا قد ظهوروا بشكل مفاجيء ايضا.



يوسف حاتم

وفد قومي يطالب

ورد في جريدة « النهضة » العدد 25 تاريخ 11 تشرين الثاني 1937 الخبر التالي:
« عالج الكاتب الاقتصادي، تحت رأي النهضة، في عدد سابق، قضية الغاء الملاحات على الشواطئ البحرية في البلاد، وقال ان هذا الالغاء يجبر على الوف اللبنانيين، الشقاء والفقر والتعاسة. وطالب الحكومة ان تعدل عن تدبيرها هذا وتشجع القسامين باستخراج الملح في لبنان، لانه مورد قومي جيد، يعود على مئات العائلات اللبنانية بالرخاء والبجوحة لاسما بعد ان قضي على الموارد الاخرى التي كانوا يعتاشون منها، كالدخان والتوت.

ويظهر ان هذه الكلمة قد لاقت صدى استحسان وتقدير من عموم افراد الشعب خصوصا من الملاحين على شواطئ لبنان، فحضر الى مكتب « النهضة » وفد من قرية « انفه » الكورة مؤلف من السادة الزميل جبر جوهر، وهيب عوده وتوفيق عوده، والسادة المذكورون هم من خيرة شباب انقه الغيورين على مصلحة ابنائها.

وقد اخبرنا هذا الوفد الكريم انهم قابلوا ولاة الامر وشرحوا لهم الاضرار التي تصيب اهالي الشواطئ من منع استخراج الملح لان المنع معناه القضاء على الوف من اللبنانيين واللبنانيات. وقد صرحوا الى ارباب الحل والربط انه اذا كانت الحكومة تريد ان تحافظ على المبالغ التي تقبضها من احتكار الملح، فان الاهالي مستعدون ان يدفعوا رسوما على الملح الذي يستخرجونه. وبذلك يستفيد الشعب وتستفيد الحكومة ايضا في الوقت نفسه. وقد وعدهم حضرة وزير المالية بدرس الموضوع بالتدقيق وببذل جهده لاجل انصاف الاهالي من هذه الجهة.

ولما سألنا الوفد عن الارياح التي يجنيها الملاحون قالوا ان في « انفه » وحدها يستخرج الملاحون خمسة آلاف قنطار في السنة بسعر القنطار الواحد ثمانية ليرات سورية.

« والنهضة » التي اخذت على عاتقها مناصرة عموم افراد الشعب والسهر على مصالحهم وحقوقهم، تتقدم من المسؤولين في حكومة لبنان، للاسراع في انصاف المرتزقين من ابناء هذا الشعب الذي عملت الضائقة المالية والضربات الاقتصادية على اذلاله وتفقره، كما اننا نتقدم من المسؤولين ايضا ان يشجعوا مثل هذه الانتاجات القومية ويقدموا للمنتجين الوطنيين كل ضمانه وتسهيل.

★ ويجدر بنا ان نذكر ان هذا الوفد كان قد اذاع بيانا فيما بعد يهاجم فيه احتكار الملح بتاريخ 8 تشرين الثاني 1937 .

من النشاطات ايضا نشاطات المدارس الخاصة المنتشرة كما سبق ومر معنا . اخص بالذكر المدرسة العلمانية التي كان قد اسسها المغترب في المكسيك يعقوب سمعان ، في عابا ، والتي كان يديرها المنفذ العام الرفيق جورج ابراهيم عبد الله الذي اقام في نهاية السنة الدراسية حفلة خطابية حضرها جمهور كبير من الاهالي واهل الطلبة ملاً ساحتها الكبيرة الرحبة . كان خطيب الحفلة الرفيق جبران جريج .

وسجلت مديرية بيترومين عملا عمرانيا وذلك ان جعلت طريق « العقبة » الواصلة الضيعة بطريق دذه - فبع عند منطقة « المصنع » صالحة لسير السيارات عليها . هندسها الرفيق جورج حريكه ونفذت المديرية الخطة بواسطة اعضائها بانفسهم . فكانوا يتجمعون كل يوم في مكان معين وينطلقون منه للعمل ، كل حسبما يكلف . هذا بمعول وذاك برفش وذلك بدك لغم . الخ... كان المشرف على هذا العمل محصل المديرية الرفيق موسى اسعد منصور ، وكان مدير المديرية انور القطريب .

اصبحت مديرية اميون مديريتين . الفوقى والبياض ، مدير الاولي هنري صليبا ومدير الثانية جورج عبود يزيك . وفي المجال الادبي برز شاعر جديد في كوسبا عبد الله شجاده . ومن ابرز اجتماعات الكورة كان اجتمع وادي هاب الذي ضم اكثر من مئتي عضو ولا يزال يذكر قدامى الرفقاء تلك الحادثة الطريفة التي وقعت عند خنامه اذ سقط العضو رباح الدمعه من مديرية انفه عن علو شاهق ولم يصب بأذى مما اضى على الاجتماع جوا من التفاؤل والفرح والانشرح .

البترون

واخيرا قبل التحدث عن طرابلس نخرج على البترون حيث مديره دوما ناشطة . مديرها وديع حداد ، استاذ المدرسة الدمث الاخلاق وحيث بعض الاعضاء الفرادى ، في كفر حلدا ، كفور العربي ، وتورين ، ثم هبوطا الى الساحل ، الى البترون ، المدينة

حيث سجلت السلطة بشخص ضابط الدرك الدويهي موقفا عدائيا ضد كل ما يسمى « قومية اجتماعيا » ان حقا او باطلا . فمثلا اعتقل فؤاد بربر، الموظف في شركة الريجي بسبب وشاية تلقفها الضابط المذكور واحاله الى طرابلس للتحقيق بعد ان قضى ليلة في حبس السراي . تبين التلفيق عند المدعي العام العادل سليم ابو اسماعيل الذي امر باخلاء سبيله على الفور .

كذلك ، على سبيل المثال ، حاول الضابط المذكور اهانة فؤاد بربر المذكور لانه تلفظ بكلمة « ليرة سورية » اثناء حديث عادي جرى امامه ولم تكن لفظة « ليرة سورية » للدعاية ولم تكن لبأية صلة للحزب ولكن هي العصبية الحقودة البست هذه اللفظة اللباس الحزبي حجة للتحرش وافتعال الحوادث . ولم يكن لليرة اللبنانية وجود في تلك الايام بل كانت ليرة سورية نقدا وعدا .

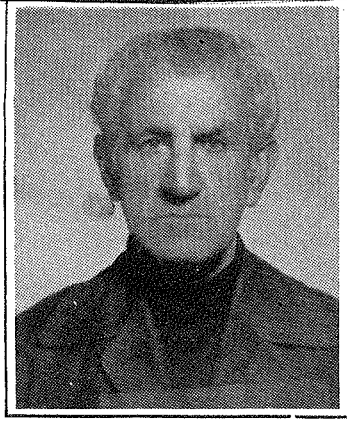
كم تبدو هذه الحوادث وان بعد مرور تسع واربعين سنة عليها ، كأنها تجري اليوم على الساحة اللبنانية وكم تدل على العقلية التي كانت سائدة حينئذ وما تزال .

من ناحية اخرى ، برز عضو من اعضاء مديرية حمامات التابعة لبلاد البترون في ميدان الفن وبالضبط فن الرسم . كان طالبا في ايتاليا . هو الرفيق مكاروف فاضل . وفي دوما البترون كان المحامي نقولا خير يعمل في الحقل السياسي باسم « عصابة العمل القومي » .

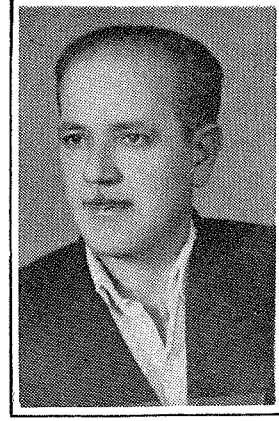
في طرابلس

والان نأتي الى مدينة طرابلس الشام ، عاصمة الشمال حيث كانت الاعمال السياسية قد هدأت نسبيا بعد سنة صاخبة مليئة بالمظاهرات والاحتجاجات والاضرابات التي شارك فيها الحزب بقسط وافر والتي بقيت ذيوها تتفاعل على الصعيد العدلي . فبعد بيان المنفذ العام مصطفى المقدم الموجه ضد تصريح البطريك الماروني عريضة القائل « بابقاء فرنسا في بلادنا 99 سنة تتجدد تلقائيا » والذي اعتقل بسببه الرفقاء سليم صافي ، محمود بيان وراتب صالح ، بعد البيان جاء دور المحاكمة فتعين موعدا لها في 12 تشرين الثاني .

اما الاحالة الثانية الى المحكمة فكانت من نصيب الرفقاء عبد الله ايوب ، اسمعان غنمه ، من دوما ، واحمد المصري بسبب توزيع منشور ، تمت الاحالة بعد التوقيف خمسة ايام قضوها بالاضراب عن الطعام وصدر الحكم بمدة توازي الخمسة ايام وفيما يلي



عبدالله ايوب



راتب صالح

بعض التفاصيل عن هذه الواقعة بقلم الرفيق عبد الله ايوب: « كانت كل طلباتنا ترفض من قبل النيابة العامة فاعلنا الاضراب عن الطعام الى ان تستجيب مطالبنا باطلاق سراحنا. كان يوم الاعلان يوم الجمعة وكانت الدوائر مغلقة. اثناء الليل جاءنا مدير السجن وطلب منا فك الاضراب تحت طائلة العقاب. كنا في غرفة منفردة. هددنا بالضرب واخذ يوجه الينا الاهدانات فرحت اصرخ واملأ الليل البهيم بالعويل حتى قامت قيامة باقي المساجين فعلا صراخها وشتائمها. دامت تلك الحالة حتى الصباح والسجن في هيجان لاننا نحن طلاب مدارس وسياسيين فلا يجوز معاملتنا بهذا الشكل، خصوصا اننا كنا خلال هذه الايام الخمسة نوزع عليهم الدخان وبعض المأكولات ونشرح لهم قضية الحزب والبلاد مما كون لنا رصيذا شعبيا لديهم.

في الصباح الباكر طلبنا محافظ الشمال، سليم تقلا، وطلب منا فك الاضراب وان النائب العام لا يحضر حتى يوم الاثنين، ثم سألنا عن وضع السجن فاحلته للجواب على اي سجين من السجناء او رئيس مخفر السجن لأن كرامتنا لا تسمح لنا بالقول عما جرى معنا من سوء المعاملة ونحن في حى الامن.

لا اعلم اذا كان سليم تقلا غيورا على سمعة الحرية من ان تهان في حصنها، لانه اخذ يضرب الطاولة بيده ويقول: « هذا لا يجوز انتم لستم سجناء عاديين » واستدعى مدير السجن وامر باعادتنا الى السجن وهو يقول لنا: « اذهبوا انتم الان، وانا ادبر لكم الامر. لا يجوز ان تخرجوا من السجن وانتم من دون اكل في حالة اضراب ».

رجعنا الى غرفتنا ثم علمنا ان المحافظ لم يطلب مدير السجن ولا احدا من السجناء



المحافظ سليم تقيلا

لمعرفة الاسباب لانه كان على علم بالخبر. عند الظهر جاءنا طبق من الاكل عليه كل ما تشتهي نفس الجوعان مقدا من حضرة المحافظ نفسه، طلبنا من الحارس ان يضع الطبق على الارض وان يخبر المحافظ ان هذا الطعام لن تمسه ايدينا حتى يتم اخلاء سبيلنا مهما طال المقام لندلل على اننا نستمد من اضرابنا قوة لنيل مطلبنا الحق.

غادرنا الحارس وترك الطبق امامنا وعند المساء جاءنا المحاميان الرفيقان مصطفي الذوق وروبير خلاط وطلبا منا فك الاضراب بناء على وعد المحافظ وخصوصا وان رفيقنا سمعان غنمه كان يعاني من مرض في احشائه وكان يرفض تناول اي دواء او الذهاب الى المستشفى للمعالجة. كان جوابنا الرفض التام مع ابقاء طبق الارض في الغرفة الى ان كان يوم الاثنين عند الساعة العاشرة نادانا حارس السجن فخرجنا لنجد الرفيق المحامي روبر خلاط يحمل معه امرا باطلاق سراحنا فودعنا المساجين وشكرناهم على موقفهم.

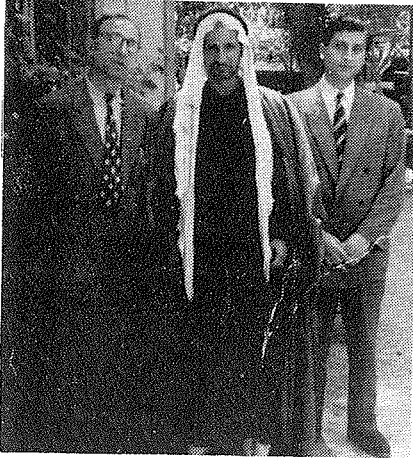
قال لنا الرفيق خلاط ان المحافظ يريدنا فذهبنا معه. واستقبلنا المحافظ بوجه بشوش وطلب لنا فنجان شاي وقال لنا «انتم شباب في مقتبل العمر، حرام تتعودوا على السجن، ان شاء الله لأراكم بعد اليوم هنا في مثل هذه الاحوال»، اجبته عن رفيقي «اني احلف لك بشرفي القومي باني لن ادخل السجن في قضايا عادية الا في قضايا عامة، قضايا الوطن والبلاد». قال «اذن، سأراك كثيراً» قلت: «ان شاء الله»...

قبل خروجنا شكرته على حسن ضيافته ولكن لانريدها في السجن فدعانا ونحن الآن خارج السجن الى ضيافته في منزله وهكذا كان.

للمعلومات كان رئيس المحكمة الذي حكم عليهم بالسجن خمسة ايام القاضي
حازم ذوق.

الدعاية الشعبية

كما كان الرفيق يوسف ديب، صافيتا، مسؤولا عن الدعاية الشعبية في منطقة
صافيتا الواسعة الارحاء كذلك صار لطرابلس مكتب او لجنة للدعاية الشعبية عين
الرفيق احمد زكي الافيويني مديرا لها، لكنها انتهت كما انتهت مثلتها قبلها الى الفتور
فالجمود، ثم الحل ولكن اللجنة الشعبية في طرابلس تركت اثرا غير مستحب في المحيط
القومي في لبنان الشمالي مما رتب ذيولا غير مستحبة ايضا على الصعيد الشخصي بالنسبة
للرفيق افيويني مما ادت الى طرده من الحزب ثم الى اصطدام عنيف مع احد القوميين
الاجتماعيين هو الرفيق سميح فصيباتي مما تسبب في اقامة دعوى.



احمد زكي الافيويني

كان لانتفاء الافيويني الى الحزب قصة طويلة نختصرها في هذه الاسطر القليلة المنقولة
عن تقرير له مرفوع الى منفذية طرابلس: « لما ظهر الحزب واعلنت مبادئه كنت اول
من ناصرته وايدته ودافع عنه دفاعا شديدا صادقا. وابلغت بعض شباب الحزب شفها،
غير مرة، رغبتى بالانتفاء الى الحزب، فأجبت بالرفض، واي رفض، لقد كان رفضا
باتا حافلا بالتهم والمحاذير والمخاوف. سجت بسبب الاضراب في طرابلس خمسين
يوماً، وفي اثناء سجنى. تعرفت الى حضرة الزعيم واجتمعت به مرارا وكان اجتماعنا
وتعارفنا هذا واحاديثنا، سببا قوياً لازدياد ثقتي بالحزب، وحاستي له وللعمل القومي
الذي باشره ووضع اساسه ورفع راية النضال من اجله. خرجت من السجن، وعدت الى

طرابلس وعلى الاثر اخذت الاقي لأول مرة شيئا من العطف والمجاملة من شباب الحزب في طرابلس.

بعد اطلاق سراح الزعيم من السجن تقرر قبولي في الحزب باشارة من الزعيم، دخلت السجن لاجل رسوم المحاكمة التي علي من دعوى الاضراب، وفي اثناء وجودي بالسجن التقيت بالرفقاء خالد اديب، فريد دايه، من زغرنا، جورج شماعه، من دمشق ثم حضر فريق كبير من الرفقاء من طرابلس والكورة وعكار. رافقتهم جميعا في السجن، ورأوا بأمر اعينهم ما هو سلوكي في السجن من جميع النواحي سواء الناحية الحزبية والسياسية والادبية والثورية.»

والان نعود الى الذبول غير المستحبة فهي تنحصر بانتقاداته المتوالية للادارة الحزبية ان من الناحية السياسية او الادارية التي ما كانت تهدأ حتى تعود الى سيرتها الرتيبة مما أدى الى الاستغناء عن خدماته ثم فصله فطرده فالاصطدام العنيف. اوقف الرفيق سميح قصبياي بتهمة محاولة الاغتيال مشركا معه حضرة الزعيم ورئيس مجلس العمدة الرفيق نعمه ثابت والعميد انيس فاخوري والمنفذ العام مصطفى المقدم. كما القي القبض بعد الحادث على الرفيق طانيوس حنا رسم بالتهم نفسها.

محاكمات

التأمت محكمة الصلح في طرابلس في 15 تشرين الاول للنظر في الدعوى المقامة من احمد زكي الافيوني المار ذكرها في الحلقة السابقة. وعن جريدة النهضة العدد 3 تاريخ 16 تشرين الاول انقل مايلي: «تكلم الافيوني في ابتداء المحاكمة متهما الحزب بالتآمر عليه. وشهد شهوده فكانت كل شهادة مناقضة للاخرى.

وقد كان الاستاذان الدكتور ميشال بولس والاستاذ عزيز حديد محامي الدفاع. فدافع كل منهما مدافعة متينة اثبتا فيها افتراء المدعي، وبراءة الحزب من القضية. وان القضية لا تتعدى كونها شخصية بين المدعي والسيد سميح قصبياي. ثم استشهد الاستاذان بوقائع الحادثة فاثبتا ان السيد قصبياي انما ضرب الافيوني دفاعا عن نفسه بعد ان بدأ الاعتداء الافيوني نفسه.

كان الاستاذ قصبياي قد اقام دعوى قدح وذم على الافيوني الذي هاجمه في جريدته. لذلك لم تتمكن محكمة الصلح من البت في الدعوى لأن القضية اصبحت

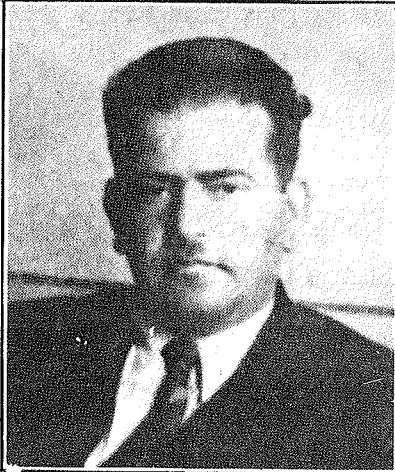
متعلقة بالمحكمة البدائية فاعلن رئيس المحكمة احالة الدعويين الى محكمة البداية».

وفي التاسع من تشرين الثاني احيلت الاوراق الى النيابة العامة التي اصدرت قرارا بمنع محاكمتهم لعدم ثبوت الادلة عليهم معتبرة الحادث بين السيد قصيباتي والافيويني حادثا عاديا.

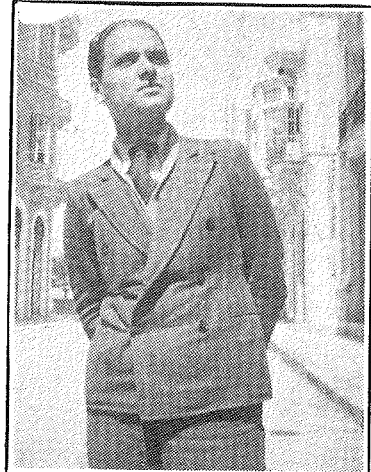
كما ان جريدة « النهضة » طالبت المحكمة باخلاء سبيل الرفيق قصيباتي « قد مر على توقيف السيد قصيباتي اربعين يوما تقدم خلالها ثلاث مرات بطلب اخلاء سبيله، ولكن من الغريب ان لا يجب طلبه رغم انه قد ثبت ان الحادث عادي وقد ايدت النيابة العامة ذلك بقرارها منع المحاكمة. فنحن نسأل حضرة مستنطق طرابلس عن الاسباب التي تدعو للاحتفاظ بالمذكور بالسجن طالما ان التهمة من نوع الجنحة البسيطة التي لا تستوجب السجن اكثر من اسبوع او اسبوعين... فنلفت نظر حضرة المستنطق الى هذه القضية آمليين ان لا يضطر الى تذكيره مرة ثانية».

محاكمة مصطفى المقدم

جاء في جريدة « النهضة » العدد 24 تاريخ 10 تشرين الثاني 1937 مايلى: « كان قد اذيع منشور على الرأي العام منذ مدة بعيدة جدا تحت اسم مصطفى خالد المقدم جاء فيه عن ملاحقة الحكومة لبعض افراد الحزب السوري القومي واحتج على تصرفاتها



مصطفى المقدم



اكرم الصوي

القاسية واساليبها الشديدة معهم، ومعاملة افراد الدرك لهم بخشونة وعنف، وفند الاسباب التي تتذرع بها الحكومة لتبرير هذه التصرفات. ويظهر ان الحكومة اعتبرت

ان المنشور المذكور مخل بالامن العام ومعكر للنظام - مع انه لم يحدث شيء من ذلك - فاحالت السيد مصطفى الى القضاء وقد اجتمعت محكمة بداية الجزاء ونظرت في هذه الدعوى وصدقت الحكم الغيائي الصادر بحق المذكور القاضي بالسجن شهرين وخمسين ليرة سورية جزاء نقدياً».

محاكمة مئة قومي اجتماعي

جاء في جريدة « النهضة » العدد 24 تاريخ 10 تشرين الثاني: مايلي: « كان قد ارسل فريق من السوريين القوميين في اثناء موجة الارهاب الاخيرة التي استهدفت الحزب السوري القومي، عريضة الى فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية يمتحنون فيها على ما صبته الحكومة على رفقاتهم من اضطهاد وتشريد وسجن وتعذيب ويستنكرون خنق حرية الرأي، ومطاردة حرية الفكر، ويعلنون استعدادهم لمشاركة اخوانهم في ما يخطر عليهم ويتعرضون له من اضطهاد وارهاق بسبب عقيدتهم القومية ويظهرون استعدادهم للمساهمة في التضحية معهم.

وكان اولي الامر رأوا في هذه العريضة فرصة لاضطهاد من لم تسمح لهم الظروف باضطهادهم، فاحالوا موقعي العريضة المذكورة الى القضاء بتهم اهانة وتحقير هبة الحكومة، ولما كان السجن في طرابلس يضيق عن استيعاب جميع موقعي العريضة، اكتفى حضرة المستنطق باستدعائهم واستجوابهم عن التهم المنسوبة اليهم.

وقد ظننا وطن الناس انها وقفت عند حد الارهاب ولكنها لم تنته على ما يظهر، فقد تبلغ في هذا الاسبوع جميع موقعي العريضة المذكورة مذكرات بأحالتهم الى المحاكمة وتعين يوم السبت في العشرين من الشهر الحالي موعدا لمحاكمتهم».

ولاول مرة في تاريخ القضاء في هذه البلاد يقدم الى المحاكمة مثل هذا العدد الكبير الذي يناهز المئة شخص وثلث هذه التهمة. وللتوضيح كان قد قرأ القوميين على توقيع هذه العريضة ورفعها الى السلطات بدل التظاهر امام المخافر او السرايات وذلك لتعذر قيامهم بذلك.

رفع طلب ملاحقة وسجن ليلة

بالرغم من اني كنت خلال الاعتقال الثالث على اثر اجتماع بكفيا، في منطقة محافظة اللاذقية فقد صدرت مذكرة القاء قبض علي في شبلي لبنان وذلك على ما يبدو على اثر النشاطات المحلية السابقة، ان في زغرنا - الزاوية ومعني المنفذ العام مصطفى المقدم او

الى دوما - البترون ومعني ناموس المنفذية سعد الله اديب او الى القلمون التي كان يناوئنا فيها الشيخ عاصم دون اي مبرر الا اللهم نفوذه المحلي ومعني احد النظار او بحضور الاجتماعات العديدة في المديریات في المدينة وفي الاسكله .

على كل حال ، المهم في الامر انه عندما انتهت ازمة الاعتقال الثالث في شهر ايار ، علمت بوجود المذكرة الطيبة الذكر فقررت وجوب الحضور من بيروت ، حيث كنت اصبحت مسؤولا في عمدة المالية ، الى طرابلس لانهاء الموضوع الذي لم يكن ليحتاج سوى الحضور لدى النيابة العامة لتحرير مذكرة « رفع الطلب » .

جئت الى طرابلس وذهبت توا الى سرايا وتوجهت الى مكتب النائب العام فلم اجده واخبرت انه لن يحضر بعد الان فقلت راجعا ادراجي وتمشيت قليلا في الشوارع دون مبالاة او اكتراث للمذكرة المطلوب بموجبها باعتبار ان مدتها ولت . كان ذلك سوء تقدير من قبلي او قلة خبرة اذ اني دفعت ثمن ذلك ان تنبه لوجودي في المدينة رجال الامن فما كان منهم الا ان قطعوا على الطريق وانا في اتجاه بيروت في سيارة عمومية يرافقتي فيها العميد انيس فاخوري .

اوقفوا السيارة في محلة « باب الرمل » احد اطراف المدينة لجهة بيروت ، وطلبوا مني النزول من السيارة ومرافقتهم الى دائرة الامن العام . حاولت تجنب المأزق بتمسكي بهويتي التي تعرف عني باسم جبران قبرصي بينما المذكرة تحمل اسم جبران جريج فلم تنفع هذه الحيلة اذ انهم اصرروا على اقتيادي الى الدائرة وهناك ابرهن صحة المذكرة او صحة الهوية ولدى ذلك الاصرار لم اجد مندوحة من الامتثال . اكمل العميد فاخوري طريقه وانا اكملت طريقي الى الدائرة .

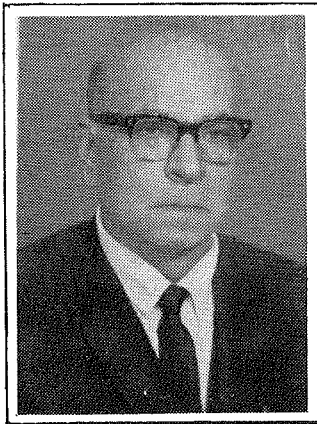
جرت مخابرات بين رجال الامن والنيابة العامة فكانت النتيجة ان وردت التعليمات بايداعي السجن . كنت في هذه الفترة قد اتصلت بالرفيق امين مجذوب فقام بمسعى من جانبه مع النائب العام الذي نصح بعدم اثارة صحة الاسم لأن التحقق من هذه الصحة يحتاج الى اكثر من يوم بينما رفع الطلب لا يحتاج الى اكثر من مبيت ليلة وهو سيوصي بان اعامل معاملة خاصة وهكذا كان فبت تلك الليلة في السجن بينما المفروض ان ابيت في النظارة وما ادرك ما النظارة باوساخها وكرومها !! كان المدعي العام اسعد الشمالي . كان صديقا للحزب (هو والد الرفيق فؤاد الشمالي) .

ادخلت الى احدي غرف السجن ، انظفها ، بصفتي ضيفا الى ان كان اليوم التالي فنقلت الى النظارة حيث قضيت عدة ساعات انتهت فيها معاملة رفع الطلب .

كانت هذه هي المرة الاولى التي ادخل فيها السجن، كانت ليلة حافلة بالمفاجآت تعرفت فيها على امور لم تكن لتخطر لي في بال وقد سجلتها في كتاب اهيته تحت اسم «ابن حبوس». ما اعظم الفرق بين زياراتي الكثيرة لرفقائي السجناء ان في طرابلس او في بيروت او في بعدا والسماح منهم عن حياتهم السجنية وبين وجودي شخصيا في السجن!! لن انسى ذلك السجن من «دير عمار» الذي قدم لي فراشه ولا السجن شاكر الايوي من «النخلة» الكورة، الذي ورد ذكر جريمته في حلقة سابقة عندما اجريت المصالحة بين الطرفين وانهيت خصومة الدم. هذا السجن الذي كان يعمل حلاقا في السجن فسحبني الى دكانه منذ الصباح الباكر، محتارا كيف يظهر احترامه وتقديره لي.

الوضع الحزبي

كان الوضع الحزبي في مدينة طرابلس وضعاً ممتازا ان على الصعيد الداخلي البحت او على الصعيد السياسي. على الصعيد الداخلي تمت المديرات بشكل ملحوظ فهناك نشاطات عديدة اذكر منها المذيع الشعبي الرفيق ابراهيم الشامي، ومن الاعضاء امثال هارون صالح، عزمي بارودي، ممدوح سبيتي، عزمي ذوق وصار للمنفيذية مديريةية في منطقة «التل» مديرها الرفيق عبد القادر منلا. كان بين اعضائها عدد من محرري الصحف واصحاب الصحف، المحررون من امثال محمود الادهمي ورهيف الحاج ومن اصحاب الصحف جبر جوهر، صاحب جريدة «الرائد» كما مر بنا والرفيق سميح القصير صاحب جريدة «الشباب».



هارون صالح



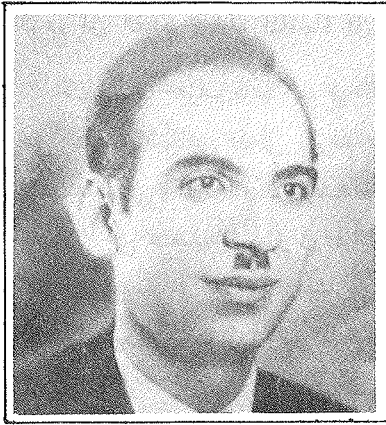
ابراهيم الشامي



رهيف الحاج



محمود الادهمي



سميح القصاص



جبر جومر

من الوجة الاذاعية كانت خدمات هؤلاء الرفقاء لاتخصي بخاصة جريدة الرائد التي كادت تكون جريدة للمركز فقد نشر بواسطتها مذكرات وبيانات ومقالات كثيرة. وصلت ضخامة القوة الاذاعية حد تقديم مشروع بانشاء شراكة صحفية بينها ينضم اليها صديق الحزب ياسر الادهمي بجريدته « اخر الاخبار ».

هذا من جهة ومن جهة اخرى يذكر الرفقاء القدامى في طرابلس فضل مقهى التل « الفوقاني » بمنظره الجميلة وخضاره المؤنس حيث كانت تعقد الحلقات والندوات، مواضيعها احداث الساعة الحزبية او العامة، دون رقيب اذ ان رجال الامن ما كانوا يتجرون الحضور الى ذلك المقهى لاصطباغه بالصبغة الحزبية فيصبح وجودهم مكشوفاً !!!

على الصعيد السياسي كان وجود الحزب السوري القومي الاجتماعي واستمراره في

العمل مشجعا للشباب كي يعملوا في الحقل السياسي حتى ان عبد الحميد كرامي نظم مرديده بجزب سماه «الشباب الوطني» وتألف ايضا حزب او سمي حزبا هو «عصبة الاتحاد العربي» برئاسة المحامي سالم كبارة كما انه لا يجوز ان نغفل وجود الحزب الشيوعي بخاصة في اسكلة طرابلس، المينا. كانت تألفت لجنة من ممثلي هذه الاحزاب امثال شوقي دندشي عن عصبة العمل القومي وسالم كبارة وعن الحزب سعد الله اديب بغياب المنفذ العام مصطفى المقدم، وقد انضمت اليها اللجنة الشعبية وكان ممثلها محمد علي الضناوي. وكان ممثل الشباب الوطني فايز مغربي. سميت هذه اللجنة «الكتلة المتحدة»، كان لهذه اللجنة وجود فاعل على صعيد الاضراب ثم على صعيد ابرام المعاهدة اللبنانية - الفرنسية ومسألة ضم الاقضية الاربعة الى الوحدة السورية مما دعا الزعيم الى القيام بزيارته المفاجأة الى طرابلس كما مر بنا .

اذن، كان الحزب فاعلا ان في تسلم قيادة الامن او التموين، كان له وجود بارز على الصعيد السياسي المحلي بالرغم من زعامة عبد الحميد كرامي الذي وجه بدوره «شبابه الوطني» الى عدم الاصطدام بالحزب. كان الشباب الوطني بقيادة تحسين السمين. على صعيد اخر برز في طرابلس على جانب عبد الحميد كرامي الدكتور عبد اللطيف البيسار في الامور والمشاريع المحلية واصبح مع عبد الحميد كرامي ثنائيا طرابلسيا يعملان بتعاون وثيق لما فيه مصلحة المدينة العمرانية التي تمثلت بجزر الميابة الى المدينة.



عبد اللطيف البيسار



عبد الحميد كرامة

هذا بحث مكثف للوضع السياسي في طرابلس في هذه الفترة الهادئة التي نختم فيها

السنة الحزبية الخامسة. خلاصته ان عبد الحميد كرامي لم يعد وحده في الميدان وان كان ما يزال هو الاقوى الذي لا يبارى.

تسجيل موقف مبدئي

وتكتل بعض الاعضاء في منفذية طرابلس من ظنوا انهم قادرون على القيام باعلان عصيانهم على الحزب. كان عددهم خمسة عشر على رأسهم ناظر الاذاعة المحامي مصطفى الذوق. كانوا من الاعضاء البارزين في المنفذية: محامين، صحفيين واساتذة.

اكتشف عملهم هذا الرفيقان سليم صافي ومحمود الادهمي فاعلما المنفذ العام، كل من جهته، اتخذ المنفذ العام قراره بسرعة البرق فضبطهم في الجرم المشهود. اشترك معه وكيل عميد الداخلية الرفيق خالد اديب.

كان الرفيق المحامي مصطفى الذوق ناظرا للاذاعة وقبل يوم واحد من المحاولة المذكورة كان يعقد اجتماعات مع المواطنين لادخالهم في الحزب. وعلى سبيل المثال نذكر جلسته مع المواطن خضر المرعي والد الدكتور رفيق خضر المرعي وتنبهه للاشاعات المدسوسة التي تصف الحزب بالعمالة لايطاليا والمانيا والتي مصدرها المكتب الثاني الفرنسي ولشد ما كان استغراب المنفذ العام كبيرا عندما قرأ العريضة التي صادرها منه، الموقعة من الرفقاء الخمسة عشر واهم ما جاء فيها ان الحزب عميل لايطاليا والمانيا. غني عن البيان حالة الرعب التي سادت المذكورين لدرجة ان حفصة الناظر المذكور لم يستطع ارتداء جاكيتته مرتجفا من الرعب.

على اثر هذه المداهمة اصدر المنفذ العام قرارا بطردهم من الحزب وعمم ذلك على الاعضاء ثم رفع الامر الى مركز الحزب فالزعيم. قام الزعيم بالتحقيقات اللازمة وبالنتيجة افهم المنفذ العام خطأ قراره بالطرد وانه كان بإمكانه فصلهم لمدة ثلاثة اشهر بينما تبت الادارة المركزية بهذا الشأن مها يكن خطيرا وان عمله هذا يعتبر تجاوزا لصلاحياته الدستورية واستعمالا لصلاحيات الزعيم نفسه الذي وحده يملك صلاحية الطرد. هذا الطرد الذي يجب ان يأتي معللا وبعد تحقيق لا يدع اي مجال للشك او الظن.

ان تصرفه هذا يشفع به حسن نيته لكنه يستحق الاقالة من مسؤوليته كمنفذ عام. تبلغ المنفذ العام، الرفيق مصطفى المقدم هذا الحكم بكل طيبة خاطر واقتناع واضعا نفسه تحت تصرف الزعيم الذي اصدر مرسوما باقالته للتجاوز ثم اصدر مرسوما اخر

بترد هؤلاء الاعضاء من الحزب. ثم عاد الى اصدار مرسوم بتعيين الرفيق مصطفى المقدم منفذا عاما لمنفذية طرابلس لامثاله وحسن نيته. ان هذه الاقالة وهذا التعيين ما كانا الا لتسجيل موقف اداري دستوري مبدئي.

القوميون في وداع الوفد السوري والمذكرة

ألقى حضرة الشاب الناضج المعروف برزاقته وغيرته السيد سعد الله اديب، باسم رفقاؤه كلمة هذا ملخصها:

« احييكم أيها السادة مهنتاً إياكم بالثقة الغالية التي وضعت في اشخاصكم الكريمة للدفاع عن جزء من اجزاء سوريا العزيزة، الوطن المقدس الذي يفتدي بالمهيج والأرواح، وامننى لكم التوفيق في مهمتكم الخطيرة التي يتوقف عليها الاحتفاظ بسنجد الاسكندرونة هذه القطعة العزيزة من الجسم السوري الذي تحاول القوات تجزئته والاجهاز عليه.

احييكم باسم رفقائي القوميون المخلصين للقضايا القومية اخلاصاً متناهياً يهون عليهم تحمل الاضطهادات والتهم المختلفة التي تُلصق بهم في سبيل الدفاع عن حرية الاشخاص والجماعات والعمل على تعزيز قوميته وتأييد حق امتنا في الحياة الحرة المستقلة المكتملة السيادة والمحافظة على اجزاء الوطن وسلامتها من كل تعد وغارة.

إن رفقاءنا من الشباب المنتشرين في جميع انحاء بلادنا المحبوبة، ينظرون إلى مشكلة الاسكندرونة باهتمام ويتابعون بكثير من الحذر والقلق تطورها، وهم مستعدون عندما تدعو الحاجة لتلبية كل نداء يوجه إليهم مها تقاضاهم من التضحيات.»

فتلقى الوفد كلمته بالاعجاب والتقدير ثم استلم منه المذكرة التالي نصها:
حضرة أعضاء الوفد السوري.

إن السوريين القوميون المعروفين باخلاصهم المجرى لقضية بلادهم الحقيقية كانوا دائماً يظهرون روح التعاون ودعم كل فئة تكون الفئة المنظور اليها والمعترف بها للتكلم باسم المصالح السورية وهم يأملون أن تعالج المشكل الحالي بغير الأساليب التي عولج بها غيره قديماً بعد أن أثبت الاختبار أن جميع الأعمال السابقة كانت تحمل اشارك جميع عناصر الشعب وقواه في المسائل التي تحدد وتقرر مصير الأمة وإن قضية الاسكندرونة لها اهميتها القومية والسياسية معاً - لا السياسية وحدها - لأنها قضية كرامة الأمة السورية والوطن السوري كما أنها قضية دفاعية اساسية، لذلك يتقدم السوريون

القوميون اليكم ليقولوا كلمتهم التي يحتم عليهم الواجب الادلاء بها وليثبتوا لكم وانتم ممثلو الأمة في هذا المشكل الدبلوماسي انهم سيؤدون جميع المساعدات المادية والمعنوية التي تدعم معرفتكم وتؤيدكم في حل هذه المعضلة في مصلحة الحقوق القومية والحدود السورية.

إن الأمة السورية التي حملت مشعل الحضارة والعلم منذ أقدم العصور، هي أمة راقية لها جميع مؤهلات السيادة على نفسها وأنها تفهم تمام الفهم كيف تجعل من نظامها السياسي نظاماً يمثل أمة متحدة ليس فيها مصالح اقلية وعناصر وفئات وأقاليم بل مصلحتها كأمة سورية فقط.

إننا نرغب اليكم بإعلان هذه الحقيقة الراهنة على العالم بأجمعه، من قلب جامعة الأمم لأنه بمجرد تفهمه حقيقتنا لا يستطيع إلا أن يؤديها تجاه الذين يريدون أن يخلقوا لنا المشاكل في هذا الطور العصيب من حياتنا الاستقلالية الانشائية ونهضتنا القومية الحديثة.

إن السوريين القوميون بناء على كل ما تقدم يرجون من الوفد الكريم التمسك بوجهة النظر القومية الصرفة دون أن يتركوا المجال لاستدراجهم إلى مواقف محرجة وأنهم يكررون القول بأنهم على أتم الاستعداد للعمل بما يقتضيه الواجب الوطني وتفضلوا بقبول أحر تمنياتنا واحتراماتنا.

جريدة الرائد الطرابلسية العدد 112 تاريخ 37/1/6

« المنفذ العام »

الاجتماع في طرابلس

عقدت منفذية طرابلس للحزب السوري القومي إجتماعاً عاماً لمديريتها في مدينة طرابلس والأسكلة يوم الأحد الماضي الساعة الثالثة بعد الظهر. وقد كان مكان الإجتماع في الساحة الواقعة عند مصب نهر قاديشا على ساحل البحر السوري الذي زاد الإجتماع روعة وجلالاً بهديره اللطيف ونسيمه العليل. فما أزفت الساعة الثانية حتى كان السوريون القوميون المملؤون بالحياة، التواقون إلى الحرية الصحيحة، يتوافدون إلى مكان الإجتماع بسكون ونظام بديعين. ولم تدق الثانية والنصف حتى اجتمع العدد الكامل لمدعويين منهم إلى الإجتماع فكانوا ثلاثمائة عضو، وهنا علا صوت صفارة القائد العام للميليشيا في منطقة طرابلس، فتهافت الأعضاء يقف كل منهم أمام قائده بالنظام الذي عرف به الحزب السوري القومي فبدأت التمرينات العسكرية البديعة وقام القائد العام بعرض عام لجميع الفرق فظهرت بهذا العرض قوة الحزب المرتكزة

على الإيمان الصحيح والعقل الناضج والطاعة المخلصة التي لم تتوفر في باقي الأحزاب وفي الساعة الثالثة تماماً قدم عميد المراقبة بصحبة المندوب عن عمدة الإذاعة في بيروت فأخذت لها التحية .

وبعد أن هتف الجميع الهتاف السوري القومي افتتح الإجتماع وألقى حضرة عميد المراقبة خطاباً إرتجالياً قيماً تعرض فيه لنهضة الحزب ولسروره من النشاط والنظام اللذين ظهرا في شباب هذه المنطقة . ثم عقد الاستاذ رشدي المعلوف مندوب إذاعة بيروت في هذا الإجتماع كلمة دالت على نضوج فكري ووطنية صادقة فكان لها حسن التأثير ، شرح فيها موقف الحزب من محاربيه وغاية كل من هؤلاء .

ثم ألقى خالد أديب كلمة قيمة باسم منفذية طرابلس فتكلم عن شخصية حضرة الزعيم ونضوجه وحلل شخصيته الفذة تحليلاً ودعا إلى زيادة التقدير لحضرة الزعيم المفدى وعقبه حضرة مدير إذاعة طرابلس السيد أنيس فاخوري بكلمة أفرغ فيها كل ما يجول في صدره من عاطفة طيبة وإخلاص متين ثم تلاه سكرتير إذاعة طرابلس بالكلمة التالية :

أيها السوريون القوميون !

أيها المؤمنون بحقكم في الحياة، والمخلصون لقضية بلادكم، والمدركون المسؤولية الكبرى الملقية على عاتقكم !

أيها الباعثون هذه البلاد المتكودة من غياهب الضلام إلى مراتع النور ومن حضيض الخنوع إلى ذروة التمرد، أيها المحولون قضية وحدتكم من طريق الجهل التي أفسدتها إلى طريق العلم ومن صميم الرجعية إلى صميم الحياة الحرة التي تعيش في ظلها الأمم الراقية !

أيها الجنود الذين عرفتم واجب الشباب وميزتم بين المنفعة الشخصية والمصلحة العامة فأعلنتم حرباً شعواء على المخضرمين الذين لا يزالون يسيرون بالبلاد على الطرق القديمة البالية التي أضنتنا وأهلكتنا !

أيها العارفون بداء بلادكم فاحضرتم لها دواءها الوحيد الناجع !

أيها الأمناء لتاريخ بلادكم فأردتم إرجاعه كما كان مزدهراً عماده المدنية وأسس العلم والمعرفة والعدل ! .

يا أبناء الحياة والنور والحق أيها السوريون القوميون إن الوطن في خطر فاستعدوا!!!!...

في الجنوب

في صيدا وصور

لا جديد في منفذية صيدا سوى نشاط هيئة المنفذية والاعضاء في العمل الخزي ولكن الجو - على ما يبدو - كان دائما ملبدا بغيوم فلسطينية بين حين واخر. ان اهم الاعمال التي كانت تجري على هذا الصعيد هو تحطيم الشاحنات التي كانت تنقل الخضار والفواكه الى الجنوب السوري لانها تذهب الى اليهود.

كان على رأس هذه العمليات الرفيق معروف سعد ان بشكل مباشر او غير مباشر. اما في مدينة صور فقد بقي العمل الخزي بطيئا فبعد انتهاء الرفقاء مصطفى التمساح ومحمد سعيد البلاغي وخليل حلاوي انتسب عضوان هما كامل يونس ومحمد دبور فتشكلت منهم هيئة عمل حزبية وبعد زيارة مركزية الى المنطقة من قبل مسؤولين مركزيين، جبران جريج وعمجاج المهتار بدأ النشاط يرافق هذه الهيئة.



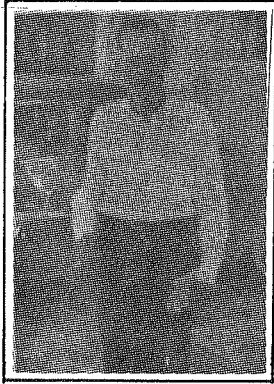
كامل يونس



معروف سعد

الجديد في صور هو مدرسة الثقافة الوطنية لصاحبها ومديرها الاستاذ رثيف معوض الذي الف كتابا في الجندية والمزايا العسكرية قدم نسخة منه هدية للزعيم كما انه ادخل مدرسته في جوّ الحزب، ضد الانتداب.

في وادي التيم - مرجعيون تألفت اول منفذية بعد نمو شمل اكثر قراها فعدا الذين ذكرتهم في حلقات سابقة انتمى في دبين ماعدا الشقيقين زريق، حسن غانم، حسن وهبه وعبد الكرم. وفي ميمس محمود كنج ابو العز ومنجد ابو العز وفارس ابو قانصو وسليم مداح. في الكفير: محمود العيسمي، توفيق دمشقية وعادل خوري: في ابل



فريد عبود

السقي، نعيم ابو عيسى، كامل سعاده، جرجس كوزال، ومحمد عباس غبار، في حاصبيا حلیم ابو عيسى، طبيب الاسنان توفيق حماده من غريفة كما ان اول عضو دخل من الخيام الرفيق فريد عبود الذي انتمى الى الحزب في مديرية حيفا وقد ذكر يومها خطأ انه من مرجعيون.

السوريون القوميون في مرجعيون

وصل السيدان يوسف بدر الدين وغندور كرم قادمين من دمشق بطريق القنيطرة لزيارة اخوانهم السوريين القوميين في منطقة مرجعيون وغيرها من المناطق الجنوبية الأخرى، ولدى وصولها إلى الجديدة نزلا في دار احد اخوانهم حيث عقدا إجتماعاً كبيراً حضره عدد كبير من الشباب وألقيت فيه الخطب الحماسية وتولى كل من السيدين غندور كرم ويوسف بدر شرح المبادئ التي يقوم عليها الحزب مبينين الأسباب التي يسير عليها داعين الشباب للإتفاق حول هذه المبادئ القوية الداعية إلى التحرر.

علم الحكومة بالاجتماع .

وجاء أحد الوشاة الذي رفتهم الأقدار إلى هذه الأنحاء يعلم الحكومة بالاجتماع .
ويظهر أن رجال السراي أدركوا أي اصطدام يخشى وقوعه بين الدرك وشباب الحزب
فيما إذا أقدموا على مهاجمة المكان في تلك الساعة . فآوودوا بعض الموظفين بالشباب
العادية إلى محل قريب من الاجتماع يستطلعونه الأخبار ويتربصون حركات السيدين
غندور كرم ويوسف بدر الدين بغية القبض عليها ومداومة المنزل أثناء القوم وبعد
إنصراف المجتمعين .

وكان السيدان كرم وبدر الدين قد دعيا بعد فض الاجتماع للنزول في دار الوجيه
الشاب السيد جورج سعادة في إبل السقي فلبيا الدعوة وغادرا مكان الاجتماع حيث باتا
ليلتها هناك دون أن يعلم بها أحد .

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي بينما كان السيدان كرم وبدر الدين
يترجلان من السيارة التي أقلتها من إبل السقي إلى الجديدة وبرفقتها صاحب الدعوة ،
إذا بشرذمة من رجال الدرك على رأسها الباشجاديش يوسف عبد الساتر تلقي القبض
على الثلاثة وتسير بهم مخفورين إلى سراي الحكومة بينما كانت شرذمة أخرى تدهام في
الصباح الباكر مكان الاجتماع وتعث على بعض الأوراق بينها نسخ لمبادئ الحزب
السوري القومي المشروحة بقلم الزعيم مع بعض رسوم له في مختلف المواقف الخطابية
وأثناء المحاكمات .

وكانت الحكومة قد اجتهدت أن لا يصل لرجال الحزب شيء من خبر التفتيش
والإعتقال فحجزت على الموقوفين الثلاثة في غرفة مظلمة ومنعت عنهم الإختلاط
والإتصال بالخارج . إلا أنهم تمكنوا من إبلاغ الخبر لرفاقهم الذين اسرعوا وعقدوا
اجتماعاً حافلاً قرروا به السير إلى السراي وتخليص الرفاق فساروا وعددهم لا يقل عن
ثلاثمائة شاب في مظاهرة نظامية مخترقين شوارع البلدة حتى وصلوا إلى السراي يهتفون
بنظام وترتيب طالبين إخلاء سبيل الموقوفين .

وما رأت الحكومة هذه المظاهرة حتى أوفدت قومندان الطاقم اليوزباشي جورج
أفندي صوايا يبلغ المتظاهرين الذين كانوا لا يزالون يرابطون أمام السراي يهتفون
طالبين إخلاء سبيل اخوانهم ان الحكومة خابرت هاتفياً النيابة العامة في صيدا طالبة
رأيها في أمر الموقوفين وسيأتيها الجواب حالاً وما إنقضى بضع دقائق على هذا الأمر

حتى كان السوريون القوميون الثلاثة يخرجون من السجن ويطوف بهم اخوانهم محمولين على الاكتاف في شوارع البلدة بين مظاهر الأفراح.

وقد علمت أن الحكومة أبلغت كل من السيدين غندور كرم ويوسف بدر الدين بوجود مغادرة مرجعيون عند صباح اليوم الثاني وغادراها عائدين إلى دمشق.

انتاءات

في هذه الاثناء أيضاً ينتمي في بيروت المتخرج حديثاً من المعهد الاميركاني في صيدا، سليم الخوري من عيناب، قضاء عالية.

في الجنوب السوري لاجديد في هذه المنطقة سوى ادخال البعض في عمان اذكر منهم مجد الدين الجابري من حلب ونايف قعوار من عمان نفسها.

عبدالحدود

مكتب عبر الحدود وتوعية الجاليات

من اهم اعمال مكتب عبر الحدود توعية الجاليات السورية النازلة في بلدان الاغتراب لما يجري في وطنهم وكان من اهم هذه الاعمال ما نشرته جريدة النهضة بتاريخ 9 تشرين الثاني 1937، السنة الاولى، العدد 23 حول المكتب العربي للدعاية والنشر ومشروع الفرنك الذي كان يقوم به فخري البارودي وفؤاد مفرج، انقله للافادة من القواعد المبدئية الواردة فيه وهذا هو النص: « منذ سنوات اعلن السيد فخري البارودي نائب دمشق اليوم، مشروعا قام به على عهدته اطلق عليه تسمية « مشروع الفرنك » وعرف في اوساط الشعب السوري باسم « مشروع البارودي ».

المعروف في العالم المتمدن ان المشاريع على نوعين: خاص وعام. اما الخاص فمتعلق بصاحبه واما العام فمتعلق بالشعب او الامة. ولما كان مشروع البارودي مشروعا عاما، لانه ليس عملا خاصا يقوم به السيد فخري البارودي من ماله الخاص، فقد وجب ان نبخته هنا تنويرا للامة.

والمعروف ايضا ان المشاريع العامة هي مصالح تتقدم بها مؤسسات ذات نظام ومسؤولية كالحكومة او كمنظمة اخرى، حزبا او غيره، واضحة الغاية والمبادئ والبرامج. فحفر اقية للري في بقعة معينة هو مشروع يقتضي وصف البقعة وامكانياتها الزراعية والتجارية واكلاف ربحها ومصادر المال المنفق في هذا السبيل ولمن يعود الرأسمال والربح وبأية طريقة. هذا مثلا، مشروع. ولكن ماسمع قط في العالم المتمدن ان جمع المال بطريقة معينة يعد مشروعا.

الحقيقة ان السيد فخري البارودي قد اوجد هذا الابتكار في المصطلحات الفنية الحديثة وعدّ جمع المال بطريقة تعريف الخمسة غروش مشروعا.

وكان لابد لهذا المشروع من مبرر تجاه الرأي العام. فوجد هذا المبرر في مشروع «المكتب العربي للدعاية والنشر» الذي استنار في تصنيفه، متدرجا في ترتيب الاعمال المكتبية هو السيد فؤاد خليل مفرج.

التحق السيد فؤاد مفرج بالسيد فخري البارودي لاستثمار مشروع الفرنك وتم الاتفاق بينه وبين مؤسس هذا المشروع المالي على انشاء «المكتب العربي للدعاية والنشر» على ان تكون هيئته الاساسية مؤلفة من السيد البارودي رئيسا والسيد مفرج امينا عاما للسر وعلى ان يكون انشاؤه. «خدمة لقضية العرب العامة» ووضع لهذا المكتب ما سمي «النظام الاساسي».

يتضح من مراجعة هذا النظام الاساسي «للمكتب العربي للدعاية والنشر» ان هيئة المكتب الموقرة تقيم نفسها مقام القيم على «القضية العربية» الذي سيتولى السير بها على هوى فهمه وكيفه. فليس المكتب مقيدا بالسير على مبادئ حزب معين ذي قضية واضحة وليس مكلفا بالتقيد بمصالح دولة او امة معينة من دول وامم العالم العربي وليس مسؤولا تجاه منظمة قومية.

وهذا المكتب الخطير الشأن لا يقتصر على ما يدل عليه ظاهره من الدعاوة والنشر وفاقا لبرنامج مقيد بدولة او بمنظمة قومية كما كان يجب ان يكون ليكون لهذا المكتب اية قيمة حقيقية، بل هو يقوم مقام الدولة او على الاقل، مقام منظمة قومية بكاملها، فهو سيتعهد عدا عن اذاعة المعلومات وحفظ النشرات «تهذيب الفلاحين وتدريبهم على الاعمال الحديثة وترقية حالتهم الاجتماعية والزراعية، وتعهد القرى بارسال بعثات تهييبية من خيرة شبابنا المتعلمين».

وكذلك يتعهد هذا المكتب «السعي بكل جهد لتحضير البدو ونشر الثقافة والعلم بين افرادهم بتأسيس مدارس رحالة حتى تتمكن من تحضيرهم تدريجيا» (النظام الاساسي) وفي المنهاج المفصل او نظام العمل «للمكتب العربي للدعاية والنشر» ان هذا المكتب يسمى لعقد مؤتمرات قومية واقتصادية كلما سنحت له الفرصة، والحاجة. «ولا يقوم المكتب بدعاية لحزب او لشخص معين، بل هو لخدمة البلاد العربية فقط (والعنى من خدمة قضية البلاد العربية فقط يبقى في ضمير السيدين فخري البارودي وفؤاد مفرج).

ينشئ المكتب مكتبتين فرعيتين في لندن وباريس للقيام باعمال كثيرة، منها «الدفاع

عن البلاد (اية بلاد) في كل ساعة يرد مفتريات المغتربين لافهام الرأي العام الانكليزي والافرنسي حقيقة قضيتنا « تجمع الاموال باسم المكتب العربي للدعاية والنشر وتصرف بمعرفة الرئيس وامين السر العام وتدقق اللجنة المالية في المكتب الحسابات في نهاية كل عام ». (النظام الاساسي).

فزى مما تقدم ان مشاريع « المكتب العربي للدعاية والنشر » الذي هو مكتب السيدين فخري البارودي وفؤاد مفرج، مشاريع واسعة المدى تتناول العالم العربي كله. فما لا ينفق من المال على تحضير القبائل العربية ينفق على مكتب لندن او مكتب باريس وما لا يستفده مشروع المؤتمرات الاقتصادية يذهب « لخدمة قضية البلاد العربية فقط ».

ولا تريد هيئة هذا المكتب الموقرة ان تخدم حزبا معيناً يخضعها لنظامه ودستوره ومبادئه. فهي تفضل ان تبقى حرة تصرف الاموال بمعرفتها وتدقق اللجنة المالية التي تعينها هذه الهيئة الموقرة عينها الحسابات في نهاية كل عام. وتتصدى هذه الهيئة الموقرة لتحديد « القضية العربية » كما تريد هي ولخدمة هذه القضية التي تعينها هي والخدمة التي ترتأياها هي.

ان امة تحترم نفسها لا تقبل على المشاريع الشخصية التي ينتحل القائمون بها صفات ليست لهم. ولما كان قد جمع حتى الان مبالغ لا يستهان بها باسم « مشروع البارودي » او باسم « المكتب العربي للدعاية والنشر » كان المنتظر ان تبذل المساعي لجمع الفرنكات على قياس واسع، فيحسن بنا بعد ان بينا حقيقة « المكتب العربي للدعاية والنشر » ان نبين حقيقة هيئته الموقرة.

فخري البارودي

من عائلة اقطاعية قديمة دخل الحركة « الوطنية » واندفع فيها. علمه قليل. ويعرف كيف يستميل العامة. وله مواهب عملية ولكن توجيهها غير صحيح. ولا يخضع لنظام. له بعض المواقف الوطنية، ولكنه غير مؤهل لفهم حياة الامم والجماعات وعلاقتهم او لفهم الدولة ونظامها وحاجاتها.

فؤاد مفرج

تخرج من الجامعة الاميركانية في علم السياسة. وظن ان علم السياسة يخرج سياسيا خطيراً. وظن ان افضل اسلوب سياسي للنجاح هو التلاعب بالمصطلحات السياسية

وايجاد المبررات للتقلب. ابتدأ اعماله بمقالات نشرها وهو طالب بعد في البيرق والبرق وفيها روح طائفية واندماج في عدة جمعيات وتظاهر بلبس الطربوش ولبس السدارة العراقية.

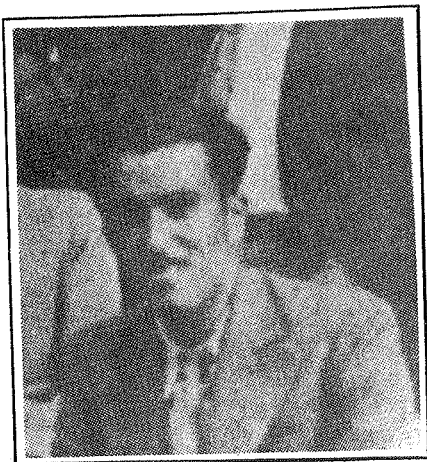
في الوقت الذي كان يشتغل مع فخري البارودي في تأسيس « المكتب العربي للدعاية والنشر » على اساس مشروع الفرنك، كان يقسم يمين الاخلاص للحزب السوري القومي الاجتماعي ولزعيمه. ودلائل هذا الشخص وتصرفاته تشير الى نزعته الاستغلالية المسترة بستار المصطلحات السياسية التي حفظها في دراسته. وقد طرده الحزب السوري القومي الاجتماعي من وسطه لظهور تلاعبه وعدم امانته لمبادئ الحزب ونظامه. (قتل فؤاد مفرج في حادث سيارة اثناء جولة من جولاته في اميركانية).

في مصر

جاء في رسالة لمراسل « النهضة » في مصر الخبر التالي: « جمعني الصدفة بالاستاذ احمد حسين زعيم « حزب الفتاة » في القاهرة. وقد سألني عن الحالة السياسية في سورية وعن الاحزاب المختلفة التي تعمل في حقل السياسة السورية وقد تكلمت له مختصرا عن هذه الاحزاب. وقد ابدى حضرة الاستاذ حسين اهتماما خاصا بقضية الحركة التي يقوم بها الحزب السوري القومي الاجتماعي في سورية. فسألني عنه ورغب الي ان اطلعه على مبادئ هذا الحزب. ومن جملة ما قاله بالحرف الواحد: « اني اتمنى لمصر ان تحظى بمثل الحزب السوري القومي الاجتماعي ».

اوروبا وافريكا

في اوروبا، كان الحضور طالبا كما مر بنا. مديرية برلين المستقلة ومفوضية انقرة - تركيا المركزية. اما في افريكا فعدا عن منفذية شاطيء الذهب (اليوم غانا) فقد انشأ الرفيق احمد يونس من صيدا فرعا للحزب في بلاد اغترابه « الغيني » الجديد. في منفذية شاطيء الذهب فروع حزبية ماعدا مديرية اكر، في كوماسي، تاكورادي وسيكوندي. اغترب الرفيق خالد اديب اليها بعد ان منحه الزعيم رتبة الامانة وضم جهوده الى جهود الرفقاء الذين سبقوه، تقدم عدد كبير من الرفقاء للاشتراك في جريدة « النهضة » فكونوا بهذه الاشتراكات السمينه دخلا يعتمد عليه في تجنب الجريدة عسرا ماليا.



خالد اديب

امير كانيا والمكسيك

مر بنا ان الزعيم عين الامين فؤاد ابي عجرم معتمدا للحزب في امير كانيا وهو طالب جامعي فحالفه التوفيق وانشأ فرعاً حزبياً في مدينة ديترويت من غير الطلبة. اذكر منهم شقيقه جميل ابي عجرم، شقيقي ابراهيم جريج، صلاح الدين الايوبي الذي تم تعيينه مديراً لهذه المديرية التي سميت مديرية ميتشغن المركزية.

اما في المكسيك فقد كان النشاط قائماً على قدم وساق بدليل رسالة عبر الحدود التالية :

صادرة رقم 28

16 اغسطس 1937

حضرة الرفيق المجاهد السيد عساف ابي مراد المحترم.

تحية سورية قومية

جواباً على كتابكم رقم 15 يوليو 1937.

أ - هدية الانسة الرفيقة الماس صعب: - لقد سلّم هذا المكتب لحضرة الزعيم الهدية اللطيفة المرسله من الانسة الرفيقة وقد قدّر حضرته العاطفة السامية التي تعبّر عنها فنكلفكم ان تبلغوها تقدير حضرة الزعيم وتحياته.

1 - يسرنا كثيراً ان نتمكن الآن من ارسال دستور الحزب اليكم فهو وان كان لا يحتوي بعد على القانون الداخلي فانه يوضح المسؤوليات والصلاحيات ويسهل العمل. ادرسوا القانون المالي واعلمونا اذا كان يمكن تطبيقه حرفياً في المهجر.

3 - نرسل اليكم ايضا نسخة عن جميع الاوراق والبطاقات التي تستعمل في نظام الجباية لتعتمدوها في اعمالكم هناك ، واذا كان يصعب عليكم طبع مثل هذه الاوراق عندكم اعلّمونا حتى نرسل اليكم منها في ظروف ملائمة. على كل حال المهم ان تتشابه اعمال فروع الحزب بقدر الامكان.

4 - تلاحظون مما ورد في القانون المالي ان اموال الجباية العامة تعود كلها الى المركز وان الفروع يحق لها تعيين ضرائب محلية للمصاريف الفرعية.

5 - مسألة القانون الداخلي الذي ارسلتموه الينا: يمكن ان تسيروا على القانون ضمن الدستور المرسل اليكم وضمن القوانين العامة للجمعيات «Roberts Rules of order» اي انكم تستطيعون ان تضعوا الترتيبات التي ترتأونها مادامت لا تتعارض مع هذين لبينا نتمكن من ارسال القانون الداخلي العام.

6 - مسألة تكريم المجاهدين الذين صدر عنهم العفو: - كُنّا كتبنا لكم سابقاً ان جميع الاعمال التي يقوم بها الحزب تجاه الهيئات الخارجة عنه يجب ان تكون نظامية وبواسطة المركز، واطهرنا الفائدة العظيمة لهذه القاعدة، التي بدونها لا يعود لنا شخصية حزب بل نصبح مجموعة احزاب. ويظهر ان بعض الرفاق حللوا هذا القول على غير محمله فايضاحاً للأمر اعلمكم ان مركز الحزب السوري القومي يقدر اعمال جميع الرجال الذين اخلصوا للقضية وضحوا في سبيلها وهو على الاخص يعتبر عطوفة سلطان باشا الاطرش، رمزاً للبطولة وللتضحية وان الحزب لا يكتفي بذلك لانه المؤسسة الوحيدة في سورية اليوم التي تعرف كيف تقدر مواهب الرجال وتفسح لهم المجال لاطهار مواهبهم في خدمة البلاد وان المركز قد قام بما عليه من اظهار عواطف الحزب نحو جميع المجاهدين وهو يغتم الفرص الملائمة لتكريمهم بصورة اظهر. ولما كانت اعمال المركز تعبر عن عواطف و ارادة جميع فروع الحزب فقد كان من الواجب ان ترسلوا تبرعات الرفاق الى المركز وهو ينفقها، مع غيرها من فروع اخرى في هذا السبيل باسم الحزب عامة. ان المركز يكلفكم باصدار تعميم يقتبس من روح هذه الفقرة من رسالتنا لتعمم في جميع مديريات منفيديتكم. كما انه اذا كانت الاموال التي جمعتموها لتكريم القائد الباسل لم تسلم بعد الى هيئات من خارج الحزب نكلفكم بارسالها حالاً الى المركز لتضم الى امثالها مما سينفق في هذا السبيل بوقت موافق.

7 - يسرنا ان نعلمكم ان عمدة الاذاعة الموقرة قد قررت اصدار نشرة اخبارية تعمم في جميع اوساط الحزب تعلن مواقفه السياسية وتقدمه، واطن ان لجنة النشرة قد

اقتبست شيئاً من الاخبار التي ارسلتموها الينا عن نشاطكم فانتظروا وصول هذه النشرة كما نكلفكم بارسال جميع الاخبار التي تحصل في منفذيتكم لتعمم في فروع الحزب.

8 - لا بد لي من كلمة اطمئنكم بها الى سير النهضة وتقدمها السريع جدا في هذه الايام.

دمتم للجهاد ولتحية سورية والزعيم سعادته
رئيس مكتب عمبر الحداد
انور

واترك هنا وصف هذا النمو الى رسالة الامين عساف ابو مراد التي وجهها لي بتاريخ 28 آب 1978 : « كان الاقبال منقطع النظر، والطلبات كانت تقدم بالعشرات. المهم كان ادخال اكبر عدد من المواطنين حتى نتمكن من جمع اشتراكات ومساعدات مالية لارسالها الى المركز الحزبي. وهكذا كان، ففي احدى الليالي المعينة لاداء القسم، كان المواطنون واقفين بالصف، كل آخذ دوره حتى يؤدي القسم، كان منظراً يثلج القلب ويزيد في عزيمة المسؤولين الاداريين.

في ذلك الوقت ولما رأينا انتشار الحزب السريع استأجرنا قاعة كبيرة للفرع في شارع لاس كروسييس (Las Cruces) وفي ذات القاعة عملنا مسرحاً وباشرنا بتمثيل رواية، وكان قد انضم للصفوف العديد من المواطنين الذين يتقنون الموسيقى والغناء والفرن اجالا. كانت كل حفلاتنا تمتاز بما يتخللها من موسيقى وغناء وخطب.

وبعد انطلاقتنا في العاصمة، باشرنا للعمل خارجها، وكان باكورة عملنا مديرية « قرطبة » في ولاية ويراكروس، فقرباً من تلك البلدة كان يقم الرفيق المرحوم عبده تامر وكان قد انتمى للحزب في العاصمة فحمل الرسالة للمواطنين في « قرطبة » وكلهم كانوا اصدقاء له فاخبرنا الرفيق المذكور عن رغبة المواطنين بالانضمام للصفوف القومية، فذهبنا لجنة مؤلفة من الرفقاء: توفيق الاشقر، ويكتور والكسي مبيض، زاهي نصر والمرحوم نخلة طعمه. استقبلنا بحفاوة واجتمعنا في بيت الرفيق دياب ايوب من صور. اكثر المواطنين كانوا حاضرين وبعد سؤالات وشرح للمبادئ وغاية الحزب وافق الجميع واقسموا اليمين وعين المدير والناموس والمحصل. وانطلقت هذه المديرية وكانت من احسن المديريات وانشطها.

ومن اعضائها البارزين: عبدالكريمة رحمة، رشوان الخوري، جورج نعمه، مخايل الياس، دياب ايوب، جورج زيريق وعبدو تامر.

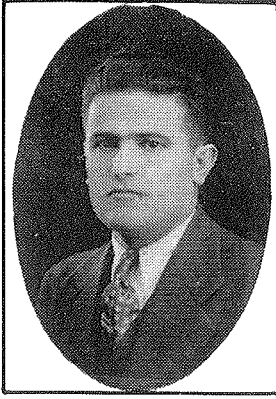
ومن بين الذين انضموا الى الصفوف القومية كان الرفيق المرحوم سعيد صعب من الشويفات الذي يعود له الفضل بانتشار الحزب في عدة ولايات مكسيكية. كانت شغلته التجول فكان يزور اكثر الولايات وعدا عن البضاعة التي كان يبيعها، كان يحمل رسالة اعظم ويبشر بها كل مواطن عرفه وهكذا كانت طلبات الانتاء ترد من جميع الجهات وكان عندما يرجع من رحلته يحمل الينا الطلبات وكان يعطينا رأيه بالاشخاص الصالحين لتحمل المسؤولية وهكذا توصلنا بمجهوده وحامسه الى انشاء اربعين مديرية.

ومن ساهموا في اكثر الحقول الرفيقتان الكبسي وويكتور مبيض، الاول كان مديرا لمديرية العاصمة والثاني كان ناظرا للاذاعة وقد وضع روايتين للتمثيل ومثلتا وكان لهما احسن الوقع، وكذلك الرفيق فؤاد سمعان الذي تعهد بتعليم اولاد الرفقاء دون اي مقابل ونخله طعمه واديب الاشقر.

اما الروايتان: رواية بوسعدي ورواية ليلة في دمشق. فتمثيلها ساعد في جمع كميات كبيرة من المال كانت ترسل مع الاشتراكات الى المركز الذي كان بأشد الحاجة الى المعونة المادية. (وقد ذكر الزعيم هذا المجهود لقومي المكسيك في احدي رسائله كما مر بنا.)

كنا نصدر نشرات اسوعية حاملة آخر الاخبار عن الحزب ومن ثم توصلنا لاصدار مجلة بالاسبانية تنطق باسم الحزب ودعيت La Tempestad «الزوبعة» اما متزعمو الجالية فما صدقوا باننا ونحن الاقلية ومتوسطو الحال ماديا نتمكن من اصدار مجلة فاتهمونا باننا نتلقى مساعدات مالية من سفارتي المانيا وايطاليا. كان مدير المجلة الرفيق المحامي الياس سيمون يعاونه الرفقاء توفيق جمعه، عطية زيريق، جورج عيسى الحداد والمحامي فيديل يونس.

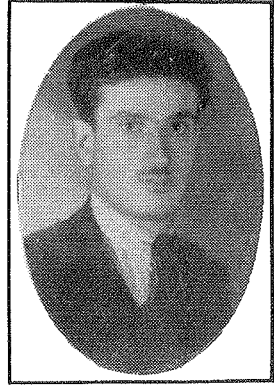
كما اننا استحصلنا على رخصة رسمية من الحكومة المكسيكية. وسجلنا مبادئ الحزب امام مسجل عدلي. ترجم المبادئ للاسبانية صديق الحزب الوفي المرحوم الدكتور فارسي ساسين من حاقل، بلاد جبيل.



انطون خوري



انطونيوس روفائيل



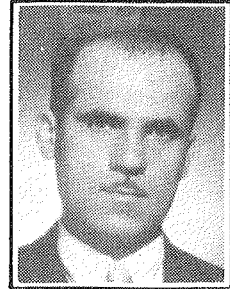
وديح ابو الحسن



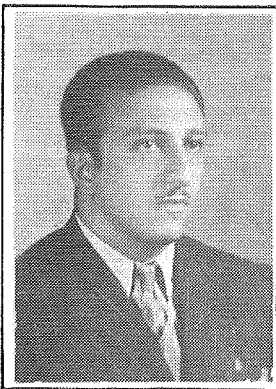
انيس ناصر الدين



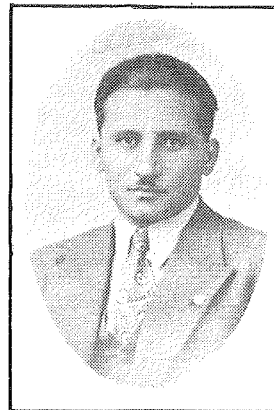
يوسف سرايا



سعيد حمدان



فريدل بونس



سامي عبد الخالق



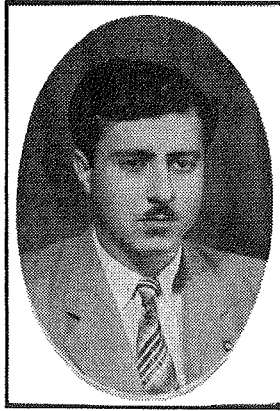
ابراهيم البيطار



كارلوس رحة



فارس ابو المنى



جورج نعمة خوري

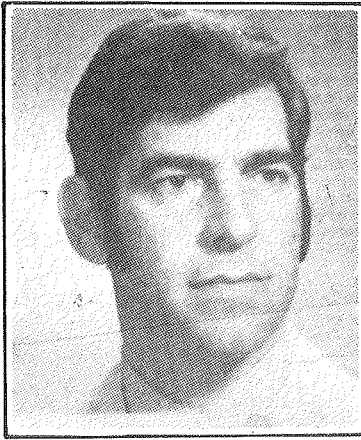
في البرازيل

في البرازيل لم يكن للحزب فرع دستوري انما كان له محبذون واصدقاء يدافعون عنه مثلا رسالة الشاعر الياس فرحات عند انكشاف امر الحزب. ويمكننا القول ان اول عضو في البرازيل، في سانبولو كان الرفيق جورج دده ولانتائه قصة طريفة ارويها باختصار.

كان جورج دده من اعضاء احدى الجمعيات التي اسسها الزعيم في المغرب فعندما انكشف امر الحزب كتب للزعيم رسالة يؤيده فيها ويطلب الانضمام ولكن كيف يكون ذلك وليس للحزب مسؤول عنده في البرازيل فاجابه الزعيم ساحا له بان يدخل نفسه بنفسه وذلك بان يقف وقفة رسمية ويرفع يده اليمنى زاوية مستقيمة ويؤدي القسم فيصبح عضوا في الحزب السوري القومي الاجتماعي. ويقال انه هكذا كان وفي المجلد الرابع سنتابع كيفية انشاء فرع الحزب في البرازيل.

في كوبا
أما أول عضو اغترب الى البرازيل كان الرفيق يوسف ملكي من عكا.

كان رفيقنا فؤاد فياض التابع لمديرية بيترومين في منفذية الكورة قد اغترب الى كوبا. ومعه شقيقه الرفيق عزيز الذي احترف مهنة الطيران، فما ان وطئت قدماه الارض الكوبية حتى انبرى يؤسس فرعا للحزب. في هافانا. حالفه النجاح ومن الاعضاء البارزين الدين انضوا تحت لواء الزوبعة جورج سلوم، يوسف بركات، شقيقي الياس جريج والاديب بشارة قسطندي.



الياس جريج



يوسف ملكي

وما ان انضم عدد لا يستهان به من خيرة الشبان حتى اسست المديرية محطة للاذاعة تعبر عن غايتهم وتنشر المبادئ القومية. وقد انضمت الى هذا الفرع الحزبي جريدة «الاتحاد» بادارة القومي الاديب بشارة قسطندي التي اخذت على عاتقها تعميم الدعوة الفعالة في جميع البلاد الاميركية.



ادبیات

في مجلة « المرض » البيروتية
لصاحبها
ميشال زكور



في مملكة محمد جواد

بقلم
مأمون اياس

ولا بد من وقفة وجيزة في هذا السياق في سرد ما حصل في هذين الشهرين كانون الثاني وشباط وذلك لنخص سجن الرمل بلفتة كريمة. هذا السجن الذي دشنه الزعيم ومن معه من معاونين والرفقاء سياسياً كما وانه اسقط عنه هالته وهيبته فمن اسطورة الرمال التي تحيط بهذا السجن التي تطورت الى دفن الاجساد في الرمال والتي تحطمت عند اقدام القوميين الاجتماعيين. هذه اللفتة هي لجهة الوصف الذي جاد به للشعب قلمان قوميان اجتماعيان الاول قلم مأمون اياس الذي نشر بعض المقالات بهذا الصدد في الصحف تحت عنوان « في مملكة محمد جواد »، ومحمد جواد كان مديراً لهذا السجن وقد التصق اسمه باسمه لانه على ما يبدو كان يكمل الواحد الآخر. والقلم الثاني كان قلم محمد علي فتوح الذي كتب سلسلة مقالات في جريدة « الشرق » تعد من اروع ما كتب بموضوع هذا السجن وكيفية العيش والمعاملة فيه وذلك تحت عنوان « خسون يوما في سجن الرمل ». ليتها موجودة لتنشر لانها تشكل وثيقة تاريخية اثرية لرمز الظلم والاستبداد في عهد الاستعمار. ولعلي في كتابي « ابن حبوس » الذي اعده بعض التعويض عما فات، ان بالنسبة لسجن الرمل في بيروت او غيره من السجون.

وفيما يلي نموذج من كتابات مأمون اياس عن السجن ونموذج عن سجين.

محمد افندي ورعيته

وانسابت السيارة الصفراء ذات الثقوب الضيقة وسط الشوارع المزدهجة تحمل بين جدرانها تسع قصص جديدة مختلفة من قصص الحياة وتطير بها مسرعة لتضمها الى

ما يقرب السنتائة قصة في هذا العدد من «الرؤوس» حشرت بين جدران مملكة المنبوذين التي يجتال على عرشها الكابيتان محمد جواد معجباً بمقدرته الحربية والادارية والسياسية. أجل، السياسية اقول. أو ليس لكل مملكة سياسة تتمشى عليها ولكل ملك سياسة خاصة يطبقها على رعيته؟

فهناك في المملكة المذكورة المحتال الذي يجب عليك ان تكون محتالا اكثر منه لكي تتمكن من ترويضه. والسارق الذي يجب ان تزدرية وتحتقره اذا ما ارتكب سرقة بسيطة. والحشاش الذي يجب ان تذكره دائما «بالجورم» لكي تزيد آلامه. هكذا يعتقد جلالة محمد افندي جواد ولست اشاطره هذا الاعتقاد. والسجن في رأي حضرته اوجد كوسيلة للانتقام لا للاصلاح والحكومة اوجدت لتربية الشعب «بالكرايج» ولم ينتدبها هذا الاخير من تلقاء نفسه للقيام على ادارة شؤونه وتعهد مصالحه، ومن حقها اذا ما «اتبعها» قسم من الشعب ان تسحقه او تمحقه بطريقة من الطرق، وحضرته يطبق هذه النظرية بصورة مضغرة في مملكته الموقرة وقد لقنها الى القسم الاكبر من «وزرائه» واعوانه و«عيونه» ومن نظريات حضرته الفلسفية الجديدة (ولعله يصدر عما قريب كتابا يشرح فيه نظرياته المحترمة في «علم السجن» من هذه النظريات انه على السجن ان يسهر بدقة وتيقظ على تعب المسجونين لا على راحتهم فكأن هؤلاء المنكوبين لا يكفيهم ما اصيبوا به من السقوط لاسباب معقولة او غير معقولة حتى يأتيهم من البشر من يزيدهم في الطين بلة ويتلهى بمصائبهم. ولست لأنكر بأن بين هؤلاء من اقترف جنایات فظيعة ضد الهيئة الاجتماعية ولكن ما من قانون سنه البشر يبرر الانتقام. واريد ان اذكر ايضاً ان بين هؤلاء من دفعتهم الى الاجرام دوافع لو توفرت لأي شخص، عاديا كان او من المتفوقين، لارتكب نفس الجرم، اما جلالة القائم على عرش مملكة المنبوذين فإنه لا يعترف بهذا بل يصرح امام عدد من المسجونين لا يقل عن الخمسين بمايلي: «من منكم يشعر بالراحة التامة في هذا «قاووش» فليلك لكي انقله الى «قاووش» آخر لان سياستنا هنا ان لانسمح لسجين ان يشعر بالراحة». ولذلك ترى حضرته منهمكاً دائماً بنقل السجناء وعلى وجهه نظرة رحمة مصطنعة يتخللها التفضل والتواضع المصطنع ايضاً ويسألهم اذا ما كان احدهم يطلب امرأ من الامور. وتسول لاحد البسطاء نفسه ان يتقدم ويطلب امرأ بسيطاً فيجيبه حضرة المدير بطلاقة وفصاحة وحذق وذلاقة ان طلبه في غير محله وانه لا مبرر له ويرغمه بصفة كونه مديراً، على الاقتناع بينا المسكين يشعر تماماً بانه على صواب. ويعود صاحب الجلالة الى عرشه ولا يلبث ان يأمر بتطبيق عكس ما طلبه السجنين. وقد فهم كثيرون

من « مدمني » الانسجان خطة حضرته هذه فاصبحوا يطلبون دائماً عكس ما يريدون .
وكأني به عندما يترك مكتبه ليقوم بالتفتيش على رعاياه يملاء جعبته بكل ما في قاموس
التهكم اللاذع من فن وصناعة . ولا يرتاح له بال او ضمير الا عندما يفرغ هذه الجعبة
ويعصرها عصراً .

ولهذه المملكة كما لجميع الممالك والجمهوريات في العالم قوانين مسنونة من قبل هيئة
تشريعية خاصة الا ان حضرة مدير المملكة الرملية لم يكتف بالقوانين المرعية بل سن
لمملكته قوانين اضافية حسب مقتضيات الحال . من ذلك انه عن لاحد السجناء مرة فيما
مضى ان ينتحر باشعال النار في ثيابه فمنعت النار من دخول سجن الرمل ابتداء من
تاريخ الحادث مع انه يسمح للسجناء في جميع السجون في الجمهورية اللبنانية ان
يستعملوا طباخ البترول في الغرف . وضرب احد السجناء مرة رفيقاً له بملقعة معدنية
فمنعت الملاحق المعدنية من شرف الدخول الى سجن الرمل منذ ذلك التاريخ واني على
يقين من انه لو خطر لاحد السجناء ان يضرب رفيقه برغيف من الخبز وكان ذلك
الرغيف يابساً فجرح السجنين ، لأمر محمد افندي جواد بمنع الخبز من تعدي حدود
مملكته الجلييلة .

غرام المجنون او مجنون الغرام

يقول انه لم يمض عليه في هذا الوجود سوى اربع وعشرين عاما لم تكتمل بعد
ويفاخر بكونه قتل الرجل الاول عندما كان في الثالثة عشرة من سنه فكان ذلك اول
مدة صرفها في السجون وقيمتها سبع سنوات .

واحد يعلم ان عقله لم يعد في كماله كما كان قبل ان يقترف جريمته الاولى ولكنه
لا يعترف بذلك دائماً . وهو يقصّ على رفقائه السجناء احاديث طويلة عن الثلاث
شهور التي قضاها في مستشفى الامراض العقلية ويدعي انه هو نفسه طلب ان يحال الى
ذلك المستشفى رغبة منه في تخفيف الجرم ولكنك لا تلبث ان تستمع الى احاديثه حتى
يتأكد لك وجودك امام مجنون بائس .

كان احد الكردي الانكشاري - او الانجكاري كما يدعوه نفسه - في سنته الثالثة
بعد العاشرة عندما حضر من حلب - وهو حلبي الاصل - مع احد اقربائه الى
بيروت لأول مرة ، وكان قريبه هذا تاجر اغنام . وذهب مع هذا القريب في المساء
ليمضيا السهرة في احد المقاهي فسمع احمد من احد الحضور كلاماً عده اهانة له

فانتضى سكين اللحم التي كان يحملها وطعنه بها فارداه فحكمت عليه المحكمة بالسجن سبع سنوات قضاها بين بيت الدين وبعدا او جديدة المتن والرمل ثم عاد الى الحرية بعد ان اكتسب من السجن روحا اجرامية لا بأس بها واعصابا ثائرة دوماً ونظرة سوداء في الحياة. وبعد عودته الى حلب التقى بامرأة اغوته فمنحها كل ما في قلبه من عاطفة مجنونة، فهرب معها من زوجها واستقرا في دمشق واصبح يمضي الوقت متاجراً بالاغنام بين دمشق وحلب الى ان حضر زوج صاحبه يوماً الى دمشق واهتدى الى منزلها، وكانت هناك مشادة بين الزوج والزوجة انتهت بالاتفاق بينهما على الحياة معاً مع احمد بوفاق ورضى... الا ان عمه للمرأة وجدت في ابنة اخيها مورداً للرزق وكان لها من زوجها عوناً فزنت لامينة الهرب من الزوج والحبيب الى بيروت وكانت هنالك ملاحقات وكان هرب بين امينة وزوجها وحبيبتها وعمتها وزوج عمتها انتهت بانفجار براكين الغضب في صدر احمد فداهم امينة وزوج عمتها في الشارع في بيروت فارداهما بعدة طعنات من مديته وعاد الى السجن ليقتضي السنين الباقية من عمره اذ حكم عليه بالسجن المؤبد.

واحد بالرغم من انه قتل حبيبته بيده مازال يهواها حتى الان ويقول ان حياته مجتلة بالعامين الذين قضاها معها وقد نقم على جميع موظفي السجن لانهم اغتصبوا منه صورة امينة التي كان يخفيها بين ثيابه وهم انما فعلوا ذلك لانه كان بين حين وآخر يخرج هذه الصورة فيتأملها قليلا ويأخذ بالبكاء الى ان تصيبه نوبة جنون فيقلق السجن باجمعه. ومازال حتى الان يقص قصة غرامه على كل من يدخل السجن واذا كان ممن يخرجون سريعاً دله على المكان الذي توجد فيه نسخ عن صورة امينة ويرجوه ان يحضر له واحدة منها فيوصلها اليه تهرباً.

ومن المظاهر التي تدل على جنون هذا الشاب المسكين اعتقاده بانه يمتلك كل محتويات القاوش من امتعة وتصرفه بها على هذا الاساس. وكثيراً ما يفقد احد السجناء شيئاً وبعد التفتيش يجده بين ثياب احمد، ولدى السؤال يدعي هذا الاخير ان الشيء هو ملكه ويديلي بادلته وبراهينه.

ومن عاداته ان يجب شخصاً فيعبده ويكره آخر فيود لو يزهب روحه ولكنه ليس بالخطير. وهو يعتقد ان جميع السجناء لاشغل لهم سوى التحدث عنه، فاذا مارأى اثنين يتحدثان في زاوية على حدة ظن بل واكد انها يتحدثان عنه ويحيكان مؤامرة للايقاع به. واذا ما احب احداً غار عليه اي انه لا يريد ان يحدث غيره وان لا يأكل

على مائدة غيره، وإذا كره احداً طلب من كل السجناء ان يكرهوه.

واحد تجده في بعض الاحيان حزيناً كثيراً يندب حظه ويكي امينة، ويكشف عن صدره فإيريك اثر الجراح التي أحدثتها فيه عندما ثارت براكين «حبها» فأخذ يتلقى طعناتها باسماً وهو يتلمس تلك الجراح متلذذاً بتلك الذكرى وطوراً تراه هائجاً صاخباً يغضب على هذا ويضرب ذاك ويملاء السجن صراخاً. اما اسم «امينة» فمهديء لاعصابة ومسكن لغضبه ومثير لاشجانه، باعث لدموعه.

طريق الخلاص

في ظلال روح القومية

صافيا

رفيق المقدسي

تتصاعد اليوم اصوات الشكوى والتذمر من صميم البلاد كأنها اعصار هائل قد يجرف كل شيء في طريقه اذا ما هب وثار، فصيحات مخيقة تخرج من الشمال والجنوب والشرق والغرب والمدينة والقرية منادية بالاصلاح، واصوات داوية تتعالى كجلجلة رعد قاصف داعية الى النجاة والخلاص من اوضاعنا السياسية المتداعية الاركان، وانظمتنا الاجتماعية المتقلقة، وحياتنا الاقتصادية التي تتمرغ في المستنقعات والاحوال وهي مشدودة بجزير من حديد الى عملة اجنبية ان ماتت متنا وان عاشت عشنا وان غطست في جهنم لحقناها مرغمين، وقد غدت سورية من شواطئ دجلة الى البحر السوري في بجران من الفوضى عميق الغور، بعيد الآماد، فمن فوضى الاخلاق الى فوضى الازياء الى فوضى الآداب الى فوضى العلوم الى انواع الفوضى على اطلاقها وقد ذكرنا بعضاً منها في «الجمهور» السابق اثناء كلامنا عن «الطموح والعبقرية» وكيف يموتان في بلادنا مخنوقين بالاثرة الهدامة، والحسد القاتل، والفوضى المخربة الضاربة اطنابها في مرافق حياتنا حتى غدت بلادنا عنوان الفوضى وغدت الفوضى رمزا لبلادنا ومن غمرة هذه الانحلال الاخلاقي والتفكك الاجتماعي نرى الكثيرين يبحثون عن طريق للخلاص فلا يجدونه، انرى هذا الطريق في الدين ومصيبتنا المزمنة في هذه الفوارق الدينية البغيضة، اتراه في الآداب والآداب في بلادنا حائرة هي نفسها لا تهتدي الى طريق قوم، اتراه في الحكومة وشرائعها والحكومات التي تعاقب كانت وظيفتها التربع في الكراسي واملاء الجيوب والبطون وشرائعها مبهمة، ناقصة، عديمة السبك، كثيرة التشويش، اتراه في الانقلاب والرجال الذين يدعون اليه يفتحون افواههم يوماً ويغلقونها

دهرا لان الناس تصم اذانها عن سماع اصواتهم فيأسون ويسكتون، اتراه في الثروة وبلادنا جردت منها ولم يبق فيها الا الهواء والماء والكلأ والتراب والحجارة بدل الذهب والفضة، واذا لم يكن طريق الخلاص هنا وهناك فما ابعده بل ما اقربه، فهو بعيد على الذين لا يتأثرون بعواطف النهضات التي تريد ان تقيم ميزان الحق والحرية والمساواة وترفعه على المنارة، وقريب الى الذين يتنفسون زوابع هذه النهضات الجبارة اذ تهب على صدورهم روح القومية الجديدة، في ظل النظام.

لان النظام عدو الفوضى الالد وطريق الخلاص هو هذا الذي يؤدي الى النظام، لان النبوغ يحنق اذا لم يكن هنالك نظام قومي يحميه ويصونه، والعبقرية الفردية مهما اوتيت من قوة وجماح تموت تحت مؤثرات الانانية والارهاق كما تموت الوردة النضيرة بين لافح الاشواك، والنشاط مهما يكن دافقا فقد يرتطم بالفوضى الهدامة ويضعب في اوساطها كما تضع ذرة الرمل على الشاطيء، والجهود الفردية وعزائم الرجال ان ثابتت على المضاء حينما فقد تعجز عنه الى الابد في يم هذا الاضطراب الذي لا يعرف اين اوله وآخره، والاخلاص ان شع يوما فقد يجبو جيلا في مجتمع لا تميز فيه بين المخلصين وغير المخلصين، والحرية نفسها قد غدت تعبيرا مرادفا الى الدمار اذ يعتقد الكثيرون ان الاحرار يجب ان يدمروا ويخربوا حتى يتركوا الدنيا قاعا صفصافا تنعق فوقه البوم والغربان، واذا لم يتركوا على غيهم ملأوا الاجواء نوحا وصراخا وادعاء بان حريتهم مكبلت بالنار والحديد الا ليعلم هؤلاء ان الحرية غير الفوضى وان الحرية اقرب المثل العليا الى النظام القومي الذي يوزع العدل على المنازل والاكواخ والقصور، ويرتب الاعمال ويضع الاشياء في مواضعها فلا يبقى شيء منها مقلوبا او معوجا، لان النظام كفيل بان يركز المقلوب ويقوم المعوج ويدفع «الدولاب الاجتماعي» في اتجاه سام شريف، وفيه يجد الفرد حقه مأمونا وحرية مصانة ومواهبه مكفولة من عبث العابثين وحسد الحاسدين، فيندفع مجدا ناشطا الى عمله وواجبه نحو امته وشخصه، ويسكب حماسه وذكائه في فنه فيبدع ما شاء له الابداع وفي ظل النظام يلتقي جهد الفرد بالفرد، وجهد الجماعة بالجماعة التقاء الموجة بالموجة، ومن جميع هذه الجهود والامواج يتألف الجهد الاكبر والموجة الكبرى التي تظهر نشاط الامة ونبوغها واستعدادها للحياة.

ولكن سيلا من المنظمات السياسية قد طمى على البلاد في الآونة الاخيرة، فلا يظن ظان ان هذا الطغيان دليل على الترتيب والانسجام، بل هو دليل على الفوضى والاضطراب اكثر منه على النظام والتنظيم، لان النظام اذا لم يكن مستمدا من روح الامة ويمثل حاجاتها الضرورية وامانيها في

الحرية والاستقلال تمثيلا صحيحا كان النظام نفسه اكثر خطرا من الفوضى العمياء ، وليس النظام بلبس الثياب والقمصات بلون واحد وشكل واحد او بمد الذراع الى الامام او برفعه على الصدر فللجردان لون واحد واذناب متشابهة وهي تتحرك وتمشي وتركض ، وهذه المنظمات هي مصيبة على البلاد فوق مصائبها لانها لاتمثل الا نزعات فردية هوجاء تحركها شخصيات انانية طماعه تحب الاستثمار وتسميت في سبيله اما النظام الذي يكفل للامة الانسجام والسير في طريق المجد القومي فهو النظام الذي تحركه مبادئ تبعث النشوة في القلوب والفرح في الصدور والاتقاء في الارواح ، هو النظام الذي يحمل في كفه كأس النجاة في ارتكازه على القومية السورية وفي تقريره فصل الدين عن الدولة ومحاربة الاقطاع الذي يمتص دماء المساكين والبؤساء من ابناء الامة .



الحزب السوري القومي واثره في المجتمع بقلم مأمون اباس

تجول في مخيلتي لدى ذكر نهضة الحزب الآن حادثة مرت كحلم ولكنها لا يمكن ان تنسى ولا اظنها الا وقعت مرة على الاقل في حياة كل شاب ذي ضمير حي .
كان ذلك لاثنتي عشرة سنة خلت وكنت اذ ذاك طالبا في قسم الاحداث في الجامعة الاميركية وكشافا في فرقة القسم . وقمنا مرة برحلة الى نهر الكلب كما اذكر فالتقيت هناك بشاب في اول عهده بالحياة اي في نحو الثانية والعشرين من عمره ، جلس الى مائدة شراب « عامرة » وجلست الى جانبه امرأة لا تدعو مظاهرها الى الارتياح ، وهي بعد ، تكبره بما لا يقل عن العشر سنوات ، ورأيت ذلك الشاب يقوم بعملية الانتحار الاجتماعي باقدام ، وتلك المرأة تسبقه الى عالم الفناء . وعدت في المساء اتقلب في فراشي كأنني على جمر وقد ثارت في كرامة الجندي الصغير المثلة في روح الكشفية واخذت ثورتي تشند ودمائي تفور الى ان انفجرت دموعا من مآقي وقضيت ليلي باكيا متألما ، اخذت في الصباح اتساءل عما الم بي ولماذا كنت ابكي... وبقي الجواب حائرا في دماغي حتى انبثاق الحزب السوري القومي وانضمامي اليه .

لقد كانت تلك ثورة « الوجدان القومي » كما اسماه حضرة الزعيم المفدى . لقد كانت تلك ثورة مكبوتة مقيدة ، اصبحت تجدها المنقذ الواسع في نهضة الحزب لانك انى التفت وجدت لك رفاقا يفكرون بتفكيرك ويحسون باحاساسك ويتطلعون الى نفس المثل العليا

التي تشع في سماء خيالك. وانت بعد قد اقسمت يمين الولاة التي اقسماها كل منهم الى مبادئ النظام والواجب والقوة والحرية.
وكذلك اذكر في هذه المناسبة ما قاله لي مرة احد اصدقائي، وهو من اركان الحزب، قال: خرجت من الجامعة الى العالم ونظرت مدققاً حولي فوجدت مجتمعي بحاجة قصوى الى الاصلاح فشمريت عن ساعدي ونويت العمل ولكن رغبتني لم تلبث ان اصطدمت صدمة هزت كياني وتركتني في حيرة. بحثت عن وطني الذي اردت ان اعلم له فوجدته يتقلص ويتمدد بحسب ما تقضي مصالح الاشخاص، وفتشت حولي عن من يفهمني فوجدت نفسي وحيداً في الساحة، وبقيت هكذا الى ان تعرفت الى حضرة الزعيم.

وهكذا اخرجتنا مبادئ الحزب من الحيرة المظلمة والتردد الممض الى الاستقرار النير والاقدام الصريح لقد كنا نبكي لدى ثورة وجداننا القومي فاصبحنا نعمل لان طريق المثال الاعلى فتحت امامنا مملوءة املا ونورا.

★ ★ ★

وما يهمني الان هو ان اذكر بعض الحوادث الواقعة التي تبرهن على ان الحزب يؤمن حياة الامة من كل نواحيها ويضع الناحية الاجتماعية في الطليعة:

في جبل لبنان قرية تؤلف الاكثرية فيها عائلتان تتنازعان زعامتها ومن اجل هذه الزعامة كانت الدماء تسيل بين حين واخر ويقع القتلى من العائلتين. وتدخلت الحكومة في الامر طبعا فكان سجن وكان تشريد بعد القتال. وتكرر هذا مرارا ولم يكن منه بد في كل عام مرة من الاقل. وتدخل الاصدقاء وذوو النفوذ ولكن دون جدوى الى ان وصلت نهضة الحزب الى تلك المنطقة منذ ما يقرب العام ونصف العام فغسلت الدماء دون ما ضجة او جمععة وساد الصفاء بين شباب العائلتين اذ وجد كل منهم في الآخر رفيقا له في جهاد نبيل من اجل فكرة كبيرة تصبغ فيها العنعنات الصغيرة وتتلاشى.

★ ★ ★

و في اقاصي جبال العلويين شابان كانت بينهما في يوم من الايام صداقة متينة فاحتاج احدهما الى مبلغ ستين ليرة ذهبية وكان الاخر في يسر فقرضه المبلغ ولم يرض رفيقه ان يسلمه ايضا. ومضت الايام وخرج المدين من ضيق الى ضيق اشد فاستسهل النكران فانكر فأقام الدائن دعوى في المحكمة ولكن هذه حكمت عليه لا معه لعدم وجود ايصال بيده.

ووصلت نهضة الحزب الى تلك القرية واشتغلت بها بقوة وثبات. وذات مساء دعى الاعضاء الى اجتماع فاذا الخنصان يلتقيان في صفوف السوريين القوميون.

وفي الصباح الباكر بعد الاجتماع قرع باب المدير فخرج ليرى من جاء يزعمه في تلك الساعة فوجده احد الاعضاء فاستقبله ببشاشة وسأله عن خطبه. وجلس العضو يقص على مديره قصته مع رفيقه الى ان وصل الى قوله:

اما الآن يا حضرة المدير وقد اصبحنا رفيقين في الجهاد، والمبدأ الشريف يقضي علينا بالاستقامة والعدل فاني ارجو منك ان تحمل نصف المبلغ الى رفيقي الآن لانني لا استطيع ان اعيد له كله على ان اكتب له سنداً على نفسي بالنصف الآخر.

واستدعى المدير الدائن وقص عليه الخبر وسلمه ثلاثين ليرة ذهبية فما كان منه الا ان قال للمدير:

« انني يا حضرة المدير اقدر في رفيقي عودته الى الحق وارجو منه ان يقبل تنازلي عن المبلغ الباقي لي في ذمته ».

★ ★ ★

منذ مدة قريبة تفشى داء القمار في قرية من قرى الساحل القريبة من بيروت فكتب السوريون القوميون في تلك القرية منشورا والصقوه على ابواب المنازل والخوانيت في الليل يجذرون فيه الاهالي من القمار ويخطرون اللاعبين بانهم - الاعضاء - سيقومون بتسليم كل مقامر يعلمون بامرهم الى الحكومة ووقع ذلك بالفعل فسلم الاعضاء اثني عشر مقامرا في مدة يومين. وقطع دابر القمار في تلك القرية.

★ ★ ★

وفي القرية نفسها سائق سيارة توقف عن العمل مدة طويلة فاعتاد السكر والعريضة. وعندما اخذ يسمع بحركة الحزب تقدم من احد الاعضاء طالبا لدخول فقال له العضو « انت لا تستحق شرف الانتساب الى الحزب السوري القومي لانك سكير ».

فشارت نخوة الشاب وقال:

« واذا لم اذق عرق ابتداء من هذه الساعة. أقبل في العضوية ؟ ».

فاجابه:

« اذا برهنت عن ثباتك مدة ستة اشهر فانا اضمن قبولك ».

ففعل واصبح عضوا بعد ستة اشهر وهو الآن عامل نشيط واب عائلة صحيحة سعيدة.

★ ★ ★

في مجلة « العاصفة » البيروتية
لصاحبها
كرم ملحم كرم



الحزب السوري القومي بين لبنان والعروبة

للزعم سعادته مبادئ على من يجهلون خطة الحزب ان يطالعوها
ما هو رأي سعادته في القضايا الوطنية؟

مأمون اياس

نقرأ في صحف كثيرة في هذه الايام مقالات ومباحث حول الحزب السوري القومي ومبادئه وخطته. وبعض هذه المقالات كتبها او سجلها بعد القيام بدرس ولو اوتلي بالموضوع، والبعض الآخر لم يقيم بأي درس كان بل استند الى ما يسمعه من هنا ومن هناك من خصوم الحزب او اصدقائه. وهذه الفئة الثانية كثيرة العدد وافرادها لا يمتون بصلة الى صنف المصلحين الذين يريدون ان يزجوا انفسهم فيه، فمن يجرد قلمه لمعالجة موضوع يتناول قضية الحزب السوري القومي او سواها من القضايا الاجتماعية يجب ان يكون رائده الحقيقة والاصلاح وان يجرد نفسه من كل عصبية او غاية، لاسيما والحزب يستند في مبادئه واعماله الى اسس علمية بحتة وحقائق راهنة لا تقبل الجدل.

قامت ضجة لدى انكشاف امر الحزب او بالبحري ضجعات عديدة اتضح فيما بعد انها لم تكن غير طبول فارغة لا مادة فيها. ولكن بعض المضللين الذين يروقه ان يبقى الرأي العام في ضلال الى الابد يستغلوه ويصلوا الى اغراضهم استمروا في خطتهم السقيمة التي اصبحت تذهب مع الهواء دون ان تحدث اقل تماوج في الجوف. ومن المؤسف ان نرى بعض الصحف وبعض الذين يريدون ان يفرضوا انفسهم فرضا على فئة الكتاب الادباء يسهون ابدا في ظلمات خرج منها منذ امد بعيد سواد الشعب الذي لا يباهيهم فيها وعلماء واطلاعا.

من ذلك انك تقرأ في بعض الاحيان مقالا انبرى صاحبه للدفاع بحماسة عن «الوحدة العربية» او «القضية العربية» متها الحزب السوري القومي بالعقوق وبخروجه على الرابطة العربية وعدائه للام العربية الاخرى. ويظهر ان هذا الغيور قضى

المدة التي مرت في الجدل حول وجهة نظر الحزب في هذا الصدد في الصين او ناها . او ان تصريح حضرة الزعيم في شرحه للمبادئ والنص الصريح الوارد في قضية الحزب وخطته كل هذا لم يكفه او هو لم يفهم القول :

او هو لم يفهم القول : « ان انشاء جبهة عربية كان ولا يزال هدفا من اهداف الحزب السوري القومي الكبرى . ولقد كانت هذه الفكرة تصاحبنا قبل تأسيس الحزب كما تصاحبنا الآن » ايضا : « ان ايجاد جبهة من الامم العربية تكون سدا منيعا ضد المطامع الاجنبية الاستعمارية وقوة يكون لها وزن كبير في اقرار المسائل السياسية الكبرى هو جزء متمم لغاية الحزب السياسية » . وايضا : « ان الذين يعتقدون ان الحزب السوري القومي يقول بتخلي سورية عن القضية العربية ، لانهم لا يفهمون الفرق بين النهضة السورية القومية والقضية العربية ، قد ضلوا ضلالا بعيدا » .

« اننا لن نتنازل عن مركزنا في العالم العربي ولكننا نريد قبل كل شيء ان نكون اقوياء في انفسنا لنتمكن من تأدية رسالتنا . يجب على سورية ان تكون قوية بنهضتها القومية لتستطيع القيام بمهمتها الكبرى » (عن شرح مبادئ الحزب السوري القومي وغيته بقلم الزعيم) .

ومن جهة ثانية نجد بعض الذين يدعون خدمة لبنان يتهمون الحزب بالعقوق ايضا ، وينبري منهم من يجود بالنصائح والوصايا لزعم الحزب ويمينه بالفوز اذا ما عمل بها . من ذلك ان احد المواطنين واظنه مخلصا ، كتب منذ مدة قصيرة مقالا في هذه الجريدة جاء فيها انه يتمنى لو كان الاستاذ سعادة يكتفي بخدمة وطنه الحقيقي « لبنان » ويضمن في هذه الحال الفوز للزعيم ومناصرة جميع اللبنانيين له .

انني اقف امام كتابة من هذا النوع متعجبا اذ يتضح من هذا الكلام ان المواطن المحترم اما انه لم يلم باطراف الموضوع الماما كافيا قبل الشروع في الكتابة او انه بالرغم من كل ما كُتِب حتى الآن في الحزب السوري القومي ، وبالرغم من الشرح الوافي الذي شرحه حضرة الزعيم في الكراس الذي نشر منذ مدة طويلة ، بالرغم من كل ذلك لم يستطع الكاتب ان يهضم فكرة الحزب بعد . وانني اوجه نظر حضرة المواطن الى ان مبدأ الحزب السوري القومي بخدمة « سورية » لا يعني الاقتصار على خدمة الجمهورية السورية الحالية . وان الاستاذ سعادة لا يهيم كثيرا هذا النجاح المباشر الجزئي الذي يعنيه الكاتب .

ان الحزب السوري القومي ، والزعيم على رأسه ، يهيمه ان يوصل الامة السورية

المحتوية على اللبناني والشامي والعلوي وساكن جبل الدروز والفلسطيني والاردني الى الحياة والرفاهية. والسوريون القوميون القاطنون لبنان يحبون هذا الجبل اكثر مما يحبه دعاة الجمعيات والمؤسسات الاجنبية التشيرية، ويسعون لخيره اكثر مما يسعى هؤلاء وغيرهم من المتبجحين، وكون وجهة نظر السوريين القوميين تختلف عن وجهة نظر بعض المواطنين فيما يختص بمصلحة لبنان لا يبرر لهؤلاء الاعزاء ان يصموا الحزب وزعيمه بالخيانة والعقوق، فلربما كان الواقع عكس ما يظنون.

اننا نرحب بمن اراد ان يقرع الحجة بالحجة وينتقد، توصلا الى الحقائق الراهنة، ومن يجادل على اساس علمية بحتة، ونحن مستعدون لقبول الجدل من هذا النوع فقط لاننا لا نحتكر العمل القومي او السياسي في سبيل بلادنا. ونعتقد انه ربما كان ثمة من يفوقنا مقدرة وكفاية في حقل الوطنية. ولكننا نريد من ذوي الآراء ان يبدوها لنناقشهم فيها، على ان لا يخرجوا عن الاسس العلمية المقرونة بالبراهين لكي نصل جميعا الى الحقيقة.

القيامة قائمة على الحزب السوري القومي
الزعيم سعاد اول من عرف كيف ينشئ، عندنا الاحزاب المنظمة
لا سورية نريده ولا لبنان يرضى عنه.

صفوت ك...

يعيون على الحزب السوري القومي خروجه على الكيان اللبناني وعلى فكرة العروبة. وينسبون اليه الخيانة ويلصقون بأفراده شتى التهم ومنها صلاته بدولة اجنبية، ويضطهدون عمدته، ويحبسونهم، وكل قصدهم القضاء على الحزب وزعيم الحزب، وقد فات هؤلاء ان الحزب السوري القومي، وقد ضم اليه خيرة الشبيبة، لا يحارب بمثل هذه الاساليب التي لا تدل على خبرة ومرونة سياسية. فالحزب الذي اصبح شجرة باسقة لا يمكن ان يقضى عليه بسهولة.

هناك عقيدة راسخة يدين بها السوريون القوميون وهذه العقيدة غرسة سنين طويلة قضاها زعيم الحزب في التفكير والعمل وجاء يبشر بها، فلقيت رسالته ارضا خصبة، وفكرته استحسانا من شباب طموح يحارب مبدأ الطائفية ويدين بالمبدأ القومي، فهل يعقل ان يطلق هذا الشباب مبدأ نزل من نفسه منزلة عالية؟ ...

فكرة القضاء على الحزب السوري القومي بالسجن والتشريد والشدة تزيد قدمه رسوخا في البلاد وترفع من شأنه، وتأتيه بأكبر عدد من الانصار. فالرأي العام يعطف على المضطهدين ويعلو بهم الى مصاف الابطال.

ولماذا نبغي القضاء على الحزب السوري القومي؟ ... لماذا نحاول قتل الفكرة المشتقة منه؟. امن اجل كلمة «سوري» وهل تكون كلمة «سورية» في لبنان ولفظة «لبنان» في «سورية» جريمة تستحق العقاب؟ ...

عمدة الحزب السوري القومي من صميم لبنان، فاذا حاربتهم الحكومة السورية فقد تكون على حق، قد يكون لها عذرها خشية على استعمار سورية من اللبنانيين، اما لبنان

فما هو عذره؟ ...

يعتقد اللبنانيون ان برنامج الحزب السوري القومي قريب التحقيق او بالاحرى ممكن تحقيقه في قرن واحد؟

انا اقول ان من العبث بل من المحال تحقيق هذا البرنامج حتى ولو انتسبنا جميعنا الى السوريين القوميين.

فلندع الحزب يعمل اذا وعلينا ان نرشده الى الخطأ، ان نقتنعه بالبرهان، ان نقوم منه الاعوجاج اذا كان ثمة اعوجاج، ولكن بحكمة وروية لا بالشدة والضغط.

وإذا كان استقلال لبنان مرهونا بمشيئة فئة ضئيلة من الناس فخير لهذا الجبل الاسم ان يفوص في قعر المحيط من ان يكون عرضة للانطفاء بنسمة ريح.

لا، ليس من خوف على لبنان ولا خوف على سورية من الحزب السوري القومي، مها يكن من اسمه ولونه، فالحزب يخدم بلاده، وهل من ينكر منا فضل الزعيم انطون سعاده وقد ناضل وجاهد وخلق جوا صالحا للحزبية المنظمة؟ ... وان تكن اليوم بيننا احزاب منظمة فالفضل الاول والاخير يعود فيها الى الاستاذ سعاده، فهو غارس هذه النبتة والساهر عليها ومهذبها حتى نمت وترعرعت وعرضها على الشعب صحيحة سالمة تدين بدين العقيدة والقومية وتسميت في سبيل هدفها الوطني الاسمى.

فالحزب السوري القومي قام، على رأسه زعيم مفكر ناضج علمته التجارب، وحنكته الايام، وثقفته العلوم، وتسليح بسلاح الحكمة مما لا يتوفر مثله للاحزاب والمؤسسات. ولو انصف الزعيم سعاده نفسه وانصف بلاده اللبنانية لانصرف الى خدمتها وحدها باخلاص وباشر تطبيق برنامجه في لبنان قبل ان يلبسه وهو الطفل الهزيل، ثوبا فضفاضاً فصل ليرتيديه جبار لا قزم!

وهذا ما اهاب باللبنانيين لمحاربتة، كما اهاب بالسوريين لمقاطعته، فعليه اذا وهو المفكر الحكيم ان يلمس هذه الحقائق ويتدبرها وانا اضمن له الفوز اذا حسنت نيته واخلص للقضية اللبنانية اخلاصه لفكرته التي دونه ودون تحقيقها خرق القتاد.

مستشرق كبير يموت ميتة خرساء
الاب لامانس يشرح المبادئ القومية السورية بأمر القائد غورو
لماذا لا يغضب الاب مدير جريدة «البشير»؟

فريد مبارك

عانقت المنية الاب «هنري لامانس» في العقد التاسع من عمره، فضمته شيخا وقورا، ومؤرخا كبيرا، وعالما غالبا.

مات الاب هنري لامانس وانطفأ بين جدران الكلية اليسوعية، كأنه فكرة في عالم الغيب لم يترك للأجيال اللاحقة آثاراً خالدة.

مات المستشرق البلجيكي لامانس وموته خسر الشرق مؤرخا كبيرا، وعالما من اعلامه البارزة، ومرجعا صادقا، ولقد شاءت انانية اخوانه اليسوعيين ان يموت ميتة خرساء دون ان يقوموا بالواجب نحو من رفع اسمهم عاليا وعمل السنين الطوال في مؤسساتهم العلمية.

... كان لامانس عالما قبل ان يكون راهبا، ومؤرخا قبل ان يكون جزويتيا، احب الشرق فخدمه ودرس اصله وعوائد شعبه وخير الفصول الطوال عن امته ورجالها وذيل تواريخه بمعلومات صادقة لها قيمتها في عالم التجبير والتدقيق.

في اول عهد الاحتلال طلب الجنرال غورو من الاب لامانس ان يضع تاريخا صادقا للبلاد السورية كي ينشر ويعمم بين الخاصة والعامة ويطالع ابناء الامة تاريخ الاجداد والاسلاف في كتاب صادق لا غبار عليه ولا شائبة.

وقام الاب لامانس عاملا في التجبير والتنقيب والرجوع الى اصل المخطوطات والتواريخ القديمة العديدة حتى جاء كتابه في اللغة الفرنسية كتابا صادقا له القيمة الكبرى في عالم التاريخ.

ولقد قال الاب لامانس في القومية السورية ما ملخصه: «البلاد السورية ترجع

باصولها وعاداتها الى الشعب السوري القديم الذي حافظ ولم يزل محافظا على كل المواهب التي تركها له الاجداد .»

وحدد الاب لامانس البلاد السورية بما ملخصه: « حبت العناية الآلهية الامة السورية حدودا طبيعية. جبال طوروس في الشمال ودجلة والقفر في الشرق، والبحر الابيض السوري في الغرب، وخليج العقبة في الجنوب. وضمن هذه الحدود الطبيعية ترعرع نسل متجانس له طابع وطني حقيقي خاص، فتولدت الشخصية السورية وهي لم تزل محافظة على ميزاتها الحققة، مع ان سورية تقلب عليها ولم يتغلب، الحكم الاشوري البابلي والمصري والحشي واليوناني والروماني والعربي الاسلامي والغربي الصليبي، ومع هذا لم تزل الشخصية السورية محافظة على اصلها، ومنذ خمسة وثلاثين قرنا محافظة على طابعها الخاص .»

وشرح الاب لامانس الوحدة السورية في الارض والجنس والعادات شرحا موفقا علميا كما تشرح مبادئ الحزب السوري القومي، حتى ان كتابه لو جاء في هذه الايام او جاء الحزب السوري القومي يوم ظهر كتابه عام 1921 لكنت اخاف على الاب لامانس ان يدخل سجن الرمل كما دخل الزعيم سعاده لما قال في مبادئ حزبه الاساسية: « الوطن السوري هو البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الامة السورية، وهي ذات حدود جغرافية تميزها عما سواها، تمتد من جبال طوروس في الشمال الى قناة السويس في الجنوب، شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة، ومن البحر السوري في الغرب الى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بدجلة .» ولما قال الزعيم سعاده ايضا: الامة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع الى ما قبل الزمن التاريخي الجلي .»



صرح فريق من انصار « الوحدة اللبنانية » ان الاب لامانس اليسوعي البلجيكي هو الذي وضع مبادئ الحزب السوري القومي، وان الزعيم سعاده اخذها عنه، وان الحكومة اللبنانية لم تمنح المستشرق « لامانس » يوم وفاته الاستحقاق اللبناني لانه كتب تاريخا عن سورية، وفكر كثيرا في اصل الامة السورية، ولم يكتب تاريخ لبنان ولا يتحدث عن اصل الامة اللبنانية. وقال ايضا: « ان الحكومة الجمهورية في لبنان منعت كتاب سورية للاب لامانس من التدريس في مدارسها او المدارس الواقعة تحت انتدابها!...»

ولسنا نعلم ما هو رأي الآباء اليسوعيين وخصوصا رئيس انشاء جريدة «البشير» في هذا المنطق، وددنا ان نعرف رأي «البشير» الغراء، عدوة جريدة «بيروت» الغراء في مؤلفات المستشرق الاشهر الاب لامانس، وخصوصا تاريخ سورية. ان كتاب الاب لامانس يباع في الاسواق، وجغرافية سورية تباع في الاسواق، وهما من اخراج المطبعة الكاثوليكية في بيروت، فلماذا لا تعمل الحكومة على تمزيقها؟...

لا افهم غرائب هذه الايام، فلقد جمعت المتناقضات وجمعت الصيف والشتاء على سطح واحد، فبينما ارى «البشير» يدق النفير العام، يجند الجيوش الجرارة، ويستل السيوف الحدباء، ويشحذ الاقلام الفولاذية على الصحائف البيض في دك حصون السوريين القوميين ومعاقلمهم، اذا المطبعة الكاثوليكية، مطبعة رفقاء الاب لامانس، مطبعة الجزويت في بيروت، تنشر تاريخ سورية القائل بالقومية السورية ووحدة الشعب السوري ارضا، وثقافة، ونوعا، وقومية، وشكلا، ونفسا...

متناقضات!!! اهي الارباح المادية التي يدّر بها ثمن «تاريخ سورية» السبب الاوحد في عدم اختطاف كتاب لامانس من ايدي الطلاب؟..

لا افهم ماذا تريد جريدة «البشير» ومن ورائها حضرة الاب رئيس انشائها الذي عاش تحت سقف واحد مع الاب «لامانس» واضع وناشر كتاب تاريخ سورية في جزئين كبيرين!

انها لمعجزة من معجزات القرن العشرين، ينازل بها الباطل الحق، وتصرع المآرب الخاصة العلم الصادق الصحيح!

كاهن ماروني يؤيد مبادئ الحزب السوري القومي الزعيم ميشي الى انهاض بلاده فلنتبعه مطمئنين!

الاب
بولس مسعد

وقد ذكر الزعم هذا المقال في رسالته اليه من مقتربه القسري تاريخ 2 آب 1946 اي بعد 39 سنة

انا كاهن ماروني، ولكن قبل ان اكون كاهنا فانا ابن هذا الوطن، مهبط الوحي والالهام، ومثال الكمال والجمال، فلا تنتظروا مني الا ان اقول فيه الحق الصراح لان الايمان حبيبي بالوطن.

كذلك يجب ان تعرفوا ايضا اني لا انتمي الى حزب من الاحزاب السياسية التي منيت بها بلادنا العزيزة، لاني اكره السياسة الهدامة، سياسة النواب والوزراء والنفعيين وبائعي الوطن بأكلة عدس، لذا ان اطرائني او تقريعي صادر عن درس عميق للاسباب والمسببات.

لكل امة تاريخ، ولكل شعب رجال. والامة التي تفوق الاغيار بالمجد والسمو هي تلك التي تقدم للبشرية نوابغ ومصلحين اكثر من شقيقاتها، وهذا مما لا يختلف فيه اثنان.

واذا اخذنا هذا المقياس، وتاملنا على ضوءه تاريخ امتنا السورية المحبوبة، نجد اننا ابناء انبغ شعب وانبه امة ادت رسالتها الى الانسانية واصلحت خللها في عصور عديدة بتعاليمها وحكمها ومراشدها لذلك لا تعجبوا اذا وضع الزعيم الفذ في مبادئ الحزب الاساسية المبدأ التالي وهو: «تستمد النهضة السورية القومية روحها من مواهب الامة السورية وتاريخها السياسي القومي».

نعم، يجب ان نستمد روح قوميتنا من مواهب امتنا، وما مواهب الامة الا سير عظمائها المدفونة في طيات التاريخ، لاننا اذا استمددنا روحنا من غيرنا صرنا شخصية

ممسوخة لقيمة لها ولا وزن، وفقدنا شعورنا بوجودنا ومزايانا ومقدرتنا على الاستنباط والاختراع.

قطعت امتنا السورية مراحل من تاريخها كانت فيها قدوة في الذكاء والعبقرية والتمدن والحضارة. فاجدادنا هم الذين ابتدعوا الحروف الهجائية اعظم وافيد ثورة فكرية اندلعت السنة لهيها في العالم.

هم الذين مخروا البحار وغالبوا الامواج الصاخبة واخضعوها يرفرف العلم عليها كما على الارض اليابسة.

هم الذين اكتشفوا المناطق السحيقة واستخرجوا من احشائها الكنوز وبنوا بلدانا عليها بالفن والعمل.

هم الذين نفحوا العالم بالفلاسفة الخالدين كزينون، والشعراء الموهوبين كأبيو وابن المعزة، واللاهوتيين المبدعين كافرهم ويوحنا فم الذهب ويوحنا الدمشقي.

هم الذين افتتحو البلدان الكثيرة واستعمروا اخرى بيطولتهم وبأسهم...

فلماذا اصبحنا بعد هذا الجاه العريض والمجد الاثيل بلا دليل في مرافق الحياة ونواحيها الفكرية، فنقبل على جميع المأكولات لسد جوعنا، ونستسيغ كل ينبوع لارواء ظمئنا، ونهرع الى كل الملابس لستر عرينا، وتنغمس في قلب الغرب لنقتبس ظلالا واشباحا نحوك منها شخصيتنا المقترية من الاحتضار اذا لم تداركها ايدي مفكرين ناضجين كزعم الحزب القومي السوري؟

للحياة شرائع خالدة ونواميس ازلية وضعها مبدع الحياة الاعظم. والشعب الذي لا يكون على اتصال بماضيه يعاكس الحياة القائلة: « التاريخ محكمتي العليا: فيستحق نقيمتها. ولما كنا شعبا لا يعرف شيئا عن ماضيه المجيد فعلينا وقد لاحت لنا الطريق واضحة، بفضل مجهود الزعيم سواده، ان ننفض غبار الكسل والخمول. ونتعلم الصدق والتضحية، ونأخذ مثلنا العليا من تاريخ امتنا العريقة كقول الزعيم البليغ: في النفس السورية كل علم، وكل فلسفة، وكل فن في العالم! »

هذه الكلمة من قبيل الاستيحاء الذاتي الوطني، فعلى كل وطني حر ان يحفرها على الواح قلبه وان يثابر على العمل بجد. فلا يمضي علينا الا القليل حتى نعود فنتبوا المنزلة التي كانت لنا تحت الشمس.

نريد ادبا « نشعر ونحن نقرأه بأنهم منا وفينا الادب القومي حياة الامة والادباء القوميون قادة الجماهير

فريد مبارك

قبل ان يدك الشعب الفرنسي جدران « الباستيل » بشر الظلم والاستعباد ، دك « فولتير » و « جان جاك روسو » و « ل بلور » وجماعتهم جدران البعض والاستبداد . وقبل ان يوحد « كافور » و « غريبالدي » و « متسين » ايطاليا الجديدة جمع « دانتي » ، بين عادات البندقية وصقليا وبين فلورنسا وتوسكانا . وقبل ان يجعل الحزب القومي في بلادنا سورية وحدة موحدة يجب على ادبائنا ، وما اكثرهم في هذه الايام المريضة ، ان يوحدوا بين الميول المتضاربة والثقافات المتشاكسة ويدكوا جدران التعصب والتفريق . ولن ينجح رجال السياسة النجاح كله حتى ينجح رجال الادب ... فهل قام هؤلاء بما يجب عليهم كما فعل رجال الحزب القومي الصحيح ؟ ...

استثني ادبيين او ثلاثة واقراً من شئت تجد ان ادبنا غريب عنا وعن حياتنا الحقيقية وثقافتنا المعول عليها ، فهو اما فرنسي واما انكليزي واما حكايات لا يلتذ بها الجمهور ولا يقرأها الا اذا كان ضجرا كارها .

والغريب اليوم هو الادب الروسي الذي دخل على بلادنا بدخول الشيوعية . وما ادراك ما هو الادب الشيوعي ؟! روح سوداء في قلوب قائمة ، فهي تريد كل شيء ولا تريد شيئاً ؟ ...

اننا نكتب لقوم هم منا ، فاذا لم يلتذ الجمهور بادبنا انصرف عنا ، اذا لم يتأثر به ندم على القروش التي انفقها في سبيله .

ان الادباء ، غير القوميين ، الذين لا يفهمون اين يكتبون ولمن يكتبون ، فينصرفون الى تعزية انفسهم ويرمون الجمهور بالجهل والتأخر لمخطؤون كل الخطأ في اتجاههم

الاذي، والجمهور مصيب في الاعراض عنهم!

الادب هو الحياة، آمنة وصدقنا، ولكن اي حياة؟... اتكون هذه التي تدور على فساد في العيلة وشذوذ في الحب كما يفهمها المخطئون، ام هي تلك القصص التي قام اصحابها بتدعونها فجاءوا بسخافات يستهزىء بها الاولاد البلهاء.

ان الادب القومي الصحيح هو الذي يلمس روحنا في البيئة التي نعيش فيها، والذي يؤثر في نفسيتنا فيحرك فيها الطموح الى المجد والعمل المثمر في حقل الامة ومصصلحة الوطن.

اما بعض الادباء الذين لا يفهمون من الادب الا حروفه الصماء يرتفع لهم صوت الغرور فيحاولون اجتذاب الجمهور اليهم بحبال الشمس، فاذا خابوا ملاؤا الفضاء صياحا... واي صياح!...

اما الادباء الذين يعيشون مع الجمهور ويشاطرونه عمله وثقافته فقليل هم، وهم قادة الجماهير...

نحن بحاجة الى ادب قومي ينهض بنا الى الحياة الصحيحة، وليس الى الخيال الاجوف، الى معالجة الداء بالدواء وليس الى معالجة الداء بالداء على لغة ابي النواس! جعلتني الاقدار يوما من الايام بأديب ضائع بين الارض والسماء، وشاءت المناسبات ان اسمع شيئا من بنات افكاره وعصير دماغه، وكنت اجمع قواي العقلية والجسدية لافهمه. فلم افلح فقلنا له: « لا افهم ما تعني بكلامك وقريضك ولا اقول نثرك وشعرك لان ليس هذا بنثر وليس بشعر.

فكشر وقال:

- ليس من الضروري ان تفهم، انا لست من هذا الشعب الخشن الحس، الغليظ التفكير. الذي لا يحس الجمال ولا يقدر الكمال!...

فعرفت فورا ان محدثي ليس من هذا العالم!...

وكم هم الغرباء عنا ممن يأكلون بيننا ويشربون، فان عقولهم في المريخ وتفكيرهم في الصين...

الحزب السوري القومي يعلن رأيه بصراحة
ليس في نية الحزب ان يكد لسلامة لبنان

احمد فريد

لبنان ارض الميعاد!

لبنان قدس الاقداس

لبنان جنة عدن!

لبنان هيكل سليمان!

لبنان اعظم من معامل فورد وجنائن كليفورنيا واسطول بريطانيا!

لبنان فوق الجميع، حتى فوق هتلر وموسوليني وياتورك وستالين اذا شتم!

لبنان منبت الوحي والالهام ومعقل الاسود والاشبال!

لبنان... ماذا اقول؟.. سدرة المنتهى على شواطئ الشرق الادنى!

ماذا تريدون، يا عشاق لبنان، اكثر من هذه الانشودة الرائعة اليتا؟..

فاذا ترنمنا بانشادها صباح مساء ووضعنا مكبراً للصوت يذيعها على قمم صنين وفم

الميزاب اتملىء بطوننا الفرغى ويكف الجياح عن تصعيد صرخاتهم الوجيعه؟

اتطرد عنا شياطين الشركات الاجنبية وترجع سعة العيش والهنا الى مجموعنا؟

اتضرب على يد رجال الاغراض النفعية الذين يلعبون بمقدارنا لعب القطعة

بالكرة؟

اتجاهه الازمات السياسية والاقتصادية التي تأكل من افئدتنا وتقطع اكبادنا؟...

نحن من لبنان، يا ابناء لبنان!

نحن ابناء الحزب السوري القومي، من هذه البلاد نعمل لاسعادها وارجاع الحياة

الى مجموعها بيت روح الاخاء والوثام بين افراد اهلها..

فلا يخاف اصحاب الكراسي، اصحاب قبض المعاشات في آخر كل شهر على

كيان لبنان..

انا، كاتب هذا المثال، انتسب الى اسرة متأصلة عروقتها في لبنان، تحب لبنان، وتغار على سعادة لبنان، ولا تسمح لاي اجنبي كان ان تلعب ايديه مها كانت حربية، مقلمة الاظافر، بمصالح لبنان ومقدرات لبنان، اصرح لكل خائف على هذا الوطن العزيز الجميل الفتان ان لبنان سينال حياته وقوته بالاعتماد على الحزب السوري القومي، هذا الحزب الوحيد الذي عرف ادواء لبنان التفكيرية والاقتصادية والسياسية فقام يعالجها بالعقاقير الصحيحة وليس بالسموم القتالة.

اجل، الحزب السوري القومي يغار على لبنان. فلا تخافوا منه، يا حفدة المردة وابناء الارز!

لقد صرح حضرة زعيمه الاستاذ انطون سعادة، نزيل « قصر ارميل » اليوم في منشور اذاعه على الامة جمعا قوله السديد :

« انهم يتهموننا بمحاولة هدم كيان لبنان ونحن صرحنا غير مرة ان الحزب السوري القومي لم ينشأ لهدم كيان لبنان، بل لتأسيس العقيدة القومية الصحيحة التي تزيل المخاوف التي اوجبت انشاء كيان لبنان. ولقد وقف الحزب السوري القومي من المعاهدة السورية الفرنسية واللبنانية الفرنسية موقفا رصينا وكان من اهم عناصر النظام وحامل لواء العمل التعميري الهادىء.

« اننا لم نحمل ولا مرة على كيان لبنان او على الحكومة ولم نتخذ من اي اجتماع كان وسيلة للاخلال بالامن او للشغب على الحكومة وسياستها على ما فيها من عقم...!

هذه هي اقوال زعم الحزب ننقلها بحروفها الى ابناء لبنان الاحرار الابرار ليفتشوا بين سطورها وليبينوا لنا مكمّن الخطر على لبنان.

بالامس كان اذا اراد دساس ان يرمي احد الناس بتهمة الاجرام قال عنه انه سب دين السلطان، وكان هذا التصريح كافيا ل طرح الظنين غياهب السجون وارساله الى مياه البوسفور او الى الديوان العرفي في عاليه.

وهذه هي الحال اليوم مع حكومة لبنان التي تتهم ابناء الحزب السوري القومي بأنهم يريدون النيل من كيان لبنان مع ان الحزب السوري القومي لا يريد الا سعادة لبنان وهناء اهله وارجاع العيش الرغيد الى هذا البلد العزيز.

فكفانا تجارا بالعواطف الجوفاء!..

لقد طفح الكيل فلا تحوجونا الى القول اكثر مما قلنا. هداكم الله الى الطريق لقوم لنسر واياكم جنبا الى جنب، نعمل لمصلحة المجموع واسعاد لبنان العزيز الذي هو لكم ولنا على السواء!

كلمة حق نعلنها بارتياح:

الحزب القومي السوري حزب النظام والشباب فلماذا تعتمد الحكومة الى محاربتة وتبديده؟

شمرت الحكومة عن ساعدها للقضاء على الحزب السوري القومي. فهي ليست ممن يرتاحون لوجود هذا الحزب في البلاد، وحجتها انه نصير الفوضى على النظام. ونحن نقول للحكومة ان محاربتها الحزب معناها احياؤه. فكلما ناوأته لقيت منه التكتاف والحماسة. على حين انها اذا صبرت عليه يسلك مجراه الطبيعي فقد يفنى كما قد يعيش. فهو عرضة ككل حي لناموس الفناء، الا ان تكون هناك قوة روحية تدعمه ابدا وتأبى عليه ان يطوي ويموت.

اجل، على كل فرد من افراد الدولة ان يحترم النظام، وعلى كل جماعة ان لا تمس سلامة الدولة وراحتها والا لقيت من الدولة المطاردة والتأديب. والقانون يجب ان يحترم ما دام هذا القانون ساريا وما دام ولاة الامر يقوون على صونه وتنفيذه. ولسنا نرى الحزب السوري القومي يتعرض للقانون و ينتهك حرمة. فهو لا ينال بسوء غير من يعتدي عليه. وما دام بعيدا عن العدوان فلا ضير ان يتابع مسيره بهدوء وامان.

هكذا عرفنا الحزب. ونحن اول من يدعو الحكومة الى تبديده ان يكن خارجا في مبادئه على سلامة الدولة، اما ان يكون ذا مبادئ معلومة يسعى الى تحقيقها وتوطيدها دون ان ينال من كيان البلاد فليس من خطر يخشى منه. فلاحزاب لا بد منها لتأليف القلوب وتكوين القوة. وقد رأينا فوائد الاحزاب العامة في البلاد الراقية، فلماذا ننقم على حزب ينهج نهجها عندنا ويسعى بمخطى حثيثة الى الاقتداء بها؟

كنا ننظر في البدء الى الحزب السوري القومي. مثلنا الى مهزأة من المهازيء تمثل اليوم ويتناساها القوم غدا. كنا ننظر اليه مثلنا الى كل حزب يقوم في هذه الديار، لا يكاد ينهض حتى يمحي. على ان الايام اوضحت لنا ان الحزب السوري القومي شذ عن القاعدة السارية على الاحزاب في هذه الديار. فنهض وانتعش وتابع مسيره بخطوات ثابتة بعد كل ما بلي به من صدمات. وانتشرت فروعه في كل مكان وبات

انصاره يعدون بالالوف. واننا لنجهر اننا لم نعرف حزبا قام في البلاد وانتشر مثل هذا الانتشار، الا اذا عدنا بالذاكرة الى الحزبين القيسي واليميني ثم اليزبكي والجنبلطي، فالحزبية المنظمة الصحيحة عرفتها يومذاك البلاد وعرفتها اليوم في الحزب السوري القومي.

ولسنا ننكر ان الحزبين القيسي واليميني شملا البلاد جمعاء وقام على رأس كل منهما زعماء من ذوي الخطورة والشأن، على حين ان الحزب السوري القومي يقوم على سواعد الشباب. وفضله الاكثر لانه يقوم على سواعد الشباب، تتولاه فئة من افراد الامة لا تملك زعامة الوجاهة والمال بل زعامة القلوب. وافراده باجمعهم من المخلصين، فليس بينهم من ليس يؤمن بالعقيدة المألوفة نفوس الآخرين.

ولا بأس على مثل هذا الحزب ان يعيش. ولا يجوز تشتيته الا ان تكون هناك حجج عليه في كيدته لسلامة الدولة. فاذا وضحت هذه الحجج فالامر فيه يعود الى ولاة الشأن، ما اذا كان ما شاع عنه اباطيل واكاذيب فهاذا اذا جاء وهو يعتمد في مسيرة الهدوء والامان.

لم ننس مأساة بكفيا. اجل، لم ننسها، على ان الحزب دافع فيها عن كيانه، وحرص على سلامة الافراد. فكانت تنقض عليه الضربات ويتلقاها بصدر رحب، وجل ما فعل انه اتقى غضب الجند بما يتيسر له دون ان يعتدي على الجند

قلنا ان الامر يعود الى ولاة الشأن. فاذا شاؤوا ان يبقوا على الحزب فذلك اليهم، واذا راموا تقويضه وتبديده فالامر اليهم. وكل ما لنا من رأي ان مثل هذا الحزب لا خطر منه، بل هو يدفع البلاد في طريق الحزبية الصحيحة ويحارب ذوي العقائد الفاسدة النيات في المبدأ. ومن الضرورة ان تعم هذه البلاد النيات في المبادئ والا باتت عرضة للتقلب في ميولها السياسية. وماذا يضيرها ان يقوم فيها حزب يؤيد ميوله في السياسة بكل ما اوتي من جرأة واقدام وحزم؟... اما رأينا يضحى بدمه في سبيل هذه المبادئ؟... اذا هناك فكرة ناضجة. وما دامت ناضجة فلماذا القضاء عليها؟... الا اذا كانت الدولة ترى في وجود الحزب خطرا عليها. ونحن، مع كوننا لا نرى ثمة خطرا، لا ندعي اننا ابعد نظرا من ولاة الامر فنبصر ما لا يبصرون!

ولا ننسى في هذا المجال عنصر المرأة الذي اشترك عمليا لاول مرة في حركة عمومية عامة. وتقوم كثيرات من السوريات القوميات بتضحيات حرية بان تسجل هن على صفحات التاريخ، فاني اعرف منهن من تضحى حتى بغائها اليومي في سبيل الحزب وثانية ضحت بسعادتها العائلة من اجل المبدأ وثالثة بذلت من المجهود عند اشتداد ازمة الاعتقالات ما جعلها تلزم الفراش مدة طويلة.

وانك لتجد السوريين القوميين يعملون صامتين ويضحون من اجل مبادئهم والابتسامة على ثغورهم وصدورهم تحتلج ايمانا وعزة.

لقد كنا وطنيين دون وطن وجنودا دون علم اما الان فقد اصبح الوطن واضحا جليا وقلوبنا تعمر بالايمان بان هذا العلم الذي يخفق الآن فوق رؤوسنا ونحن نعد بعشرات الالوف سوف يرفع يوما ببلادنا الى ذروة المجد السؤدد.

ان فيما نقدم جوابا كافيا لمن يتساءلون، اما متجاهلين او غير مكلفين انفسهم عناء التدقيق، ماذا عمل الحزب السوري القومي حتى الآن؟

ولا يخفي كل ذي نظر ما اثاره الحزب من بعث وطني حدا ببعض الفئات الى ما يسمونه «التنظيم» ناظرين الى القشور لا الى اللب. فهذه الحركات التي قامت بعد ظهور الحزب مباشرة في سورية الداخلية وفي مصر والعراق ولبنان ليست الا من مولدات الحزب السوري القومي ولكني اردد في هذه المناسبة ما قاله حضرة الزعيم المفدى مرة:

«لقد نظم هؤلاء قمصانا مزخرفة مختلفة الالوان سراويل مزوقة عديدة الاشكال وجزما لماعة اما الحزب السوري القومي فقد نظم قلوبا قوية حساسة وادمغة مفكرة عملية.

قصة ليلة في «حبس الدم»

بقلم:

جبران جريج

على نفسها جنت براقش. انطبق هذا القول عليّ تماماً فلولا قلة اختباري والحاحي الذي كان في غير محلّه لما دشنت الحبس فتمت اول ليلة فيه.

كنت صرت مسؤولاً عن ماليّة الحزب « مفوض مالية » في هذه الفترة التي استأنفت فيها السلطة ملاحقاتها للحزب من اوائل شهر اذار. كما ان اسمي صار يورد على لوائح المراد اعتقالهم وملاحقتهم. هذه المرّة توسع نطاق المذكرة فعممت في الشمال كلّه، شمالي لبنان لكنني كنت قد انتقلت الى بيروت بحكم مسؤوليتي الجديدة.

ما طالت هذه الفترة. دامت اقلّ من ثلاثة اشهر. عندما شارفت على نهايتها وشرعت السلطة في حلّ المشكلة عملت في انهاء طلبات اخلاء السبيل للموقوفين بواسطة كفالات ماليّة يقوم بها الامير امين ارسلان خصوصاً لمعتقلي جبل لبنان في بعيدا. وقد ترافقنا الى سجن بعيدا ودوائر بعيدا اكثر من مرّة وانا صادر بحقي مذكرة توقيف.... ولكن في الشمال.

وصلت جرأتني الى قصر العدل نفسه في بيروت. اذ انني كنت احياناً انتظر مجيء الزعيم الى قصر العدل بطلب من قاضي التحقيق وكان يومها جورج مراد، لأسأله عن جديد يريده. حتى انني توصلت مرّة اني دخلت الى مكتبه بوجود الزعيم لاخذ تعليمات تختصّ بمعاملة اجرائيّة تتعلّق بالزعيم وانا صادر بحقي مذكرة توقيف.... ولكن في الشمال.

انتهت هذه الحقبة من الزمن وافرجت السلطة عن الجميع بما فيهم الزعيم ولم يبق

سواي، انا وحدي، احل على كتفي عبء مذكرة توفيق. قررت ان احضر الى طرابلس وانهيها كما انهيت سابقتها. كنت غدوت في جو حرة. بالرغم من بقاء المذكرة سارية المفعول.

حضرت الى طرابلس فوصلتها ظهرآ. ذهبت توآ الى السراي اقصد مكتب قاضي التحقيق. التقيت بكتابه، وهو طرابلسي لا يجتأ بسبب عصبية الطائفة السنية، التقية في باحة السراي امام مكتبه، الذي بادرنى بوجه كالح ناشف ان المستنطق غائب عن مكتبه ولن يعود حتى نهار غد.

غادرت السراي، وانا المطلوب بمذكرة توقيف والكتاب فاتح فاه من الدهشة والاستغراب، غادرت السراي الى احد المطاعم حيث تناولت وجبة طعام ثم جئت دكان رفيقنا امين مجذوب. دكانه كناية عن زاوية في اول بناية يبدأ فيها شارع التل، يلي مقهى فهم. انها زاوية بيع دخان. مقابلها تقع دائرة الامن العام ورجال التحري فيها يعجون عجا. قعدت على الكرسي الوحيدة التي يتسع لها المجال في الزاوية ورحنا نتحدث وهو يعجب من موقعي هذا.

في هذه الاثناء كان رصيفي انيس فاخوري، في طرابلس، قد اتصل بي ليحجز لي معه مقعدآ في سيارة متوجهة الى بيروت حيث كان يود العودة فوافقت. زيادة في الحرص طلب مني انيس ان اسبقه الى مكان ما على الطريق امتطي منها السيارة ففعلت. ولكن ما كادت السيارة تصل بنا الى محلة «باب الرمل» حتى برز فجأة من خلف تصويبة المقابر هناك رجلا تحري اشار احدهما للسيارة بالتوقف.

انصاع سائق السيارة للاشارة قائلاً: «خير، ان شاء الله» اذ كان يعرفهما. فتح احدهما الباب وطلب مني النزول ومرافقته. تجاهلت طلبه. كرر الدعوة بلطف. كررت تجاهلي. تجاهل انيس الموقف ايضآ. قال رجل الامن موجها كلامه الي «يا استاذ، انت مطلوب، وبحقك مذكرة القاء قبض. تفضل، انزل ورافقنا». قلت له «من تقصد؟» قال: «انت، جبران جريج». قلت: «انا، اسمي جبران قبرصي». (ان اسمي في هويتي جبران قبرصي). خطر على بالي ان اتمسك بالاسم الوارد في تذكرة الهوية وبالفعل مددت يدي الى جيبي وقدمتها له.

ارتبك هنيهة ولكن عاد وتمالك روعه بسرعة قائلاً: «انت بالذات، هذا الشخص الموجود في هذه السيارة، هو المطلوب، ان كان اسمك جريج او قبرصي. تفضل، انزل، ورافقنا واشرح في الدائرة هذا الشرح». امام هذا الاصرار ما عادت المراوغة

تنفع فاستسلمت للامر المفعول وقلت: «جيداً، تفضّلوا». صعد احدهما الى السيارة التي عادت ادراجها الى دائرة التحري، الى التلّ، مقابل زاوية بيع الدخان لرفيقنا امين مجذوب. انصرفت السيارة تقلّ ركّابها بما فيهم انيس وراكباً آخر حلّ محلّي من الكاراج المجاور للدائرة وانا ظللت موقوفاً اجادلهم بخطأ توقيفي، متابِعاً المأزق الذي اوقعت نفسي فيه.

طلبت الاتصال بالرفيق امين فسمح لي. طلبت منه ورقة لكتابة استدعاء مع تمغة اميرية اشرح فيه هذا الخطأ المزعوم. حرّرته وقدمته باسم المدعي العام. اوصل الرفيق امين استدعائي هذا الى المدعي العام الى منزله، (اسعد الشمالي، والد الشهيد فؤاد الشمالي) فلا وقت دوام في ذلك الوقت من النهار. جاء جوابه حالا «هي ليلة يقضيها ولا تحرز هذه الورشة. سأوصي به خيراً». قضي الامر ولم يعد من مفرّ من الدخول الى الحبس. نعم، على نفسها جنت براقش فلولا رغبتي الملحاحة بانهاء مسألة المذكّرة ولولا اخذ حرّيتي الزائدة بتصرفاتي في روحاتي وغدواتي، من السراي الى المطعم، من الشارع الى الدكان، الخ... لما وقعت فريسة سهلة بين ايديهم. قضي الامر ونقلني رجلا التحري الى السراي وسلّماني الى ادارة السجن. او دعاني هناك وانصرفا.

علمت فيما بعد ان اهتمام دائرة التحري بامري ما كان بسبب تصرفاتي الكثيرة العلنية بل كان بسبب مخابرة هاتفية وردتها من كاتب المستنطق، اياه، انّ جبران جريح المطلوب بمذكّرة القاء قبض يدخل السراي ويخرج منها ويسير في شوارع البلدة كأنه حرّ طليق. ويطلب اخيراً القيام بما يترتب على الدائرة عمله حفظاً لهيئة القانون والنظام ومحافظة على ماء وجه السلطة.

صدق المدعي العام واوصى لي. اذ انّ أمر السجن اعطى تعليقاته بايداعي احدى غرف السجن النظيفة بدل توقيفي في غرفة النظارة. ماكنت اعرف، بعد، الغرف بين غرفة النظارة وغرفة السجن فكلّه عندي حبس.

يقع سجن طرابلس، في القسم الخلفي من مبنى السراي. مكتب إدارة السجن يواجه باحة السراي، مقابل مدخلها الرئيسي. على الجانب الايمن للمكتب، ممرّ تحت قناطر، على جانبه غرف دوائر اخرى تخصّ السراي ومنه الى جهة اليسار ممرّ آخر مثله، طلق الهواء، يؤدي الى رتاج حديديّ من قضبان، هو مدخل السجن.

كنت اعرف هذا المدخل من العام السابق فقد جئت وانا مطلوب، ولكن في الكورة وقتئذ، ازور رفقايتي الموقوفين. هاأني الآن ازور السجن بنفسي. كانت

الشمس تغرب عندما انفتح الباب الاول ودخلت لانتوقف امام الباب الثاني يرافقي دركي فاحسست بانقباض في نفسي وكأنها غابت مع غياب الشمس .

وضع المفتاح في القفل المعلق بجنزير يلف عدة قضبان من الباب الثاني وبرمه . الباب من ضمن حاجز قضبان حديدية تصل الارض بالسقف عامودياً وتصل افقياً جدارين هما حائطان لغرفتين داخليتين بسحب القفل ووضع الجنزير على حدة والفتح الباب الثاني ليتلقفني دركي يحرس في الجهة الداخلية . قبل ان اعبر هذا الباب استوقفتني الدركي المرافق وفتشني من الاعلى الى الاسفل . ثم طلب مني ان احل ربطة العنق ففعلت واخذها . واخذ مني قشاطي وشريط خذائي وبعض الدراهم .

من جهتي ، كنت اتابع هذه الفصرتات التقليدية الروتينية بالنسبة لهم ، بلب شارد يفكر بالآتي المجهول . تسلمني منه الدركي الداخلي وسمعته يرد على كلام الدركي الاول لم اسمعه « حسناً ، في حبس الدم » . افقت من ذهولي عند هذه الكلمات لاقع في حبس بيص . ما هذا الحبس ؟ حبس الدم . اهذه هي التوصية ؟ اهذه هي الليلة الواحدة ؟ في حبس الدم ؟ طلب مني الدركي ان اتبعه فتبعته . لمحت من طرف عيني اليسرى غرفة طويلة العمق ، بابها قضبان حديدية ، فيها بعض الضجيج ، من بعض الناس . ذكرني النفس الذي لفحني من جهة الغرفة هذه بالرائحة التي زكمت انفي عند مدخل السجن الخارجي .

وصلنا الى باحة ، طلقة الهواء ، في وسطها بركة ماء ، في وسطها نافورة . ملنا الى جهة اليمين وتوقفنا امام باب من قضبان حديدية . في الجهة المقابلة غرف فيها سجناء ، اثار حضوري اهتمامهم . وضع الدركي المفتاح في القفل وبرمه . سحب القفل من جنزير حديدي ايضا وانفتح الباب ، قال لي « تفضل ، ادخل » . توجه الى نزلاء الغرفة وقال لهم : « هي ليلة ، يا مكاري ، انه بالامانة » . دخلت . انغلق الباب ورائي وانلف الجنزير واعيد القفل اليه فصرت في الحبس عن حق وحقيق .

عبارة « حبس الدم » ما تزال ترن في اذني . مظهر الغرفة نظيف هي غرفة صغيرة . عدد السجناء فيها قليل . كان عند دخولي قد صار الوقت مساء . انهم مشغولون بمد الفرش . الضوء خافت . وقفت عند الباب سادراً . القيت التحية عليهم . اجابوني تقريباً بصوت واحد . استبشرت خيراً . ولكن « حبس الدم » ما هو ؟ كانت هذه العبارة تقطع علي تفكيري .

وقفت عند الباب وانا محير فيما يجب علي عمله . هل اظلل واقفاً عند الباب ؟ ام

اتقدّم بخطوة ما؟ انقذني من حيرتي هذه، احدهم قال لي: «اخلع حذاءك وضعه مكانك وتفضّل» انصعت لتعليماته. اوسع لي مكاناً جنبه. جلست وانا اشعر بغربة خانقة. عرض عليّ مضيفي طعاماً فاعتذرت وشكرت. قدّم لي آخر سيفارة فاخذتها منه. اشعلها لي آخر ايضاً. بدأت اؤخذ بهذه الدلائل المشيرة الى لطف ولياقة. افي الحبس لطف ولياقة من هذا النوع؟ افي الحبس مجاملات اجتماعية على سيقارة شكل؟ سكنت نفسي. عدت طبيعياً وانطلقت نفسي على سجيّتها. انقشعت الغيوم ولكن «حبس الدم» كان يطلّ على ذهني بين الفينة والاخرى.

سئلت عن سبب توقيفي. اعلنت انتمائي الى الحزب السوري القومي الاجتماعي ببساطة وصراحة ودون مقدمات. زاد احترامهم لي كما شعرت من طريقة توجّهم اليّ. امسيت محور اسئلتهم وتساؤلاتهم الشاملة ما هبّ ودبّ من مواضيع اخلطت فيها الحابل بالنابل، لها اولّ وليس لها آخر. تعرّفت خلال هذه الاحاديث على «شاويش» الغرفة اي المسؤول عنها.

مرّ وقت المساء دون ان اشعر به وازف موعد النوم ولكن اين انام وكيف؟ هذه معضلة عويصة اعترضتي ورحت اترقّب حلّها. كنت استأنست بمضيفي وعلمت منه انه من قرية «دير عمار». غرب اسمه عن بالي. سألته عن مختار الضيعة الذي كان من رفقاءنا السريين. انه يمّت اليه بصلة نسب وان بعيدة لكنّه يحبّه ويحترمه.

كلّ من في هذه الغرفة محكوم. احكامهم تعدّ بالسنين ولكن لحسن سلوكهم وضعوا في هذه الغرفة. انها افضل غرفة في السجن وان كانت تحمل اسوأ تسمية. «حبس الدم». اذن، هذا هو «حبس الدم» الذي كان يشغل حيزاً واسعاً من تفكيرني اربكني طيلة هذه الفترة من الوقت. من اين لي ان احزر ان هذا التعبير السيء يحتوي على هذا المضمون الجيد!!!

دعاني مضيفي للنوم على فراشه بالاتفاق مع «الشاويش». اما هو فسيلتفّ بعباءة موجودة لديه. الطقس لم يعد بارداً فنحن في اوائل فصل الصيف. البرد اضحى في آخر ولايته. ان الليالي دافئة. غني عن البيان اتيّ قبلت دعوته مسروراً.

رحنا نتسامر. سألته عن سبب حبسه. اجابني باقتضاب «ساعة تخلي» فهمت انه لا رغبة له في الخوض في هذا الموضوع فانقلت الى موضوع آخر. سألته عن الروائح عند المدخل الرئيسي، انبأني انها من المطبخ الكائن على اليسار. كوتت فكرة رائعة عن نظافة المطبخ والطباخين والطبخ. سألته عن سبب تسمية «حبس الدم» فردى لي ما

سمعه بالتواتر عن لسان فلان عن فلان من السجناء القدماء الذين توالوا على هذا السجن من العهد العثماني «العصملي». الى عهدنا هذا.

كانت هذه الغرفة مخصصة لتعذيب الموقوفين، لانتزاع الاعترافات منهم عن الجرائم المتهمين باقترافها. فكان يجري فيها الدم من جلودهم تحت وطأة السياط التي كانت تلهب ظهورهم.

سرد عليّ قائمة طويلة عريضة من انواع وصنوف التعذيب من ربط الرجلين والفلق مثلا، تنقيط المياه فوق الرأس، من عصب العينين ليضيق المعدب عن المكان، الخ... هذا ما عدا حديثه عن البق اللاعق الدم يمتصه من الجراحات وعن التبول وعن التغوط في المكان نفسه.

سألته لماذا اخذ الدركيّ ربطة العنق والقشاط وسير حذائي، الخ... فاجابني « خشية ان ينتحر السجن بواسطهم » استسخفت الفكرة لكنه قدّم امثلة عملية عن حوادث سمع عن وقوعها تعزز صحة هذا التدبير فملت الى الاقتناع. ثمّ سألته عن معنى قول الدركيّ له « انه بالامانة » اجابني انها تعني انني غير مسجل لا مع الموقوفين ولا مع المحكومين. « والامانة » لا تقضي اكثر من ليلة حتى يبت بمصيرها اما التوقيف او اخلاء السبيل.

صرت اعرف بعض الكلمات المستعملة في لغة الحبس وكلها كلمات تركية، عربت على كثرة استخدامها. هذه الكلمات هي « شاويش » وتعادها في العربية رتبة « رقيب » ولكن في الحبس تعني رئيس سجناء الغرفة، « قاووش » بمعنى « غرفة »، « افندي » اي « دركي » فالتوجه الى الدركيّ يكون بكلمة « افندي »، الفراش « يتق » وزميل السجن « همشري ». هذه الكلمات دخلت في قاموسي ورأيتني الفظها كأنني كنت اعرفها منذ زمن بعيد.

انقطع حديثه السارّ بسبب اشارة وقت النوم التي ما دريت كيف اعلنت والسكوت يجب ان يتناول الجميع. نام مضيفي ولكن اتى للنوم ان يزور عينيّ.

نام همشريّ ولكن النوم ما زارني البتة. افكار كثيرة تزدهم في مخيلتي. تصورات حجة تروح وتجيء امامي كالخيلالات. اتى الآن وانا استعيد هذه الذكريات عن تلك الليلة لست بقادر ان احكم ان كنت ما اسجله كان في اليقظة ام في المنام. ثمّت او ما ثمّت.

كنت مرتاح البال من جهة المدعي العام فالواقع اكبر برهان على صدقه. انه اوصي

بي خيراً وهذه هي النتيجة العملية. ولكن فكري شرد الى « حبس الدم » والى العهد « العصملي » والى التعذيب والى ظهور مثلومة من السياط واقدام متورمة من الفلق وعيون جاحظة مخرمة وجفون مقرحة والروائح الكريهة تضفي على هذا الجو ضرباً من الغثيان كنت احسن كآتي اعاشه. كنت احسن ان هذه الروائح النتنة تتغلغل في خياشيمي فأكاد اتقيء. ندأت المعذبين تطرق مسامعي كأنها بجاني فأتلوى حزنا واسى.

تقلبت كثيراً على « اليتق » ولكن دون جدوى. كنت اشعر آتي غاف واذا بي ارق، قلق اتخيل صفوفاً من البق، حبالا كالنمل تتسلق حائط « القاوش » هبوطاً وصعوداً فاخشى ان تتسرب اليّ، فاتململ قرفاً.

ما كاد الفجر ينبلع حتى نهضت لاجديني في ثيابي. ما خلعتها مساء حتى ارتديها الآن. كان مضيئي « الهمشري » مستيقظاً عندما تحركت للنهوض. ابتم وصبحني. رددت صباحه باحسن منه. ابدى ملاحظة « يظهر انك ما قدرت تنام. تغيرت عليك النومة ». وافقته وما اخبرته عما طرأ علي من وساوس وهو اجس.

طل « الافندي » على « القاوش ». القى تحية الصباح. فتح الباب. دعاني للخروج عند الحلاق. تطلعت بمضيئي استفسر منه فقال لي « الله معك ». فهمت ان ضيافتي انتهت مدتها. تناولت حذائي بعد ان شكرته على حسن وفادته وشكرت الجميع فردا فردا وهم لا يزيدون على عدد اصابع اليدين وما نسيت تخصيص « الشاويش » بالحمد والثناء، بناء على غمزة من « همشريتي ».

تركت « القاوش » المالس الجدران، الى الباحة وكانت الشمس قد ارخت اشعتها على اعالي الاسوار المحيطة بها. كانت دكان الحلاق تقع الى الجهة اليسرى للمدخل. استقبلني الحلاق بكل ترحاب وبشاشة. دعاني للجلوس على كرسي من قش بجانب كرسي الخلاقة. لا يتسع المكان لاكثر منها. الغرفة ضيقة. شكرته على استقباله. جاء بغلاية القهوة وكانت جاهزة وصب منها ثلاثة فناجين واحد، قدمه لي والثاني « للافندي » والثالث له. رشفنا القهوة كأننا افراد عائلة واحدة نقطن منزلا واحدا واجتمعنا على الشرفة « نعمل صبحية ».

تحدثنا عن كل شيء الا عن الحبس واسباب وجودنا فيه. ما تم التعارف بيننا بالاسم ولكنني لقبته « بالمعلم » ولقيني « بالاستاذ ». وهكذا مشي الحال. طالت صبحية القهوة ثم انتقلت الى كرسي الخلاقة اجلس عليها ليشرع في عملية حلق الذقن.

ما ان بدأ الحلاق في ممارسة عملية الحلاقة حتى بادهني بقوله: « ما عرفني » قلت له: « كلاً، ما عرفتك ولكن يبدو أنك صديق ». قال: « انا شاكر الايوبي، من « النخلة ». انا صاحب الجريمة النكراء فيها، انا القاتل الذي عملت لاهلي ولاهل المقتول الصلح باسم سورية وسعاده ». قلت له: « قمت بواجبي ». فهمت عندئذ سبب اكرامه لي وطلبه الى « الافندي » ليخرجني اليه بداعي الحلاقة. انه يريد ان يؤدي لي خدمة ولو بسيطة صغيرة. استدلت من عمله هذا على المكانة المرموقة التي يتمتع بها « الحلاق »، فهو نافذ الكلمة، مسموع الرأي.

اخذنا نتحدث عن الضيعة فروي لي ما يلي: « ناداني باسمي من بيده لائحة اسماء الذين تأتيهم زيارات. ما كنت انتظر اية زيارة. ارتديت ثيابي الرسمية. توجهت الى مكان المقابلات. جواباً على سؤال لي اكمل قائلاً: مكان المقابلات بين الحديدين. الزائرون يقفون على الحديد عند الباب من الخارج ونحن نقف على الحديد عند الباب الآخر من الداخل. ونتكلم. مكان المواجهة سيء، فالسافة واسعة ويجب ان ترفع صوتك لتسمع الجهة المقابلة. توجهت الى مكان المواجهات لاجد على الباب الخارجي عددا من الزائرين مؤلفاً من بعض اهلي وبعض اهل المقتول. انبغت. انشدهت. ما الذي حدث حتى يزورني هذا الوفد المختلط. اعترفتي نشوة وغبطة لا يمكن للساني ان يصفها. سلمت عليهم ورحبت بهم اجمل الترحاب. قال لي احد انسابي الاقربين: « لا تعجب، يا شاكر، من هذه الزيارة فقد اجترحت معجزة في القرية على يد الحزب السوري القومي الاجتماعي. ان ما عجز عنه كبار الزعماء والوجوه في طرابلس والكورة قدر عليه شخص من بيترومين، الضيعة الجارة، اسمه جبران جريج. هو مسؤول عن فرع الحزب في الكورة. استعمل خطة حكيمة، بارعة. ادخل اشخاصا من الفريقين في الحزب دون ان يدري احد منهم بوجود الآخر ثم دعاهم افرادياً الى اجتماع في منزل احد رفقاتهم يعتبر من الحيايين وفي مكان الاجتماع التقى الواحد تلو الآخر. كلهم قوميون اجتماعيون. حدثهم الاستاذ جبران حديث وحدة المجتمع ورأب الصدع وبلسمة الجراح. حدثهم عن اهمية العقيدة السورية القومية الاجتماعية في تنقية النفوس وتصفيها من ادران الرجعية ورواسبها الخبيثة. حدثهم عن المناقب والاخلاق وصفات الرجولة الحقّة والعفو والتسامح وختم حديثه بان وحدة فريقين في ضيعة اسمها « النخلة » هي نموذج ورمز لوحدة الامة بتامها، لوحدة الوطن بكلّيته واني باسم سورية وسعاده ادعوك الى المصالحة. فنهض الجميع يتصافحون ويتباسون وسعادة الوثام والسلام تغمر نفوسهم بفيضها المحيي. افلح جبران جريج باسم الحزب حيث

خاب سواه». هذا ما قاله لي نسبي فاحسست كأنني كنت معهم وشملتني هذه المصالحة وعدت الى القاوش اروي ما حدث. ان هذه المصالحة اعطتني قوة احتمال جديدة وطاقة جديدة للصبر والاناة. منحنتني قوة غريبة عجيبة قهرت بواسطتها وحشة هذه الجدران الاربعة. قهرت بهذه القوة الخفية الحبس ومصيبة الحبس واعطتني املا جديداً لمستقبل جديد، كان قد اصابني منه قنوط ويأس اسودان. وما تزال هذه القوة تفعل في حتى الآن».

انتهت الحلاقة وعطرتني بماء الكولونيا واجلسني على مقعد آخر في الباحة اتمتع بالهواء الطلق النظيف. فعلا انتعشت ونقلني الى اجواء اثيرة لدي. ما طال وقت هذا الانتعاش.

بدلا من ان استدعى الى مكتب المدعي العام دعيت للدخول الى غرفة في الحبس غير التي قضيت فيها ليلتي. هي الغرفة الطويلة العمق التي لمحتها عند دخولي. كاد يغمى علي من ثقل اللهاث وعقبه الخانق!!! شتان ما بين الثريا والثرى!!! شتان ما بين «حبس الدم» وهذه الغرفة.

سألت احد «الهمشرية» عنها فقال لي «هذا «قاوش» توقيف. سألته عن النظارة فقال «ماتشوف شي وحش». سألته هل هي او حش من هذه الغرفة فقال: «او حش بما لا يقاس». اشكر الله انك هنا ولست فيها تنتظر ان تطلب للاستنطاق». شكرته على معلوماته القيمة وما عدت استوضحه عن النظارة لثلا ازيد في ضيق صدري وغثياني. ما عدت اختلطت باحد منهم. صرت اذرع الغرفة بخطى بطيئة سادراً عما حولي.

مر «الافندي» امام الباب. سألته عن الساعة. «العاشرة والنصف»، اجاب. سهوت ان اقول ان ساعتني اخذت مني ايضا. بدأ الفار يلعب بعبيتي متى سيدعوني، هذا المدعي العام؟ هل جدّ ما يعيقني او ما يعرقلني؟ ماذا يجري؟ لم لم يحضر احد من رفقائي فيطمئني على مصري. دخلت الريبة نفسي. ما تركت مجالا لحسن الظن، صار الشك ملك الساحة. ظنون وريب اخذت تتقاذفني كالموج المتلاطم. صاح صوت «جبران جريج». تفاءلت لدى سماعه وقلت في نفسي «دقت الساعة» والتفت الى مصدر الصوت فاذا به احد السجناء «الخدمشي» (بلغة السجن) يحمل صينية عليها عدة اطباق مليئة بالطعام. خاب فألى. تأكد لي ان المسألة طويلة. والا لماذا ارسل لي هذا الطعام؟

تناول احد الهمشرية صينية الطعام ووضعها ارضاً ودعاني اليها. احسست فجأة بعصافير بطني ترقزق مزغرودة. تذكّرت أنّي ما ذقت طعم الزاد منذ الامس. جلست القرفصاء اكلنا معا. كان الاكل شهيا والقابلية مشحّدة، ان من جهتي او من جهة زميلي، الداعي نفسه الى الوليمة والذي كان به «جوع مزمن عتيق». اكلنا هنيئاً وشربنا مريئاً. انتعشت. وجبة الطعام فعلت فعلها المادي والمعنوي. اقام شريكي الصينية ووضعها جانبا بانتظار المطالبة بها.

سحبت علبة السغاير واخذت منها واحدة وضيقّت صاحبي واحدة. تفضّل ولّي رغيتي. بينا وانا ادخّن والدخان يسرح في جوّ الغرفة الملبّد بالدخان واللهاث رحت تأمل في سكانها. أنّهم خليط متنافر، عجيب، غريب. فيهم الانيق الثياب وفيهم الشبه عادي المتسريل بالاسال، فيهم الحافي الوسخ واللابس الجورب النظيف. عددهم يتراوح بين الثلاثين وما فوق، تزدهم فيهم الغرفة. يزيد او يقلّ حسب موسم التوقيف والاقبال عليه. أنّها غرفة توقيف!! لوحة حياتية نسيج وحدها.

القاعد على الارض طاويا ركبتيه، يرسم باصبعه امامه دوائر ورموزاً لا معنى لها، الممدّد على طوله كأنه يشكو من قلة النوم وهو الآن يهتبل فرصة ليغمض جفنيه او هو مبطوح من علّة ما. المتحدّث الى جاره عن مواضيع تقفز من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب، تارة بصوت مرتفع يتقصّد اسماع سواه وطوراً همساً يكاد يسمع كأنه يسرّ بامور خطيرة، والجار يصيخ صاغيا بكلّ حواسه!! وهو شاردا للّب لا يعي شيئاً، المنفرد والمنعزل وكثير التداول بين الموقوفين. الراوي مغامرته مع رجال الامن او الشرطة او التحريّ الى ان توفقوا فيه فعلق في الفخ بسبب خيانة فلان او رشوة علتان. ضجيج قائم قاعد كأنك في ساحة بيع السمك، كلّ ينادي على بضاعته يريد تصريفها خوفاً من الكساد.

ما اهمّ احد بي. كأني من طينة غير طينتهم. او كأنهم تهيّبوا الموقف نسبة لهندامي المرتب ام لتقديرهم اني لست زبوناً غتاً او اني لست من القوم المثابرين!! لا مبالاة بوجودي الكريم اثار انتباهي في هذا الوقت بالذات الذي انتظر فيه الفرج القريب. المكتوب يقرأ من عنوانه. اني لست من ضيوف الحبس. قد تكون الصدفة اتت بي اليهم. اني عابر سبيل.

قارنت بين هذه الغرفة والغرفة التي بتّ فيها ليلتي. لاشك ان الفرق ناتج بين عقلية موقوف وعقلية محكوم. المؤقت والمستمر. الموقوف لا يعتنى به فهو خارج بعد حين،

قد يكون هذا الخين يوماً أو اسبوعاً أو اشهرًا. مصيره محتوم اما للحكم فالسجن او للبراءة ام الكفالة فالبيت.

اضطرت على الدخول الى المراض. ليتني كان بإمكانني ان لا افعل. خلت ان روعي ستزق قبل ان انتهي من التبول. ان المراض مليء بالقاذورات. انه بؤرة ترتع فيها سعيدة جرائم الكون قاطبة. الباب يجب النظر لكنه لا يجب الضرر. ما هذه الغرفة! ما هذا القاوش الذي ابتلاني الله به ولو الى حين.

مضى ما يقرب نصف الساعة من الوقت. جاء «الخدمتي» يرثى الصينية لخدم المطعم. معه وصية فقد اشار الي بيده ان اقترب. دنوت منه. وشوشي، كأنه يعلن لي سرّاً لا تجوز معرفته لسواي. بعد نصف ساعة سيخل سبيلك. «معاملة الكفالة في طريق الانجاز». شركته وابتسمت له ابتسامة رضى. حمل الصينية. قدمت له سيقارة. اخذها شاكرًا وتركني احلّ قوله السيد.

بغته كأن الوحي انزل علي ادركت اني كنت ساهياً عما حولي. كنت كمن انتقل من عالم الضياع الى عالم الوجود والمعرفة. الم اقم بمعاملات شبيهة بهذه لرفقائي في بعدا وبيروت؟؟ فبالى انساها في دوري؟ الست موقوفاً بالمسألة ذاتها فيخل سبيل بكفالة مثلهم؟ عجيب، عجيب، اين انت؟، يا رجل، اين كنت؟ إلى هذه الدرجة من السهو والشروء تصل؟ يا حيف عليك!! ولو، ولو....

انه عدم الاختبار. التجربة العملية شيء والنظرية شيء آخر. كنت اعلم نظرياً وعندما وقعت في الامتحان نسيت النظرية فرحت اخبط خبط عشواء واظن شتى الظنون وتتهبني الشكوك. ما اغباني مع كلّ تقديري لذكائي!!! اذن، صادق هو، المدعي العام وكافر انا، لا اطيق صبراً على المكارة.

بعد نصف ساعة تقريباً، تزيد قليلا او تنقص، حضر «الافندي» وفتح الباب فهجمت تجاهه ظاناً انه جاء من اجلي. ما كان دوري. كان الدور من نصيب سائق سيارة حسب ما فهمت من حديث دار بينه وبين «الافندي». اقبل الباب. عاد «الافندي» بعد حين وفتح الباب ثانية فقلت في نفسي «جاء دوري الآن». كانت هذه المرة من نصيب احدهم يظهر انه على تعارف «بالافندي» فقد كلمه كلاما ذي صلة وثيقة. فهمت من حديثها ان المشاجرة كانت في الاساس نسائية ثم تحولت الى الرجال بسبب تدخّل زوج احدها مما ادى الى تدخله هو الزوج الآخر. على كل حال الحمد لله على السلامة.

بعد ربح يسير من الزمان عاد « الافندي » وهو يبتسم لي هذه المرة بشكل مقصود
تما خلاّني استبشر قال لي « الآن دورك من صحيح ». فتح الباب وقال لي : « تفضل ،
اخلاء سبيل ». لم اجد احداً بجانبى اودّعه حتّى الذي صار بيني وبينه خبز وملح.
اجتزت باب القاوش دون ان التفت الى احد وتبعت « الافندي » على طريق
« الحرّية ».

مررت بادارة السجن ردت اليّ الاشياء التي اخذت منّي بكاملها . كان المدعي العام
حين حضوره الى المكتب وافق على اخلاء سبيلي بكفالة مالية . تبّغ القرار الرفيق امين
مجدوب الذي قام بنفسه باجراء معاملة الكفالة . كانت المسألة مسألة وقت لا اكثر ولا
اقلّ ولكن صاحب الحاجة ارعن .

ليلة في حبس الدم مرّت كابوساً في حلم مزعج . كان شاكر الايوّي الواحة النضرة
في تلك الصحراء المقفرة .

(1937)

تفاصيل قرار الابعاد

بقلم:

جبران جريج

المكان، صافيتا التابعة (يومها) لمحافظة اللاذقية. الزمان، عهد الكتلة الوطنية. تسلّمت الحكم على اثر مفاوضات سياسية في باريس مع الدولة المنتدبة باءت في النهاية بالفشل. عين احد اركان الكتلة، مظهر باشا ارسلان، على رأس هذه المحافظة. صافيتا، اكبر قضاء في هذه المنطقة. كان لها شأن سياسي قبل ان تصح من القلاع السورية القومية الاجتماعية ذلك لانها كان لها مواقف وحدوية عهد الانفصال وهي البلد المسيحي وسط خضم علوي يؤيد باكثرته الساحقة الانفصال والتي كانت تتمسك بدولة العلويين التي ماتت وهي جنين ولكنها اورثت موجة انفصالية راحت تتلاطم والمجاري الوحدوية التقليدية. كان الانفصال يمثل العصبية العلوية ضد الوحدة التي كانت تمثل بنظرها العصبية السنية او بكلام آخر السيطرة السنية المتلاحقة عبر الاجيال. هذه العصبية التي غذاها المنتدب بشقى الاساليب والوسائل بواسطة مستشاري السوء المبثوثين في كل مرافق البلاد.

تتفوق اهمية صافيتا السياسية على سواها من الاقضية وان يكن فيها جميعها فروع قوية للحزب لتمرکز رؤساء العشائر العلوية فيها من جابر العباس الى يوسف حامد فعزیز الموحاش والشيخ صالح العلي الثائر المتمرد على الفرنسيين. هذا عدا انها قوة قومية اجتماعية صلدة. ظهرت هذه القوة العظيمة في مظاهرة هائلة ضخمة ضمت حوالي الخمسمئة عضو اخترقت شارع البلد الرئيسي من شرقيه الى غربيه وذلك في احدى المناسبات الحزبية. (مناسبة اول آذار).

كنت في هذا الظرف الناسي بالذات، اقضي الوقت في التنظيم الاداري احل

مسؤولية « مفتش » التجول في القرى والداكر انظم الفروع فيها، احضر الاجتماعات، اركز مفاهيم العقيدة القومية الاجتماعية. اوجه الهيئات المسؤولة، الطرية العود، الحديثة الخبرة. كان اسمي مقرونا باسم الحزب انى اتجهت وانى جلت في طول هذه المحافظة وعرضها. وصرت معروفا بالسترة الجلدية البنية التي كنت ارتديها. ولا اغيب عن الشمال حتى احضر في الجنوب ولا اترك الشرق حتى اكون اوجدت في الغرب وهكذا دواليك.

مع تسلل الكتلة الوطنية، وان تحت التسلط الفرنسي ووجود المفوض السامي، نشطت من جهة ثانية هذه الكتلة في انشاء فروع لها في المناطق كافة. فروعها في هذه المحافظة خضعت للقاعدة نفسها، الانشاء بالسلطة الحكومية. ان الفرع هو فرع للدولة، له نفوذها وسيطرتها، له اغراء المصالح، الصغيرة والكبيرة، من وظائف وانجاز معاملات، الخ... ولكن كانت تصطدم في هذه المحافظة بفروع الحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كان قد افلح مكتبه السياسي في اقناع الاوساط الانفصالية بدعمه وتأييده، راضية بالوحدة السورية كمطلب قومي، كمصلحة وطنية عليا لا تخضع للتحزبات العشائرية فحول الحزب روحية الانفصال في هذه المنطقة الحساسة من الوطن السوري الى روحية وحدوية انما على اساس المبادئ السورية القومية الاجتماعية. ما عاد للزرعة الانفصالية وجود. ما شذ عن هذا التأيد الا مركز « الطليعة » المعادي لما تبقى من عشائر فسائر تيار وحدة الكتلة الوطنية مصلحيا لا ايمانيا، محافظا على خصومته التقليدية المحلية (خصومة عشيرة الخياطين ضد عشيرة الحدادين والمتاوره). هذه الخصومة التي راحت سياسة الحكومة تلطي اوارها عن غياب لا مثيل له. حتى ان مركز الخياطين اخذ يحارب الروح القومية الاجتماعية التي كانت تتغلغل في افراد اتباعه بالاضطهاد المادي والمعنوي. بالرغم من الزيارة التي قمنا بها اليه انا والشيوخ ابراهيم بتكليف من الزعيم.

بقيت سياسة الكتلة الوطنية في هذه المحافظة سائرة على هذا المنهاج الى ان قيض لمحافظ جديد، احسان الجابري، تفهم الوضع فرأى بثاقب نظره خطل سياسة كتلته وضرورة الانسجام بين التيارين الوجدويين وضرورة العمل المتناغم بينهما لمصلحة الوطن العليا في هذا الظرف الانتقالي. ولكن لات ساعة تفهم فقد دق ناقوس خطر الحرب وتبدلت سياسة الكتلة الوطنية تبدا اساسيا حتى لا اصفه بالتبدل الجذري تجاه الفرنسيين.

لنعد الى صافيتا. حاولت الكتلة الوطنية انشاء فرع لها في صافيتا اسوة لها في باقي

المناطق. كان لها ما ارادت. صار لها فرع ما نما ولاكبر. « كأنه فشخ فوقه عند ولادته انسان فكبس وامتنع عن النمو ». بقي قزماً قميئاً، يتأكله الحسد ويحترق بنار الغيرة التي لا ترحم.

راح هذا الفرع القميء القزم ينشط بأسلوب اقل ما يقال فيه انه مستمد من عقلية المؤامرات الخفية الموروثة من عهود الاتراك والمستمرة الان في هذا العهد الانتدائي الذي سار على خطى سلفه « الرجل المريض » والذي جاءت الكتلة الوطنية تضع يدها عليه وتتنناه.

وضع هذا الفرع المسخ نصب عينيه احراز نصر محلي على الحزب. وجهه نغمته نحو وجودي الحيوي. نقطة الضعف عندي، بنظرهم، اني لبناني الهوية اتعاطى عملاً سياسياً على اراض « سورية » فانا غريب، اجنبي!!! نشأت فكرة سخيصة عندهم انهم اذا استطاعوا ايقاعي في فخ من افخاخهم قد يؤثر ذلك على الوجود الحزبي فينهار.

كان شغلهم الشاغل حياكة المكائد وسياسة المخاتلة والمخادعة كانت غاية ووسيلة يثيرها حب النفود الشخصي والانانية الفردية في الى ان كان احد الايام بدأ فيه تنفيذ احدى هذه المناورات المكيدية.

كنت في عيادة الدكتور اسبر حنا منفذ عام فرع صافيتا، عندما اطل دركيان يستأذنان بالدخول. ظن الدكتور لاول وهلة ان المسألة مسألة معاينة او طلب معاينة لاحدهما ولكن لشد ما كان بالغ دهشتنا عندما طلبا مني ان ارافقهما الى السراي لمقابلة سعادة القائمقام « البك ». رفضت فوراً الامتثال لمثل هذا الطلب، ساندي الدكتور بالرفض. تمسكا بوجوب تلبية الطلب. اصررنا على الرفض. ظل تشبث الفريقين بالموقف آناً ثم بدأ الاخذ والرد الى ان اقترحت عليها اني سأشرف بالمشول بين ايدي سعادة « البك » دون مرافقتها الميمونة. اني سأذهب وحدي. قبلا بعد لأي. يبدو انها كانا مزودين بتعليمات تقضي باستعمال حكمتها. انصرفا آخذين وعدي بعين الاعتبار. تشاورنا بالموقف واخذنا نقله على وجوه عدة ولكن بلا اية نتيجة حاسمة. اتفقنا ان نجتمع بعد المقابلة فنضع حدا للتكهنات العقيمة الان.

توجهت الى السراي القريب من مركز عيادة الدكتور اسبر حنا. وصلت الى مخفر السراي. اعطيت علماً بوصولي. ابقيت في المخفر ريثما يأخذ « البك » علماً بحضوري. مكتبه في الطابق الاعلى. مر بعض الرفقاء صدفة بالمكان فظنوني موقوفاً. بددت لهم ظنهم. اعلنت لهم طلب المقابلة. طلبت منهم الانصراف وعدم التجمع. انصاعوا

للامر. عاد الدركي يدعوني الى مكتب القائمقام. صعدت درجاً خشبياً. السراي كان يجتل بناية مستأجرة. طرق الدركي الباب. سمعت صوتاً يأذن بالدخول. فتح الدركي الباب ودخلنا. اخلى الدركي المكان بناء على اشارة من «البك».

كان القائمقام من موظفي الادارة الفرنسية الموروثة. انه ينتمي الى عائلة مسيحية مارونية من اللاذقية هو من «الاقليات». اسمه اسحق مرقص. كان متفهماً لقضيتنا القومية الاجتماعية ويميل اليها لا ايماناً بما تفهم ولكن نكاية بالكتلة الوطنية التي كان يكرهها طائفيًا. هو «فرنكو فيل» واكثر... هو موظف عندهم. هم اسباب نعمته. عندما اصبح زمام الحكم بايدي الكتوليين، ابقوا عليه تجنبا لمشكل طائفي قد ينشب وهو سكت عليهم بعقلية الموظف المستسلم للامر المفعول. «من يأخذ امي يصير عمي». انطقت في مثل سنه جذوة حياة الفتوة والصباء.

حييته، حياني. دعاني للجلوس وصافحني. رن الجرس. اوصي لي على فنجان قهوة. بدأ حديثه بأسئلة تعبر عن لياقة ومجاملة على الاسلوب التركي العتيق الممزوج بالكياسة الفرنسية المشهورة الطابع. حضرت القهوة. قدم لي سيقارة. اخذت ارشف وادخن السيقارة واستمع الى حديثه المتواصل المتنقل من موضوع الى آخر حتى وصل الى بيت القصيد فبق بالحصّة. جماعة الفرع الكتولي شكت الى سعادة المحافظ وجودي ونشاطي الملحوظ. سأها عن طريقة الحل. طلبت عدم السماح لي بالعمل الحزبي في صافيتنا «ولاصطفل» في غير منطقة. وعدّها خيراً. وها هو الان يبلغني ما قررت عليه دراسته للموضوع. قرر الطلب الي ان اغادر ارض المحافظة وان اعود الى لبنان. فانا لبناني غير مرغوب فيه. وذلك بصحبة الدرك فوراً مخفوراً الى الحدود بسيارة. انه هو، اي القائمقام، متأثر ومتألم لهذا الموقف وتطوراتهِ المتصاعدة من سيء الى اسوأ ولاضطراره هو بالذات على تنفيذه. ابدى عواطف مشكورة حمدته عليها. كانت تصدر من اعماقه وهي صادقة.

تداولنا في التنفيذ لاني ابديت استعدادي للخضوع ولكن «غير مخفور في سيارة الى الحدود». اني اذهب بملء ارادتي. بعد مساومات واخذ ورد ونقاش رصين قبل هو بشرطي. ثم انتبعت ان النهار نهار احد وقد لا اوفق بسيارة فانفقنا ايضا على تمديد الفرصة الى اليوم التالي. العطلة الرسمية الاسبوعية تقع في يوم الجمعة لا في يوم الاحد، ولكن عطلة البلد واهاليها تقع في يوم الاحد لمسيحيتها.

عدت الى العيادة. ابليت هيئة المنفذية ما حصل معي واعطيتها استنتاجي من

تساهله. ان هذا التساهل ليس وليد مروءته فهو اضعف - حتى لا اقول اجبن - من ان يأخذ المبادرة في امر ما كلف به لو لم يسمح له بالتصرف به. يظهر ان المطلوب منه هو ابعادي بالتالي هي احسن. اعلنت للهيئة خطتي. وافقتني الهيئة على لمخططي.

اقترح المنفذ العام الدكتور اسبر حنا تسجيل احتجاج خطي مني على هذا القرار. وافقت على الاقتراح. كتبت رسالة اتضمنها رأيي بهذا الابعاد. من جملة ما اوردت فيها مسألة « اللبناني » والارض السورية شارحا مفهومنا للوطن السوري واضفت « واني بصفتي مواطنا سوريا في ملء الحق بان التجول في اية بقعة من بقاع وطني الرحبة المحبوبة ». رحت بنفسني واتصلت بسعادة القائم مقام. واطلعت على رسالة الاحتجاج وطلبت منه ان يرسلها بواسطته عملا بالتسلسل فانتقض مرتجفا وقال لي « ارسلها له بواسطة البريد المضمون. ناوي تخرب لي بيتي. باق لي كم شهر للتقاعد. خلي انصرف بسلام. ارسلها بالبريد المضمون، الله يخليك ». ودعته وعملت بنصيحته. اعفيته من التسلسل.

في هذه الاثناء وصل الينا خبر ان سيارة مطران الابرشية باسيلوس دبس انتهى من زيارته الرعائية لصافيتا وسوف ينتقل عند العصر الى مرمريتا. وافقت على الاتصال به ومحاولة اصطحابي معه. ما كنت اعرفه شخصيا وما التقيت به سابقا. ارسل الدكتور موفدا اليه يحض نبضه. جاء الجواب انه يرحب بمقدمي وهو مسرور لاداء هذه الخدمة البسيطة. اتفقنا على انتظاره في السوق فاترك صافيتا على عيون الناس طرأ زيادة في العلنية وتمويها للخطة المرسومة.

في الاجل المضروب وقفت سيارة سيادته امام دكان الخلاق الرفيق ابراهيم عيسى. حمل احد الرفقاء الامتعة والاعراض الى صندوق السيارة. نهض كاهن كان جالسا جنبه في المقعد الخلفي ودعاني لاجل محله وانتقل هو ازاء السائق. لبست وصافحت سيادته واتخذت مقعدي بجانبه. اقلعت بنا السيارة وجهتها مرمريتا.

عرفته بنفسني. زدت في التعارف، استغلالاتا للموقف باني ابن خال سيادة مطران حماه اغناطيوس حريكه. سر لهذه المعرفة وهذه القرابة. سألني عن نشاطي الحزبي. ان ابرشية عكار المسيحية الارثوذكسية تضم ما عدا عكار، القائم مقامية اللبنانية، مناطق قائم مقاميات ثلاث: تلكلخ وفيها وادي النصارى، منها مرمريتا، صافيتا، الاتين منها وطرطوس. كلها كانت عكار قبل اعلان الحدود اللبنانية الى النهر الكبير التي قسمت « عكار » الى قسمين، لبناني وشامي. كان في زيارة رعائيه للابرشية. اطلعت على الوضع

العام في المحافظة وبخاصة في صافيتا. اطلعته على حقارة الفرع القزم القميء. وان طلب ابعادي صادر عنه كأن وجود الحزب متوقف على وجودي الشخصي. قد اكون عاملاً من عوامل نموه وحيويته ولكن لست سبب الوجود ولا سبب النمو. تأثر كثيراً بما صدر عن هذا الفرع واسف للجوء الى هذه الاساليب الصغيرة الرخيصة. ويلهم من التاريخ يسجل هذا الانحطاط في المناقب، هذا الدرك من السفالة والصغارة في الغايات والمآرب!!

امتد حديثنا الى لبنان والوضع الحزبي فيه. مررنا بجولة سريعة على حلب وحصص وحاه. استوقفتني عند ذكر حاه وذكر اكرم الحوراني منفذها العام. قال لي «اسمع، انا اعرف قصة عن اكرم الحوراني. رواها لي اخي روفائيل نمر، مطران ابرشية حلب. ان اكرم حاول اغتيال صبحي بركات في احد مطاعم بيروت لولا تنبه اخي روفائيل لحركاته المريية فما ان رآه يشب لتنفيذ فعلته وهو يصوب مسدسه نحو صبحي بك حتى بادره بصدمة من جسمه ازاحته عن هدفه ورمته ارضاً. - «ان المطران نمر قبضاي وان كان مطراناً» - فر اكرم وانقذ المطران نمر حياة صبحي بركات. ان اكرم شاب اهوج متهور. يجب ان تحيطوه بعنايتكم حتى لا يهوركم». شكرته على هذه القصة وعلى نصيحته وقلت له «وفيكم البركة، سيدنا». كنت اسمع عنه انه قبضاي وان المسدس لا يفارق جزمته حيث كان يضعه. ولكن ما تجرأت على ايراد هذه الامور عنه على سمعه. اكتفيت بعبارة «وفيكم البركة» وفي فهمه كفاية.

وصلنا الى ممرينا مع دغشة الغياب. قصدنا دار الخوري اليازجي حيث نزلنا ضيوفاً مكرمين. الياس ابن الخوري كان ناموس المنفذية. وضع المطران باسيلوس السيارة تحت تصرفي واعطى تعليماته بذلك للسائق. ارتحت بعض الوقت في بيت الخوري. سلمت الاغراض للرفيق الياس واوصيته بحفظها في مكان حصين امين. شاركت في احتساء القهوة واستقبال الوافدين للسلام على المطران. عند اول الليل وبعد ان تناولت طعام العشاء مع سيادته، امتطيت السيارة هائداً الى صافيتا.

قرب وصولي الى المفترق المؤدي الى قرية «بعمر» القومية الاجتماعية استوقفت السائق وشكرته وصرفته. كان الليل مقمراً. كان التراب الابيض يعكس نوره كالمرآة، كأن الليل انقلب نهراً لولا السكينة التي كانت ترين على تلك الربوع. اخذ هذا الليل بمجامع قلبي وتملكني الخيال فقادني في تلك الطريق على غير هدى الى ان وجدنتي قد اجتزت «بعمر» وصرت في وسط ارض سهلة مبسطة في اطرافها شجر

زيتون. كلاب تنبح من بعيد. واذا بي اجذني في «اليازدية».

قضيت الاسبوع كله متنقلا من قرية الى قرية حول صافيتا. اقوم بتطبيق برنامجي المتسلسل الحلقات في الجولات والزيارات والاعمال الحزبية من ادارية واذاعية وثقافية. حظ بي الرحال آخر الاسبوع في «بيت عمران زينه» وهي دسكرة قريبة جدا من صافيتا. انهيت عملي الحزبي فيها وبت ليلتي في ضيافة المسؤول فيها الرفيق شحادة علوش، الذي كان قد وصل اليه خبر الابعاد.

في عصر اليوم التالي وكان نهار احد، قطعت المسافة القصيرة التي تفصل بينها وبين صافيتا سيرا على الاقدام. كانت مطيبي في رحلاتي، على كل حال، «الوتو رجل». ما وجدت اثرا في جولتي هذه، لخبرة ابعادي الا في بيت عمران زينه كما سبق واشرت، مما زادني راحة ونشاطا، وصلت من الطريق الوعرة الى الطريق المعبدة عند اول المنعطفات واذا بي اجذني في «اليازدية». التي تتلوى كالافعى في تصاعدها الى صافيتا من جهة الغرب. ذهبت من جهة الشرق. رجعت من جهة الغرب. اجتزتها في القادوميات. ظللت سائرا عليها محترقا صافيتا من اولها الى آخرها. هذه الطريق نفسها تؤلف سوق البلد الرئيسي. قصدت هذا الاختراق عن سابق تصور وتصميم حتى يراني الجميع بدون استثناء ويعرف اني عدت. «ها انا ذا». نجحت في تنفيذ مخططي المرسوم الذي كان يقضي ان اتظاهر بمغادرة صافيتا ثم اؤوب اليها سرا بعد ان اتم برنامج زياراتي المخصصة لهذا الاسبوع فلا يضع الوقت علي، واظهر فجأة علنا فيها. عندئذ يكون لكل حادث حديث. نجحت حتى الآن فهل يكتب لي التوفيق حتى النهاية؟

ضجت صافيتا لهذه العودة السريعة التي ما كانت متوقعة، لا من الرفقاء ولا من الاهالي. احدثت مفعولها المعنوي المرتقب. لا حديث في ذلك المساء الا الحديث عن قرار ابعادي وعودتي وعما سيكون لهذه العودة من ذيول.

انقضى اليوم الاول بسلام. كذلك الثاني والثالث ايضا. مر الاسبوع بكامله دون ان يحرك «البك» ساكنا. عادت المياه الى مجاريها.

عرفنا بواسطة اصدقائنا ان الفرع القزم القميء راجع «البك» و«الباشا» - مظهر باشا ارسلان - ولكن لا فائدة من المساعي الحميدة!!! تجمدت المشكلة عند هذا الحد. مراجعات، مراجعات، مراجعات!!!

وكان الجواب دائما: «لقد صدر القرار ونفذ ولا يعقل ان يصدر قرار كلما يحضر

الى المنطقة...» ينبغي فيها بدء ملاحظات جديدة ويرى ضرورة وجودنا معاً، في بيروت، في قلب المعركة وان كان هذا الميدان مستحدثاً علينا ولا خبرة لنا فيه. وختم رسالته بذكر بيت شعر من قصيدتي «واذا الواجب يدعو» وها ان الواجب يدعونا وها نحن نلبي.

(صافيتا 1936-1937)

الزوبعة الثائرة

ثوري أيتها الزوبعة!!؟
ثوري وادحري أمامك جبابرة
الليالي!! ثوري واقتلي بذور الفساد..
بذور الضغينة...؟ ثوري وطهري الأرض
من بقايا الأوساخ العالقة بها منذ الأجيال..
ثوري وحطمي القيود!؟
قيود البشر الراحين تحت ثقل النير
الحديدي. ثوري عليهم ومعهم وعلمهم
كيف تولد القوة!؟
ثوري... وابسطي جناحك الكبيرين
فوق المدينة الصاخبة... ثم ضعي في أعالي
رباها العلم!؟ علم التحرر من الذل... علم
الخلاص من العبودية.
أيتها الزوبعة المباركة!؟
ثوري ولا تدعي الشعب في خمول
يعاني مضض العيش...؟
ثوري لينهض من سباته العميق...
فكفاه خولاً ورقاً...؟
طهري الأرض أيتها الزوبعة من
المراثين وعدة الوظائف!؟
طهري الأرض من الخانعين الراقدين

على أسرة الشهوة وحب الذات ١٩
طهري الأرض من قواد الأمة البرابرة
الذين لا يحملون إلا بالدرهم.. ولا ينامون
إلا وملاء قلوبهم حقداً وأنانية... غايتهم
القصوى... هي

إستعباد الشعب الضعيف حتى النهاية...
والنفس الأخير ١٩!

ثوري عليهم أيتها الزوبعة ولا تدعي
من بقاياهم سوى الذكرى... ذكرى
الغلبة عليهم... عندئذ يلذ لي أيتها الزوبعة
ولكل حر أن يضع يمينه في يمينك الفولاذية
ويمشي معك إلى النهاية... ١٩!
ثوري أيتها الزوبعة على كل ثرثار
مدعي... ١٩!

وافقتي عينيه اللتين لا تبصران إلا الأديم
ولا تغمضان إلا على أصوات الكؤوس
والغوايى ١٩...!

حطمي كل فكرة مادية... وكل
صفقة مغبونة تقوم على عاتق الضعيف
المسكين...؟

ولتخرج من فيك ألسنة اللهب
فتحرق كل تجارة شعبية لا يأمر بها الحق
وتحتقرها الإنسانية جمعاء...؟
إفغري فاك أيتها الزوبعة...
وابتلعي الزعامة الكاذبة.. الزعامة القائمة..
المرفوعة على أسس التفرقة والشقاق؟
الزعامة التي يقودها الخونة الضالون؟!
أعداء الشعب...؟

هؤلاء...؟

إسحقهم بنعليك .. لأنهم ولدوا
وجباههم مغمورة بدخان الويل .. والبؤس !
إسحقهم واطرحي أشلاءهم للنسور
والوحوش .

امطريهم وابلاً من نار الكبريت
ليصبحوا عبرة من اعتبر .. !؟
أما الزعيم الحقيقي .. ؟
الذي يقود الشعب .. وملء قلبه
عطف على الإنسانية المظلومة ..
خذي بيده .. وارفعه فوق كاهلك
المتين .. ودعيه ينشد نشيده الأول .. والأخير !
خذي بيد الزعيم الحر . وامنحيه
سلطانك ليستطيع خوض المعركة برباطة
جأش وقوة !؟

خذي بيده !؟
كي يأخذ بأيدي الآخرين ، وينزع عن
وجوههم برافع الاهمال ..
أنيري طريقه .. ليتبع خطواتك
أنصريه أيتها الزوبعة لأنه منك وإليك
يعود !!؟

ظليله بجناحيك ..
ليرفع رأسه بجانب صدرك الناري !؟
لأنك انت ولدته .. وإليه وجدته يعود
كل غطفك وحنانك ..

مبارك أنت أيها الزعيم الحر ... !؟
وهنيئاً لك أيتها الزوبعة الثائرة بولدك البار .

راشد موسى

مجلة الرائد - العدد 117 - تاريخ 25 شباط - 1937

الاساس التاريخي للأمة السورية

ويكتب الدكتور حسني حداد تحت هذا العنوان في جريدة « الزوابع » العدد
الخاص 256 تاريخ 38/3/1 المقال التالي نصه:

« الامة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع الى ما
قبل الزمن التاريخي الجلي ».

- المبدأ الرابع -

« يضع هذا المبدأ الاساس التاريخي لكيان الامة السورية . وعليه يتوقف التعبير عن
وجود الامة في الزمان ، كما يعبر المبدأ الخامس عن وجودها المكاني - الجغرافي .
واهمية هذا المبدأ تتمثل في نفاذه الى اعماق هذا الكيان التاريخي دون الاكتفاء بنظرة
سطحية رومانتيكية من شأنها ان تؤمن قوى شعبية عديدة بالاتجاه الى التلاعب
بعواطف الجماهير .

ان « تطويل » هذا التاريخ وارجاعه الى ما قبل الزمن التاريخي الجلي » يهدف الى
الشمول والتعمق في دراسة التاريخ السوري والخروج به من تحت المؤثرات الدينية
والعاطفية التي كانت ولا تزال تسيطر عليه في عقول الاكثية من ابناء شعبنا . ولا بد
ان يدعو ذلك الى مضاعفة الجهد في الدراسة والتنقيب حتى يتوفر لهذا التاريخ
الشرطان الاساسيان لكي يصبح حقيقة انسانية ، شرط وجوده بجد ذاته وشرط معرفتنا
لهذا الوجود « انظر محاضرة الزعيم الرابعة » .

ان علم التاريخ الحديث الذي يعتمد على البحث والتنقيب عن الحقائق التاريخية
بالوسائل العلمية جاء في ركاب تحور العلم من ربة الغيبيات والالهيات والتقليد الديني
والانساق العاطفي في تيار آخر ما علق بالذاكرة من بقايا مجد سالف . ولقد تم تحور
اوروبا من هذا التقليد الزائف في التاريخ تدريجيا وببطء شديد ، ولم تتخلص من هذا
المرض التاريخي نهائيا الا في القرن الثامن عشر او اوائل القرن التاسع عشر .

بعد سقوط الامبراطورية الرومانية التي كسف مجدها واتساعها كل ما سبقها، بقي ذكرها عالقاً في النفوس لقرون عديدة. وصارت اوربا المنقسمة على نفسها الغارقة في ظلام القرون الوسطى تحت سلطان القبائل الجرمانية المختلفة، تحلم دائماً باعادة هذا المجد الذي كان لروما. فكان ذلك حلم كل ملك وأمير ونبييل. واتخذ الملوك القبا كانت لأباطرة الرومان. ودعيت الامارات الجرمانية المختلفة التي انضمت تحت سلطان امبراطور واحد باسم الامبراطورية الرومانية المقدسة عدة قرون طويلة، وبقي ملك المانيا وملك روسيا حتى اوائل القرن العشرين يسمى كل منهما نفسه باسم « قيصر » على انه خليفة سلطان روما..

ولم تستفق اوربا من سباتها وتنفض عن عيونها غبار هذا الحلم الذهبي وتنهض الى الجد والعمل الا بعد ان اكتشفت شعوبها المختلفة حقيقتها القومية المختلفة وعملت كل منها ضمن النطاق القومي. واستفاق المؤرخون هم ايضاً على حقيقة جديدة هي ان التاريخ لا يقتصر فقط على قصة الامبراطورية الرومانية بل انه يتناول حياة الشعوب بمجملها حتى الى ما قبل التاريخ الجلي وذلك ضمن ارض معينة وفي بيئة محدودة وان كانت تقع خارج نطاق امبراطورية الرومان. وكان لا بد لنشوء هذه النظرة الجديدة الى التاريخ من التخلص من التقليد الديني الذي كان يحصر التاريخ بما جاء في التوراة - هذا التاريخ الذي وضعه اليهود على انه وثيقة « طابو » جعلت منهم الوريث الوحيد لأرض الله وملكوته.

هذا « الرجوع النفساني » الذي اصيبت به اوربا بعد سقوط روما هو المرض الذي اصيب به شعبنا بعد زوال شمس الخلافة وراء افق دمشق وبغداد، ووقوع دولة الخلافة المترامية الاطراف فريسة في مخالب العديد من السلاطين والقواد والمماليك ثم سقوطها نهائياً تحت نير الطورانيين والمغول. وكما حدث في اوربا من محاولات يائسة لاعادة مجد روما، كذلك رأينا كيف كان كل امير او سلطان يحاول اما باسم الخليفة الذي لم يكن سوى صورة فاقدة الحياة، او ان يدعى الخلافة ويستولي عليها كما فعل الفاطميون، وكما فعل العثمانيون ونجحوا، وكما حاول بعض ملوك العرب ان يفعلوا بعدهم فلم يكتب لهم النجاح.

هذا الحلم الذهبي لا يزال يراود النائمين في سبات الجهل التاريخي، ولا تزال دويلاتنا توجهها في ساستها هذه الرغبة الى الماضي، فنحن كالذي يتكنى بنسب عائلته

العريقة في المجد دون ان يكون شيئاً يذكر في حياته الحاضرة .

اما شمس النهضة التي اشرفت في نفوس الكثيرين من ابناء هذه الامة فقد سلطت نورها الساطع على التاريخ فكشفت عما خبأه ظلام الجهل ، واخرجته من التخبط في مجاهل القمص الرومانتيكية الشعبية لكي تضعه في محوره الصحيح .

محور القومية المبنية على اسس علمية عقلية واضحة المعالم . هذه النظرة الشاملة الى التاريخ تعتبر ان بتر جزء كبير من تاريخنا القديم واهماله اهمالاً تاماً هو الذي ادى الى اضعاف شخصية الامة وهذا ما تحاول بنيانه من جديد . وكما ان النهضة تريد اظهار ما اهملناه من تاريخنا ، وهو قسمه الاكبر ، فانها ايضا لم تهمل أي جزء آخر من هذا التاريخ . وهذا ما يفسر لنا الدعوة الى انشاء جبهة عربية موحدة ضد الاطماع والارادات الغربية . ان الدعوة الى انشاء مثل هذه الجبهة مبني على تفهم كامل لتاريخ الامة بعد عصر انتشار الاسلام ، ولاهمية هذه الحقبة من تاريخنا في مجمل الحوادث التي نبني شخصية الامة .

لم يكن التحديد القومي الصحيح للامة بمحدودها الجغرافية التي تتضمن الهلال الخصيب وليد نزعة سلبية لا عربية ، ولا وليد نعمة معينة ، بل نتيجة حتمية لدراسة التاريخ دراسة صحيحة دون ايهام شيء منه هنا نصل الى نقطة مهمة في هذا البحث وهي ان الحقيقة التاريخية التي اكتشفها سعادته كانت من أهم العوامل في تحديد الأمة السورية بمحدودها الجغرافية الحاضرة ، هذه الحقيقة التاريخية يؤيدها الواقع الاقتصادي والحضاري لهذه الامة كما ان حدودها الجغرافية من جميع جهاتها ، الجبل والبحر والصحراء ، هي حدود طبيعية غير مصطنعة لم ترسمها ارادة سياسية معينة على الخريطة ثم حاولت تزوير الحقيقة التاريخية والواقع الجغرافي في سبيل الغاية السياسية .

هذه النتيجة الحاصلة عن الاعتماد العلمي الصحيح على التاريخ هي من اهم الوثائق لدعم نظريتنا القومية على الصعيد الداخلي تجاه الغارقين في تيار العروبة الوهمية او المنحرفين مع الطائفية العمياء ، وهي ايضا دعامة لحقنا الصريح في ارضنا ضد الارادات الاجنبية الخارجية التي تحاول ابتلاع بلادنا ان من الجنوب او من الشمال .

ففي الجنوب يعتمد التين الصهيوني على نظرية عتيقة جداً في التاريخ لم يكن ليكتب لها النجاح في هذا العصر الحديث المتنور لو اننا وعينا حقيقتنا القومية وفتحنا عيوننا على تاريخنا الصحيح . فالنظرية اليهودية في التاريخ هي في اساسها وتطبيقها

نظرية بدوية عشائرية ضيقة تعتمد على مثلث احتكاري مؤلف من اله عشائري خاص ، من عشيرة خاصة ، في ارض معينة خاصة . ولذلك فان تاريخ العالم - كما جاء في التوراة - يدور حول فكرة اساسية هي فكرة الاختيار الالهي لليهود ، فهم محور التاريخ العالمي وما قيام الامبراطورية القديمة سوى احداث دبرها « يهوه » اما لقصاص او لمكافحة شعبه الخاص . الزاوية الثالثة من هذا المثلث الاحتكاري فهي التي تضعنا مباشرة امام المؤامرات الصهيونية في الاستيلاء على ارض يدعون ملكيتها « بطابو » الهي من صنعهم وتأليفهم . ولكن الزاويتين الآخريتين من مثلثهم هذا تتعارضان ايضاً على خط مستقيم مع المفهوم القومي الاجتماعي الذي يحارب بشدة الاساس الطائفي والديني للامة كما انه يعارض تماماً المفهوم العنصري - العشائري الذي يعتمد عليه اليهود . هذه العنصرية التي اعتنقها ايضاً النظام النازي في المانيا فكأن انها حين اجتمعت في صعيد واحد من العنصرية اليهودية ان احداث اصطدامها مجزرة بشرية هائلة .

واذا كان الصهاينة قد تمكنوا من تحقيق امنيتهم في اغتصاب جزء من ارضنا ولا يزالون يعملون في تحقيق مشروعهم الكامل في الاستيلاء على اكثرها - من النيل الى الفرات - فذلك لأن الامة السورية التي كانت تفتش عن شخصيتها في ظلام الحكم العثماني . لم تر ابعد من انفها في سعيها وراء الاساس التاريخي لهذه الشخصية . فاليهود في فلسطين كانوا يقاتلون « العرب » والعرب في هذه الحالة لم تكن سوى كلمة تعبر تعبيرا عاطفياً مبهماً عن شخصية قومية خيالية لا تستند على اسس تاريخية صحيحة .

اما على حدودنا الشمالية فاننا نشهد مثلاً واضحاً على اخضاع التاريخ الى نوازع السياسة في النظريات التاريخية التي اوجدها حكام تركيا الحديثة لكي تدعم الكيان السياسي الذي تمكنوا من انقاذه من حكام الامبراطورية العثمانية . وكانت آخر محاولة لانقاذ الرجل المريض قبل ان يموت محاولة الدستوريين و « تركيا الفتاة » تترك اجزاء السلطنة بفرض قومية مصطنعة عليهم . اما مصطفى كمال فقد تحلى عن احلام الامبراطورية ووجه همه الى انقاذ اكبر مساحة ممكنة لدولته الجديدة . وبعد ان الغى الخلافة وتحلى عن الاساس الديني الذي كان لا يزال قائماً بقوة الاستمرار الى ان قضت عليه الحرب العالمية الاولى . وجد ان لا بد لدولته الجديدة من اساس تاريخي تبنى عليه . لم يكن الاتراك العثمانيون ذلك الاساس التاريخي المنشود لأن حكمهم لم يتعد حكم عائلة او عشيرة ولم يكن لكيانهم اية قيمة حضارية . ولم تقم قبل ال عثمان والأتراك السلجوقيين في جميع بلاد الاناضول اية حضارة قومية من داخل البلاد . بل

كانت كل حضاراتها مقتسبة عن الجيران من جميع النواحي وكان ان استقر البحث على الحثيين الذين تمكنوا لبضعة قرون من انشاء دولة قوية في قلب الاناضول امتد سلطانها جنوباً الى ان شمل سورية الشمالية. وكان ذلك في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وبعد سقوط امراطورية الحثيين بقيت بعض الامارات في سورية الشمالية لبضعة قرون تحاول التشبه سياسياً بالسلطان البائد، ولذلك دعا بعض المؤرخين حضارة تلك الامارات التي تركز حول كركميش وحلب وعينتاب وزنجري بالحضارة الحثية الجديدة مع ان لغتها كانت فينيقية وارامية وفنونها سورية يظهر فيها التأثير الاشوري والفينيقي واضحاً، وفي القرن الثامن قبل الميلاد تلاشت هذه الامارات تماماً عندما امتد سلطان اشور الى كل اجزاء سورية. ولكن تركيا الحديثة التي ترد اصولها التاريخية الى الحثيين من انهم سلالة حاكمة من اصل آري، ترى ان المقاطعات الشمالية تركية. وكان اول مسعى لهذا التوسع التركي هو الاستيلاء على منطقة الاسكندرونه وانطاكية وضمها الى تركيا تحت اسم (هاتاي) الذي يعني «البلاد الحثية».

ومن الغريب ان الاتراك في مجملهم عن اصول تاريخية تضعهم في مصاف الامم الراقية التي ساعدت في بناء الحضارة العالمية توصلوا الى نظرية غريبة بعد ان افلسوا من نسب حضارة عالية الى الحثيين الاناضوليين. اما النظرية الجديدة فهي ان السوريين القدماء سكان وادي الفرات الجنوبي لا بد انهم كانوا اتراكاً وذلك لأن اللغة السومرية واللغة التركية تتفقان في شيء واحد هو انها لا تعتمدان على الاشتقاق في تركيب الكلمات وكان هذا سبباً كافياً عند بعض المؤرخين الاتراك الحديثين في ايجاد قرابة دموية وان فصلت بين الطرفين العوائق الجغرافية وثلاثة آلاف من السنين.

ان هذا التهافت على حدودنا الشمالية والجنوبية وما يقابله من الالهال الذريع في وعي حقيقتنا التاريخية في الاستسلام الى احلام العروبة الوهمية من جهة، او الوقوع في حماة التنكر للقومية والتاريخ التي هيأتها الشيوعية العالمية، يفتح انظارنا على الوعي الجديد الذي اشرق علينا مع النهضة القومية الاجتماعية ويشير بوضوح الى اهمية الاساس التاريخي الصحيح الذي يجب ان تبنى عليه الأمة، والذي تنبه اليه سعاده فجعله مبدأ اساسياً من مبادئ الحركة القومية الاجتماعية.»

باب سوريا لا حارس ولا خافر ولا رقيب بحيرة بيلان وبنابيع إنطاكية ومنعرج العاصي

لست في هذه اللمحة بالكاتب السياسي الذي يتفحص الأمور فيردها إلى فطانها، ومواقع الضعف فيها، ويطالع السياسيين بالنتائج التي إنتهت إليها سياساتهم، والمزلق التي أدت إليها خطواتها.

ولكنني أشبع مع المشيعين، وأودع مع المودعين أملاً ذاهباً وسؤالاً خائباً رجاء لم يكن في محله، وحلما جاوزنا به ضفة الساحل فكنا من المغرقين.

نودع ما نودع. ثم نمر في مدينة الإسكندورونة مرور الطائر المهيض الجناح، فنذكر بها عهداً أنمرا ودهراً أبراً، ويوماً بسيخاً وعيشاً نصيراً متفيتين ظلال ذلك الحصن الذي بنته بها السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد، الربض الذي اقامته من حوله، فترى أثراً خالداً من آثار العروبة السمحاء، لا تطمسه الأزمنة والدهور ولا يذهب به كر العصور.

إن هذه البلاد مهددة اليوم من كل هؤلاء يريدون إفتراسها وجعلها مطية لأهوائهم، وسبباً لمفاخرهم وعاملاً يستعينون به على الحياة! إن هذه البلاد تنظر اليكم وتطلب منكم رد الخطر المداهم عنها لأنها عهدت فيكم أبناءها المخلصين الذين تودون الحياة فيها والنهوض بها إلى الدرجة اللائقة بكم!

فحياتكم متوقفة على حياتها وحريةكم متوقفة على حريتها وسعادتكم على سعادتها فوفروا هذه الشروط فيها تتوفر فيكم لأنكم لها وهيي لكم.

أيها السوريون القوميون، أمامكم كثير من العقبات تعترض مسيركم وتقف بوجه نهضتكم والمؤمن بحقه لا تهمه العقبات ولا تشني من همته الصعوبات، هناك الرجعية التي لا تنجح البلاد إلا بإزالتها وحزفها من عالم الوجود. الرجعية هي المرض الفتاك

الذي لعب دوره العظيم في سوريا الحبيبة، الرجعية التي تسير بأصناف البشر وتدفع الكراسي فيسجدون لها ويقدمونها.

الرجعية هي التي ترسل إليكم أهتافاً يكرهونكم على ترك الدين الجديد الذي أتاكم يد المنقذ العظيم.

الرجعية التي جزأت البلاد ودفعت السوري لمحاربة أخيه السوري.

الرجعية هي العلة الكبرى التي شجعت الإقطاعية، فشجعت هذه بدورها الإستعمار فيجلب لنا هذا الشقاء والويل.

الرجعية هي ما يجب على السوري القومي محاربتها في أول عمل ينوي القيام به.

هناك الخطر التركي الذي يهدد البلاد وينوي إقتحامها، هناك الذئب الغبي الذي لم يدرك اتى الآن بأن في هذه البلاد وجوهاً نصرّة وقلوباً مفعمة بالإيمان الحي وعزائم رصاصية لا يرجعها عن غايتها تهديد أو وعيد!

هناك خطر الشعب الذي شجع الرجعية في هذه البلاد وسبب التفرقة والتجزؤ واستثمر حيوية هذا القطر، واضطهد أحرارنا وتركنا كهيكل عظمي شعبنا لا حيوية فيه ولا نهضة.

إن هذا الخطر الذي وقف أمامه الرجعيون موقفاً معيباً تحمر له جباه المخلصين من أبناء سوريا، ليس له إلاّ أتم فكونوا منه على حذر واستعدوا لدرئه!

هناك الخطر الصهيوني الذي لم يزل يفتك بأبناء البلاد ويسمم أماكنها الخصبة، وينتزع منها القطعة التي فاخرت بها العالم.

الخطر الذي يهزأ بقوميتنا ويود إمتهاها، الخطر الذي يبعث بارادة الأمة والوطن، الخطر الذي تزلف لأربابه أصنام كثيرة من المتزعمين وعاشوا بخيراتهم.

إن هذا الخطر الذي عجز الشعب عن درئه لأنه لم يهيء برنامجاً معيناً لذلك ولأن زعماء الشعب كانوا يجارونه بدون هدف معين واضح، وإن هذا الخطر لا يهاب غيركم ولا يزول ويختفي إلا عند بدء هجومكم الفعلي عليه.

فاستعدوا لذلك.

أيها السوريون القوميون.

إن المبادئ التي تتبعونها وتؤمنون بها وإن الزعيم الذي يقودكم ويضع الخطط لسيركم

وتقدمكم إن هذه المبادئ وهذا الزعيم يكفلون لكم النجاح وتحقيق أمنياتكم الحققة،
إذا ضحيتم ونفذتم ما أمرتم به تنفيذاً صحيحاً .

وقبل أن تشير مسلحاً على روائي بيلان وتناجي في جنوبها الجبل الأحمر - قزبل داغ
- تتممة سلسلة جبال أمانوس لا بد لك وأن تذكر ما قاله القيصر البيزنطي
- هرقيوس - عندما إرتحل عن سوريا وخاطبها بقول: «وداعاً أيتها البلاد الجميلة، ما
أنفعلك لأعدائنا وما أكثر الخصب والعشب بواديك» ولا بد لك وأن تذكر ذلك
الفوز المبين الذي أحرزه معسكر الجيش السوري المصري بقيادة إبراهيم باشا عام
8421 للهجرة على الجيوش العثمانية المحتشدة بقيادة السردار حسين باشا .

أنت الآن أيها القارئ الكريم في سفح جبل - سيلبيوس - على أبواب انطاكية تسبح
بها الدموع سحاً، وترسل صبياً مدراراً، ذاكراً بها عام 836 ميلادي، أبا عبيدة بن
الجراح في جيش عززه السوريون بألويتهم وراياتهم، وقضهم وقضيضهم، رافلين في
حلل النصر، متسرلين بسربال الشجاعة والبسالة، يتحاربون مع الحادي وينشدون
النشيد العربي ويصعدون منها شيباً وشباناً إلى قنشرين - فيعحكرون بها جنوداً مجندة .

وإذا رجعت ثم رجعت إلى التاريخ تجد أنك في انطاكية عهد السلوقيين بها الذين
بسطوا سلطانهم الشرقي من سواحل البحر المتوسط إلى اسوار الهند وتوجده 632 عاماً
وكانت به إنطاكية عاصمة هذه الدول المترامية الأطراف تتخذ إسم بانيتها مؤسس
الدولة السلوقية القيصر - سلوفس نيكاتور - وتتخذ من بعده ذكرى رجل الحضارة
والمدينة القديمة القيصر - انطيوخوس الكبير - الذي وهب فوق ما هي عليه من محاسن
الدنيا وكرائم نفائسها حتى عجز عن وصفها كل ذي شفة ولسان وإنك لفي انطاكية
عهد الرومانيين بها الذي دام 063 سنة زهت في خلاله هذه المدينة وما حولها من
البلدان واستقبلت به أدواراً سعيدة جمعت بها الشمس والقمر في عين واحدة .

فإذا كنت - وما أظنك - في شك من هذا منسائل الأنجم الخضراء والأشجار
الوارفة الظلال والعرائش الدانية القطوف، والأمواء السلسلية المتفجرة، في جنبات دفنة
وفراديسها، أيام كانت تجلس في مقاصف تلك الجنان «كليوباترة» ملكة مصر
وعشيقة «أنطونيو» و«جوليا» ابنة «أغوستوس» معبودة البشر، حينما جائتا إلى
إنطاكية وفتتا في دفنه وصيفها النضير لذيد العيش وبهيج الحياة، على ما امتع الهوى .
وشاء القدر .

انت في مدينة إنطاكية ذات العمدة المرمية والقواعد الرخامية والأرصفة الصخرية والشوارع الزاهية في جميع الجهات والأنحاء، والحمامات التي كان يسبح بها النعم الدائم ويطوف فردوسها وفي وسط الدور التي جرى إليها ماء دفنة وتصاعد بها نوافر تذهب إلى السماء علواً فتأتي بخبر منها.

وفي المعابد التي تهبط إليها من علماء الفكر علوم الفلسفة اليونانية، والشرائع البنظية التي حملتها الأدمغة السليمة وألقت حملها في مسحة انطاكية وفي المسارح التي دارت بها قاطرات الطرف غضضات الجنون والملاعب التي كانت تسرح وترح بها حسناوات البشر العين. وفي القصور تنافس القياصرة والملوك في بنائها وأفرغوا بها زينة السماء والأرض إلى جانب الهياكل التي عكف الأقدمون على عبادة الكواكب التي تتمثل بها والمشتري والمريخ، وإتخذوها أرباباً يقربون لها القرابين، ويمسحون بها وجوههم ويصغون عندها سؤاهاً وينزلون على أعتابها تمنياتهم.

وفي القرب من المدارج التي توج بها الدهر هامته وصاغ منها الليل العظمة والكبرياء والمتاحف والتماثيل التي طارت بها شهرة إنطاكية فررفت على رؤوس بلدان العالم.

أنت في المدينة التي تفوح أزاهيرها في أجواء سوريا الشمالية فتعقب بها، ثم يعرج أريجها. ويفوح طيبها فينقلها إلى نائبات الأصقاع؛ وما تلك - الأزاهير - يا إنطاكية - هي أزاهير الزيتون والليمون، والنارنج والأترنج والسفرجل والتفاح ومختلف أنواع الفاكهة والثمار من ذوات الساق الأملد والورق الأجدع ومن عامة أنواع النباتات ذوات الوجه المضيء اللامع والثغر المغتر الضاحك أتراب النرجس والزيزفون، وربائب الحب والبقول والطلح والخضار من كل عرق مديد وطلع صنديد.

وترانا حين ترانا جلوساً إلى جانب الندوة الكبرى التي شيدتها أم العباسيين والتي يشع صدرها لآلاف الوافدين من رجالات العلم والأدب والفن، والتي كانت تدور في أروقتها وصيد ساحاتها الآلاف المؤلفة من الفصاد والرواد والمنتجعين هنالك ومن هذا الشاطئ السوري كان جبل القوافل الغادية والرائحة ممتداً فيما بينه وبين العراقيين. العربي والفارسي. تحمل إليه من سواد العرق، أممداً يكتمل به ناظر الخليج. لم يقتصر عظمة هذا المرفأ السوري الذي كلاته الطبيعة واحتضنته في باطن الخليجان وجعلته بها أمنع من عقاب الجو، على قيمته الحربية بل تعدتها إلى قيمته الاقتصادية في موقعه الجغرافي الممتاز.

ترأى لك وأنت جالس على عتبة هذا الشاطئ سهول سورية الفسيحة الخصبية من ناحية، وبقاع الأنابضول الشرقي النضرة من ناحية ثانية، وطريق العراق وبلدانه من

ناحية أخرى، ومن درائها بلاد فارس حتى أسوار الهند التي في وسعها أن تعول عليه في تجارة النقل - ترانزيت، فكأنك في وسط الدنيا تقبض على متاجرها بيد ممدودة إلى الإمام محلاة بأساور من ذهب.

ونحن إذا ما ذكرنا هذا المرفأ أبان الفتح العربي، فإنما نذكر جليل الأعمال التي أداها صدر الفتح وبعده، عهد سليمان وهشام ابن عبد الملك، وعهد الخليفة الوائق العباسي، وعهد أحمد بن داوود الأيادي، زمانا إقتطعوا فيه من احراج اللكام اخشاباً بنوابها اسطولاً ضخماً غاروا به على وحدات أساطيل الفرنجة التي كانت تغزو ثغور الشام من حين لآخر.

عزيز. وعزيز علينا جداً أن تعاودنا على شاطئ الإسكندرونة تلك الذكريات، وأن يحمل لنا في طيات نهام الحاضر أبناءه الغابرة، يوم كان مدينة فينيقية تحمل اسم - مرياندروس - تقوم بها وفي جناتها، المعاهل والمصانع فتتو بجمل نتاجها سفين البر والبحر.

ويوم محى الدهر رسوم تلك المدينة وأطلالها وجاءها عام 253-613 « أنتيفون » أحد خلفاء الإسكندر المكدوني فجدد بناءها وبالغ في تزيينها تخليداً لذكرى النصر الباهر الذي أحرزه الإسكندر في واقعة أيسوس - دارا - ملك الفرس فكانت المعركة الفاصلة بين الملكين اللذين كانا يتنازعاان السيطرة المطلقة على جميع بلدان المعمور.

ونكاد اليوم بعدما أورثنا الله في أرضنا تراث المملكتين الفارسية والرومانية، أن نتميز غيضاً وأن تذهب نفوسنا حشرات على تقلص الظل العربي على تلك الربوع.

ولو أن جيراننا الترك الذين نراهم اليوم مغتربين بما صار إليه الوضع السياسي في إتفاق جنيف، يبنون نجاح النظرية التركية على عوامل القوة والرغبة، وتزاحم المصالح الدولية، إذن لمان علينا الأمر، علماً منا بأن سلطان القوة والمصالح الدولية كان ولا يزال خصماً وحكماً في جميع المشكلات، وليست هذه أول قارورة كسرت.

ولكنهم يشربون نخب ظفرهم، ويتغنون بالقومية التركية في بلد أرضه وسماؤه عربية، وفي ذلك حرج لإحساساتنا، وقتل لشعورنا نحن معاشر العرب.

وإنك لذهاب صعداً من مرفأ الإسكندرونة إلى أعالي بيلان مثلما انت ذاهب من مرفأ بيروت إلى هضاب لبنان.

ولكنك تجلس في بيلان إلى جذوع الصنوبر الحلبي، وشجر البطم والبلوط ففشا

هدمها فوق تلك الروابي ذلك المضيق الذي مرت به الحجافل العربية الجرارّة، من جيوش ميسرة بن مسروق العبسي ذلك القائد العربي الباسل، ومن بعده كتائب غزاة الصائغة من الأمويين والعباسيين ورايات الملوك والأمراء الذين تعاقبوا على سورية وأراقوا على بطحائها في سبيل الدفاع عنها وماء ذكية.

أنت الآن في المدينة التي سهاها الروم مدينة الله، وسهاها الصليبيون الأرض المقدسة، وسهاها العرب عرسو الشام.

واسكنوا فيها جيلهم وقبيلهم وتوارتوا فيها عزمهم ومجدهم، ملكيا مليكا وأميراً أميراً.

ولقد أنشأوا بها المدارس والجوامع، إلى جانب البيع والكنائس والصوامع، التي أبقوا على جدتها وتواصوا بالمحافظة على الكراسي الرسولية بها ونشروا راية السلام وهم في محضر القدرة ومنيع القوة، ونادوا بالأمن والإطمئنان بلسان الرأفة والرحمة والعدل.

ما بال عروس بلاد الشام - لا أتعب الله بالها - تذهب من يد العرب على غرار إتفاق جنيف الذي لم يسترشد بالحقائق التاريخية ولم يتم للأوضاع الجغرافية وزناً. ما بال زهراء سوريا الشمالية تغيب في منعرج العاصي ومنحدره، ثم لا تطلع في سماء العهد الجديد وتتوارى في الحجاب.

قالوا - وقد سمعنا ما قالوا - اعتمدوا على حسن النية، وحسن الطالع، أما حسن النية فقد وجدناه يوم أضعنا مفاتيح سورية الشمالية وبالخاصة مفتاح حلب الشهباء، وأما حسن الطالع فقد وجدناه ساعة مقدمهم، يوم أضعنا ثلث الثروة التي يتداولها الناس بفضل سياسة التعادل التقدي.

وما ندري أهداف السياسة التي ركبوا ظهرها وأمسكوا بزمامها، ثم أخذوا يمتصون لبنها، ويحكيون أوبارها، أهى ناقة تمود؟ أم هي ناقة البسوس؟

قل لهؤلاء الذين يدعمون الصداقات الدولية على حساب البلد السوري، رفقا بهذا البلد الذي تفيض عيناه بالدموع حزناً من جراء التطويق والتجزئة فهو لا يستطيع أن يبسط يده في تناول لقمته لأن هذه اليد المغلولة قد أصبحت مقطعة الأصابع، لا يجد بها ظفراً يحك به جسده بينما الدهر ينتظره بكالحات الخطوب وحالكات المفاجئات.

هاني الجلاد

دمشق

الإصلاح الاجتماعي

هو حديث نهارنا وسحر ليلنا. هو نجم آمالنا وإستقلال بلادنا. لا بل هو إقبامة الأمور وإزالة المفاسد وإستجلات المنافع للبلاد، هو الذي يأتي عن عنصر الرجولة، تلك الرجولة التي أريدها من نوع رجولة هتلر وموسوليني ومصطفى كمال رجولة من النوع الذي لا يتملق الجماهير ولا يواهن الشعب ولا يجري وراء الرأي العام. رجولة كالتى لا تلين إلا أمام الحق ولا تعمل إلا في سبيل الحق. رجولة لا تتساهل قيد شعرة فيما لا تعتقده حقاً وصواباً، رجولة من النوع الذي يجري وراءه الجماهير ويخضعهم لإرادته ويهرهم بشجاعته وحزمه في عقيدته ورأيه.

فهذه الرجولة التي يقف عليها إصلاح البلاد السورية أجدها الآن في شخصية لامعة بارزة. في شخصية تشع منها الثقة بالنفس والصراحة المخلصة الجريئة. في رجل إنشق من جوار ضيق من تحت اظلال الصنوبر. في رجل يعرف كيف يعمل وكيف يضحى حتى في أشد المواقف خطورة. رجولة أجدها في زعيم الحزب السوري القومي.

ذلك هو رجل بأخلاقه العالية. رجل بمبادئه الحسنة. رجل بتفانيه في سبيل البلاد لجعل سورية دولة كبقية الدول ينظر إليها بعين الاحترام... رجل وحد القلوب واتخذ الحب شعاراً. رجل نصب المساواة ورفع للعدل مناراً. هذا رجل وما أندر الرجال.

انظر إلى مبادئه الإصلاحية ودقق بها ترى بأمر عينك العناية التي يسعى إليها والخطة المرسومة التي يسير عليها فأما الغاية فالمساواة بين الناس وأما الخطة فالتوفيق بين الأديان وإزالة الحواجز بين مختلف الطوائف وقتل النعرات الذميمة التي رضعناها مع حليب الأمهات. فهو لا يداهن فريقاً ولا يتملق كبيراً ولا يتبع الناس بل الناس تتبعه وميدانه الإصلاحى لا يعيش على الخداع والتغريير وإستجداء الثقة. ولكنه يصادم القلوب والآراء والتقاليد والعادات.

فأول نكبة قضى عليها قضاء مبرماً. هي هذه الأحزاب السياسية. الأحزاب المحلية

التي انهكتها فعزلت القوى المفكرة بعضها عن البعض الآخر وأوجدت بين الشخصيات الثارات والحزازات فعدت شخصيات غير منتجة وعميقة. هذه الأمة التي عانت كثيراً وتعبت حتى أصبحت في حاجة ماسة للراحة والجو السياسي يرضيها. هذه الأمة الأكلة خبزها معجوناً بالدمع والدماء. فزعم الحزب السوري القومي ينظر إلى الإصلاح من ثلاثة أوجه: السياسة والمدنية والإصلاح الاجتماعي. ففي الأول مالية وإدارة وقضاء. وفي الثاني معارف ومساواة وحرية. وفي الثالث أمن ووقاية اعمال وتوزيع أشغال بعدل وإنصاف.

هذا هو رسم وتصوير موجز للإصلاح الاجتماعي الذي أراده زعيم الحزب السوري القومي وانضمت إليه ومشت تحت لوائه عشرات الألوف من السوريين المخلصين.

منير عرنوق

متن عرنوق

عن جريدة الرائد الطرابلسية

لصاحبها

جبر جوهر

رأس شمرا التمدن الكنعاني ولغته

ترجمة الرفيق عادل يعقوب العجيمي

(بقام زبليغ س. هاريس من التقرير السنوي الذي رفعه المعهد السمسوني إلى مجلس النواب الاميركاني سنة 1937).

قام علماء الآثار وعلماء أصول اللغات في خلال السنين المئة الماضية بأعمال خطيرة، إذ وضعوا في متناول معرفتنا سيرة المدنات السالفة التي سبقت تمدننا الحاضر. وما زال هناك كثيرون ممن يهزأون بعلم الآثار كأنه عمل ساذج ينحصر باستخراج قطع من الأواني القديمة، كما أن هناك جماعة تحسب عمليات التنقيب عن الآثار تحرياً رومنكياً عن أدوات مصنوعة من الذهب أو عن مواد ذات أهمية قصصية تتعلق بسير الملوك والملكات الأقدمين. ولكن الذين يفهمون معنى التاريخ ويقدرونه حق قدره يرون أن الكشف عن مخلفات القدماء له قيمة لا تقاس بثمان من حيث أنه أتاح البحث التاريخي في حقائق المدنات الغابرة. فمن المكتشفات في مواقع عديدة، ومن حل رموز ما لا يحصى من الكتابات تمكنا من تأليف بعض المعرفة عن الثقافات والأجهزة الاجتماعية واللغات التي ازدهرت في اقاليم مصر وسورية. بيد أن الحفريات الأخيرة في آسية الصغرى أخذت تعرض لنا صوراً لمدينة قديمة جداً تألفت أنوارها في تلك البقعة.

وفي فلسطين السورية لم تبلغ الحفريات بعد نطاقاً واسعاً كالذي بلغته في الشام وما بين النهرين. على أن تمدن هذه المنطقة لم يكن مجهولاً لدينا لرد فعله المعاكس لدى العبرانيين في كتاب التوراة ولاحتكاكاته بالاقريك والرومان. فمن معرفتنا عن تاريخ مصر وما بين النهرين (سورية الشرقية) نعلم أن فلسطين السورية كانت منطقة ضعيفة

انتشرت فيها دويلات المدن. ولم تقم فيها امبراطورية مترامية الاطراف على رأسها ملوك اثرياء. فكانت نتائج الحفريات الأولى في فلسطين أدوات ليست بذات أهمية كبرى. فلهذه الأسباب، يضاف إليها الحكم السليبي الذي أتت به التوراة، ظل تمدن هذه البقعة معتبراً قليل الأهمية. فقد قيل عن الفينيقيين أنهم ليسوا إلا ذوي نزعات ثقافية مستعارة، غير أصلية، وإن أنصفوا قيل انهم وسطاء الثقافات العظمى - كأن الثقافات لم يكن من مزاياها الاستعارة والتوسط والتطبيق. ولكن بالرغم من احكام اعتبارية كهذه، مما لا يليق بالمؤرخين المحققين، فإن الناس ما زالوا تأثنين إلى كلمة فصل ينطق بها هذا التمدن الذي اتسعت آفاقه حتى اتصلت بأوائل المدينيات التي سبقت تمدننا العصري وكانت به بمثابة الأبوين للولد - أي علة وجوده.

ورأس شمرا هو الموقع الأول الذي تنبثق منه مطالع اللوحة العامة لصورة ذلك التمدن الموثوق بها. وهي أول ما يعطينا شيئاً راهناً عن الأدب الكنعاني. على أن المزايا المدهشة البارزة في مكتشفات هذا الأدب قد أثارت اهتماماً عميقاً. ولكن أهميتها في فهمنا تاريخ تلك البقعة وعلم أصول لغتها هي أعظم من كل أهمية وتفوق تلك الأهمية الكبرى التي أثارها هي أي هذه المكتشفات في عالم العلم.

الاكتشافات

بدأت الحفريات في رأس ببساطة كلية. ففي أوائل سنة 1928 بينما كان فلاح علوي يعمل في حقله على شاطئ البحر المتوسط عثر على بلاطة رابه أمرها، فاقتلعها من مكانها فإذا هي تخفي تحتها سلماً أدى به النزول عليها إلى سرداب كان قبراً مقبياً قديم العهد. وهناك وجد الفلاح بعض القطع الذهبية فأخذها ومضى. ثم نمي الخبر إلى السيد « ويريويو » مدير العاديات في الحكومة الفرنسية المنتدبة على سورية. وفي الشتاء التالي قدمت إلى تلك البقعة بعثة من علماء الآثار الفرنسيين برئاسة السيد كلود ف. ا. شيفر والسيد ج. شينيه فحفرت في البقعة الأولى التي هي خليج يدعى « مينة البيضا » (والتهجئة هذه حسب اللفظ العامي وهي كذلك في الانكليزية ولو استعملنا الفصح لقلنا الميناء الأبيض) فوجدت قبراً جديدة وقبل نهاية الفصل بدأت البعثة على هضبة قريبة فاكتشفت، فضلاً عن أسلحة عديدة وتماثيل صغيرة وأشياء متنوعة، مخزناً من الألواح الخزفية منها ما كتب بالخط المسماري الاكادي⁽¹⁾ ومنها ما كتب بحروف

(1) ارتباط الحياة الاكادية الكنعانية.

هجائية جديدة مجهولة. وهذا الاكتشاف الجديد - أي الكتابة المجهولة التهجئة - هو الذي استرعى، ولا غرو أن يسترعي، الانتباه أكثر من أي اكتشاف آخر. واستمرت أعمال الحفر بأسلوب دقيق نزيه عن الانتقاد. وهذا عمري حقيقة تستحق الذكر نظراً لما يعترض المنقب من أخطار المفوات سهواً أو عمداً في اثناء تنقيباته، ونظراً لأهمية العمل في النطاق التكني المدروس. وعمد السيد كلود شيفر فنشر التقارير عن عماله في المجلة الفرنسية «سورية» حيث عرض السيد «ويروبو» نسخاً تامة واضحة من ثروة الكتابات الهامة التي ظهرت للنور.

الموقع

إن «مينة البيضا» هي خليج صغير في القسم الشمالي الأقصى من الشاطئ السوري على البحر المتوسط وتبعد نحو 15 كيلومتراً إلى الشمال من اللاذقية. وهي البقعة من الشاطئ السوري المحاذية للناقيء الشرقي من جزيرة قبرص التي سهل رؤيتها من المرتفعات القائمة وراء الخليج. وعلى بعد ميل واحد إلى الداخل يقع تل رأس شمرا ويبلغ علوه 20 متراً ونحو كيلومتر واحد ما بين زاويتي المتعارضتين. وهناك تلال عديدة على طول الشاطئ تخفي تحتها اطلال مدن أخرى بينما يقوم على الشمال رأس مونتسي كاسوس» وعلوه 1760 متراً. فما ابداع هذا الإقليم بمكانه البارز تجاه قبرص، وبطرقاته الممتدة عبر الجبال نحو داخل سورية، ليكون موقعاً طبيعياً تقوم فيه مدينة زاهرة من أعظم مدن الشرق الأدنى القديم.

الفتوحات المتوالية

ومع أن الحفريات لم تتناول إلا قسماً صغيراً من التل فإن هذا القسم المحفور قد بلغ في عمقه التراب البكر. ولذلك يتسنى لنا أن نجمع الحقائق العامة عن كل طبقة ارضية مبتدئين بأعلاها وهي أحدثها من الوجهة التاريخية:

الطبقة الأولى - A من منتصف القرن الرابع عشر إلى الثالث عشر ق. م.

إن المكتشفات في كلا رأس شمرا و«مينة البيضا» تنتمي في معظمها إلى العهد المسيحي. فهناك المدافن المقبة التي تتقارب من الزي المسيحي بمدارجها الحجرية ونوافذها الصغيرة وهناك الأكواب المسيحية الكلاسيكية المزخرفة وأقداح الطيب التي ما زال عدد كبير منها سليماً، فضلاً عن جرار فخارية منها ما هو للخمر ومنها ما هو

للزيت وكؤوس ميسينية طويلة الاعناق ذات رؤوس كرؤوس النساء . وقد عثر على اشباه هذه الأواني الأنفة الذكر في « انكومي » (سلاميس القديمة) الواقعة على النائيء الأرضي من جزيرة قبرص المحاذي لرأس شمرا حتى أن بعضها يحمل العلامات الفارقة عينها . ومن هذا نستنتج أن مقداراً كبيراً من الأواني الفخارية المكتشفة في رأس شمرا كان مستورداً، ولكن هناك أدلة مقنعة بأن بعضها قد صنع محلياً . وهناك أيضاً أدوات وآنية دقيقة صنعت من الخزف الصقيل والزجاج وصناديق صغيرة من العاج كان النساء يستعملنها للتبرج فضلاً عن آنية مصرية صنعت من الجص . بيد أن الآلات والأسلحة - كالخناجر والفؤوس والسيوف الطويلة - فكلها من الشبهان (البرونز) . والمجوهرات أيضاً من هذا الخليط المعدني أو من شتى الحجارة المعتبرة في ذلك الوقت كريمة، بينما عقود من اللآليء المصرية وغير ذلك مما يعلق من الزينات الذهبية التي تمثل « عشترت » اهة الحب والاثمار الفينيقية علاوة على بعض أدوات للزينة صنعت من الحديد منبئة باقتراب عصر الحديد . على أن الصور المصغرة للالاهات وللإلهة وعظام الخرفان المقدمة ذبائح تفيدنا كثيراً عن الطقوس الدينية ، كما أن بعض الألواح الصغيرة المكتوبة بأحرف الهجاء المسامرية قد وجدت في التل ووجد شيء قليل منها في « مينة البيضا » .

الطبقة الأولى قسم B - من القرن الخامس عشر إلى القرن الرابع عشر ق . م .

يظهر أن منطقة المرفأ الواقعة فيه « مينة البيضا » قد تأسست في هذه البرهة . وقد وجدت في منطقة المرفأ هذه وفي التل آثار قبرصية (ولكنها ليست ميسينية) وخزف رودوسي متشابه بما وجد في قبرص ووادي العاصي في سورية وفي مصر . وقد توفر لنا من آثار خاتمة هذا العهد صحيفة وكأس ذهبيتان بديعتا الصنعة نقشت عليهما مناظر صيد ورسوم رمزية مختلفة . أما الخزف فمعظمه من صنع محلي على أزياء كنعانية . وتجد في هاتين البقعتين هيكلين ربما ، واحد منها لداغان (إله) عليه كتابتان بالأحرف الهجائية تشيدان بهذا الإله والثاني لبعل فيه لوح مصري ذكر فيه هذا الإله باسم « بعل صافون » . واكتشف بالقرب من هذا الهيكل مخزن الألواح الكبير وفيه قصائد اسطورية طويلة وجداول مقطعية (قاموس) لتعليم الكتابة بالخط المسامري فضلاً عن مراجع حوت نصوص التعليم الديني مما يؤكد أن المكان هو مدرسة الكاهن لتعليم الكتابة . وقد وجدت ألواح صغيرة الحجم في أمكنة أخرى كما عثر على فؤوس نقشت

عليها بأحرف الهجاء المسماة عبارة « فاس رئيس الكهنة ».

الطبقة الثانية - من القرن الحادي والعشرين إلى القرن السادس عشر ق. م.

تظهر في هذه الطبقة الأسس الأولى لمباني « داغان » و« بعل ». ومن نهاية هذا العهد تردنا رسالة بالأكادية وجدت هناك كتبها الملك المحلي نقمد. أما الخزف فكله تقريباً كنعاني شديد الشبه بإزياء الآثار المكتشفة في مواقع فلسطينية معاصرة للعهد الذي نحن بصدد الكلام عنه. ولكن لا أثر للصناعات القبرصية إلا في نهاية هذه الحقبة من الزمن تدل عليها أكوام عثر عليها هنا وهناك. أما تماثيل الإله الصغيرة الحجم والأسلحة الشبهانية والمجوهرات الفضية والشبهانية المكتشفة فتأمل ما اكتشف من نوعها في جبيل المدينة الفينيقية العظيمة. بيد أن الأدوات المصرية العائدة إلى صناعة عهد السلالة الثانية عشرة من ملوك مصر فعديدة بينها طلاس ترمز إلى الخنفساء وتماثل أبي الهول ذكر عليه أنه هدية من فرعون امنمحات الثالث كما وجد مرسوم بتعيين مفوض مصري في رأس شمرا.

وتحت هذه الطبقة انبسطت قشرة من الأرض مجذبة التربة مما يدل على أن حقبة طويلة من الزمن قد مضت على خراب مدينة الطبقة الثالثة قبل أن أعيد السكن فوقها.

الطبقة الثالثة - من أواخر الألف الرابع إلى القسم الأخير من الألف الثالث ق. م.

اكتشفت في القسم الأعلى من هذه الطبقة خزف حقيق غير مزوق ولكنه من الزرني الكنعاني. وعثر في الوقت نفسه في القسم السفلي على خزف ملون انيق الصنع رسم طبقاً للأصول الهندسية وهو يشابه خزف « جمدة نصر » في ما بين النهرين⁽¹⁾. على أن الخزف الذي وجد من هذا الصنف في قبرص أصبح بإمكاننا الآن أن نعرف عصره ونعين زمانه أن نحن قابلناه بتقنيات رأس شمرا كما أن هنالك أبنية واسعة شيدت باللبن.

الطبقة الرابعة - الألف الرابع ق. م.

ظهر في أعلى هذه الطبقة خزف غير مزوق ولكننا بعد هذا نجد خزفاً متعدد

الألوان، دقيق الصنع، انيق الشكل في هندسته نادر الجمال ولكنه يختلف عما اكتشف في الطبقة الثالثة ويتشابه كثيراً بالخزف الشهير الذي اكتشف في شوشن القديمة (العبيد) والطبقات القديمة في كركميش ونيوى⁽²⁾. غير أن المعدن مفقود هنا والأدوات مصنوعة من الحجارة والصوان. وهناك معالم أبنية كبيرة أتت عليها النيران.

الطبقة الخامسة

هذه الطبقة التي نعرف حقيقتها التاريخية بالتدقيق تختص دون شك بعصر ما قبل الشهبان. فالأدوات في هذا العهد مصنوعة من الحجر فقط لاسيما الصواني منه. أما الخزف فقديم الزخرف وقد ظهر تحت ذلك ما يشير إلى ثقافة العصر الحجري المتأخر القائم على تربة بكر.

تاريخ أوقاريت

استدل أولاً على موقع رأس شمرا من الاستنتاج التاريخي وفيما بعد ذلك من شهادة ألواحها التي تثبت أنها أوقاريت القديمة المذكورة في مراسلات «تل العمارنة». وتكشف لنا عن ثروة أثرية تنافس ما اكتشف في ركام ما بين النهرين لأنها كانت آهلة بالسكان منذ العصر الحجري المتأخر⁽³⁾ وقد قطنها في العصور المتوالية أناس ينتسبون لثقافات الخزف الملون المتعاقبة والمتصلة ثقافياً بمناطق الخزف الملونة المنتشرة في آسية الصغرى وما بين النهرين وبلاد فارس. وفي الألف الثالث ق. م. عندما كانت بابل (شقي سورية) ومصر تتمتع كل منها بحكومة مركزية قامت هنا ثقافة متصلة، في الدرجة الأولى، بالمنطقة الكنعانية في الجنوب (فلسطين). ويجوز لنا أن نسمي هذه الظاهرة «مجيء الفينيقيين» أي الكنعانيين إلى أوقاريت. هذا مع الخذر من مقارنة التغيرات الثقافية بالحركات الاتنية. فالثقافة تشمل أيضاً كل أشكال التمدن المادي وليس كل تغيير في نمط الثقافة يعني مجيء شعب جديد. فلطالما انتشرت اشكال الثقافة وراء حدود الشعب الذي انبتها.

وفي أوائل الألف الثاني ق. م. اتسعت أوقاريت حتى أصبحت مركزاً تجارياً هاماً

(1، 2) - هذا دليل آخر على الوحدة الثقافية لسورية الطبيعية.

(3) هذا الشاهد من الآثار يؤيد ما ورد في التعالم السورية القومية الاجتماعية عن أصول الشعب السوري القديمة.

لا شك في فينيقيته حينذاك . وكانت أوقاريت ذات أهمية لمصر في خلال عهد السلالة الثانية عشرة ولربما كانت هذه المدينة تحت سيادة مصر . ويبدأ في نهاية هذا العهد عهد الملك نغمذ الذي يرجح أن تكون تلك الملاحم الأسطورية قد كتبت في أيامه . وفي فترة من فترات العهد هذا ، التي قد تكون الفترة المبهمة بين عهود ممالك مصر الوسطى ، والحديثة ، هدمت تحصينات أوقاريت . وبظهور مملكة مصر الحديثة ظلت أوقاريت في أهميتها وربما كانت كسواها من المدن تحت الحماية المصرية . ولما انتشرت الاضطرابات في زمن مراسلات « تل العمارنة » نهبت أوقاريت من قبل جيش حثي وكان ذلك على ما يظهر سنة 1365 ق . م .

بعد هذا الدمار ، مع تراخي السطوة المصرية ، يبدو أن المسييين قدموا إلى أوقاريت جماعات غفيرة . وكانت قد نشأت حول مرفئها في العهد الذي سلف جالية انترنسيونية من البحارة والتجار قد يكون أكثرهم قبارصة . فنمت هذه الجالية وعظم شأنها إلا أنه لا يجوز لنا الاستنتاج أن المسييين تغلبوا على أوقاريت : فالمدينة كانت مستقلة عن مصر حتى أن جيوشها اشتركت في معركة قادش في عداد اعداء رعمسيس الثاني المصري . وعندما انتشرت « شعوب البحر » في شرقي البحر المتوسط يظهر أنهم إما هدموا المدينة أو استقروا فيها إلى أن هدمت . ولربما تم هذا الهدم على يد الملك الأشوري تغلث - فلاسر الاول في حملته على منطقة الشام . وكيفما كانت الأحوال فإن أوقاريت هدمت حوالي آخر القرن الثاني عشر ق . م . وفي القرن الثامن قطن موقعها مدة من الزمن شعب قد لا يكون سامياً يظن انه اقريكي عرف عنه انه يدفن موتاه في قبور حجرية ويستعمل المجوهرات والآلات الشبهانية والأسلحة الحديدية . هنا بلغت أوقاريت عصر الحديد - بيد أن العهود التالية تظهر لنا أدوات شاعت في أيام مملكتي بابل ومصر الحديثتين في التاريخ القديم أي في القرنين السادس والخامس ق . م . وظلت أوقاريت قائمة في خلال العهد الهليني لأننا نجد بين آثارها نقوداً اقريكية من القرن الرابع ق . م . ولكنها في عهد ملوك سورية السلوقيين أخذ شأنها يتضاءل بإزاء اللاذقية وهي ميناء يبعد بضعة اميال عنها إلى الجنوب . ومنذ ذلك الوقت أوحشت اطلال أوقاريت ولم يقطنها احد .

أوقاريت في العالم القديم

كانت أوقاريت في الأزمنة الغابرة حلقة في سلسلة من الموانئ القائمة على الشاطئ

الشرقي من البحر المتوسط تشير إليها اليوم تلال من الاطلال المطمورة. في ذلك الوقت كانت كل هذه المدن ومدن فلسطين السورية الداخلية وحدات منفصلة فلم تتولد هنا الحاجات المحلية إلى العمل الموحد بالشكل الذي افضى إلى قيام حكومات مركزية في مصر وما بين النهرين (سورية الشرقية). ولكن سكان فلسطين السورية كانوا شعباً واحداً كما كانت ثقافتهم واحدة ولغتهم واحدة. أما مدن الشاطيء خاصة فكان التشابه عظيماً بين صناعاتها ومصالحها مما دفعها إلى التعاون في بعض الظروف تعاوناً يقرب من نقابة تعاونية ضمت المدن التجارية العظمى. ومع أن أوقاريت كانت بعيدة إلى الشمال فلا بد من أن علاقاتها بالمدن الفينيقية كانت متينة. بيد أن صلوات أوقاريت الثقافية والتجارية بما بين النهرين قديمة العهد ترجع إلى اقدم العصور⁽¹⁾. والشاهد على ذلك الآثار المكتشفة فيها الدالة على تأصل تلك الصلات في ثقافة ما بين النهرين فضلاً عن الكتابة المسمارية. ويمكن التأكيد أن صلوات أوقاريت بما بين النهرين كانت مستمرة كما ورد في كتاب احد الأشوريين المسمى « بيلوبور » سنة 1300 ق. م. إلى « ايلشار » المقيم في أوقاريت يعلمه فيه أنه مرسل له وثيقة لكي تتلى على مسمع ملكة أوقاريت.

أما بمصر فقد كان لاوقاريت علاقات سياسية وتجارية على الأقل من مطلع الألف الثاني ق. م. بالرغم من أن هذه العلاقات لم تبلغ متانة العلاقات التي أحكمت أواصرها بين جبيل ومصر.

غير أن الاحتكاك بميسينة الذي أصبح من الظواهر البارزة فيما بعد فقد بدا يتعامل تجاري ضيق النطاق بين أوقاريت وسلاميس في قبرص حوالي القرن السابع عشر ق. م. وفي ذلك الوقت كان الخزف في سلاميس كما ظهر من مكتشفات « انكومي » سورياً بالكلية تقريباً⁽²⁾. وفي خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق. م. م. شاع في سلاميس كلا الخزفين الشامي والقبرصي. وهذا هو الوقت الذي رأينا فيه مكتشفات أوقاريت مشتملة على كميات وافرة من الخزف القبرصي مما يشير إلى احتمال بدء حلول نزالة قبرصية في مينائها. وفي نهاية القرن الرابع عشر وفي خلال القرن الثالث عشر

(1) إن أهمية هذه الصلات وقوتها لا تبقى ادنى شك في وحدة البلاد.

(2) من أدلة قومية الروابط بين جزيرة قبرص والأرض الأم.

ق. م. تفردت سلاميس بالحزف القبرصي يتخلله بوجه عام خزف ميسيبي. وهذا هو الوقت الذي انتشرت فيه الأواني والأدوات والقبور الميسينية في أوقاريت فضلاً عن شيوع الخزف الميسيبي في أنحاء سورية اخرى. فشعوب البحر التي استولت على أوقاريت قطعت حبل التجارة الميسينية عموماً. ولكن الفينيقيين عادوا بعد هذه القطيعة واستأنفوا التجارة مع الاقريق الذين ورثوا المنطقة الميسينية. على أن ذكريات هذا الاحتكاك القديم بين العالم الايجي وسورية وصلت إلى الاقريق بشكل اساطير كأسطورة قدموس «الشيبي» الذي قطن في فينيقية مدة طويلة ولما عاد جلب معه الحروف الهجائية أي الحروف القدموسية. وأهم من هذا في ذباك الزمن القديم ولا سيما فيما يتعلق بمدينة أوقاريت هو الأسطورة التي يرويها مالالاس البيزنطي عن زواج كاسوس (الذي خلع اسمه على جبل كاسيوس) بكيثيا (صاحبة اسم المدينة القبرصية كيتيوم) بنت سلامينوس القبرصية (مدينة سلاميس). وبعد هذا الزواج استعمر الزوجان ناحية جبل كلسيوس شمالي أوقاريت يدعمها في هذا الاستعمار قبرصيون وكريتيون. وما يستنتج من اساطير كهذه ارجحية قيام التجار الايجيين بنقل الثقافة الفينيقية إلى وطنهم بعد زيارة سورية على القول بأن التجار الفينيقيين هم الذين زاروا بلدان ايجة وعلموها ثقافتهم. ومع هذا فالأساطير غالباً ما تفرط في تخيل الماضي مما يجعلنا في حالة تشكيك بالنهج الفعلي الذي سلكه الاحتكاك بين الثقافتين.

سكان أوقاريت

تمثل في أوقاريت اجناس وثقافات عديدة. على أن العنصر الرئيسي فيما بينها، وعلى الأقل ابتداء من الألف الثالث ق. م. كان الكنعاني السامي كما يبدو، ذلك جلياً من المتروكات الخزفية ومن لغة معظم الألواح المنبوشة ومن كثرة اسماء الأشخاص وأسماء الأمكنة المجاورة المثبتة على الألواح.

وكان القبرصيون، من باقي العناصر، ذوي تفوق عددي في منطقة الميناء كما يستدل من الأدلة الارخيلوجية وهناك نص لغزي وجد في أوقاريت ذكر فيه الالاسيون (القبارصة) والحثيون والحريون وشعوب اخرى. وبين اسماء الأشخاص وأسماء الأمكنة التي قيل أن عدداً من الأشخاص ينتسب إليها نجد أسماء كثيرة غير سامية.

ويتلو الكتعانيين في الأهمية جماعة يظهر انهم الحُريون. وقد كان الحريون في اثناء الألف الثاني شعباً منتشرأ وقد وجدت نصوص وأسماء حرية في منتصف هذه البرهة في جوار اشور وفي آسية الصغرى وفي الشام وفي أرض فلسطين. ولسنا نعلم مدى انتشار الحريين ولا أية شعوب أو لغات انضوت تحت لوائهم. ولكننا نعلم أن نفوذهم كان عظيماً. فالثقافة الحثية في شمالي سورية التي دعاها الأشوريون أرض خطي كانت على الأرجح حُرية إذ كانت متخالفة تماماً مع ثقافة المركز الحثي في آسية الصغرى. وكان الحريون عنصرأ هامأ في سورية الفلسطينية وقد بين الاستاذ سببزر أن حوريي التوراة هم الحريون وأن عدداً وافراً من اسماء القبائل والأشخاص في فلسطين كاسم «قناز» لشخص و«فرزي» لقبيلة، والأسماء الواردة في سفر التكوين ص 36 عدد 20. كديشان (طيشني) هي اسماء حرية. وفي رأس شمرا عثر على اسماء حُرية عديدة حتى أن رسالة من الرسائل حملت اسماء كثيرة وكلها لأشخاص حريين مع أنهم يتكلمون اللغة السامية كما كان حريو «نوزي» يتكلمون الحرية السامية. وقد وصلنا من رأس شمرا أيضاً قاموس مقطعي كتب باللغتين السومرية والحرية معاً (لتعليم الكتاب الحريين الخط المساري) فضلاً عن مراجع عديدة كتبت بحروف أوقاريت الهجائية. ومع أن معرفتنا باللغة الحرية محدودة، فإننا نعلم أن هذه الكتابة هي كتابة الحريين بسبب المشابهات الشكلية بينها وبين كتابة الرسالة الميتانية الشهيرة (من طوشراتا ملك أرض الحريين، ميتاني، إلى فرعون مصر). ومن علاقتها بلغة بعض الألواح التي اكتشفت في عاصمة الحثيين (بوغاز كوي) في آسية الصغرى. وقد كان هذا القاموس السومري - الحري الذي أوله الاستاذ «تيرو - دانجان» ذا قيمة كبرى في زيادة معرفتنا عن تركيب اللغة وفي تمييز معنى بعض الكلمات وخواتمها. ومع أن هذه اللغة ذات علاقة باللهجات الحرية الأخرى التي لنا بها إلمام، فإنها تعد لهجة جديدة من اللغة نفسها. وعندما تترجم النصوص الهجائية ستصبح رأس شمرا مرجعأ رئيسياً لمعرفتنا بهذا الشعب العظيم الذي ما زال مجهولاً.

التجارة والصناعة

اكتسبت أوقاريت أهميتها من موقعها الجغرافي إذ قامت على رأس احد طرق التجارة الرئيسية المؤدية من البحر المتوسط إلى الداخل وهو الطريق الممتد إلى حلب ومنها إلى وادي الفرات وما بين النهرين. والراجع أن البضائع المنتجة في المدن الفينيقية

الشمالية كانت ترسل شرقاً عبر أوقاريت. وعلاوة على هذا كانت تجارتهما مع مصر نشيطة إذ كانت هذه تستورد منها أجود أنواع الخشب. ومما لا يشك فيه أن تجارة الشبهان كانت في مقدمة تجارات هذه المدينة إذ أن موقعها على الشاطئ السوري بإزاء سلاميس في قبرص جعل من هاتين المدينتين محطتين هامتين لشحنات الشبهان المنتجة في قبرص المعروفة آنذاك في الشرق الأدنى بعظم مواردها النحاسية وكثرة تعاملها بها مع الشام وما بين النهرين (أي مع الأرض الأم). على أن اختصاصنا الشبهان بالذكر لا يعني أنه كان البضاعة الوحيدة التي تعاملت بها أوقاريت إذ متى عثرت على الخزف الميسيني في قطننا في الشام وعلى الكؤوس المصنوعة في سلاميس في أشور يمكنك أن تستخلص أن هذين الصنفين من البضائع يجب أن يكونا قد قداموا بطريق أوقاريت. وبعد انقضاء العهد المعروف بعهد شعوب البحر، عندما بدأ الحديد يحتل مكان الشبهان بصفة كونه المعدن الأكثر ضرورة، تقلص مدى المتاجرة بالشبهان إلى حد حاسم، فهبطت منزلة أوقاريت، ولم يعد إليها زهوها الذي عرفته قبل القرن الثاني عشر.

وقد نشأت في أوقاريت، كما في سواها من المدن الأخرى، صناعات محلية منها ما قصد منه سد الحاجات الداخلية ومنها ما اقترن بأغراض تجارتها. فهناك معالم تشير إلى ازدهار صناعة الخزف فيها، فضلاً عن صناعة الأرجوان المستعمل في صبغ الأقمشة المتوفرة للاستهلاك المحلي وللتجارة الخارجية، وازدهرت في أوقاريت أيضاً صناعة الشبهان على أن بقايا النحاس الخام ونفاية المعادن الأخرى التي أظهرها التنقيب إلى النور قد برهنت بالتحليل أنها من وارد انكومي في قبرص.

الحياة في أوقاريت

ما زلنا نعم الشيء البسيط عن كيفية معاش الأهلين في أوقاريت في خلال الأدوار التاريخية المتنوعة التي مرت بها بالرغم من كثرة المكتشفات التي عثر عليها في التنقيبات. فمعظم الأسفار التي وصلت إلى أيدينا تحوي مدونات اسطورية أو طقوساً تعبدية. وبينها قليل من الرسائل التي تعالج أموراً ذات طابع شخصي (ومثال ذلك الرسالة الأكادية التي تفصل حكاية نجاة سائس خيول الملك نقمد)، وربما اشتمل النزر منها على شؤون سياسية، كما أن بين المخلفات بعض جداول الأسماء. ومع كل هذا يمكننا أن نسجل أنه في خلال عصر الشبهان (الطبقة الأولى)، وقد كانت تجارة النحاس في

ذروة ازدهارها، كانت أوقاريت مدينة ذات بهاء و ثراء فالمنازل متسعة، وما بينها فسيح، وقد جاورت المنازل ذات الشأن فيها قبور مقببة. أما الأسلحة والمجوهرات وسائر الأدوات والأواني المصنوعة من الذهب أو الفضة والأدوات الشبهانية والخزفية فعديدة وبديعة الصنع.

و قليلاً أيضاً ما نعلم عن أساليب التجارة ولكننا نعلم عن ثقة أن سكان أوقاريت كانوا يستعملون وزنة 3000 شاقل لاوزنة 3600 شاقل الاعتيادية وهذه الوزنة القصيرة ذكرت في سفر الخروج ص 38: 25-27. وقد عثر على سفر في الطب البيطري ذكرت فيه علاجات تبين عظيم اهتمامهم بمداواة الخيول الثمينة والنادرة آنئذ. ومن طرائفه تكرار الاشادة باستعمال اقراص التين المجفف الموصوف كدواء في سفر اشعياء ص 38: 21، فضلاً عن الزبيب الوارد ذكره في التوراة مع التين بين الأطعمة. (ومن هذه الأدلة يظهر إلى أي حد بعيد اقتبس اليهود عن تقاليد السوريين ومدنهم).

ومن أساطيرهم نتعلم شيئاً عن حياتهم. فزواج الإله الذي نستشف منه عادات الأهلين الدارجة آنئذ أو السالفة فيما يختص بزواجهم يبين لنا أن العقد يقضي على الأب بتأدية بعض الفروض كتقديم هدية الزفاف إلى ابنته (في التوراة شيلوهم)، وتعيين الأملاك التي تنقلها العروس من بيت والدها فضلاً عن المهر الذي يدفع طالب يدها. أما المصطلحات فهي هي المستعملة في التوراة وفي النصوص «الخرية» أي نصوص نوزي الأشورية.

بيد أن الفن الأوقاريتي متفاوت في مزاياه. فالكأس والصفحة الذهبية بارزتا الأهمية ودقة الصنع. ولكنها تقلان أناقة عن صناعتي مصر وقبرص المعاصرتين. فالصناعة الاوقاريتية تفصح عن التأثير الميسيني والقبرصي وتنطق بدوافع اختلجت بها الفنون التي ازدهرت في قبرص وما بين النهرين وربما بعض البقاع الآسيوية الأخرى. وأمثال هذه التأثيرات ظاهرة في الأختام الاسطوانية المصنوعة محلياً. وقد عثر أيضاً على تمثال صغير لبعل صنع من الشبهان المرصع بالذهب والفضة والكهرمان والطلق الأخضر المستعمل في صنع مختلف اقسام التمثال.

الإله، الأساطير، العبادة

أما الأسفار الكبيرة التي انتهت إلينا فهي على ما يظهر أساطير دينية. أما ما هنالك

من الآداب الأخرى فلسنا نعلمه. والأرجح أن الأدب العلماني المكتوب كان قليلاً، لأن القراءة لم يكن قيادها إلا للكتابة المحترفين وحتى هذه الأساطير يبدو أنها قد دونت خصيصاً ليستعين بها الكهنة في خدماتهم الدينية. بيد أنها ذات أهمية كبرى للعلماء الماكفين على درس الشرق القديم ولعلماء الدين والثقافة لأنها المادة المباشرة التي تكشف لنا القناع عن الدين الفينيقي (الكنعاني). بيد إن إشارة التوراة لهذا الدين لا يعول عليها لأنها جزئية وسلبية في وقت معاً. أما الأوصاف اليونانية فمتأخرة ومستغربة كما يتضح ذلك من مؤلف «سورية» للوسيان دي دبا. ولكن اكمل رواية عنه تلك التي يسردها يوسيبوس (برباريتو افانجيليكا⁹) مروية ومتناقلة بالتعاقب على أربعة أدوار وينسبها إلى كاهن فينيقي اسمه سافخونياتون وذلك ما وقف معظم العلماء منه موقف المشكك في صحته. ولكن هذه الرواية الأخيرة والأوصاف الواردة في سفر حزقيال وأمكنة أخرى من التوراة تصحح حقيقة بعد أن قام عليها في مكتشفات أوقاريت الشاهد المباشر يعلن حقيقتها على نطاق أوسع.

كان لاوقاريت بانثيون خاص بها (البانثيون هيكل مستدير الشكل) يشابه بمجمله بهياكل المدن الفينيقية السورية الأخرى. وكان لها إلهتها وكبيرهم إل (عرف في التوراة باسم ايل) وهو أبو الإلهة وزوجته اثيرات الآهة البحر (في التوراة السارية مما يبرهن انها إلهة حقيقية لا عموداً يمثل طقساً من طقوس العبادة فقط). على أن نسبتها للبحر قد يكون ذا صلة بالمزايا البحرية التي تتصف بها افروديت القبرصية وهذا يذكرنا أيضاً بتصوير الاقريق لافروديت صاعدة من الأمواج وهناك إله للحبوب اسمه داغان، اما ابنه فبعل أو عليان بعل. وعليان هذا هو أدونيس أوقاريت أي إله الخضرة الذي توفي مع قبض الصيف وعاد إلى الحياة مع عودة الامطار، وكان لأدونيس رفيقة اسمها انات إلا أن «موت» إله موت الخضار عدوه الأبدي بينما شفش إلهة الشمس طالما هبت لمعونته. وهناك عدد وافر من الإلهة منهم من لم يرد ذكره في الاساطير إلا أنه ورد في لوائح اسماء الذبائح ولوائح اسماء الإلهة ومنها رشف وأنتارت وربما ملكام (المذكور في التوراة باسم ملكوم؟) وكلهم معروفون في التوراة حيث يرد اسم استارت أي أنتارت كزوجة بعل. وهناك الجن القائمون بخدمة الإلهة ومنهم البناء الإلهي كثر - حسيس الذي ذكره سافخونياتون باسم خوسور وهو اسم مركب يعني «القدير والعلم». هذا علاوة على ما هنالك من عامة الالهين المعروفين ببني

ايليم (انظر في التوراة بني ايلوهم). والكل يسكنون مرتفعات صافون « الشمال » اي جبل كاسيوس، أولبوس هذا البانثيون الواقع شمالي رأس شمرا (انظر في سفر حزقيال ص 14: 28 جبل صور المقدس» وفي سفر المزامير ص 48: 3 حيث يذكر جبل صهيون فرح كل الأرض. فرح اقاصي الشمال مدينة الملك العظيم: الله في قصورها يعرف ملجأ.

ومما يجدر ذكره ورود اسم لويتان الاسطوري « لوتان » بالكلمات نفسها تقريبا التي ذكر بها في التوراة وحكاية دانييل الذي يجب أن يكون بطل الأسطورة الكنعانية المشار إليه في سفر حزقيال واستخدم نموذجاً لقصة دانييل المدونة في التوراة.

بيد أن القصائد الاسطورية تعرض لنا مشاهد رائعة من الصراع الذي استحكم بين عليان وموت وعن موت عليان بعل وقيامته - وهذه هي اسطورة أدونيس المشهورة. وهناك اسطورة عن بناء هيكل عليان المقدس (ربما تليت عند الفراغ من بناء هيكله في أوقاريت) وأخرى تصف نصر عليان بصفة كونه إله البر على آلهة البحر. وهناك أيضاً أسطورة بديعة تصف زواج إلهي القمر - يا ربيع ونيقال - وأخرى عن ولادة « إلهة النعمة ».

ومن هذه الأساطير ما يقرأ بسهولة ولكن لقلّة معرفتنا بمسئدات انشائها وعدم مقدرتنا على سبر غور معانيها الحقيقية فإنّ قسماً كبيراً منها ما زال حتى الآن رهن الغموض. وقد حاول بعض الخبراء أن يقرأوا هذه القصائد كأنها تقاليد تاريخية مبتغين أن يبرهنوا منها على أن الفينيقيين ذهبوا شمالاً إلى الشاطئ السوري الفينيقي من جنوبي فلسطين حيث كان على زعمهم مستقرهم الأصلي. واستشهدوا لهذا الغرض ب ورود اسماء عرفت في جنوبي فلسطين في الاشعار ولكن هذه الأدلة لا يمكن دعمها وتأييدها بالحجج القاطعة إذ أن كثيراً من هذه المشابهات عرضي ولا بد في ما يختص بسياق معاني القصائد من تفسيرها على غير هذا المفهوم. بيد أن تفسيرات خبراء مدققين كالأساتذة البرايط ومونتغميري وغنسبرغ لا تسمح بحسبان هذه الملحقات تقاليد تاريخية. ومن الخطل الشديد محاولة البعض الاستدلال إلى أصل الشعب العبراني عن طريق المركز الفينيقي المفترض في جنوبي فلسطين. فليس من أدلة ارجيولوجية تثبت أن الفينيقيين استوطنوا جنوبي فلسطين. وفيها يتعلّق بأسلاف الشعب العبراني فإنّ لدينا أدلة على أنهم ليسوا من مجموعة الكنعانيين. لكنهم دخلوا فلسطين على الأرجح في

خلال نصف الألف الثاني ق. م. على أن هذا التعارض في التفسيرات والتضارب في تقدير الاحتمالات يبين لنا أنه ليس بالوسع أن يثق المرء بصحة قراءته للنصوص إذ من السهل أن ينساق عن غير قصد منه إلى أن يقرأ فيها أفكاراً اعتادها أو أنه يتمنى بلا وعي منه أن يجدها في ما يقرأ. ولهذا السبب يفضل الاعتماد دائماً على المشاهد اللغوي الذي يتجلى في الصيغ اللغوية، كما تبدو في النصوص، كما يحسن الاعتماد إلى أدنى حد على المحتويات، كما تبدو في المادة نفسها.

بيد أن الألواح الأصغر حجماً تشتمل في معظمها على لوائح الهياكل والإلهة (ومنها ما هو غير سامي) ولوائح مقتنيات الهياكل والذبائح فضلاً عن قواعد اعداد الذبائح وضوابط الصلوات الطقسية. أما وجوه تشابه ممارسات الدين العبراني بما نحن في صدد الكلام عنه فعديدة والحيوانات التي تجوز تقدمتها هي هي وإن عدداً كبيراً من أسماء التقدّمات هو هو. ولكن الطريف أن إحدى التقدّمات تتطلب طبخ الجدي بلبن امه وهو من المحرمات في الديانة العبرانية كما ورد بشأنه تحريم في سفر الخروج ص 34: 19 ولا بد للمرء من التساؤل عما إذا كان حرم التوراة قد أجاز فيها معارضة لهذا الطقس ممهّداً المجال امام الفصل اليهودي العام بين اللحم والأغذية اللبنية الناشئة عنه أو عما إذا كانت هذه العادة قد كانت عامة في السابق (منذ العصور السابقة للأزمنة الفلسطينية) مما يعلل السبب لمنع الطقس الكنعاني.

ومن العلاقة الوثيقة بين هذا الدين الكنعاني وذاك الذي دان به الشعب العبراني يتحقق لدينا امران: أولاً - يتضح لنا أن أسلاف الشعب العبراني، عندما استقروا في فلسطين، أخذوا الكثير عن ثقافة الكنعانيين بما في ذلك عديد من طقوس العبادة، وأنواع التقدّمات وإبطال الأساطير وحتى بعض الأمثال المناقبية كما يتأيد ذلك من ظهور عبارات في أوقات كقولك « يحمي الأرملة ويدافع عن حق اليتيم » وهو ما يتكرر وروده في التوراة. ثانياً - ويتضح أيضاً أن جانباً كبيراً من الأصول الدينية والثقافية العبرانية كانت مغايرة للأصول الكنعانية.

حروف أوقاريت الهجائية وحل رموزها

نشر ويرويو (Virolleaud) في خلال بضعة أشهر من العثور على مخزن الألواح العظيم سنة 1929 دفعة من النسخ الممتازة منقوشة بعلاقتها المسماة المجهولة. وقد

اتضح أن العلامات تؤلف حروفاً هجائية لأنه لم يظهر منها أكثر من 30 علامة مستعملة بتكرار. أما الكلمات وجلها مركب من ثلاثة أو أربعة احرف، فقد فصلت بعضها عن بعض بشطحات قصيرة. وقد ظن ويرويو والمنقبون أن الخط يمكن أن يكون قبرصياً استناداً لاتساع مدى الموجودات القبرصية في هذه الطبقة: ولكن بعض العلماء اعتمد على ارجحية سامية سكان سورية وعلى تركيب الكلمات من ثلاثة أو أربعة أحرف فتسوق لغة سامية مركبة من حروف هجائية تظهر منها في الكتابة الحروف الصحيحة (كما هي الحالة في الحروف الفينيقية). وعندئذ تكون كثيرة الألفاظ مركبة من ثلاثة أحرف على أساس الأصل الثلاثي أو من أربعة أحرف زيد على الأصل حرف. وفي مايو 1930 افضى الاستاذ بوير (Bauer) باقتراحاته الأولى تمهيداً لحل رموز الكتابة الأوقاريتية. وكان الاستاذ دورم (Dhorme) في أورشليم قد توصل في الوقت نفسه إلى نتائج مماثلة تقريباً. واتفق كلا الرجلين على بعض الأحرف واعتمد الواحد منها على الآخر في تصحيح استنتاجاته.

ولم يكن بين الألواح نص مكتوب بلغتين ليسهل امر حل الرموز. لذلك اقتضت هذه العملية قسطاً عظيماً من الذكاء والعبقرية. ولكن حالما انتهى حلّ مدلول اكثرية العلامات حلاً صحيحاً بدأت تظهر كلمات مألوفة كلفظة ألف (ثور) وجدل (واسع) في النصوص الأولى مما سهل قراءتها بسرعة. غير أن بعض الأحرف ظلت بعد كل هذا النجاح في حالة الشك. فالحرف المفلوظ تبين بعد ان ذكرت نصوص أخرى أنه يعادل بعض الأحيان علامتي الباء والعين وبعض الأحيان الأخرى علامة جديدة مؤاذا حرف الزاي المفحّم. وهناك علامة أخرى طالما ظنّ انها علامة أخرى لحرف الصاد فإذا هي حرف يمثل على ما يبدو صوتاً من أصوات اللفة الحرية. وهناك علامة أو علامتان ما زالتا قيد الدرس تمحيصاً لوضعيتها.

الكتابة: تشتمل الحروف الهجائية على اشكال مسارية بسيطة لا علاقة لها بالعلامات المقطعية أو الصورية المعروفة في الكتابة المسارية السومرية - الاكادية. بيد أن هذه العلامات المقطعية أو الصورية وتلك الأشكال البسيطة تشابهتا في أن كليهما مصوغتان من مجموعات نقشت بقلم اسفيني المظهر على ألواح فخارية. وتشابهت الكتابة الاوقاريتية بالكتابة البابلية المسارية بأن كليهما مجريان من اليسار إلى اليمين ولكنها أي

الكتابة الأوقاريتية تخالف حروف الهجاء الفينيقية بأن هذه ظهرت أولاً بكتابة محفورة وتجري من اليمين إلى اليسار.

بيد أن الأبجدية الأوقاريتية تتألف من 30 علامة تمثل كالأبجدية الفينيقية حروفاً صحيحة لا أحرف علة فيها. ومع ذلك فللألف الوقفية الحلقية ثلاث علامات كل منها تعادل همزة مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة. وكل علامة لها شكلها الخاص إلا أن الألواح الصغيرة ظهرت فيها بعض علامات لم تعرف دلالاتها بالضبط حتى الآن. وقد تكون علامات محرّفة لعلامات أصلية قياسية. وهناك شكل (س) لا يرد إلا في الألواح الصغيرة وربما كانت شيئاً ثانية مختلفة تماماً عن السين المعروفة في النصوص الأخرى وهي تكتب إلى جانب السين العادية الظاهرة في الأشعار وفي المراجع الصغيرة ذاتها.

أما التهجئة فمتناسقة ولا توجد كلمة متباينة التهجئة بتباين موضعها. وليس في هذا الأمر ما يدعو إلى الدهشة ما دام كل حرف يمثل صوتاً معيناً مما يجعل تهجئتين لكلمة واحدة أمراً مستحيلاً، ولكن خلو الكتابة من الخطأ يشير إلى أنها كانت في ذلك الوقت كاملة النمو ومستقرة.

وقد عثر على بعض أخطاء في رسم العلامات في القصائد الطويلة تجلت بزيادة العلامات الاسفينية. ولكن في بعض النصوص الصغيرة تعددت الأخطاء من هذا النوع، وفي عدد قليل منها ظهر حرف النون بأربع علامات مسارية بدلاً من ثلاث، والراء بسبع علامات بدلاً من خمس وهلم جرأً. ولربما كان بعض هذه الألواح خاص بالطلاب والكتابة تمرينية. فالموسوعات المكتشفة معها تنهى بأن الموقع كان مدرسة لتعليم الخط. وأشار بعض المحققين إلى أن الألواح المكتوبة كتابة أقل انتظاماً تسبق في الزمان الألواح المنتظمة وتعود في تاريخها إلى الوقت الذي كانت الأبجدية فيه غير مستقرة تماماً. فإن صح هذا القول كانت العلامات التي لم ترد إلا في الألواح الصغيرة أشكالاً اندثرت لدن تفرقت أشكال الحروف نهائياً. ولكن هذه النظرة تفتقر إلى إثبات.

والطريف أنه اكتشفت ألواح مخطوطة على نسق معكوس. فالكتاية تجري من اليمين إلى اليسار والعلامات مقلوبة كأنك تنظر إليها في مرآة. ولسنا نعلم حتى الآن ما إذا

كان هذا الطراز الكتابي يحتتمل أن يكون نمطاً سطرياً فتكون المحتويات تعاويز من هذا النوع.

وتسليلاً لفهمنا هذه النصوص وإدراك خطورتها في تاريخ ترقى الأبهدية يجدر بنا أن نعين زمانها بدقة. فمخزن الألواح الكبير المشار إليه وجد في اطلال الطبقة 1.8. ومدتها بين 1500 و 1365 ق. م. ولكن يبدو أن البعض منها رصف في الهيكل الملاصق المعاد بناؤه مما يجعل على الاعتقاد أن هذه الألواح أقدم من الهيكل المستحدث. أما النقوش الزخرفية المتوجة أو الخاتمة لبعض القصائد فتشير إلى أن النصوص منسوخة في عهد الملك نقمد ملك أوقاريت عن أصول أقدم (؟). وقد وجدت على رأس الطبقة الثانية أي ما يسبق في الزمان سنة 1500 ق. م. رسالة أكادية صاحبها نقمد ملك أوقاريت. فإن كان الاسمان لمسمى واحد، فلا بد من الاستنتاج أن زمان هذه الألواح يقع في سنة 1500 ق. م. وقد وجدت ألواح أخرى في أمكنة أخرى من الخرائب يعتقد أنها من نتاج عهد تال.

فالراجع إذن أن الأبهدية الأوقاريتية وجدت في عهد طبقة الحفريات الثانية أي بين سنتي 2100 و 1500 ق. م. وليس بوسعنا أن نعين مدى انتشارها ومعرفتها إلى أن نكشف آثارها في مواقع أخرى. والجدير بالذكر أنه قد عثر في بيت شمش في جنوبي فلسطين على لوح ظهرت فيه نبذة قصيرة كتبت بالأبهدية الأوقاريتية مقلوبة. وحتى الآن لم يدع أحد أنه تمكن من تفسير هذه النبذة فربما تكون قد كتبت بلغة غير سامية ولكن في ذلك شاهد حق على أن الكتابة الأوقاريتية كانت منتشرة في منطقة واسعة.

اللغتان الأوقاريتية والفينيقية

إن أصل الأبهدية الأوقاريتية مجهول. ويحمل بنا القول أن كتبة اوقاريت انشأوا بالاستناد إلى الخط المساري الأكادي علامات أبهدية لكتابة لغتهم. والمسألة هي كيف تفتقت لهم فكرة الحروف الأبهدية؟ إذ ليس بوسعنا أن نفسر ذلك بأنه تطور معرفتهم الخط المساري المقطعي لأن الحروف الأبهدية ليست انتقالاتاً طبيعياً من الكتابة المقطعية. فحالما تصل الكتابة إلى دورها الصوتي فإن كل علامة تمثل قسماً مقطعياً طبيعياً من اللفظة. ويمكن تحويل العلامات إلى اصفر الاقسام المقطعية ولكن من غير الممكن جعلها تمثل اقساماً كهذه (أي الأصوات المشتمل عليها القسم أو مجموعات

الأصوات) كما أنها لا تلفظ عادة لوحدها أي صورة مقاطع منفصلة. لذلك كان من المستحيل الوصول إلى العلامات التي تمثل الأحرف الصحيحة اللامقطعية. وتلك هي التي نجدها في أبجديتي أوقاريت وفينيقية. ففي أبجدية فينيقية نعرف السبب أي مجرى الأحوال الذي أدى إلى تركيب الأبجدية الفينيقية على مبدأ اتخاذ علامة تمثل الصوت الأول من اسمها. ولكن ما السبب في أبجدية أوقاريت ؟.

إن التلميح إلى اشتقاق الحروف الهجائية من الخط المسماري الأكادي يمكن طرحه جانباً. إذ لم تثبت مشابهاً دامغة بين العلامات الأوقاريتية والأكادية، وحتى لو كانت هناك مشابهاً فإنها غير كافية للكشف عن أصل الكتابة بالحروف الهجائية. كذلك لا أساس للدعاء أن الأبجدية اخترعت من قبل غير ساميين وهو ادعاء انبثق عن وجود علامات صائتة للألف. وتبدو الأبجدية منطبقة على لهجة أوقاريت السامية وعلامات الألف الثلاث يمكن أن تكون تعديلاً خاصاً شاع بين السكان الحريين وقد تكون استحدثت لكتابة اللغة الحرية.

ويجب أن نتحرى عن العلاقات الممكنة بالأبجدية الفينيقية. فالكتابات الأولية المكتشفة في سرايت بسيناء ترهن أن الأبجدية وجدت في القرن العشرين ق. م. حتى القرن الثالث عشر ق. م. ولكن المكتشفات الحديثة في فلسطين أظهرت لنا عشر كتابات يعود تاريخها إلى ما بين سنتي 1600 و1200 ق. م. وكلها تسجل المراحل الأولى للأبجدية الفينيقية. ولقد زعم البعض أن الأبجدية الأوقاريتية ليست إلا محاولة لنقل الفينيقية. ولقد زعم البعض أن الأبجدية الأوقاريتية ليست إلا محاولة لنقل الفينيقية واستعمالها على ألواح الصلصال ولو صح هذا الزعم لكان علينا أن نتوقع تشابهاً أعظم مما هي الحال بين الأبجديتين. وليس من تشابه وثيق إلا في السين الفينيقية والسين الأوقاريتية التي ذكرنا أنها تظهر في بعض الألواح الصغيرة وهي مختلفة تمام الاختلاف عن السين العادية. ولربما كان هذا الحرف نسخة عن الحرف الفينيقي ولكنه لم ينل الرواج الذي يستحقه فاضمحل. وقد يكون صحيحاً أن بعض الحروف الأوقاريتية مبنية على الفينيقية. بيد أن بعض العلماء أشاروا إلى نقطة أخرى تظهر الصلة بين الأبجديتين. في أحد النصوص وهو نص حرّي يبدو حرف العين ضمن نطاق دائرة. ويعتبر هؤلاء العلماء أن هذه الدائرة هي حرف العين الفينيقي وقد استعمل هنا كعلامة فارقة لتمييز العين الأوقاريتية من الطاء المشابهة لها كثيراً ومع ذلك فهذا

الرأي مردود لأسباب عديدة إذ أن العلامة المطوقة بدائرة والتي نحن في صدد الكلام عنها تمثل على الأرجح رقماً أو علامة خاصة أخرى وهذا النوع من الصلة الوثيقة بين الأبجديتين يظل أمراً مشكوراً فيه .

وبالرغم من كل هذا فحروف الهجاء الأوقاريتية الصحيحة لا بد من كونها مرسومة على صور حروف الهجاء الفينيقية الصحيحة . ولهذا السبب وحده نستطيع أن نفسر لماذا لا توجد في الأبجدية الأوقاريتية علامات لأحرف العلة مع أن الذين أوجدوهاهم على معرفة بالأكادية المسامرية وأحرف العلة هي الأصوات البسيطة الوحيدة التي أوجدت لها الكتابة المسامرية علامات منفصلة . وقد تكون وضعت على أساس الأبجدية الفينيقية علامة مما أدى إلى إضافة بعض علامات الأصوات التي تخلو منها الفينيقية . والمرجح أكثر من هذا أن الأبجدية الأوقاريتية رسمت قوالبها على الأسلوب العام الذي رسمت عليه الأبجدية الفينيقية : فكما أن الفينيقية كان لها علامات قيمتها في أنها كانت الصوت الأول من اسمها هكذا كانت العلامات المسامرية الأوقاريتية تمثل اسماء معينة ثابتة لها قيمها الصوتية الهجائية . ومع هذا لا ندعي عصمة هذا الترجيح لأننا ليس لدينا اسماء الحروف الهجائية الأوقاريتية ولكننا نشكك فيما إذا كانت الأصوات متصورة تشريحياً بجد ذاتها . ونرجح أنها تمثل الأصوات الأولى من ألفاظ مختلفة تحالفت أصوات حروفها الأولى .

وكيفما كانت الحال فالراجح أن الأبجدية الأوقاريتية لم تكن استعارة من الفينيقية على غرار استعارة العبد من السيد بل ابتكاراً جديداً مبنياً على معرفة الفكرة العامة أو الأسلوب المبطن تحت الأبجدية الفينيقية . ولدنا في ذلك مثال بديع على التعلم فالتطبيق المستقل للماذج الثقافية وهو نوع من الانتقال طالما حدث في انتشار أنواع الثقافة . وقد وقع هذا التقليد للنموذج الثقافي مرات عديدة في تاريخ الأبجدية وليس هو إلا شاهداً جديداً على ملاءمة الشعوب لهضم اشكال ثقافة جيرانهم كما يظهر ذلك جلياً في أصل الأبجدية الفينيقية نفسها .

نشر هذا المقال بالتسلسل في نشرة « النظام الجديد » سنة 1948 .

مستندات



من حديث الدكتور عبدالله سعادة عن التأسيس

وجواباً على اسئلة جريدة «الجريدة» العدد 22 تاريخ الاول من آذار 1970 يقول الامين الدكتور عبدالله سعادة، رئيس الحزب يومئذ، عن سؤال التأسيس ما يلي: «تأسس الحزب السوري القومي الاجتماعي عام 1932 في عهد الانتداب الفرنسي وكان حزباً سرياً. اسسه زعيمه انطون سعادة المولود في الشوير سنة 1904. استمر الحزب في العمل السري حتى تشرين 1935. كشف امره بوشاية واش والقي القبض على زعيم الحزب ومعاونيه واحيل زعيم الحزب للمحكمة المختلطة. كان موقف الزعيم في محكمة الانتداب الافرنسي موقفاً قومياً ثورياً رائداً، شكل طليعة العمل الحزبي العقائدي التحرري القومي. حكم على الزعيم ستة اشهر قضاها في حبس الرمل حيث الف كتابه الرائد «نشوء الامم» في تطور الاجتماع البشري والقوميات.

كان ظهور الحزب السوري القومي الاجتماعي حدثاً خطيراً في تاريخ امتنا، لأنه نقل النضال الشعبي من سوية النضال لاجل الاستقلال الى سوية العمل القومي والنهضة الاجتماعية.

شكل ظهور الحزب السوري القومي الاجتماعي حافزاً لدى المهتمين بالشؤون الوطنية ولدى المناوئين من انصار الاستعمار فظهرت الاحزاب التي صنعها الاستعمار لمحاربة الحزب السوري القومي الاجتماعي، كما ظهرت الحركات والاحزاب العاملة في الحقول الوطنية والقومية. تأثرت جميع الاحزاب والحركات بمبادئ الحزب وخصوصاً في الشأنين القومي والاجتماعي فتبننت جميعها كثيراً من مبادئه وشعاراته وان أخرجتها عن القاعدة العلمية الاجتماعية التي اعتمدها الحزب السوري القومي الاجتماعي. كما

تأثرت بأسلوبه العلمي والتنظيمي.

بعد ظهور الحزب كثر البحث والنقاش في القومية وتعددت آراء المواطنين بشأنها واختلفت من القوميات الكيانية الى القومية العربية العامة كما شمل البحث مضامين الحزب الاجتماعية وبخاصة « العلمانية ».

لاقى الحزب من اضطهاد السلطة المنتدبة ومن اضطهاد الرجعية وبخاصة الطائفية المسيحية والمحمدية ما كان يعجز عن تحمله لولا صحة عقيدته العلمية وايمان القوميون بها وتمرسهم بالنظام. »



تأسيس الحزب القومي الاجتماعي

وتحت هذا العنوان يكتب رئيس المجلس الاعلى الامين عبدالله قبرصي في عدد البناء 154 تاريخ 16 تشرين الثاني 1958 ، المقال التالي :

« يخطئ الذين يعتقدون ان الحزب القومي الاجتماعي حزب كباقي الاحزاب يخضع لنواميس عادية في نشوئه ونموه وبلوغه المرتبة العليا التي يحتلها في الهلال الخصيب والعالم العربي والسياسة الانترنسيونية نفسها. فهو عقيدة ونهضة وايمان. وهو امة كانت في عهد انحلالها وانحطاطها، فجاء الحزب يرفعها من تحت الانقراض، من قبر التاريخ، ليعيها امة جديدة حية. وعلى هذا الاساس، خضع في نشوئه ونموه ونضاله لعوامل وقواعد النهضات الكبرى في التاريخ، وتميز عنها في انه نشأ وترعرع ونما في ظروف لا يمكن اجراء معادلات او مقارنات بينها وبين ظروف وطبائع النهضات الاخرى عبر التاريخ.

لو عدنا فقط الى تاريخ تأسيس الحزب، لوجدنا ان سعاده المؤسس وصاحب الدعوة اضطر الى تأسيس الحزب سرياً، وبقي سنتين يبحث عن « تلامذة ». وفي نهاية السنتين فقط كان قد بلغ عدد المستجيبين للدعوة ثلاثين عضواً. وفي هذه الاثناء كان قد اضطر لحل الحزب كله لاعادة بنائه من جديد.

وما ان نشط الحزب قليلاً، واصبح له فروع في المتن والكوره وطرابلس والباق، حتى واجه اول ازمة داخلية، فهب خمسة من اعضائه بينهم منفذ بيروت آنذاك شارل

سعد، لاسباب وبواعث مختلفة، يطالبون بتعديل الدستور، ويبشرون بين العدد القليل من القوميين الاجتماعيين الذين كانوا قد انضموا الى الحزب، بأفكارهم وآرائهم الخاصة، فيزعرون الفوضى والبلبلة والشكوك، فاضطر الزعيم الى اجراء محاكمة سريعة في محكمة ترأسها هو وكان من اعضائها زكي النقاش. وصدر حكم المحكمة على الاثر وكان يقضي بطرد الخمسة الناشرين.

كان ذلك في ايلول سنة 1935 والحزب لا يزال سرىاً.

وانضم اليه في ذلك العام، المحامي عزيز الهاشم، وكان رئيساً لحزب الاستقلال الجمهوري. وفيما كان سعادة يفكر باتخاذ هذا الحزب ستارا للحزب القومي الاجتماعي لانه كان مرخصاً، فوجئنا باعتقالات 16 تشرين الثاني سنة 1935. والمرجح لدي ان الذي وشى بنا للفرنسيين كان الشيخ عزيز الهاشم نفسه.

ومن راجع رسائل سعادته الى الاستاذ غسان تويني وخاصة الرسالة الرابعة المؤرخة 26 ايار 1946، يتبين خلال سطورها، كيف ان الحزب لم يكن بعد قد ركز على الصعيد العقائدي، لأنه لم يكن بين يدي الاعضاء الا شروح سعادته الشفوية وخطابه التأسيسي في اول حزيران سنة 1937. سنة 1936 فقط كان بين يدينا نشوء الامم وشرح المبادئ.

لقد كنت انا مثلاً عميداً للاذاعة في الحزب عند انكشاف امره. وكنت قد عينت لجنة للاذاعة والنشر قوامها المرحوم صلاح لبكي ومأمون اياس ومحمد النقاش وكنعان الخطيب والمرحوم منيح رأسي والمرحوم فؤاد سليمان وروبير ابيلا ومحمد الحافظ وسواهم، وكان من مهامها شرح الدستور والمبادئ واستنباط افضل الطرق للاذاعة لا يصال هذه التعاليم كلها الى اذهان المواطنين.

واجتمعت اللجنة عدة اجتماعات فما اثمرت ثمراً يذكر، لان العقيدة القومية الاجتماعية، على شمولها، وبالنسبة لانبثاقها من علم الاجتماع والواقع الاجتماعي، كانت شيئاً جديداً بالنسبة لعميد الاذاعة نفسه، ولم يكن بمقدور اللجنة ان تجهد الشروح لعقيدة آمنت بها ايماناً كلياً، ولكن دون ان يكون اساس هذا الايمان، قد رسخ في العقول رسوخاً واعياً مسؤولاً.

وبعد المحاكمات، وان يكن الحزب قد انتشر بسرعة، الا ان العدد الكبير الذي

انضوى تحت لوائه، كان تضخماً وتراكماً. فالحماس العاطفي، والتوق الى حركة انقاذ مها كان اسمها وشكلها، كانا الدافع الى الشعب في لبنان والشام الى الاقبال على الحزب.

ولذلك، فان سعادته اضطر بعد مرور سنة على هذا التضخم ان يقوم بعملية تطهير واسعة في الصفوف.

ومنذ سنة 1935، وبالنظر للاقبال على الحركة، اشتد الضغط عليها، وشنت الحملات من كل الجهات. فرجال الدين المسيحي بشخص الاب ابو خليل اصدروا كتابهم: الحزب السوري القومي مؤامرة على الدين والدولة. ورجال الدين المحمدي وبعض المشتغلين بالوطنية على اساس المكاسب هاجموا في الصحف، والعروبيون واللبنانيون على اساس ديني ايضا داخوا في كل مكان يخترعون الاقاويل والالتهامات والافتراءات، تماماً كما يجري اليوم في الاوساط المناوئة للحزب، وذلك للحد من نشاطه وكبح جماح انطلاقته الجبارة في الشعب.

نذكر بهذه المناسبة حملات جريدة المساء (وقد تقمصت اليوم في بيروت المساء) وحملات الرابطة الشرقية، وعزيز الهاشم واخباره المزورة، ونذكر ابواب السجون التي فتحت لنا سنة 1935 ولم تغلق - والحمد لله - حتى هذه الساعة. انها دائماً مفتوحة لاستقبال القوميين الاجتماعيين الذين ما زادهم السجن والتشريد الا ايماناً وحرارة وانتاجاً.

فالاجانب، والرجعيون، والاقطاعيون، والمتاجرون بالوطنية، والوصوليون، والمذعورون من اللبنانيين، تألبوا حاجزاً مسلحاً بكل الخراب المسمومة، لمقاتلة الحزب القومي الاجتماعي. كما قامت من داخل صفوفه جماعات، حاولت استغلاله، او وهنت عزائمها في الصراع، وتعاقد الجميع على محاربة الحزب واعتباره عدو لبنان رقم واحد.

وراحت الاحزاب البيغائية تتآلف، لا لخدمة الوطن وعلى اساس عقائدي، بل لمناوئة الحزب القومي الاجتماعي.

ان تأسيس الحزب القومي الاجتماعي هو اعظم حدث تاريخي في تاريخ امتنا منذ مئات السنين.

انه اطلق تياراً فكرياً نادراً، ليس فقط في الهلال الخصيب كوالعالم العربي، بل في

العالم. لذلك فان للحزب القومي الاجتماعي شأناً دولياً كأنه دولة لا حزب حتى ينظر العالم الخارجي نفسه.

وهو اليوم، وبمناسبة عيد تأسيسه السابع والعشرين، يطل وقد اشرق من تراب الوطن في سائر انحاءه، النور المنبعث من قبور شهدائه، ومن السجون التي يرزح في قيودها مناضلوه البررة، ومن كل مكان في ارض لبنان، ليقول للعالم: ان الحق القومي الاجتماعي الذي ابتداءً يتجسد بفرد هو انطون سعادة، اصبح اليوم القوة الاساسية الكبرى، التي تقرر مصير المعارك القومية الفاصلة.

ان هذا العيد هو عيد انتصار الحزب في معارك حربية فعلية، بعد ان سجل طوال 27 عاماً انتصارات فكرية وسياسية، وبعد ان سجل انه الحزب الوحيد الذي لا يلين امام ضغط ولا تقف في وجهه احوال ولا عقبات، وانه الوحيد الذي آمن بحق امته في الحياة وعمل لها بصبر عجيب.

ان الحزب لا ينام على انتصاراته ولا يرضى بقمة ليصل اليها: انه يتطلع الى قمم جديدة وانتصارات جديدة.

فاللقاء يا قمم ويا انتصارات.

ان انتصاراتنا معناها انتصار رسالة العقل والمحبة لبلادنا وللعالم العربي.»



دستورنا «وليد الابتكار الاصلي»

وبقام عميد الاذاعة الامين سامي الخوري ننشر «الزوابع» في عددها 242 تاريخ 57/11/23 ما يلي:

حين ندرس الدستور السوري القومي الاجتماعي يطالعنا اول شيء انه دستور نهضة وبالتالي فهو «وليد الابتكار الاصلي» وليد الفذوذية التي تتميز بها النهضة حين تأخذ على عاتقها شق طريق الحياة للأمة. ومظاهر هذا «الابتكار الاصلي» هذه الفذوذية الرائعة هي في تسلسل وتماسك هذه المزايا لتشكل في الاخير وحدة كلية لا مجال لتجزئتها او النظر اليها من زوايا جزئية.

ففي دستورنا ظاهرة تماسك العقيدة والنظام واضحة كل الوضوح حين نصت المواد

الاربع عشرة الاساسية على المبادئ الاساسية الاصلاحية الى جانب نظام الحزب التسلسلي المركزي فلم يفصل سعادته في تشريعه ووضعه اسس القضية القومية الاجتماعية التي يتضمنها الدستور، لم يفصل بين الغاية والوسيلة، ولم يفصل بين الفكر والتطبيق انطلاقاً من وحدة العقيدة والنظام ووحدة مفاهيم الحركة الاساسية. لقد انشأ القضية لها المؤسسات التي يحفظه ويضمونها واحتاط لكل شيء وجعل من تسلسل المؤسسات ضماناً كبرى لاستمرار العمل ولعدم ارتكازه على هؤلاء او فرد

وفي ظاهرة التسلسل الهرمي بشكل يعبر عن مفاصل النهضة الحقيقية لجهتين رئيسيتين فهي اولاً تهدف كما اوضح خطاب الزعامة عام 1935 الى غاية تربوية قومية اجتماعية من هذا النظام هي ان نظامنا خلافاً للأنظمة التقليدية قادر على احداث التغيير والتكيف، اي على تبديل العقلية والنفسية العامة التي يرثها واحدنا من محيطه قبل انتهائه للحركة.

فليس يكفي ان يعتنق واحدنا العقيدة حتى يصبح سوريا قومياً اجتماعياً بل ان «المقبلين على الدعوة» عليهم ان ينخرطوا في صفوف الحزب، فيصبحوا «اعضاء» فيه منتظمين ضمن مؤسساته ونظامه، يمارسون العقيدة تطبيقاً وعملياً ويتمرسون بفضائل النظام التي هي قبل كل شيء ممارسة وحياة.

وهنا يجدد سعادته في خطابه التأسيسي ان غاية النظام واشكاله متصلان اتصالاً وثيقاً لا ينفصم. لأن النظام البرلماني، مثلاً، كما اوضح المعلم غير قادر على القيام بهذه الاعباء. ووحدة الشكل والجوهر هما في اساس نظرتنا الفلسفية. فاشكال نظامنا وجدت لانها وحدها القادرة على ان تكون الجهاز السليم لغاية حزبنا. ولو لم تكن كذلك لأوجد المعلم غيرها. ومن هنا قول سعادته العظيم: ان النظام هو نظام النهج والفكر وان نظام الشكل هو لتحقيق هذا النهج وهذا الفكر. وبالتالي ان نظام الشكل منبثق عن النهج والفكر لذلك يكتسب قداسة قصوى فلا يعود مجرد اشكال طالما انه نابع من صميم غاية كبرى. ولا يصح العكس الاسفطائياً كان يقال ان الاشكال غير هامة في حزبنا لأن الاهمية هي للنهج والفكر مجردين. ان الفكر والنهج وفق النظرة السورية القومية الاجتماعية التطبيقية العملية يجسدان بأشكال تعبر عن معانيها السامية الرفيعة. وهذه الاشكال تغدو هامة وواجبة الاحترام الكلي لكونها نابعة من هذا الاساس النهجي الفكري ومجسدة له وغير منفصلة عنه.

اما المقصد الآخر من نظامنا التسلسلي ففي الفعالية التي تطلبها النهضة ، هذه الفعالية التي يكرسها نظامنا بمؤسساته المنبثقة من الزعامة حتى المديرية .

تبقى المظاهر الاخرى وهي ارق والطف من كل هذه واولاها الديناميكية الحركية في نظامنا . فمبدأ الزعامة في حركتنا منبثق عن كون الزعيم هو المعلم ، هو العقائدي الاول ، مؤسس الحركة ومنشئها ومعلمها . وتنتفي الخلافة للزعيم بقيام مؤسستين من بعده الرئاسة التي يصار الى اختيار المؤهل لها بالانتخاب ولمدة معينة والمجلس الاعلى الذي يمثل السلطة العليا سلطة التشريع وسلطة تعيين الرئيس (انتخابه) واقالته وقبول استقالته . واول واكبر الاخطاء هو ان نتوهم ان الرئيس خليفة للزعيم بالمعنى الحرفي والعملي . فالزعيم هو المعلم والرئيس واحد من التلامذة . والزعيم هو مصدر السلطات والرئيس هو صاحب السلطة التنفيذية فقط . والزعيم هو انطون سعادة فقط اما الرئيس فأبي رفيق امين يختاره المجلس الاعلى . والزعيم لمدى الحياة اما الرئيس فينتخب كل سنتين . ولعل هذه الديناميكية في ان تتحول الزعامة بعد سعادة الى مؤسستين من اكبر الضمانات للحركة ومن اهم مظاهر الحيوية الفعالة وبعد النظر والفذوية والابتكار الاصلي في دستورنا .

اما المظهر الآخر لهذه الفذوية في المرسوم الدستوري الرابع الذي كان المقصد من ايجاده مزدوجا : ان يتمرس السوريون القوميون الاجتماعيون بحقوق المواطنة الى جانب ما قصد من المراسيم الدستورية الاخرى في ان يتمرسوا بواجبات المواطنة في الدولة حالسورية القومية الاجتماعية . اما المقصد الآخر فهو ان يكون هذا المرسوم في السياق الطويل وبعد التمرس به على نطاق المديرية في المنفذية باكورة لتطور التشريع السوري القومي الاجتماعي بحيث تتجه النهضة اكثر فأكثر نحو اشراك الاعضاء في تحمل مسؤولية الجندية والقيادة في الحركة .

واخيرا ان قدسية الدستور انما تدل كما اوضح سعادة في مقدمة « نشوء الامم » على مقدار الوعي في امة ما ، على مقدار النضج في تفهم معنى العلاقات القائمة بين مؤسساتها القومية . والنهضة السورية القومية الاجتماعية هي في الاساس اتجاه حضاري صوب الاكمل ، انه حركة رقي ونضج يختمران في امتنا العظيمة . »



الدستور الذي قضى على التبعية والصنمية .

وبقام وكيل عميد الاذاعة الامين عمر ابوزلام تنشر جريدة « الزوابع » في عددها 242 تاريخ 57/11/23 ما يلي :

ايها المواطن النبيل .

« لك ان تدرس الدستور القومي الاجتماعي بمفرده موضوعيا ولك ان تدرسه على ضوء المبادئ الدستورية التقليدية ونظريات الحقوق الدستورية حودساتير العالم والاحزاب ، ولكن ليس لك مطلقا ان تتصور انك ستصل بذلك الى فهم النهضة القومية الاجتماعية ودستورها ذلك لان منطلي الدراسة الصحيح هو وعيك لمفهوم النهضةات اولاً : من حيث ان النهضة لكي تكون كذلك يجب ان توجد حالة انحطاط ونضج في الامة وقدره في الامة كافية للنهوض ، ورسول نهضة يخطط ويقود ويسير للانتقال من مرحلة التدهور الى مرحلة التحفز الى مرحلة الانطلاق .

ولهذا كانت دساتير العقائد اعمق من دساتير الدول والاحزاب الاصلاحية ، وكان دستور النهضة القومية الاجتماعية اعمق ايضا من دساتير العقائد والمعتقدات لأن الدستور القومي الاجتماعي مسؤول عن نهضة مسؤولة بدورها عن انهاض الامة السورية امة الرسالات والنهضات في التاريخ ولهذا كانت مسؤولية الدستور القومي الاجتماعي مسؤولية تاريخية ومسؤولية دراسية هي ادق من ذلك وكانت مسؤولية واضحة عظيمة عظمة الانسان المسؤول عن امة ودولة وعن انتظام ونظامية المقبلين على تحقيقه .

يجوز لك مثلا ان تتقصى المبادئ الديمقراطية في دستور النهضة القومية الاجتماعية اذا اردت ان تكتفي من كل ذلك بالدراسة فقط اما اذا اردت ان تعرف مثلا دور العضو في النهضة القومية الاجتماعية وحقوقه وواجباته ومسؤوليته ورسالته فانت مدعو لدراسة امك ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، لدراسة اشخاصها كامكانيات فيها ، لدراسة قواعد النهوض القومي الاجتماعي ، لتفهم النظرة السورية القومية الاجتماعية للحياة . وحينذاك يجوز لك ان تدرس القومي الاجتماعي لتلتقي مع النهضة ولتكتشف حقيقة مبادئها الدستورية في القومي الاجتماعي فهماً وتطبيقاً .

بعد توضيح هذه القاعدة الاولى لفهم الدستور القومي الاجتماعي من حيث انه

دستور نهضة يجدر البحث في ان هذا الدستور وضعه رسول نهضة وفي لتعاليم النهضة التي بها بشر امين نبيل في دعوته بل اكثر من ذلك، واعمق واحسن من ذلك ايضا هو النهضة وهو قواعد النهوض وهو الدستور مجسداً والعقيدة حياة والقدوة مثلاً.

منذ ثلاثة وعشرين عاماً وضع الدستور يوم كان الاستسلام والتبعية من بديهيات الحياة المرضية. ولم تكن فكرة التعاقد تتجاوز نطاق الحقوق المدنية وتبادل المنافع. اما العمل الاجتماعي او السياسي او التحزبي فكان يقوم على سيطرة المتزعم من جهة وقبول «المجاهدين» تحت لوائه من جهة ثانية بالخضوع لشخصه والتبعية له والاستسلام لفرديته يوم كان ولا يزال المتزعم يقاس بعدد القطيع الذي ينضوي او يضوي على الاصح في حظيرته لا في حضرته.

وكان هؤلاء ينمون ويكتفون بالبسمة مكافأة لهم على الجهاد يوم كان الجهاد تكريساً للعبودية.

في هذا الوضع الزري لم تدغدغ سعادته الفردية بل ابى هو ان يبقى المؤمنون بقضيته اتباعاً له فرفهم هو من مستوى التبعية الى مستوى التعاقد وهذه القاعدة الاولى التي يجب على دارس الدستور القومي الاجتماعي ان يراعيها. بعد هذا نتمكن انا وانت ايها المواطن من دراسة الدستور القومي الاجتماعي، وبعد هذا تستطيع اذن ان تجيب علماء الحقوق الدستورية عن الدافع الذي حدا بالمعلم لوضع مقدمة للدستور وبعد هذا تستطيع تقدير اهمية هذه المقدمة من الناحية العقائدية وعلى الاخص من الناحية المناقبية والمسؤولية التاريخية من رجل التاريخ في دستور امه التاريخ.

لنعد الى المقدمة بالذات لنتقصى القواعد الدستورية للنهضات ونهضة الامة السورية على الاخص.

لقد وجدت الامة نفسها بحاجة الى دعوة اجتماعية توقظ وجدانها وتفتح عقلها وتطلق قدرتها مناقب واعية وكانت تفتش عن داعية عن رسول لنهضة اجتماعية فوجدت في سعادة ما تريد فكان سعادته تحقيق هذه الارادة وتجسيد هذا المطلب ووجد افراد من الشعب السوري انهم قادرون على تحمل هذه المسؤولية واداء هذه الامانة فاتجهوا الى المعلم مقبلين على دعوته واسفر الالتقاء عن التعاقد بين النامية على تأسيس الحزب والعمل من ضمنه لنشر الدعوة وتجسيد مفاهيمها. وتحقيق

رسالتها. وما تقدم يتبين لك ان الحزب هو وسيلة هذه الدعوة وهو وسيلتها الوحيدة لنشر الدعوة من جهة وهو الوسيلة التي تحقق النهضة ولا وسيلة لتحقيق النهضة بدونها، وان الحفاظ عليه بالتالي حفاظاً اخلاقياً هو الذي يمكن قواعد التعاقد ويثبت دعائم النهضة وان الخروج منه او عليه من الفريقين المتعاقدين هو اجرام لا حل من التعاقد لانه تنازل عن الرسالة وعن انقاذ الامة وان التنازل او النكول من احد الفريقين فقط هو خيانة للامة ولقضيته.

نتقل من هذه الناحية الى موضوع هام في المقدمة هو القسم ونبادر معك ايها المواطن للقول ان سعادته لم يكن بحاجة للقسم لأنه صاحب الدعوة ورسولها ولكن سعادته ابي وهو كذلك ان يعطي لنفسه امتيازاً على رفقائه فأقسم هو امام الامة والتاريخ ليكون معهم مسؤولاً امام الامة والتاريخ عن تنفيذ قسمه وليكون لرفقائه القدوة في تنفيذ القسم بيد انك وانت تمن النظر في القسم تلمس ما هو انبل وادق واعمق تجد المعلم وهو يقسم بأرفع القيم الاخلاقية وقيمتها التي هي الشرف والانسانية التي هي ارقى تعبير عن الاجتماعية وبالمعتقد الذي به يؤمن، نعم وانت تمن النظر في القسم تجد المعلم يعلن استعداداً لتضحية فذة هي تضحيته بذاته بملذاته حين يعلن انه اصبح وقفاً على الامة السورية وكلمة وقف وان كانت تتألف من احرف ثلاثة فانها خطيرة الاهمية لان الوقف يعني انهاء ملكيته على نفسه واعطاء ملكية التصرف بها للامة السورية لمصلحتها وعزها ولقضيته التي تتجسد في النهضة ويعني الوقف من جهة ثانية ان الواقف لا يستطيع العودة او النكول وهذا يعني ان الطرف الثاني في التعاقد ملزم بأن يقف نفسه ايضاً وهذا يعني ايضاً ان الوقف ليس لزمان محدد بل هو للأجيال. يستمر فعله في اسرته ويستوجب ذلك ان يكون في اسر الملبين على الدعوة.

وثمة امر عميق عميق في القسم هو الشروط التي وضعها الواقف نفسه على امته هما العمل لحياة ورقي الامة والامانة لمبادئها وهي تحمله مسؤولية الزعامة في الحزب ومسؤولية الزعامة واجب وتمهد وقيادة لا منصب او رتبة بل هي سلطة موقوتة بوجوده تستهدف مصلحة فلاح الحزب وتحقيق قضيته.

والامر الهام العظيم في القسم هو ان سعادته لم يكتف بوضع الشروط الايجابية على نفسه بل اتبعها بشروط احترازية قيد فيها هذه السلطة بقوله « وان لا استعمل سلطة الزعامة الا من اجل القضية القومية الاجتماعية » دون ان يكلف او يطلب منه هذا

الاحتياط وهذا الاحتراز .

ايها المواطن النبيل .

كأني بالمعلم بسعاده العظيم العظيم ، وهو البعيد النظر حالعارف افراد امته الخبير
بامراض الافراد قد قدر امكانية استفحال الفردي المؤسسة التي وقف نفسه عليها
فسجل هذه الامثولات ليحمي المؤسسة في حياته وبعد استشهاده من احتمال وجود فرد
يستعمل سلطة من سلطات الحزب للعبث بمقدرات الحزب بما يتنافى وهذه الشروط .

بعد هذا ، واقف عند هذا وياك ايها المواطن النبيل لا لتساءل عن مدى تجسيد
سعاده لما خطته يده بملء اختياره لأن حياة المعلم قيادة واستشهادا هي الجواب ، بل
لأتساءل معك هل جسدت مسؤوليتك التاريخية معا نحن المتعاقدين معه لتحقيق
مسؤوليتنا كمواطنين ونحن اليوم في ذكرى هذا الدستور .

ايها المواطن النبيل

ها نحن القوميين الاجتماعيين نعيد اليوم معا في عيد تحررنا من التبعية والاستسلام
نعيد انسانيتنا نعيد المعلم في حياته وقدوته واستشهاده نعيد قواعد المؤسسة التي وضعها
المعلم يوم كانت عبادة الاصنام فيه تقليدا وكانت تبعية « المجاهدين » تجديدا في
الوطنية مريضا .

فمتى يأتي يومك المسؤول لتقف مع النهضة التي تعمل لعز امتك لخير اسرتك
لتحسين معملك واخصاب حقلك .

انا وياك لعلى موعد نتوقع فيه لا ان ندرس فحسب مبادئ الدستور الباقية بل
لنحيها لتحي الامة بنا مستقبلا زاهراً وغداً مخصباً باليمن والمعرفة .

وكيل عميد الاذاعة عمر ابو زلام

★★★

حياتنا الدستورية

وبقام الرفيق الدكتور واصف عبوشي تنشر جريدة « الزوابع » في عددها
242 تاريخ 23 تشرين الثاني 1957 ما يلي :

« الرفيق الدكتور واصف عبوشي من رفقاتنا الناهين الدارسين . وهو قد اكمل

تخصصه في علم الدساتير والادارة هذا الصيف في الولايات المتحدة. وقد بعث برسالة مسهبة الى المركز في اواخر ايلول الماضي، نقتطف منها المقاطع التالية التي تدل على نضج وتفهم في العقيدة والنظام القومي للاجتماعيين.

... انا كشخص لا اعرف احداً من المسؤولين في الحزب السوري القومي الاجتماعي، سوى امين واحد. كذلك لم يعهد الي بأي مسؤولية مركزية في السابق. وتجدر الاشارة الى انني احمل درجة ب.ع. في العلوم السياسية، وم.ع. في التنظيم الاداري. وما آنذا اتم دراستي للدكتوراه في العلاقات الدولية. وفي تقديمي لهذه المعلومات اتوخى غرضين: اولها، اظهار مؤهلاتي التي تحولي وضع هذه الدراسة. وثانيها، الوصول الى النتيجة الضرورية، وهي عدم تحيزي لأي شخص له علاقة بهذا الوضع السيء، واهتمامي الصادق بأن تكون هذه الرسالة دراسة علمية فقط.

لقد ذكر حضرة الزعيم في كتاباته (آسف لعدم وجود المستندات الضرورية للرجوع اليها حسب الطريقة المتبعة في الابحاث العلمية) ثلاث مراحل تمر بها الحركة القومية الاجتماعية، وانني اعتقد ان هذه المرحلة هي نفسها التي مرت بها الحركات العقائدية الاخرى. المرحلة الاولى: هي مرحلة التأسيس. المرحلة الثانية، هي مرحلة تكوين الاختصاص في الحركة. المرحلة الثالثة، هي مرحلة الانتشار، حيث تنتشر العقيدة وتصبح في وضع نتمكن فيه من تطبيق مبادئها والاستمرار في نهضتها. وفي سير الحركة في هذه المراحل الثلاث، يتخلف بعض اعضائها عند مفترق الطرق الثلاث التي سماها الزعيم «مراحل». ومما يؤسف له ان بين المتخلفين اعضاء كانوا في الطليعة وفي قيادة الحركة، ومنهم من تسلم مسؤوليات، وحصلت عنده الخبرة، وكان له بالتالي تاريخ طويل في الحركة. لهذا فان اعضاء الحزب ليعز عليهم خروج هذه الكفاءات، هذه «الامكانيات الاجتماعية» عن جسم حزبهم. فمنهم من يجره الله لان يضعف اعتقاده، ومنهم من يتبع المتخلفين لاعجابه بتاريخهم الغابر. ابطال التأسيس ريم فشلوا في ان يكونوا ابطالا في الاختصاص، او ابطالا في الانتشار والانطلاق الكلي. ولانهم عرفوا ببطولاتهم، عز عليهم ان يسروا في صفوف الحركة، معترفين بعدم كفاءتهم لبطولات اخرى. لذلك تجدهم يحجمون عن الانطلاق الحتمي للحركة. وتجدر الاشارة الى ان فهمهم او كفاءتهم في احد الامور، لا يخولانهم حق ادعاء المعرفة والكفاءة في كل شيء.

ان من يخرج عن جسم حركته او منظمته ولا يبقى فيه حتى تأخذ مؤسساته بنظرته، او حتى يصبح هو صاحب السلطة المسؤول (دستوريا) ويعمل على تطبيق نظراته (بطريقة دستورية ايضا)، فمصيره التخلف، وتسير الحركة حتما بدونها، مهما كان تأثير انفصاله في حزبه، ومهما كان معرقلا لاعمال هذا الحزب، اذ ان هذه العرقلة وقتية، تتلاشى مع مرور الزمن وتضمحل.

ربما سأل قارئ هذه الرسالة السؤال التالي: كيف تحكم على «المعارضين» بالتمرد، وتتوصل الى هذه النتيجة، دون ان تعرف بالضبط نقاط «الخلاف»؟ واذا كنت تعرف ذلك فكيف تدعي المعرفة، دون ان تسمع وجهة نظر «المعارضين»؟؟

اجيب:

ليس المهم ان نعرف اسباب «المعارضة»، لان العضو في الحزب السوري القومي الاجتماعي، لا يتمتع بسلطة قضائية. نقاط «الخلاف» يجب ان تدرس وتقرر في المؤسسات او المؤسسة ذات السلطة القضائية (حسب نص الدستور). والعضو الذي يريد معرفة نقاط «الخلاف» هذه يتخذ لنفسه صفة قضائية، ويخالف بذلك الدستور الذي هو اساس النظام القومي الاجتماعي، ويكون بذلك قد خالف احد اهداف المنظمة الرامية الى ايجاد تاريخ دستوري لامتنا، وغرس فضيلة النظام في نفوس ابنائها. اذا كنا نخالف هدفنا وغايتنا فكيف نستطيع بلوغ هذا الهدف او هذه الغاية؟

هذا من الوجهة النظامية، الوجهة الدستورية، ومن خلال فهمنا للروح النظامية ومتطلبات الحياة الدستورية.

ولكن ثمة سبباً آخر يجعلني لا اهتم بمعرفة اسباب «الخلاف» وهو: لنفترض ان الافراد (او جماعتهم) التي ثارت على مجالس الحزب، هي محقة. وان تلك المجالس اخطأت (هذا في نظر واحدنا)، فهل يحق لها التمرد والعصيان والثورة على هذه المجالس؟؟ لا شك ان المعارضين يدعمون بابتداع فلسفة خاطئة، اهم ما فيها، انهم ثاروا على الاشخاص او الشخص صاحب السلطة لأنه استعمل سلطته بطريقة غير دستورية، فهو - اي صاحب السلطة - الخارج على الدستور.

هنا يرتكب اصحاب هذه النظرية خطأ بابتداع فلسفة مبرزة لعصيانهم (ولا اقول ثورتهم) الدستور، اذ انهم يفرقون بين مجالس الحزب والجهاز الشخصي للحزب.

(نعني بالجهاز الشخصي لمؤسسة ما ، عندما نتكلم عن الكفاءات والاختصاص الخ...) .
والحقيقة هي ان الدستور ، يحدد السلطات ويبين بالوقت نفسه ، كيف نستطيع ان
نقاضي رئيس الحزب او اي مسؤول آخر اذا تخطى سلطته الدستورية . الدستور ينص
على طريقة الـ Impeachment .

ان الدستور قد جعل المجلس الاعلى المرجع الوحيد في حال خروج السلطة التنفيذية
عن منطوق الدستور . وعلى الذين يتلمسون خروج مسؤول عن سلطته الدستورية
متحديا الدستور ، ان يرجعوا الى الدستور نفسه ، للعلاج For remedy .

وربما قال « المعارض » : ان المجلس الاعلى نفسه خرج على الدستور ، او ان رئيس
الحزب تأمر مع المجلس الاعلى . هنا اقول : ان المجلس الاعلى لا يمكنه ان يخرق
الدستور لأنه صاحب السلطة النهائية دستوريا . فاذا كان المجلس الاعلى لم يقبل
بنظرتهم (سياسية كانت ام عقائدية) فمعنى ذلك ان قرار المجلس الاعلى يكون
نهائيا ، حتى ولو كنا افراديا نرى ، ان نظرة « المعارض » هي الصحيحة ... »



نحو مجتمع جديد

ويقول الدكتور ناصيف نصار في كتابه « نحو مجتمع جديد » ، الطبعة الثانية في
الصفحة 172 ، عن تأسيس الحزب السوري القومي الاجتماعي ما يلي :

« من المشكلة القومية انطلق مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي ، وعالج في
اطارها مشكلة الطائفية . وهكذا اختلف سبب نقده للطائفية ورفضه لها . ففي العقيدة
القومية الاجتماعية ، الولاء الاول هو الولاء للمجتمع ، اي للأمة والدولة التي يمثلها .
الإنسان ابن مجتمعه وامته قبل ان يكون ابن طائفته . ابعد من ذلك ، أن الولاء الطائفي
تعبير عن تشويه اساسي لعلاقة الفرد والمجتمع ، فلا يجوز أن يشعر الانسان بولاء
طائفي إلا في حدود ممارسته لحياته الدينية . ولذلك تقضي العقيدة بفصل الدين عن
الدولة ، وتدعو الى الغاء جميع القيود والرواسب التي تعيق بروز الوجدان القومي
الاجتماعي وانتصاره . الطائفية مزج للدين بشؤون الدولة ، فهي مصدر ضرر للدين
والدولة معاً . إذن ، يجب تركيز العمل على تهديم النظام القائم على المجتمع . فالدعوة
العلمانية وجه من وجوه الدعوة القومية ودعامة من دعائمها . هذا هو المبدأ في نقد

العقيدة القومية للمذهبية الطائفية .

أما التحقيق العملي له فيمكن القول بأنه لم يتم حتى الآن بحجة ان النظام الطائفي لا يزال قائماً . وقد حاول الحزب القيام بانقلاب ، غير انه لم ينجح ، وتعرض لاضطهاد لم يعرفه حزب من الاحزاب في لبنان . غير ان الاخفاق في تغيير النظام السياسي القائم لا ينفي حقيقة اخرى يتفرد بها الحزب القومي الاجتماعي ، الا وهي كونه قد حقق في صفوفه اكبر انتصار على الطائفية عرفته جماعة سياسية منظمة مناضلة . وهذه ظاهرة تستحق أن تدرس لذاتها ، نظراً لعمق الجذور الطائفية في المجتمع اللبناني ، ونظراً لأهميتها على صعيد رسالة الاحزاب السياسية .»



عن الحزب السوري القومي

ويقول أنيس صايغ في كتابه « لبنان الطائفي » في الصفحة 148 ما يلي : « أما الحزب العقدي غير الطائفي الأول في لبنان فهو الحزب السوري القومي ، الذي اتفق المسؤولون فيه على اعتبار السادس عشر من تشرين الثاني سنة 1932 ، عيداً لتأسيسه . وقد اعلن هذا الحزب حربه على الطائفية في تعاليمه ومبادئه ، وفي حياة واعمال اعضائه . والدعوة الى توحيد سورية في قومية جامعة واحدة دعوة لا طائفية ، من قبل ان تصبح دعوة هذا الحزب الخاصة . فمعظم الذين دعوا الى وحدة سورية منذ نهاية القرن الماضي واولئل هذا القرن ، من مفكرين وادباء ، كانوا معروفين بعدائهم للطائفية اذ أن القول بأمة سورية يجد ذاته يعني الغاء لصبغة لبنان المسيحية ، من جهة والغاء لصبغة سورية الاسلامية من جهة اخرى .

وكانت الحكومة الفرنسية قبيل انتدابها على لبنان ، قد ادركت خطر هذه الدعوة السورية على الطائفية في لبنان ، فحاولت تبنيها ، بعد جعلها دعوة طائفية ، ولذلك رضيت عن جهود الاب لامنس ، الذي اثبت وحدة سورية ، جغرافياً وتاريخياً وعرقياً . ثم شجعت الاساتذة خيرالله خيرالله ، وموريس باريس وندره مطران والعاזורي ، وغيرهم من اللبنانيين الموالين لها ومن الافرنسيين ، على حبيذ فكرة القومية السورية لتقف ضدّ الوحدة العربية الاسلامية حتى انها وافقت على انشاء دولة سورية موحدة تشمل لبنان ، سنة 1919 وارسلت جورج بيكو الى البطريرك الماروني ليقنعه بقبول ذلك .

لكن الحزب السوري القومي وضع الدعوة القومية اللطائفية على اسس علمية ، وفي قالب نظامي ، جديد . فاعتبر هذا الحزب الدين عنصراً لا اثر له في تكوين الامم ونشوتها . فالامة جماعة واحدة ، في قوميتها وحقوقها وواجبات افرادها ، دون ان يكون للطائفية او المذهب اي اعتبار . اذ أن البيئة هي العامل الاهم في نشوء الامم . والامة السورية هي تفاعل الشعب الساكن على ارض سورية ، ضمن حدودها الطبيعية مع البيئة السورية ، على مرّ العصور ، في وحدة حياة اشتركت فيها جماعات مختلفة الاحساس والطوائف والسلالات - كما قال الاستاذ انطون سعاده مؤسس الحزب .

وقد حارب الحزب ، في مبادئه الاصلاحية ، فكرة وتقليد اعتماد الطائفة كجزء من الحياة السياسية في دول سورية الطبيعية ، فطالب بفصل الدين عن الدولة ، ومنع رجال الدين من التدخل في شؤون القضاء والاقتصاد والادارة . واعتبر القوميون هذه المطالب القسم الرئيسي من برنامجهم السياسي ومن حياة الاعضاء وتصرفاتهم اليومية . وجعلوها امراً لازماً لبناء الشخصية القومية الاجتماعية . ومهما كانت درجة تطبيق اعضاء هذا الحزب لمبادئهم السياسية والاساسية ، تظل المبادئ المعادية للطائفية اكبر نظرياتهم تطبيقاً وممارسة . (وتاريخ الحزب ، برنامجاً واعمالاً ، سجل ناطق لنجاح القوميون الساحق في نزع بذور الطائفية من نفوسهم ، وفي سعيهم لنزعها من نفوس المواطنين .)

وقد اشترك الحزب ، اكثر من مرة ، في تخفيف حدة التوتر الطائفي بين الاتجاهين - العربي المسلم واللبناني المسيحي - ان في خلافات الكشاف المسلم . والكتائب اللبنانية سنة 1936 ، او في الضجة التي اثارتها الكتب الطائفية في السنوات الاخيرة .»

ان هذين الاتجاهين وجدا في الحزب خطراً كبيراً عليهما وفتح نشوء الحزب ونشاطه المجال امام هذين الاتجاهين لتأسيس الاحزاب «العقدية» على غرار هذا الحزب .

وحزب الوحدة اللبنانية اول هذه الاحزاب التي قامت على غرار الحزب السوري القومي لمعارضته ، من الناحية الطائفية المارونية . وعرف رئيس الحزب الاستاذ توفيق لطف الله عواد بصلاته الوثيقة مع فرنسا ومع الرأي العام الماروني . ولعب الحزب دوراً رئيسياً في اثارة النعرة الطائفية ، التي كانت تتخفى في ثوب ديموقراطي وطني ولولا مساعي بعض السياسيين لأدّت ممارسات هذا الحزب الى قيام فتن طائفية بين اعضائه وافراد الطائفة السنية في بيروت .

ثم اسس بطرس الجميل، سنة 1936، منظمة الكتائب اللبنانية، وكانت غايتها جمع الشباب الماروني في منظمة كشفية رياضية، اجتماعية النشاط. وكانت الكتائب منذ تأسيسها منحصرة ضمن الطوائف المارونية والكاثوليكية. اما المسلمون والارثوذكس والبروتستانت فهم اقلية زهيدة، قد لا يزيد عددهم عن الاربعين عضواً. وارىد من هذه المنظمة مجابهة النشاط الاجتماعي لمنظمة الكشاف المسلم. ولما دعا الكشاف المسلم الى الوحدة السورية والعربية دعت الكتائب الى الاستقلال اللبناني.

وتتهم فرنسا بأنها شجعت فكرة تأسيس الكتائب وامتد رجالها بمساعدات كثيرة، خاصة في السنوات الاولى من تاريخها. وينقل الاستاذ لورسين، مؤلف احد الابحاث القيمة في تاريخ الكتائب، عن سجلات المفوضية الاميركية في بيروت، بعض الايضاحات عن هذه المساعدات. حتى انه يتهم بعض كبار المسؤولين في هذه المنظمة بأخذ راتب شهري من الحكومة الفرنسية ايام الانتداب، ويورد الكاتب المذكور تفاصيل الصلات الثقافية التي تربط كبار رجال الكتائب مع فرنسا، الى جانب الاتصالات السياسية. ويعلل هذا الاتصال في المقام الاول الى تعصب المسيحيين ضد المسلمين، وخوفهم من تسلط الاغلبية الاسلامية، في العالم العربي عليهم.

اما النجادة فهي المنظمة الاسلامية التي قلدت الكتائب في مساعيها الطائفية، وفي حجب هذه المساعي وراء ستار العقائدية وقد مثلت النجادة الاتجاه الاسلامي المتطرف من العروبة. وعهد الطائفيون من المسلمين اليها بأمر منافسة الكتائب بحيث تحول الصراع المسيحي الاسلامي الى صراع كتائبي نجادي، ومؤسسو منظمة النجادة بل معظم اعضائها من المسلمين، وهم وان كانوا لا يرتبطون بدولة اجنبية كما تتهم الكتائب بارتباطها مع فرنسا. الا انهم كثيراً ما يستوحون مصالح عربية او اسلامية مستقلة عن المصلحة اللبنانية - « اللبنانية » من زاوية القائلين بالمصلحة السياسية الخالصة لمفهومها الانعزالي».



احزاب التسوية في كفة الميزان

تحت هذا العنوان يكتب الامين انعام رعد بحثاً متسلسلاً اخترت السلسلة المختصة بالكتائب اللبنانية بعد القسم الاول من التوطئة، وذلك نقلاً عن النظام الجديد، العدد الثاني، ابريل 1948، المجلد الاول:

توطئة:

« أدق المواضيع واعمقها هي تلك التي لها صلة بالاجتماع لأنها في المرتبة الاولى تعالج قضايا مركبة ومتشابكة كونها لا تمثل مصلحة افراد بل مصلحة المجموع وكيانه. ومن الناحية الثانية فمواضيع المجتمع دقيقة لأن على معالجها او معالجتها مسؤوليات كبيرة، من اراد ان يتحدى خوضها وجب ان يتحمل اعباءها الثقيلة، ويصدق هنا البيت القائل « على قدر اهل العزم تأتي العزائم » والعزم هنا ليس قوة فيسيولوجية فحسب بل اكثر من ذلك واعظم. فعلى من القى مسؤولية انهاض امة من الامم على كاهله ان يكون ذا عزم ثقافي قرنه بالعلم والمنطق والنزاهة.

وفي بلادنا كثيرون يرفعون جباههم الى قمم العمل القومي ولا ينظرون من تلك الاعالي سوى ارتفاعها اما الطرق الموصلة الى فوق فلا يعرفون لها سبيلا... وكثيراً ما تزل اقدامهم الى الوادي ويعيونهم ما زالت شاخصة الى الاعلى المطلوب. هذه حالة قسم من مفكري البلاد السياسيين، وهي حالة تحزن لانهم ارادوا القومية ولكنهم ضلوا الطريق الموصلى اليها. وهناك غير هؤلاء فئة تعرف القومية وتتعامل عنها لاغراض خصوصية. والفئتان خطرتان على البلاد، الاولى تحارب الحق لانها لا تعرف الوصول اليه، فهي عبدة الجهل، والثانية تحارب الحق لانها تخاف فهي عبدة الباطل، تتعثر بردائه كي تبقى في الظلمة ولا تدرك النور. والنور بالغ عينها شاءت ام ابى، لأن شيمة النور ان يعمم».

« وفي مثل هذه الحالة من اللامسؤولية يرتاح الكثيرون الى الامر المفعول وينامون على فراش يخالونه من حرير ولكنه في الواقع شوك تبطن بالخرائر الموهومة. فهذه القاعدة، قاعدة البقاء في الحالة الراهنة، قاعدة الخنوع والاستسلام الى ما هو قائم، اصبحت روحية عامة كادت تبسط ظل سيطرتها على الشعب بأسره لو لا وجود الحركة القومية التي تمثل اعظم الثورات في التاريخ الانساني على الـ «Status p 10» والامر المفعول بكل ما فيه من مفسد. ويستغل هذه الحالة من عدم المسؤولية الكثيرون، وتعبر عنها بشكل تجمعي «الكثائب اللبنانية» التي رغم ما يسربلها من حقائق ساطعة تدل على نشأتها المصطنعة، تظهر انها تشترك مع القائلين بابقاء الحالة على ما هي في اهدافها التي هي محور مجئنا الآن:

الكتائب اللبنانية ونظرة التسوية .

لا تقتصر الكتائب على التشبث بالكيان اللبناني ككيان سياسي اوجدت مبرراته بعض الظروف السياسية، بل تنطرق الى اكثر من ذلك. ففي الصفحة الرابعة من القانون الاساسي للكتائب ما يلي :

« تحافظ الكتائب اللبنانية على التقاليد اللبنانية حفاظاً مستمراً وتنقيدها باتباع مبدأ التقدم في حقول الحياة المتنوعة باتخاذها اصلاحات جريئة فعالة. » فهي اذاً عدوة كل تقدم شامل وتظن ان « الاصلاحات الجريئة » غير الموضحة، هي فعالة. ومن الطريق انها تعترف بوجود الاصلاح من غير ان تتناول قضية واحدة من قضاياها وتقول، في الوقت عينه، بالابقاء على التقاليد القديمة الفاسدة! فيكون كلامها من المعومات والمتناقضات بين التقدم والمحافظة .

الخطأ العظيم هنا ان الكتائب لا تعترف ضمن مبادئها بان الحالة من اساسها سيئة وغير طبيعية. وهنا الطامة الكبرى: فالكتائب تحاول ان توفق بين محافظتها على الحالة الراهنة وبين تعديل اوضاعها وهنا يظهر وجه التناقض .

والقسم الاول من نص المادة المذكورة لا يقل اهمية عن القسم الثاني فالكتائب تحافظ على التقاليد اللبنانية حفاظاً مستمراً!! .

فما هي هذه التقاليد؟ كان على الكتائب ان توضح ذلك فتبين ما هي التقاليد اللبنانية، وهل تحافظ عليها برمتها لا فرق فيها بين صالح وطالح؟ (وهذا ما يظهره النص). فتكون الكتائب في هذه الحالة، التي تتمثل فيها شدة التعلق بالحالة القائمة، تهدف الى المحافظة على التقاليد السيئة ايضاً مثل الحواجز المذهبية وتدخّل رجال الدين في امور السياسة وغيرها من السيئات التي غرستها عصور الاستعمار والانتداب في تربة السياسة اللبنانية فأصبح على المصلح الحقيقي ان يقتلعها ويرمي بها الى اليم من حيث جاءت والا فعمله باطل من الاساس .

ونقطة ثالثة هامة هي في ذاتية الـ Statusquo او الوضع الراهن نفسه فما هو هذا الذي تحافظ عليه الكتائب؟ أمة ناشئة عظيمة تولدت من ادوار التاريخ، ام قطعة من الارض لها حدودها الجغرافية ووحدة الحياة ودورة التفاعل المشترك؟ لا هذا ولا ذلك، ومبادئ الكتائب توضح لنا ما نريد فهي، حماها الله للمتأخفين التائهة الى مثل

هذه العجائب ، تطبق على نفسها مبدأ الشهادة على النفس . تقول المبادئ في الصفحة الاولى والمادة الاولى ما يلي : « الكنائس اللبنانية منظمة وطنية للشباب غايتها السعي المتواصل الى انشاء امة لبنانية تدرك واجباتها وحقوقها وتعنتي بها في دولة ناجزة الاستقلال كاملة السيادة ضمن دائرة التعاهد والصداقه مع فرنسا » .

وهنا الخطأ الفادح ، ان سامح الكنائس على ارتكابه احد ، فالمنطق يرفض الغفران . وكيف تنشأ الامم يا ابطال ؟ امن قبل منظمة او جماعة معينة في زمن معين ام نتيجة لادوار التاريخ كلها ، ولتفاعل جماعات من البشر على ارض واحدة وضمن حدود جغرافية واحدة لا ضمن التعاقد مع فرنسا يا « حماة » الاستقلال والكرامة الناجزة ! .

في النص يظهر خطأان منطقيان (عدا الجرائم القومية التي نترك للتاريخ محاسبة الكنائس عليها) : فالخطأ الاول يظهر في الجملة الاولى حيث تزعم الكنائس انها مؤهلة لانشاء امة لبنانية . والخطأ مزدوج ، فمن ناحية اولى لا يمكن ان ينشئ امة الا التفاعل الحيوي ضمن حدود ينقطع استمرار الدورة الحياتية الواحدة خارجها الى حد بعيد ، وذلك خلال اجيال التاريخ المتوالية . والناحية الثانية من الخطأ الفادح الاول تترأى في اعتراف الكنائس ان لا امة لبنانية في الوقت الحاضر بل هناك كتائب لبنانية تسعى لانشاء « الامة اللبنانية » وذلك دون الالتجاء الى شيء من السحر !

والخطأ الثاني هو ادعاء الاستقلال الناجز وربطه بشرط معدم هو ان يكون ضمن دائرة التعاهد مع فرنسا . فأى استقلال يكون ناجزاً وقد قيدناه بلفظة « ضمن » بعد ان اضفنا اليها صفة التعاقد مع دولة تفوق لبنان قوة وفاعلية وتفرض عليه سيادتها ، فيكون خاضعاً لها وتابعاً لخطواتها ، لا حليفها كما يتوهم بعض السذج ، لأن من شروط التحالف ان يكون الندان على قدم المساواة في الشخصية الحقوقية والاستقلال ، ويكون تبادل المصالح عادلا لا مجحفا بأحد الطرفين .

ولكن ما هذا الكيان اللبناني ؟ ولماذا تتعلق به الكنائس ولماذا تضع في اهدافها مادة التعاقد مع فرنسا كشرط من شروط بقائها ومبدأ من مبادئها الاساسية ؟ للسئلة العديدة هذه جواب لا غير . وهذا الجواب هو في حقيقة الكيان اللبناني ذاته الذي يرتكز في اساسه على فكرة المجتمع الديني طالما المجتمعات التي تحيط به تركز ايضاً على نفس الاساس . فالاساس الاجتماعي من هذه الناحية فاسد في كل الشرق الادنى . وهذا الفساد يشترك الكيان اللبناني في ابرازه الى حيز الظهور بكل وضوح وجلاء .

وكم كان حكماً حضرة زعيمنا الجليل ومخلصاً، عندما أعلن هذه الحقيقة في خطابه 1938 « وهي هذه الأقوال (اقوال الاستسلام والخنوع)، ما يتذرع به كلا الفريقين: القائل « بالقضية العربية » والقائل « بالقضية اللبنانية » اولئك يتذرعون به ليبروا انكارهم حق امتهم في الحياة، والعمل للجامعة المحمدية - العربية، وهؤلاء يتذرعون به ليبروا تمسكهم بانعزال لبنان ووضعه تحت جماعة دولة اجنبية مسيحية. وكلا الفريقين على ضلال مبين ».

فالمبادئ التي تقول بلبنان تعترف بعدم وجود تلك الامة « اللبنانية » والمبادئ، التي يتبجح اصحابها بان فيها من الاصلاح المقتبس شيئاً، تحاول ان تبقي على الحالة الراهنة الفاسدة، فأساس الدعوة فاسد ويريدون بعد ذلك ان يقودهم الطريق المعوج الى تلك المرتفعات، الى القومية الصحيحة، بينما الطريق بنفسه يسعى الى الخضيض.. واعظم من هذا كله خطر ادهى: خطر ادخال النفوذ الاجنبي لحماية الاقليات. وقديماً كانت هذه الحكاية سبباً يستغله الاستعمار لسط سيادته على بلادنا وتبرير نهم الدولة الطامعة.. وفرنسا اول من طبل وزمر لحكاية الاقليات لاسما حين نشأت الكتائب في ظل انتدابها الذي انتهت الحراب القومية الاجتماعية في بشامون. ومن هنا نرى سر التعاقد مع فرنسا ونصل الى صورة واضحة عن « الكتائب اللبنانية » المثلة لفكرة التسوية التي تدين بها سواها من الفئات المتبوعة من عمى القلوب وسذج العقول.

فالدعوة للبنان تولد حتماً فكرة المحافظة على الحالة الراهنة: حالة المجتمع الديني فاية دعوة لبنانية، اكانت من الكتائب ام من غيرهم، تسعى لابقاء الحالة على حالها - وفي هذا المعنى تعترف ضمناً بشيئين: 1 - صلاح الوضع الفاسد، لأن تغيير الوضع لا يتم الا بتغيير شامل اساسي، لا جزئي كما يهدف الكتائبيون، وفي اعترافها بالوضع المذكور تحاول ان توفق بين قيمة المبادئ كدواء وبين حالة المريض المنحطة. فيصبح الدواء لقاحاً لزيادة وطأة الداء على المريض المسكين. والعبرة في استعمال الدواء لا في وجوده فقط!!

2 - كون الوضع من مبررات المجتمع الديني. فلحماية الاخير ضد مجتمعات دينية اكبر يتوجب الاستعانة بدولة ذات مصالح في ذلك المجتمع، وتتوجه الانظار الى اوربية الغربية كما هي الحال مع « الكتائب ». والكتائب تعطي البرهان الساطع على ان موجب كيانها كان عرضياً لا ثابتاً. ففي دستورها بند يقع في الصفحة السادسة من

صفحات القانون الاساسي فيه ما يلي: « وفي ظرف حل المنظمة يكلف الرئيس الاعلى او شخص ينوب عنه لتصفية الاعمال وفقاً للشروط التي ينص عنها القانون: » او كما ورد ذلك في الترجمة الفرنسية للمادة المذكورة. **En cas de dissolution de L'organisation; Le Chef Superieur ou une personne designée par lui, sera chargé de la liquidation.** فهم يعترفون ببقائهم الشاذ عن الطبيعة وان حلهم لا بد آت واعمال التصفية ستجري. ولكن ما فائدة هذه الاعمال ولمن تؤدي الكتائب حسابا عن اعمالها: للشعب؟! كلا فالتصفية والذوبان يكونان في حضرة المفوضية! وغريب جداً ان يكون بين مواد القانون الاساسي لمنظمة من المنظمات مادة تختص بجلها بدلا من ان يكون ذلك خبراً مشؤوماً تتمرد عليه حتى ولو ارادت تنفيذه الحكومة او الانتداب، فهذا الخنوع يدل على ان المنظمة المذكورة مسيرة من فوق ولا تسير بارادة الشعب. والمآسة الرهيبة التي يمثلها الشباب المنضمون للكتائب ولشبيها من الاحزاب ذات النعرة اللبنانية، عن حسن نية وسلامة سريرة، هي في انهم ينزلون اليتهم الى واقع الحالة الراهنة الفاسدة ويحافظون عليها بدلا من ان يرفعوا الامة، بعد نزاع الفساد عنها، الى مثالياتهم... ويقولون في صدد ذلك بلسان «المسيحيين»: كيف تريدون منا ان نفعل غير ذلك لصيانة كياننا من المجتمعات الدينية الاخرى!

وجوابنا صريح صريح فلا يمكن ان نحل مشاكل مجتمعا بأن نقيم في وجه كل تكتل طائفي معين تكتلا طائفية موازيا. ان طريقة من هذا النوع تزيد الحالة سوءاً على سوء. حل المشكلة يكون بنفس الاوضاع من اساسها واقامة نظام جديد يرفض التسوية لأن « النفسية السورية القومية الاجتماعية هي نفسية الانتصار اما النفسية اللاقومية اجتماعية فهي نفسية التوفيق بين المجد والذل وبئس التوفيق ».

النظام الجديد هو جوابنا على مشاكل مجتمعا العديدة لأنها وليدة النظام العتيق - نظام التكتلات الطائفية وسيطرة الكهنوت على شؤون السياسة والقضاء القوميين. ونظامنا الجديد لا يكتفي بالالفاظ المطاطة بل يسعى لتحقيق المبادئ عمليا بزرع القومية الاجتماعية في قلوب المواطنين كاساس لوحدة الوطن.

الاصلاح: لا يكون بطلب اصلاح الآخرين والمحافظة على احقادنا ونعراتنا الخاصة، بل الاصلاح عملية نفسية يجب ان تبتدىء في ذات كل واحد منا والاصلاح لا يكون في مبادئ تقول، لمجرد المجاملة، بمكافحة « المذهبية والعنصرية » دون ان

تتقدم بأي حل عملي ملموس لذلك، بل يكون في مبادئ الذين يدعون لنسف
الاضواء الفاسدة من اساسها ويعينون الاوضاع وكيفية معالجتها.
في مبادئ القومية الاجتماعية الدواء الوحيد للمرض العضال الذي يلازمنا منذ
عصور طويلة، والدواء هو عدم التسوية بين الباطل والحق».



تاريخ الحزب

اخترت من مواضيع نشرة «الثقافة» الحلقتين الثالثة والرابعة من موضوع: تاريخ
الحزب العدد 4 تاريخ تشرين الثاني 1981 والعدد 6 تاريخ آذار 1982.

مرحلة التأسيس:

يمكن ان نعتبر هذه المرحلة انها استمرت، رغم ما فيها من نضال على مختلف
الجهات، من 1932 - 1938. اي الى سفر الزعيم الى المغرب.

في 1930 بدأ الزعيم بنشر افكاره في اوساط الطلاب، ونحن في هذا التقييم نعود الى
عدة مصادر من سعادته اولها كتاب شروح في العقيدة في رسالته الرابعة الى غسان تويني
التي يتحدث فيها عن المرحلة الاولى من مراحل تأسيس الحزب يقول: «بدأت بث
افكاري ودعوتي في سنة 1930. ولم اوفق الى تكوين نواة العمل القانوني السياسي. الا
في آواخر عام 1932 فالتأسيس كان في تشرين الثاني 1832. ويتابع الزعيم سرد تلك
المرحلة الخطيرة، مرحلة انشاء النواة الاولى للحزب، وعلينا ان نرافقه في تلك المرحلة،
فنتصور مبلغ الصعوبة التي واجهته في نشر قضية الحزب الشاملة. ان فرداً واحداً آمن
بهذه القضية التي ترد على تحديات تاريخية واراد ان ينشئ حزباً يحمل الرسالة متجهاً
نحو الافراد فرداً فرداً ليكون التيار القومي الاجتماعي الذي يلف الامة كلها. هذه
نقطة اساسية علينا ان نتوقف عندها لأنها ترافق مسيرة الزعيم كلها منذ التأسيس حتى
الاستشهاد.

يقول سعادته: «وبعد تكوين هذه النواة بأيام او بأسابيع قليلة اضطررت للتظاهر
بجلها لاقضاء عضوين فاسدين دخلا في صلبها ولاعادة تكوينها وظلت نبته ضعيفة
جداً سريعة العطب طوال سنة 1933 ولم يتجاوز عدد اعضائها الخمسة عشر، وفي سنة
1934 تمكنا الى جزيران من هذه السنة من مضاعفة عددها فصرنا 30 عضواً. فلنرافق

هذا الجهد الدائب والصعوبات التي يواجهها في مرحلة التأسيس الاولى كل في هذه المدة حيث بلغ عدد الاعضاء في الحزب ثلاثين عضواً فقط» .

ويتابع الزعيم: « وفي صيف السنة المذكورة امتدت الدعوة الى طرابلس والكورة بمناسبة العطلة الصيفية واكتسبت عدداً من الشبان الذين قبلوا الفكرة قبولاً مبدئياً وكان الواجب صهرهم في العقيدة وفي سنة 1934 - 1935 امتدت الحركة خارج نطاق طلبة الجامعة والمدارس الاخرى الى احياء بيروت وقرى الجبل ودمشق وجميع هؤلاء المقبلين كانوا بحاجة الى فهم العقيدة وارساخها في نفوسهم ولما تكن قد نشأت اذاعة ولا كتب ولا نشرات ولا اجاث لنقل الافكار بسرعة فكان العمل بطبيعته بطيئاً محفوفاً بالمخاطر بسبب قوانين قمع الجرائم وغيرها » .

نلاحظ كيف ان اولاً انشأ الزعيم الحزب ولكنه اضطر الى حله او التظاهر بحله لاقضاء عضوين فاسدين، وهذه المسألة تستوجب الشرح والايضاح لانها مسألة هامة جداً وسنعود اليها.

ثانياً - البطء ببداية التأسيس نحو سنتين حتى اصبح عدد اعضاء الحزب كافياً .

ثالثاً: ان الحزب بدأ في اوساط الطلبة وانه بعد ان شكل النواة الاولى، الخميرة الاولى من الطلاب، انتشر في مختلف المناطق السورية - يقول الزعيم: « انتشر الى طرابلس والكورة، احياء بيروت، قرى الجبل ودمشق .

سأتابع سرد النص ثم اعود الى النقاط التي المحت إليها لأنها بالغة الاهمية في تقييم انطلاقة الحزب الاولى . يتابع الزعيم فيقول: « فكان علينا الدفاع عن العقيدة قبل كل شيء ولما قبض على الزعيم واطباء مجلس العمدة الاول وابتدأ الرأي العام يعرف من منشورات الصحف اصول عقيدة الحزب ابتدأت حملة رباعية على عقيدته من العروبيين ومن اللبنانيين ومن الاكليروس المسيحي وخصوصاً الماروني الكاثوليكي ومن رجال الدين المحمدي .

كنت في السجن ولم يكن بين ايدي القوميين الاجتماعيين غير المبادئ والدستور، وخطاب اول حزيران 1935، ونص كتاب خصوصي موجه مني الى سائل عن رأيي في العالم العربي، دافع الاعضاء بهذه الوسائل وبما اكتسبوه من المحادثات مع الزعيم وما نقل عنه، وبديهي ان هذه الوسائل كانت ناقصة لا تفي بحاجة عقيدة خطيرة كعقيدة

الحزب السوري القومي الاجتماعي ولكن الدعوة القضائية والمحاكمة في المحكمة المختلطة انقذتا الموقف، وحدث دفاع الزعيم في المحكمة ذلك التيار من القوة المعنوية الذي رفع منزلة الحزب في اعين الشعب واعين الفرنسيين. وبعد المحاكمة تمكنت من انجاز كتابي «نشوء الامم» في السجن ولكن لم يطبع الا في سنة 1938. وما خرجت من السجن في ايار سنة 1936 حتى عدت اليه في حزيران سنة 1936 وفي هذا السجن وضعت شرح المبادئ الذي بلور العقيدة وصفها من التأويل غير المسؤولة ومن المغالطات الغريبة. وبعد خروجي من السجن الثاني ببضعة اشهر، جرت اصطدامات بكفيا المشهورة وحصل السجن الثالث فيكون غياب الزعيم موجد العقيدة وصاحب الدعوة من الحزب وعمله السياسي الاداري مدة نحو سنتين، تخللتها فترتان قصيرتان جداً، وكانت الحرب على العقيدة تشدد وكان يجب ارساخ العقيدة في الحزب وصيانتها من ميعان المبادئ والاخلاق المتفشي في شعبنا واكسابه الصلابة والمناعة اللتين هما مع رسوخ العقيدة كل رأساله المعنوي».

اتوقف هنا لاراجع كما قلت بعض النقاط الهامة التي يجب ان نتبصر بها لما فيها من معان اساسية.

اولا - ان الزعيم انشأ النواة الاولى ثم حلها، كما يستدل من خطاب الزعيم في اول آذار 1938، يقول سعادة: «ولما لم يكن قد وضع للحزب دستور رأيت ان يكون الطرد بصورة حل الحزب فدعوت الجميع الى اجتماع حضره الدجالان، وابدت لهم رغبتي في تأجيل العمل الحزبي الى ان اكون قد وجدت استعداداً وتفاهماً تامين بين الذين يرغبون في السير معي، وان عملنا قد انتهى وان كل واحد حر وبعد اسبوع او اسبوعين عدت فجمعت الآخرين واعدت تأسيس الحزب منهم سرا.

هنا نتوقف عند هذه الظاهرة انها تدل على مقدار تمسك سعادة بالاصول على ان الطرد او الفصل او بتر العضو لم يكن شأننا تعسفياً عنده، على انه بالتالي كان لا يسمح لنفسه باقصاء عضو حتى من النواة الاولى، الا وفق الاصول، ولما لم يكن قد وضع للحزب دستور لجأ الى وسيلة حل الحزب ثم اعادة تأسيسه، بقصد اقصاء العناصر الفاسدة كانت النواة اربعة ووجد عنصرين فاسدين ولما لم يكن هناك دستور يعين صلاحيات الفصل والطرد واصول العقوبات لجأ الزعيم الى حل هذه النواة. وهذا يعطينا فكرة منذ البداية على احترام سعادة للاصول على انه زعيم دستوري. وهو في

1934 بعد تأسيس الحزب يقول ايضاً في خطاب اول اذار 1938 وكنت في سنة 1934
قد وضعت مواد التشريع الاساسي واوجدت بعض المؤسسات .

ان تمسكنا بالدستورية حرصاً على معنى المؤسسات انما يبع من هذه البادرة الاولى
عند سعادته . وفي هذا الموضوع لا بد من ان نعالج الاسس التي انطلق منها سعادته في
مسألة الدستور والدستورية وفي مسألة النظام المركزي التسلسلي الذي اعتبره اداة واطار
عمل الحزب السوري القومي الاجتماعي .

لو عدنا في هذا المجال الى رسالة الزعيم الى محاميه الاستاذ فرنجية نجد القول التالي :
وجعلت نظامه فردياً مركزياً تسلسلياً ، والقصد من هذا النظام ، لماذا اراد الحزب
النظام المركزي التسلسلي ولماذا جعل الزعيم على رأس هذا النظام بصلاحياته الشاملة
التشريعية والتنفيذية ؟ ان سعادته يحدد هذا المعنى في نص آخر مفيد جداً ان تعود
اليه ، وهذا النص هو خطابه المنهجي الاول في 1935 . يقول الزعيم : (بأن البعض قد
ظن بأن هذا النظام يحاول ان يقلد النظام الفاشي او هتلري) يرد الزعيم على ذلك
بقوله (كذلك أريد في هذه المناسبة ان أصرح بأن نظام الحزب السوري القومي
الاجتماعي ليس نظاماً هتلرياً ولا نظاماً فاشياً بل هو نظام قومي اجتماعي لا يقوم على
التقليد الذي لا يفيد شيئاً ، بل على الابتكار الاصلي الذي هو من مزايانا شعبنا ، انه
النظام الذي لا بد منه لتكييف حياتنا القومية الجديدة ولصون هذه النهضة العجيبة التي
ستغير وجه التاريخ في الشرق الادنى ، من تدخل العوامل الرجعية التي لا يؤمن جانبها
والتي قد تكون خطراً عظيماً يهدد كل حركة تجديدية بالفساد) .

إذاً واضح ان أشكال النظام انما وضعت على هذا النحو لتحقيق غاية محددة
مرتبطة بطبيعة نشأة الحزب السوري القومي الاجتماعي واهدافه وغايته ، انه النظام الذي
يصون هذه النهضة العجيبة كما يقول سعادته من عوامل الفساد الذي يصون النهضة من
العوامل الرجعية التي تهدد كل حركة تغييرية وكل حركة تجديدية ، فالنظام المركزي
التسلسلي هو نظام الحزب الثوري في ظروف المجتمع المتخلف وفي مواجهة الخصوم
والاعداء المتربصين بحركة تغييرية نهضوية كالحزب السوري القومي الاجتماعي ،
ومواجهة الذين هم في قمة النظام القائم وفي قمة التحالف الرجعي الامبريالي الذي
يحارب انبثاق حركة تغييرية ثورية .

ان الزعيم متمتع بهذه السلطات لأنه كمؤسس وكمعلم وهذا واضح من مقدمة الدستور الذي وضعه وهو تجريبي في مسألة السلطات والصلاحيات ولعل هذه نقطة لم تكن موضع عناية كافية عند دراستنا لتاريخ الحزب، يقول الزعيم (انه أجرى اختباره لجهة الصلاحيات المتعلقة بمعاونيه ابان غيابه وهذا أيضاً من خطاب 1938 اول آذار وهذه نقطة مهمة لانها تظهر ان أي من مؤسسات الحزب لم يحدثه الزعيم اعتباراً، بل بعد تأمل واحياناً بعد تجربة فهو كما يرد في الصفحة 40 من كتاب سعادته في الاول من آذار، الحدث الاول يعلن بأنه عين نائباً للزعيم صلاح لبكي وكلفه بأمر عديدة ولكن لم يكن يقوم بهذه المهمة على الوجه الاكمل، كلفه مثلاً بارسال مذكرة باسم الحزب لوفد الكتلة الوطنية الشامي المسافر الى باريس فقدم مذكرة عرفت باسم لبكي ولم تعرف باسم الحزب وكان لها طابع كيانى لبناني، فبعد تجربة وجد الزعيم انه يجب اعادة النظر في موضوع نيابة الزعامة، ويقول سعادته: ولما كنت رأيت من الاعتبار السابق ان تدبير نيابة الزعامة الذي لجأت اليه في المرة الاولى ليس مستوفياً شروط العمل به، تركت مرسوماً بتشكيل مجلس اعلى موقر وتعيين الاعضاء صلاح لبكي، نعمة ثابت، مأمون اياس، فوزي بردويل يوسف حمدوني اعضاء في هذا المجلس، برئاسة صلاح لبكي.

يستوقفنا هذا الحدث الثاني في مرحلة التأسيس، كما قلت الحدث الاول حل المجموعة الاولى واعادة تأسيس الحزب لانه لم يكن هناك دستور يخول الزعيم الطرد. المهم انه بعد ان وضع التشريع وانشاء المؤسسات اخضع كل هذه المؤسسات خاصة المسؤوليات العليا في الحزب لنوع من التجريبية، أي انه لم يكن منطلقاً من مفهوم جامد، لم يكن لديه فلسفة الزعامة كما الفاشية مثلاً بل كان الزعيم تجريبياً في هذا الحقل، على ضوء القاعدة التي وضع بأن النظام المركزي التسلسلي الفردي بقيادته انما يجدم غاية محددة، هي صون هذه النهضة العجيبة من القوى الرجعية المتآمرة عليه، فهنا اختبار لنيابة الزعامة يعني ان الزعيم كان مستعداً ان ينسب سلطاته لأحد تلاميذه وهذه ثقة مطلقة بمعاونيه، فاذا ما غاب هو في سجن او في اغتراب كان يمكن ان يكون هناك في الحزب مؤسسة نيابة الزعامة منوطة بشخص يأخذ صلاحيات الزعيم بتفويض منه، ولكنه عند الاختبار وجد بأن هذه المسؤولية لم يستطع احد القيام بها كما يقوم المعلم المؤسس، ومن هنا اعاد النظر في هذه المسؤولية، وكما نرى او كل أمر النيابة عنه الى السلطة العليا وهي المجلس الاعلى. هذا يعني انه استبدل ايكال المسؤولية

بالنيابة عنه الى فرد بايكاها الى مجموعة، وهنا بواكير الفكرة التي رسخت في الدستور، رسخها سعادته بأن يكون المجلس الاعلى من بعد الزعيم هو السلطة العليا لجهة قبضه على الشأن التشريعي والشأن التخطيطي السياسي، ومن ناحية ثانية يصبح خلف الزعيم يسمى رئيساً ومنتخباً وله السلطة التنفيذية فقط بينما السلطة العليا التشريعية هي في يد مجموعة، هي المجلس الاعلى وهو ما نص عليه الدستور كما اعاد تصحيحه سعادته في 1937. هذه ناحية مهمة جداً لفهم كيفية نمو مؤسسات الحزب، يقول سعادته ان انشاء المؤسسات ووضع التشريع هو اعظم اعماله لأن المؤسسات هي التي تحفظ وحدة الاتجاه ووحدة العمل وهي الضامن الوحيد لاستمرار السياسة والاستفادة من الاختبارات بواسطة مؤسساتنا الحزبية المنظمة، تمكنا من القضاء على الفوضى وترقية خططنا واساليبنا ولولا مؤسساتنا القوية ونظامها المتين لكانت العوامل الشخصية الانانية التي برزت في بعض الظروف تمكنت من تسخير جهاد الوف السوريين والسوريات لمطامعها.

ان سعادته هنا يعتبر ان اعظم اعماله بعد تأسيس القضية القومية كان انشاء المؤسسات ويعتبر اهمية المؤسسات لانها تحفظ وحدة الاتجاه بمعنى ان الخروج على المؤسسة يسهم في البلبلة ويجاد تناقض الاتجاهات. ان المؤسسات كما يقول سعادته تحفظ وحدة الاتجاه ووحدة العمل، كما انها الضامن الوحيد ولا ضامن سواها لاستمرار السياسة والاستفادة من الاختبارات. هنا لا بد لنا من ان نؤكد بأن فكرة المؤسسات كما يشرحها سعادته في هذا النص ونصوص اخرى تمثل تجسيدا لفكرة الانسان المجتمع بمعنى ان المؤسسات هي النطاق الوحيد لاستمرار الافادة من التجارب والخبرات اي انها تطبق نظرية سعادته في الانسان المجتمع لجهة انه اذا غلط امرؤ صحح خطأه امرؤ آخر وهذا هو التكامل بين الامكانات والطاقات.

وفعلا ان الارتباط بين العقيدة والنظام شأن اساسي في الحزب السوري القومي الاجتماعي منذ البداية لذلك عندما وضع سعادته الدستور في 1934 واعاد تصنيفه في 1937 جعل الدستور يشتمل على المبادئ الاساسية والاصلاحية وغاية الحزب اي انه لم يفعل بين العقيدة والنظام في مواد الدستور وهذه مسألة هامة مفروض ان ندرسها جيداً لأن مسألة النظام ملازمة لمسيرة الحزب في كل المراحل.

هذه هي النقطة الاولى التي احببت ان اؤكد لها في مرحلة التأسيس. - ماذا

يستوقفنا في هذه المرحلة :

اولا : ان الحزب نشأ وسط الطلاب ، وهذا يعني بأن سعادته اتخذ نواة له يمكن انطلاقاً منها تخمير المجتمع ككل . وفعلا كما نرى في النصوص التي سبق تلاوتها فان انتشار الحزب حصل في صيف 34 بعد ان انتشر الطلاب في مناطقهم ، الجامعة كالمصنع اداة اختزان للعمل الثوري في هذا العصر فيها يأتي اناس من مناطق مختلفة ويتوزعون بعد ذلك وهذا نوع من انماط التجمع في المتحد الانساني المعاصر .

يقول سعادته في خطابه في السادس عشر من أيار 49 : « في هذا الصدد ان الطلاب كانوا النقطة الارتكازية الاساسية لشوء الحركة القومية الاجتماعية . ان الحركة نشأت في بدء الأمر في اواسط الطلاب وحملها الطلاب وسار بها الطلاب الى ان اصبحت اليوم هذه الحركة الشعبية العامة الواسعة التي تصهر في بوتقتها مختلف النفوس مكونة منها نفسية قومية اجتماعية واحدة . ويتابع سعادته في مقطع آخر « والطلاب كانوا دائماً ولا يزالون عاملاً اساسياً في الحركة القومية الاجتماعية . انهم النفوس الجديدة التي لم تكن قد فعلت فيها سموم القضايا الرجعية ولم تكن قد تمكنت منها الثقافات المحيرة للعقل ، المعطلة للارادة الحرة في الانسان ، المسيرة للفئات والجماعات بعوامل الاستمرار في الماضي واتجاه الماضي . الطلاب اذاً وايضاً كما يقول سعادته في مكان آخر من هذا الخطاب ، (هم هذا العنصر حلالاساسي لأنه عنصر التحرر من قيود قضايا الماضي انه عنصر مؤهل لحل قضايا جديدة لنفوس جديدة ، ولذلك تظل الحركة القومية الاجتماعية تشعر دائماً ان الطلاب نقطة انطلاق وارتكاز في العمل القومي الاجتماعي » .

من هذا يتبين لنا الاهمية القصوى التي علقها سعادته على الطلاب كجسم صالح للعمل القومي الاجتماعي كنقطة انطلاق وارتكاز تأسيسية في العمل القومي الاجتماعي . يلفت النظر أيضاً في هذه المرحلة من 1932-1935 المرحلة الاولى من مراحل التأسيس انه لم تكن لدى الاعضاء مستندات كافية لمواجهة الحملة الاعلامية والاذاعية التي شنت على الحزب عند اكتشاف امره ، وان الوسائل الاولى اخذت تتجمع ولم يكن هناك وقت للتأريخ خارج حلبة الصراع . ذلك فان كتابات سعادته في السجن حيث كتب المبادئ ، ونشوء الامم وكتاباته الباقية كانت ايام الصراع القومي العنيف . ان التأليف في حركة صراعية ثورية لا يمكن ان يكون الا ميدانياً . ليس هناك وقت للترف الفكري . وهذه الناحية واقعة عند سعادته عندما يقول بأنه وضع كتاب نشوء الامم في

السجن الاول ووضع كتاب شرح المبادئ في السجن الثاني يعني ان بداية شرح العقيدة وايضاح الفكرة وحتى التأليف العلمي ككتاب نشوء الامم انما كانت في دهاليز السجون .

يتحدث سعادته في خطاب اول آذار 1932 عن مرحلة التأسيس الصعبة فيقول، عن حادثة اعتقاله: « ان موقفي في دائرة الامن العام وعند قاضي التحقيق الفرنسي كان مشجعاً لرفقائي، ولكن بعد الليلة الاولى في السجن عاد اليهم الشك والتفكير في المصير المبهم فأخذوا ينيحون عليّ باللائمة، ويعدون اتساع، ولما كان انكشف امره ولما كنا دخلنا السجن، فلما تضايقت من هذا الملامة حملت وسادة وانتحيت ناحية وقعدت وحدي فشعر رئيس مجلس العمدة بالغلط الذي ارتكبه وجاء اليّ واعتذر عن الضعف الذي اظهره وبعد ايام جاءت الاخبار عن تنبه الرأي العام وتقديره موقف الحزب فانتعشت الآمال داخل السجن وقويت المعنويات خارجه بما ظهر من عطف في الرأي العام ومع ما ظهر على معاوئي الاول والرفقاء الذين سجنوا معهم من ضعف اولي، ولا بد لي من التصريح بأن فترة الضعف كانت قصيرة وانهم تحمّلوا الصدمة هم وعيالهم واهلهم على افضل ما يمكن. وبالموقف الذي وقفناه بين دخول السجن والخروج من المحكمة انتصرت روحية الحزب السوري القومي على عوامل الزمن العتيق وروحيته العديمة الفضائل والمناقب « هنا ايها الرفقاء يقول الزعيم في كتاب « شروح في العقيدة » ولكن الدعوة القضائية والمحكمة في المحكمة المختلطة انقذ الموقف واحداث دفاع الزعيم في المحكمة ذلك التيار من القوة المعنوية الذي رفع منزلة الحزب في عين الشعب واعين المنتدبين الفرنسيين » .

من هذه النصوص يتبين عدة أمور اولاً: ان الزعيم كان وحده المؤمن بالقضية في بداية المسيرة ايماناً يتحدى الصعاب ويواجهها بمسؤولية، وطبعاً تعلم الرفقاء منه هذه القدوة البطولية، قدوة السجن الاول، والتي استمرت حتى الاستشهاد في تموز 1949 .

لقد اسقط حسعاده العقلية الانهزامية، تصوروا ان رفقاء مسؤولين في تلك المرحلة يلومون الزعيم لأن الحزب انتشر أي انهم كانوا يفضلون لو بقي الحزب محجماً وصغيراً حتى لا ينكشف امرهم وكلي لا يدخلوا السجن .

نسمع احياناً مثل هذا النمط من التفكير قياساً على شؤون نواجهها اللوم او الخوف من عظمة الحزب من قوة الحزب من اتساع الحزب لأنه كما قال سعادته في خطاب آخر

في اول آذار 1949 . (كلما ازددنا نمواً ازداد اضغط). هذه الضريبة على النهضة ان تدفعها كلما قويت واجهت صعوبات جديدة.

نعود الى محاكمة 1935 فهي دون ريب قد ولدت تياراً قوياً لأنها كانت الصدمة الاولى وهذه الصدمة خرج الحزب منها، خرج من الامتحان قوي الساعد والجانب ذا هيبة كبيرة بفضل وقفة العز التي وقفها الزعيم. في تلك المحاكمة ملامح كثيرة للقائد الزعيم ولكن ابرزها انه حول المحكمة من محاكمة شكلية توجه فيها المحكمة الفرنسية الاسئلة والتحقيق الى سعادته الى محاكمة بالاساس يوجه فيها سعادته نفسه الاتهام لسلطات الانتداب وبالتالي للاستعمارين الفرنسي، والبريطاني لارتكابهما جريمة تجزئة الوطن السوري وانتزاع السيادة القومية.

وسط جو المحكمة الاجنبية التي تحاكم زعيم الحزب وجو القانون 115 الذي يقضي بقمع كل نشاط حزبي او سياسي في البلاد، وسيطرة الانتداب وجيوشه وقواته، وسط هذا المناخ من التعسف الاجنبي يقف سعادته وحيداً ليجابه كل هذه القوى العالمية الدولية موجهاً كلامه الى المحكمة الاجنبية بقوله: (انا متهم بخرق وحدة البلاد الجغرافية وانتهاك حرمة الارض، فأراني مضطراً علمياً لا بالعاطفة للقول ان خرق وحدة وطننا الجغرافية وانتهاك حرمة ارضنا قد تما بالفعل في سان ريمو وسيفر ولوزان والمسؤولون عن ذلك هم غير الحزب السوري القومي). بهذا واجه سعادته المحكمة متهماً سلطات الاستعمار الفرنسي والبريطاني بتمزيق وحدة بلادنا والاعتداء على سيادتنا القومية. ان هذا الموقف التاريخي كان بداية توليد تيار الحزب السوري القومي الاجتماعي في الامة وهز وجدانها ورفع رايات الصراع في سبيل قضيتها القومية.

في مرحلة التأسيس هذه، وبعد هذا الموقف التاريخي لسعادته، بدأ الصراع السياسي الذي خاضه الحزب على مختلف الجبهات، وهنا لا بد من استعراض لهذه الجبهات السياسية المتعددة واخذ العبر وتبيان الملامح.

واضح ان الحزب اخذ ينتشر في معظم الانحاء اللبنانية كما في بعض الانحاء الشامية وبصورة مخصصة في منطقة اللاذقية، بعض المعالم هنا، اهتمام سعادته الجديد والرسمي بالمسألة الفلسطينية وهذا الاهتمام يظهر عن طريق بدايات الكفاح القومي الاجتماعي المسلح فهو يحددنا عن ثورة 1936 في (الاسلام في رسالتيه ص 225) ويقول (بعد ان اشتمل امر ثورة فلسطين 1936 بدخول العناصر السورية القومية الاجتماعية في تلك

الثورة، وعلى رأسها القائد السوري القومي الاجتماعي المأسوف عليه سعيد العاص ورأت بريطانيا ان الشعب السوري سيلتهب كله في منطقتي الانتداب فلدجات الى ملوك العرب وطلبت تدخلهم باسم العروبة لرفع ونزع السلاح جيش الثورة، فتدخل اولئك الملوك ووعدوا بأن يتولوا تحقيق مطالب الثورة بالطرق السياسية وكان ان وفدت اللجنة البريطانية التي وضعت مشروع تقسيم فلسطين وايجاد دولة يهودية في القسم الخصب منها) من هذا النص يتبين اسهام مبكر للقوميين الاجتماعيين في ثورة فلسطين في 1936 كان سعيد العاص على رأس المجموعات هناك وكان سعيد العاص قد انضم الى الحزب في ميدان الصراع في فلسطين بعد ان وجد القوميين الاجتماعيين من كل انحاء سورية الطبيعية وبمختلف الطوائف والمذاهب. ونجد ان ثورة 1936 اجهضت بسبب تدخل ملوك العرب ووقفهم القتال لمصلحة حليفهم بريطانيا وان اللجنة البريطانية التي عرفت بلجنة « اللورد بيل » جاءت الى فلسطين واقترحت تقسيمها وهذه بواكير مشروع التقسيم.

وكما قاتل القوميون الانتداب والصهيونية بالسلاح في فلسطين واجههم ايضا سعادته برفع اول مذكرة من الحزب السوري القومي الاجتماعي الى عصبة الامم يطالب فيها برفض مشروع التقسيم (14 تموز 1937). وهذه المذكرة تشكل الوثيقة الدبلوماسية الاولى في الحزب السوري القومي الاجتماعي في معالجة حقوقية لشأن قومي يواجه قرارات او مؤتمرات دولية. بداية الدبلوماسية السورية القومية الاجتماعية بالتعاطي الانترنسيوني في سبيل القضية القومية ومسألتها الفلسطينية وفي هذه المذكرة، نجد الاسس الحقوقية لكل طرح الحزب حول رفض تقسيم فلسطين.

ولم يقتصر اهتمام سعادته على فلسطين بل ايضا على الاسكندرون وكانت مشكلتها قد بدأت، وهذه ناحية من صراع سعادته ضد اغتصاب وسلخ الاجزاء عن ارضنا القومية سواء في فلسطين او في الاسكندرون جديدة بوضع دراسات عنها على حدة. ولكن لا بد من المامة هنا بأن سعادته تنبه للخطر التركي المتوسع باتجاه الاسكندرون وتنبه الى عملية سلخ لواء الاسكندرون فعقد المقالات الطويلة في جريدة (النهضة) في 1937 مندداً بالسياسة الحكومية الشامية التي كانت قد وصلت الى درجة من الاستسلام للأمر المفروض، لانها اخذت تبرر، على غرار ما بررت الانظمة العربية ضياع فلسطين في الماضي، سلخ الاسكندرون، لقد قالوا آنذاك ان سلخ اللواء سيشكل نوعاً من

المشكلة السكانية للاتراك، لانهم سيجدون صعوبة كبيرة في هضم السكان السوريين. لقد ندد سعاد هذا المنطق وحمل حملات كثيرة في جريدة (النهضة) وفي مذكرات وضعها بهذا الصدد دفاعاً عن سورية الاسكندرون ورفضاً للاغتصاب التركي وللمؤامرة او التواطؤ الفرنسي الاستعماري مع الاتراك وحمل الحكومات والسياسيين الذين بيدهم الأمر مسؤولية ضياع الاسكندرون.

وفي هذه المرحلة ايضاً يعالج سعاد مسألة المصالح المشتركة بين الشام ولبنان ويؤكد على ضرورة تطويرها باتجاه الوحدة الاقتصادية التامة. في هذه المرحلة ايضاً وقف الحزب في بيروت ضد الفتنة الطائفية ووجه نداء في هذا الصدد حال دون تصارع بيروت الغربية والشرقية. ولا بد هنا لنا من مقارنة على سبيل اظهار التباين بين ما حدث في 1936 وما حدث في 1975. بأن فكرة وقوف الحزب ضد الفكرة الطائفية وضد التناحر الطائفي في صلب مبادئه وعقيدته. ولكن التناحر الطائفي في 1936 و 1943 لم يكن يتخذ شكل المؤامرة، كانت هناك فئات طائفية تتناحر فبأقي الحزب ويحاول ان يقف سداً في وجهها، ومن هنا سوء وفساد المقارنات التي تقول وقفنا في 1936 ضد التناحر الطائفي فكان علينا في 1975 ان نقف على الحايد ضد التناحر الطائفي، هذا دليل على فكر سقيم يجتر المراحل ولا يستطيع ان يجد الفارق بين مرحلة واخرى وظروفها الموضوعية المختلفة. ففي 1975 كان هناك ميلشيات متصلة باسرائيل وبأميركا ولها مخطط ابعاد من المشكلة الطائفية انها تستهدف المقاومة الفلسطينية تستهدف من تقسيم لبنان واقامة كيان طائفي بها، ومشروعها في حيز التنفيذ، لم يكن الموضوع مسألة خلاف بين حي وحي من واجب الحزب ان يطوقه ويمنع حدوثه.

ويلاحظ في هذه المرحلة موضوع مهم جداً هو تصدي الحزب في الكيان اللبناني بعد ان انتشر كما يتضح من خطاب 1938 ومن وثائق اخرى انتشر في كل انحاء الكيان اللبناني وحتى في المناطق التي تشكل عقبات اقطاعية او طائفية في وجه انتشار الحزب. مثلاً يقول الزعيم « ثم زرت منطقة الشوف التي يجري فيها انتزاع شديد بين الحركة القومية ونفوذ الاقطاعيين وكان للحزب السوري القومي الاجتماعي في الشوف موقف باهر بعظمته تجاه القوى المسلحة، واضح من هنا تصدي الحزب للاقطاع وانتشاره في مناطق كالشوف وكذلك في الوقت نفسه يقول الزعيم وتلا استقبال منطقة

الشوف استقبال كبير في بكفيا الذي يكون في حياة الحزب نقطة تاريخية ففي بكفيا ظهرت متانة ونظام الحزب وقوة معنوياته في ابرز مظاهرها .»

يضاف الى هذا ان الحزب، بعد انتشاره الواسع خاصة في المناطق الشامية، فاز في الانتخابات التي جرت في تل كلخ - الحصن.

ان مرحلة التأسيس، ما زالت امثولاتها عميقة، وعلينا ان نتبحر في فهمها وتعمق فيها. فان هذه السنوات الخصبة من النضال اعطت الحزب مشروعية الاستمرار في نضاله القومي الاجتماعي.

ايها الرفقاء

كنا نتحدث في نهاية الدرس الثالث، عن موقف الحزب في مرحلة التأسيس 1936 وبعد انكشاف امره، عن موقفه الصارم في سبيل الحريات المدنية والسياسية وبيان الزعيم التاريخي بعد احداث بكفيا، مندداً بطغيان الحكومة، والطبقة الرجعية الحاكمة معلناً الحكومة، بأنها حكومة عاصية، هذا الموقف لسعاده ازاء الحكم الرجعي الخاضع للانتداب، يلتقي تماماً بالموقف الاول الذي وقفه في المحكمة من الانتداب نفسه ومن سلطاته المتحكمة بمقدرات البلاد وهكذا المواقف الشجاعة المبدئية، التي تأخذ بمبادرات الحق القومي والمعبرة عن ارادة الشعب الحرة.

نستطيع في ضوء مقارنات اليوم ان نقول بأن الحزب السوري القومي الاجتماعي في الثلاثينات والى مرحلة التأسيس والى مرحلة لاحقة وحين نشوء الاحزاب القومية والتقدمية في بلادنا في اواخر الاربعينات او انه على مدى عشرين عاماً على الاقل كان هو الحركة الوطنية وحده. كان هو يمثل كل اختلاجة الشعب وكل ارادة في التصدي والتحرر لشعبنا وبلادنا.

وهذه نقطة اساسية ايها الرفقاء لان الاعلام المعادي في مراحل نضال الحزب، حاول ان يشوه هذا الحزب وان يسيء الى صورته العامة وان يظهره حركة فاشية انشئت لاغراض محدودة والى ما هنالك. بينما نرى من استقراء تاريخ الحزب ودراسته بأنه كان الحركة التقدمية القومية الوحيدة ولا اقول الاولى فقط، الوحيدة التي جابهت

الاستعمار وجابهت الاقطاع وجابهت تسلط رجال الدين ودافعت عن حقوق الشعب ودافعت عن ارادة الامة الحرة في السيادة والتحرر والتقدم .

في هذه المرحلة ايضا لا بد من ذكر قيام التشكيلات الطائفية في جبل لبنان بتشجيع من المندوبية الفرنسية في محاولة لوقف تقدم الحزب السوري القومي الاجتماعي، تذكرون اننا المحنا في الدرس السابق الى يوم بكفيا والصدام الدامي فية والى المهرجان الشعبي الضخم الذي اقيم لزعيم الحزب والاصطدام كان مع رجال الدرك ولم يكن مع فئة من الشعب. فقد كان التفاف الشعب حول الحزب في كل جبل لبنان كان مؤثراً خطيراً جداً بالنسبة للسلطات المنتدبة لاسيا وانها كانت تراهن على ولاء المسيحيين لها، وتذكرون الشعار «فرنسا ام المسيحيين عموماً» فان ينشأ حزب مستقل عن ارادتها متصد لارادتها ويسعى للوحدة ويرفع شعار «الوحدة السورية» وبصورة مختلفة عن الشعار الذي كان يرفع في المدن المحمدية فيستقطب الجماهير ولكنه كان شعاراً انسلاخياً عندما كان بعض رجال السياسة يرفعون شعار الوحدة السورية بمعنى انسلاخ طرابلس او بعلبك او صور او سواها عن الكيان اللبناني والتحاقها بالكيان الشامي. على عكس ذلك كان الشعار الذي رفعه الحزب مستمداً من عقيدته السورية القومية الاجتماعية التي تقول بوحدة الحياة والمصير الجامعة لكل كيانات الامة ولكل شعبنا في كل كيانات الامة دون تمييز بين جبل وساحل بل ان فعل الحزب كان يمتد في الجبل كما يمتد في الساحل ويمتد في الجبل متأسساً على عقيدة قومية اجتماعية واضحة تحتضن المسيحيين الى جانب المحمديين فينضمون الى الحزب متحمسين للوحدة السورية على اساس علماني تقدمي اجتماعي اكثر من الجماهير المتحمسة حماساً شارعياً موقوتاً للوحدة في بعض مدن الساحل المحمدية. من هنا ادركت السلطة المنتدبة خطورة وخطر الحزب السوري القومي الاجتماعي على سياستها ولذلك كان لا بد من دفع بعض السياسيين او بعض الشباب الطائفيين لانشاء التشكيلات الطائفية ونشأت هذه التشكيلات بدءاً من حزب الوحدة اللبنانية لتوفيق عواد الى حزب السباقة اللبنانية للاستاذ يوسف السودا ولم يكن هذين الحزبين حظ بالاستمرار، ثم انشئت الكتائب اللبنانية ولا بد هنا من ذكر ان النسخة الاولى من اهداف ومبادئ الكتائب اللبنانية - واعتقد انها موجودة في مكتبة الجامعة الاميركانية او سواها - كانت تنص في صلب هذا البرنامج او المبادئ العامة على انشاء وليس نشوء امة لبنانية بالتفاهم والتعاقد مع فرنسا .

الزعيم في تلك المرحلة يكتب سلسلة مقالات في جريدة النهضة في 1937 بعنوان « الاحزاب البعثية » يهاجم فيها تلك التشكيلات الطائفية التي هي صدى للسياسة الانتدابية والتي لا تشكل اية قضية ذاتية مستقلة. وفي تلك المرحلة ايضاً يرد الزعيم على البطريرك وسلسلة المقالات التي رد فيها الزعيم على البطريرك عريضة تشكل اول تصد في بلادنا سياسي ومبدئي لسلطة رجال الدين وتدخلهم في شؤون السياسة. مهم جداً الرجوع الى هذه النصوص وهي كلها موجودة في كتاب « المسألة اللبنانية الجزء الاول » من مجموعة النظام الجديد التي اعدنا نشرها كما انها ستكون موجودة في الجزء الثالث من « الآثار الكاملة » لسعاده، لان هذه المقالات تضيء الصراع الفكري والسياسي في تلك المرحلة وكيف كان الحزب يتصدى بقلم زعيمه ومواقفه الرائدة لكل ما يتعارض مع مبادئه ولكل ما يتناقض مع ارادة الشعب الحرة وحقه الكامل في تقرير مصيره القومي.

ننتقل الى نقطة ثانية اذا كان التصدي للظلم والتصدي للاقطاع الديني والسياسي اي المواقف المبدئية الثابتة كانت سمة ملازمة لمسيرة الحزب بقيادة سعاده فاننا في الوقت نفسه لا بد من ان نطلع على نهج سعاده في المرونة السياسية ولكن على قاعدة المبدئية العقائدية وهذه نقطة هامة لا بد ان نستوحيها في مسيرتنا الحزبية ونصحح ونصوب الانحراف عن قاعدتها. لم يكن سعاده متزمتاً او لفظياً ولكنه كان مبدئياً اصولياً. وفارق كبير بين اللفظية العاجزة وبين المبدئية الصارمة التي تتعاطى بالمرونة ولكن دون التفريط بالمبدئية والقواعد.

في 1937 وبعد ان لوحق الحزب والزعيم ثلاث مرات في اقل من سنتين. يصدر التصريح السياسي للزعيم بشأن الكيان اللبناني وينشر في جريدة النهضة وهذا امر يلفت النظر لأنه يدل على مرونة عند سعاده ولكنها مرونة كما قلنا مبنية على القاعدة المبدئية.

يقول الزعيم في خطابه في الاول من آذار 1938 حول هذا الموضوع: « وتمكنت في مدة قصيرة من حل الحكومة على الاقتناع بأن الوحدة القومية التي نريدها هي شرط اساسي للوحدة السياسية التي صرح لنا كبار المسؤولين في الجمهورية اللبنانية انهم لا يمانعون بها على هذا الاساس وقد اكدت للحكومة اللبنانية ان غرضنا ليس هدم الكيان اللبناني بل بناء سوريا وكانت الحكومة قد تعبت هي ايضاً من هذه المشادة على غير طائل فرأت الافراج عنا على هذا الاساس وهكذا استطعت ان اصل بالحزب الى

هذه الحالة السلمية التي تسمح لنا بتشديد معنوياتنا ومتابعة اعمالنا الانشائية التعميرية». واضح اذاً ان لا وحدة سياسية قبل الوحدة القومية بمعنى الوحدة القومية الاجتماعية اي تحقيق الاصلاح السياسي وقيام حالة فصل الدين عن الدولة التي تطمئن الفئات الدينية على مصيرها. وان الهدف ليس هدم الكيان اللبناني بل كما يقول الزعيم بناء سوريا. اكد هذا النهج سعادته في تصريحه الى النهضة في تشرين 1937 والذي اعلن فيه بأن الحزب ليس مستعجلاً لتحقيق الوحدة السياسية المتسرعة بل يريد تحقيق الوحدة القومية الاجتماعية اولا بفصل الدين عن الدولة وتحقيق مبادئه الاصلاحية.

يقول سعادته تعقيباً على هذا النهج وفي الخطاب نفسه (آذار 1938) « بيد انه يجب ان لا يساء فهم غرضنا من ترك الكن السياسي اللبناني فنحن امة واحدة سواء كنا دولة واحدة او عدة دول وكل من يعتدي على قسم منا فقد اعتدى علينا جميعاً». سعادته يتخذ موقفاً مرناً بالنسبة للكيان اللبناني غير متناقض مع العقيدة السورية القومية الاجتماعية وعندما يتخذ الموقف السياسي المرن يعود فيؤكد في توجيهه للقوميين الاجتماعيين وللمشعب المبدئية العقائدية بأن يجب ان لا يساء فهم غرضنا من ترك الكيان السياسي اللبناني فنحن امة واحدة سواء كنا دولة واحدة او عدة دول. وهذا المنهج هو خلاف ما سزاه في مراحل لاحقة من تاريخ الحزب عندما يحاول بعض الذين في قيادة الحزب في مراحل اواسط الاربعينات مسامرة الاوضاع الكيانية الى حد اضمار او السكوت عن او طمس هوية الحزب العقائدية القومية. ان سعادته يؤكد على هوية الحزب العقائدية مع المرونة السياسية. ان الزعيم لم يكن متمتماً في التعبير واستخدم وبرر في التعبير اسم الحزب القومي الاجتماعي وله في ذلك في النشرة الرسمية ايضاح حول هذا الموضوع لأنه لجهة التسميات لم يكن، كما سبق القول متمتماً ولكنه لجهة المبدئيات كان دائم الاصرار على القومية السورية والمصير الواحد والحياة القومية الواحدة في سورية الطبيعية اي ان مسألة الامة لم تكن تخضع للمساومة اما مسألة التعابير السياسية والصيغ السياسية فكان الزعيم مبدعاً ومرناً فيها.

يقتضي هنا ايضا ملاحظة توجيه الزعيم لضرورة ايجاد برنامج عمل سياسي لكل فرع حزبي في كيان اي ان الكيانية لم تكن في نظر الزعيم الاداء وبيلا يجب محاربهه ولكن هذا لا يعني بالمقابل ان القضية القومية الواحدة يمكن ان تتصرف في كل كيان بنفس البرنامج او المرحلة السياسية وهذا واضح من التصرفات المتميزة التي كانت

تصدر عن الزعيم بتصريحه بالنسبة للكيان اللبناني ومرونته في العمل السياسي هنا هي غير التصرفات التي كان يصدر عنها بالنسبة للسياسيين الشاميين الذين كان يريد ان يؤكد معهم الموقف المبدئي والهوية السورية بكل وضوح.

وفي هذه الناحية تستوقفنا نقطة بارزة وهي العمل الجبهوي كقاعدة سياسية عند الزعيم. ربما هذا الامر غير واضح بالنسبة لكثيرين ولكن استقراء تاريخ الحزب في تلك المرحلة يظهر لنا ان الزعيم جعل العمل الجبهوي مكملاً للعمل الحزبي وهذه نقطة هامة يمكن ان تنعكس على كثير من مفاهيمنا وتصحيح وتصوب الكثير من مفاهيمنا لأن دخول الحزب في جبهة الاحزاب التقدمية والوطنية في لبنان اخذ شيئاً من البوليميك والجدل. وكان ما يأتي به الحزب امر غريب بيننا هناك نهج واضح عند سعادته واضح في هذا الاتجاه نهج يؤكد بأن الحزب منذ نشوئه سعى الى ايجاد حلفاء وحتى لو كان متناقضاً معهم عقائدياً. وهذه مسألة هامة فان الهدف السياسي المرحلي الذي يخدم القضية القومية يبرر ويسوغ ايجاد تحالفات سياسية تخدم هذا الغرض القومي في مرحلة معينة. يتضح ذلك من سعي حالزعيم لأن يكون هناك صلة وثيقة وربما محاولة تحالف مع الكتلة وهو يلوم الكتلة الوطنية لانها لا تتجاوب معه في ظرف قومي بالغ الخطورة. يقول هنا الزعيم في انتقاده للمعاهدة التي اقدم على عقدها مع السلطات الفرنسية السياسيون الكتوليون: « ولذلك جاءت معاهدة خالية من الشروط القومية الاساسية واقتصرت على بعض المطالب التي لا تعبر عن ارادة الامة بل عن وجهة نظر رجال الكتلة الوطنية غير المنظمين وغير واضحي الاهداف القومية المنشئين سياستهم على الاعتباط والمناسبات ».

ويلوم هؤلاء الساسة لحملةمهم الاعتباطية على الحزب السوري القومي قبل درس مبادئه واهدافه وسياسته وبرنامجه الاقتصادي والاعتراف به وبجدارته لمعالجة القضية القومية والمسائل السياسية والتضامن معهم فهم غاروا غير شديدة على كبريائهم من ان يمسهما تفوق الحزب السوري القومي بنظرته القومية الجليلة ونظامه البدع ونهضته الرائدة. يعني هنا اللوم على سلبية رجال الكتلة الوطنية ويتابع « مع كل ذلك اي مع هذا الموقف السلبي للكتلة الوطنية الشامية مع كل ذلك ومع انهم بادؤونا بهجوم اعتباطي فقد قررت التعاون معهم على الرغم منهم في سبيل المصلحة القومية واصدرت تعليقاتي في هذا الصدد من السجن وبناء عليها توجه من عينته نائياً ادارياً للزعيم واخذ

بصحته احد مفوضينا الى الشام وعرف هذا الوفد وفد صلاح لبكي ومأمون اياس الذي قدم للوفد المفاوضات مذكرة اقتصادية باسم الحزب السوري القومي ثم ارسلت تعليمات من السجن بوجوب ارسال مذكرة باسم الحزب السوري القومي الى الوفد الذاهب الى باريس توصي هذا الوفد بوضع تحفظات في المعاهدة من اجل العقيدة القومية في لبنان وترك الباب مفتوحاً لاتصاله في الشام المستقبل. (سعاده في الاول من آذار ص 40).

هكذا ايها الرفقاء نجد من هذه النصوص الواضحة ان سعاده بالرغم من مبادء رجال الكتلة الوطنية الشامية الحزب العداء الا انه يقول « قد قررت التعاون معهم على الرغم منهم في سبيل المصلحة القومية ». حادثة ثانية مهمة جداً في هذه المرحلة هي حادثة الوفد الذي ارسله الزعيم الى عبد الرحمن شهبندر والمعلوم ان الدكتور شهبندر كان متزعماً في الشام واسع الباع والذراع وكان خصماً للكتلة الوطنية، يجتمع به الزعيم سرّاً كما يقول في رسائله الى غسان تويني ويقول في النص في الصفحة 52 من كتاب « شروح في العقيدة » ما يلي: « وفي شرح المبادئ وغاية الحزب وتصريح الزعيم لجريدة النهضة في صدد الكيان اللبناني وفي سياسة الحزب مع الحكومة اللبنانية في زمن اده الاحدب ومباشرة تدخله الفعلي في السياسة اللبنانية وسياسته مع الحكومة الشامية والمسامي التي بذلها للتفاهم مع الكتلة الوطنية ثم مع الدكتور شهبندر المرحوم بطلب منه وحصول مقابلة سرية بين الزعيم وشهبندر عقبته مقابلة ثانية بطلب منه. وهنا بيت القصيد بين وفد حزبي وشهبندر بعد مغادرة الزعيم والوطن وعدم كفاءة الوفد لاكتساب الوجه السياسي من المقابلة ».

اول ما نلاحظ هنا ان الزعيم عقد لقاء سرّياً مع الدكتور شهبندر وانه اتجه للتعاون معه ولكن بعد سفره ذهب وفد لمقابلة الدكتور شهبندر وسعاده يلوم هذا الوفد. لماذا؟ في مكان آخر يوضح ماذا يعني بعبارة وعدم كفاءة الوفد لاكتساب الوجه السياسي من المقابلة يلومه لأن هذا الوفد حاول ان يخوض جدلاً عقائدياً مع الدكتور شهبندر والزعيم يريد ان يفرق هنا بين اللقاء السياسي المشترك في مرحلة معينة وبين ادخال الناس في الحزب. فالدكتور شهبندر كانت له اعتقادات مخالفة لرأي الحزب وكان هناك صراع عقائدي معه، الزعيم ينتقده في امكنة اخرى ويعتبره من غلاة دعاة الوحدة الاسلامية او الوحدة العربية ولكن رغم ذلك جاء الاتصال به ووجه الزعيم لوما

للوغد الذي حاول ان يركز البحث مع الدكتور شهبندر على الشأن العقائدي مميّزاً الزعيم في ذلك بين التحالفات التي تنشأ لأغراض سياسية محدودة وبين ضرورة التطابق العقائدي بين كل الذين يتحالفون مع الحزب وهذه نقطة مهمة جداً مفروض ان تندبرها بوضوح.

في هذا الصدد لا بد من ان ندخل في القسم الاخير من هذه المعالجة الدراسية او من هذه الدراسة المقارنة لمرحلة التأسيس وذلك بطرح موضوع اساسي هو حول المرحلية في نضال الحزب، كما عينها واعلنها سعادة. وهذه نقطة هامة جدا لان مراحل حزب لا يمكن اجترارها وهناك تشديد في الاهمية في كل مرحلة على منحنى معين اذا كان الحزب كائناً حياً فلا يمكن ان اجتر طفولتي في كهولتي. هذا يصبح نوعاً من الجمود وتوقفاً عن النمو وبالتالي معاكسة سنة الحياة.

هذه النقطة واضحة جداً عند سعادة، وهو يقسم مراحل نضال الحزب الى مرحلتين فاصلتين. طبعاً تندرج تحت كل منها مراحل جزئية ولكن المرحلتين الفاصلتين في تفكير الزعيم هما مرحلة التأسيس ومرحلة التحقيق. في صفحة 56 من رسائل الزعيم لغسان تويني ومن كتاب «شروح في العقيدة» يقول الزعيم: «الحزب السوري القومي الاجتماعي نشأ حزب عقيدة جديدة في سوريا فكانت غايته الاولى المباشرة اعلان هذه العقيدة وشرحها وغرسها في النفوس وهذه الغاية الاولى المباشرة اقتضت عملاً يجب درس تفاصيله والتأمل ملياً في مشتقاته وفي المدة التي يقتضيه نجاحه في دائرة واسعة من الشعب تكفي لحصول الملاك المؤهل لتشكيل جبهة عامة في جميع مناطق سوريا وحمل رسالة العقيدة التي تتجسد فيها شخصية الامة الاجتماعية وبالتالي شخصيتها الحقوقية التي تعين ليس فقط ماهيتها بل حقوقها ومصالحها الرئيسية والحيوية التي تريد الاحتفاظ بها والدفاع عنها واسترجاع ما سلب منها وتميتها وتوسيعها وضمان رفاهية الشعب بواسطة تأمينها وبتعبير تكني ان تعين شخصية الامة الاجتماعية والحقوقية وحقوقها ومصالحها هو ما يعطي الامة اساس عملها السياسي او هو الشرط الجوهري لشوء سياسة قومية بالمعنى الصحيح». (انتهى النص للزعيم).

واضح من هذا الكلام ان الحزب السوري القومي الاجتماعي نشأ حزب عقيدة جديدة فكانت غايته الاولى المباشرة اعلان هذه العقيدة ونشرها وغرسها في النفوس يعني مرحلة التبشير بالعقيدة. المرحلة التأسيسية ارتكزت على خط معين اساسي

ومحوري هو مرحلة التبشير بالعقيدة هذا لا يعني اطلاقاً ان الحزب يتوقف عن التبشير بالعقيدة او ان الحزب يتحول من حزب عقائدي الى حزب سياسي، هذا خوف وليس المقصود من تبيان مرحلة النضال الحزبي او التأكيد في كل مرحلة على اهداف معينة بأن الحزب العقائدي يمكن ان يصبح حزباً سياسياً او ان الحزب العقائدي لا يعمل في السياسة لأنه واضح من استعراضنا لمرحلة التأسيس بأن سعادته عمل في السياسة وعمل عملاً رائعاً ومتقدماً سواء باتصالاته السياسية او بالنضال السياسي في السجون وفي المواقف او بالمقالات والكتابات السياسية او حتى بالنضال العسكري في فلسطين. هذه كانت مرحلة التأسيس مرحلة نشر العقيدة ومع ذلك كان هناك ممارسات سياسية واضحة ومتقدمة. اذاً لا تعني عندما نقول ان مرحلة التأسيس هي مرحلة ارساء العقيدة ونشرها وغرسها في النفوس اي مرحلة تبشير عقائدي بأن العمل السياسي انتهى فيها. كما ولا نعني في مرحلة التحقيق بأنها تصبح مرحلة النضال العسكري والسياسي لتحقيق اهداف الحزب ويتوقف العمل العقائدي. الحزب العقائدي لا يمكن ان يتنفس الا برئة التبشير بعقيدته وبثها في الشعب واعلامها للعالم. اذاً الشأن العقائدي اساسي في الحزب العقائدي ولكن الحزب العقائدي يعطي اولوية لنشر عقيدته في مرحلة التأسيس ولكنه يعطي اهمية لخطته السياسية والعسكرية في مرحلة التحقيق هذا ما نقصد من تصنيف مراحل الحزب بحيث لا يجري اجترار لأن الحزب العقائدي اذاً كان سيهتم فقط بنشر عقيدته بعد مضي خمسين سنة على تأسيسه دون الفعل في الاحداث تاريخياً وممارسة عقيدته على ارض الواقع ميدانياً وصراعياً في سبيل انتصارها فانه يكون مجترأً للمراحل وهذا بالفعل ما اراده سعادته عندما قال بأن تعيين شخصية الامة الاجتماعية والحقوقية وحقوقها ومصالحها هو ما يعطي الامة اساس عملها السياسي او هو الشرط الجوهرى السابق لنشوء السياسة القومية بالمعنى الصحيح وبدون ارساء الاساس العقائدي لا يمكن ان تكون لنا سياسة قومية صحيحة ولكن بعد ارسائه لا بد من الانطلاق في هذا المنحى.

في مكان آخر يعود سعادته الى الموضوع نفسه فيضيء جوانبه بجلاء نادر يقول: « ان مخطط الحزب السوري القومي الاجتماعي كما هي في فكر الزعيم وتخطيطه وتوجيهه وعمله لم ترم قط الى انشاء كتلة عقائديه متحجرة بل الى منظمة عقائدية تفعل ادارة وسياسة وحرماً لتحقيق غايته » ودستور الحزب وتشكيلاته كلها تدل على اتجاهه العملي مع تأمين اساسه العقائدي ولكن تطبيق هذا التخطيط لم يكن ممكناً بمجرد ارادة

المؤسس المخطط بل كان متوقفاً على تطور الحركة نحو تهيئة اسباب التطبيق وهذه التهيئة كانت تقتضي عدة شروط .

1 - اكتمال مرحلة التأسيس والنمو التي هي مرحلة ارساخ العقيدة واكتساب العناصر الفاعلة على اساسها وهو امر لا يمكن تعيينه بمرسوم او قانون من حيث مدته وعدته .

2 - حصول عدد كاف من الاعضاء المتنوعي المواهب للقيام بالاعمال المتنوعة التي يفتضيها التخطيط المذكور .

3 - حصول ظروف سياسية مؤاتية .

وكانت مرحلة التأسيس صعبة جداً فيجب ان لا نرى المدة التي مرت في هذه المرحلة اطول مما هي في الحقيقة (صفحة 72 شروح في العقيدة).

معان كثيرة في هذا النص . اولاً بأن خطط الحزب السوري القومي الاجتماعي كما يقول الزعيم كما هي في فكره وتخطيطه وتوجيهه وعمله لم ترم قط الى انشاء كتلة عقائدية متحجرة وهذه نقطة هامة جداً في دحر افكار مشوهة حول طبيعة حزبنا تحاول ان تجعله نوعاً من حلقة الدراويش المتصوفة التي تغوص في التفرع اللفظي وفي التحجر الذهني والفكري . ان سعادته ينفي ان يكون القصد انشاء كتلة عقائدية متحجرة ، اما القصد كما يحدده سعادته « فمنظمة عقائدية تفعل ادارة وسياسة وحرماً لتحقيق غايته » المنظمة العقائدية هي الحزب . هو حركة عقائدية منظمة عقائدية تفعل في شؤون الادارة والسياسة والقتال والحرب لتحقيق غايته ، اي انها ليست فئة متنسكة متصوفة فاذا قام في البلاد صراع مصير فالت هذا صراع تناحر لا دخل لي فيه بل انه حزب فاعل في الاحداث يناضل في سبيل تحقيق غايته ادارة وسياسة وحرماً . وثمة نقطة هامة جداً في هذا المنحى « ان دستور الحزب كما يقول سعادته وتشكيلاته كلها تدل على اتجاهه العملي مع تأمين اساسه العقدي » . هذه الجملة تحتاج الى دراسات على حدة كيف ان الدستور يخدم غاية الحزب كيف ان الدستور كما سبق لنا في مقدمة هذه الدروس ان ما يخدم نظام الحزب قصد كما يقول سعادته غرض صون هذه النهضة العجيبة وتمكينها من الصراع ضد القوى المتآمرة على الحزب في المجتمع قبل نهضته

وبعد بروز نهضته وبدء صراع القوى الرجعية المتحالفة مع الارادات الاجنبية ضد الحزب. وهذه كلها تدل على اتجاهه العملي وليس على انه انشئ ليكون كتلة عقائدية متحجرة مع تأمين اساسه العقائدي. وهذه مسألة مهمة جداً، يعني ان سعادته يصير على عقائدية حزبا، على اساسه العقائدي، بمعنى انه لا يمكن ان يصدر في مواقفه عن انتهازية سياسية بل عن منحى عقائدي سليم وعن اتجاه عقائدي واضح ولكنه لا ينسك العقيدة ويصومعها بل يطلق المؤمنين بها في حزبهم الفاعل ادارة وسياسة وحرماً لتغيير مجرى الاحداث وللتأثير في حياة المجتمع ومصيره.

اذا هدف الحزب ان يصبح « هذه المنظمة العقائدية الفاعلة ادارة وسياسة وحرماً لتحقيق غايته » وهذا شيء طبيعي. الحزب الذي يريد ان يجر سوريا الطبيعية ويوحدها ويفعل في الجبهة العربية لا يمكنه الا ان يفعل ادارة وسياسة وحرماً لأن هذه هي غايته التي يريد تحقيقها اي انه بطبيعة الغلية تحددت الوسائل ولكن قبل ذلك قبل مرحلة التحقيق ادارة وسياسة وحرماً لا بد من مرحلة التأسيس كما يقول الزعيم. ولكن تطبيق هذا التخطيط لم يكن ممكناً بمجرد ارادة المؤسس المخطط بل كان متوقفاً على تطور الحركة نحو تهيئة اسباب التطبيق وهذه التهيئة كانت تقتضي شروطاً معينة يحددها الزعيم. اذاً اكتمال مرحلة التأسيس والنمو كما يقول « لاحقاً في النص » التي هي مرحلة ارساخ العقيدة واكتساب العناصر الفاعلة على اساسها. اكتمال مرحلة التأسيس والنمو تجعل ممكناً الدخول في مرحلة التحقيق.

تستوفنا هذه التحليلات للزعيم كثيراً في متابعة مسيرة الحزب في السنوات اللاحقة سواء في السنوات الاخيرة حتى استشهاده وكيف ان الزعيم اتجه بالحزب في السنتين الاخيرتين بقيادته في الوطن قبل استشهاده الى مرحلة التحقيق ثم كيف ان الحزب في غياب الزعيم المعلم عاد فاتجه الى اجترار المراحل في بعض المراحل وهذه نقطة سنعالجها اي ان مرحلة التأسيس تكررت بعد استشهاده الزعيم في قمة مرحلة التحقيق يعني « سعادته قاد الحزب في 1949 الى مجابهة مع الانظمة وقاده الى مواقع اعلان سياسي واضح في سبيل تحقيق غاية الحزب وقاده في مراحل صراع فعلي ولكن الحزب عاد في مراحل التأسيس وكأنه يعزف عن مرحلة التحقيق بكل تبعاتها الخطيرة.

من هنا اهمية دراسة تاريخ الحزب ومن هنا اهمية دراسة قدوة سعادته بالتفصيل بمنهجية تعود الى نصوص منه والى افعال من قدوته وتحاول ان تكتنف الجوهر

والاساس دون التلهي بالشعارات والقشور لان دراسة هذه المسيرة وخاصة قدوة سعادته تحتاج الى منهجية سعادته بالذات لفهمها، المنهجية التي تنكب على الاصول والاسس وليس المنهجية اللفظية او الحرفية التي تجتزىء العبارات وتحاول ان تنقي مواقف العجز باجتزاء وتشويه العبارات. ان هذه المقارنة الواسعة للنصوص من سعادته حول رأيه من مسيرة الحزب حول رأيه في الظروف الموضوعية التي ادت الى تكون الحافز الذاتي عند سعادته لانشاء الحزب وتحديد غايته وطبيعته الصراعية، ثم قدوته الصراعية في قيادة نضال الحزب ثم تحديده الواضح لمراحل النضال الحزبي. ان العودة الى هذا النطاق الواسع من نصوص سعادته واجراء المقارنة المنهجية بينها لاستخلاص الحقائق والعبر الاساسية هو نهج سعادته وليس نهج الذي يجتزىء جملة من هنا وجملة من هناك دون تدبر النصوص في منهجية متكاملة مقارنة يعمل فيها العقل ويعمل فيها القياس على ضوء القواعد التي وضعها سعادته والتي لا تحتاج في مورد النص الى اجتهاد آملاً ان يكون في هذه المراجعة لمادة تاريخ الحزب منطلق لفهم أرسخ لحزبنا ومسيرته وطبيعته غايته.



وانقل من العدد 138 لجريدة البناء البيروتية تاريخ 17 تشرين الثاني 1973 هذا المقال للرفيق حنا الناشف عن الدستور تحت عنوان: «مدخل قانوني لدرس دستور الحزب»

مدخل قانوني لدرس دستور الحزب

ان اي درس مفصل للدستور الذي وضعه سعادته في 21 تشرين الثاني سنة 1937 وصنفته في 20 كانون الثاني سنة 1937 يتطلب انكباً طويلاً عليه، وجهداً هائلاً، ومجلداً كاملاً. اذ ان هذا الدستور، رغم صغر حجمه، هو رصف متين ومتكامل لكل بنيان الحزب ولكل اشكال السلطة فيه، ولكل العقيدة. بل ان اية محاولة جدية لدرسه سوف تقود المرء للتوقف عند كل سطر، وكل عبارة، بل كل كلمة، لأنه سيجد مواد حرية بالبحث والتنقيب، تقوده لمعرفة الحكمة التي وضعت من اجلها، والجدور التي تعود لها والمرامي البعيدة المقصودة منها. وهذا لعمري، امر يزداد صعوبة كلما ازداد الباحث تعمقاً في مواد هذا الدستور.

لذا نكتفي بهذا المدخل، العام جداً، وهو محاولة شديدة التواضع في درس دستور

الحزب.

لقد اعطى سعادته اهمية كبيرة للمؤسسات حتى اعتبرها من افضل اعماله بعد انشائه العقيدة. وبالتالي ان هذه الاهمية هي للدستور، لأنه بالنتيجة الاخيرة هو حصر لطبيعة هذه المؤسسات ولنطاق عملها ولنوعية نهجها لتأمين انتصار العقيدة. وذلك امر بديعي لان الدستور هو الرابطة القانونية الملزمة التي تضمن وحدة الجماعة، بل هو القالب والشكل الذي يضم هذه الجماعة ليطلقها في سبيل اهدافها. ولا يمكن التصور لحظة، ان اية جماعة يمكنها الاستمرار والبقاء دون ان تحكمها قواعد قانونية ملزمة لها، ترسم لها خط سيرها، ومعالم طريقها، وانماط تصرفها. اذ ان الرابطة الاجتماعية هي قبل كل شيء رابطة قانونية. الانسان يحيا في المجتمع، ولا يمكنه ان يحيا كإنسان إلا في المجتمع، ولا يمكن تصور استمرار ودوام اي مجتمع او أي تنظيم دون قواعد قانونية رئيسية توحد انطلاقته ونهجه وغاياته. لقد اصبح نتيجة للتطور الانساني، حق الفرد بالحرية لتنمية قواه المادية والعقلية والاخلاقية، ليس بدون حدود، بل ان الجماعة هي التي تصون هذا الحق، اذا حدثه ضمن حدود ارتضتها لنفسها لتتوصل الى حرية المجتمع التي هي الوجه الام والاكمل لحرية الفرد.

وما تجدر الاشارة اليه، هو ان كل دستور، اي دستور، يقتضي ان يتناول في مضمونه المبادئ العامة والقواعد الاولى لتنظيم الحكم وطرق ممارسته وبنائه واشكاله، وهذا بالطبع ما ضمنه سعادة للدستور، اضافة الى العقيدة السورية القومية الاجتماعية التي تبرز في المبادئ الاساسية والاصلاحية.

1 - ان سعادته في هذه المبادئ وحد قضية الشعب التي هي نهضته ووحدته وسيادته على ارضه القومية وأوجد الدواء لادوائه، واستنبط من قيمه الاجتماعية والاخلاقية والسياسية والفنية، واقعاً لا شك فيه، وعين له قضيته وحددها، وحفزه للدفاع عنها، مثيراً فيه احساساً عميقاً بكرامته وقوته، مفجراً فيه كل امكاناته وطاقاته، ملقياً له الضوء على كل مشاكل الحياة والكون، وموجداً له الحلول الواجب فرضها لتذليلها.

الفصل في موضوع السيادة.

٢٧٠ - لم يفت سعادته ان يفصل في موضوع السيادة التي تتضمنها كل الدساتير وتتوجه في مقدماتها، والتي كبدت العالم ثورات عدة ودماء كثيرة. فاذا بالسيادة عند

سعاده هي للامة. الامة هي السلطان الاعلى، ولا سلطان أعلى من سلطانه. السيادة هي لمجموع الشعب السوري التائق للحرية والحياة والتقدم على ارضه وفي وطنه. وبذلك الغى سعاده اي ادعاء فردي للادعاء بالسيادة. فلم يعد من الممكن لأحد من الافراد مها تطاول شأنه وعلا محتده ان يدعي تمثيل الشعب السوري او الكلام باسمه او التنازل عن حقه وقضيته. ان الذي يمثل الشعب السوري هو المعرب عن ارادته الحقيقية، والتي هي حقه بالحياة والحرية والتقدم والسيادة على ارضه القومية.

ان الذي يمثل الشعب السوري هو الذي يعبر عن ارادة الامة باثبات حقها بين الامم. هو الذي يعبر عن آمالها واحلامها وحقها بالحياة والتقدم. وبالتالي ان الذي حدد قضية امته السورية ووقف حياته ونفسه عليها، عاملاً لحياتها ورقمها وتحقيق قضيتها هو الذي يحق له تمثيلها، لأنه هو الذي يعبر عن ارادتها الحقيقية.

3 - اما النظام والسلطة عند سعاده فيختلفان جذرياً منه الى غيره.

قائد قوات الحزب الاعلى

عن النظام يقل سعاده في المادة 5 من الدستور ان نظام الحزب هو مركزي تسلسلي حسب الرتب والوظائف. واما عن السلطة فيقول في المادة 4 من الدستور انه هو قائد قوات الحزب الاعلى ومصدر السلطتين التشريعية والتنفيذية.

اختار النظام المركزي التسلسلي حتى يحصر المسؤولية وحتى لا يقع الحزب فريسة العنعنات والمحاكات الشخصية وليدة المناسبات والظروف والاحوال، وحتى تكون وحدة القيادة مثلاً على وحدة الأمة، وحتى تكون هناك وحدة قرارات ووحدة اجراءات ووحدة مفاهيم قطعاً لداير البلبلة والتشكيك، وحتى يكون مرجع القوميين واحد في كل الكيانات السورية، كما هي قضيتهم واحدة. واذا كانت بعض الانتقادات توجه الى المركزية عامة بشأن عدم سرعة التنفيذ، وعدم معرفة القائد والممامه الماماً شاملاً بأحوال المناطق حالبعيدة واحتياجاتها، فان هذه الانتقادات لا تطال النظام الذي وضعه سعاده لأن التسلسلية في هذا النظام، وخاصة التنفيذية منها جديرة ان تغطي مثل هكذا ثغرات، والواقع العملي خلال مسيرة الحزب الطويلة اثبت ذلك بما لا يقبل الشك.

لماذا مصدر السلطين؟

ولجهة قوله بأنه مصدر السلطين التشريعية والتنفيذية، فإن ذلك كان انطلاقاً من العقد الذي نظمته مع القوميين الاجتماعيين، باعتباره صاحب الدعوة الى القومية السورية الاجتماعية، وباعتبار الحزب قد انشئ لغاية تحقيق مقاصد الامة وانتصار قضيتها، والقوميين الاجتماعيين الذين تعاقدوا معه وآمنوا بالقضية اصبحوا يشكلون جسم هذا الحزب الواعي للقضية والمتقدم بوعيه، فان الزعيم، بهذا المنحى، اصبح معبراً عن آلام الامة وآمالها واحلامها ومراميتها وأصبح بصفته هذه مصدر السلطين التشريعية والتنفيذية في الحزب.

تأسيساً على ما تقدم يتضح بأن الدستور لم يأخذ بفصل السلطات، بل جمع كل السلطات في شخص الزعيم.

الا ان فصل السلطات يأتي مكانه وزمانه عند حيولة أي مانع طبيعي دائم دون ممارسة الزعيم لسلطانه. عندئذ يأخذ الدستور بفصل السلطات، فتكون السلطة التنفيذية لرئيس الحزب، وتحتصر السلطة التشريعية من دستورية وغير دستورية بالمجلس الاعلى (المادة 12). وهنا يتضح ان الدستور انفك عن المركزية الصارمة المحصورة بشخص الزعيم في الدرجة الاخيرة ليأخذ بمركزية محصورة بقيادة متعددة الاشخاص متوزعة السلطين. ولا ريب ان في ذلك حكمة جلية هي ايجاد التوازن بين السلطين بعد غياب الزعيم، فلا تنفرد السلطة التنفيذية باجراءات ليست من اختصاصها، ولا تجتذب صلاحيات ليست لها، وايضاً ينسحب هذا القول على السلطة التشريعية باجماله.

قدمنا ان السلطة حصرت بموجب الدستور بشخص الزعيم، ولكن الزعيم بالذات اوجد في الدستور ضوابط لهذه السلطة وذلك يتوضح من القسم الذي اداه في مقدمة الدستور وهو ان يكون اميناً للمبادئ التي اصبحت تكون قضية الحزب ولغاية الحزب واهدافه، وان يستعمل سلطة الزعامة وقوتها وصلاحياتها في سبيل فلاح الحزب وتحقيق قضيته، وان لا يستعمل سلطة الزعامة الا من اجل القضية القومية الاجتماعية ومصصلحة الامة. وما تجدر الاشارة اليه هو ان مقدمة الدستور تعتبر جزءاً لا يتجزأ منه.

كما يتوضح ذلك أيضاً من انشائه ادارات تنفيذية حو مجالس استشارية تنفيذية وتشريعية وهيئات اقتصادية لتعاونه في ادارة الحزب وخدمة القضية القومية الاجتماعية

التي نشأ من اجلها (المادة 6). علماً بأن هذه الادارات المنشأة كان لها حق القرار في الشؤون المحلية، وحتى في الشؤون المركزية اخص منها بالذكر حق المجلس الاعلى بتعديل الدستور (المادة 10). والمجلس الذي يعطى هكذا حقاً خطيراً هو تعديل الدستور، اي القانون الاساسي الذي بني عليه الحزب، لا يمكن الاستهانة بحقوقه التقريرية والتشريعية حتى اثناء وجود الزعيم. وبهذا تسقط سقوطاً بائساً بعض الادعاءات المتوترة التي يطلقها بين الحين والحين بعض جهابذة الساقطين من ان الزعيم كان متفرداً في ممارسته للسلطة.

انه لمن الواضح ان الزعيم في اختياره للنظام المركزي ولحصر السلطات كان يرمي الى تأمين الحد الاقصى من الانضباطية والمقدرة على اتخاذ القرار المناسب في السرعة القصوى، والقابل للتنفيذ بنفس هذه السرعة. والى ايجاد انسان جديد تخلص من مثالب قرون الاخطاط وقيمها الفاسدة، ليطلقه في مجتمعه طاقة جديدة خلاقة مؤمنة مصارعة مترعة بالقيم الحقيقية لهذا المجتمع، ليحقق في هذا المجتمع وله انتصار قضيته وتقدمه وفلاحه.

ان نظرة سريعة على تنظيم المؤسسات المنشأة بموجب الدستور تظهر ان سعاد كان يعمل في انشائه الوحدات الحزبية في الاحياء والنواحي والقرى لايجاد الشكل الاكثر انضماماً فيها. أي ان هذه الوحدة هي بعرفه النواة الحية الدينامية المركزة، التي تصب فيها كل شرايين الحي او الناحية او القرية، لتعيدها اليها دماً نقياً حياً، فاعلا، دينامياً.

وكما الوحدات في الاحياء والنواحي والقرى، فكذلك الوحدة في المنطقة، فهي الشكل الاكثر انضماماً، الواحد في قيادته، السريع في حركته، الواعي في تخطيطه، الصاعق في تنفيذه. وكذلك تصاعدياً حتى الوصول الى اعلى القمة، حيث الزعيم هو الشكل الاعلى من اشكال التنظيم، او اعلى درجة في سلمه، هو الشكل الاكثر انضماماً، الذي تصب فيه كل الاشكال المنضمة السابقة. فتتأمن بكل ذلك بشكل اسطوري، صحة التخطيط، سرعة اتخاذ القرار، سرعة الحركة وسرعة التنفيذ.

لا انتخاب في الشؤون التنفيذية

وعن الانتخاب وممارسة الديمقراطية، فيبدو ان سعاد في الدستور لم يأخذ

بالانتخاب عندما يكون الامر متعلقاً بالشؤون التنفيذية، ان على صعيد المناطق، او على الصعيد المركزي، بل ان كل من يتولى شؤوناً تنفيذية كان يعين تعييناً ان من قبل الزعيم، او من قبل المجالس التنفيذية او اعضائها المختصين، وقد اوجد صيغاً لكل ذلك في الدستور.

اما عندما يتعلق الأمر بموضوع تشريعي او استشاري، فقد اخذ سعادته في دستوره بحق الانتخاب. فأعطى لجنة المديرية التي مهمتها التعاون واعطاء المشورة في شؤون كثيرة هيئة المديرية (المادة 3 من المرسوم عدد 4) كما اعطاهم حق الانتخاب لمجلس التنفيذية وهو مجلس تمثيلي استشاري له صفة تشريعية في الضرائب المالية المحلية ويعنى بدرس شؤون المنطقة الحزبية والسياسية ودرس مشاريع وتدابير سياسية ومالية واجتماعية واقتصادية (المواد 9 و 10 و 11 من المرسوم عدد 4).

وما عدا ذلك فلم يأخذ الدستور بحق الانتخاب على كافة المستويات. الا انه يتبين في المادة 11 من الدستور ان سعادته أخذ بحق الانتخاب عند حلوله أي مانع طبيعي دائم دون ممارسته لسلطاته عندما اعطى المجلس الاعلى حق انتخاب رئيس للحزب خلفاً له، ومن المعلوم ان رئيس الحزب هو رئيس السلطة التنفيذية. فكيف يمكن التوفيق بين رفض الدستور للانتخاب عندما يتعلق الأمر بالسلطة التنفيذية، وبين نص المادة 11 من الدستور والقول بانتخاب رئيس للحزب بعد غياب الزعيم؟ لا يمكن الجزم ان سعادته اطلق في الدستور حق الانتخاب بعد غيابه، لأن المجلس الاعلى ليس شخصاً واحداً ليتمكن من تعيين رئيس للحزب، وبالتالي ان حق الانتخاب اصبح مفروضاً حكماً، ولا يمكن استبداله بأية طريقة اخرى.

لا ريب ان سعادته عند اختياره في الدستور مبدأ التعيين لاعضاء السلطة التنفيذية، كان ينطلق من معطية محددة، وهي ان ادوات الحزب التنفيذية، وبالتالي وجهه على مدى الأمة والعالم، يقتضي ان تكون موثوقة وواعية، وليس اقدر من المسؤول على تقدير وعيها وما اذا كانت محللاً للثقة، فترك أمر تعيينها له او لغيره من المسؤولين مخافة ان تتسلل العلاقات الشخصية والاهواء في انتخابهم فينزلون بالحزب وهم وجهه المباشر اذع الاضرار.

ومن الملاحظ ان سعادته في انشائه لهذه الوحدات في الاحياء والنواحي والقرى والمناطق، وفي انشائه للجنة المديرية ومجلس التنفيذية، وفي تحديد صلاحيات الوحدات

التنفيذية، وصلاحيات الوحدات الاستشارية والتشريعية، كان يرمي الى جعل هذه الوحدات خلايا حية في المناطق تعيش شؤون وشجون مناطقها وتبادر الى حل مشاكلها والى ايجاد نوع من اللحمة المتينة بينها وبين الشعب لتكون هي رائدته وهي قائده في كل منطقة، نحو مصلحته وارتقائه وعزته وحياته الحقيقية.

حقوق العضو: الحرية

5 - اما حقوق العضو وحريته فيتبين من الدستور انه يكفلها بشكل مثالي ورائع ومنضبط.

في المادة 8 منه تحديد واضح لحقوق العضو في الحزب، ويتوضح انه ليس هناك تقييد لحقوق العضو او حد منها، سوى بالقدر الذي تكون فيه هذه الحقوق مضرة بالنظام وبالتالي، تصاعديا، بالمجتمع.

للعضو بموجب هذه المادة حق ابداء الرأي:

1 - في الاجتماعات النظامية والخاصة في كل ما يتعلق بغرض الاجتماع وحين يباح الكلام.

2 - لأي مرجع اعلى او للزعيم في كل ما يتعلق بشؤون الحزب الادارية، على ان يأتي الرأي رسميا وبواسطة التسلسل.

3 - للمراجع والهيئات المختصة رأساً في خطط الحزب السياسية والاقتصادية.

وللعضو ايضاً بموجب نفس المادة حق الاتصال كتابة او شخصياً بالمراجع العليا وبالزعيم.

ومجمل القول ان حق ابداء الرأي في كل الشؤون ومع كل المسؤولين حتى الزعيم هو مؤمن، على اطلاقه، وانما حددت له الاشكال التي تصون النظام، والتي تجعل الرأي منتجاً وفعالاً. وبالتالي ان اي ابداء للرأي خارج هذه الاشكال المحددة بشكل مثالي، يكون خارج نطاق النظام، وتمادياً باستعمال الحق، وانزلاً للضرر بالحركة، ولا طائل منه.

6 - وعن حرية العضو، يظهر بجلاء من الرجوع الى المقدمة ان الحرية واضحة عند اقبال العضو الى الدعوة، فهو بمحض ارادته واختياره اقبل دون اي اكراه او الزام،

وتعاقد مع الزعيم، ورتب هو على نفسه بمحض رضاه مسؤولية هذا التعاقد والنتائج المتأتية منه. وان أي تعاقد يحمل في طياته حقوقاً وواجبات.

الحقوق كما اوضحنا سابقاً هي على الزعيم، اما الواجبات فهي على العضو، وان اي موجب يلتزم به المرء يرتب عليه التنازل عن بعض حريته لانفاذه. وبالتالي ان التزام العضو بغاية الحزب ومبادئه يعني تنازلاً منه عن بعض حريته وحقوقه الفردية، في سبيل حرية المجتمع وحقه بالحياة. بل ان الحرية الفردية في اي مجتمع هي محدودة بمصلحة هذا المجتمع وعدم تعارضها مع غيرها. وطالما ان الانسان ولد اجتماعياً وهو اجتماعي وسيبقى اجتماعياً، فستبقى حريته رهناً باجتماعيته وبالتزامه الاجتماعي، وستكون حريته الاكبر والارحب والاشمل هي حرية مجتمعه الذي هو عنصر عضوي فيه.

دستور غير مرن

7 - يبقى اخيراً ان نحدد نوعية هذا الدستور. فهو يقع بالطبع ضمن ترتيب الدساتير المكتوبة، اذ ان هناك بعض الدساتير غير المكتوبة. وهو قابل للتعديل فالمادة 10 منه تنص على تعديله، انما لم تبين كيفية تعديله. ولكن على الارجح نظراً للاهمية التي اعطاها سعادته للدستور، ان تعديله كان يتطلب شروطاً استثنائية خلافاً لأي قانون او قرار عادي، وبالتالي فهو يصنف ضمن الدساتير غير المرنة.

ان الدساتير، بالاجمال، هي من الصنف المذكور اعلاه، لأن ذلك يكسبها هالة من الاحترام، ويمنحها تفوقاً سياسياً على غيرها من القوانين، ويضمن بقاءها دون مس، الا ما تقتضيه الظروف الملحة والماسة طبقاً للتطور الاجتماعي. وان اعطاء الدستور هذه المرتبة من القيمة، ليس وليد الصدفة، بل هو نتيجة لعناية الشعوب، ولصراعها وبذاتها، لأن الدستور هو الميثاق الاساسي بين الشعوب والحكم، وكما هو في الدول فكذلك في الاحزاب، ان الدستور هو قانون الحزب الاساسي، وهو الميثاق بين سعادته والقوميين وكونه اتى مكتوباً وغير مرن هو من الحسنات التي تضاف الى الحسنات الكثيرة في هذا الدستور.

لا ريب ان في هذه الوريقات القليلة كنوزاً كثيرة تنتظر من يميّط عنها اللثام.

اوليفر وقضية فلسطين .

في الكلام على مؤتمر بلودان ذكرت ان السيد دانيال اوليفر كان حاضرا على انه مراسل جريدة « نيوز اوف ذي وورلد » (News of the World) اللندنية وهو صحيح ، الا ان السيد اوليفر له تعريفات اخرى وما مراسلته او بالاحرى مكاتبته لتلك الجريدة الا موقته . فهو لم يكن معيّنًا تعيينا من قبل ادارتها براتب او مكافأة مادية ولكنه تدخل في الصراع العربي اليهودي بدافع وتكليف من جمعية « الفرندز » (الاصدقاء) التي كانت ترعى ثلاث مدارس معروفة جيدا في بلادنا هي مدرسة رام الله في فلسطين ومدرسة برمانا العالية في برمانا وقد مرّ ذكرها في المجلد الاول صفحة 37 ومدرسة رأس المتن العالية التي كانت ميثمًا يضم حوالي 200 طالب وطالبة . وللمدارس الثلاث هذه صيت عطر : الاولى مازالت حتى تحت الاحتلال الاسرائيلي تقوم بتأدية رسالة نهضوية شاملة والثانية تعد من ارقى الثانويات في لبنان . اما المدرسة - الميثم في رأس المتن التي شيدت على بقايا احدى السرايات الممعة فقد انتهت رسالتها بوفاة السيد اوليفر (1952) ، وكانت حقا سائرة في عملها بتوفير الغذاء والكساء والسكن والعلم لطلابها الوافدين من مختلف انحاء سورية الطبيعية . واخيرا علمنا ان السيد نجيب صالحه احد اوائل خريجيها قد اشتراها قبل وفاته واصبحت ملكه وهو ايضا من رأس المتن . وهنا نسجل ان الجمعية المشار اليها كانت قد اصررت على اوليفر ان يطلق اسمه عليها وبعد طول الالحاح سميت « ميام دانيال واميلي اوليفر » بدلا من « اعمال الاغاثة والميام التابعة للفرنذز » .

وهنا اسمح لنفسي بأن اعرف السيد اوليفر في اول نشأته وعمله في سورية ولو بلمحة خاطفة تمهيدية . فقد جاء هذه البلاد في اواخر القرن التاسع عشر وحل في برمانا مبعوثا من كنيسة سكوتلندا المشيخية . وهناك التقى الأنسة اميلي (Wright) وهي تنتمي الى جماعة « الفرندز » فاقترن بها وانضم الى الجماعة وانتقل الى رأس المتن ليسكنها مدى الحياة . وكان قد تعلم العربية وسمعناه مرارا يخطب فيها كما انه كان يعتبر كتاب « كليلة ودمنة » اروع كتاب في الادب العربي .

وعندما كتب جبران مقالته الشهيرة « مات اهلي » كان اوليفر يهوس رمال بيروت بين هؤلاء « الاهل » ينقذ حياتهم بقدر المستطاع في ظروف الحرب العالمية الاولى حتى

انه قال لي مرة: « كنا نهم بالاولاد لاننا ايقنا ان لا قدرة لنا على اعالة كل محتاج والجثث تملأ الرحب ».

مع ذلك لم يسلم اوليثر من المخاطر، فقد سعى به احدهم لدى السلطات التركية، فاعتقل في سجن بعهدا بضعة اشهر كتب في اثنائها رسالة الى جمال باشا وشدد فيها على القول « ان من لا يفهم معنى العمل المجرد عن كل مصلحة (Disinterested Work) لا يفهم معنى وجودي في هذا البلد وقد ينسبه، حسب العادة، الى اغراض مجافية لحقيقة رسالتنا واهداف جمعيتنا. نحن نعمل هنا لرفع سوية البلاد بالعلم والاسعاف والمساعدة المادية للمعوزين... » فزاره جمال باشا في السجن، وبادره بالقول: كيف ترى السجن؟ فاجابه اوليثر قائلا: اخطاء كثيرة ترتكب في ايام الحرب. فقال الباشا وهل اعتقالك خطأ. فاجاب اوليثر: كل الخطأ ولكني اتغاضى عنه ما دام الامر بين يديك. فرد الباشا قائلا: كيف يمكن الافراج عنك والاسطول البريطاني يقترب من ميناء اسكندرونه لضربها من البحر؟ فطلب اوليثر منه وسيلة للاتصال بقائد الاسطول فدفع اليه بلاسكي. فخطب اوليثر القائد قائلا اذا ضربتم الاسكندرونه فانكم تعرضون حياة المئات من البريطانيين والاجانب في هذه البلاد لخطر الموت. وللحال انكفأ الاسطول البريطاني ونجت الاسكندرونه من الدمار، وافرج جمال باشا عن اوليثر وعاد هذا الى رأس المتن لاستئناف عمله الانساني في توفير الغذاء والكساء والسكن والعلم للمئات من الايتام وللمحتاجين من مختلف انحاء البلاد الى ان وافته المنون في 11 تشرين الثاني سنة 1952 عن 82 عاما ودفن في رأس المتن، مشيئا رسميا ومدنيا كأحد اكبر المشايخ في جبل لبنان. وبعد سنة توفيت قرينته ايضا ودفنت في مقبرة العائلة.

ننتقل الآن بعد هذه المقدمة الى سنة 1936 عندما هبت فلسطين للثورة على سياسة الانتداب البريطاني واستفحال الهجرة اليهودية، واخذت شرارتها تتسع فما كان من اوليثر الا ان اخذ يرتاد فلسطين ويقابل رجالاتها بدءاً باللجنة العربية العليا برئاسة الحاج امين الحسيني وسواهم من الفعاليات مرورا برجال السلطة المنتدبة كالمفوض السامي البريطاني ومن دونه وبعض اليهود الذين كانوا معتبرين معتدلين كالدكتور ماغنس رئيس الجامعة العبرية الذي قضى لخبه مهانا من قبل الصهاينة.

ان كاتب هذه السطور انتسب الى مدرسة اوليثر سنة 1927 تلميذا وتخرج فيها على ايدي عدد من خيرة الاساتذة والمربين، وعمل فيها معلما ومسؤولا عن الانضباط

من سنة 1932 الى حزيران سنة 1939 حين انتقل للدراسة في الجامعة الاميركية في بيروت وفي ذلك الصيف اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية. في هذه الفترة شاهد الكثيرين من رجالات الفكر والسياسة والوجاهة يؤمون دار اوليثر ويطلعون على سير العمل في المعهد فتعرفنا بشخصيات بارزة كالدوامد احد نامي بك والمفتي الشيخ محمد توفيق خالد والشيخ مصطفى الغلاييني والسادة احمد دمشقية وخيري الكعكي صاحب جريدة الشرق، وجميل بيهم وحرمة الادبية المفكرة نازك العابد والاستاذ عبدالرحيم قليلات فضلا عن رجال الدولة والنواب والصحفيين من معظم الجرائد السيارة وخاصة في المواسم الانتخابية. كان الزوار يطوفون على الصفوف ويطلعون على مستوى التعليم فيخرجون معجبين شاكرين. ومن تلك المناسبات الزيارة الدعائية التي قام بها البطريك عريضة سنة 1936 لرأس المتن ومركزها آنثذ معهد السيد اوليثر وذلك عندما اشتد الصراع بين غبطته والمفوض السامي الفرنسي، اذ ان هذا اعتزم ان ينشئ شركة حصر التبغ في لبنان، وكان اصحاب معامل التبغ والمزارعون يفضلون بقاء تجارة التبغ حرة، فأزهم البطريك عريضة واشتد الصراع بين الارادتين. فتحرك البطريك وشمل في زيارته جميع الطوائف اللبنانية. وفي اثناء الاحتفال الحاشد في معهد اوليثر القى الاستاذ اديب الغرزوزي قصيدة رائعة.

انظر القصيدة بكاملها في ديوان اديب الغرزوزي. الجزء الاول 1985 .

وقبل اختتام الاحتفال القى غبطة البطريك مار انطون بطرس عريضة كلمة افتتحها بما يلي : قال :

« من الناس من يعملون الخير لانفسهم، فلهم شكر لانهم تمموا واجبا طبيعيا. ومن الناس من يعملون الخير لانفسهم ولغيرهم فلهم شكران لانهم حملوا انفسهم عبثا مضاعفا. ومن الناس من يعملون الخير للغير فقط ولا ينتظرون شكرا من احد بل يندفعون في خدمة الناس اكراما لوجه الله تعالى بدافع من العطف والرفق والانسانية طبقا للآية « مغبوط هو العطاء اكثر من الأخذ ». والمثال الحي على هذا الصنف المتخلي بنكران الذات المستر دانيال اوليثر وقرينته الفاضلة اللذان تركا بلادها وصمما على العيش بيننا وهما يعملان ويشقيان لاسعاد الفقير والمحتاج في بلادنا، فكانا ابوين لمن حُرِّم حنان الابوين وعطفها... » والباقي من الخطبة يجري على هذا المنوال، وقد شكر

غبطته حشود الاهلين الذين قدموا بالآئات لاستقباله والترحيب به مؤيدين وقفته الوطنية الرائعة وباركهم.

ولعل هذه الاحداث المتواليه كانت الحافز لاستاذي اديب الغرزوزي لان يفكر في اصدار جريدة فوضعت نفسي تحت تصرفه كتابة وتحريراً وتعريباً. وفي اواخر تشرين الثاني 1936 صدر العدد الاول من اسبوعية « منارة الشرق » جريدة « سياسية علمية ادبية مطبوعة اولاً في مطبعة الاستاذ فريد المدور برأس بيروت، وقد لاقت انتشاراً لا بأس به وخاصة بين عليه القوم في لبنان وفلسطين. وقد افسحنا المجال فيها واسعا لقضية فلسطين. وفي ذلك الوقت رأيت وسمعت وقرأت وكتبت وترجعت الكثير عن هذه القضية والطور الذي بلغته واساليب تداولها ووطنيا وعالميا. اما اوليفر فتزايد نشاطه وذاع صيته باعتباره وسيطاً خبير وكابح للسياسة المعادية للعرب. ومن نشاطاته البارزة:

1 - تأليب جمعية الفرندز في اميركا وبريطانيا لكبح الجراح الاعلامي اليهودي المعادي للعرب او على الاقل لاسماع صوت متعقل يقي بريطانيا وسياستها من التهور.

2 - انشاء رابطة «اصدقاء العرب في البرلمان البريطاني». وقد اسهمت الجمعية في ذلك بنشاط قل نظيره حتى انه لما حكم على شابين نابلسيين بالاعدام على ان يتم التنفيذ في شهر رمضان المبارك قامت قيامة اوليفر وجمعية الفرندز استفظاعاً. وتحرك اثر ذلك اصدقاء العرب وتناولوا القضية بجديّة وإيمان وخاصة ان الشابين اللذين قاما بعمل فدائي جريه هما دون السن القانونية. وبعد اتصالات عديدة رأيت المستر اوليفر متهللاً فدفع اليّ برسالة قال لي انها ليست للنشر. فاذا هي رسالة من «اللايدي استور» قرينة اللورد استور المشهورة وفيها العبارة التالية ومفادها «اننا لن نذخر وسعاً لانقاذ ولديك النابلسيين» (We shall leave no stone unturned until we save your two Nablus boys) والمعروف ان احكام القضاء البريطاني صارمة ولا تحتل المساومة، غير ان ثمة مخارج ومتنفسات للحساس منها ولاسما ما يتعلق بالمصالح العليا. ومن هذه المخارج ان اصدقاء العرب اقنعوا الحكومة البريطانية آنئذ (برئاسة تشامبرلن) ان ترفع قضية اعدام الفتين النابلسيين الي «مجلس الملك الخاص»، فاسفر هذا الجهد عن وقف قرار المحكمة وانقاذها من الموت المحتم.

ولا بد من القول هنا ان الدكتور خليل طوطح رئيس مدرسة الفرندز في رام الله كان معنا فعلا للمستتر اوليثر في جميع هذه الاعمال وكنت انا شاهدا على ذلك واستطيع القول اني كنت ايضاً فاعلاً ومؤشراً فيه وفي مجراه من خلال عملي الصحفي الذي زاولته طليق العنان من سنة 1936 حتى 1939 عندما تركت رأس المتن والتحتت بالجامعة الاميركية وكان من بين المساعدين الفاعلين الاستاذ « صولتو » من الجامعة الاميركية في بيروت وهو ايضاً من « الفرندز ».

3 - انشاء صداقات مع رجالات فلسطين والاردن ومتابعة الاتصال بهم شخصياً .
وفي هذه الاثناء شاع امر اوليثر في الاوساط والصحف العربية والبريطانية فتهافتت هذه على الطلب اليه ان يرسلها فقبل ان يوافي جريدة « اخبار العالم » (News of the World) بتحرركانه وآرائه واستنتاجاته . ومن هذه التحركات زيارته السرية لقائد الثورة الفلسطينية المسلحة المرحوم عبدالرحيم الحاج محمد . فقد جرى ترتيب المقابلة وذهب اوليثر الى فلسطين بسرية تامة . وقد نشر خبر المقابلة مع القائد الثائر في الجريدة البريطانية المذكورة ونقلته انا الى العربية منها . ولا بأس ان اورد هنا شيئاً مما لم يزل عالقا في ذهني من تلك الحادثة المدوية .

بعد ان يصف الكاتب نقله على فرس بحراسة مسلحة الى احدى التلال المحرّجة وقضائه بضع ساعات على الطريق الوعرة يصل الى اكناف معسكر فيلتقيه القائد عبدالرحيم الحاج محمد على الرحب والسعة ويجري بينها حديث طويل متشعب عن اهداف الثورة واساليب العمل الفدائي وامكانية الحل السلمي وبعد تناول الغداء في خيمة القائد المتواضعة اذا بالمؤذن يدعو المجاهدين الى صلاة العصر . ويقول اوليثر عندما شاهد المئات منهم ينكبون على الصلاة بركة آلية ويجثون امام الله بتواضع المؤمن الحقيقي . « كلاً . هؤلاء الثوار ليسوا قتلة ولا مجرمين . انهم قديسون يناضلون ويكافحون الظلم اللاحق بشعبهم من جراء السياسة المتحيزة التي جلبت عليهم النكبات والتشريد وعلى ارضهم وموارد رزقهم الضياع والوار . » - هذا ما يحضرنى من هذا المقال وهو بيت القصيد الذي يلقي ضوءاً ساطعاً على رحابة التفكير التي كان يتمتع بها موضوع كلامنا .

كان لهذا الوصف في جريدة بريطانية واسعة الانتشار صدى بعيد في الاوساط البريطانية . فاستدعت جمعية الفرندز المستر اوليثر لزيارة بريطانيا ومقابلة ذوي الحل

والربط وبسط القضية لديهم مباشرة. فسافر الى بريطانيا بحرا في ذلك الحين وعند وصوله الى جبل طارق تحلق حوله الصحفيون وامطروه بوابل من الاسئلة. واذكر ان لبّ حديثه تمحور حول هذه العبارة التي تصدرت الصفحات الاولى في الصحف آنذاك قال:

« ثلاث كلمات تجلب الامن والسلام الى فلسطين وهي: تشامبرلن، تشامبرلن، تشامبرلن ». وذلك تدليلا على ما كان هذا السياسي يمثل من مرونة وسلطة للاستفادة منه في وضع حد لدلال الوكالة اليهودية ونشاط الصهيونية في حفر هوة عميقة بين بريطانيا والعرب.

4 - كان اوليثر كالملايين في ذلك الزمن مولعا بالمهاثما غاندي فكاتبه بحيا نضاله اللاعنفي فاجابه غاندي برسالة بسيطة لخص فيها توجهه. وقد نشرنا صورة رسالة غاندي بخط يده على غلاف « منارة الشرق ». كذلك قام بزيارة هامة الى جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود الذي استقبله بحفاوة نادرة وعاد اوليثر بعدها فخورا بالعباءة والساعة اللتين اهداه اياها العاهل السعودي.

5 - ومما يذكر من وثوق العلائق بين اوليثر واقطاب ذلك الزمن في فلسطين والاردن ان الابواب كانت مفتوحة له للاتصال بالملك عبدالله والمفوض السامي البريطاني وغيرها من البارزين حتى ان بعض وجوه فلسطين والاردن ارسلوا اولادهم للتعلم في مدرسة اوليثر برأس المتن. ومن هؤلاء التلاميذ اذكر بعض أسرهم: المفطر، الجاعوني، الانصاري - واخيرا وليس آخرا نواش الفايز واخاه عاكف ولذي مثقال باشا الفايز شيخ مشايخ بني صخر. وعاكف الفايز هذا هو الآن رئيس البرلمان الاردني.

ارجو المذرة من القارئ اذا ما حصل تقديم او تأخير في مجرى الاحداث التي سردتها لأنني استمد ذلك من الذاكرة وقد نيفت الآن على السبعين من عمري وليس لدي مراجع اركان اليها فمجلة « منارة الشرق » مفقودة اعدادها. وان امكن وجودها او وجود بعضها في مكان ما فان الظروف الحالية لا تساعد على تقصيها. غير ان ما رويته كله حق وقد جرى بعلمي ومعرفتي واطلاحي الشخصي. ففي رأس المتن كنت معلما ومربيا بالاضافة الى تطوعي للتحرير والكتابة والترجمة في المجلة المذكورة.

كذلك اضيف اني سرت في هذه الطريق بدافع يقظتي القومية العفوية غير متطلع الى
البروز والوجاهة او الفائدة المادية اطلاقا حتى اني لم اكن اعبأ بذلك . وبعد تركي رأس
المتن في صيف 1939 انتقلت الى برمانا والتحقمت بالدورة الصيفية التي كانت الجامعة
الاميركية تقيمها هناك . وفي آخر ايلول نشبت الحرب العالمية الثانية فانطوت صفحة
من حياتي وفتحت صفحة جديدة ولم اعد اعرف شيئا عن اوليئر حتى نهاية الحرب اذ
التقيته ذاهبا الى مستشفى الجامعة الاميركية ليعود صديقا له مريضا فسرت معه وبعد
التحيات طرحت عليه سؤالا : قلت : لقد انتهت الحرب الآن مع النازية وهتلر ، فإذا
يمكن ان ننتظر بعد ذلك فقال : « استعدادا للحرب القادمة » . وقبل ان يدخل ودعته
وانصرفت لطريقي . بعدئذ جرت احداث مؤلمة انتقلت على اثرها الى دمشق حيث اقممت
سنة اعوام وهناك سمعت ان السيد اوليئر قد لاقى وجه ربه في 11 تشرين الثاني
1952 ودفن في مقبرة العائلة غربي البلدة التي احبها حتى التفاني . وبعد عام توفيت
قربنته ايضا . وللمناسبة اعتقد ان معظم من ذكرتهم من اشخاص في سياق حديثي قد
فارقوا هذه الحياة .

وان كان لي من كلمة اختم بها هذه الذكريات فهي اني حاولت ما استطعت عدم
الايغال في الجوانب المضيئة الاخرى من حياة اوليئر وحصرت كلامي في دوره
المشرف والمشرق في نصح دولته بريطانيا بان تلتزم جادة العدل والاعتدال في التصرف
بين العرب واليهود في فلسطين . وقد كانا ولا واخيرا رئيس مدرسة خرّجت العديدين
ممن اصبحوا في ما بعد اعلاما يشار اليهم بالبنان في ميادين الحياة كافة . وقد ركز في
تعاليمه وادارته على حرية الفكر والمعتقد ونبذ الخرافات والشعوذات والابتدال في
الدين والدنيا .

عادل ابراهيم يعقوب

بيروت في 15 اذار 1986

من الظلمة الى النور

ومن كتاب « الصراع الفكري في الادب السوري » انقل هذا القسم من فصل « من الظلمة الى النور » لالقي الضوء على نتاج سعيد عقل في ميزان « ادب الكتب وادب الحياة ».

« بعد ظهور امر الحزب السوري القومي الاجتماعي وحصول الاختبارات الواسعة لاهمية عقيدته وتعاليمه القومية الاجتماعية التي تفتح عهدا وتاريخا جديدين وتجلب نظرة الى الحياة والكون والفن جديدة، ووضوح عظم المهمة التي يقوم بها هذا الحزب قال لي الامين جورج عبد المسيح. وهو من رجال المجلس الاعلى ومن اشد رجال الحزب اخلاصا واقداما ومن خطباء الحركة القومية الاجتماعية وكتابها واداريها:

« لو كنت قوميا قبل ابتدائي دروسي النهائية، اذن لكنت استفدت من دروسي اكثر كثيرا مما استفدت، اذ كنت عرفت كيف يجب ان ادرس - واظن اني اعبر عن رأي غيري ايضا. »

الامين عبد المسيح كان طالبا في الدائرة الاقتصادية في الجامعة الاميركانية. وكان في السنة النهائية حين قبل فكرة القومية الاجتماعية. ولم يستوعب اهميتها ويفهم خطرها وبعد مراميها وقضاياها الا بعد ان اجتازت هذه الفكرة مرحلة واختمرت بالاختبار والشروح ومعالجة المسائل التي اعترضت نشوءها ونموها. وكان لدروسه المدرسية نصيب في شغله عن درس موضوع التعاليم الجديدة، فانهى دروسه على اساس النظرة الفردية اللاقومية الرامية الى النجاح الفردي البحت بلا مبالاة بشيء اخر. ولكنه بعد ان سار شوطا في الحركة القومية الاجتماعية اخذ يستعيد بعض النظرات ويدقق فيها وصار يفهمها فيها جديدا.

لم يكن الامين عبد المسيح وحيدا في هذا الشعور. فالامين فخري معلوف ترك الاشتغال في بواطن النجوم بعد ان صُحت به: « اتشتغل بفحص بواطن النجوم وانت لاتدري لمن تكون الارض التي تحت قدميك غدا؟ ». وبعد ان استوعب الفكرة القومية الاجتماعية قال لي مرة « الآن صرنا نفهم مقالاتك في المجلة » وهي المقالات التي كتبتها لاعداد « المجلة » التي استأنفت اصدارها في بيروت سنة 1933 ولم يصدر منها سوى اربعة اعداد، اذ اضطرت لايقافها من اجل صرف كل عنايتي الى تنظيم الحركة

القومية التي كانت تحتاج الى انشاء وتأسيس كل امر من امورها، اذ لم يكن قبلها اي شيء اداري او اجتماعي او سياسي او ثقافي او دستوري او مناقبي يصح اعتماده لنوع هذه الحركة الجديدة.

مثل قولي الامين عبد المسيح والامين معلوف سمعت من غيرهما. والامين فخري معلوف غير اتجاه دروسه فدرس بعض الاقتصاديات والسياسة وهو يعلم في الجامعة ثم انتقل الى الفلسفة فتخصص فيها وقد عرف، على ضوء النهضة القومية الاجتماعية، ما يدرس وكيف يدرس (من المؤسف ان يكون حدث لفخري معلوف مؤخرا المخرف نفسي ظاهر نحو القضايا الغيبية واللاهوتية) والذين ادركوا خطورة هذه النهضة وشعروا بعظم حقيقتها وهم بعد في بدء دروسهم النهائية او قبل بلوغها ظهرت فاعلية مبادئ النهضة في دراستهم. وجميع هؤلاء والذين صقلت التعاليم القومية الاجتماعية ثقافتهم وجلت وعيهم وايقظت مواهبهم هم الآن قوى روحية كبيرة في هذه الحركة الباعثة امة عظيمة من مرقدھا.

في اواسط سنة 1935، قبل اعتقالي ومعاوني في ادارة الحركة السورية القومية الاجتماعية ببضعة اشهر، انضم الى هذه الحركة شاعر كان اسمه قد ابتداء يدور على الالسنه في اوساط سورية الادبية وخصوصا لبنان. هو سعيد عقل ناظم ملحمة « بنت يفتاح ». وقعت في يدي نسخة من هذه الرواية الشعرية فقرأت بضعة مقاطع منها فاحسست فيها شاعرية ممتازة جديرة بتناول قضايا الحياة والنفس. ولكنني لم اطق قراءتها كلها لاني وجدتها تخدم موضوعا غريبا عن المواضيع السورية، مختصا باليهود اعداء سورية. رأيت موهبة شاعر سوري جدير بالتعبير عن النفس السورية، ولكنها موهبة خارجة عن المواضيع السورية وعن خطط النفس السورية. وهي تخدم اتجاهات ومثلا في انتصارها انكسار لسورية ومثلها العليا ومطامحها وقواھا. ومع كل الشاعرية الجديدة الظاهرة في الملحمة لم اجد فيها ما يمكن ان يفتح للادب السوري مدخلا جديدا وان يحدث فيه تغييرا او تجديدا، على الاقل التغيير او التجديد المنتظر ان يجعل سورية في مصاف الامم التي لها ادب حي جدير بالبقاء باحتلال مركز عالمي.

رأيت في « بنت يفتاح » مظهرا من مظاهر « ادب الكتب » الذي عرضت له في مقال نشرته في « المجلة » في بيروت باسم مستعار وبعنوان « ادب الكتب وادب الحياة » وقصدت ان الفت فيه النظر الى ان ما نحتاج اليه هو ادب الحياة، اي الادب الذي

يفهم حياتنا ويرافقنا في تطورنا ويعبر عن مثلنا العليا وامانينا المستخرجة من طبيعة شعبنا ومزاجه وتاريخه وكيانه النفسي ومقومات حياته وهي من الامور التي شغلت اكبر قسم من تفكيري في البعث القومي واسبابه، ورأيت ان تركيز الادب عليها غير ممكن الا بالاتصال بنظرة الى الحياة والكون والفن جديدة تجسم لنا مثلنا العليا وتسمو بها وتصور لنا امانينا في فكرة فلسفية شاملة تتناول مجتمعنا كله وقضاياه الكبرى المادية - الروحية من اجتماعية واقتصادية ونفسية وسياسية وفنية. وقد عبرت عن هذا الرأي، بطريقة اخرى، في ختام شرح مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي بقولي: « ان غاية الحزب السوري القومي هي فكرة شاملة تتناول الحياة القومية من اساسها ومن جميع وجوهها. فهي تحيط بالمثل العليا القومية وبالغرض من الاستقلال وبانشاء مجتمع قومي صحيح. وينطوي تحت ذلك تأسيس عقلية اخلاقية جديدة ووضع اساس مناقبي جديد». بهذه النظرة رأيت امكان انشاء ادب جديد فيه كل عوامل التجديد ودوافع البعث. فالادب الذي يخدم هذه الغاية او اية غاية ماثلة لها هو « ادب الحياة » الذي عينته. هو الادب الذي يكشف عن عظمة مطامح نفسية هامة وسمو مراميها. هو الادب الذي مهمته ان يكون « منارة للجاعات » وليس « مرآة لها ». انه ادب النواذب والعباقرة الذين اذا فات بعضهم ان يكونوا مؤسسين للفلسفة وللنظرة الى الحياة الجديدين فلا يفوتهم ادراك المثال الاعلى الذي تشتملان عليه والنفسية الجديدة التي تقتضيها فيحملون النظرة الجديدة الى الحياة والكون والفن ويقيمون بها ادباً جديلاً خالداً لانه يحمل عوامل حياة جديدة بنظرتها وفلسفتها ورغباتها فيكون بذلك النهوض الادبي المساوي للنهوض السياسي المبني بدوره على وجود النظرة الفلسفية الجديدة في الحياة الانسانية وعواملها واغراضها الاخيرة.

لم تكن « بنت يفتاح » تنطبق على مرمي التجدد الروحي في سورية على ما يرجي من الادب الجديد الذي كانت سورية تتوق اليه توقاً داخلياً، لانها كانت بعيدة عن مواضيع الحياة السورية وغير متصلة بنظرة فلسفية يمكنها ان تستغرق امواج النفس السورية. فلم يستهوني موضوعها. وصور الجمال التي فيها بقيت غريبة وجامدة، مع انها صور احساس سوري ضمن حوادث موضوع غريب معاكس لاتجاه الشعور السوري، فرأيت ان الفت نظر الشاعر الى مطالب النهضة السورية في الادب فانتهزت فرصة زيارة قمت بها لمنفذية الحزب السوري القومي الاجتماعي للبقاع الشمالي في زحله، بعد خروجي من السجن المرة الثانية سنة 1936، لتنفيذ عزمي. كانت الدعاوات المفسدة

قد لعبت دورا هاما في مديرية زحله، في اثناء غيابي الطويل في السجن مرتين متواليتين مع فترة قصيرة بينها. وكانت الاذاعة الشيوعية قد اخذت تعبت ببعض الرفقاء ومنهم سعيد عقل الذي وجدته شبه مقتنع بانه لاحاجة لنهضة قومية اجتماعية في سورية، اذ العالم كما قال له بعض الشيوعيين، على ابواب صراع بين الشيوعية والرأسمالية واهما انتصر قضى على كل امل لسورية بتحقيق بعثها. فوضحت للمترعزين مقدار الخطر على مجتمعهم وعلى انفسهم من تقلبهم في العقائد تقلب الاوراق تلعب بها الريح. وفي نهاية حديثي اليهم وجهت خطابي الى سعيد عقل خصيصا ومدحت شاعريته الممتازة وملتة لعدم اهتمامه بالمواضيع التي هي من صميم الشعب السوري وتاريخه. وسألته هل لم يجد في تاريخ سورية من روائع المظاهر والمكونات النفسية التاريخية ما يستهويه لاستخراج كنوزها واستئناف مجرى خططها السامية؟ فلم يجز جوابا فاشرت عليه بقراءة كيفية بناء قرطاضة العظيمة وتحويلها الى قاعدة امبراطورية فسيحة الارجاء شديدة السطوة وحوادث تاريخها الموقظة الشعور والمنبهة الفكر، او قراءة شيء من اي دور من ادوار تاريخ سورية القديم فيتمكن، بفضل اتصاله بالنظرة السورية القومية الاجتماعية، من ربط قضايا سورية القديمة بقضاياها الجديدة وايجاد موصل الاستمرار الفلسفي بين القديم السوري والجديد السوري القومي الاجتماعي واستخراج المثل العليا الفرعية والتفصيلية الجوهرية في الاخلاق والمناقب وابرز اجمل المظاهر النفسية واسمى المواقف المناقبية حسب الاحساس والتصور الملازمين لخصائص النسبة السورية. تركت هذا المعنى في ذهن سعيد عقل وخرجت من المكان غير منتظر جوابا.

بعد سجنى المرة الثالثة وفي اواخر سنة 1937 او اوائل سنة 1938، اوصل الي الامين فخري معلوف نبأ جعلني اشعر بموجة حرارة تجري في جسمي كله، قال لي الامين معلوف ان سعيد عقل يشتغل في قصيدة او ملحمة عنوانها «قدموس» السوري التاريخي الذي علم اليونان الاحرف الهجائية والكتابة وله قصص بطولية اسطورية جميلة، وانه قد انجز قسما منها اسمعه بعض مقاطعه وانه يود ان يجتمع لي ليسمعني ما قد نظم. لم يمكيني دور الجهاد العنيف الذي كنت فيه من تحقيق رغبة الرفيق سعيد عقل ولكني شعرت برغبة شديدة في الالتقاء به ليقرا في ناظري تقديري العظيم وشكري (واني) آسف، بعد وقوفي على رواية «قدموس» من نظم سعيد عقل لاني لم اجد فيها ما كنت اتوقعه. فقد حاول المؤلف ان يصوغ الحقائق التاريخية والاساطير التقليدية بصيغة محلية ضيقة فاساء الى الاساطير والى الواقع التاريخي).

سردت هذه الحوادث كما حدثت، مفضلا اخذ المثل من الحاضر ومن شؤون

تاريخ نهضتنا التي في مقدور كل مؤرخ ومحقق تمحيصها وسؤال افرادها الذين هم احياء وفي فتوة الحياة، ليسهل ادراك نظريتي في كيفية نشوء ادب جديد حي بنشوء نظرة فلسفية اجتماعية جديدة صدرت عنها حركة سياسية واسعة تناولت حياة امة باسرها وامتد تأثيرها الى الامم المجاورة وامتزجت انغام موسيقاها الخاصة بالانغام الخاصة الصادرة عن امم اخرى تشترك في الارتقاء النفسي على الحان المجد المكتسب بانتصار الافضل والانبل والاعز على الاسوأ والارذل والاذل، ولفهم ضرورة النظرة الفلسفية الجديدة الى الحياة والكون والفن للتجديد الادبي او الفني .

ويصعب علي كثيرا ان اتصور ان مجرد قراءة تواريخ قديمة او الاطلاع في الادب العربي القديم ودرس الادب الانترنسيوني الحديث يكفي لايجاد نهضة ادبية فنية اصلية جديدة في سورية ومصر او في اية امة من امم العالم، على وجه القياس . كل ذلك يحتاج الى الحافز الروحي المستمد من فكرة او عقيدة فلسفية جديدة في الحياة وقضاياها . وبدون الحافز الروحي، الذي هو شيء حقيقي، لا وهمي، لا يكون الادب سوى الوان تقليدية او استعارية باهتة لا نضارة لها ولا رونق ولا شخصية فلا هو شيء جديد من الوجهة النفسية يطبع خصائصه على الحقب والاجيال ولا هو شيء قديم اصلي محتفظ بخطوط شخصية صحيحة تظهر قوتها في ملامحها الصريحة، التي لا يتالك الناظر اليها من الشعور بحقيقتها والاعجاب بمقدرتها على البقاء وبجاذبية مزاياها الاصلية الخاصة .

لو كان الحافز الروحي المستمد من فلسفة العقيدة السورية القومية الاجتماعية اتصل بجميع رجال العلم والادب الذين انضموا الى هذه العقيدة، قبيل ابتداء دروسهم الشبه اختصاصية لما كانت تلك الدروس ظلت هياكل عارية، ميتة لا حياة لها ولا حراك بها، حتى جاءت النهضة القومية الاجتماعية بمبادئها وصيرت العلوم الميتة علوما حية فاكتست العظام لحمًا ونبضت عروقها بدم الحياة الحار . وبدون الحافز الروحي الواعي لا تفيد كثيرا قراءة شكسبير وغوته ولا العودة الى سفر اشعيا ولا زيادة العلم ولا التعمق في الادب القديم .

ان العراك السياسي العنيف الذي اضطرت النهضة السورية القومية الاجتماعية للدخول فيه في جبهتين داخلية وخارجية، قبل اكتمال نموها الطبيعي وقوتها، حال دون حصول نتاج ادبي كبير، واسع، شامل . ولكن الحافز الروحي الذي ولدته هذه النهضة الحقيقية قد حرك عوامل الحياة والارتقاء في جماعات كثيرة وايقظ وجدان الوف

الاحداث والطلبة في طول البلاد وعرضها. والعقيدة آخذة في الاختار، والفكر قد ابتداءً يتبلور وسيجيء دور الانتاج الادبي والفني الواسع، الذي ينهض بالعصر الذي ابتداءً تاركا في الحضيض العصر الذي اخذته حشرجة النزاع (وقد جاء بالفعل هذا الدور وقد بدت طلائعه في عدة مؤلفات ذات قيمة).

ان من نتائج حصول نظرة فلسفية جديدة الى الحياة والكون والفن، حدوث تغيير في مجرى الحياة ومظاهرها، وفي اغراضها القريبة والاخيرة، قبل كل شيء. وهذا ما حدث في سورية بوجود النظرة الفلسفية السورية القومية الاجتماعية، ليس فقط في ما تعلق بالادب والفن، بل في ما اختص بالاعمال والاخلاق والمناقب.

اتفق لي اكثر من مرة ان سمعت هذا القول من منضمين الى الحركة السورية القومية الاجتماعية مدركين: «لم نكن نعلم اي درك من الانحطاط الاخلاقي وضعف المناقب بلغ شعبنا، الى ان دخلنا في الحزب السوري القومي الاجتماعي. الآن اصبحنا ندرك الفساد المتفشي في امتنا وخطره على حياتها».

حصول النظرة الفلسفية الجديدة الى الحياة والكون والفن يفتح آفاقا جديدة للفكر ومناحي جديدة للشعور كما قلت آنفا. وهنا نقطة الابتداء لطلب سياسة جديدة واشكال سياسية جديدة وفتح تاريخ ادب وفن جديدين. فالادب والفن لا يمكن ان يتغيرا او يتجددا الا بنشوء نظرة فلسفية جديدة يتناولان قضاياها الكبرى، اي قضايا الحياة والكون والفن التي تشتمل عليها هذه النظرة.

قد يسأل سائل: «هل من الضروري ان يكون التجديد الادبي خاصا بمواضيع اممة معينة فاذا تناول غيرها بطل ان يكون تجديدا او فقد قيمته الادبية؟»

جوابي: كلا ليس من الضروري. فالقيمة الادبية او الفنية ليست في هوية او «جنسية» الموضوع، بل في القضايا التي ينطوي عليها الموضوع وفي كيفية معالجة القضايا وفي النتائج الروحية الحاصلة من هذه المعالجة. اما ذاتية الموضوع وزمانه ومكانه فلها ناحية شعورية خاصة وتقل اهميتها او تعظم على نسبة الغرض الخفي او المعلن الذي يسوق الموضوع اليه. على ان الاتجاهات الفكرية والشعورية تتأثر بالموضوع، الذي اذا كان خاصا «كسنت يفتاح» تعرض لفقد كل مبرر عام ولان يكون مخالفا او مناقضا للمثل العليا التي يبغها الشعب والبقاء. «فبنت يفتاح» مثلا، تدخل في الادب اليهودي الخاص اكثر مما تدخل في الادب السوري، لانها تتناول موضوعا يهوديا بحت. تبقى اسبابه ونتائجه ضمن اطار المظاهر اليهودية وكذلك موحياته وجواذبه، خصوصا

والشاعر قد نظم القصة ولم يحصل له الوعي القومي ولم يدرك النظرة الجديدة الى الحياة».



وهذا اول مقال يكتبه فؤاد سليمان في بداية عهده الصحفي في جريدة النهضة، لسان حال الحزب السوري القومي الاجتماعي. العدد 19 ، في 4 نوفمبر 1937 ، تحت عنوان « لا تثقوا بالمضللين ».

... ومن افطع ما منيت به هذه البلاد وجود طائفة من الشخصيات الاقطاعية التي كانت ولم تزال تستثمر جهود وجهاد الامة في ميدان النضال السياسي منذ اوائل القرن العشرين حتى الآن.

يستثمرون جهود وجهاد هذه الامة بانانية مجرمة، مهما كلفهم هذا الاستثمار من التضحية بمصالحهم العامة الحيوية التي هي - في الوقت نفسه - مصالح ابنائهم واحفادهم، ولو كانوا يعقلون.

وقد وجد بعضهم من فكرة الديموقراطية عملة رائجة فاتخذها « كتابا مقدسا » يشرّ بها بين ظهرني الشعب المتألم من عجرفة الارستوكراتيين ويدلل بديموقراتيته السمحاء وغيرته على حقوق الناس المهضومة ويبكي بدموع التماسيح على ما يجيق به من الظلم والارهاق والضغط الاقتصادي بسبب ضعف الجهاز الحكومي الفلاني وانتهاكه حرمة الحريات العامة وضرورة وضع حد للفوضى، ونهاية للارهاق وما اشبه ذلك من القول الحق يريدون به باطلا، حتى اذا اطمان لهم بعض الشعب ونالوا ما يربهم على اساس معاضدته، مسحوا دموع التماسيح وسخروا بالآم الشعب وآماله وما جادوا به، باسم الديموقراطية، من وعود وعهود، وراحوا بدورهم يمعنون في النكاية به بدون حياء من الحق او وازع من الضمير.

وكان قد وجد البعض الآخر من فكرة الوحدة بين الشام ولبنان هوى في النفوس فطفقوا يملأون الارض والسماء صراخا بطلب الوحدة السورية، حتى اذا بذل الشعب لهم معونته ووصلوا الى كراسي الحكم هزئوا وراحوا يتكلمون بالوحدة بوقاحة ما بعدها وقاحة على من يعمل لها على اساس قومي متين. ولما كان لا بد لهم من « لفظ » معسول يضللون به ويخفون وراءه وجوه الملوثة، فقد وجدوا في لفظ العروبة والامبراطورية العربية وذهبوا يوهمون الناس انهم يعملون للجامعة العربية والمحافظة عليها والدفاع عنها بجميّة واخلاص.

يدعون ذلك بينما النواحي التسع العربية صارت انقلبية تحت سمعهم وبصرهم. وتلعب الدعاية الايتالية دورها الخطر في اليمن بينما يشتد خلاف عاهلي الحجاز واليمن على شيء تافه - وهو اقامة سد من قصب وقش - والمضللون - اياهم - لا يبذلوا نصيحة واحدة لحل الخلاف. وبينما تشتد الاضطرابات في تونس ومراكش، وينفي زعماء العرب كل ذلك ولم يرتفع صوت احتجاج واحد من الغيورين المدعين بالعمل للعروبة وللفضية العربية.

وهناك فريق آخر من المضللين لا تختلف اساليب استغلالهم جهود الشعب عما يشبه الاساليب التي ذكرنا، غير مقدرين عواقب تلاعبهم هذا بمقدرات شعبهم وما يكلفهم من تأخر عن اللحاق بالمدنية والحياة، وما يكلفهم او سيكلف ابناءهم هذا التلاعب من غضب هذا الشعب الجريح...

وبعد فائتاً نلفت نظر ابناء الامة عموماً وشبابها المثقف على الخصوص بان لا يؤخذوا بعد اليوم بزخرف القول والادعاءات المضللة ولا يثقوا ولا يعملوا الا على اساس قومي، صحيح المبادئ وصریح الاهداف، والا فالجو مظلم والمستقبل محفوف بأكثر مما حل بهم وبامتهم من المكاره والازدراء..



سيرة الشيخ ابراهيم المنذر

هو أبو صلاح ابراهيم المنذر من بني المعلوف الاسرة الغسانية العربية المعروفة .
نزع آله نحو سنة 1520 من حوران الى بلاد بعلبك فجبة بشرآي وعمروا دوما في
بلاد البترون، وانتقلوا منها على عهد الامير منصور العساف عام 1550 وبنوا المحيدثة
في المتن وكانوا عمدة الحزب اليمني ثم اعتدلوا وكان لهم شأن كبير في سياسة لبنان .
وقد نصّب الامير احمد بن معن كمالا ابن المنذر الجد الخامس لابراهيم شيخاً وآه
شؤون المتن .

وُلدَ إبراهيمُ المنذر في المحيدثة في 7 حزيران 1875 .

بدأ يتعلم في مدرستها الصغيرة ثم انتقل الى المدرسة اللبنانية في قرنة شهوان واستمر
فيها اربعة اعوام يدرس العربية والفرنسية والانكليزية وتخرج منها سنة 1890 .
والرسائل التي كتبها خلال سني دراسته القليلة هذه دلّت على وعي باكر للقضايا التي
كانت تجبه البلاد في ذلك الزمن كما دلت على ميل اصيل الى الكتابة ونظم الشعر .
درس الرياضيات والحقوق على العلماء ظاهر خير الله وسليم باز وجرجس صفا
وطالع كثيراً في كتب الادب والعلم .

بأشر التعليم وهو في العشرين من عمره في مدرسة دير النبي الياس في شوتيا ثم في
مدرسة الشوير الوطنية، وبعدها انتقل الى بيروت حيث علّم اللغة والادب العربيين في
مدارسها .

كان التعليم رسالته الكبرى . وقد مارسه طيلة حياته رغم انشغاله بالقضاء والمحاماة
والهياسة، وتخرج على يديه العديد من الذين يبرزوا في الادب والتعليم والصحافة .

المدارس التي علّم فيها في بيروت: الثلاثة الاقهار، زهرة الاحسان، الادبية،
الفرير، الوطنية، العلمانية، البطيركية، الاهلية، دار المعلمات الانكليزية، دار المعلمين
الرسمية، والمدرسة اللبنانية في قرنة شهوان. وعينته وزارة المعارف لسنين عديدة في
لجان امتحانات الشهادات الثانوية العالية لطلاب الادب والفلسفة .

انتخب شيخ صلح عن بلده عام 1908 وخلال هذه السنة قاد معارضة شعبية
عنيفة ضد المتصرف يوسف باشا فرنكو الذي كان يمانع في اعلان الدستور . واتفق مع
رفيقين له هما نعوم اللبكي ومنصور النجار على « قطع رأس الافعى⁽¹⁾ » لانقاذ البلاد .

(1) - من صيغة القسم

وكلّفوا فوضوياً نمساوياً يُدعى استيفاني باغتيال المتصرف المذكور . غير ان القبلة التي القاها الفوضوي تجاوزت المتصرف فنجا .

وفي السنة 1909 عيّن رئيساً لدائرة النيابة العامة في منطقة الجبل .

وفي السنة 1910 أنشأ مدرسة البستان في بلدته المحيثة وكانت علمانية داخلية - خارجية دامت خمسة اعوام توقفت بعدها بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى .

رأس فرع جمعية الاصلاح العربية التي حققت مؤتمر باريس وتعرض بسبب ذلك الى المحاكمة امام المجلس العرفي حيث انقذ بتدخل صديقيه الاميرين شكيب ارسلان وفائز شهاب .

ومن سنة 1915 الى سنة 1920 شغل عضوية محكمتي المتن وكسروان .

وخلال الحرب الناشبة في ذلك الحين ، ارسلت الدولة العثمانية - بناء لالحاح حليفتها النمسا وألمانيا - لجنة تحقيق من كبار رجال الجيش ومجلس المبعوثان للنظر في الاوضاع اللبنانية . فجابته المذرة لجنة التحقيق هذه بخطاب جريء صريح جامع شرح فيه حالة لبنان على حقيقتها ، فشكره رئيس اللجنة قائلاً : « لولاك يا رجل لما شهدنا في لبنان غير الترحيب والرضى والولائم خصوصاً انهم ابعدوا عنا كل مشهد مثير ومنعوا المحتاجين والجياع عن لقائنا... »

وبعد انتهاء الحرب واخلاف الحلفاء بالوعود المقطوعة واحتلالهم للبلاد اللبنانية - السورية ، كان المناوىء العنيد للمحتلين الجدد رغم وجوده في الوظيفة .

وفي السنة 1920 عندما اعلن استقلال لبنان القى بالمناسبة خطاباً ندد فيه بالاستقلال الزائف فعزلته السلطة عن منصبه ولاحقته بعد ان كانت قد قبضت على اصدقائه اعضاء مجلس الادارة ، فلجأ الى سوريا حيث قرّر السفر الى جنيف واميركا للعمل في اوساط جمعية الامم واوساط المغتربين اللبنانيين في المهجر على كسب التأييد لاعضاء مجلس الادارة المعتقلين ، غير ان امنيته هذه لم تتحقق بسبب حاجته الى المال .

وفي سوريا دعي لتولي ادارة المدارس الارثوذكسية في حلب والاسكندرون كما دعاه فيصل الكبير الى الشام لتولي منصب رفيع في المعارف فاعتذر عن تلبية الدعوتين بسبب انشغاله في الشؤون اللبنانية .

وفي الحادي والعشرين من شهر ايار 1922 انتخبه الشعب نائباً عنه في الجبل رغم

مناهضة السلطات المنتدبة له وتجدد انتخابه بعد ذلك اربع مرّات. وكان طيلة نيابته اشتراكيا وطنيا حرا ومناوئا عنيداً للانتداب الفرنسي، الشيء الذي وقف دوماً دون وصوله الى رئاسة المجلس النيابي والى الحكم.

من مواقفه الشهيرة في المجلس النيابي:

- الدفاع عن الدستور.
- الدعوة الى اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة في البلاد.
- مناصرة الادب والفنون الجميلة.
- مناصرة المجمع العلمي اللبناني.
- المطالبة بالتجنيد الاجباري.
- المناداة بمطالب المغتربين.
- الدعوة الى تحرير المرأة.
- الدعوة الى الغاء الطائفية.
- الدعوة الى الغاء المحاكم المختلطة الاجنبية.
- المطالبة بالغاء المقامرة.
- الدعوة الى رد مشروع البنك السوري وجميع المشاريع الاستشارية الاجنبية.
- المناداة بتوحيد مناهج التربية والتعليم وباشراف وزارة المعارف اللبنانية على المعاهد الاجنبية.
- الدعوة الى رد معاهدة 1936.
- خدم العديد من الجمعيات الادبية والخيرية عضواً عاملاً ومساعداً ومشرفاً.
- من هذه الجمعيات: الفقير والمدرسة، الاصلاح، الاتفاق الوطني، شمس البر، مقاومة السل، الرابطة الارثوذكسية، عصبة الادب.
- اتقن الموسيقى وكان يحسن العزف على الناي والعود وله عدة اناشيد مدرسية ذاعت على السنة الطلاب.
- انتظم في العشيرة الحرة وانضم الى محفل صنين ثم انتقل الى محفل السّلام وعين خطيبه، وبعدها رأس محفل بيروت ونال درجة فارس البلاغة ثم الدرجة الثالثة والثلاثين وأوسمة عديدة رفيعة صادرة عن المحافل الوطنية والدولية.
- كتب كثيراً، نثراً وشعراً، في جرائد المنار والحرية والبرق والمعرض والاصلاح

والمنبر والاحرار والمستقبل والامة، وفي مجلّات العرفان والمعارف والفجر والخدر ومينرفا والمرأة الجديدة والحياة الجديدة وبيت لحم والهلال وكثير غيرها من المجلّات اللبنانية والعربية، وراسل الدليل ومرآة الغرب والسّمير والهدى في نيويورك، والحديقة والبريد في البرازيل، ويقظة العرب والحاوي في الارجننتين، والوطن في التشيلي. وجاء ما كتبه ونظمه شاملا النقد اللغوي ومختلف شؤون الادب والسياسة والاجتماع والاقتصاد والتشريع والتوجيه الوطني والخلقي.

نشر بعنوان « حديث نائب » مقالات شهيرة في النقد السياسي - الاجتماعي.

برع في الخطابة فلّقّب بشيخ المنابر.

له خطب وافرة من النثر والشعر اعتلى بها اكثر المنابر اللبنانية والعربية كما له خطب شهيرة في المجلس النيابي.

الف عدة تمثيلات منها:

الاعرابي، الامير بشير الشهابي، الحرب في طرابلس الغرب، المملوك الشارد، امير القصر، علي ابن ابي طالب، ووضع ايضا عدة محاورات مدرسية.

نشر « كتاب المنذر » في النقد اللغوي، وعرثات الاقلام.

عين عضواً في المجلس الاعلى للتربية والتعليم في لبنان وسوريا.

انتخبه المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً فيه في الثالث من تشرين الاول

1926.

عمل لانشاء المجمع العلمي اللبناني سنة 1928 وعين عضواً فيه. يحمل وسام المعارف المذهب.

- عندما انكشف امر الحزب السوري القومي الاجتماعي تعرف على زعيمه واعجب به وايده بل تطوع للدفاع عنه يوم محاكمته سنة 1937 على اثر معركة بكفيا وكان نائباً عن جبل لبنان.

اقيمت له عدة حفلات تكريمية في الوطن والمهجر كان آخرها واكبرها حفلة اليوبيل الذهبي التي اقيمت في بكفيا في 29 آب سنة 1948.

توفي عن خمسة وسبعين عاما بتاريخ 27 آب 1950 في مستشفى القديس جيور جيوس في بيروت على اثر عملية جراحية. «

موجز سيرة الامير امين ارسلان

- ولد الامير امين ارسلان في بيروت سنة 1870

- بدأ دراسته في مدرسة عيظوره ثم انتقل الى الجامعة اليسوعية وبعدها الى الكلية الملكية في استمبول حيث تخرج.

- اثناء دراسته انشأ منظمة طالبية سرية ضد السلطان وسلطاته المطلقة وتجاوزاته التعسفية ووضع لها قوانينها وفرض عقوبة قاسية لمن يفضح السر.

- جدير بالذكر انه نال الجائزة الاولى في مسابقة موضوعها المناقبة المسيحية (Moral) وقد هنأه رئيس الجامعة اليسوعية على هذا الانجاز الضخم الصادر عن غير مسيحي وتوجه الى الطلبة المجتمع في الندوة قائلاً لهم: «يؤسفني، ايها السادة، ان يكون شخص غير مسيحي قد عالج الموضوع يفهم اكثر عمقاً منكم. كان المفروض فيكم ان تعالجوه احسن منه او على الاقل مثله». وتوجه الى الطالب الامير امين ارسلان متأسفاً ان لا يكون في عداد اعضاء الكنيسة المسيحية وهو الذي يتمتع بهذا الفهم العميق للمسيحية فكان جواب الامير امين: «كان لي الشرف ان انال تهنيتك على معالجتني ونلت الدرجة التي منحتني (95%) ولكن لو افسحت لي في المجال لاقارن بين الدينين لنلت درجة اعلى ومنحتني 100%».

- مارس وظيفة قائم مقام في مناطق مختلفة، اذكر منها عجلون، السلطة، طبريا في الجنوب السوري وفي دوما - الشام. كانت علاقته بالمواطنين ممتازة وبصورة خاصة مع البدو.

- يذكر السيد ارنست ادمونسن وامساور، الاب، في كتابه عام 1957: «الاتراك الشباب (او تركيا الفتاة كما درج تسميتهم) مقدمة لثورة 1908» في الصفحة 63، الفصل الثالث، عن الامير امين ارسلان ما يلي: «اما من جهة العرب، فالنشاط الوحيد الذي يستحق الذكر كان ذلك الذي تقوم به منظمة عرفت باسم «الرابطة الاصلاحية التركية - السورية» بقيادة الامير امين ارسلان دامت هذه المنظمة ردحا من الزمن ولكن يبدو ان المنتمين اليها كانت غايتهم الرغبة في اجراء بعض الاصلاحات تمكنهم من العيش في كنف الامبراطورية، بشكل اصح. لم يكن لهم زخم قومي».

- انتخب بالاجماع مندوباً عن سورية كلها في سالونيك

- عيّن متصرفاً في البانيا .

- حل محل شقيقه الذي كان عضواً في مجلس « المبعوثان » على اثر مقتله . كان الامير امين قد انضم الى حزب الاتحاد سرّاً وعندما شغل المركز السوري في « المبعوثان » انتخب بالاجماع .

- كانت تربطه صداقة شخصية حميمة مع السفير البريطاني (Sir John Philipps) وبناء عليها فقد كلفه طلعت باشا التحدث اليه بشأن مشاريع يمكن تنفيذها بين الدولتين . نزل عند رغبته واسفرت النتيجة عن تبني بريطانيا مشروع خطوط سكة حديد ولكن حال نشوب الحرب 1914-1918 دون تنفيذه .

- اثناء الحرب عاد الى الوطن ليستقر في بلدة الدامور وانحصر همه في مساعدة الاهالي للحصول على مواد التموين .

- بعد انتهاء الحرب واحتلال الفرنسيين للبلاد السورية انضم الى معارضي الانتداب ومن اشهر اعماله في هذا السبيل ذلك الاجتماع الذي انعقد في عيناب والذي اعتبرته السلطة المنتدبة عملية تكتل للدروز ضدها .

- ثم امتدت الحركة الى مجلس ادارة جبل لبنان فكان له اليد الطولى في الموقف الذي وقفه اعضاؤه في ذهاب وفد هم الى دمشق حيث اعترضهم السنغال وتسبب هذا الموقف في نفيه وحبسه فضمته قافلة المنفيين الى جزيرة ارواد سنة 1920 . ثم الى جزيرة كورسيكا حيث استطاع بدماثة تصرفه ان يقدم خدمات جلي للمنفين . دامت هذه المدة 6 سنوات .

- بعد ان عاد من المنفى بقي على معارضته للسلطة الفرنسية ولكن نشأت مع ذلك صداقة بينه وبين الكونت اوستوروغ ، البولوني الاصل ، من طبقة الاشراف .

- عند انكشاف امر الحزب السوري القومي الاجتماعي تعرف على زعيمه وابدى اعجابيه به ثم ايد حركته السورية القومية الاجتماعية .

- عندما نشبت ازمة سنة 1937 على اثر معركة بكفيا وضع منزله تحت تصرف قيادة الحزب السرية وعندما انفرجت الازمة وتقرر اخلاء سبيل الموقوفين من اعضاء الحزب بكفالات مالية قدمها بكل اندفاع وحماس .

- لعب دوراً حيدراً في تقريب الحزب السوري القومي الاجتماعي الى دار المختارة

اثناء معركة الانتخابات النيابية 1937 وقد جمع زعيم الحزب بحكمت جنبلاط وزال
جوّ التوتر بينهما .

- منحه الزعيم لقب « القومي الكبير »
- توفي سنة 1948 وقد عدّدت الست نظيرة جنبلاط مآثره بشكل ملفت .



تصحيح تشويه للتاريخ

جاء في كتاب « تاريخ لبنان الحديث » لمؤلفه كمال الصليبي في الصفحات
228,227,226 ، الطبعة الثانية ، 1969 في معرض ذكره لمؤتمر الساحل الذي انعقد في
10 آذار 1936 نبذة مختصرة عن تأسيس الاحزاب ، اثبتها فيما يلي تاركاً تعليقي عليها
في الختام :

الحزب السوري القومي

« وكان من بين الذين حضروا « مؤتمر الساحل » الثاني من « الحزب السوري
القومي » ، وهو منظمة سياسية تأسست سرّاً في لبنان 1932 ، واكتشفت السلطات
المنتدبة وجودها في 1935 . وكان مؤسس هذا الحزب ، انطون سعاده ، مسيحياً
ارثوذكسياً نحا في تفكيره منحى القوميين العرب المسيحيين في القرن التاسع عشر ، من
امثال بطرس البستاني ، فشدّد على وحدة الامة السورية وندد بالاقليمية الانفصالية ،
والعصية الطائفية ، وغير ذلك من العقبات التي تعترض تحقيق هذه الوحدة . وتلاقى
اتباع انطون سعاده ، واكثرهم من الروم الارثوذكس والانجيليين وبعض الشيعة
والدروز ، مع اكثرية المسلمين السنيين على مسألة الوحدة مع سورية . بل انهم طالبوا
بالحاق جميع المناطق اللبنانية بسورية ، لا المناطق الاسلامية وحدها . الا ان المسلمين ،
على العموم ، لم يأنسوا لتحفظ القوميين السوريين ازاء الوحدة العربية الشاملة ، كما ان
اكثرية المسيحيين قاومت دعوتهم الى الوحدة السورية فبقي حزبهم ضعيفاً على الصعيد
الشعبي ، مما اعان السلطات اللبنانية على ان تتحدّ من نشاطه . وحين توسّل السوريون

القوميون، في 1936، الشعب لنشر دعوتهم الى الوحدة السورية، اعتقلت السلطات زعيمهم ومساعديه الكبار، وانزلت بالحزب، طوال السنوات الثلاث التالية، شتى انواع الاضطهاد.

باقي الاحزاب

وللرد على نشاط دعاة الوحدة مع سورية، كان بعض المسيحيين في لبنان قد فكروا، منذ سنوات، بتأسيس حزب قومي لبناني يعمل لاستقلال لبنان الكبير وضمان سلامة اراضيه. وقامت محاولات هنا وهناك، في هذا السبيل، الا انها لم تكمل بالنجاح. وكان بعد « مؤتمر الساحل الثاني » ان راح دعاة الوحدة يثيرون الهياج من اجل تحقيق اهدافهم بحماسة لم يسبق لها مثيل. فتنبه الزعماء المسيحيون ممن لم يرقهم ذلك الى ضرورة العمل الحاسم، وفي تشرين الثاني 1936، اسس فريق من الشباب المسيحي منظمة باسم « الكتائب اللبنانية » فتحت في الوقت نفسه ابوابها لمن رأى من شباب الطوائف الاخرى رأياً في وجوب التمسك بالكيان اللبناني الراهن. وسرعان ما برهنت هذه المنظمة على انها قوة قادرة على الوقوف في وجه دعاة الوحدة. وتنظمت « الكتائب اللبنانية » على غرار المنظمات شبه العسكرية الدارجة آنئذ في ايطاليا واسبانيا. وكان على رأسها الصيديلي الماروني الشيخ بيار الجميل. وكان المسلمون، في هذه الاثناء، قد انشأوا مجلساً استشارياً اسلامياً لتنسيق مطالب الطوائف الاسلامية في البلاد. فقام هذا المجلس بتشجيع الشباب المسلم على تأسيس منظمة « النجادة » في اوائل 1937، للوقوف في وجه « الكتائب ». وهكذا تميزت السنة الاولى من رئاسة اميل اده بالنشاط الطائفي والحزبي الشديد والتوتر الحاد.

التعليق

كنت اتمنى لو كان الدكتور كمال الصليبي اكثر عمقاً ودقة في ذكر اي شأن من الشؤون المتعلقة في الحزب السوري القومي الاجتماعي وبصورة خاصة ما يتعلق بتأسيسه والسنوات الاولى بعد انكشافه وبصورة اخص ما اخصت بالاحصائيات عن طائفة اعضائه ومسيرته في « السنوات الثلاث التالية ».

وابداً اولاً، في المنحى: لم ينبح انطون سعاده في تفكيره منحى القوميين العرب الخ... لأنه صاحب رسالة، صاحب دعوة الى القومية السورية مبنية على اسس علمية

من الجغرافيا والتاريخ تعود الى ما قبل الزمن التاريخي الجلي وليس الى القرن التاسع. هي فكرة كليتة شاملة بينا الذي ذكره الدكتور كمال صليبي جزئي ولا يصح ان يكون اساساً جغرافيا او تاريخياً بل يمكن ان يكون دعماً للفكرة لا اكثر ولا اقل. كما انه لا يمكن حصر تفكير انطون سعادته في خمسة اسطر في عجالة عابرة بمناسبة انعقاد « مؤتمر الساحل الثاني ». (يستحسن ان يطالع الدكتور صليبي كتاب « نشوء الامم » ثانياً، في الاحصائيات: لست ادري من اين حصل الدكتور صليبي على هذه الاحصائيات التي لخصها « اكثرهم من الروم الارثوذكس وبعض الشيعة والدروز » وهذا مخالف للواقع الذي عايشته منذ ذلك الحين فقد اغفل الموارنة والكاثوليك فمثلا موارنة قضاء الزاوية في الشمال اللبناني، بدءاً من زغرنا ثم البترون وكاثوليك دوما الى جبيل وقضائهما واخص بالذكر « بجه » فجونه في كسروان وبعض قراها مثل ريفون ثم انتقل الى دير القمر في الشوف مروراً بالساحل المنتي وكاثوليكيا زحلة في البقاع وجزين في لبنان الجنوب. (مارونيا وكاثوليكيا).

اما بشأن التحفظ الذي يذكره من قبل المسلمين فيرجح عندي الظن انه تأثر بما ورد في « مؤتمر الساحل الثاني » على لسان علي ناصر الدين العروبي النظر (الضابط بلا جنود) وكلام ابراهيم يزيك « المؤرخ » الذي لسبب لست اعرفه تعمد في كل تأريخه للحوادث الجارية تجاهل الوجود الحزبي السوري القومي الاجتماعي ولم يلتفت الى كلام عبد الحميد كرامه، صاحب المركز الرفيع، (ارفع من علي ناصر الدين و ابراهيم يزيك) المؤيد لموقف الوفد الحزبي الذي كان يرأسه صلاح لبكي (الماروني) ساحك الله، يا دكتور كمال الصليبي كما اني اذكره بتعليق كاظم الصلح المؤيد لموقف الحزب في المؤتمر المذكور.

كما انه لا يعرف او يفعل ذكر ميشال زكور، الصحفي الماروني يومذاك، صاحب مجلة « المعرض » ومقالاته عن الحزب السوري القومي الاجتماعي النابضة بالاعجاب والاكبار وان لم يكن مؤيداً للفكرة برمتها وخصوصاً وضعه المجلة بتصرف الحزب واصدار عدد خاص عنه هو العدد 1094 تاريخ 25 شباط 1936.

ثالثاً، في اعتقال الزعيم ومساعديه الكبار: اما الذنب الذي لن يغفره التاريخ للدكتور كمال الصليبي قوله: « وحين توسل السوريون القوميون، في 1936، الشعب لنشر دعوتهم الى الوحدة السورية، اعتقلت السلطات زعيمهم ومساعديه الكبار.... »

وتصحيحي الاول يتناول لفظة « الشعب » فالحزب لم يستعمل الشعب طوال تاريخه حتى اليوم بل كان سنة 1936 بالذات عاملاً بكل ما اوتي من قوة لمكافحة الشعب الذي وقع في بيروت بين الفئتين في الجميزة، البسطة. كانت المكافحة بتوزيع بيانين: للشعب وللقوميين الاجتماعيين بتاريخ 16 تشرين الثاني 1936 واتبعها بمقال نشر في مجلة « الجمهور » في العدد 28 تاريخ 21 تشرين الثاني 1936 تحت عنوان « دم الغوغاء ». فليت الدكتور صليبي اطلع على البيانين وعلى المقال ليكتشف ان الحزب لم يكن معتقلاً بل كان حراً يكافح الشعب ويشجبه ويخفف من ويلاتة بتدخل السوريين القوميين من البسطة في الاشرفية ومن الاشرفية في البسطة الا اذا كان يقصد ان محاربة الانتداب ودخول السجون بسببها عمل يصنف تحت خانة « الشعب ».

اما قبل هذا التاريخ اي فترة اعتقال الزعيم كان على اثر تأديب الصحفي البذيء عارف الغريب الذي اتخذته السلطة حجة لاعتقاله والذي تبين بعد الاعتقال - طبعاً - انه ليس لانطون سعادته اية علاقة بهذا التأديب ونزل حكم القضاء بالذين ارتكبهوه واطلق سراح الزعيم ومساعديه.

وزيادة في المعلومات الفت النظر ان الحزب سنة 1937 وسنة 1938 نعم بجرية العمل الحزبي ولم يضطهد كما جاء على لسانك، يا دكتور، فنال رخصته بجريدة « النهضة » وفكّ ختم الشمع الاحمر عن مركزه في شارع المعرض، بناية البحصلي واكثر من ذلك فقد حلت الحكومة « الاحزاب الطائفية » كالوحدة اللبنانية « والكتائب اللبنانية ».

رابعاً واخيراً، في الاحزاب الاخرى: ليس لي على ما اورده الدكتور كمال الصليبي بصدد الاحزاب الاخرى الا ملاحظتان: الاولى - « فكروا بتأسيس حزب قومي لبناني يعمل لاستقلال لبنان الكبير وضمان سلامة اراضيه... » (وهي نقمة ما زالت تتردد حتى اليوم ولو بعد مرور خمسين سنة). لم يكن الحزب السوري القومي الاجتماعي يشكل خطراً على استقلال لبنان وسلامة اراضيه فلو كلف نفسه الدكتور صليبي واطلع على تصريح الزعيم الذي صدر في غمرة تلك الايام لكفى نفسه مشقة زج الحزب مع دعاة الوحدة السورية التي كان ينادي بها دعائها يومها اي ضمّ ما كان يسمى بالاقضية الاربعة وقد كان طرح الزعيم ضد هذا المفهوم والملاحظة الثانية هي لماذا لم يذكر الدكتور صليبي حزب الوحدة اللبنانية الذي كان يرأسه توفيق لطف الله عواد والذي كان يحظى برعاية الدولة والذي كان حضرته نائباً بالتعيين لكنه اخيراً افلس وانتهى

ولم يبق سوى الكتاب اللبناني التي استطاعت ان تحضن التعصب الماروني بكنف
اللبنانية!!!

ويختم الدكتور صليبي كلامه بدفع السنة الاولى من رئاسة اميل اده بالنشاط الطائفي
والحزبي الشديد والتوتر الحاد. ناسياً او متناسياً حل الاحزاب الطائفية. (تاريخ مرسوم
الحل... ملاحظة:

آسف اني لم اطلع على ما كتبه الدكتور كمال الصليبي في كتابه «تاريخ لبنان
الحديث» الا مؤخراً اي بعد 17 سنة على صدوره في طبعته الثانية ولكن رأيت من
المستحسن ان يأتي اي التعليق، متأخراً من ان لا يأتي ابدأ. (Mieux vaut tard que
jamais) راجع مؤتمر الساحل في المجلد الثاني، الصفحة 269

جبران جريج

☆☆☆

فيما يلي نص رسالة حسن كامل الصباح إلى محمد أمين أبو حسن بخطه.

في ٨ شباط 1935

حضرة الأخ الفاضل أعزه الله

أخذت كتابك المنبثق بجمال نفسك فكان مجلبة للسرور. انه مما يثلج الصدر أن
أرى من بني قومي من قد تجلت حاسة الاخلاص والصدق للنفس والحق فيه عني
اشرقت على سائر أقواله وأعماله. نعم، يا اخي صدقت. ان من أهم ما ينزع من نفس
الشبيبة جرائم النفاق والتغريب (بكل الجرائم التي أراها تنفث في نفوس كثير من
القوم هنا (ولعل لليهود اليد في ذلك)) هو الاشتغال بالعلوم الطبيعية التي لا يمكن
للمشتغلين فيها إلا أن يخلصوا لأنفسهم وللحق.

إني شاكر لك كثيراً حسن ظنك بي وقيامك بذكر الجيل عني كما اني اشكر همتك
وهمة الاستاذ أبي مكارم.

طيه تجد كل ما تود أن تعلمه عني وقد حضرتها لا تمكن من الخروج من الشركة
والاستخدام بمكان آخر، مصحوبة بالكتاب طيه لعدة مؤسسات علمية وهندسية في
اميركا وأوروبا إلا أني لم أتمكن من ذلك لأن كل مؤسسة تود استخدامي تمنعها
الشركة الكهربائية العامة في ذلك.

وإني بين قوم حاسدين يحاولون أن يطفئوا كل فكرة ساطعة أو اختراع مجيد
وكوني شرقي ساعدهم على ذلك. ولا انكرك بأني اصبحت في يأس من حالتي

الحاضرة فلعلّ الله يحدث بعدها امراً .

اني من صميم القلب أود لو أن من بيدهم مقدرات الأمة هم على شاكلتك من الأخلص للنفس وللحق والنزاهة والتفكير النزيه أي من رجال العلم الحقيقي عوضاً عن أن يكونوا من رجال الضعة والاهواء تتلاعب بهم كيفما شاءت فإن من لا يقدرّون على تسيير أنفسهم في سبيل الحياة المؤدية لصلاح العقل والجسد بل يسترسلون في هدمها بشتى الموبقات من سكر وقمار ليسوا بأهل للقيام بأعباء أمة بأسرها .

رغبتم إلي أن احبر مقالاً كالذي نشره الشيخ خليل بزري ، أقول إذا لم يكفِ بانه يرسل لكم فعرفوني كي احبر مقالاً بالعربية مطابق للحالة الحاضرة أي حالة آخر ساعة إلا أني ارجح بأن المقال الذي نشره الشيخ خليل بزري وطيه نسخة منه وبقية المواد المرسله طيه « ولكل منها نسختين » تكفي لاستخراج مقال يوافق ذوق الكاتب . فإذا احببتم استخلصتم منها مقالاً ونشرتموه وأشرتم على الاستاذ أبي مكارم أن يقتني أثركم أو أن ينشر مقالكم بعينه . أو أن ترسلوا له نسخة من كل مادة وهو يستخلص مقالاً يناسب مرامه .

وددت لو كنتم بين الذين يرشحون إلى النيابة أو الوزارة لأن البلاد مفتقرة إلى ذوي النظر والإخلص نظيركم .

وبالختام اقبلوا تحياتي وأشواقي ودمتم لأخيكم صح .

حسن كامل علي صباح

☆☆☆

فيما يلي نسخة طبق الأصل من رسالة جوابية للعالم الفلكي منصور حرداق بخطه إلى الرفيق أمين أبو حسن تاريخ 20 كانون الأول 1934 .

حضرة الفاضل

انني اثني على اجتهادكم واهتمامكم وذكائكم ونباهتكم لأجل ملاحظاتكم الدقيقة وطرقكم مواضع لذيدة قلما يهتم لها الجمهور .

إن قضية الطقس والمطر قضية مهمة جداً في نظر العلماء والعامه معاً ولهذا نرى حكومات البلدان المتمدنة نظير حكومة اميركا (الولايات المتحدة) ترصد أموالاً غزيرة تصرفها على المراصد الميتورولوجية وعددها نحو ثلاثة آلاف في بلادها حباً بالوقوف على الحقيقة العلمية وأهم منه الفائدة التي تقدمها (تسديها) للفلاحين والمزارعين .

والعوامل الرئيسية التي تؤثر على الطقس والمطر تتعلق بكهربائية الشمس ومغناطيسيتها والانواء والأعاصير التي تحدث على سطحها ومقدار الكلف (البقع السوداء). وهذه العوامل تصل إلى الأرض وتؤثر عليها ولكن تأثيرها يتكيف طبقاً لمركز الأرض في مدارها حول الشمس وأوقات الفصول وموقع البلدان الجغرافي وقربه من البحار والصحاري وسلاسل الجبال وأنواع الرياح التي تهب ووجهات هبوبها.

وبالرغم من الجهود الجبارة التي نبذها في الرصد والمراقبة والدرس والتحصيل فإن معارفنا من هذا القبيل لا تزال قاصرة فهي في المهد أو في فجر حياتها وعصرها. وكل من يدعي انه يعرف كل شيء في هذه الأمور ويتنبأ عن مستقبل الطقس ويعلل أو يعطي السبب الحقيقي لذلك فهو رجل غير صادق في رؤاه. معارفه قليلة ونظيره قصير.

وسرني جداً رفضكم قبول نسبة قلة المطر لوجود محطة فلك ولو مهما كانت قوتها حتى ولو جعلت مليون ضعف ما هي عليه الآن.

ونحن نتابع رصد الجو والمطر والطقس وندونها لنعلم الدورة التي فيها تعود الأمور إلى ما كانت عليه قبلاً وقد اعتقد العلماء أولاً أن مدتها ١٣ أو ١٤ سنة ثم قالوا ٥٠ والآن يقولون ١٠٠ وهام جداً - نعم يوجد شيء من الصحة للدورات المذكورة ولكنها ليست الدورة الحقيقية الكاملة.

وقد أتى في تاريخ مرصدنا عدد من السنين المتعاقبة كان فيها المطر قليلاً ففي سنة ١٨٦٩ - ٧٠ كان ١٢,٢٧ قيراطاً وتعاقب هكذا ١٩,١٤ ز ١٨,٤٨ ز ١٨,٩٤ ز ٣٩,٥ ز ٢٦,٦ ز ١٦,٤٥ ز ٢٣,٧.

نعم إن قلة المطر بلية ولكن المطر القليل ولو لبضعة سنين له أمثلة كثيرة في التاريخ كما ترون من الأرقام المذكورة.

والمهم أن معظم الأسباب الجوهرية لمعرفة الطقس لا تزال مجهولة ولكن جهود العلماء ستجلبوها ولو طال الزمان.

وسلفاً اشكر ثقتكم بي وغيرتكم ومحبتكم واقبلوا في الختام عظيم احترامي.

منصور جرداتي



وشائق

ايجزب القومى

عمدة الرياضة

كتب التدريب

اول نصوص التدريب

واني انقل هنا اول نصوص التدريب والذي سمي النظام المرصوص .

الحزب - القومي كتيب التدريب
عمدة الرياضة الفصل الاول
النظام المرصوص

النظام المرصوص مجموعة حركات يقوم بها القوميون منفردين او جماعات في الحشد وفي غيره من ظروف الحياة .

ان هذه الحركات مظهر من مظاهر قوة القوميون ونظامهم ووحدة صفوفهم ، فيجب ان يقترن تنفيذها بالرشاقة والقوة . اما في الجماعات فالنظام ووحدة الحركة فضروريان في التنفيذ .

تنبيه للمدربين

- يسلك المدرب مع القوميون مسلك الخزم فيعودهم على طاعته واحترامه .
- يرتب المدرب فوجه على صف او اكثر ويباعد ما بين افراده - جهة وعمقا - فلا يزعج احدهم الآخر او يتلهى بمراقبته . وعلى المدرب ان يخالف بين مواضع القوميون فيراهم ويرونه جميعاً .
- يقف المدرب على مسافة من فوجه تعادل طول الجبهة .
- يسمى المدرب الحركة المراد تعليمها ويقوم بتنفيذها على الوجه الاكمل . ثم يشرح للقوميين تفاصيل تنفيذها ويقرن الشرح الكلامي بالتنفيذ على مرأى من جميع افراد الفوج ثم يطلب اليهم مرافقته في التنفيذ .
- يأمر المدرب القوميون منفردين بالتمرن على الحركة المراد تعليمها وينصرف الى مراقبتهم فردا فردا .
- محذور على المدرب ان يمس احد القوميون وقت التدريب . عليه ان يصحح اخطاءهم شارحاً ومفصلاً الى ان يتقن القومي القيام بالحركة التي يتعلم .
- لا يجوز ان يقابل القوميون الشمس وقت التدريب فتزعجهم .
- على المدرب ان يعطي الايعاز بصوت جهوري قوي حازم .

القومي المنفرد

وضعية القومي الاعزل

الايعاز - قم - (استقم)

اسفل الجسم - العقبان ملتصقان على خط واحد . القدمان منفرجتان اقل من زاوية قائمة والركبتان مشدودتان .

الجسم - الجذع قائم عمودياً على الوركين، البطن ضامرة، والصدر بارز، والكتفان مخطوفتان الى الوراء .

الذراعان - الذراعان مرسلتان الى الاسفل، الكفان مفتوحتان متجهتان الى الامام، الاصابع ملتصقة، والخنصر وراء خياطة البنطلون .

الرأس - منتصب والنظر موجه الى الامام على موازاة ارتفاع الرأس .

ملاحظات - يبقى القومي ساكناً ساكناً لا يتحرك ولا يتكلم ولا يميل بنظره .

الاستراحة

الايعاز - رح (استرح)

الحركة - يرسل القومي رجله اليسرى الى اليسار بموازاة الرجل اليمنى الى خمسة عشر سنتيمترا فقط ويبقى عقبه اليمين في محله .

ملاحظات - في الاستراحة يرخى القومي جسمه وتجاوز له الحركة على ان لا يتكلم ولا يغير موضع الرجلين .

السلام

الايعاز - سلام خذ .

الحركة - يرفع القومي ذراعه اليمنى الى اعلى والى اليمين على ان يكون العضد افقياً تماماً مساوياً للكتف والساعد عمودياً يشكل مع العضد زاوية قائمة . الكف مفتوحة مائلة قليلاً الى الامام والاصابع ملتصقة .

الرجوع الى الوضع

الايعاز - وضعك .

الحركة - يخفض القومي ذراعه الى جانبه بعزم ويبقى بوضعية القومي الاعزل (مستقيماً) .

السلام للزعيم

الايعاز - للزعيم سلام - خذ يحيا .

الحركة - يرفع القومي ذراعه اليمنى مثنية امامه ويمد ساعده افقياً على صدره ويضم أبهامه تحت الثدي الايسر فيكون باطن الكف الى اسفل ويرافق هذه الحركة كلمة «سعادة» رداً على الايعاز «يحيا». اما اذا التقى القومي منفرداً بالزعيم يبادره بهذه التحية قائلاً: «يحيا سعادة».

السير الى الامام

الايعاز - (التحضيرى) - الى الامام (التنفيذى) - سر .

الحركة - عند الايعاز التحضيرى يميل القومي بجسمه قليلا الى الامام محولا كل ثقله على الرجل اليمنى. عند الايعاز التنفيذى يرسل القومي ساقه اليسرى خطوة كاملة الى الامام اي 75 سنتيمترا مستقبلا الارض بعقب الرجل اليسرى ثم يفعل باليمنى ما فعل باليسرى ويسير بخطى موزونة متساوية الابعاد - 75 سنتيمترا كل خطوة. اما الذراعان فتتحركان تحريكا طبيعياً - الذراع اليمنى مع الساق اليسرى والذراع اليسرى مع الساق اليمنى بموازاة الساقين - اما الكف فتبقى مفتوحة والاصابع ملتصقة وباطن الكف في اتجاه الجسم، والرأس منتصب، والنظر متجه الى الامام. يحظر الكلام او التلفت اثناء السير .

الدوران: الى اليمين - اليسار - الورا

الايعاز - الى اليمين - در .

الحركة - يرفع القومي قدم رجله اليمنى وعقب اليسرى ويدور على عقب اليمنى واصابع اليسرى - يلصق عقب اليسرى بعقب اليمنى .

الايعاز - الي اليسار - در .

الحركة - يرفع القومي قدم رجله اليسرى قليلا وعقب اليمنى قليلا ويدور على عقب اليسرى واصابع اليمنى - يلصق عقب اليمنى بعقب اليسرى .

الحركة - (تنفيذ بثلاث مراحل)

اولا - ان يدير القومي رجله اليسرى ليصبح مقدمها متجهاً الى الامام وينقل رجله اليمنى الى وراه الرجل اليسرى على مسافة 15 سنتيمترا واضعا وسط الرجل

اليمنى على مساواة عقب الرجل اليسرى. اما الصدر والنظر فيبقيان متجهين الى الامام.

ثانياً - يرفع القومي اصابع رجليه ويدور على عقبه نصف دائرة الى اليمين.

ثالثاً - يعيد الرجل اليمنى الى موضعها بجانب اليسرى فيلتصق العقبان (وضعية القومي الاعزل).

الوقوف

الايعاز - مكانك - قف.

(على المدرب ان يعطي الايعاز التنفيذي عندما تكون الرجل اليمنى على الارض).

الحركة - عندما يعطي الايعاز التنفيذي والرجل اليمنى على الارض فترسل اليسرى خطوة كاملة الى الامام وتنقل اليمنى الى جانبها، على ان يلتصق العقبان ويقف القومي مستقيماً (بوضعية القومي الاعزل).



رسالة من الزعيم من السجن الى رئيس المجلس الاعلى بواسطة فخري معلوف

عزيزي!

ان رسالتك كانتا الى رئيس المجلس الاعلى
بواسطة فوجي اخذ نسخة عنه مني سعيد

محبوبتي جندته بين ايمان المجلس عزيزي

الكتاب والرسم الذي برشته ان شاء الله

ان حالة الشعب السياسية والادارية والم

يتم ان التدابير التي اتخذت اثناء سجنكم

ما يطمئن فآريه ان لا تستطيع من ان يصنع ذلك

ان ان لا يكون هناك كثير شخص وان تجرب

روح ابيدواك بكل تشارك وان تكون راضون

بمساعدة حالة ان سيدان الامام اوريد

اننا ان نصل من انا براسة الاماميين

بمساعدة كثير اننا من الاغلاط التي حدثت و

ان السجن وواقعت مجرم التظيم نوجب علينا ان

نكون دائما مستعدين نتابع الاغلاط ونحن

بمساعدة علينا ان لا نضع الاغلاط تهدد البشرية

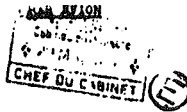
فمن ان نكون واثباتنا بغير وطنا نبتة قدم

اصرا من اللام التمسكون بالحق والاصحاب

وثيقة من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية

D/30
HAUT-COMMISSARIAT
DE LA
RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
EN SYRIE ET AU LIBAN
CABINET F.

Beirut, le



CONFIDENTIEL

M. MISTRAL, DÉLÉGUÉ GÉNÉRAL DU HAUT COMMISSAIRE
À SON EXCELLENCE
MONSIEUR LE MINISTRE DES AFFAIRES ÉTRANGÈRES
(Levant).

c/c. Antoine Saadé.

Mis en liberté provisoire le 14 mai
Antoine Saadé, chef du parti national syrien avait
antérieurement signé une déclaration actuellement
entre les mains du gouvernement local et dans
laquelle il reconnaît l'indépendance libanaise. Il
a adressé en outre au Juge d'instruction un exposé
de la doctrine du parti à l'égard des propagandes
étrangères et de l'amitié française. L'original de
ce document a été remis à mes services par le Pré-
sident du conseil libanais ; j'en joins une traduction
en annexe au présent pli.

À l'instigation de Khairaddin Ahdab,
le " Führer " a été d'ailleurs présenté le 24 mai à
mon cabinet politique pour y exposer les grandes
lignes de sa doctrine.

Il a donné l'impression d'un esprit
réfléchi, précis, convaincu de ses possibilités et
ayant longuement étudié les problèmes inhérents à la
manoeuvre psychologique des foules. S'exprimant inc-
rectement en français bien qu'avec suffisamment de
nuances, il a demandé l'autorisation de se faire accom-
pagner au cours d'une nouvelle entrevue éventuelle
par un de ses camarades de parti connaissant bien no-
tre langue, afin, a-t-il dit, de pouvoir s'expliquer
avec toute la précision désirable, cette précision
dans l'expression étant une de ses préoccupations
constantes.

Se réclamant de ses origines chrétiennes, -il est grec-orthodoxe - mais aussi de l'esprit laïque, Saad a affirmé que son parti ne s'était jamais élevé contre le mandat français, puisque aussi bien reconnaît la nécessité pour ces pays d'une collaboration intime avec la France et qu'il condamne les propagandes italienne et allemande comme cachant des visées impérialistes en opposition avec la mission d'un ordre plus élevé que nous avons acceptée au Levant.

Son mouvement " syrien ", a-t-il précisé, vise non point à la réunion du Liban à la Syrie, mais à l'absorption ultérieure de la Syrie par des " têtes " libanaises afin notamment de la détourner du monde arabe . Il n'ignore pas toutefois la force de résistance de l'Islam, pas plus d'ailleurs que la connexion existant entre les mouvements palearabes et panislamique mais il pense pouvoir s'y attaquer en travaillant, aussi bien en Syrie qu'au Liban, à la création d'un sentiment national se substituant

aux particularismes sociaux et confessionnels, ainsi qu'à la mise en oeuvre progressive d'un programme social.

Désireux maintenant, semble-t-il, de travailler à l'unification du Liban, sans pour autant et sous peine de perdre la face vis-à-vis de ses adhérents syriens, abandonner sa propagande en Syrie, il a la conviction de pouvoir, sinon rallier le bloc sunnite du littoral à l'idée libanaise, du moins l'amener à accepter son intégration au sein de l'état.

En ce qui concerne le côté syrien de son activité, il a enfin précisé qu'il avait l'ambition d'arracher les masses à l'emprise des politiciens professionnels locaux plus soucieux d'intérêts personnels que d'élaboration et d'application d'un plan constructif.

Il lui a été spécifié que son activité au Liban relevait essentiellement du gouvernement local qui, responsable de l'intégrité territoriale du pays, avait le devoir de s'opposer à tout mouvement susceptible de la mettre en cause.

J'apprends d'ailleurs que Saadé a pris d'utiles contacts avec le Président Eddé et Kheiridin Abdab . Je sais aussi de source sûre que ce dernier vient de lui faire accepter mille francs pour aller se reposer à la montagne, avant d'essayer d'utiliser les convictions et l'allant juvénile de ses partisans à des fins électorales./.

COPIE.-

Monsieur le Juge d'Instruction Meured,

J'ai l'honneur de vous confirmer les déclarations que je vous ai faites dans mon interrogatoire de ce jour et d'y ajouter cette lettre dans laquelle je définis l'attitude expresse du parti à l'égard des propagandes étrangères, du mandat et de la puissance mandataire. J'espère que les vérités exposées simplement dans ce document détermineront votre conviction et que vous estimerez opportun d'en faire part à qui de droit.

Au sujet des propagandes étrangères je déclare que les allégations d'après lesquelles le parti national syrien serait de formation étrangère ou d'influence étrangère proviennent d'individus connus pour leur hostilité contre le parti et pour leur lutte contre son programme réformateur. Ces allégations ne dépassent d'ailleurs pas le cadre de la rumeur publique. La vérité est que le parti lutte et luttera secrètement et publiquement contre les propagandes étrangères. Dès avant qu'il ne fut découvert et que les ennemis n'eussent répandu leurs bruits à son sujet, le parti avait manifesté son sentiment à l'égard du danger des propagandes étrangères et s'était employé à combattre ces dernières par les moyens de

propagande en son pouvoir. Cette attitude de combat ressort nettement de mon discours officiel prononcé à la réunion générale du parti du 1er juin 1935 dans lequel j'ai mis les membres en garde contre les propagandes étrangères et surtout italienne et allemande. J'ai, en même temps, invité le parti à constituer un obstacle infranchissable en face des intrigues de

ces papiers. Une copie de ce discours, tombée a
mains des agents de la sûreté générale, a été trans-
mise au tribunal mixte lors de notre première mise
en jugement.

Pour ce qui est du mandat, le parti a exp-
mé l'avis d'utiliser la présence pour réaliser les
réformes en vue desquelles il a été institué. Quant
la France, en tant que puissance amie ayant des rela-
tions étroites avec notre patrie, le parti national
syrien préconise le vif attachement à cette amitié,
non seulement à cause de cette amitié elle-même, mai-
aussi des nécessités de l'intérêt national, celui-ci
s'accordant parfaitement avec l'intérêt de la France
à tous les points de vue: matériel, culturel et poli-
tique. Partisan du non isolement à l'égard du monde,
nous tenons à ce que nos relations avec la France
soient consolidées pour éviter de nous trouver seuls
en face des dangers qui nous entourent. Je signale
d'ailleurs expressément ces vues dans un document
manuscrit qui a été saisi de moi et qui se trouve
par devant vous dans le dossier de l'instruction.
Nous considérons la présence de la France dans notre
patrie comme une précieuse occasion pour nous d'ac-
croître notre entente avec elle et d'accéder au sta-
tus international qu'engendrera cette entente d'autant
plus désirée par nous qu'elle consacre notre souve-
raineté nationale.

Le parti va plus loin encore. Il est pour
la transformation concrète de cette entente, c'est-à-
dire pour sa concrétisation en accords à long terme.

Veuillez agréer, Monsieur le juge d'instruc-
tion

le 11 mai 1937

Antoun Saadé

رسالة من الشاعر هيكتور خلاط بالفرنسية بخطه الى جبران جريج

Cher Hourou, 12 Juin 1972

Vous m'avez fait un grand plaisir et vous
m'avez ému en me révélant que vous aviez pris connaissance, il y
plus de trente ans, d'une de mes lettres adressée à feu Antoine Lade.
Et vous m'avez remercié, ce j'en suis une copie. Hélas! depuis ce tem-
ps-là, un paquet énorme de ma correspondance a été détruit, vous en-
sachiez. Et que vous avez répondu: "Ne vous souvenez-vous pas, plus ou m-
ce que vous lui avez dit? Si vous vous le rappelez, écrivez-moi
moi le sujet de la lettre en question?"

Toutefois j'y consens. Mais je ne suis guère sûr que
toute la lettre de tout. Les mots se sont envolés, mais les idées sont
encore dans ma mémoire. Toutefois, à peu près, ce que j'ai écrit.

Je n'ai écrit pas de tout, cher Hourou, à mon retour, pour corriger,
même, retourner; mais j'ai écrit sur cette indépendance d'écriture.

Cordialement votre

Hector

P.S. - Je serai heureux de recevoir près de moi, votre ami Det Comal

رسالة من الشاعر هكتور خلاط بالفرنسية بخطه إلى الزعيم

... Je suis certainement content d'avoir fait ^{notre} connaissance.
Hier, à Sfax, chez mon beau-frère Jorge Cabal et vos propos m'ont été
très intéressés.

Bien entendu, j'ai porté par votre avis, votre
avis en ce qui concerne l'unité géographique des peuples et des États.

Ainsi, il n'est pas de "terre" géographique plus nettement dessinée que ce
qu'on appelle le "péninsule ibérique", admirablement séparée de l'Europe par la chaîne
des Pyrénées et d'ailleurs, à l'est, au sud et à l'ouest, par l'Océan et la Méditerranée.
De là on dirait, depuis nos conceptions, qu'il n'y a qu'un seul État; mais nous voyons que
depuis des siècles, il est divisé en deux États indépendants: l'Espagne et le Portugal.
On pourrait citer d'autres exemples de ce phénomène historique.

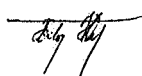
Mais on y a vu totalement l'accord avec moi, sur ce qui est la confusion.

A ce propos, laissez-moi vous dire combien j'ai admiré votre courageuse
franchise, quant à l'événement. Ah! ayant obtenu, m'interprétant ainsi votre expression,
que vous ayez repris quand mon beau-frère vous eut prié de continuer.

Le résultat peut-être n'a pas été ce que j'aurais souhaité; mais j'en ai été
toutement satisfait. J'ai toujours pensé que le confessionnalisme est la plaie
de notre état, plus que l'ignorance de certaines masses de religieux, et l'ignorance de
celle de plus que la main-morte de grands fondaux.

Je vous partage avec les jeunes que vous avez su ^{entraîner}, porter
un coup fatal à ce confessionnalisme mortel, mais avez rendu à ce pays un
service irréparable. "Vivrai-je" essayez; moi qui fais la conquête, que
pourrai-je à ce beau jour? ...

Décidément votre



28 30

Cette non point littéralement exacte,

mais

que ces deux expressions différentes ne valent pas moins au langage

18 29.

الايام الحزبية التاريخية

(كما وردت في نداء الزعيم الى الامة السورية من مغتربه القسري تاريخ 1 يوليو 1938)

اذكركم بيوم «عاطور - الشوف» . لم تقفوا في ذلك اليوم الشهيد تجاه القوة المسلحة المرسله لتفريق شملكم وبعثرة صفوفكم ، موقف النظام الدقيق والطاعة المثلى فام تحركوا ساكنا والاسماء والارض ومخافيتها شهدوا بأني لو شئت اختيار غير هذا الموقف ومقابلة العنف بالعنف لكان انتصارنا بالقوة اكيدا كما كان انتصارنا بالصبر .

اذكركم بيوم « بكفيا » وقد هاجتكم القوة المسلحة بقصد انتزاع اعلامكم فاطبقت عليها اطباق فك الاسد على عنق غزال وارسل الي قائدكم يخبرني بأن القوة المدججة بالسلاح قد اصبحت في قبضتنا ويسأل تعلبات جديدة فاشرت عليكم بالعنف عن القوة التي لم يستحق قائدها هذه المعاملة النبيلة .

اذكركم بيوم « طرطوس » حين تألبت جموعكم وجاءت ومشى الشعب كله معها وما حرك العدو ساكنا .

اذكركم بيوم « دمشق » حين وقفت صفوفكم امام الجامع الاموي في يوم الاسكندرونة وحاولت بعض العناصر الشيوعية الاعتداء على بعض الرفقاء الذين كانوا في الداخل ، وكانت تلك العناصر متفاهمة مع رجال الحكم ضدكم ومؤيدة من رجال الامن فكفت جريدتان او ثلاث جرائد منكم للسيطرة على الموقف والاقتصاص من المعتدين واعادة الامن الى نصابه وحمايته من « رجال الامن » حتى صفقت الجماهير لعملكم وهتفت لكم وتجاوب صدى اجراءاتكم الباهرة في موسكو وباريس!

اذكركم بيوم « طرطوس » حين تألبت جموعكم وجاءت القوات المسلحة ثم ارتدت على اعقابها حين رأت ما يؤول اليه الاشتباك معكم!

ويوم « صافيتا » ! ويوم « تلكلخ » وكواكب فرسانه ! ويوم بتربل ومناوراته ! لقد اساء الناس فهمكم وهو ما حملني على القول في يوم « طرابلس - الكورة » : « اننا قد انتصرنا بالصبر والاحتمال ولكننا نقدر ، حين لا ينفذ الصبر ، على الانتصار بوسائل اخرى » .

نسخة طبق الاصل عن جلسات فرع الحزب في المكسيك
(السنة الحزبية الخامسة) 1937

الجلسة الثالثة والثلاثون

عقدت في 23 نوفمبر 1936 - تليت رسالة المدير حبيب رزق ويفيدنا بأنه انضم الى الصفوف القومية الرفيقان: أمين داود داود من تشيواوا و ابراهيم مارون الخوري من باروال - أنجرت الازرار - شعارات، الحزب وقد تبرع الرفقاء بقيمة خمس ريات كل واحد .

توقيع الناموس
نجيب أبو شاهين

الجلسة الرابعة والثلاثون

عقدت في 30 نوفمبر 1936 - سَلَم المال المحبى من تمثيل الرواية الى امين الصندوق. انضم الى الصفوف القومية الرفقاء :
رشيد نمر العزمي، الياس سليم الفتال، احمد حسن فارس، فضل الله فريح الدخلة، وتليت الرسالة التي بعثت الى محمد امين الحسين مع التبرعات لمنكوبي فلسطين .

الناموس
نجيب ابو شاهين

الجلسة الخامسة والثلاثون العمومية

عقدت في 7 ديسمبر 1936 - اقسم اليمين الرفيق توفيق ابي شقره وتليت رسالة من المركز تفيد بان حضرة الزعيم قد خرج من السجن واخبار كثيرة غيرها .

الناموس
نجيب ابو شاهين

الجلسة السادسة والثلاثون

عقدت في 15 ديسمبر 1936 - واقسم اليمين الرفقاء: جرجي سليمان برهوم، ابراهيم سليم عطاالله، بهاء الدين بوشناق، نجيب محمد النجار، عزت حبيب حلابا، هيكتور حداد، تقرر ارسال كتاب تهنئة لحضرة الزعيم بمناسبة خروجه من السجن

وتقرر ايضا عمل خريطة لسورية الطبيعية واقامة حفلة رسمية في 28 الجاري .

الناموس

نجيب ابو شاهين

الجلسة التاسعة والثلاثون العمومية

عقدت في 4 يناير 1937 - انضم الى الصفوف القومية بواسطة الرفيق كامل طالب بدر الرفقاء : بشير يوسف سعاده، ابراهيم يعقوب صراف وفؤاد يوسف سعاده ونتيجة الزيارة التي قام بها حضرة المدير برفقة الرفيق زاهي نصر الى فيراكروز. وقرر كل من الرفقاء الآتية اسماؤهم والمقيمين في مدينة قرطبة: ميري مطانيوس فياض، عبد المسيح داود عيسى، مخايل الياس حداد، جميل عبدالله ابراهيم، حنا عبدالله ابراهيم، عازار سليمان يونس، نوري جريس هنود، ابراهيم محمد تقلا، زكي يونس خباز، احمد سليمان محمد، يوسف الصقر، مصطفى تقلا، محمد صالح والرفيقات: انجلا حافظ رحمة، حفيظة عيسى وحسيبه عزيز عدلا .

توقيع الناموس

نجيب ابو شاهين

الجلسة السادسة من السنة الثانية

عقدت هذه الجلسة في اول شباط 1937 - اقسام اليمين الرفقاء : جميل سعاده فرزلي، نجيب ذيب مخايل، حبيب سعيد الصائغ . تليت رسالة واردة من الحاج محمد امين الحسيني - القدس - ويعلن عن استلامه القيمة التي تبرع بها اعضاء الحزب في المكسيك لمنكوبي فلسطين. إلى الرفيق يوسف اليحيى فإن ابناء الجبل باشروا بجمع دراهم لاجل تقديم هدية الى سلطان باشا الاطرش عند عودته الى ربوع الوطن وطلب من هيئة المديرية المساعدة بهذا المشروع، فتقرر تعيين لجنة من الرفقاء: جرجي ايشالوم، فارس ابي المني وفيككتور مبيض لاجل جمع التبرعات من الرفقاء .
تقرر بناء مسرح في قاعة الحزب للتمثيل .

الجلسة التاسعة عشر من السنة الثانية - جلسة عمومية

عقدت في 3 ايار 1937 - اقسام اليمين الرفقاء : خليل طعمه، انطانيوس شحاده

ابي سعيد، انيس سر كيس، مخايل عيسى، الكسي مبيض، حبيب ليان وجورج الياس حداد - تليت دعوة من قبل محافظة العاصمة لوضع اكليل من الزهور على مدافن اباطل المكسيك في ثورة الاستقلال بمناسبة 5 مايو. عين وفد للذهاب ووضع اكليل من الزهور باسم الحزب من الرفقاء: كامل صعب، جرجي ايشالوم، توفيق الاشقر، خليل خرفان، اسبر بولس، توفيق غبريال، حبيب ازن، عساف ابو مراد، نجيب ابو شاهين، اندراوس سيمون.

توقيع الناموس

نجيب او شاهين

الجلسة الحادية والعشرون - حفلة تدشين المسرح

دشن المسرح بتاريخ 11 ايار 1937، كان الرفيق فيكتور مبيض عريف الحفلة وقدم الرفيق عبد الدائم نحاس للغناء وعاونته الرفيقتان فيكتور والكسي مبيض بالموسيقى، تكلم الرفيقتين نجيب ابو شاهين والياس سمعان، وكذلك الدكتور فارس ساسين وانشدت الرفيقة الماس صعب نشيداً وطنياً قوبل بالاستحسان.

الجلسة الثانية والعشرون من السنة الثانية

عقدت في 17 ايار 1937 - اقسام اليمين الرفيق عبدالله حسين بلوط، قرر الكتابة الى جميع المديريات التابعة لمديرتنا بارسال كل ما لديهم من المال حتى نرسله بدورنا الى المركز باسرع وقت ممكن. وكذلك طلب منهم ان يشتركوا في الجرائد التي تكتب وتحبذ الحزب.

توقيع

توفيق الاشقر

الجلسة الثالثة والعشرون من السنة الثانية

عقدت في 24 ايار 1937 - اقسام اليمين الرفقاء: داود الاشقر، توفيق يعقوب، سليمان ابراهيم البيطار. مكتوبان من عبر الحدود يطلبون ما تجمع لدينا من المال،

الناموس

توفيق الاشقر

الجلسة الرابعة والعشرون من السنة الثانية

عقدت في 31 ايار 1937 تليت مقالات عن الزعم نشرت في جرائد الوطن وكذلك رسالتان من عبر الحدود يطالبون بالمساعدات لعائلات القوميين الذين لا يزالون في السجون.

الناموس
توفيق الاشقر



اناشيد 1937

يا بلادي، انهضي يا بلادي! نظم ويكتور اسعد: لحن اجني
ايها الناهضون رغم الزمان! نظم جبران جريج، لحن توفيق الباشا
صخب البحر نظم سعيد عقل، لحن ادوار سر كيس

رسالة من الزعيم إلى الأمين عساف أبي مراد بخط يده

الأمين عساف

رئيس الزعيم

صادرة رقم ()

حضرة السيد الأمين عساف أبو مراد المحترم
ان كنت تتبعت عمالك وشعبك في سبيل حركتك
وقضيةك التيته وسرورت كثيرا بالنتيجة المشيئة
التي لا تفتية في ستره جبروتك فاعصية السيد
وكانت فضايلك موضع اهتمام من رعايتك فقددت
صديقتك وودعية الشهادة الصحيحة انما علمت فيك
ووددت كثيرا ان ترأس اليك مهنتا ما خدمت
ولكن شواغل الحزب والقضية التيته استغرتك
كل ما يتيسر رعايتك فاستغرتك ايضا بالودعيات
والله يشايع بالاسماء التيته
لقد سمعت بكل فخر وتقدير الاعمال والاسعاد
التي قام بها فخر المكسيك فوددت ان الحزب
في نظركم الاستعباد ولقد اسعدت الكاندية التي
قام بها فخر قطع المكسيك وكان حنة الحزب اعظم
فخرنا. لكن ذلك كان نتيجة سعيدة وحلقت
الانفص. ولذلك فقد قدرت ارشادك وبنوفاك
ومنتك رغبة "الارثمانية" التي هي رغبة من
الحزب ولقد تمنع انك الودعيات والقدما والذين
ضخوا في سبيل الحزب وودعوا على بيتك وعودته
والله يشايع الله وقاموا بخدمات جليلة التيته



الجمهورية العربية السورية
وزارة التربية والتعليم

مكتب التعميم

صادرة رقم ()

٢

وعارفاً بالمدارس والبيدغ والأخصوا للفرز كل المنفرد من
 وتقوموا في سبيل القضية عن كل غاية شخصية .
 وهذه الرتبة تعجب الاحترام والتقدير على ما لم ويجيز
 له التوقف على أسرار الفرز السياسية
 وغيرها وترتفع على ما لم تكن ينتدب للمهمات
 الخيرية التي توجب على رعايته برأمانه وتحماته
 وتشرده له دون سبغ صفاته في اللبس الراسخ
 ثابته قد استجبت لهذه الرتبة واستطقت
 البراعة الرسمية فأصلك
 ذلك بدون شك نسخة الدستور والراسيم الدستورية
 والسوانين المالية وغيرها قبل وصول هذا الكتاب
 اليك فأصديك بدوسك وعند مجلس المديرين
 ادوسك والتفكير في تطبيقه على أمانة ودقة
 بين الفرز التي عنك مستقر لتثبيت مركزه
 وتقدية حركته . وعلى من هذا النوع بعد اشاع
 نطاق الفرز اشاعاً كبيراً وازدياد مطالبه الدولة
 ولاذاعية والتفتيشية ، وبعد ما حل به من الصعك
 بفتح لجان جهود عقلية وعملية ومالية عظيمة . والجهود
 المالية تعتمد في أساسها على (الجهود) التي على الوطن
 اذلاصل الاقتصادية والمالية في الوطن حير من



3

الجامعة العربية
القاهرة

رئيس اللجنة

صادرة رقم ()

سيد الرئيس والسادة الأعضاء

قد سلمت صديحة الالانسة (الآنسة صبا) وهي
صديحة لطيفة تدعى على سلامة ذوق من درجة
عالية ومن عاطفة صادقة تزيد من قوتنا الروحية
وإن شاء الله تعالى صبا على عدة 'لا يظهر لها
بتقديرنا واحترامنا

سأدفع رسالة إلى السوريين المرحومين في أول
ثورة ما نغته. ثم إننا في قادمنا نرى من بعض
الاشغول الالانسة اسم كمنيت سياسترة المذهب
والشعار مدونات طيبة تجعله أقوى قوة سياسية
في الوطن، وينتج كتابين "نشوة الالانسة" الذين ألفتها
في حين الأوقات وتنظيم إدارة المذهب الداخلية
تنظيمات. من كل ذلك سننظر إلى فرع الكسندر
نظرًا إلى وحدة قومية من وحدات المذهب السوري
التي هي من مبادئه وصديحة لانتخب
فأوليت في أول جميع السوريين القوميين إننا بين
استذيتك سندان وشي
وليس سدرية

في 13 أغسطس 1937

رسالة الزعيم إلى نائب الزعيم الأمين أنيس فاخوري بخط يده من السجن

(ناقصة الصفحة الأولى).

ع. س. ن.

وأريد أن يكون واضحاً لكم ولجميع الأحرار أن تترك
السلطة السياسية لكلمة الزعيم، ومن أوصفت
بأنه وسيط أو مندوب أو مستشار فإن الأمر
يكون أخصاره وتاريخ الحزب وثقافته تتصل به
بشأنه

اتخذوا الحذر والحيطه في أعمالكم وأبعدوا الشيوعيين والذين
كأنوا شيوعيين عن اولوجاتكم ومكان الأحرار واتخذوا
تدابير احتياطية لما قد يتبع واتخذوا قراراً بتعيين خلفكم
في حالة غيابكم من السجن أصحت رؤيتكم التمسك
بذو خلاصه

استدراك كل شئ من حيث صحت أحوال وأعمال الحزب
بشأن الشيوعيين عرضة لانتقاد العاطلين وآراء غير الشيوعيين
فإن مقاصد من مقاصد الزعيم وقصد النظر لا يمكن أن
يبدوا منها إلا بعد وقت ولا من فوضوا عن الأوصاف
بشأن ما يتبع سجنكم بالتدابير التي اطلب منكم اتخاذها
لنسخ الأوصاف من ابداء آرائكم ارضيتكم في تدابير الزعيم
فالزعيم يهتم قبل كل شئ في إذا كان سفره إلى أميركا مع
بمجرد أن يصرح به ثم لا وما يراه الزعيم لا يراه
المستقلون على السياسة اناظرون إلى ما ينظر العاديين
الذين لا جديد ولا شئ في عملهم، وإنما كل شئ من
من الحكيم، أسس أو التغيير عن رأيي فإن لا أتكلف أهدأ
بذلك، وانتم انكم لا تهتموا كثيراً بآراء المستقلين وبعض
الظهور واضاروا معكم من ذور الرعايه والاعتزاز وأصل
العلم والنبوة لا أصل الظنفة، ونحن التقوية التقدمية

في 1937.4.9

الزعيم

النسخة الأصلية بخط العالم منصور جرداق .

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
BEIRUT, SYRIA

DEPARTMENT OF MATHEMATICS AND ENGINEERING

١٩٣٤
٢٠٢

حلقة الفصل

انني اُتيت على اجراء رقم واهتمام ودراسة وبتاهتم
 رجاء ملاحظتكم الحقيقة وطرقتم مواضيع لنتي كلما يتم لها
 اجتهاد قضية النفس والمخبر قضية مهمة جدا في نظر العلماء
 والعامه معا ولهذا ترى حكومات البلدان المتحدثة نظرت حكومة امريكا
 (الولايات المتحدت) رصد اموالا غزيرة تفرزها على الارض المشهور ولوجهم
 وعددا من ثلاثة آلاف في بلادها حيا بالوقوف على الحقيقة العلمية
 واحتم منه الفائدة التي قد يربها (تربها) للملاحين والمزارعين
 والعوامل الرئيسية التي تؤثر على النفس والمخبر تتعلق بالبيئة
 الشمس وفضطبيتها والانداء والاعاصيد التي تحدث على سطحها
 وشمس الكلف (البقع السوداء) وهذه العوامل تصد الى الارض
 وتؤثر عليها وكان تأثيرها يتكيف طبقا لمرکز الارض في مدارها
 حوله الشمس واوقات الفصول وموقع البلدان الجغرافي وتربها
 من البحار والصحاري وسلاسل الجبال واتجاه الرياح التي تهب
 وجبات هبوبها

وبالرغم عن الجهد واجتهاد التي بذلها في الرصد والمراقبة
 والهدس والتحصيل فان معارضا من هذه العقيد لوزان قاهرة
 تهي في المراد في بحريتها وغيرها وكل من يدعي انه يعرف

لقد تمّ استكمال البحث في أبحاثي
وأشياء كثيرة من هذا القبيل
بمعرفة كل من حليمة حنا

وبعدها كل ذلك كتب لعمري
نصفه من بعد ذلك ما
منه في أبحاثي

في أبحاثي في استكمال
أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي

أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي

أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي
أبحاثي في أبحاثي

أبحاثي في أبحاثي

النسخة الأصلية بخط المخترع حسن كامل الصباح

في ١٨ شباط ١٩٢٥

مؤادة النوع الفاضل اعزاه الله

أخذت كتاب بلع المشهور بحكم نفسك فلكه بحيلة لسرد ان ما يشيخ العصر ان ارى مودع
 فمعي مرشد تجلت حاشية الخاضع والصدده للنفس والسمو الحشودت على سائر انوار دمهلك
 نعم يا اخي صدقت انه مر أصم هل ينزع نفسه السبب جواهم انقاده والتفكير (كلك الخاتم ان ارى
 تنفسه في نفوسى كثير به العزم صا (لعل للبهود البيدي ذلك)) كذا الاستئصال بالعلوم الطبيعية
 التي لو تكبر للمستقبله فهو الا انه تكلموا لو انفسم والجمعة
 انفسا ركب لرا حصة لفتت بي وقابلت بذكر الجبل عنى لما اى انشاء صحت
 وصحة الأرشاد ابي الطراز (وقد حفظوا لاشكاه من الخروج من الشرط صحبه بالكتابة
 طبع تجد كما نود انه فله عنى (وقد حفظوا لاشكاه من الخروج من الشرط صحبه بالكتابة
 فيه لعدة مؤسسات عليه ولكنه به في امير طراد وروبا الا الخيال انتمك مر ذلك
 لا اعمل كل عوسه نورا استفادى مما نضرا الحركة الاكبر يا الهه في ذلك
 رأى به قوم ما سببه بما لموه انه يطغوا كل قناعة ساطع او افترج مجيب
 وتوفى شفي يا عظم على ذلك ولا انكر ان باخي أصبحت في باسي
 من حالتي التي قره فلعن الله بحدت بيدها آرا
 اني مر صميم العقب اورد لوانه به يديم بقدرات الآمر لهم على شك هلنترج من الأضراسى
 النفس والجمه وانرا لهم والتفكير التزيم اى مر رجال اعظم الحقيقي عرفنا بما ابرهونوا
 مر رجال الضنه والاصرا تنزيب بهم بقعناست فانه من لا يتدبر به ذلك سبب انفسهم
 في سبيل الحياة لو ذاب لصاح العقل والجسد بل سينسونه به صراها سله وضار
 ليسوا بانجل للقيام بأعباء اومر بأسرهم

Antif. Cl. 1874
 Nakul. 1874

رجتم اليه انه لجر مقالاً لندوة نشره الصحيح قبل بزي . اقول اذا لم يكف ما
رسلكم فنحن في احر مقالاً بالعربية مطابره للحاكم المزمع اني ماله احر
ساعة . انه اني ارجح بانه المقاد الذي نشره الشيخ خليل رحمه نسبه من
ورقية الموارد الرساطيه " وكل من نسخها " تكفي لا استخراج مقالته بوقته ذوقه
الطائفة . فاذا اقيتم استخلصتم منها مقالاً ونشرتموه . واشترتم على الأستاذ
أبي مطرم انه يقتضيه ان يتركه او انه ينشر مقالكم بعينه . او انه يتركه او نسخها كل مادة
وصورتيها مقالاً يناسب مراده .

ودعه لو كنتم يه الذمير يرشونه الى النيابة أو الوزارة لانه البلاد ومفتقره اي
ذوي النظر والآراء اذ يجر نظيركم .

وبالختام ابلوا بخلافه واشوفي درستم

لا فاعلم
صه لعل علي صباغ

اذر باي ارسلت نسخته من كل مادة الى رئيسي مع العلم
بدونه مجرد

H. C. A. Sabbah

Box 23

Schenectady N.Y.

U. S. A

G. E. Co.

Schady N.Y.

عزائي

النسخة الأصلية بخط محمد شامل.

أما الخطرات الغرائب ملهبي
 ومنك في الآيات لم يحام
 ومنه كلمات لراي فيك تولد
 لنا غزوة ستماء لم توظف
 اشرافا غوانا في البلاد اذا الى
 علينا اننا الحمد صفه المفسم
 ولم نرصد له وحدة فابله
 بايد دخل القول للمفسم
 فله في صك المراتة بالدم

منصور في جليل ليعون ضما غما
 ولوان صفوا العوايدك شرانغ
 وكل كانت الاعمسا والواضع
 في لوزة الخوايدك المبرم

واني عظم القوم عنت ماها
 كما ابلغ الراضا قد اشعرا
 على عظم ما يدي العتيد والوي
 وصافي الخوايدك عيسى به مبرم

محمد

النسخة الأصلية بخط محمد التنير.

اهلا وسهلا بالعظيم الفاني
 اهلا وسهلا بالشجاعة والنه
 يا مرها عيمه يديه بوحدة
 انشاء عزبا للنظام نونج
 انظرونا اننا قد علمنا للقنا
 اني سا ذكر نبذة منه شرعه
 في ذن الربيعة قد جعلت السلم
 فلي انظرونا العظيم وعزبه

اسم السعادة فتقد الروطام
 والعلم والافلام والعوام
 الشام والادوية مثل لبنام
 سجدت صرحا ثابوة الادوية
 انه تبدل التوفير بدلهة بالينا
 فضل السبكة عهوه الاديان
 السر الذي يعانده الضراحي
 ولهي سوريه ندى الازمان

19 - 1 - 37

الاستاذ محمد التنير

حصيلة انتكاسة المهادنة والمحاكمات 1936 - 1937

الاعتقال الثالث على أثر معركة بكفيا

ما عدا الزعيم، مأمون اياس، كامل أبو كامل، فريد مبارك، محمد راشد اللادقي، محمد الباشا، عجاج المهتار، ويلم صعب، صبحي فؤاد الرئيس، خالد اديب، صلاح شيشكلي، حسن رؤوف، حسن الطويل، توفيق ابو شقرا، مسعود عبد الصمد، وديع الياس مجاعص وفؤاد فرح (جريحان) جميل قيامة، توفيق فرح، ميشال أبو صعب (الملقب «بوفرفر»)، علي عامر، يوسف ملاك، فريد أبو شقرا، فؤاد اندراوس، ابراهيم كمال، اسعد نصار، توفيق جبور، جوزيف فغالي، ميخائيل عيسى، نهاد ملحم حنا، رشاش الصايغ، نجم الاحمدية، فريد شكر. (كانت التهمة العمل لحزب منحل).

كما جرى تفتيش منزل جورج خطار في بيروت ومنزل أبو كامل في عاليه وإحضار والدته إلى المخفر.

وكان الزعيم قد أصدر بيانا بتاريخ أول آذار على أثر هذه المعركة وجرت محاكمته وصدر الحكم بالبراءة.

في بيروت

على اثر اجتماع الاشرافية في بيروت تم توقيف كل الحاضرين وقد بلغ عددهم 107 بتهمة عقد اجتماع غير قانوني والقاء خطب تخلّ بلامن العام. جرى هذا التوقيف دون

اجراء أي تحقيق ثم افرج عنهم تدريجياً خلال 28 يوماً.

في طرابلس .

على أثر صدور بيان حزبي باسم مصطفى المقدم، منفذ عام منفذية طرابلس يدين تصريح البطريك عريضة القائل بابقاء فرنسا في بلادنا 99 سنة تتجدد تلقائياً تم توقيف مصطفى المقدم، سليم صافي حرب، محمود بيان وراتب صالح وبسبب توزيعه تم توقيف عبدالله أيوب، سمعان غنمه، احمد المصري. أفرج عنهم جميعاً بعد اضراب عن الطعام دام خمسة ايام.

محاكمات

صدر الحكم على قومي اميون الكورة في محكمة الاستئناف بالمدة التي كانوا قد قضوها في سجن طرابلس وهي 21 يوماً. (كان المدعي العام اسعد البدوي وهو من اميون الكورة ويعود إليه الفضل بهذا الحكم).

جرت محاكمة غندور كرم، الصحفي المتمرن، بتهمة انه كان يكتب على الحيطان ليلاً بعض العبارات الحزبية والتهكم على السلطات. صدر الحكم عليه ثلاثة اشهر وقد اشتهر بقوله في الدفاع رداً على نوعية مسؤوليته في الحزب: « أنا رصاصة في مسدس الزعم يطلقني حيث يشاء ».

خلاصة

وهذه خلاصة لأهم ما ورد في المجلد الثالث « من الجمعة » خلال السنة الحزبية الخامسة: 1936 - 1937 .

- الفتنة الطائفية، 16 تشرين الثاني 1936 وبيان الزعيم إلى القوميين الاجتماعيين وارسالهم لمعالجتها .

- زيارة منطقة اللاذقية (محافظة طرطوس اليوم) بين 17 - 21 كانون الأول 1936⁽¹⁾ .

- ذكرى الحدود الشمالية، 14 كانون الأول 1936 . بداية الحملة من اجل الاسكندرون بمذكرة إلى الجمعية الاممية تحمل هذا التاريخ .

- محاضرة الاديب توفيق يوسف عواد على خريجي الجامعة الاميركانية في بيروت في 18 كانون الأول 1936 .

- يوم عماطور، الشوف، جبل لبنان، 19 كانون الثاني 1937⁽¹⁾ .

- في 27 كانون الثاني 1937 تم تصنيف الدستور بمراسم سميت « مراسم دستورية »، منها مرسوم رتبة الأمانة التي منحها الزعيم لعدد من الأعضاء ومنهم شكل أول مجلس أعلى .

- في احدى جلسات المجلس الأعلى اعطى الزعيم علماً للمجلس الأعلى أنه ينوي القيام برحلة إلى المقتربات « عبر الحدود »، كما جاء في مخطوطة الأمين كامل أبو كامل .

(1) راجع في المستندات « ايماننا التاريخية » .

- نمو الحزب في مدن سورية الداخلية.
- يوم بكفيا، 20 شباط^(١)، الصدام الدامي المفتعل مع فرق الحزب بواسطة حملة الجند عليها. القول الذي تداول في حينه « فاطبقتم عليها إطباق فك اسد على عنق غزال » وبطولة خارقة للرفيق وديع الياس مجاعص ما تزال مضرب المثل حتى يومنا هذا.
- محاكمة قومي الكورة في الاستئناف وصدور الحكم بمدة التوقيف - 21 يوماً - .
- مدهامة مكتب الحزب في شارع المعرض في 25 شباط 1937 .
- اعتقال الزعيم في 8 آذار 1937 عند حاجز المريجيات .
- تسلم جورج مراد التحقيق من رضى التامر. يذكرنا موقف جورج مراد بموقف حسن قبلان.
- المحاكمة: « هذا اسمي، ليس توقيمي » صدور الحكم بالبراءة.
- انشاء لجنة نسائية تجمع التبرعات تحت اسم « مساعدة لعائلات مستورة ».
- كفالات الامير امين ارسلان للقوميين الاجتماعيين للافراج عنهم.
- الافراج في 15 آيار 1937 . بدأت مرحلة جديدة، مرحلة دخول الحزب ميدان السياسة العملية.
- اشتراك الحزب في مأم ميشال زكور. التغلب على مناورة الكتائب للسير في مقدمة الموكب. تأبين الزعيم.
- انشاء م. ا. م. (مكتب اعلى مختص).
- زيارة طرابلس - الكورة، 25 تموز 1937^(١).
- صدور اول كتيب للتدريب.
- أول دعوة للانتخابات على الاساس الحزبي.
- منح الزعيم رتبة الأمانة - عبر الحدود - لفؤاد أبي عجرم وعساف أبو مراد ثم في الوطن لعزيز حديد وخالد اديب.
- أول مؤتمر إداري عقده الزعيم - محاولة عقده في دمشق ثم انعقد في مركز الحزب، في بيروت.

(١) راجع المستندات « ايامنا التاريخية ».

- أول مشروع عسكري يستهدف حصول استقلالية للعسكريين الوطنيين في « جيش الشرق » قدمه اديب الشيشكلي وسماه الزعم « مشروع جريء » يعبر عن روح التحدي القومية.

- أول اجتماع عام علني في بيروت، في الاشرافية في منزل الدكتور واكيم. اعتقل المجتمعون.

- اجتماع قومي اجتماعي عام في دمشق في دار هاني جلاد احتفاءً بعودة الشهبندر من المنفى يحضره الزعيم فجأة. يلقي الشهبندر خطاباً ثم يلقي الزعيم خطاباً توجيهياً.

- محاولة الاشتراك في مؤتمر بلودان الفلسطيني.

- نجاح الياس الجرجس أول نائب بدعم من الحزب في الحصن - تللكلخ، محافظة اللاذقية (محافظة طرطوس اليوم).

- الصلح مع دار المختارة بواسطة الانتخابات النيابية اللبنانية وذلك بدعم انتخاب حكمت جنبلاط. (جرى هذا التقارب بواسطة الامير امين ارسلان).

- موقف الحزب الانتخابي السياسي.

- في 12 تشرين الأول وفي 17 منه صدور عفو خاص عما تبقى من مدة محكومية عبدالله الجميل وناصيف اللحام الصادرة بمسألة تأديب الصحفي البديء.

- في 14 تشرين الأول صدور أول جريدة للحزب. يومياً، باسم جريدة النهضة وتحت شعار: حرية، واجب، نظام، قوة. فريد مبارك للتحريير وجبران جريج للادارة.

- حديث الزعيم عن الكيان اللبناني.

- في تشرين الثاني صدر بيان حزبي ضد تصريح البطريرك الماروني عريضة القائل بابقاء فرنسا في بلادنا 99 سنة تتجدد تلقائياً.

المحتويات

السنة الحزبية الخاصة

سنة المهادنة 1936-1937

11 العمل العلني الميداني	-
11 الفتنة الطائفية	
19 دم الغوغاء	
21 زيارة منطقة اللاذقية	
57 الحملة من اجل الاسكندرون	
71 يوم عماطور	
97 ذكرى الشهيد حسين البنا	
101 معلومات عامة	
115 الدستور ورثية الامانة	
121 أول مجلس اعلى	
123 الوضع الحزبي	
137 مع مجلة العاصفة	
139 الوضع السياسي اللبناني	
153 يوم بكفيا	
175 أول آذار	
183 الاعتقال - الانتكاسة	-
185 اعتقال الزعيم	
195 في سجن بعبدا	
201 الوضع الحزبي	
209 في التحقيق	

215	في سجن الرمل
221	المحاكمة
225	معلومات عامة
229	الافراج
241	التقرير الفرنسي
245	- المهادنة
247	المرحلة الجديدة
267	مأم ميشال زكور
271	قصة صلاح لبكي
277	عبر الحدود
281	معلومات عامة
289	زيارة طرابلس - الكورة
303	عودة إلى الاسكندرون
307	- النشاط الحزبي المركزي
309	النشاط الجندي التدريبي
313	معلومات عامة
343	مع جريدة صوت الاحرار
345	انتماء بالمراسلة
351	منح رتبة الامانة
353	المؤتمر الاداري
355	مشروع جريء
357	إنشاء الندوة الثقافية
363	مؤتمر بلودان
373	صدور جريدة النهضة
391	الانتخابات النيابية الشامية
401	الانتخابات النيابية اللبنانية
413	بعد انتهاء الانتخابات
423	- النشاط الحزبي في الفروع
425	في بيروت

447	في جبل لبنان
460	في البقاع
461	في دمشق
469	في حصص
471	في حماه
481	في حلب ودير الزور
483	لواء الاسكندرون
487	في محافظة اللاذقية
497	في لبنان الشمالي
4517	في الجنوب
521	عبر الحدود
533	- ادبيات
617	- مستندات
699	- وثائق
728	- حصيلة جهاد سنة المهادنة 1936 - 1937
730	- خلاصة

كتب للمؤلف

- حقائق عن الاستقلال ايام راشيا - طبعة ثالثة
- مع انطون سعاده (الجزء الأول) - طبعة ثالثة
- مع انطون سعاده (الجزء الثاني)
- مع انطون سعاده (الجزء الثالث)
- مع انطون سعاده (الجزء الرابع)
- انطون سعاده منذ الولادة حتى التأسيس
- من الجعبة (المجلد الأول)
- من الجعبة (المجلد الثاني)